









مصحف زبدة
نصف حاد
عقمان و
رسول

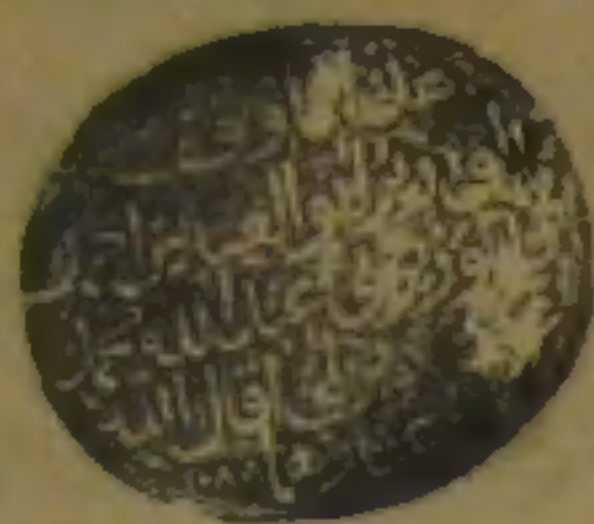
مصحف زبدة
نصف حاد
عقمان و
رسول

سنة الفيل المشهور في سنة الفيل المشهور
يوم الاثنين عاشر محرم سنة الفيل المشهور

طبرستان لرسخ و در لراغ و نادر

المجلد الثالث من تاويلات ابي منصور
المجلد الثاني من تفسير

في الاغراف الى آخره



24

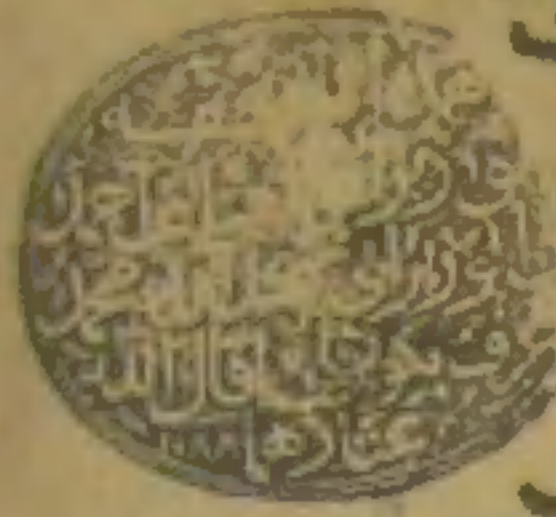
45

المجلد الثاني من تفسير
المجلد الثالث من تاويلات ابي منصور
المجلد الثاني من تفسير
المجلد الثالث من تاويلات ابي منصور
المجلد الثاني من تفسير
المجلد الثالث من تاويلات ابي منصور
(818)

سُورَةُ الْأَعْرَافِ قِيلَ بِكَيْفِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله العليم الخليل لرسوله عبادته ضرب لهم الآيات والبيان لتعلم الحكمة
وتدبيره من الجهالة إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى وتوحيده به سبيله إلى الله
عليه أن يدعو عباده إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فيبعثه إلى الناس كافة
وأنزل إليه الكتاب
والمشركين أن النبي الأبي العزيم لم يعلم ما في الكتب العجمية إلا من عند الله ليكون
ذلك أوضح لهم في الحجّة وكان صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفاً عند الفريقين
أنه لم يتل كتاباً ولا خطه بيمينه ولا كان عندهم من شعراهم ولا المعروف بعلم
الناس بهم وعلم آباؤهم وذلك أبلغ في البرهان فأبهرهم عن علم الغيوب وفرض الفرائض
وحكم فيه الأحكام وأنزل فيه الحجج متاليف يعجز عنه من دون الله ليتبين لهم أنه
من عند الله فالتفت قومه فابوا أن يستمعوا واستكبروا عليه وقالوا لو أنزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لا نسمعوا لهذا القرآن والعوا
فيه لعلم تغلبون فاتهم العليم الخبير من قبل أنفسهم وكبرهم فأنزل في الكتاب كلاماً
افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا أنه بدع ابتدع محمد كما ابتداعهم
البلاغات والأوابد وأنفوا أن يكون محمد قد روي ذلك ما لا يقدر روي فتدبروا
الكتاب ليعلموا صدوره ما بعده من الكلام فستمعوا كلاماً مجيداً حكيماً وبناءً عظيماً
وحججاً نبيرة ومواعظ شافية فدخل أكثرهم في الإسلام وقعد عنه رجلاً من معانده
متعده وجاهل مقلد وفيما أنزل ما وصف قوله المص وكهيعص وطهم وبنا
أشبهها فقال المص ليعطف بها علي النظر فيما بعد ما ثم ابتدأ فقال كتاب أنزل
إليك أي كتاب من ربك أنزل إليك فلا تكن في صدرك حرج منه الآية ومحمّل أن
يكون هذه الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسوله وهم خواصه يعرفونها
بها ولا يفهمها غيرهم تفضيلاً لهم على غيرهم ثم وجه فهم نوحاً أن أخبرهم الله
بوحى غير متلو على لسان الملك فنقول إذا أنزلت إليك كذا فمضى أدي من ذلك كذا
أو كان المراد والبيان منها مقرونًا بها وقت أنزلها فهو من ذلك ما فهم الله تعالى
وإريم ما لم ير غيرهم ذلك وذلك قوله أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
ما أرى الله والله تعالى أرى رسوله أسياً لم يرد ذلك عن غيرهم ولا اطلعهم على ذلك

فهي من المتشابه علي غيرهم فاما علي الرسل عليهم السلام فليس من المتشابه والله اعلم
قال الفراء احتمل أن يكون هذه الحروف المقطعة المنفردة أنزلها من اب ت
إلى آخرها إذا الكلام ياتلف من الكلم والكلم من الحروف كما أنه قال اني جمعت
هذه الحروف المنفردة فجعلتها كتاباً فأنزلته من نحو الم ذلك الكتاب والم الله
والمص والمرو ومحو ذلك والله اعلم ما أراد ذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب
مقدار ما حفظنا وفهمنا من أقاويل العلم في ذلك والله اعلم ما أراد بهما
قوله تعالى فلا تكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر
وقيل الحرج هو ضيق الضيق بحيث لا يجد منفذاً وقيل الحرج ههنا الشك
فمن حمله على ضيق الصدر فتحمل ضيق الصدر وجوهاً أحدها احتمل ضيق
الصدر عن الشد آيد والخطرات التي تكون فيما فرض عليه من بديع الرسالة
إلى قومه والبرائة منهم وما يعبدون من دون الله ودعواهم إلى عبادة الله والنزوع
عن عبادة الأوثان وهم قوم تشبوا على الكفر والشرك وعبادة الأوثان وخاصة
الغدا عنه والملوك الذين همتم القتل والهلاك لمن استقبلهم بالخلاف
وكان الرسول يخاف على نفسه ما خافت الرسل من بين يديه كما أخبر عن موسى
بقوله فآخاف أن يقتلوا لما كان قومه موصوفين بالشقاق إلى قتل من تخالفهم
فيما هم عليه فآمنه الله تعالى بقوله فلا تكن في صدرك حرج منه أي فلا يضيّق صدرك
من الشد آيد التي يتوهمها في تبليغ ما فرض الله عليك من العقيدة والعبادة والحكم
الذي تخالف فيه قومك وهو كما قال في آخر هذه السورة قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون فلا تنظرون أعلم الله تعالى أنهم لا يصلون إلى ما هو مخاف منهم من القتل
والإهلاك وهو كقوله والله يعصمك من الناس وعلي هذا جأ في الخبر أن الله
تعالى لما أرسله إلى قومه فقال أي رب إذا شلفوا رأسي لم يبلغ الخبر فآمنه الله
تعالى من ذلك فقال فلا يظن في صدرك حرج منه أي من البلاغ إلى قومك ما تخالفهم
فيه والله اعلم واحتمل ضيق الصدر بما يؤسوس الشيطان في صدره أن ما أنزل
إليك ليس من الله أو أن يقول له من أساطير الأولين علي ما قال أولئك الكفرة
أن هذا أساطير الأولين فآمنه الله تعالى عن ذلك بقوله فلا تكن في صدرك
حرج منه وقد روي أن الله تعالى آمنه من وساوس الشيطان علي ما روي في الخبر
أنه قيل لرسول الله الك شيطان فقال كان ولكن أعنت عليه فأسلم والله اعلم



ثم قوله فلا يكن في صدرك حرج منه محتمل وجهين أحدهما على النبي بطريق المعاني
أي لا يضيق به صدرك بما حتم عليك من التبليغ وما يتضمنه من الشدائد
والأهوال أو فلا يكن في صدرك شك أن ما أنزل إليك من عند الله وقد
ذكرنا أن العصمة لا تنزل على النبي والمحنة بل النبي بما يعور العصمة والثاني محتمل
أن يكون على سبيل التسكين لقلبه على النبي أي لا يحتمل على نفسك ما فيه هلاك
نفسك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ليس على النبي ولكن على أن يحتمل على نفسه ما فيه
هلاكها فعلى ذلك هذا والله أعلم قوله تعالى لينذر به محتمل أنه أمره
لينذر به الكفرة وبشربهم المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشورهم
للمحسنين فعلى ذلك قوله لينذر به وذكرى للمؤمنين أي لتنذر به الكفرة وذكرى
للمؤمنين أي لبشورهم أو يكون في الانذار لبشور المؤمنين لأن الانذار إذا
قتل تكون لبشور الكافرين وان هو لم يقبله فتكون لهم انذاراً وبشوراً للمؤمنين
ولمحتمل قوله لينذر به أي لينذر الكل المخالف والموافق جميعاً قوله تعالى
وذكرى للمؤمنين أي يكون نفع ذلك التذكير للمؤمنين بما يتدبرونه فيعلمون به
الحق من الباطل ويعرفون ما فرض عليهم من الأحكام والله أعلم قوله تعالى
اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أمر المؤمنين أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم
على ما أمر رسول الله أن يتبع ما أنزل إليهم من ربهم بقوله اتبع ما أوحى إليك من
ربك ليعلم أن ما أنزل إلى رسول الله هو منزل إلى المؤمنين جميعاً إلا ما خص
بذليل مختصين والله أعلم ثم قوله ما أنزل إليكم من ربكم فيما ذكر فيه ما حل ويجرم
عليهم وما يأمرونهم به قولاً لا يسمعون منه ولا يطيعون منه قوله تعالى
أي لا تتبعوا من دون الله الرؤساء والأخبار في التحليل والتحریم والأمر
والتحليل ما أحل لهم فاما أنشاء التحليل والتحریم فلا وقال بعض أهل
التأويل ولا تتبعوا من دونه أو ليا أي التحليل والتحریم من حيث الصورة
ولكن محتمل ما ذكرنا لأنهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحریم وهو كقوله
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وكانوا لا يجدون الأحبار
أرباباً في الحقيقة لكن كانوا يتبعونهم فيما يجلون ويجرمون ويصدرون عن
رايهم فسموا بذلك لشدة اتباعهم أو ليك في التحليل والتحریم والأمر والنهي

فعلى هذا والله أعلم قوله تعالى قليلاً ما تذكرون قال أهل التأويل عني
بالقليل المؤمنين ولكن محتمل قوله قليلاً ما تذكرون أي فلا يتذكرون أصلاً
ورأساً لأن الخطاب جوي به لا وليك الكفرة وفيهم نزلت الآية ولينذرهم
ممن يتذكروا والله أعلم قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها قال أهل التأويل
كان يخوف أهل مكة بتكذيبهم الرسول بأهلكه الأمم الخالية بتكذيبهم الرسول
كانه يقول وكم من أهل قرية أهلكناهم بتكذيبهم الرسول فانتم يا أهل مكة تهلكون
بتكذيبهم الرسول أن لم تتنصروا وتصدون على ذلك فإن قيل أن أهل مكة ليسوا
أهل كتاب فلا يعرفون أهلك الأمم الماضية بتكذيبهم الرسول فكيف يقع الانذار
والاعتبار بهذا قيل أن كانوا لا يعرفون بأنفسهم لما أنه ليس عندهم كتاب
لكن يصلون إلى علم ذلك لمن عرفهم من الكتب وهم أهل الكتاب فيلزمهم الحجّة
باعتبار قيام سبب العلم وطريق الوصول إليه وهذا كما أن العجم وإن كانوا لا يعرفون
الكتاب الذي أنزل بلسان العرب فإن الحجّة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول
إلى علم ذلك بالعرب الذين أسلموا فعلى ذلك هؤلاء وإن لم يكن عندهم علم
أهل الكتاب أو ليك فيلزمهم الحجّة بأعلام أهل الكتاب أي أنهم في الآية دلالة
إثبات رسالته محتمل أنه أخبر عن أهلك الأمم الخالية بتكذيبهم الرسول وهو لم
ينظر في كتبهم ولا اختلف إليهم ليعلموه عن ذلك ثم أخبر عنهم بذلك فدل أنما
عرف ذلك بالله قوله تعالى فجاءها بأسنا بيّناً أو هم قائلون قال أبو بكر
الكنسائي البأس كل أمر معصّل شديد من المرض والجرح وغيرهما وروي عن
عمر رضي الله عنه أنه لما طعن قيل له لا بأس عليك فتعالم أن كان في القتل
بأس فبي ذلك وأما غيره من أهل التأويل فقالوا البأس العذاب وقوله
بأسنا أي عذابنا وقوله بيّناً أو هم قائلون البيات بالليل والقتلولة بالنهار عند
الظهيرة وهما وقتا الغفلة أو وقتا الأمن أخبر أنه إنما يأتهم عذابه في حالة
الغفلة أو في حال الأمن ليلا يكونوا غافلين عن أمر ولا آمنين عن عذابه
قوله تعالى فما كان دعويهم إذ جاءهم بأسنا أي ما كان دعويهم قبل نزول العذاب
إلا أن قالوا نحن على الحق وإن غيرهم على الباطل فلما جاءهم بأسنا اعترفوا بظلمهم
كقوله إلا أن قالوا أنا كنا ظالمين قوله تعالى فلننزلن الذين أرسل إليهم
ولننزلن المرسلين والأشكال أنه ذكرني هذه الآية أنه يشأ لهم جميعاً يوم القيمة

الرسل والمرسل اليهم وذكر في آية اخري فيومئذ لا يسأل عن ذنبه اناس ولا جان
 وقال في موضع آخر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا يشبه التناقض والجواب
 عن هذا من وجوه احدها ان قوله لا يسأل عن ذنبه اناس ولا جان اراد
 نفي السؤال عن نفس الفعل اي لا يسأل عن عين ما فعل وعن نفس ما ارتكب وفي
 قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم وقوله وهم يسألون المراد هو السؤال عن الحجّة
 على ما فعل وان كان من حيث الظاهر اللفظ السؤال عن عين الفعل فانه لا
 يقال المرء افعلت كذا ولكن يقال له لم اذنبت ولم فعلت كذا وليس بين السؤال
 عن الحجّة على الفعل وبين نفي السؤال عن نفي الفعل تناقض لان الثاني انما يتحقق
 بين السلب والاجاب في الشيء الواحد لا في شيئين مختلفين والله اعلم والثاني يحتمل
 ان المراد منه ان يسأل في وقت ولا يسأل في وقت فانه قيل انه يسأل في اول
 البعث ولا ثاني بين النفي والاثبات في وقتين لشيء واحد والله اعلم والثالث
 ما قال بعضهم قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه اناس ولا جان اي لا يسأل عن ذنبه
 غير الذي فعله وهو قوله ولا تزر وازرة وزر اخري وقوله فلنسالن اي نسالت
 فاعله وصاحبه فلا تناقض بينهما خبر والله اعلم ان امر الآخرة على خلاف امر الدنيا
 لان في الدنيا قد يوخذ المرء بذنب غيره ويسأل احضار قدره ويطلب بسببه
 قدره واما في الآخرة فانه لا يوخذ عنه بذنب آخر لذلك كان ما ذكر والله اعلم
 والرابع يحتمل قوله لا يسأل اي لا يسأل عما اظهر وابدى من الاعمال المتبيحة
 ولكن يسأل عما استر واخفى منها لان الملائكة قد كتبوا ما ابدوه واظهره وقوله ما
 يلفظ من قول الا لذي رقيب عتيد فيقع السؤال عما استر وعلى المقتر برعدهم
 لا على الاستخبار ولا يسأل عن الذي كتب والله اعلم ثم اختلف اهل التأويل في
 تأويل قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين قال بعضهم يسأل
 الرسل عن تبليغ الرسالة الى الامم ويسأل القوم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة
 ويكون السؤال عن الرسل بمعنى الشهادة لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون
 الرسول عليكم شهيدا انه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم اي لسال الملائكة عن تبليغ
 الرسالة الى الانبياء وسال الانبياء عن تبليغ الرسالة الى القوم الذين ارسلوا
 اليهم ولحتم ان يكون سؤال الرسل عما اجيبوا والسؤال للامم عما اجابوا قوله
 يوم لجمع الله الرسل فنقول ما ذا اجبتم ولحتم ان يكون سؤال القوم سؤال

تقدير عندهم وطلب الاقرار منهم لما كانوا ينكرون التبليغ اليهم قوله واذا قال الله
 يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وايتي الهين من دون الله هذا
 سؤال تقدير وتغيير للقوم لان الله تعالى عالم انه لم يكن قال لهم ذلك وان القوم
 كانوا ادحووا ان عيسى قال لهم فهذا السؤال طلب الاقرار منهم ليقرروا بذلك
 ليلا يقولوا هو قال لهم ذلك فعلى ذلك الاول والله اعلم قوله تعالى فلنقصن
 عليهم بعلم وما كنا غائبين اي فلنقصن عن علم وما كنا غائبين عن عملهم وصنيعهم ولكن
 يسأل على التقدير وطلب الاقرار منهم لا على الاستخبار وطلب العلم وانما
 ذكر قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عقيب قوله فلنسالن الذين ارسل
 اليهم ولنسالن المرسلين والله اعلم لما احتمل ان يظن جاهل الحفا به بما ذكر
 من المسئلة لهم والسؤال في قوله ولنسالن وهو في الموضع للاستخبار عما ليس
 ويظهر ليظهر للمستخبر بالاخبار عن ذلك وهو معنى السؤال في الشاهد فاخبر
 فلنقصن عليهم بعلم ان سؤاله ليس سؤال استخبار واستظهار ولكن
 سؤال توبيخ وتغيير او سؤال شهادة من الله على ما اتوا من التكذيب بما
 وعلى هذا الخرج الابتلاء والامتحان من الله لتعديروا الامور الهني لا لظهار
 شيء خفي عليه وان كان في الشاهد يكون او ان يكون الابتلاء والامتحان من الله
 لاظهار ما خفي عند الخلق عليهم فسمي لذلك الامر والهني منه امتحانا وابتلاء
 لما انه عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمي بالذي
 فيما بينهم والله اعلم قوله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه
 فاو ليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاو ليك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
 بآياتنا يظنون اختلف اهل التأويل قال الحسن يكون ميزان له كفتان يوزن
 فيه الحسنات والسيئات فمن ثقل ميزانه دخل الجنة ومن خفت ميزانه دخل النار
 الا ان ما قاله لا يحتمل ظاهر الآية لانه قال فمن ثقلت موازينه فاو ليك هم المفلحون
 ومن خفت موازينه فاو ليك الذين خسروا انفسهم والميزان اذا ثقل احدي الكفتين
 منه خفت الاخرى واذا خفت احدى ما سقل الاخرى فكل واحد من ثقل ميزانه
 وخفت مكون مفلح وخاسر وظاهر الآية مطلق ليس فيها انه يثقل ويخف بما ذا
 فدل ان ما قاله لا يحتمل الا ان يكون مراد الآية والمراد من تأويله ان من
 يثقل ميزانه بالطاعة او خفت بان يثقل احدي الكفتين بالطاعة وخفت الاخرى

بالمعصية فكون محتملا فيرد علي تاويله اشكال آخر علي ما نذكر والله اعلم وقال اكثر
اهل التاويل بان المراد بالمواز بين الحسنات والسيئات نفسها فمن رحت حسنة
علي سيئة اي كثرت حسنة دخل الجنة ومن رحت سيئة علي حسنة اي كثرت
سيئة دخل النار ولا يقال ما قالوا لان الآية عندهم في المومنين والكافرين
جميعا ولا يتصور في حق الكفرة مقابلة الحسنات بالسيئات لانه لا حسنة يتحقق
في حق الكفرة لانها اسم لما يفعل لوجه الله ولا يحقق ذلك مع الجهل بالله والكفرة
علي انه ان يحقق منهم الحسنات في الجملة والاحسان والبس في حق الناس لكن
مع هذا فانا سيدلان لا يتصور في حق المومن رجحان سيئة علي حسنة مع ايمانه
ولا يتصور في حق الكافر رجحان حسنة علي سيئة مع كفره وبهذا يبطل ايضا
تاويل الحسن فانه لا يتصور ان يحن ميزان المومن في حق الحسنات مع الايمان
في الكفة الاخرى ولا يتصور ان سقل ميزان الحسنات الكافر مع كفره في الكفة
الاخرى الا ان يكون مراد اهل التاويل بهذا الكلام ان يوزن حسنات المومن
ويقال سيئاته بدون ايمانه وكذلك في حق الكافر يقابل سيئاته بحسناته دون
كفره ثم في حق الكافر متى رحت سيئاته بحسناته دون كفره سوي الكفر علي حسنة
لا يجازي لحسناته في الدنيا لان المرجوح ساقط العبرة ومتى رحت حسناته
علي حسنة دون الكفر يجعل له جزاء حسنة في الدنيا نعم عليهم في الدنيا من
انواع النعم او جازي لحسناته الحاليين في الدنيا من النعم ثم عاقبة امره مصيره الي
النار ولا محالة واما في حق المومن ان رحت حسنة سوي ايمانه علي سيئاته
يتجاوز عن سيئاته ويجازيه احسن ما عمل فذلك قوله اوليك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وان رحت سيئاته علي حسنة دون ايمانه
فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء غفر له سيئاته بما معه من الايمان والحسنات فضلا
منه وان شاء عذبه في النار بعد رد بنه ثم عاقبته ومصيره الجنة لا محالة والله
الموفق والذي يبطل هذا التاويل الذي قاله اكثر اهل التاويل وما قاله
احسن ايضا ان قوله فمن ثقلت موازينه في حق المومنين ومن خفت موازينه
في حق الكافرين الا نوي انه قال ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون والكافر هو الظالم بايات الله حيث وضعها
دون المومنين واذا كان هذا في حق الكافرين كان الذي تقابله وهو قوله

فمن ثقلت موازينه في حق المومنين فلا يستقيم ما ذكر من التاويلين ويكون
قوله فمن ثقلت موازينه في حق اهل الفلاح ان عاقبته الجنة لا محالة وقيل
المراد بما ذكر من الميزان والوزن هو الكتاب الذي ذكر في آية اخرى
بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب
الي اهل مسرورا واما من اوتي كتابه وراظهره فسوف يدعوا بشراويل
سعييرا وكما قال فاما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابه
واعطاء الكتاب باليمين علامة اهل الجنة والاخر علامة النار واما يوزن والميزان
عبارة عن الكتاب بطريق المجاز لما ان كل واحد منهما سبب العلم والله اعلم وقال
بعضهم المراد من الوزن هو العدل لان الله تعالى قال ويضع الموازن بالعدل
ولم يقل ويضع الموازن بالقسط والقسط هو العدل فهو اخبار عن العدل
انه يعدل بينهم يومئذ وقالت بعضهم قوله والوزن يومئذ الحق اي الجزاء
يومئذ الحق سقي الجزاء وزنا لما ان الجزاء علي وزن الطاعات والمعاصي
عدلا لا ينقص جزاء الحسنة عنها ولا يزداد جزاء السيئة عليها لكن يرا د جزاء
الطاعة فضلا عشرة وضعفا واضعافا مضاعفة والله اعلم وقالت بعضهم
قوله والوزن يومئذ الحق اي الطاعة حق كل مطيع يومئذ فمن كانت طاعته
مقبولة فهي التي هي حق وثايبته يومئذ وما لم يكن ثابتة يومئذ فقد حبطت وصارت
هدرا فلا يكون طاعة والله اعلم وحتم ان يكون المراد من الوزن التقدير
والتحديد لقوله وانبتنا فيها من كل شئ موزون اي محدود مقدر فعلي ذلك
قوله والوزن يومئذ الحق لا يوزن علي السيئات ولا ينقص عن الحسنات
التي عملوا في الدنيا بل يكون الجزاء مقدرا محدودا علي قدر العمل لا انه اراد به
حقيقته الوزن والله اعلم بما اراد بالوزن فوجب القول بالميزان والوزن باصله
دون كيفيته احتدا عن الوقوع في الخطاء والشهادة علي الله تعالى بما ليس فيه
نص من جهة الكتاب والسنة المتواترة اذ لا نص في بيان كيفيته وان ورد
في حق اصله والله الموفق وليشبهه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت
موازينه علي التمثيل ليس علي تحقيق الميزان بالثقل والخفة ولكن علي الوصف بالغم
لاعمال المومنين من القرب والطاعات والخفة والتلاشي لاعمال الكافرين فان الله
تعالى ضرب لاعمال المومنين المثل بالشئ الثابت والطيب ووصف اعمالهم بالثبات

والقنار فيه وضرب لأعمال الكافرين المثل وشبهها بالشيء التافه الثالث ووصفها بالبطلان والتلاشي
كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وقال مثل
كلمة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وصف الامرين بما ذكرنا وقال في
آية اخري والبلد الطيب خرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقال والذي
كفر واعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فاما الزبد
فذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ويخود ذلك من الآيات فيها وصف اعمال
المومنين بالثبات والقنار ووصف اعمال الكفرة بالبطلان والذهاب والتلاشي فعلى ذلك
قوله فمن نعت موازينه فاولئك هم المفلحون وصف لاعماله بالعظم والقدر والقنار والثبات
ومن خفت موازينه وصف لاعمال الكفرة بالبطلان والتلاشي اي لا يكون لهم من الحياة
شيء ينفعون بها في الآخرة فتكون صدر الآية في وصف اعمال المومنين والآخرة
في وصف اعمال الكفرة وانه لا يصل الوعد والله اعلم وقوله ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم قال اهل التاويل خسروا انفسهم اي غبنوا وذلك انه ما
من احد من مومنين وكافرين الا في الجنة والنار منزل واهل فيرث المومن المنزل الذي
كان للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذي كان للمومن في النار فذلك الخسران
الذي خسروا ولكن هذا الاحتمال ان يكون الله تعالى يجعل للكافر منزلا في الجنة واهلا
مع علمه انه لا يؤمن ويختم على كفره وكذلك في حق المومنين لا احتمال ان يجعل له منزلا
في النار مع علمه انه لم يختم على ايمانه ولا معصيته له فدل ان هذا التاويل فاسد
ثم احتمل ان يكون المراد من الخسران الذي ذكر في الآية هو انهم خسروا في الدنيا
والآخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الي نعيم الآخرة فذلك
الخسران المبين في الدنيا والآخرة والله اعلم قوله تعالى بما كانوا يايتنا
يظلمون قال الحسن باياتنا اي بدعيتهم يكذبون وقيل باياتنا اي بحججنا يظلمون
اي يصفوننا في غير موضعها لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ثم المسئلة نعمين
ارتكبت كل كبيرة في حال كفره من الكفار مغفورا له مغفورا عنه غير مواخذه
ومن ارتكبت في حال ايمانه وختم على الايمان لم يعمل الايمان في كفره وكان مواخذا
به وذلك لوجهين احدهما ان ليس على الكافر انفس الاعمال واعينها التي هي
عبادات وقرب انما عليه قبول تلك الاعمال فاذا اسلم قبلها الا ان فعله الا اذا
في المستقبل فاما المومن فعليه انفس افعال الطاعات والقرب لما وجد منه

القبول لها بعقد الاسلام فيواخذ بما كان منه من المعريط في تلك الاعمال وتصنيع
تلك الامانات والله اعلم والثاني وهو ان الكافر اذا اسلم بعد ارتكاب الكبائر
فوجد منه الاسلام حذره وما فرط فيه من الجنائيات وحده قبل الاسلام فلا
يوجب حرجا وقد حاشي ذلك اذ لا يعد خلافا وتركها لما التزم بالاسلام وما
التزم ذلك وما قبله بخلاف ما اذا ارتكبت الكبائر في حال الايمان لانه بالايمان
التزم الامتناع من المخطورات وقيل ذلك فيكون ذلك مخالفة لما التزم بعقد
الاسلام فتكون مواخذا بها والله اعلم قوله تعالى ولقد مكناكم في الارض
وجعلنا لكم فيها معايش قال ابو بكر الكيساني مكناكم اي مكناكم الارض وجعلناكم
فيها معايش تتعيشون بها يذكركم بغيره ومنه ما ملككم الارض وجعلنا لهم فيها مسانيع
ومعايش لفسكو واعليها وقال الحسن مكناكم اي جعلناكم مستخلفين عن بقدهم
في اماكنهم يذكركم ايضا بغيره عليهم ما خلفهم خلفاء الاولين وجعل لهم فيها معايش
ثم نحوهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بعد زوالها عن الاولين ليعلموا انها
نزول عنهم الي غيرهم فلا يطمانوا عليها ويجعلوها مطايا للدار الآخرة والله اعلم
والاحتمال ان يذكركم هذا بما جعل لهم الارض مكان القنار وموضع الانتشار
والقلب والنعيش وهو قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا الحرم آمنا
لكم حيث تامنون وسقلمون وتعيشون فيه وسقطت الناس من حولهم فيذكر عظيم
بغيره ومنه التي جعلها هذا امثال ذلك هذا اذا كان الخطاب لاهل مكة خاصة
بقوله ولقد مكناكم في الارض للناس كافة فخرجوا على تذكير النعم لهم وحيث جعل
لهم الارض حيث يتقرون فيها وسقلمون والله اعلم قوله تعالى قليلا ما تشكرون
هذا وقوله قليلا ما تذكرون كقولهم وجوها احدها انهم كانوا يقولون انه خالفهم
بقوله ولين سألتم من خلق السموات والارض ليقولن الله كانوا يقولون بالوهيية
ويصرون العبادة الي غيره فذلك قوله قليلا ما تشكرون والثاني احتمل قوله
قليلا ما تشكرون اي لا تشكرونه ولا تذكرونه البته لا قليلا ولا كثيرا والثالث
احتمل قوله قليلا ما تشكرون اي لشكر المومنون ولا لشكر اولئك والمومنون قليل
وهم اكثر والرابع اي ليس في وسعهم القيام بشكر جميع ما انعم عليهم لكثرة نعمه لا يتنبأ
لهم القيام بشكر واحدة منها فكيف لشكر الجميع فتكون ذلك الشكر قليلا لا محالة والله اعلم
قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن اراد بقوله ولقد خلقناكم

ثم صورناكم آدم خاصة لانه قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اخبر
انه امر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق والتصوير ولو كان المراد بقوله خلقناكم ثم
صورناكم بني آدم لم يكن لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم معني لانه ما امرهم بالسجود
لآدم بعد خلقنا وتصويرنا وانما امرهم بالسجود له بعد خلقه وتقديره وقال غيره من
اهل التأويل المراد منه اليسر كله لانه قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم ولو كان المراد آدم بقوله خلقناكم ثم صورناكم لكان لا يصح بل ذكر آدم
بعد ذلك بقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لان الاصل في كلام العرب ان من سبق
ذكره بالكناية لا يذكر بعده بالصرح بل الكناية فكان من حيث الكلام ان يقول ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لكم لو كان المراد بقوله خلقناكم آدم والله اعلم وقال بعضهم المراد بقوله
خلقناكم آدم والمراد بقوله ثم صورناكم بول آدم اي ثم صورناكم في ارحام امهاتكم والله اعلم
ولاحتمل وجه آخر وهو ان قوله ولقد خلقناكم اي قدرناكم من ذلك الاصل وهو نفس آدم
لان الخلق هو التقدير يقول انا خلقتكم اي قدرته كما انه تعالى يقول وهو اعلم ولقد خلقناكم
اي قدرناكم جميعا من ذلك الاصل والكتاب ومنه صورناكم وقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم معناه اي الاصل وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم او يكون هذا ترشيبا في التكلم
في وجود المحبر به وذلك جازي في اللغة وكذلك قال بعض اهل الكلام ان النطفة
هي انسان بالقوة ثم قصير انسانا بالفعل وقالت بعضهم هي كيان الانسان فجاء
ان يكون اضافها الي ذلك الطين بما هو كيان واصل والله اعلم قوله تعالى
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن ان ابليس اللعين لم يكن من
الملائكة وذلك ان الله تعالى وصف الملائكة جملة بالطاعة له والخضوع بقوله لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعجلون وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وغير ذلك من الآيات ولم يكن من ابليس الاكل شرو لان الله تعالى
خلق الملائكة من النور وابليس من النار والنار ليست من النور فدل انه ليس
من الملائكة واحتمل ما قال الحسن وقال بعضهم من الملائكة واستدلوا بالاستثناء
في قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وحقيقته الاستثناء ان
يكون من جنس المستثنى منه فدل ان ابليس من جنس الملائكة لكن الحسن يقول
هذا استثناء من الجنس لكن الاستثناء يدل على ان الامر بالسجود لآدم لم يكن للملائكة
خاصة بل لهم ولغيرهم من الجن فسجد الكل الا ابليس فيكون الاستثناء دليلا على

على انصار المستثنى منه من جنسه والاضمار جازي في اللغة ومثل هذا مستعمل
في باب الاستثناء سابع يقال دخل هذه الدار اهل البصرة الا رجلا من الكوفة
يكون الاستثناء صحيحا ودل الاستثناء على ان دخل هناك اهل الكوفة مع
اهل البصرة لكن اهل الكوفة مضرو وتقديره دخل هذه الدار اهل الكوفة
واهل البصرة الا رجلا من الكوفة فهنا كذلك فدل ان هذا محتمل ولكن ليس
لنا الي معرفة ذلك حاجة انه كان من الملائكة او من غيره انما علينا ان نعرف
انه عدو لنا ليتحذر عنه وعن وسواسه وقد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله تعالى
قال ما منعك ان تسجد اذ امرتك قيل اي ما منعك ان تسجد وخبر
لان آيد لي ما ذكر في آية اخري ما منعك ان تسجد اذ امرتك والله اعلم
قوله تعالى انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فنقول هذه دعوي
منه ثم علم عدو الله ان المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين الا ان
يقال بان النار خلقت لمصالح الاغذية فمن هذا وقع عنده انها خير من الطين
ولكننا نقول هذا فاسد وذلك ان النار وان جعلت لمصالح الاغذية فالطين
جعل لوجود الاغذية والذي جعل لوجود الشيء هو النفع والكبر من الذي جعل
لمصالحه لعل الاغذية تصح للاكل بغير النار من الشمس وغيرها وبعد
فان الطين ما يقوم للنار ويطفئها ويلغها والنار لا تقوم للطين ولا يتلفه فكيف
يكون النار افضل وحيث من الطين والله اعلم ثم اختلف في الوجه الذي يتبع به كفر
ابليس عدو الله وما ذلك المعنى الذي يعنف كفره اليه قال بعضهم انما لان اللعين
لم يبر الله على نفسه طاعة بامر السجود لآدم ومن انكر امر الله ولم يبره معترض الطاعة
يكون كافرا وقالت آخرون انما كفر عدو الله لانه لم يبر الامر من الله لمن له علق
رتبة بالخضوع والطاعة لمن هو دونه حكمة فاعتقد انه ما وضع الامر بالسجود موضع
بل وضع امره غير موضعه فيعتقد في الله السفه والظلم وهو كفرو وقال آخرون
انما كفرو اللعين بالاستكبار والتكبر على آدم لا لمعني آخر والتكبر عليه تكبر على امره
بذلك حيث لم يقبل امره والتكبر على الله كفر والله اعلم بما اراد من ذلك ولذلك
قيل اول من اخطأ في القياس وان فيه ابليس لعنه الله قوله تعالى فاهبط
فما يكون ان تكبر فيها قال بعضهم اهبط منها اي من السماء لان ابليس كان في السماء
فامر به بهبوطه لان السماء جعلت للخالقين فامر بالهبوط منها الي مكان جعل مقرا

لِلخَاصِّينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ جَمِيعًا وَهُوَ الْأَرْضُ إِذَا الْأَرْضُ مَعْدَنَ الْمَرْبُوعِينَ جَمِيعًا وَقَالَ
بَعْضُهُمْ هَذَا أَمْرٌ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى جَنِّ آيِرَ الْجُورِ لِأَنَّ الْأَرْضَ هِيَ مَتَارِ
أَهْلِهَا وَجَزْأَيِرَ الْجُورِ لَيْسَتْ بِكَانٍ قَدْ أَرَادَ لِأَحَدٍ لِيَكُونَ أَبْلِسُ فِيهَا عَلَى الْخَوْفِ
يَقْدِرُ هَذَا أَنْ ذَكَرَ الْأَرْضَ مُطْلَقًا لَا يَتَعَلَّقُ عَلَى الْبَحَارِ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ وَجَعَلْنَا فِي
الْأَرْضِ رِوَايَ أَنْ تَمِيزَهُمْ وَالْبَحَارَ بِمَا لَا يَمِيدُ بِأَهْلِهَا وَهَذَا عَلَى قَوْلِ الْحَسَنِ
لَأَنَّ عِنْدَهُ أَبْلِسُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاءِ وَإِنَّمَا كَانَ يُوَسَّوْسُ آدَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَرْضِ وَاحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْهَبُوطِ مِنْهَا أَمْرًا بِالْخُرُوجِ مِنَ
الصُّورِ الَّتِي كَانَ فِيهَا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى قَبِيحَةً لَا يَخُوفُ أَبَدًا وَلَا يَبْرِي عَقُوبَةً لَهُ لَمَّا تَرَكَ
أَمْرًا لِقَائِي وَرَكَوبَهُ نَهْيَهُ وَقِيلَ أَيُّ أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَا
يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْتَبِرَ فِيهَا أَيُّ مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْتَبِرَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي تَحُولُ إِلَيْهَا
قَبِيحَةٌ أَوْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي كَوَّلَ إِلَيْهِ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَبَدًا وَكَانَ عَلَى خَوْفٍ
وَوَجَلٍ أَبَدًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَنْتَ مِنَ الصَّاعِدِينَ حَتَّى
وَجْهَ صَعَارِهِ أَنَّهُ تَأَمَّنَ أَحَدٌ بِذِكْرِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ وَيَدْعُو عَلَيْهِ بِاللَّعْنِ فَذَلِكَ صَعَارُهُ
وَاحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَعَارُهُ لَمَّا صَبَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَالْغَيْبِ عَنِ الْأَبْصَارِ وَلَا يَتَعَلَّقُ
عَلَيْهِ الْأَبْصَارُ وَاحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَعَارُهُ لَمَّا تَرَدَّدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَصَارَ مَلْعُونًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ انْظُرْ إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ فِيهِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ انْظُرْ إِلَى
تَعَالَى إِلَى النَّفْخَةِ الْأُولَى لِيَذُوقَ الْمَوْتَ وَلَا يَصِلَ حَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَى حَيَاةِ الْآخِرَةِ
وَلِذَلِكَ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنْتَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ
انْظُرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لِأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَنْظُرَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ حَيْثُ قَالَ انْظُرْ
إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ قَالَ أَنْتَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ خَرَجَ ذَلِكَ جَوَابًا لِسُؤَالِهِ فَذَلِكَ أَنَّ
الْإِنْفَازَ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي سَأَلَ بِظَاهِرِ الْآيَةِ وَمَا ذَكَرَ مِنَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ فِي آيَةٍ
أُخْرَى بِحَسْبِ أَنْ يَكُونَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ غَيْرُهُ انْظُرْ وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُ ذَلِكَ
الْوَقْتَ الَّذِي انْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ أَبَدًا عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ بَدَلِ عَلَيْهِ أَنْ أَبْلِسَ لِلْعَيْنِ
كَانَ خَافَ الْهَلَكَ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرًا عَنْهُ فِي غَزْوَةٍ تَبَوَّكَ فَلَمَّا تَرَاةَ
النَّيْتَانِ نَكَسَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَانُ اللَّهَ
وَاللَّهُ سَدِيدُ الْعِقَابِ وَلَوْ كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي أَنْذَرَهُ مَعْلُومًا عِنْدَهُ لَكَانَ لَا خَافَ
الْهَلَكَ بَدُونَ ذَلِكَ الْوَقْتِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَيْنٌ مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُ وَلَكِنْ كَانَ مَحْضًا

عِنْدَ اللَّهِ فَلِذَلِكَ قَالَ أَنْتَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَوْلُهُ تَعَالَى
قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَا تَقْدِرُ لَهُمْ صِدْرًا طَلَبَ الْمُسْتَقِيمَ قَوْلُهُ لَا تَقْدِرُ لَهُمْ لَيْسَ عَلَى
حَقِيقَتِهِ الْقُدُورُ وَلَكِنْ عَلَى الْمَنْعِ عَنِ السُّلُوكِ فِي الطَّرِيقِ أَوْ عَلَى تَبْلِيسِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
عَلَيْهِمْ لِأَنَّ الْعُدَّةَ مَتَى تَقْدِرُ عَلَى الطَّرِيقِ مَنَعَهُمْ عَنِ السُّلُوكِ حَقِيقَةً أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ وَالْأَمْرُ
لَيْسَ بِعَدَاوَتِهِ وَبَلِيسَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمَ وَيُوقِعُهُمْ فِي الْمَهَالِكِ ثُمَّ الْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى
الْمُعْتَزِلَةِ فَإِنَّهُ أَضَافَ الْأَعْوَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ فَمَا أَغْوَيْتَنِي وَلَمْ يَبْرُدْ
عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ وَالرَّدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ أَنَّ خَالِقَ الْغَوَايَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى
فَكُنْ الْآيَةُ بِظَاهِرِهَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ قَالَ الْحَسَنُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ فَمَا أَغْوَيْتَنِي
إِلَى فَمَا لَعَنْتَنِي وَالْأَعْوَا هُوَ اللَّعْنُ وَهُوَ كَمَا قَالَ فِي صِفَةِ أَبْلِسَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ
إِلَى مِنَ الْمَلْعُونِينَ فَعَلِيَ ذَلِكَ قَوْلُهُ فَمَا أَغْوَيْتَنِي إِلَى لَعْنَتِي وَاللَّعْنُ هُوَ الطَّرْدُ
مِنَ الرَّحْمَةِ وَهَذَا بِمَا لَا مَنَعَ أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْكَلْبَسَانِي أَضَافَ
الْأَعْوَا إِلَى اللَّهِ وَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ لِأَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ الْأَعْوَا مِنَ اللَّهِ وَهُوَ الْأَمْرُ
بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُضْطَرَعُ لَهُ فَإِنَّهُ لَوْلَاهُ لَمَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الْغَوَايَةِ
وَيَجُوزُ أَضَافَةُ الْمُسَبَّبِ إِلَى السَّبَبِ وَإِنْ كَانَ وَجُودُهُ لَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَيْذَنِي وَلَا تَقْتَتِي سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذْنَ بِالْقُدُورِ
عَنِ الْجَهَادِ وَقَالَ لَا تُكَلِّفُنِي بِمَا لَا أَقُومُ فَتَفْتِنُنِي بِذَلِكَ أَضَافَ الْأَمْرَ إِلَى الْأَمْرِ
بِالْجَهَادِ لِأَنَّهُ إِذَا كَلَّفَهُ بِذَلِكَ فَيَقْعُدُ عَنْهُ وَيَحْلِفُ نَتَقُ فِي الْعَتَمَةِ وَالْعَذَابِ وَلَوْ
لَا الْأَمْرُ بِذَلِكَ مِنْهُ لَمْ يَتَقِ فِيهِ فَأَضَافَ إِلَيْهِ لَوْجُودَ السَّبَبِ وَإِنْ كَانَ وَجُودُ
ذَلِكَ بِالْحَلْفِ مِنْهُ عَنْ اخْتِيَارٍ فَكَذَلِكَ هَذَا وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ قَوْلُهُ فَمَا
أَغْوَيْتَنِي هَذَا قَوْلُ أَبْلِسَ اللَّعِينِ وَقَدْ كَذَبَ عِدَا اللَّهِ فِي أَضَافَتِهِ الْأَعْوَا
إِلَى اللَّهِ بَلْ لَمْ يُغْوِهِ اللَّهُ وَإِنَّمَا هُوَ أَغْوَى نَفْسَهُ وَلَكِنَّا نَقُولُ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَحَقِيقَتُهَا
حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ الْأَعْوَا هُوَ إِجَادَةُ الْغَوَايَةِ وَحُلُقُ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ
عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَفِيمَا قَالُوا عَدُولٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ فَلَا يَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ
دَلِيلٍ ثُمَّ مَا قَالَ الْحَسَنُ لَا يَصِحُّ لِأَنَّ الْأَعْوَا لَوْ كَانَ هُوَ اللَّعْنُ لَكَانَ اللَّعْنُ هُوَ
الْأَعْوَا فَجَبَّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ لَأَمْنٍ عَلَى غَيْرِهِ مَغْوُثًا لَهُ وَمَنْ لَا عَيْنَ عَلَى أَبْلِسَ لَا
يَكُونُ مَغْوُثًا لَهُ وَكَذَلِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَعْنُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
فَكُنْ مَغْوُثًا لَهُ فَلَا يَنْفَعُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْكَلْبَسَانِي فَاسِدٌ

فانه لو جاز اضافة الاغواء الى الله لسبب الامور لجاز ان يضاف الاغواء الى الرسل والانبياء
لانه كان منهم الامر لقومهم بالايمان والدعاء الى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكانت
سبب اغواء اولئك هو امر الرسل ودعاهم اياهم بالتوحيد وذلك بعيد لم يقتل به
احد وقول من قال فيما اغويتم حكايه فعل ابليس وقد كذب فاسد ايضا فان
لو حاط عليه السلام قال لقومه ولا يفتكم لعمري ان اردت ان افصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم فان كان ابليس كذب في اضافة الاغواء الى الله فما ظنكم بنوح انه
كذب في اضافة الاغواء الى الله فدل ان ابليس لم يكن كاذبا في اضافة الاغواء
الى الله لما ذكرنا من تحقيق خلق الغواية منه ولما ذكرنا ان الله تعالى لم يؤد علي ابليس
اللعين في اضافته الاغواء اليه ولو كان لخلاف ما قال لرد عليه والله الموفق
وقال بعض اهل التاويل اغويتمني خذلتني اي منعتني اللطف الداعي الى الهدى
ولكن الوجه فيه ما ذكرنا انه خلق في ابليس فعل الغواية والصلال وكذلك خلق
فعل كفر كل كافر لما علم انه يختار الغواية والصلال والله الموفق وقوله ثم لا يتنهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمالكهم اختلف في تاويله قال الحسين
من بين ايديهم اي ياتهم من قبل الاخوة ويدخل عليهم من هذا الوجه فنقول
لهم لا بعث ولا جنه ولا نار فها هذا الثقب وقوله ومن خلفهم اي ياتهم من قبل دينهم
فيزيهاتهم ويشبهها اليهم وقوله وعن ايمانهم قال ياتهم من قبل الحسنات فيبطونهم
عنها ومنعهم عن تحصيلها وليسهل ذلك الامر عليهم ونقول ان الله لا ينفعه طاعة المطيعين
ولا يضوه معصية العاصين وقوله وعن شمائلهم قال ياتهم من قبل السيئات
فيا مدهم بها ويختتم عليها ويؤتيها في اعينهم وقال مجاهد لا يتنهم من بين ايديهم
اي من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون
اي يوسوسهم ويوقعهم في المعاصي ظاهرا وباطنا وقال بعضهم من بين ايديهم من قبل
اخذتهم فلا خبرهم انه لا جنه ولا نار ولا بعث علي ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل
دينامهم لامرهم بجمع الاموال فيما من بعدهم من ذرياتهم واخوانهم الصديق والصديق في العيش
فلا يصلون في اموالهم رحما ولا يعطون حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فارتين لكل قوم
ما يعبدون فان كانوا على ضلالة زينا لهم وان كانوا على هدي سببته عليهم حتى اخرجهم
منه وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات فارتيناهم والاصل عندنا انه يخرج
علي وجهين احدهما ليس على ارادة بين وخلف وايمان وشمالك ولكن على ارادة الجهات

لجملتها كانه قال لا يتنهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل التاويل من
بين ايديهم الاخوة كذبنا بها ومن خلفهم الدنيا من يباها عليهم وعن ايمانهم الحسنات
وعن شمائلهم السيئات فان قيل بما صفتي ذكر الامام والخلف واليمين والشمال
دون ذكر الفوق والتحت فدل من وجوه محتمل انه يدخل ما فوق وما تحت في
ذكر الامام والخلف واليمين والشمال كقول اوليها والي ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض ان نشاء نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل
ما فوق ما بين ايديهم ودخل ما تحت ما بين ايديهم فلي ذلك ههنا فيصير كانه
قال لا يتنهم من كل وجه والثاني محتمل انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له على
منع اوقات الخلق عنهم وارزاق الخلق والبركات بما ينزل من السماء من المطر
ويخرج من الارض النبات وليس سلطان علي منع انزال المطر واخراج الانزال
والنبات من الارض وله سلطان علي عيني ذلك فذلك لم يذكر الفوق والتحت
وذكر غيرهما من الجهات والثالث انه ذكر هذه الجهات لا عني لما يشغلهم ويلهيهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم بالذات والشهوات حتى
اذا راى الانسان شيئا اعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد من امام وورا
ويمين وشمال ولا كذلك من فوق ومن تحت والله اعلم والرابع محتمل ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا تلى هذه الآية قال ان الله تعالى منعه
ان ياتهم من فوقهم ولو كان كذلك لما جاز احد فاعلم تصعد الي الله ورحمته تنزل
عليهم والله اعلم وكذلك قال قنادة اتاك اللعين من كل نحو يا ابن آدم عني انه لا
يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تايتك الرحمة من فوقك والاصل ما
ذكرنا ان هذا على التمثيل انه ياتيه من كل جانب والله اعلم وقوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لاحقيقه ولكن الله اخبر انه صدق طئه
بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاستجوه الاذيقا من المؤمنين قوله تعالى
قال اخرج منها مذمونا مدحورا فقيل اخرج من السماء وختم من الارض
ومحتمل من الصورة التي كان عليها ومحتمل من الجنة علي ما ذكرنا في قوله قال الهبط
منها وقوله مذمونا مدحورا فقيل مذمونا ملوما عند الخلق كلهم مدحورا
اي مقصيا مبعدا من كل خير قال ابو عبيدة مذوم ومذوم واحد ومدحورا
اي مبعدا مطرودا قوله تعالى لمن يتفك منهم لا ملان جهنم منكم اجمعين

اخبر عن وجل انه يلا جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم انما يتبعونه ويلعبونه
بالشرك والكفر بالله وتعلق الخوارج بظاهرو قوله لمن يتبعك منهم لا ملأن جهنم
منكم اجمعين علي ان كل مرتكب معصية تابع له لذلك قالوا بان كل مرتكب معصية
صغيرة او كبيرة مستوجب للخلود ومستحق اسم الكفر والشرك واجتنب المعتزلة
بالآية في مرتكب الكبيرة بوعيد هذه الآية وخصوا صاحب الصغيرة بدليل آخر
وعندنا ليس في الآية حجة للمعتزلة في استحقاق الخلود واستحقاق
اسم الكفر لان هذه الآية انما ذكرت علي اثر نقض الدين ورد التوحيد بقوله
لا تعدن لم صير اهلك المستقيم ثم لا يتنهم من بين ايديهم الآية فكانه قال تعالى لمن
يتبعك منهم في نقض الدين والتوحيد لا ملأن جهنم منكم اجمعين وبه نقول والله اعلم
قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلام من حيث شئتما كان
السكون في موضع من التدار فيه والامن كقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه اي لتقوموا فيه وتامنوا فيه فقوله لادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنها الجنة
ليقعدا فيها ويا منا من كل ما بغضها تلك النعم التي انعم عليها لان الخوف ما ينقص النعم
ويذهب بلذتها فلما اسكنها الجنة امنها من ذلك كله ثم في الآية دلالة ان اول الجنة
والابتلاء من الله لعباده انما يكون بالافضال والانعام عليهم ثم بالجزاء والعادل
لسوء ما ارتكبوا لانه امتحن آدم بالافضال والانعام عليه حيث اسجد ملائكته له
واسكن جنته ووسع عليه نعمه ثم امتحن بالشدة آيد وانواع المشقة جزاء ما
ارتكب من التناول من الشجرة التي نهاه عن قربانها ولذلك قال وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسب ايدينا وهو
جزاء ما كسبنا والله اعلم ثم في هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه
حيث اخبر بهذه العقيدة من غير ان يختلف الي احد ميث يعرف ذلك ولا
نظر في الكتب التي فيها ذكرها ذلك انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف
اهل التناول في الجنة التي اسكن الله تعالى آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي
الجنة التي يكون عود اهل الاسلام اليها في الآخرة ولهم وعد بقوله تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقال بعضهم هي جنة انساها لادم في السماء
ليسكن فيها ولكن لا ندري ما تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء وليس بنا الي معرفة
تلك الجنة حاجة انما حاجتنا الي معرفة ما ذكر من الامتحان له واختلف ايضا في الشجرة

التي نهي آدم عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الخنطة
وقال بعضهم هي شجرة العيب وقد ذكرنا اقاويل اهل التناول في صدر الكتاب
علي قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لادم وحواء بان
كيف وسوس اليها ومن اين كان قال الحسن انما وسوس اليها من الدنيا
الا ان كان دخل الجنة وقال بعضهم وسوس اليها من راس الحية ومن فيها
فكلها وقد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم قوله تعالى ولا تقربوا هذه الشجرة
لم يرد الدنو منها ولكن اراد الذوق والاكل منها لكن ذكر القربان مجازا عن الاكل
وفي الآية دلالة ان الامتحان من الله يكون مرة بالحل ومرة بالحكمة لانه اذن
له التناول بما في الجنة من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها وذلك
محنة منه قوله تعالى فوسوس لها الشيطان ليبيدي لهما ما وري عنها من
سوءاتهما قد ذكرنا الاختلاف في كيفية الوسوسة وقوله ليبيدي ما وري عنها من سوءاتهما
اي عوراتهما والسوءة العورة في اللغة في الآية بيان انه محب ان يكون علي حذر
من شيا ابليس اللعين ابدا لئلا يجد فرصة علينا فانه ابدا علي سلب نعمه اليها الله
تعالى علي عباده لا تترك انه كيف احتال كل حيلة حتي ابدي ما وري وسوءتها
من العورة وعمل في اخراجها من النعم والذات وادفعها في الشدة آيد والمشقة
وفي الآية بيان ايضا انه ليس عليه حال اشدة بما اذا راى احدا في النعمة والسعة
والله اعلم قوله تعالى وقال ما نهيكما ربك عن هذه الشجرة الا ان يكونا ملكين
او يكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى هذا ايضا في صدر الكتاب ثم قوله الا ان
تكونا ملكين فزار بعضهم بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك الي قوله هل ادلك علي
شجرة الخلد وملك لا تبلى وقد آرة العامة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام والكان
من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة آدم في ان يصير ملكا اذا تناول منها في صدر الكتاب
لان الملك افضل من النبي من البشر علي قدر الكفاية والله اعلم ثم النبي عن التناول
عن الشئ لحرج علي وجوه احدها ينهي الحق الحومة لنفسه فكون حواما لعينه ومنها
حق ايثار الغير عليه فكون الحومة لغيره لان عين ذلك الفعل حرام
ومنها ما ينهي لدار وآفة فيما يتناول فيكون نهي شفته لما عسي يتضرر به ويخله آفة
ومنها ما ينهي عن التناول لما كان التناول منه لحق الجزاء في دار الجزاء ودار
الدنيا ليس بدار الجزاء من نحو الذهب والحريز في حق الرجال والنساء

او اين الذهب والفضة ونحوها فنجوز ان يكون النبي عن تلك الشجرة لآدم لما كانت
معدة للتناول بطريق الجذآ فينت الاخرة والله اعلم قول تعالى وقاسمها
ربها اي لك لمن الناصحين وهذا الذي يقوله الحسن يوي الي ان آدم عليه السلام
قد علم انه الشيطان وقال ابو بكر الكيساني انه قد وقع عند آدم ان الشجرة التي
بها ربه ان يتناول منها هي المفضلة على جميع الشجرة فلما وسوس اليه الشيطان
وقال له هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافقه ظنه قول اللعين وما
دعاه اليه ثم اشتغل آدم عليه السلام بامر آخر فنبى ذلك فثنا ول على النسيان
والنسيان على وجهين في اللغة وفي استعمال الناس نسيان التزك على طريق
العهد بقوله لسوا الله نفسه والثاني نسيان الشهوة ولا يحتمل ان يكون آدم عليه السلام
تذك ذلك عمدا فهو على نسيان الشهوة الي هذا يذهب ابو بكر الاصم ومن قال
المراد من النسيان هو التزك بقول انه علم انه شيطان ولكن لما قاسم وقع عنده
انه اقسم صا دقا لم يخطو بها له ان احدا لم يشهد الله كاذبا وصرح النبي
الي الدب او زعم انه انتهى مدة النبي اذ لحتم ان يكون موقتا وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم والله اعلم قول تعالى فذليها بغرور قال ابو عوسجة اي اوردها
الي الشجرة حتى تناول منها على التغرير بها وقيل اي زين لها التناول من تلك
الشجرة يقال دلاي فلان يجبل غرور اي انه زين لك القبيح حتى تزكبه يقال
دلي يدي تدلية واصل التدلية من التدليو وهو التقليل الا انه اسقط الواو
واقيم الواو مقامه ومعني التدلية الدعاء قوله فذليها بغرور اي دعاهما بغرور
ثم دعاه اياهما بغرور وتزيينه لهما ما قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقاية تغديره آدم وحوآ ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لان الملك كما ذكر
انه لا يعتز عن العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج الي شيء من المؤنة ومن قد ارسل
لان الملك يكون نافذ القول والامر في مملكته وذلك ما يرغب فيه وان يكون
اراد بذلك ان يشغلها عن شيء زها حتى ينسهما ذلك فتنا ولا عن تلك الشجرة
كما فعل لكن الاشبه ان يقال انه لم ينس نبي الله اياهما عن التناول منها ولكن
نسي قوله فتكونا من الظالمين لذلك تناولا ولو ذكرنا قوله فتكونا من الظالمين
ما تناولا وانما ذكر الخلود لانه ليس شيء الذي واشي من الحيوة والله اعلم

قول تعالى فلما اذا الشجرة بدت لها سواتها والاشكال انه لما دي حص النبوة بالذكر
وقد بدا لهما جميع البدن ومنه الله تعالى في لباس في كل البدن لاني السوة خاصة
لما يكون في ذلك انعام ستر العورة وفي غيرهما من البدن انعام دفع الحر والبرد وغيره
ذلك وذلك هذا الاشكال في قوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواكم
حص السوة بالذكر مع شمول منه علينا في ستر جميع البدن والجواب من وجوه
احدها ان كشف العورة ليستقيم في الطبع والعقل جميعا فاما كشف غيرهما من البدن
فليس يستقيم في الطبع ولا في العقل وربما يبدى المور من البدن سوي العورة عند
الحاجة ويستتر عند غير الحاجة فاما العورة فانه لا يبدى الا في حال الضرورة
لذلك كان التخصيص والله اعلم والثاني لحتم ان التخصيص بالذكر باعتبار ان
المفروض من الستر هو قدر العورة واما ستر ما وراة العورة اما الحق دفع الحر
والبرد والاذي اوتحق التحمل والتزين لذلك كان تخصيصها بالذكر والامنة
والنعة عظيمة في لباس كل البدن وراة العورة والله اعلم والثالث انما حص
السوة بالذكر لان قصد الشيطان الي ابدآ عورتها لا غير كما قال فوسوس لها
الشيطان ليبدى لهما ما وري عنهما من سواتها ولذلك لم يجعل لعن البشر عورة
من الدواب وغيرها لتستر ولذلك حص البشر بالقبر لاجل عورته دون غيره
من سائر الحيوانات فخرج ذكر تخصيص السوة لهذا والله اعلم فان قيل ان الله
تعالى كني عن الجماع مرة بالمس ومرة بالنسيان وعن اخلا بالعاية وهو المكان
المطهر الذي يقضى الحوائج فيه وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره على التصريح ذكره بالكناية
فكيف ذكر ههنا السوة والعورة على التصريح فيل السوة والعورة هما كناية ايضا
والتصريح في الباب هو الذكر والفرج والذكر وحود ذلك قول تعالى وطفقا
كحصفان عليهما من ورق الجنة قال ابو عوسجة طفقا اي اخذا نقول طفقت
افعل كذا اي اخذت واحصفت احياطة في النعل والحف وهو مستعار ههنا
وقيل لحصنان يفظيان وقال مجاهد كحصفان اي يرتفعان كهمة الثوب ثم وطفقا
كحصفان عليهما من ورق انما ستر النفسما بورق الجنة اما حيا كل واحد منهما من الآخر
او حيا من الله تعالى اما الحيا من الله تعالى فلما روي في الخبر عن يهد بن حكيم
عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عورتا ما ناتي وما نذكر قال احفظ
عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قلت يا رسول الله فاذا كان بعضنا

في بعض قال فان استطعت ان لا تظهر عورتك قلت يا رسول الله فان كان احدنا
خاليًا قال فانه احق ان يستحي منه وكذا لك يكره للرجل ان ينظر الى
عورته وان يكشفها ولذلك كره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى فرج زوجته
او المرأة الى فرج زوجها الا ترى انه قال ليديها ولم يقل ليديها وهذا يدل
انه لا ينبغي للرجل ان ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرج زوجها والله اعلم
قوله تعالى وناديها ربها الم انكما عن تلكا الشجرة واكل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين يحتمل قوله وناديها ربها وحيا او حي اليها علي يدي ملك ولكنه اضاف الى نفسه كقوله
فتفخنا فيه من روحنا اضاف الى نفسه نفخ الروح لما ان الملك نفخ فيه باذنه وامره فعلي
ذلك هذا والحتم ان يكون المراد بذلك الهاما اللهم ما كقولنا اذا وحيا الي امك ما
يوجي ان اقض فيه في التابوت وقوله واوجي ربك الي الخيل وانما المراد الالهام فعلي
ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى تالاً ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين اي ظلمنا انفسنا حيث اوقعناها في الشد آيد وكذا العيش في
الدنيا والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقال بعض اهل العلم ان آدم عليه السلام
اكل من الشجرة وهو ناسي لني الله اياه عن اكله منها وكان اكله منها ظمنا لنفسه وعصيانا
لربه وان كان فعل ناسيا فان النسيان جازي المواخذة عقلا فكان جازي المواخذة
شرعا الا ان الله تعالى تفضل على امته محمد عليه السلام ورفع عنهم الخطايا والنسيان
وما استكروا عليه وقال قوم انه ترك امر ربه عمدا من غير نسيان ولكنه تركه
متا ولا علي ما عرف ولا نوري كيف كان ذلك وقال بعض اهل العلم ان الخطايا
والنسيان في الاحكام موضوع لهذا الحديث رفع عن امتي الخطايا والنسيان وما
استكروا عليه فيقال لهم ما تقولون في مثل الخطايا هل فيه الدية والكفارة وما
تقولون في رجل افترق متاع رجل واحرقه ناسيا او مخطيا هل يضمن فان قالوا نعم ذلك
لازم عليه قيل كيف قلتم ان الحديث جازي في الاحكام وانتم توجبون العمان والدية
والكفارة وقال بعضهم وجه الحديث عندنا ان الامم السالفة قتل امتنا كانت
ما خوزة بالخطايا والنسيان فيما بينها وبين ربها فرفع الله الخرج عن هذه الامم
في ذلك تفضلا منهم علينا من بين سائر الامم فاما الغرامات والضمانات
والاحكام التي بين الناس فهي لازمة لهم خطاء فعلا او عمدا والله اعلم وقال الحسن
اي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الي آخر الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه

بقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ثم قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا الآية
وقال نوح وبني اعدوك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفولي وترحمي
اكن من الخاسرين وقال ابراهيم ربنا اغفولي ولوالدي وللومنين يوم يقوم
الحساب وقال نوح ايضا رب اغفولي ولوالدي وللمؤمنين مؤمنا الآية
بعض ما ذكرنا من الايات خرج علي الامر وبعضه خرج علي السوال وكله علي
الدعاء والسوال ليس علي الامر وان خرج ظاهره مخرج الامر لان الامر
يمن هود ونه لمن موقوفه دعاء وسوال ومن هود ونه امر لو ان ملكا من الملوك
اذا امر بعض خدمه او بعض رعيته بفعل من الافعال وهو امر واذا امر بعض
خدمه او بعض رعيته لأمير شيئا فهو ليس بامر ولكنه سأل ودعأ فكذلك
ما صدر من الانبياء بصيغة الامر في حق الله تعالى يكون سوألا ودعأ فان
قيل ان الرسل سألوا ربهم المغفرة لئلا تهم فلا يحلوا ايا ان احيب في ذلك
اولم يجابوا فان لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم وان اجيبوا في ذلك والمغفرة هي
الستر كيف لم تستر لئلا تهم حيث ذكرت وتذكروا الي يوم القيامة واني يكون
مغفرة بلا ستر قيل في ذلك من وجوه احدها ان المغفرة قد تكون في ستر
الذنب عن الخلق بحيث لا يذكر فيما بينهم ولا يظهر عندهم وقد تكون في ستر
اثره وحكمه وهو ان لا يواخذ بوضا حبه وتجاوز عنه والانبياء عليهم السلام
لما ارتكبوا تلك الرذائل عظمت هي عندهم واستغلت قلوبهم لذلك لعظيم تلك عندهم
لم يخطر ببالهم عند سوألهم المغفرة سترها عليهم في حق الناس وكتمانها عنهم بل كانه
خطر ببالهم ستر اثرها وهو التجاوز عنهم فاجاب الله تعالى التجاوز عنهم ورفع
المواخذة عنها والله اعلم والشا في حتم ان يقال اراد بانفسنا ذلك واظهارها
انفاظ لغيرهم والنفية لهم في ذلك ليعلموا ان الرسل مع جليل قدرهم وعظيم منزلتهم
عند الله لم يوج بهم في العتاب والتوبيخ لما ارتكبوا من ذنوبهم احق بذلك وحتم انما
اظهرها ليعلموا انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفي عليه شيء والله اعلم ثم في قوله
ربنا ظلمنا انفسنا الآية دلالة علي بعض قول المعتزلة لانهم يقولون القضاة يسر
مغفورة باجتناب الكبائر ثم من قولهم ان الرسل والانبياء معصومون عن الكبائر
ونلة آدم لا شك انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين فاذا كانت الصغيرة مغفورة عندهم ولم يكن له ان يعتد به عليها

من حيث الحكمة حتى لو عذب به يكون جأيزاً فنقول آدم وان لم تقض لنا كانه قال ان جرت
وظلمت علينا لكونن من الخاسرين وهذا وحش من القول نفوذ بالله قول تعالي
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم آدم وحواء
وابليس وحيه وقال الجيئن آدم ووسوسة الشيطان وانما قال ووسوسته
لا نفس الشيطان لان من قوله ان الشيطان لم يكن في السماء وانما وسوس آدم
وحواء من بعد فالامر بالهبوط لو وسوسته ولذلك بقيت الوسوسة في اولاده
من البعد الي يوم القيمة وقوله اهبطوا لا يفهم منه الهبوط لاصحالة الاتري انه
قال في آية اخري اهبطوا مصر اي انزلوا مصرًا وقال بعضهم كانوا في السماء
والامر بالهبوط انما كان من السماء من حيث ظاهر الاستعمال على مقابلة الصعود
يدل عليه قوله ولكم في الارض لم يكن لقوله بعد الامر بالهبوط ولكم في الارض
مستقر فائدة اذ مستقرة هو الارض فتدل ذلك ثم في قوله اهبطوا بعضكم
لبعض عدو وان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر بمجموعه الا
يري ان الله تعالي جمعهم بالامر بالهبوط بقوله اهبطوا ولم يدل على الهبوط
معا ولا على الامر به مقامان ابليس اللعين امر بالهبوط حين اتي السجود
لادم وآدم وحواء حين تناولا من الشجرة فدل به ما ذكرنا من انما سمي بعضهم
عدو البعض لان ابليس عدو لنا اما بالكفر واما بما يسمي لهلاكنا وكل من يسى
في هلاك الغير فهو عدو له وكذلك نحن اعداء له بنقضه ونعتقه مخالفته
وعداوته ومن خالف من المسلمين شيئاً من امور الله لم يكن ذلك لولاية ابليس
وموافقته لكن يتبع فيه لغلبه هواه وطبعه وقضا شهواته والله اعلم قول تعالي
ولكم في الارض مستقر ومتاع اي حين قيل الي منتهي آجالكم وابليس
الي النخلة الاولى ولحمته ان يكون هذا ليس على التوقيت ولكن على الدوام
والقرار فيها وهو الاسم قوله تعالي قال فيها حيون وفيها متوتون
ومنها يخرجون قيل في الارض يقيشون وفيها متوتون عند آجالكم ومنها
يخرجون في القيامة قوله تعالي يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري
سواكم قال ابن عباس والحسن انزل ما العتاج من السماء ليخضع منه اللباس
ما يواري به عورتهم ويخضع منه الطعام والاشياء التي بها قوام انفسهم ويخضع
قوله قد انزلنا عليكم لباساً اي انزلنا الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس

والاطمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانهم لم يعرفوا هذه الاسباب
الا بوحى من السماء ولن يكون ذلك الا على رسول من الرسل ويحتمل قوله
قد انزلنا عليكم لباساً يواري سواكم اي جعلنا لكم ما يتخذون اللباس
والطعام والشباب ليس على الانزال ولكن على ان جعل ذلك وهو قوله
الله الذي جعل لكم الانعام لتكسبوا منها ومنها تأكلون قوله تعالي وجعل
لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم برصكم وهو ان خلق لنا ذلك والنساء
فعل ذلك هذا وفيه دلالة خلق الآفان لانه انما صار طقائماً ولباساً وما لا يفعل من العباد
لا انه انزل من السماء هكذا ثم اخبر انه جعل ذلك لان الله خلق الافان التي بها
يحصّل ويؤخذ هذه الاشياء والله الموفق قوله تعالي نور ليشا وقدر ريشا
فقال بعضهم ما لا وقال بعضهم معاشا وقال المتي والريش والرياش ما
تظهر من اللباس مثل الرداء والقباء ويخونها وريش الطائر ما ستر به قوله تعالي
ولباس المقوي اخلف فيه اهل التأويل قال الحسن لباس المقوي الدين
وقال ابو بكر الامم هو القرآن وقيل الحياء وقيل العفاف وقيل الايمان
وقال بعضهم لباس المقوي هو اللباس الذي تنقى به الحر والبرد فانه
في صدور الآيات ذكر لباس العورة وفي الاخر ذكر لباس سائر البدن ثم بين
وقال ذلك خيول ليس والاذي كقوله وجعل لكم سراويل تقيكم الحر
وسراويل تقيكم برصكم ثم قد اورد العامة ولباس المقوي بالنصب وفي حرف بن
مسعود رضي الله عنه ولباس المقوي بالنصب وفي حرف ابن مسعود
بالرفع على الابتداء منقطعاً عن الاول فذكر في الاول لباس العورة ثم ذكر
وقال ولباس المقوي اي لباس المقوي خيول اللباس الذي ذكره لان الدين
والعتوان والايمان والعفاف والحياء كله يمنع ويخرجه عن المعاصي فيكون خيراً
من ذلك لانه لباس في الدنيا والاخرة لان المؤمن المتقي العفيف الحمي لا يبدوا
له عورة وان كان عارياً من الثياب وان كان الفاجر لا يزال يبدوا منه عورته
وان كان كاسياً من الثياب وهو كقوله فان خيرا زاد المقوي وعلى هذه القراءة
تكون قوله ذلك زيادة في الكلام وانما قد اورد العامة بالنصب فهي بناء على قوله
قد انزلنا عليكم لباساً يواري سواكم وريشاً ولباس المقوي اي وانزلنا عليكم
ايضاً لباس المقوي على اختلاف اهل التأويل فانه هو الذي انزل الدين والحياء

والعفاف ونحوها وكذلك اللباس الذي به يتقى الحر والبرد والاية
ذكر لباس العورة وفي الآخر ذكر لباس سائر البدن ثم بين وقال ذلك خير
اي لباس العقوي خير من لباس العورة وعلى التأويل الثاني ذلك خير
اي لباس العورة خير من اللباس الذي به يتقى الحر والبرد والله اعلم
قوله تعالى ذلك من آيات الله يحتمل قوله ذلك اي الذي اتخذ منه
اللباس والاطعمة والاشربة من آيات الرسالة لان كل ذلك انما عرف
بالرسول بوحى من السماء وهو ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة وحتم
ذلك من آيات الله اي من آيات وحدانيته وروبيته لما جعله منافع
السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما وذلك دليل على ان منشاها
ومدبرها واحد اذ لو كان اثنين لما اشق تدبيرها لانصال منافع احدها
بالآخر وكل واحد منافع عن معاونة الآخر قوله تعالى لعلم يذكرون
اي لعلم يوفقون للتذكير ولعلم يوفقون للمقوي ولعلم يوفقون
للمشكور لانه جوف ترجية ويحتمل ان يقال لكي يذكروا التذكير ويذكروا
والله اعلم قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من
الجنة قال بعضهم خاطبه به اهل مكة في تكذيبهم رسول الله محالفهم اموره
في ان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال
بعضهم لا يفتنكم الشيطان الاية احذروا دعاؤه الي ما يدعوك اليه وانه منع
عنكم في الآخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة والمنزلة
وقال اهل التأويل لا يفتنكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ويعوضكم كما فعل
بابويكم اخرجهم من الجنة وقال آخرون اي لا يفتنكم الشيطان بما هوت به
انفسكم وما لت الي شهواتها فان السبب الذي كان به اخرجها هو النفس والميل
الي الشهوات والاماني والمعتون بالشئ المسعوف به والمولع به يقول لا منعكم عن
دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة وكان قصد اللعين ما ذكر على اثره من نزع
اللباس وابداء العورة وهو قوله ينزع عنها لباسها ليربها سوأتها محتمل
قوله ينزع عنها لباسها اي نزع عنها وهذا في القرآن كثير بفعل معنى فعل
ويحتمل على الاضمار كانه قال اراد ان ينزع عنها لباسها ليربها سوأتها
وقد ذكرنا ان المفروض من السترة هو ستر العورة لا غير احتيج اليه

او لم يحج فاما غيره من السترة فانما هو لدفع الاذي من الحر والبرد والتجمل
قوله تعالى انه يريدكم هو وقبيله من حيث لا تدرى ومنهم قتل جنوده واعوانه
حذرنا عن ابليس واعوانه بما يرووننا ولا نراهم فان قيل كيف كلنا محاربين
وهم حيث لا نراهم وهم يرووننا وفي غيرهم من الاعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه
اذ لا نقدر القيام بمحاربته وليس في وسعنا ذلك قيل انه لم يكلفنا محاربة انفسهم
اذ لم يجعل للشيطان وجنوده السلطان على انفسنا وافتساد مطاعنا ومشاربنا
وملا بطننا ولو جعل لهم ذلك لاهلكوا انفسنا وافتسادوا اغديتنا انما جعل
لهم علينا السلطان في الوساوس فيما يوسوسون في صدورنا وقد جعل
لنا السبيل الى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر وجعل لنا الوصول
الي دفع وساوسه بحج واسباب جعل لنا وكذا مكنتنا من دفع ذلك بالاستفادة
بالله كما قال واما ينزعك من الشيطان نزع فاستعذ بالله وقال وقل رب
اعوذ بك من هزات الشياطين الاية وهذا يدل على انه يجوز في الحكمة ان الله
تعالى يكلفنا ما شئنا لم يعطنا اسباب تلك الاشياء بعد ان جعل في وسعنا الوصول
الي تلك الاسباب وان لم يكن وقت ذلك التكليف تلك الاسباب من نحو الامر
بالصلاة وان لم يكن على الطهارة اذ جعل في وسعنا الوصول الي الطهارة ونحو
الامر باداء الزكاة وان لم يكن وقت الامر من يودي اليه خاضعا ونحو
الحج وغيره من العبادات وان كان لا فصل الي اداء ما افترض عليه الا
بعد او قابلية مع اجتهال الشدائد وهذا ايضا يرد على من يقول ان
لا يكنم الاوامر والنواهي من جعل بها ولا يكلف الا بعد العلم بها وهو قول
المعتزلة وذلك لانه لو لم يلزمه الامر الا بعد العلم فلم يكتسب اسباب العلم
بالاوامر والنواهي والقرآين ويكلف حتى لا يبلغه ذلك فلا يلزمه فرض
من فرائض الله من العبادات وغيرها وهذا بعيد محال ان يتمكن البائع
العاقل على اسقاط الفروايع عن نفسه والله الموفق قوله تعالى انا
جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون هذه الاية حجة لنا على اهل الاعتزال
حيث اضاف جعل الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون الى نفسه وذلك بان
خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم منهم انهم ختارون ولا يتهم ويتقونهم وهو قوله
انما سلطاننا على الذين يقولون الاية فذلك على ان خالف افعالي العباد هو الله تعالى

وَ اختلف اهل الاعتزال في تاويل هذه الآية قال ابو بكر الاصم الجعل
من الله تعالى علي وجوه اجدها بطريق التفسير الي اعطيناهم السبب
الذي به صاروا اولياء لهم وهو القدرة التي لحصل بها الولاية التي هي فاعلم
عن اختياره وجوز الاضافة بالسبب كما يقول الرجل لا اخرجك لك الدار
والعبيد والمال وانه لم يجعل له اعيانها ولكن الوصول اليها فيضاف اليه
فعلي ذلك ما اضاف الجعل الي نفسه لما انه اعطاه السبب والله اعلم
وقال جعفر بن حرب الجعل هو التحلية فخلي بينهم وبين اوليك حتى يعلموا
ما شاؤا لم تمنعهم عن ذلك فاضاف الجعل الي نفسه بسبب التحلية فانه لو لا
التحلية منه وترك المنع والا لما قدر واعي الموالاته كما يقال للرجل انك
جعلت عبدك قتالا صرايا اذا خلى بينه وبين ما يفعله وهو قادر علي منعه
عن ذلك فلم يمنعه فاصيف كونه قاتلا صرايا اليه لم يحصل ذلك بتخليته وذلك
الفعل فعلي ذلك هذا وقال الحسن من حكم الله تعالى ان من عصاه يكون
عدوا له ومن اطاعه يكون وليا له ومن اطاع الشيطان فهو وليه ومن عصاه
يكون عدوا له فعلي هذا يكون تاويل قوله انا جعلنا الشياطين اولياء ابي
حكمنا يكون الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لطاعة الكفار اياهم في
ايتان الكفر وقالت عامة المعتزلة قول جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يؤمنون ابي وجدناهم اولياء لهم عبادة للجعل عن الوجود ولكنا نقول
لو كان اضافة الجعل الي الله لما ذكر هو ولا من التحلية والتسمية لهم بذلك
والحكم والتسبيب والوجود لكان اضافة ذلك الي الانبياء فقال ان الانبياء
جعلوا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لانه قد كانت منهم التحلية في ذلك
والتسمية لهم بذلك والحكم وذلك لم يقل به احد فدل ان الاضافة الي الله
لما قلنا لا لما قلتم والله الموفق قوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آبارنا والله امرنا بها قالت ابن عباس رضي الله عنهما كل معصية فاحشة
لكن الفاحشة كل ما عظم فيه النهي فاذا ارتكبوا ذلك فهي فاحشة وقال
مجاهد فاحشتم انهم كانوا يطوفون بالبيت عراةا وقالت غيره من اهل
التاويل الفاحشة هي ما حرموا علي انفسهم من الحرب والافعام والنبات
وعن غيره من نحو الخبيثة والصاينة والوصيلة والحامي لكن الاصل عندنا

ان كل ما عظم فيه النهي والزجر فهي فاحشة اذا فاحشة ما عظم فيه الامر يعرف
عظم الامور بوجهين احدهما ان يعظم ذلك في العقول والثاني بورد السمع
فيه والله اعلم وقوله والله امرنا بها ادعوا في ذلك امر الله ورضاه فيه
ويقولون لو لم يرض بذلك ولم يأمر لكان ينكل ابائنا ويقيم منهم وما وسع
عليهم النعم فاستدلوا بتركه آباؤهم وما فعلوا علي ان الله كان قد رضي بذلك
وانه امرهم بذلك والثاني كانهم اخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من
المسلمين قالوا ما شاء الله كان ظنوا ان ما كان من ابائهم كان بامر من الله
ورضاه كما كان ممثيه الله ولم يفصلوا بين المشية والرضا ولكنا نقول دعواهم
هذه فاسدة اما قولهم انه لم ينكل آباؤهم بل وسع عليهم الدنيا فكان ذلك منه
دلالة الامر والرضا فاسد فان منهم من فعل علي خلاف فعلهم وضد صنيعهم
وذلك منهم معصية لما اعتقدوه الها ومع ذلك لم ينكلهم ولم يرض عنهم النعم وكذلك
داوا كثيرا من المسلمين وكثيرا من اليهود والنصارى في عيش وعيد ونعمة
خالصة وهم في رعيهم عاملون علي خلاف امر الله ورضاه ولم ينكلهم الله ولا
انقم منهم ولا يرضي عنهم العيش دل ان ما اعتدوا عليه من المعنى فاسد
وكذلك تشويهم بين المشية والارادة وبين الامر والرضا فاسد فان المشية
والارادة هي الواصفة بفعل كل فاعل يفعله علي الاختيار بخلاف الامر والرضا
الا تري انه يجوز ان يقال شأ من نفسه فعل كذا او اراد كذا ولا يجوز ان يقال
امر نفسه بكذا او نهى نفسه عن كذا فدل ان التشوية بين الامرين فاسد
والله الموفق قوله تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اي قل لهم يا محمد ان الله
لا يأمر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لا تعلمون ان الله امر بهذا وحرم هذا
قد ذكرنا ان الفحشاء ما عظم فيه النهي او كل ما يستند فيه النهي فيغلظ او ما
يكثرا لا تري انه قال لكل شي يكثرا انه فحش من نحو الكلام وغيره لما انه
خرج عن حده وجاوز فعلي ذلك الفحشاء ههنا هو ما جاوز حده في العبث
او جاوز الحد في الكثرة وهم قد اكثروا الا فتراء علي الله تعالى قوله
تعالى اتقولون علي الله ما لا تعلمون انه امر بذلك وقيل اتقولون علي الله
ما لا تعلمون اي انكم لا تعلمون لانهم لم يكونوا مومنين بالرسول ولا كان لهم
كتاب فكيف تعلمون ان الله تعالى امركم بهذا وهو قوله قل اتقون الله

بما لا يعلم في السموات ولا في الارض لا يجوز ان لا يعلم الله ولكن على النبي لذلك
اي ليس يعلم كما يقولون وتبنون ولكن يعلم على خلاف ذلك وصده ويكون
في نفي ذلك اثبات غيره فعلى ذلك يعلمون انهم يقولون على الله ما لا يعلمون
واسباب العلم هذا اما الرسل فخيرهم بذلك على الله والكتاب الذي جردون
فيه مكتوباً فيعلمون فيسمع لهم الشهادة بذلك وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا
يؤمنون بهم وليس لهم كتاب ايضا يقرؤون به فابقي الا وحى الشيطان اليهم
وذلك قوله وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم الآية **قوله** تعالى قل
امر ربي بالقسط القسط هو العدل في كل شيء في القول والفعل وغيره كقوله
واذا قلتم فاعدوا وقولوا قوا امين بالقسط شهد الله واصل العدل
هو محاسبة الشيء على الحد الذي جعل له ووضع موضع قوله **قوله** تعالى
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اي في كل مكان تكونون فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم
قبلة اي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة وهو كقوله فوالوا وجوهكم شطوه وقيل
اقموا وجوهكم اي اجعلوا عبادتكم لله لا تشركوا فيها غيره والوجه يكون كما به
عن العبادة وقيل اقيموا دينكم لله لا تشركوا فيه غيره كقوله مخلصين له الدين
وليئسبه ان يكون الوجه كتابة وعبرة عن الالفين كما قال اقيموا انفسكم
لله لا تشركوا فيها لاحد شركا وهو كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي
يجعل نفسه سالمة لله **قوله** تعالى وادعوه مخلصين له الدين يحكم
الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالفاً رحمانا مخلصين له بالوحدانية والربوبية
والالوهية وحكم قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا
غيره فيها وحكم اي دينوا بدينه الذي دعاكم الي ذلك وامركم به **قوله**
تعالى كما بدا لكم لقودون قال قائلون هو صلة قوله فيها تحيون وفيها يموتون
ومنها يخرجون كأنهم سألوا ايم يعودون اذا بعثوا فقال كما بدا لكم لقودون
اي كما خلقكم يعودون مثله اي يعيدكم بالخلق بعد الفناء وحكم ان يكون هو
صلة قوله فكم كما فيز ومكم مؤمن فكانت الآية كيجوز على وجهين احدهما
اي كما كنتم في الدنيا على الايمان او الكفر فكذلك تعودون في الآخرة على الايمان
او على الكفر والثاني كما انشأكم في الدنيا وخلقكم لا من شيء فعلى ذلك يعيدكم

كذلك لا يعجزه شيء وقيل قوله كما بدا لكم لقودون هو من البداية ليس من البدو
والا بتدآ لانه لا يجوز ان يقال للصبي كما فدا ومومن اذا لم يأت به حقيقة
في حال قيام عقله لكن المراد هو الدوام والمقام فيه الي وقت الموت
وهو البداية وفي الآخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي يبداء الخلق ثم
يعيده ليس يريد بقوله ابتداء نشوءه ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله
كما بدا لكم لقودون **قوله** تعالى فزينا هدي وفريقا حق عليهم الضلالة
بما اختاروا من فعل الضلال فاضلهم وخلق منهم فعل الضلال كقوله يفضل من
يشاء وقوله ومن يضل الله فما له من هاد **قوله** تعالى انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله وحسبون انهم مهتدون في الآية دليل لزوم
الحجة والدليل في حاله الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك
والوصول اليه لانه قال وحسبون انهم مهتدون فيه انهم عند انفسهم مهتدون
ولم يكونوا كذلك وقد عوتبوا على ذلك ان الدليل والحجة قد تلزم وان
لم يثبت بعد ان تكون سبيل الوصول الي ذلك وسود قول من يقول بان
فرايين الله لا تلزم الا بعد العلم بها والمعرفة والله الموفق **قوله** تعالى
يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد لختل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج
الامر باخذ الزينة واللباس فهو على النبي عن نزعها لان الناس يكونون
آخذين الزينة وسائر من العورة غير مبدين لها فاذا كان كذلك فهو على النبي عن
نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصص عن ابن عباس رضي الله
عنها ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف
في ثيابنا التي اذ بنينا فيها وكذا اهل التاويل قالوا مثل الحسن وقتادة وغيرها
انهم كانوا يستغيثون من اهل مكة ثياباً يطوفون فيها فان لم يجدوا طافوا
عرا تامد من عوراتهم فيها هم الله عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد
اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النبي عن نزع الثياب وابداء العورة
فان كان التاويل ما قاله ابن عباس وهو لا فيكون فيه اضرار كما قال خذوا
زيتكم عند هذا المسجد كما تاخذون عند كل مسجد سواء وامتنعوا عن نزع الثياب
في هذا المسجد كما في غيره من المساجد وعلى ذلك قوله وكلوا واشربوا الخمر
على النبي عما هتوا على انفسهم من انواع المنافع والنعيم التي احل الله لهم من خواير

وَالصَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَيَّيَ وَمَنْ مَحَوَّ مَا حَرَّمَ مَوَاقِفَ الزُّرُوعِ وَالطَّعَامِ كَقَوْلِهِ
وَحَرِّثْ حَجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بَزْعَمَهُمْ وَأَقَامَ حَرَمَتَ ظُهُورِهَا الْآيَةَ
خَرَجَ قَوْلُهُ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا عَلَى النَّهْيِ عَمَّا حَرَّمَ مَوَاقِفَ مَا أَحَلَّ لَهُمْ لَا عَلَى الْأَمْرِ بِالْأَكْلِ
وَالشُّرْبِ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَأْكُلُ وَيَشْرِبُ وَلَا يَدْعُ ذَلِكَ قَوْلَ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى النَّهْيِ
لَمَّا حَرَّمَ مَوَاقِفَ قَالَتْ لَا خَيْرَ مَوَاقِفَ مَخْتَمُونَ وَلَكِنْ كَلُوا وَاشْرَبُوا وَانْتَفَعُوا
بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَنَّ كَانَ عَلَى ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ
هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَمْرًا بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ وَالْتِمَاحِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالْمَسْجِدِ هُوَ مَكَانُ كُلِّ
عِبَادَةٍ وَنَسْكَ عَلَى مَا كَانَ نَوَاطِرُ يَتَرَبَّعُونَ وَيَحْمِلُونَ عِنْدَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ فَعَلَى ذَلِكَ
أَمْرُهُمْ بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ فِي مَكَانِ الْعِبَادَةِ وَالنَّسْكَ فَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ بِذَلِكَ لِمَا فِي الْمَسْجِدِ
مِنْ اجْتِمَاعِ النَّاسِ لِلْعِبَادَةِ فَامْتَنُوا بِسُتُورَاتِهِمْ وَهَذَا مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَفْرُوضَ
مِنْ لِسْتَرِهِ هُوَ مَا يُسْتَرُ بِهِ الْعَوْرَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تَسْرِفُوا أَيُّ كَلُوا وَاشْرَبُوا وَاحْفَظُوا الْحَدَّ فِي ذَلِكَ وَلَا تَجَاوِزُوهُ وَهُوَ نَهْيٌ
عَنِ الْكُثْرَةِ وَالْعَوَقِ عَلَى الشَّبْعِ أَوْ مَا نَهَاكُمْ عَنِ الْقُدْرَةِ وَتَرْكُ الْإِسْتِغْنَاءِ بِهَا وَنَهْيٌ
بِحَرَمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَتَرْكُ الْإِسْتِغْنَاءِ بِأَسْرَافٍ أَنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ لِأَنَّهُ لَا يَحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ لِأَنَّهُ لَا يَحِبُّ الْأَسْرَافَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعَمَّتْ قَوْلُهُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ أَيْ صَلُّوا فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ذَكَرَ هَذَا الْمِنْ لَا يَرْكَبُ الصَّلَاةَ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي
هُوَ مَسْجِدُ حَيْثُ عَلَى مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ لَا صَلَاةَ لِمَا رَأَى الْمَسْجِدَ
إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ وَلَحْتُمْ أَيْ صَلُّوا فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَبِكُلِّ مَكَانٍ كَقَوْلِهِ جَعَلْتُ لِي
الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَلَحْتُمْ أَنْ يَجْعَلَ الَّذِينَ لِلْعِبَادَةِ نَفْسًا بِقَوْلِهِ خُذُوا
زِينَتَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قَالَتْ أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُ الزَّيْنَةُ هَهُنَا هُوَ اللَّبَاسُ لِأَنَّهُ
ذَكَرَ عَلَى أَشْرَ ذِكْرِ اللَّبَاسِ وَهُوَ قَوْلُهُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنْ الرِّزْقِ مَا حَرَّمَ مَوَاقِفَ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَيَّيَ وَغَيْرِ
ذَلِكَ بِمَا كَانَ نَوَاطِرُ يَتَرَبَّعُونَ الْإِسْتِغْنَاءَ بِقَوْلِهِ وَحَرِّثْ حَجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ
بَزْعَمَهُمْ وَقَالَ الْحَسَنُ زِينَةُ اللَّهِ هِيَ الْمَرْكَبُ كَقَوْلِهِ وَالْحَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْجَمِيرُ
لِتَرْكَبُوا وَزِينَةُ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَرْكَبُ زِينَةُ الْخَلْقِ وَهُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَ
الرُّكُوبَ وَالْإِسْتِغْنَاءَ بِهَا فَقَالَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

أَيُّ الْمَرْكَبِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ الْبَابُهَا وَلَحْنُهَا وَقَالَ السَّخَنِيُّ مِنْ أَهْلِ
التَّوَاتُؤِ زِينَةُ اللَّهِ هَهُنَا الْبَيَاتُ وَمَا خَرَجَ مِنْهَا لَا وَصَلَ بِمَا هُوَ رِزْقٌ لِلْبَشَرِ
وَالدَّوَابِّ جَمِيعًا كَقَوْلِهِ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا وَقَوْلُهُ حَتَّى إِذَا
أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَالتَّيْنَتِ سَجَى مَا أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ زِينَةً
وَلَحْتُمْ قَوْلُهُ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ خَرَجَ عَلَى النَّهْيِ
وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الشُّرْكِ مِنْ تَحْرِيمِ الْحَيَاةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَيَّيَ
وَالْحَيَّيَ فَقَالَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ إِذَا لَمْ يَحْتَمِمْهُ اللَّهُ الْآتِي أَنَّهُ قَالَ قُلْ إِنَّمَا
حَرَّمَ رُبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ يَقُولُ وَاللَّهُ لَمْ يَحْرَمْ مَا حَرَّمَ
مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَلَكِنْ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَمَا ذَكَرَ وَلَمْ يَذْكُرْ جَوَابَهُمْ أَنَّهُمْ مَا ذَكَرُوا
يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ حِينَ قَالَ لَهُمْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ فَبُذِّقُوا
عَلَى وَجْهِينَ لَخَرَجَ أَنْ قَالَ لَوْ أَحْرَمَ اللَّهُ فَيُنْقَلُ لَهُمْ وَبِمَ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ حَرَّمَ اللَّهُ وَأَنْتُمْ
قَوْمٌ لَا تَوْمِنُونَ بِالرَّسُولِ وَالْكَتَبِ فَإِنْ قَالُوا أَخْبِرْنَا بِتَحْرِيمِ اللَّهِ فَلَا نَقَالَ
لَهُمْ كَيْفَ صَدَقْتُمْ فَلَا نَأْتِي بِحَرَمٍ ذَلِكَ وَلَا نَضِدُّ قَوْلَ الرِّسْلِ فَيُخْبِرُونَ عَنْ
ذَلِكَ مَعَ ظُهُورِ صَدَقَتِهِمْ وَفِي الْمَعْجَزَاتِ فِي حَقِّهِمْ يَذْكُرُ سَفَهَهُمْ فِي ذَلِكَ وَإِنْ قَالُوا
أَنَّهُ حَرَّمَ كِبَرًا وَنَاوًا وَالْأَصْنَافَ وَمَحَوَّ ذَلِكَ فَفِيهِ نَهْيٌ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُ يَقُولُ لِبَيْتٍ لَا جِدَّ
بِحَرَمِ مَا ذَكَرُوا إِنَّمَا التَّحْرِيمُ إِلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا حَرَّمَ مَا ذَكَرَ وَقَدْ حَتَّمْنَا مَا ذَكَرْنَا أَيْضًا
مِنْ نَهْيِهِمُ الثِّيَابَ عِنْدَ الطَّوَّافِ وَيَطُوفُونَ عَرَاتًا فَتَكُونُ نَهْيًا عَنْ نَزْعِ الثِّيَابِ
عِنْدَ الطَّوَّافِ وَعَنْ الطَّوَّافِ عَرَاتًا وَعَلَى ذَلِكَ يُخْرَجُ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ إِلَّا لَا يَطُوفُونَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَرِيَانًا وَلَا مُحَدَّثِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ
تَعَالَى قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ اخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِهِ
قَالَ الْحَسَنُ قَوْلُهُ هِيَ كِتَابَةُ عَنْ الطَّيِّبَاتِ أَيْ خَلَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ
لَا يَشَارِكُهُمُ الْكُفْرَةُ فِيهَا فَإِنَّمَا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ شَارَكَوهُمْ وَأَمَّا عَلَى التَّوَاتُؤِ الْأَوَّلِ
الَّذِي قَالَ الْحَسَنُ أَنَّ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ الْبَابُ الْأَبْلَ وَلَحْنُهَا تَكُونُ الْآيَةُ
عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ كَأَنَّهُ قَالَ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَفِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَهُوَ قَوْلُهُ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَحَنَ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطُرَّ
إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَلَحْتُمْ قَوْلُهُ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَأَنَّهُمْ لَمْ
يَجْرِمُوا الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ بَلْ اسْتَفْعَوْا بِهَا وَحَرَّمَ أَوْلِيكَ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا

بما كنا نت هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لما اتفقوا بها في الدنيا وتوعدوا بها
للاخرة وكان لهم خالصة يوم القيمة وانما كانت خالصة يوم القيمة لما لا يكون
لاهل الشوك ذلك لما لم يتزودوها وقد كانت لهم في الدنيا لو لم يجرموها
وانتفعوا بها ثم قوله قل حرم زينه الله التي اخوج لعباده والطيبات
من الرزق دليل اباحة الذينة والناول من الطيبات والله اعلم وفي قوله
زينه الله انه اذ لم يفهم من قوله زينة الله ما يفهم من زينه الخلق لان زينه
الخلق ما يتزينون به ويتجلون ولا يفهم ذلك من اضافة الذينة الى الله فكذا
ان لا يفهم من استواءيه ما يفهم من استواء الخلق ولا من مجي الخلق
لان استواء الخلق هو الانتقال من حال الى حال ولا يجوز ان يفهم من
استواءيه ما يفهم من استواءهم كما لم يفهم من زينه الله قوله تعالى قل
انما حرم زني الفواحش ما ظهر منها وما بطن والا ثم والبيغي غير الحق يشبه
ان تكون هذه الآية خرجت مقابل قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبيغي مقابل الاول وهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان والبيغي
هناك نبي محرم كالتمصيص على التحريم ههنا ويكون الفحشاء الذي ذكره
هي الفواحش التي ذكرت في هذه الآية والا ثم الذي ذكره ههنا هو الارثم
الذي ذكره وذكر البيغي ههنا وهما لك ثم الفحشاء هي التي ظهر قبحها في العقل والسمع
والمنكر هو الذي ظهر الا نكاره على مرتكبيه والا ثم هو الذي يامر بالمور فيه البيغي
هو من مظالم الناس بظلم بعضهم على بعض وقالت بعضهم الفواحش من الكاير
والا ثم من الصفاير والبيغي هو اخذ ما عصى من مال او نفس بعقد السلام
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يقول لا اله الا الله فاذا قالوا لها عصموا مني دماءهم واموالهم الا جفها
فكل ما صار معصوما من ذلك من مال او نفس فاحد ذلك بيغي وظلم الا ما ذكر
تحتها وقالت بعض اهل الفواحش هي الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها
سرا لكن الصحيح ان الفواحش ما ذكرنا ما قبح بغيره في العقل والسمع وفحش فيها
هو فاحشة واصل المنكر كل ما لا يعرف كقول ابراهيم قوم منكرون والمنكر
ما انكره العقل والسمع والله اعلم قوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل

به سلطانا اي وحرمو ان تشركوا بالله ثم قوله ما لم ينزل به سلطانا ليس على
انه ينزل به سلطانا على الاشراك محال ولكن بيان خاصية الاشراك انه ما لم
ينزل به السلطان ولم يبق الدليل على حسنيته وسوحيته اصلا وراسا لقوله ولا
طايروا يطير مجناحيه بيان خاصية الطايروا بيان القسمة ان الطايروا يطير مجناحيه
وقد يطير لا مجناحيه فذلك ههنا لم يرد به ان الاشراك منقسم الى ما يقو
السلطان والمجته والى ما لا يقوم لكن فيه بيان على انهم يشركون بالله من غير
حجج وسلطان بخلاف المسلمين لان اهل الاسلام يدعون بدين ظهر بالحجج
والايات وهم يدعون بدين لم يكن ظهر بالحجج والايات ولكن ظهر بما هو
به انفسهم واشتهت ومحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لانه
يجوز ان يعذر المشرع في اجزاء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا
يصير به كافرا اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان منسرحا به كقوله الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان اي يشركون بالله من غير ان ينزل بهم حال عذره
قوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي حرم عليكم ان تقولوا على الله
ما لا تعلمون ثم لخرج تاويله على وجهين احدهما على الجهل اي انهم يقولون على الله
ما لا تعلمون بذلك جهلا منهم والثاني على العلم اي انكم تعلمون انكم تقولون على الله
ما لا تعلمون انه امر بكذا او حرم بكذا كقوله اتقون الله ما لا يعلم في السموات
ولا في الارض اي تنبؤون الله بما يعلم انه ليس ما تقولون والله اعلم قوله تعالى
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اختلف
في تاويله قال بعضهم لكل امة اجل اي لكل امة وقت بعث الرسول اليها
اي لا يهلكون ولا يعذبون الا بعد بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسل فلكذبه
وعاندوه فعند ذلك يهلكون ويعذبون وهو كقوله وما كما معذرين حتى بعث
رسولا وكقوله وما كان ربك مهلك القرى بعث في امها رسولا الاية
ولمحتل اي لكل امة اجل لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا تستأخر ولا تستقدم
وهذا يرد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون من قتل هلك قبل بلوغ اجله ويحلقون
القابل مستقدا لما لاجل ذلك المقتول مستجلا له والله تعالى يقول لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون اي اذا جاء الاجل واذا لم يجي الاجل لا يستقدمون
فكون ما قالوا مخالفا لظاهر التنزيل قوله تعالى يا بني ادم اما يايتنكم

رسل منكم يقصون عليكم آياتي قال اهل التاويل اي سيايتكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي ولختم ان تكون حروف ماصلة وتقد يره ان ياتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم قوله آياتي
يحتمل اي هداي كقوله فاما يا يتنكم ميني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فعلي ذلك قوله يقصون عليكم آياتي اي هداي ويحتمل المراد
الحج والبراهين التي تنفي الشبهة لاهلها عن قبولها فيقبلونها الا من عاند
وكا بر قوله تعالى فمن اتقى واصح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لاحتل من
اتقى بها الرسل او اتقى المالك واصح ما امر به الرسل اي اذا اصح امره وعمله
فلا خوف الموت بما ينقص النعم ولا هم يحزنون بتبعاته وآفاته خبر ان نعيم
الآخرة على خلاف نعيم الدنيا ثم في قوله يا بني آدم اما يا تنكم رسل منكم بيان ان
لله تعالى على خلقه مننا كثيرة ونعماء عظيمة حيث بعث الرسل اليهم من جنسهم من
وجوه احدها ان كل ذلك جنس وجوه ليستاتس لجنسه وجوهه وليستاتس
بغيره ثم عليهم حيث بعث الرسل من جنسهم وجوههم ليستاتس بعضهم من بعض
وبالف بعضهم من بعض وذلك احذ الي القلوب واذعي الي الاتباع والاحابة
والثاني بعث الرسل اليهم من قومهم الذين نشأوا بين اظهروهم وعرفوا صدقهم
واما نتم ليعرفوا انهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم
الكذب والخيانة قط والثالث لو كان الرسل من غير جواهرهم وجنسهم لم
يعد فاما اتقوا من الايات والبراهين انها آيات وحج لما لا يعلمون ان وسعهم
لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الي ذلك واذا كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اتوا
بشيء خرج عن وسعهم انها آيات والله اعلم قوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قال الحسن باياتنا
اي بدبيننا واستكبروا عنه ولختم باياتنا حجنا اي كذبوا الحجنا فاذا كذبوا
بحجهم كفروا به لانه تعالى لا يعرف من طريق العيان ولكن انما يعرف من طريق
الحج والايات والدلائل فكون الكفر باياته وحجهم كفوا به ويسببه ان يكون
آياته آيات الرسالة وحجها وقوله واستكبروا عنها اي استكبروا عن التدبر
فيها والنظر قوله تعالى اولئك اصحاب النار سماهم اصحاب النار لانهم
يعصون النار والسبب الذي يوجب لهم النار ابدانهم فسموا اصحاب النار لذلك

كما يقال صاحب النار وصاحب الدابة لانه يعصها ابدانهم فسموا اصحاب النار
لانه يعصونها ابدانهم فسموا اصحاب النار لانه يعصها ابدانهم فسموا اصحاب النار
رسله آياته لان النفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانيته لان الخبر
الصدق دليل على وجود المخبر له وقد اقام في انفسهم اعلاما وامارات تدل على محبة
دعواهم الرسالة من صدق اللجة واداء الامانة والنفقة عن التزوير والحيانة
ومحذ لك والرسالة دليل صدق الخبر بيقين فدل ان الرسل من آيات الوجدانية
والله الموفق قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بايات الله
قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فمن اظلم انما هو من استغفاهم وسؤال لم يخرج له
جواب لكن اهل التاويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا
جواب قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ثم قيل الافتراء هو اختراع الكذب
من نفسه من غير ان يشبهه احد بذلك وهو كقوله بقرينه بين ايديهم وارجلهم
واما الكذب فقد يكون بما انشاء هو بنفسه وما قد سبقه به احد فسمع منه
واخبر به ثم افترأوه على الله كذبوا بما قالوا ولما قالوا ان له شريكا
وصاحبة وما عبدوا غير الله وقا لو انما نعبدكم الا ليقربونا الي الله زلفا وهو لا شفعا لنا
عند الله وما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباؤنا والله امرنا بها
وما اضفوا الي الله حتريم اشياء حرموها على انفسهم ومحذ لك من الافتراء فاجبر
عن وجل بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تشبههم وعنادهم او غاية جهلهم
اي لا احد اظلم من اظلم ولا ابرح ظلم ممن افترى على الله مع علمه انه خالفه وانه متقلب
في نغمة واحاطت به اياديه واحسانه قوله تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكرامة
اختلفت فيه قال الحسني ان من اطاع الله في امره ونهيه فقد اطاع رسله فقد كتب له
الجنة خالدا فيها ابدان ذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب له ومن عصي الله وخالف
رسله كتب له النار خالدا فيها ابدان نصيبه من الكتاب وهذا ينفي على مذهبه
ان العاصي صاحب الكبيرة منافق والمنافق يستحق الخلود وما عندنا العاصي
الذي ختم على الايمان لا يخلد في النار بل هو مسيء الله بين ان يغفر له وبين ان
يدخله في النار فيعذب به بقدر ذنبه والعاقبة الجنة لا محالة وقال ابو بكر البستي
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من الجزاء والعقاب في الآخرة وهو قول العجلي ان
قيل اراد به الحظ والنصيب في الدنيا ما كتب لهم من الرزق وانواع النعم المستوفى الذين

كتب منهم يون وحمل عن هذه الوجه اي ان الافتراء على الله كذا هو ما حرقوا من الكتب
وعبروها ثم اضافوا ذلك ونصبوه الي الله كقولهم مؤيد للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله الآية وقوله وان منهم لفرقة يلبون السنتم بالكتاب
لنصبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فصارت ما حرقوه وغيره سنة منهم يعلمون
بها الي يوم القيمة فينالونهم هم جزاء ذلك يوم القيامة والله اعلم قوله تعالى حتي
اذ اجآتهم رسلنا وحتي تكون صلبة وزايدة على تاويل من جعل النصيب هو الجزاء
في الاخوة كانه قال اولىك ينالهم نصيبهم من الكتاب اذ اجآتهم رسلنا يتوفونهم
وعلى تاويل من يقول بان المراد من النصيب المكتوب في الدنيا من الرزق يكون
حرف حتي ليس بصلة ولا زايدة ويكون للغة ومعناه اولىك ينالهم نصيبهم من الكتاب
الي ان جآتهم رسلنا والله اعلم ثم قوله يتوفونهم على تاويل من صرف النصيب
الي النعم في الدنيا اي يقبضون ارواحهم وهو ظاهره على تاويل من حمل ذلك على الجزاء
في الآخر فهو يجعل التوفي في النار شدة العذاب وان كانوا لا يتوفون وهو كونه
ويأتي الموت من كل مكان وما هو ميت اي ياتي اسباب الموت قوله تعالى
قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله الي يقول لهم الملائكة هذا القول في النار على
هذا التاويل وعلى تاويل اولىك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم والله اعلم
وقوله اينما كنتم تدعون من دون الله اي اين اولىك الذين تدعون من دون الله
ويقولون هؤلاء سفعا رنا عند الله ويقولون ما نصعبهم الا يقربونا الي الله زلفا فيقول
للملائكة جوا بآلهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالوا اضلونا عنا وشدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين فان كان المراد بقوله اينما كنتم تدعون من دون الله الكبرياء منهم والروا
يكون المراد بقوله اضلونا عنا اي ان هؤلاء الكبرياء شغلوا بامرهم عنا وان كان المراد
بذلك الاصنام يكون قولهم اضلونا عنا اي بطل ما كنا نطعم من عبادتنا اياها وبطل عبادتنا
التي عبدناها وهو كونه اذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا والله اعلم قوله
تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار ومحمل قوله
في امم اي مع امم وهو جآيز في اللغة يقال جآ فلان في جنه اي مع جنه وقوله قد
خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي المتبوعين والاتباع جميعا اي ادخلوا
جميعا مع النار والعرب تصنع حروف الخفض بعضها في موضع بعض كقوله ناد خيلي

٢٩

يتوفونهم

في عبادتي اي مع عبادي ومحمل ان يكون حرف في يراد به حقيقته كان المتبوعين
يدخلون في النار قتل الاتباع فقيل لهؤلاء الاتباع ادخلوا في امم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس في النار وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب
الكفار من الانس قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها اي لعن الاتباع
المتبوعين لما دعواهم الي ذلك وسرفوهم عن دين الله وهو كونه اذا قاموا بنا
ان نكفر بالله ومحمل له ان اذا وكوله وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
لو لا انتم لكانا مؤمنين وغير ذلك من الآيات وكذا لعن المتبوعين الاتباع لما
يزداد لهم العذاب بكثره الاتباع فيلعن بعضهم بعضا وفيه دلالة ان اهل الكفر
وان اختلفوا في مذاهيبهم فهم اخوة واخوات بعضهم لبعض كالمؤمنين بعضهم اخوة
واخوات لبعض قوله تعالى حتي اذا داركوا فيها جميعا قال بعضهم هو
من التدارك اي حتي اذا تداركوا وتنازعوا فيها ولحق بعضهم بعضا وقيل هو من
الدارك لان النار دركات لا يزال اهل النار يهون فيها لا قدر لهم فيها لان
في العترة بعض القسلي والراحة فلا يزالون يهون فيها دركان فذكر كذا وذلك
سقي جهنم هاوية لما يهون فيها فان كان على التدارك فهو كونه احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضييق كقوله واذا القوا
بينهم مكاثا ضيقا وقيل اجتمعوا ويلعن بعضهم بعضا وتلاوم بعضهم بعضا والله اعلم
قوله تعالى قالت اخريهم لا وليهم لمحتل قالت اخراهم الذين كانوا في اخر
الضمان لا وليهم الذين سرعوا لهم ذلك الدين الباطل ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا
ضعفا من النار ومحمل قوله اخريهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع
قالوا لا وليهم اي الذين دخلوا النار لا وليهم القادة المتبوعون ربنا هؤلاء يعني
القادة والسادة اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وهو كونه يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا السؤلاد قالوا ربنا انما
اطعنا ساداتنا وكبرآرنا فاضلونا السبيل ربنا انهم ضعفين من العذاب والعنم
لعنا كبيرا وينسبهم ان يكون قوله قالت اخريهم لا وليهم ليس على القول لبعضهم لبعض
ولكن على الدعاء عليهم واللعن كقوله والعنم اعنا كبرآرنا وقوله قال لكل ضعف قال
بعضهم اي لكل ضعف من النار لانها لا تزال تزداد وتعظم وتكثر فذلك هو الضعف
وهو للاتباع والمتبوعين جميعا وقال بعضهم قوله لكل ضعف اي لكل متبوعين

٢٩

والعادة ضعف ثم قوله قال لكل ضعف محتمل ان يكون الذي قال لهم ذلك ما لك
او خزنه او من كان ليس الي معرفه ذلك حاجة بعد ان يقال لهم ذلك وقوله ولكن
لا يعلمون اي ولكن لا يعلمون في الدنيا ان لهم ضعفا منها وقيل ولكن لا يعلمون
الحال بان لكل ضعفا للحال قوله تعالى وقالت اوليهم لا خوريم قد ذكرنا
تاويل الاحري والا ولى قوله فما كان لكم علينا من فضل محتمل وجهين محتمل فما كان لكم
علينا من فضل محتمل وجهين محتمل فما كان لكم علينا من فضل في شيء فقد ضللتكم كما ضللتنا
ولم يكن لنا عليكم فضل سلطان ولا كان معنا حج وآيات فقهرناكم بها انما دعوناكم
الي ذلك فاستجبتم لنا وقد بعث اليكم الرسل مع حج وآيات فلم تجيبوهم وهو كطية اليقين
اللعين كما اخبر تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فنقول هولا
القادة لا اتباع مثل قول الشيطان لجملة الكفار الاتباع والقادة جميعا وقوله فما
كان لكم علينا من فضل يعني في تخفيف العذاب اي نحن وانتم في العذاب سواء
لا فضل لكم علينا فيه فالتاويل الاول يرجع الي الدنيا والثاني الي الآخرة
والله اعلم قوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون اي بما كنتم تكسبون
من الشرك والتكذيب لايات الله وهو كقوله جزاء بما كنتم تكسبون ويعلون
ويخوذ بك قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها هذا قد ذكرنا
فيما تقدم قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم ابواب السماء اي
ابواب الجنان لان الجنان تكون في السماء اي في العلو لا ترى انه قال وفي السماء
رزقكم وما توقعون وما يوعد لنا هو الجنة وقد اخبرنا في السماء والارض انه
قال ولا يدخلون الجنة اي لا تفتح لهم ابواب الجنان ولا يدخلون الجنان
ايضا والله اعلم وقال بعضهم المراد من ابواب السماء حقيقة الابواب ومعنى
ذلك ان اعمال المؤمنين ترفع الي السماء وتضع دار واحم اعمال الكفرة وادهم
ترد الي اسفل السافلين وهو كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقال في الكافر ثم رددناه اسفل سافلين فاذا كانت اعمال المؤمنين
وارواحهم ترفع الي السماء وتضع اليها فاخبر ان لا تفتح لهم ابواب السماء وانما
ولكن يردون الي السجين ومحتمل ان يكون على التمثيل ليس على تحقيق السماء
ولكن ذكر السماء لما ان السماء هي مكان الطيبات من الاشياء لا مكان الخبايا

والاقدار واعمال الكفرة حبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيث بالارض لما ان الارض
هي معدن الخبايا وكنى عن اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب
مثل الايمان بالشجرة الطيبة الثابتة وفتحها في السماء وضرب مثل الكفر
بالشجرة الخبيثة المجرسة من فوق الارض ليس على ان يكون قوله وفتحها
في السماء على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول فعلى ذلك الاول
والله اعلم ثم قوله لا تفتح لهم ابواب السماء لا يستقيم مثله ان يذكر على
الابتداء بل لا بد ان يخرج على نازلة تسبق فتكون حرج على سبيل الجواب
لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري فليشبه
ان يكون هذا اعني قوله لا تفتح لهم ابواب السماء خرج جوابا لقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصاري تكذبناهم وقطعا لا اطاعهم الفاسد ومحتمل
ايضا انهم كانوا ذكروا اعمال انفسهم انهم يعلمون كذا وكذا فقال لا تفتح لهم
ابواب السماء اي لا يرفع اعمالهم ولا يدخلون الجنة بسبب تلك الاعمال فان
قيل كيف حرقهم بما ذكر سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا او غواشي
وهم لا يؤمنون بذلك كله فكيف خوفوا بوقيل ان المراد اذا خوف بشي
فانه يخاف ويهاب من ذلك وان لم يتيقن به ولا يحقق عنده ما خوف به
حتى يستعد لذلك ويهتأ وان كان على شك من ذلك وظن فعلى ذلك هولا
حق فوالسائر والوان العذاب وان كانوا شاكين فيه غير مصدقين
لما يجوز ان ينافوه ويهابوا منه ومحتمل ان يكون التخويف بذلك للمؤمنين وهو
كقوله والقوا النار التي اعدت للكافرين ومحتمل ان يكون التخويف بذلك
لمن آمن منهم بالبعث لان من الكفرة من قد آمن منهم بالبعث والجزاء والثواب
والله اعلم قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط هذا
على الناس انهم لا يدخلون الجنة ابدا كما لا يدخل الجمل في سم الخياط قال بعضهم
اي حتى يدخل البعير في حرق الابرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
حتى يدخل الحبل الذي يسد به السفينة في حرق الابرة وقال لسقفة
هو الجمل ذو القوائم ولكنه الجمل يعني القلس وهو جمل السفينة وقال ابن
مسعود رضي الله عنه هو الجمل ذو القوائم الرابع وقال ابو عبيدة السميعة
حرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والحياط الابرة او المسلة والله اعلم بما اراد بذلك

قوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم قوله تعالى لهم
من جهنم ما دؤم من فوقهم غواش مثل المهاد القدش والقواشي الحف وقيل
القدشي ما يتغشم في النار لحيط بهم من تحت ومن فوق ومن امام وخلف كقوله
لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال النار تحيط بهم وكذلك قوله ان
يتقى بوجهه سورة العذاب يوم القيمة اي لا يتقى لما يحيط به العذاب فعلي ذلك الاول
والله اعلم قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا الا وسعها
قال ابو بكر اللساني قوله لا تكلف نفسا ليس من جنس ما ذكر من قوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات صلة قوله يا بني آدم اياي اتقونكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن
اتقى واصح يقول لا تكلف نفسا الا وسعها ولكن اما عندنا فانه يستقيم ان يجعل صلة
ما قبله اي لا تكلف نفسا من الاعمال الصالحة الا وسعها بل تكلف دون وسعها
وظاقتها اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقالت الحسن قوله لا تكلف نفسا
الا وسعها اي ما يسع وحل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاجسته قالوا وجدنا
عليها اباونا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء الى آخر ما ذكر بقوله لا تكلف
نفسا الا وسعها اي لم يكلف نفسا الا ما يسع ويجل لا ما لا يسع ولا يجل والله اعلم
قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل قال القتيبي الغل الحسد والعداوة
قيل الغش والغل واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد ثم
اختلف اهل التاويل ان نزع ما في صدورهم من الغل في اي موضع يكون قال
بعضهم ونزعنا ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله تعالى من قلوبهم الغل يعني
من قلوب المؤمنين العداوة التي كانت بسبب الكفر مع الذين يؤمنون ويجعلهم
اخوانا بالايان وهو كقوله اذ كنتم اعداء فالت بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
الاية اخبرناهم كانوا اعداء فالت بين قلوبهم بالايان الذي اكرمهم به حتى صاروا
اخوانا بعد ما كانوا اعداء وقال بعضهم هذا في الآخرة ينزع الله تعالى من
قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويسعون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا علي سر رمتقا بلين وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال اي لا رجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا علي سر رمتقا بلين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال نزلت الآية في علي وابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الله

مسعود وعمار وسلمان وابي ذر فينزع في الآخرة ما كان في قلوبهم من غش
وعداوة فيما اختلفوا بعد رسول الله حتى كان بينهم من الاختلاف والقتال
والعداوة كان دينا ويه لم يكن بحيث الدين ومكان المذهب وذلك يرتفع
في الآخرة ويذول فاما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تذول
ابدا في الدنيا والآخرة لانها عداوة الدين والمذهب وهي لا ترتفع ابدا
وليشبه ان تكون قوله ونزعنا على ابتداء النزاع لان كانوا فيه وهو
كقوله نجزيهم من الظلمات اي النور وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات
على ابتداء المنع اي لولا اخراجه من ذلك والا كانوا فيه فعلي ذلك قوله
ونزعنا اي لم نحمل في قلوبهم الغش راسا ولو تركهم على ما هم لكان منهم ذلك
والله اعلم ولذلك قالت الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد
اذ هاء غار وسحر نارا ناهيها المودة والمحبة وفي الآية دلالة ان الله تعالى في
فعل العباد صنعا لان الغل والغش من فعل العباد يذمون على ذلك ثم
اخبرنا انه نزع ذلك من قلوبهم واستنادي منهم الشكر على ذلك بقوله وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا وقد كرم من طلب الحمد على ما لم يفعل فدل طلب الحمد
منهم على ان له فيه صنعا بذكر طلب الحمد والله اعلم قوله تعالى تجري
من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم من طباع الخلق الرغبة في هذه الانهار
الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الابصار فربهم في الآخرة لما كانت طباعهم وانفسهم
تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا في اموره وينهوا في منيه وكذلك جميع ما ذكر
في القرآن من القصور والجوارى والعلمان والاكواب والاباريق وغير
ذلك مما يرغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك وعدلهم
في الآخرة ترغيبا لهم في ذلك والله اعلم قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قال الحسن وغيره هدانا لهذا
اي دلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اي دلانا الله وما عندنا
ليس المراد بالهداية ههنا هو هداية البيان والدلالة ولكن المراد هو الهداية
التي اكرمهم الله بلطفه وفضله وهو توفيقه اياهم على فعل الهدي وكسبه او خلق
الهدي منهم باختيارهم لانه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان المراد هو
البيان والدلالة لكان لا معنى لذكر المنية والفضل لان اقامة الدلائل على توفيقه

وَصِفَاتِهِ وَاظْهَارِ الدِّينِ الْحَقِّ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الْحِكْمَةُ وَلَا امْتِنَانٌ فِي فِعْلِهِ مَا عَلَى النَّاسِ عَمَلٌ
وَالثَّانِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ وَجَدْنَاهُمْ الْهُدَايَةَ مِنْ حَيْثُ الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةُ لَوْ كَانَ
الْمُرَادُ هُوَ الْهُدَايَةُ مِنْ حَيْثُ الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةُ لَمْ يَكُنْ لِلْامْتِنَانِ مَعْنَى وَقَدْ وَجَدَ ذَلِكَ
مِنْ غَيْرِهِ وَالثَّلَاثُ أَنَّ كَلَامًا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ الْعِلْمَ بِكَوْنِ الذَّاتِ مَهْتَدٍ بِغَيْرِ ضَالٍّ
وَلَا نَآيِغُ وَقَدْ تَمَّ هَدَايَةُ اللَّهِ وَوَفَّقَهُ وَقَدْ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ ضَالًّا أَيْ غَايِبًا عَنْ
الْهُدَى دَلَّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْهُدَايَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ عَالِمٌ قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَنَّ
الْمُعْتَزِلَةَ خَالِفُوا اللَّهَ فِيهَا أَخْبَرُوا خَالِفُوا الرِّسْلَ فِيهَا أَخْبَرُوا عَيْنَ اللَّهِ وَخَالِفُوا
أَهْلَ النَّارِ وَخَالِفُوا ابْلِيسَ أَيْضًا أَمَّا مَخَالَفَتُهُمُ اللَّهَ وَمَخَالَفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ تَرْغِيبًا لَنَا بِأَنَّ نَقُولَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَدَعَا لَنَا إِلَى ذَلِكَ وَالْمُعْتَزِلَةُ
يَقُولُونَ مَا هَدَانَا اللَّهُ وَلَكِنَّا خَلَقْنَا نَفْسَنَا بِاخْتِيَارِنَا لِأَصْنَعَنَّهُ فِي
ذَلِكَ وَأَمَّا مَخَالَفَتُهُمُ الرِّسْلَ قَوْلَهُ وَلَا يَنْفَعُكُمْ تَصْحِيحُ أَنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ لَكُمْ أَنَّ اللَّهَ
يُؤَيِّدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْيِدُ الْإِعْوَاءَ وَأَمَّا مَخَالَفَةُ أَهْلِ النَّارِ
فَأَنَّهُمْ قَالُوا هَدَانَا اللَّهُ لِهَدَانَاكُمْ وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ وَأَمَّا مَخَالَفَةُ ابْلِيسَ قَالَتْ
رَبِّ مَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَتْ رِسَالُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
مُحْتَمِلٌ هَذَا وَجُوهًا مُحْتَمِلٌ جَاءَ وَابِلِ الْحَقِّ أَيُّ بِالْدِّينِ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ وَ مُحْتَمِلٌ جَاءَ وَأَبْلَا عَمَالِ
الَّتِي مِنْ عَمَلٍ بِهَا كَانَتْ صَوَابًا وَرَشْدًا وَكُلُّ حَقٍّ هُوَ صَوَابٌ وَرَشْدٌ وَ مُحْتَمِلٌ أَنَّهُمْ
جَاءُوا بِالَّذِي هُوَ حَقٌّ وَثَوَابٌ فِي الْعُقُولِ وَ مُحْتَمِلٌ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِالْحَقِّ الَّذِي اسْتَحَقَّتْهُ عَلَى
عِبَادِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا وَاللَّهُ عَالِمٌ قَوْلَهُ تَعَالَى وَتُودُوا أَنَّ تَكَلَّمَ الْجَنَّةُ
أَوْ رَغِمَتْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالْأَشْكَالُ أَنَّ لِنُقْطَةِ تَكَلُّمِهَا إِشَارَةً إِلَى الْغَايِبِ
الْبَعِيدِ عَنِ الْمَخَاطَبِ لَهُ وَمَنْ خَاطَبَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَمَلَأَ قَالَتْ هَذِهِ الَّتِي هِيَ إِشَارَةُ الْخَاصِرِ
فَنَقُولُ تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ عَالِمٌ وَتُودُوا أَنَّ تَكَلَّمَ الْجَنَّةُ الَّتِي كُنْتُمْ وَعَدْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَخْبَرْتُمْ
عَنْهَا هَذِهِ أَوْ رَغِمَتْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ خَلَقَ الْإِيمَانَ فَإِنَّ فِيهَا دَلَالَةً
أَنَّ الْإِيمَانَ مِنْ جَمَلَةِ أَعْمَالِنَا حَيْثُ قَالَ أَوْ رَغِمَتْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَإِنَّمَا نُورِثُ بِالْإِيمَانِ
وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ بِالْإِيمَانِ إِذَا نَصَحَ شَأِيرُ الْأَعْمَالِ بِالْإِيمَانِ وَإِنَّمَا يَبَالُ بِالْأَعْمَالِ
الدرجات ثُمَّ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ أَوْ رَغِمَتْهَا الْجَنَّةُ بِمَا عَمَلُوا وَأَنَّ كَانُوا يَبَالُ لَوْ هُوَ الْفَضْلُ مِنْهُ الْأَتْرَافُ
أَنَّهُمْ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَأَنَّ نَسْبَهُ

ذَلِكَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ أَيُّهُمْ حَيْثُ لَمْ يَجْعَلْ سَعِيمَهُمْ هَدًى وَاللَّهُ عَالِمٌ قَوْلَهُ تَعَالَى
وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا مَهْلٌ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا بَلَى مَا وَعَدَنَا اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ
وَاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ بِقَوْلِهِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَقَوْلِهِ وَفِيهَا مَا تُشْتَهُي
الْأَنْفُسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ وَقَوْلُهُ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَمَا وَعَدَ الْكَفَّارَ هُوَ النَّارُ وَمَا فِيهَا
مِنَ الشَّدَائِدِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ فَاقْرَأُوا النَّهْمَ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّهُمْ ثُمَّ قَوْلُهُ مَهْلٌ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا إِنَّ كَانَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ الَّذِي ذَكَرْنَا الْوَعِيدَ الَّذِي وَعَدَهُمْ فَفَسَّرَهُمُ الْوَعْدَ
أَيُّ يَكُونُ وَعَدُهُ صَدَقًا وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ هُوَ الْمَوْعِدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا
فَتَأْوِيلُهُ وَجَدْتُمْ كَمَا يَنَاحَا صَوْرًا كَمَا عَلِمْتُمْ يَقِينًا بِالْخَبَرِ وَهُوَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ لِيَعْلَمَهُ كَمَا يَنَاحَا صَدَقًا كَمَا عَلِمَهُ مَعْدُومًا قَوْلَهُ تَعَالَى فَإِذَا نَ
مُؤْذَنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ أَيُّ وَحِبَتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ أَوْعَدُوا
فِي الدُّنْيَا وَ مُحْتَمِلٌ قَوْلُهُ فَإِذَا نَ مُؤْذَنٌ بَيْنَهُمْ مُحْتَمِلٌ الْمَلِكُ وَ مُحْتَمِلٌ غَيْرُهُ وَ لَيْسَ يُعْرَفُ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْخَبَرِ وَ لَيْسَ لَنَا إِلَى مَعْرِفَتِهِ حَاجَةٌ فَإِنَّ قِيْلَ ذَكَرْنَاهُ الْآيَةَ نَدَّارًا
أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ وَأَهْلَ النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَ نَدَّارًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَوْ كَانَ الْإِحْيَا
يَكُونُ بَعْضُهُمْ قَرِيبًا مِنْ بَعْضٍ وَ قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ وَصْفِ الْجَنَّةِ وَسَعَتُهَا مَارُوكِي
أَنَّ أَقْلَ مَا يَكُونُ لِوَاحِدٍ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ عَرْضِ الدُّنْيَا وَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْحُورَ الْعَيْنِ
لَوْ نَظَرْتَ نَظْرَةً إِلَى الدُّنْيَا لَأَمْتَلَاتِ الدُّنْيَا مِنْ صَوْنَتِهَا وَنُورِهَا وَكَذَلِكَ مِنْ
رِجْلِهَا وَعِطْرَتِهَا وَ قَدْ جَاءَ فِي وَصْفِ النَّارِ أَنَّ شَرَارَهُ مِنْهَا لَوْ وَقَعَتْ فِي الدُّنْيَا
لَأَحْرَقَتْهَا أَوْ كَلَامٌ كَوْهَذَا فَإِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ قَرِيبًا مِنْ بَعْضٍ حَيْثُ يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ
نَدَّارًا بَعْضُ الْآيَاتِ أَيُّ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِالنَّارِ وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ النَّارِ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَإِنْ
كَانَ بَعْضُهُمْ بَعِيدًا مِنْ بَعْضٍ كَيْفَ يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ نَدَّارًا بَعْضُ وَ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا
قِيْلَ وَ أَنَّ بَعْضُهُمْ بَعِيدًا مِنْ بَعْضٍ فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ أَنْ يَوْقِعَ نَدَّارًا هُوَ لَا
فِي مَسَامِعِ أَوْ لَيْكٍ وَ نَدَّارًا أَوْ لَيْكٍ فِي مَسَامِعِ هُوَ لَا مَعَ بَعْضٍ مَابَيْنَهُمَا فَيَسْمَعُ كُلُّ
فَرِيقٍ نَدَّارًا فَرِيقٌ آخَرُ وَ مُحْتَمِلٌ أَنَّ يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى يَفْقِضُ بَيْنَهُ هَذَا الْخَلْقَ وَ يَسْمَعُ
فِي الْآخِرَةِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الْعِظَمُ وَالْأَوْصَافُ مَعَ ارْتِفَاعِ الْأَقَاتِ
وَالْحُجُبِ الَّتِي تَمْنَعُ ذَلِكَ فَيَسْمَعُ بَعْضُهُمْ نَدَّارًا بَعْضُ مَعَ الْبَعْدِ الَّذِي ذَكَرْنَا وَيَنْظُرُ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ وَيَبْصُرُ مَعَ الْبَعْدِ الْمَفْرُطِ لِأَنَّ فِي الدُّنْيَا الْأَقَاتِ وَالْحُجُبِ تَمْنَعُ ذَلِكَ

فإذا ارتفع ذلك كان ما ذكره الله أعلم ولحمته ان يقترب الجنة من النار والنار من الجنة
بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النار وهو قادر مع ذلك ان يمنع اذي النار
عن اهل الجنة ومنع ریح الجنة ونفعا عن اهل النار ويحتمل ان يكون في ذلك معنى يقع
ذلك في مستامهم كيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه والله أعلم **قوله تعالى**
الذين يصدون عن سبيل الله الصدوق يكون منع غير وقد يكون نفسه وقوله
سبيل الله دين الله وقال احسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم
بذلك والي ذلك دعاهم رسوله قوله تعالى ويبلغونها عوجا اي يبعثون الذين
الذي فيه عوج وهودين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
والعوج التفرق الذي ذكر في تلك الآية ولحمته ان يكون قوله ويبلغونها عوجا
اي طعنا وقد كانوا يبعثون طعنا في دين الله قوله تعالى وبينها حجاب ليسبه
ان يكون ما ذكر من الحجاب ههنا ما ذكر في آية اخري وهو قوله فضر ببيم بسور
له باب ياطنه فيه رحمة وظاهره من قبله العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور
بينها هو السور الذي ذكره والله أعلم قوله تعالى وعلي الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم قال بعضهم هم قوم استوت حسنا تم وسياتهم لم يبشروا بالجنة
حتى لا يخافوا عفو الله ولا يبوا حتى لا يظنوا ولا يرجوا دخولهم فيها بل كانوا على
الخوف والرجاء وقالت قائلون هم الملائكة لكن هذا ضعيف لان ملكة الله
لا يسمون رجالا ولم يسمع ذلك والله أعلم وقال آخرون هم اهل كرامة والله
تعالى اكرمهم بذلك فدفعهم على ذلك السور لينظروا الي حكم الله في الخلق وعدله
فيهم وينظروا الي احسان الله تعالى فيمن يحسن اليهم وعدله فيمن يعاقبهم والله أعلم
وقيل هم الانبياء وهذا هو الاشبه وهو ان يكون على الاعراف وليشهدون
للآمم وعليهم وليشفعون فيمن شفعم الله قال الله تعالى فكيف اذا جيتا من كل
امة بشهيد وجيتا بك على هولا شهيد او قال بعضهم هم قوم نصبهم الله تعالى لمحااجة
اهل النار كقوله قالوا انما اغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فهذا او امثاله الحاجة
التي يحتاجون بها اهل النار ولحمته هم قوم نصبوا يترجمون بين اهل الجنة واهل
النار يودون كلام بعض الي بعض ويثبون مخاطبات بعض الي بعض من ذلك
قوله ونادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان اقضوا علينا من الماء وقوله
ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا بها حقا فهل وجدتم

ما وعدكم حقا قالوا نعم وكوذلك والله أعلم من هم فلا نقطع القول بشئ من ذلك ثم
اختلفت في تسميتهم اصحاب الاعراف قال بعضهم شبهوا اصحاب الاعراف لانهم
على الاعراف وهو اسم سور بين الجنة والنار وسبق بذلك لارتفاعه وكل من تقع
من الارض عند العرب اعراف وهو قول العتيبي وقال بعضهم الاعراف من العرف
ولهم عرف كعرف الذئب والفوس مثل التاج وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن
هم اصحاب التعريف يعرفون اهل النار عدل الله فيهم وحكمه وان ما آحل لهم بما كان
منهم في الدنيا من سدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان
ما نزل بهم يخباتهم فذلك عدل منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه انهم
انما نالوا بفضل الله والجنة والله أعلم **قوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم**
فيل المومن يعرف ببياض وجهه والكاف يعرف بسواد وجهه ويحتمل ما قال
الحسن وهو آيهم يعرفون بالمنازل والاماكن قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم ثم قوله سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن في
كل كلام يرشد به وقول حسن وصواب وهو كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلا ما
اي سيد يدا وصوابا وكذا قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على
ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون له قولا وصوابا محكما يعني ذلك الاول قوله تعالى
لم يدخلوها وهم يطمعون قال عامة اهل النار ويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة
وهم يطمعون دخولها وقيل هم الكفار اهل النار يطمعون ان ينالوا من الجنة كقوله
اقضوا علينا من الماء او يمارزكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين الي هذا الوقت
كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم استواء القول وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون
دخولها قيل ان يدخل اهل الجنة الجنة وقيل ان يدخل اهل النار النار قوله تعالى
واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار قيل واذا صرفت اصحاب النار الي اهل
النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من سدة ما يرون من العذاب وما نزلهم
وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقا اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي حنيفة
واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا غايبون بك ان تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين
قوله تعالى قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ان كان ذلك الدعاء من الانبياء
او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة
ومعني التقوى منهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيخافونها لتقصير كان منهم

في شكر النعم وحمل انهم يتعودون منها بالطبع وان كانوا متيقنين بانهم اهل الجنة كما يتعود
كل احد اذ ارأى احدًا في البلاية والله اعلم قوله تعالى ونادي اصحاب الاعراب
رجالا يعرفونهم ليس كما قال عامة اهل النار بل يعرفونهم ليسوا بالوجوه وزرقة
العيون ولحمهم ايضا انهم يعرفونهم بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوي سواد الوجوه
وزرقة العيون الاتري انهم لما طوبوا منهم بقوله ما اعني جمعكم وما كنتم تستكبرون فلولم
يعرفونهم بآثار كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يباينونهم بجمع الاموال والاستكبار في الدنيا
ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون الاموال وهم المتكبرون
على الخلق كقولهم وقالوا نحن اكثرا من الاولاد وانا نحن المعذبين وليس به ان مخاطب
الكل ومنهم من قد جمع واستكبر وذلك جائز هذا على تاول من جعل اصحاب الاعراب
الذين استوت حسنتهم وسيئاتهم وقوله اهؤلاء الذين اقسمت لا ينالهم الله برحمة
قال عامة اهل النار بل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراب لا يدخلون الجنة
ولكن يكونون معهم فنقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء الذين اقسمت الآية ولحمهم
ان يكون القسم الذي ذكر في الآية كان منهم في الدنيا كانوا ايتسمون ان لا يدخل هؤلاء
الجنة بقول اصحاب رسول الله وهو كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه كانوا
يقولون ان الذين الذين هم عليه لو كان خيرا لتالوهم اذ تالوهم يعني انفسهم كل خير
في الدنيا فعلي ذلك ينالون في الآخرة مثله وكجوه من الكلام الذي قالوا في الدنيا
فيقولون لهم في الآخرة اهؤلاء الذين اقسمت في الدنيا لا ينالهم الله برحمة ويحتمل ان يكون
قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله لا خوف عليكم ولا انتم
تخزون قال ابو بكر الا هم يكون الحزن في موت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه كقول
يعقوب اني لحزن اني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند موت
محبوبه واخوف عند نيل المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بموت الموجود من المحبوب
واخوف بما يصيبه من المكروه قوله تعالى ونادي اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او يمارزكم الله قال الحسن المارزكم الله ولكن وقع
مكرنا مننا وقال ابو بكر بل طلبوا الماء والرزق وهو الاطعمة ونحوها وانما طلبوا
ليدفعوا عن انفسهم ما استند بهم من الظما والعطش ثم منع لهم الحاجة الى الطعام
لان الرجل اذا استند به الظما لا يهتم له الاكل ويشبهه ان يكون طلب بعضهم الماء
وبعضهم الطعام الذي رزقهم الله تعالى وهذا جائز وان لم يذكر وهو كقولهم وقالوا

لن يدخل الجنة الا من كان هوذا او نصاري لم يكن من الفريقين جميعا هذا القول لكن كان
من اليهود قوله الا من كان هوذا ومن النصاري او نصاري فعلي ذلك هذا والله اعلم
قوله تعالى قالوا ان الله حرمها على الكافرين فسل هذا مقابله قول الكفرة
للمؤمنين في الدنيا فسل امروا ندفع المال الي فقراء المؤمنين اطعم من لوبنا الله اطعمه
فنقول لهم المؤمنون في الآخرة مقابله ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمها على الكافرين
ثم قوله ان الله حرمها ليس على الصغرى سرعا ولكن على المنع حقيقة لان الكفرة
لا ينالون بعد ان نالوا ذلك حراما كان او حلالا ولكن على المنع حقيقة كقولهم وحيثما
عليه المراضع من قبل ليس هو حريم حرمة ولكن منع الارتضاء حقيقة ولحمهم ان
يكون المراد تحريم الاطعام على المؤمنين للكافرين من طعام الجنة ونعيمها والله اعلم
بذلك قوله تعالى الذين اخذوا ديارهم قال الحسن اي اخذوا ديارهم الذي
كلفوا وامروا ان يا توابه طهوا ولعبا وهو الدين الحق الذي جاء به الرسل والله
واللعب هو الذي لا عاقبة به وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لهو ولعب وكل من عمل
لعاقبة فهو ليس بهو ولعب وهم كانوا يعلمون لا عاقبة لذلك كان لهوا ولعبا ويحتمل
ان يكون قوله اخذوا ديارهم لهوا ولعبا اي اخذوا ديارهم الملاهي التي كانوا يلعبون
بها ويلعبون كقولهم وما كان صلواتهم عند الست الامكا ولصدقة لانهم كانوا ينكرون
البعث وفي انكارهم البعث انكار الجذال للحسنات والسيئات وفي الحكمة الجواب ذلك
فمن لم يرد ذلك فهو لا لعب وقيل اخذوا ديارهم الذي كانوا يلعبون لهوا ولعبا لانهم يدعون
به لا عاقبة قوله تعالى وعذبتهم الحياة الدنيا قال بعضهم ان الحياة الدنيا لا تغتر
احدا ولكن اضيف اليها التغرير لما كانت سببا من اسباب الاعتذار بها فاضيف
اليها كقولهم فلم يردهم دعاي الافرازا اضاف الغدار الى الدعاء وقد يضاف الشيء
الى سببه كقولهم والنهار مبصر اي ببصوه لانه سبب ذلك وبعضهم قالوا اضيف
ذلك اليها لما كان منها من السبب والهيبة ما لو كان ذلك من ذي العقل والتمييز
كان ذلك عذرا واما من نحو التزيين وغيبه ويحتمل ان يضاف التغرير اليها على ارادة
اهلها فتكون الاهل معذرا اي غرهم اهلها وهم القادة والروسا والله اعلم قوله تعالى
فاليوم ننسيمهم كمنسوا القار يومهم هذا او الاشكال ان النسيان آفة فكيف يضاف الى الله
تعالى فنقول بان النسيان الذي هو آفة لا يجوز نسبته الى الله ولكن تاول به ان
قال انه يجزيهم جزاء نسيانهم فنسى الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا

وهو قوله وحز آ سيرة سيرة مثلها والثانية ليست نسبته ولكن جز آ السيرة نسماها
باسم السيرة لما هي جز آ لها فعلي ذلك هذا وقوله فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه مثل
ما اعتدي عليكم والثاني باعتد آ ولكنه جز آ الاعتد آ فسماه باسم لما هو جز آوه
فعلي ذلك معنى الثاني نسبيا لا نه جز آ النسيان وان كان الله تعالى لا يجوز
ان ينسى شيئا او ينسى عن شيء او يغفل ويحتمل ان المراد منه التذكر لان في النسيان
تركا وكل منسي متر وك فعناه نتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه
في الدنيا وقال الحسن ان الله تعالى لا ينسى شيئا ولا يشهو عن شيء ولكن المراد
ان الكفرة يكونون على الكرامة والمنزلة في الآخرة كالشيء المنسي وعن العذاب
والهوان لا او كلام نحو هذا والله اعلم قوله تعالى وما كانوا اباياتا يحمدون وقيل
ما ههنا صلة ز آية كانه قال وكانوا اباياتا يحمدون وقال بعضهم ليس بصلة بل هي علي
ما ذكر اى اليوم ننتاهم كما نسوا القاء يومهم وكانوا يحمدون وباياتا قوله تعالى ولقد
جئناهم بحكاب فضله يحتمل قوله فصلناه اى بيناه والفصيل التبيين والحتمل اى
فترقاه في انزاله لم ينزل جملة واحدة وهو قوله وقد آتاهم آياته لتقذره على الناس
على مكث اى فرقاه في الانزال على قدر المنازل بهم ليعلموا حكم كل آية نزلت بالنازل
التي وقعت بهم لان ذلك اقرب الى الحفظ لحفظ النوازل عادة او انزاله متفرقا
لان معرفه ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالفاروق اهون وايسر على الطباع من
معرفة ما فيه اذا انزل جملة قوله تعالى على علم يحتمل وجوها يحتمل فضله على
علم اى بيناه بالحج والبراهين على علم منه لمن يصدق ويتبعه ومن يكذب به ولا يتبعه ويحتمل
على علم منه بمصالح الخلق ان انزاله اصل للخلق او على علم منه بمعاملة القوم اياه انزاله
لان المنفعة في انزاله للنزل عليهم لا المرسل والمنزل فضو الرد والمنفعة
لهم والله اعلم قوله تعالى هدي ورحمة لقوم يؤمنون قالت ابوبكر الكيسانى اى
هذي لكل المؤمنين والكافرين جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة فانما عندنا هو هذي للمؤمنين
وعنى على الكافرين على ما ذكر قوله وهو عليهم عني خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم
هم المخصوصون بالانتفاع به دون او ليك فانه عليهم عني وكقوله فزادتم رجسا الى
رجسهم وصار ذلك للمؤمنين حجة على او ليك والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون
الا تاويله اى ما ينظرون الا وقوع ما وعد لهم رسول الله من نزول باس الله بهم اى العذاب
اى لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس والعذاب بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو

استغفاهم على سبيل النسي قول تعالى يوم تاتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل
والتاويل عما قبة الشيء وما ينتهي اليه الامر ويول اليه وما يقع بهم من الباس الموعود
فاذا اتاهم العذاب يقول الذين نسوا هذا اليوم من قبل ما اخبر الله عنهم بقوله
لقد جئت رسل ربنا بالحق يعني بالحق الواقع بهم من باس الله الذي كانت الرسل
تعهد لهم اى ما اوعدوا من وقوع الباس بنا كان حقا ولحتمل قوله لقد جئت
رسل ربنا بالحق اى التوحيد الذي جاء به الرسل كان حقا ويحتمل اى الذي
اخبر الرسل عن هذا اليوم كان حقا والله اعلم قوله تعالى فهل لنا من
شفعا فيشفعوا لنا كما هم اذا حل بهم ووقع ما اوعد لهم الرسل تمنوا عند ذلك الشفعا
الذين كانوا العبدونهم في الدنيا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ويقولون هو لا
شفعا ونا عند الله وانما تمنوا ذلك لما كانوا اساءوا في الدنيا يطلب الشفعا
اذا بوي لهم امر اعظم فيشفع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا فعلى ذلك منوا في الآخرة
ذلك فاذا ايسوا ذلك وايقنوا ان لا شفيع لهم فعند ذلك قالوا او نود فنعمل غير الذي
كان فعل لا انهم قالوا مجموعا كقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا اى قوله
ولورد والعدا والمياه واعنه ثم اخبر انهم قد خسروا انفسهم يعلم الذي عملوا في
الدنيا وعبادهم غير الله وصل عنهم ما كانوا يفترون اى يطل عنهم ما كانوا يفترون
ان هو لا شفعا ونا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغير
ذلك من الافتراء فقد بطل ذلك كله عنهم وبقوا حيارى وانقطع رجاءهم وطمعهم
وقيل خسروا من رحمة الله وقيل خسروا بما وعدوا الواعوا اهلكوا والله اعلم
قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ذكر وما بينهما في مواضع ولهم
يذكر وما بينهما في مواضع وذلك داخل في ذلك على ما جرى التقسيم في ذلك بقوله
قل اينكم لتلقون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين الذي صنع ذلك ثم قال وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر دامنه وقال في اربعة ايام سوا للسايلين
ليعلم ان ذلك خلق في يومين ثم قال ثم استوي الى السماء اى قوله فقضيت سبع
سموات في يومين فتصير الستة الايام التي ابهمها في غير ذلك والله اعلم ثم قد
بين عز وجل فساد قول كل من عبد غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجهه بعبادة
وحز وجهه عن الاستحقاق بما فيه من آثار التدبير وعليه من دلالة التقدير

واستحقاق جميع معان الخليفة ودخوله تحت الصفة وحاجته الي من احتاج اليه
كل ما هي التي تبعت علي العباد ووجب اظهار الدلة والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة
والجود فالذم المذموم المذموم الي من يذلهم الي الرب الحق ويدعوهم الي المعبود المتقالي
عن الاشياء والا صدق ما يوجب الشبه والمساكنه وفي وجوب ذلك دليل جاعل
أخر جعل شكل وذلك آية الصفة ودلالة الحدث وفي تحقيق الصدق خوف ذهاب
وفساد فيضمحل الالهية وتستوجب حق الدخول تحت التقدير والقيام علي ما شاء
من له التدبير جل الله سبحانه عن توهم ذلك فاعلم من بعثته الحاجة الي معرفته
ودفعته الخلقة الي العلم من انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه لما ركب فيه ما به
يبدو امر غيره وبه يعرف قد راعى نعم عليه لمن اكرمته به ليشاركه فيما اولاه ونجده
علي ما اعطاه فمن باظهار ذلك علي لسان رسول الله الذي عرف خلقه بالنسب من ادلة
صدقته وانار من حجج عصمته عن الكذب صدقه فيما يتبناه وايضا بانه فيما اخبر فقال ان
ربكم الله اي الذي لا رب لكم سواه ولا احد من الخلايق هو الله الذي لا اله غيره لوجه
اليه العباد في الحقيقة ولتودوا اليه شكرا ما انعم عليهم وان كانت نعمه اعظم من ان
تشكر بالعبادة وحقه اجل من ان يقوم به العباد ولو ان الله تعالى لم يرد من البياين
علي ربوبيته والدليل علي الهيئته سوي ما انطق به لسان رسوله بعد الايضاح انه
لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق كان ذلك بيانا شافيا لكنه بفضل رحمته
بين الادلة التي تحقق ذلك ونظم انه كما جاز به رسوله الا ان يفاند الحق ويكابسر
العقل فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الي آخر ما ذكر من دلالة خلق
ما ذكر فيها ذكر من آثار التدبير وعجيب التدبير الذي به قوام كل من عظم المنافع
والمضار والفضل ما بين السماء والارض علي تباعد بعض من بعض في المنافع مع جميع
الاضداد التي من طبعا التناقض في اصل ما ذكر حتى صار تكاليفها بعد ان كانت
السموات والارض مستبهم لا تشعروا بينهما من الحكمة ولا بالذي بينهما من الآيات
من اي وجه لتعني الحاجة ليدل ان مدبر الكل واحد وانه عليم حكيم وضع كل شيء
موضعه ودل كل ذي عقل علي الوجه الذي يظهر حاجته ويقوم به اوده ويصل الي
بغيته وسخر الذي ذكر قصير كلاً من ذلك خاتماً ابداعاً لا ينفع هو به ولا مضرة
عليه فيه يعلم انه لغيره قدر ولحاجات غيره سائر وكذلك جعل علي النار وامسك
عن الزوال من غير ان كان له في حقيقة احد الوجهين نفع او ضرر يعلم ان تدبير

ذلك جبري لاله ولكن لاهله الممتحنين الذين لم يظهر العذر والشر وسبل الجود والكرم
وعظم الملك والسلطان اذ عندهم تمييز الاحوال وتقدير الامور وروحيه كل الي
حقه واعطاء كل ذي فضل فضله ليعلم من هذا وصحة لم يتشاعشا ولا خلق باطلا
اذ به يعظم قد وكل خلق ويشرف جلاله كل جليل لم يجد ان يمل مثله فكون خلق
الجميع ليعير شي مع ما في ذلك من فناءه وتبدله الذي في الحكمة والعقل قصد مثله
عبرت ثبت انه خلق للمحنة ولدار البقاء ولكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون
البقاء هو المنتهي فيعظم القصد في الابتداء اذ فاسد ان جعل المحنة للبقاء فذلك
علي حاجة الممتحن مع ما في ذلك زوال الجزاء اذ حال تقديمه علي ما له الجزاء
والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى جعل العقل جزاء من عالمه وجعله دليل
لاهل في معرفة الحاسن والمساوي وعلم التمييز بين الحكمة والسفه وبين
الابقان والعبث وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه
من المذمور عنه فلم يجد ان يكون انشاء كل العالم علي غير الحكمة لانه سفه وهو
بالذي جزى من العالم يعلم الذم من الجهل ست انه انشاء للحكمة وعلي ذلك تقدير كل
عقل علي احتمال ما يصوره وينفعه خلق الجزاء والمحنة خلق الجزاء والمحنة ثبت ان ذلك
للمحنة وان المحنة به الملاك بلا جزاء ولا نفع للممتحن عبث ايضا وسفه فليزم به القول
بالعبث والاثبات دارين معاً كان لكل شاهد دليل غائب لحمد عليه او يذم وكذا قيل
كل ذي عقل انما مولاه فليحمد عليه او يفضله عنه فيذم عليه فعلي ذلك امر تدبير هذه
الدار من اخري ولا يجوز ان تخلي الجملة عن الدلالة فلا تخلوا كل جزئ منها او جملة الافعال
عن العواقب والواحد منها اذا خرج ليعير عبثا وسفه فثبت بالذي ذكرت القول
بالنوحيد والدارين والرسالة اذ بها يعرف العواقب بما هي غائية وحقايق كل غايب
تقدم بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم لا دلالة علي ما ينة الجزاء ولا الشكر ولا العبادة
انما الدلالة من حيث التدبير علي العلم بها جملة لزم القول بالرسول ولا موقاة الا بالله ثم قوله
في بيته ايام لحتم وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي يكون غير هاتين القول عن ذلك
والا انقلاب ولحتم علي خلق كل شيء قايما علي تركيب هذا العالم الي ان يبدل بعالم
آخر لا يبيد ولا يعنى فان كان علي الاقل فهو الستة من السبعة التي عليها مدار المدد
والان منه اذ جعل جل ثناؤه جميع ما ذكر من الخلايق تحت الان منه والاولا ست
يدول بدوال مددها وكذلك عند ناكل الحوادث اذ لكل منها بد ايضاً ذلك وقت

ابتد آية وذ لك ينقض على الباطنية قولهم المبدع الاول لا يقع في الزمان والمكان وانه
 لا مبدؤ ولا يفتي ولو كان كذلك لم يكن مبدعاً ولكن كان قد يما لا يقع عليه الابداع
 فلما وُتت ثبت له البدي فحب وصفه بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا مغلول
 عندهم وعلته فيه وهو الابداع بما لونا الت علته لباء واذ اثبت انه معلول ثبت ان
 ٥٥ علة اوجبه فاحد ثمة بعد ان لم يكن فوجب له وقت به كان او كان فيه والله اعلم
 ثم على هذا كان ذكر النساء ما ذكر من الايام الستة ولم يذكر في ذلك مما تحتمل فيشبه
 ان يكون وقت كون المختارين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك واستوي على العرش
 وهو الملك اذ لم يكن قبل ذلك من له التميز ومعرفة الملك والسلطان وقد العلم
 بالمحامد والمعالي واصداد ذلك انما يكون اوليك الذين ركبتم فيهم العقول والكرمو
 بالتميز وبامثالهم جعل العالم وهم المقصودون من الانشياء لذك جعل كل شي سواهم
 مسخرة لنا فهم داخله تحت افهامهم تدبير اكثر ما احتمل ذلك ليعلم انهم قصدوا لانفسهم
 اول معرفة ما عليهم من النعم والعبادة وكان بهم ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر
 بالاستواء اذ هو وصف بالعلو والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقدر وهو قوله
 ولما بلغ استواء واستوي آتينا حكماً وعلماً وذلك معني الاستواء على العرش من حيث
 ظهور الملك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين والله اعلم وان كان
 التناويل هو الثاني فهو خارج على وجهين احدهما ما قال بعض اهل التفسير ان
 كل يوم من ايام الآخرة وذ لك الف سنة لم يبين لنا مقدار ذلك فجأيز ان يكون
 منتهي تدبير هذا العالم الي ذ لك سنة ايام معني ستة الاف سنة على القدر
 الذي قدره الله تعالى لم يكون اليوم السابع هو يوم القيامة لا متداً ولا ينقض
 فيه تبدل العالم ويقتدر كل مختن له بالملك والجلال وان كان كذلك في الان في
 ذ لك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبار وعينه على نحو
 ما قيل لمن الملك اليوم الآية وقيل وبرزوا لله جميعاً وقيل الامر يومئذ
 لله ونحو ذ لك على ان الملك له ابتداء وكذا لم يكن لغيره شيء لكن ذ لك مما يعلم كل
 انه كذلك فبذلك يتم ظهور كل معني من ذ لك وان كانت حقيقته موجودة مثل ذ لك
 وبالله التوفيق وعلى ذ لك القول حتى يعلم المجاهد منكم والصابر منكم ونحو ذ لك
 انه اذ ذ لك يظهر لكل معلومة واصنيف اليوم بحرف الابداء وهو عن ذ لك متعال
 فعلي هذا جميع ما يتناو بذ لك ظهور تمام شعايط الملك والاعتراف من الكل

بذ لك والله اعلم والثاني ان يكون تلك الايام الستة على ما في علم الله تقديرها
 لا يعلم احد سواه الا من طريق الجملة التي ادي وقد بين يوماً الخمسين الف
 سنة ويوماً كالف سنة حده لا يعلم غيره ثم كان يوم السابع يوم تبلى السما
 ويتبع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم الاول فكون ما ذكرت
 ٥٦ من تمام الظهور والله الموفق وعلى هذا الوكيل ان الله تعالى قال يجلون العرش على
 عرش ربك فوهم يومئذ ثمانية فكيف حملهم على الملك فيقال لهم ليس المراد من هذا
 العرش ما هو المراد في قوله الرحمن على العرش استوي اذ جأيز ان يكون هذا
 هو السرير المعروف المنشأ من النور وبما شاء ليكرمه اوليائه يوم القيامة والاول
 هو الملك الذي ظهر تامه وعلوه على ما بينا والله اعلم ثم لو كان العرش المذكور
 قوله الرحمن على العرش استوي هو ما فهمه اهل التسييه من مكان لم يكن ليجب
 ان يفهم من الاستواء عليه الاستعداد وان يكون لله تعالى مكان بوصف بالكون
 فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان وان حل قدره وعظم خطره ورفع
 ولا بناءة فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الي مكان من جهة
 الممكن فيه والقدر منسوب الي استغناءه وحاجة منه اليه جل الله عن ذ لك
 على انه لا يخلو ايا ان يكون العرش مثله او اعظم منه فيكون له عدلاً في
 العظمة وايمان يكون دونه ومن الشخف الجلوس على مكان لا يطيق به او يقصر
 عنه مع ما قد يجوز ان يراد فيه اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى بل كان
 ولا مكان فهو على ما كان تعالى عن الاستحالة والتغير له اذ هذا اثر الحدث
 واما رة الكون بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه كان فهو باضافة الله
 تعالى الي العلو عليه تعظيماً له وعلى ذ لك كل شيء يضاف الي الله تعالى او اليه
 من جهة الخصوص فهو على تعظيم ذ لك لا على ان يفهم منه ما يفهم مثله من الخلقة
 نحو القول بان المستاجد لله وناقة الله ونبوة الله وحده والله ونحو ذ لك فما بال
 المشبهة فضمت من اضافة الاستواء على العرش المعني المكروه على احتمال الاستواء
 معاني سيوي الذي ذكرنا اذ كان يقال استوي ثم واستوي قصدوا استوي
 علا واستوي استقروا واستوي استولي فاذا كان معناه يتوجه الي هذه الوجوه
 لم يحتمل ان يكون احد يقدر من ذ لك اذ ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل
 بوجوه الاصل ان الاضافات الي الاشياء يفترق المقصود بها وان كان ظاهراً يخرج

واحد باختلاف من اليه القصد بالاضافة والاضافة جميعا يقال جاء الحق وجاء فلان
 وببيت فلان وبنت الله وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
 وقال في النسفة او ليك اصحاب النار ونحو ذلك لا يفيهم في المعنى واحد فالاستواء
 الذي يتوجه الي وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قيل في قوله ثم استوي على العرش
 بوجه احدها ما قال ابو بكر الا صم هو على المقديم والثاني خبير كانه قال ان ربكم
 الله الذي استوي على العرش ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوي
 على العرش كقوله من نفس واحد ثم جعل منها زوجا بمعنى قد جعل منها زوجا
 وعلى هذا ليس في قوله ان ربكم الله الذي استوي على العرش السببه التي في
 الاقل كما لم تكن في قوله ولو ترك اذ وقفوا على ربه اذ اصراف الي عند شبهة فيكون
 قوله وقد استوي الي خلق العرش كقوله ثم استوي الي السماء بمعنى ثم خلق السماء
 او قصد خلقه ونحو ذلك والله اعلم وقال الحسن ثم استوي على العرش اي
 استوي عليه امره وصنعه اي لم يختلف عليه صنع العرش وامره وان جل امر
 غير وصنعه وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء الامر في
 التدبير والصنع والله اعلم وقال الحسن معناه استوي على العرش كما يقال
 استوي فلان على بغداد بمعنى استوي والله الموفق وقال قوم معناه استوي
 عليه وهو فوق كل شيء في القدرة والعظمة تعظيما له على غير اختلاف عليه
 في التحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكرنا بان الامر كله يوم القيمة له والمستأجد
 له على التفصيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك والله اعلم وقال قوم
 اذا كان العرش فوق كل شيء في تقدير المعارف يقال هو علاة بمعنى لا يوصف
 في الخلق ولكن على ما كان ولا خلق ولا قوة الا بالله ونحن نقول وبالله التوفيق
 قد ثبت من طريق التنزيل القول بانه استوي على العرش وقد لزم القول لانه
 ليس كشيء شيء وعلا ذلك اتفاق القول ان لا يقتدر كلامه بما عرف من كلام خلق
 ولا فعله به ولا علمه ولا ما قيل هو رب كذا او مالك كذا الا يراد به المفهوم من الخلق
 لكن الوجه الذي يليق به وما يوجب حق الربوبية فله في الاول ثم يلزم تسليم
 المراد لما عنده اذ لم يبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول
 بالمكان يفسد بالذي تحت بوجه احدها ان قوله ثم استوي على العرش اخبار
 عن فعله الذي يضاف اليه في خلق الخلق على اختلاف المخرج في القول وتفاوت

٥٧

الالفاظ

الالفاظ نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة مطر ومرة جعل وانزل وابنت وكتب ونح
 واعطاء والنشاء وهنود ذلك من الالفاظ وحقيقته ذلك انه خلق اذ ذلك معني فعله
 في الحقيقة وعلى ذلك كون وفعل وامر في بعض المواضع ثم يجب بوجه كل واحد
 من هذه الالفاظ الي الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا ان يهدي واضل ٥٨
 وزين واقفن واحكم ونحو ذلك وكذا في قوله ثم استوي على العرش يجب
 ان يقابل ذلك بخلق اذ هو اضافة الي فعله ثم يخرج على وجهين احدهما ثم خلق العرش
 ورفعوا واعلاه بعد ان كان العرش على الماء كقوله وكان عرشه على الماء وكقوله
 ثم استوي الي السماء وهي دخان وليس به منتقل من حال الي حال اذ لو كان كذلك لكان
 يصير حلق اي من الموضع الذي سئل ثم ينتقل من خلق الي خلق فيما خلق فيكون في الوقت
 الذي يصير الي العرش صا برا الي الثرى وفي الوقت الذي يحدث خلق ما في الارض وما
 في السماء منتقلا من ذا الي ذا اذ ذلك متناقص فاسد وفي ذلك بطلان معني القول بالاستواء
 على العرش بل يكون ابدأ غير مستوي عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدأ اذ هو في الانتقال
 بعد ذلك متناقص فاسد حل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله
 ثم استوي على العرش اي الي العرش في حلقه ورفعوا واتامه واحتمل ان يذكر على اداة
 اي ادهما من جروف الحمص وقد يوضع بعض موضع بعض قال الله تعالى اذا اكان على الناس
 يستوفون بمعنى عن الناس وقال اذ وقفوا على ربهم اي عند ربهم مع ما قال الله تعالى
 ثم ان علينا بيا نه اي البيا وقال وعلى الله قصد السبيل يعني اليه فعلى ذلك قوله ثم استوي
 على العرش اي الي العرش هو على الماء كما ذكر وكان عرشه على الماء فرفعه واتاه كما كان
 ثم استوي الي السماء وهي دخان لخلق ما ذكر والله اعلم والوجه الثاني ان المذكور
 في الآية من اسم الرب بقوله ان ربكم وخلق ما ذكر بقوله الذي خلق السموات والارض
 في ستة ايام ولستخير ما وصف بقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ونفسية الليل
 والنهار بقوله يمشي الليل والنهار يطلبه حيثما لم يتوهم في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف
 الي الخلق في هذه الاشياء ان فلان ارتب كذا او سخر كذا او فعل وصنع كذا ملحد ولا موجد
 فكيف احتمل قلب السببه في قوله الرحمن على العرش استوي لولا جهله بالله تقديره
 بالذي عليه امر نفسه والله الموفق والثالث ان الناس في خلق الله تعالى الخلق مختلفون
 فمنهم من جعل خلق الله تعالى هو نفس المخلوق دون ان يكون الله تعالى بذاته يلحقه وصف
 سيوي اضافة لخلق اليه في ان كان به اي لم يكن خطا لقنا فصا رقا لانه ليس بوصف

به حتى يكون صفة حادثه تقوم به بعد ان لم يكن وانما يحدث اضافتنا المخلوق اليه فعلي ذلك
قوله ثم استوي على العرش انما هو ما ذكر من غير ان كان الله لم يخلق وصف لم يكن له
فجبت انكاره لما يقتضيه حدوث الاشياء الذي هو صفة اداة الاستواء ليس غير
المستوي عليه فلا يودي الي القول بحدوث صفته وتغيره وتبدله من حال الي حال
ومنه من يراه خالقاً بذاته في الازل ليكون جميع الخلائق الي الابد بتكوينه الذي يعبر
عنه بقوله كن من غير ان كان به كانت او نون علي كون كل شيء عليه به من غير تغير عليه
ولا زال عما كان عليه اذ لا شيء غيره اذ كل معنى او حقيق او جبر تغيراً عليه اور والافاق
ذلك فانه يحل عنه ويتعالي اذ ذلك علم الحديث واما رة الغيرية ولا قوة الا بالله والرابع
وهو ان الذي يري فعله علي ما عليه فعل المخلوق من التحرك والزوال والسكون والقرار
فكون اضافته العرش اليه بمعنى الاستقرار وخصيصه بكان دون مكان وحال دون
حال محالاً فامد ذلك بطل القول بالمكان في جميع الاقوال ولا قوة الا بالله واما الذي
ذكرت ما ختم به الآية من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته بالربوبية بالتعالي
من جميع معاني الربوبية اذ من حيث الشاكل يوجب خروجاً من ان يكون رباً والاخر
من ان يكون ربوباً فاذا ثبت ان كل شيء من وجهه مربوب ثبت سبحانه نيتته من كل وجه
والله الموفق ثم قوله خلق السموات والارض في ستة ايام على وجهين احدها باضمار ما بينها
علي ما جري الذكر به في غيره نحو قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام حتى يكون الايات علي المواقفة اذ الله تعالي في مخالفة الاختلاف عن كلامه بقوله
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً والثاني فيه اخبار وبيان لا ابتداء
وقت الكون للعالم وجميع المخلوق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما الي الانتهاء لا علي
لحقيق ذلك كله في كل وقت كما يقال بن فلان الدارين شهر كذا لا علي احاطة كلية اجزاء
الشهر بكنية ذلك لكن علي بيان ابتداء كونه الي الانتهاء والتمام لشدة معنى قوله في ستة
ايام ومعنى التوقيت بالايام ليس الي الحاجة الي ذلك فان فعل الله تعالي لا يقلل له بالوقت
تقدير افعالنا لان الوقت داخل في جملة المخلوق لو كان خلقه الاشياء يقتضي ان ما ناولنا
لكان خلقه الزمان يقتضي ان ما ناولنا آخر فيؤدي الي ما لا يتناهي لكن ذكر التوقيت
يخرج لوجه وان كان الله تعالي قادراً علي الشايع ما ذكر بدفعه واحدة وجهان
ما ذكرت احدها انه ذكر الايام لما عليها مدار مدد المخلوق واصول ما عليه يعني الاعمار
والثاني علي بيان منتهي العالم وهو ستة ايام اريد لها ستة الا سنة علي ما ذكرنا

والثالث في ذكر الايام احب وان المخلوق كله تحت فقر الزمان وداخل فيه مع علو
درجات كبر منهن وجلاله اقدارهم في الاعين حتى لا احد ينظر اليهم الا بعين
الاجلال والتعظيم وحتى قام بكبر منهن امر تدبير العالم وسياسة المخلوق وحتى
عبد دون الله تعظيماً معانيه من دلالة خروجه عن الاستحقاق وهو سائر الحدوث
واما رات النقص فصورهم الله تعالي داخلين تحت الزمان منه والمدد مقهورين
بها حتى لو اريد بكل جهد وحيل اخراج شيء من ذلك او بتدليل بعض ببعض من
تبدل الشتاء بالربيع او الزيادة في البعض دون البعض او لظلم الجبابرة عن
بعض ذلك حتى لا يلحقهم ضرر حر الصيف او برد الشتاء لما تقيا لهم ليعلم ذلك المخلوق
واما رة الحديث وعلامة الحاجة فكان بيان ذكر الايام لدخول المخلوق في فترها وانه
لا مخلص لاحد منهم عن ذلك ثم كانت الاوقات مترادفة متتابعة لو اسقطت عنها
الاولية لبطل الكل ولما تجاوز الحساب عن الواحد ولما انتهى الي ما هو بعد لما
معني ليعلم به اولية كل شيء من العالم وحدته مما جعلت الايام تذو علي امر واحد
وسنن واحد بها حاجة لجميع المحتاجين من ذلك ولذلك صنعت لها اسماً
معروفة من الايام والسهور والسنن ونحوها حتى يتحقق قصد كل منهم علي
الاشارة اليه باسمه المعروف به ليحفظ فيه المواعيد فينجزها ويعلم به ما يجب له من
الحقوق الموجهة وما تبطل بانقضاء ذلك الوقت وجوده ولو كان قد يالكات
واحداً لا يشمل الانقضاء والتحدد لم يتحقق قضاء هذه التجوآج وبالله التوفيق به
ثم الاصل اذ جعلت هذه الدار دار المحنة والمحنة انما تكون مختلف الاحوال جعلت
الاحوال مختلفة من محموت وحيوة وصحة وسقم وغنا وفقير وفي جميع المخلوق علي
حال واحدة منها يكون جهلاً باصدا دها فان من دام علي الصحة يكون جاهلاً
عن المرض فلا يتم له شكر الصحة وفي ذلك الجهل بالذات والالام فيجب بذلك
اختلاف الاحوال تكميلاً للشكر وعلي ذلك امور الارزاق من السعة والضيقة
وغير ذلك فعلي ذلك امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة لتحقيقاً للامتلاء ثم لجمع الكل في البعث
بمرة واحدة وفي حال واحدة اما حال اللذة ان كان من اهل الجنة واما حال
الشدة والتعب ان كان من اهل النار دون اختلاف الحالين في حق كل فريق
كما في الدنيا اذ ليس ذلك وقت الامتحان انما هو وقت المجازات معاً كان اختلاف
الاحوال اقرب الي الدلالة واوضح في المحنة وكذا لك ارادته من هذه الدار الزام المحنة

وأظهر المحنة والكلمة فكذا من اختلاف الأحوال الذي هو بعض العالم إذا العالم هو اسم
جميع المحدثات والله الموفق والأصل أن العقول النشأت متناهية لتقصير عن الإحاطة
بكلية الأشياء والأفهام متناهية عن بلوغ غاية الأمر وهي من أجزاء العالم
الذي هو بكتيته متناهي وأسباب الإدراك التي يدرك بها المشاعر التي تعجز
عن كنه ما يقع عليها من الظواهر فضلاً عما استتورت منها وإذا كان هذا وصف ما
يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الإحاطة بالحكمة الموصوفة في البشر فمن
رأى الإحاطة بها أو بلوغ حكمة الربوبية من غير إشارة وتنصيص من الله تعالى
فهو يظلم العقل ويحتمل عليه ما يعلم عجزه عنه ومعلوم أن مذكور من الأيام فخلق
ما ذكر حكمة بالغة وإن قصرت العقول عن الإحاطة إذ الذي قدرها هو الذي
حمد الحكمة وأوجب لأهلها الفضل والمجدة وذم السفه وأهله فأوجب التقدير بذلك
تحقيق الحكمة وإن لم يبلغها الامتداد ما يكرم به وبالله التوفيق **قوله** تعالى غيثي
الليل النهار يطلبه حثيثاً أي يذهب بصور النهار وظلمة الليل إذا جاء هذا ذهب سلطان
الآخر **قوله** تعالى يطلبه حثيثاً قيل سرعان عجيب قدرته ثم هو أن الله يظهر
النور في ابتداء النهار من طرف من أطراف السماء والظلمة في أول الليل ثم ينشئ ذلك
في أطراف السماء والأرض وما بينهما من جميع الآفات والجواب في قدر لحظه بصور وطرفة
عين ما لو أراد تقدير ذلك بالهندسة والجميع ما في الخلق من المقادير ما قدره
عليه ليعلم أن الله تعالى على ما يشاء قادر وإنه لو أراد أن يخلق ما ذكر أنه خلق في
سته أيام لقادر أن يخلق في طرفة عين لكنه خلق في ستة أيام بحكمه في ذلك والله أعلم
ويعلم أنه القادر على البعث وجميع ما جاءت الرسل بالخبر عنه على أنه ليس وجه
كلية الأشياء الستة وجليها بطرفة عين بالتدبير والعلم الذي له بما يوجب ذلك مما
يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلاً عن أدراكه ليعلم أنه يعلم عن يزل يعجزه شيء
حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة إلا بالله وقرب من ذلك
ما جعل من جوهر الإنسان من البصر الذي يبلغ به من غير أن يزول عن مكانه
منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار وبصر به المعاد والمعاش والعقل الذي
يعرف حقائق من غاب عنه وحضر ما له صورة أو طيئة أو أحدها وما ليس
له واحد من الأمرين على قصور الحواس عن أدراك صورة شيء لا طينه له ليعلم أن الذي
قدره على قدر مثله في جوهر واحد وعلم وكيف يضع ليعمل ذلك العمل قادر على كل شيء

حكيم عليم وهذا معني ما قيل أن الإنسان هو العالم الكبير مثال ولا قوة إلا بالله ثم قوله
يطلبه حثيثاً لا يكون بما ذكر طلب حقيقته لكن ذكر الطلب لأن ما كان من كل واحد منهما
لآخر لو كان من يكون له الطلب كان طلباً وهو ما من غلبة كل واحد منهما صاحبه وهو ما
ذكر في قوله وغد تهم المحبوة الدنيا أنها انشأت على هيئة وجهه لو كان ذلك من يكون
منه التقدير كان عز وراً فلي ذلك هذا والله أعلم **قوله** تعالى والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره سخرهن بالسير فيما يرجع إلى منافع الخلق وجعل فيهن آية
لولا البيان لم يكن يصدق به أحد من كذب البعث والرسول إذ خبر الواحد عن سيرهن
في اليوم الواحد مسره أكثر من ألف سنة وقد جواهر معونه من تبعده عنه مقدار
خمسماية عام ونفخ كل شيء وسلاحه به بعد عن احتمال القول من إعادة شيء بعد
الفناء أو إرسال الرسل بأعلام ما خفي من المصالح والأموال إذ ذلك أمر متفالم في
صنيع الخلق معاني وذلك بعث بعضهم بعضاً بالرسول لأجوان مقاصده وأغراضه
ومعاني عود الليل والنهار بعد الانقضاء والفناء لكن الله تعالى أظهر لهم من قدرته
وعظم حكمته عياناً بما بسط لهم الأرض بخلقها وسعتها ورفع عليها السماء بغير عذر ترك
وأفلاكها من ذلك الحاجة أهلها إلى قرارها وشرفها بالتسخير ما ذكر من الشمس والقمر
والنجوم لحاجة أهل في تسخير ذلك ليعلم أن لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر ولا يدخل
في تدبيره عوج في خلق تفاوت وإن الذي إذا قبل بالذي أو عد ليضاعف عليه
بوجوه له معاً كان الذي أظهر هو أبداع على غير احتراز أو الإعادة لا والله الموفق
وقوله بأمره قال أبو بكر كختم وجهين أحدهما أنه أمره كما يقال أي أمر الله أي الموت
والعذاب ونحو ذلك على إرادة ذلك الذي نزل به والثاني أي يطلعن ويغدين بأمره
بتوحيد الله والإيمان به أي طلوعها وعزوبها بما فيهن من عجيب الحكمة ورفع التقدير
إمارة ودلالة على توحيد الله والإيمان به بمنزلة الأمر لذلك قال بأمره وقال
أحسن أي بأمره الذي كونه الأشياء به وهو قوله كن وهكذا قال بعضهم بأمره
أي بتكوينه أي أنشأها وكونها مسخرات لهم ينفعل أي بهم قال الشيخ رحمه الله فالقول
الأول قول من لا يري خلق الخلق غير الخلق والثاني قول من يري ذلك وهو الصحيح
فإن قوله كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق أبدأ لا بد من غير أن كان به
في الحقيقة كاف ولون لكنه أقصر ما يفهم منه المراد من الكلام ذكر هذا عبارة دالة
على نفي الصعوبة عن نفسه في التخليق واجباتاً عن تفسير ذلك عليه وذلك الحقيقة

غير المكون والمخلوق اذا خبر انه كان به الخلق حيث قال كن فيكون وكل شيء يكون بشي
في المتعارف من القول وغيره يكون غيره قوله تعالى الا له الخلق والا مر
في الامروجهان احدهما هو اخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن حقيقة
الامر في خلقه بما يشاء لا يرد شي من امره عن الوجه الذي امر من ندب او وجوب
والله اعلم قوله تعالى تبارك الله رب العالمين اي تعالى الله عما فهمت المشبهة
من قوله ثم استوي على العرش قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية قال
بعضهم ادعوا ربكم اي اعبدوا ربكم وهو كقوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابد الدعاء وفي آخيه العبادات فكان الامر
بالدعاء امراً بالعبادة وقال بعضهم المراد ههنا حقيقة الدعاء وقد جاء في الحديث ان
الدعاء مخ العبادة لان العبادة قد تكون بالتقليد والدعاء لا يحتمل التقليد ولكن انما يكون
عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة اليه والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يرفع
الي ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعضهم ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم تضرعاً
وخفية تضرعاً اي خضوعاً وخفية اي اخلاصاً وقيل تضرعاً ظاهراً وخفية سراً
واصله اي ادعوا ربكم في كل وقت وساعة اي ادعوا خاضعين مخلصين وقوله انه
لا يحب المعتدين قيل اي محاورين الحد بالاسرار بالله وقيل لا يحب الاعتداء
في الدعاء لخوف ان يقول اللهم اجعلي نبياً او ملكاً او انزلني في الجنة منزل كذا في موضع كذا
وروي عن عبد الله بن المغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسئلك الفردوس واسألك
كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة ونفوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله عليه
قال سيكون قوم يعبدون في الدعاء والطهور وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم
تضرعاً وخفية علمكم الله تعالى كيف تدعون ربكم وقال لعبد الصالح حيث رضى دعاءه
اذ نادى ربه ندأً خفياً وقال انش رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمل البتة كله نصف العبادة والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا
ربكم تضرعاً وخفية الى حقيقة الدعاء وقال يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعاء
ويروون في ذلك حديثاً عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سمع قوماً يرفعون اصواتهم
فقال ايها الناس انكم لا تدعون اسم ولا غائباً ولكن كذا ولحنه الاعتداء في الدعاء
ان يسأل ربه بما هو المجاوز عن الحد الذي جعل به قوله تعالى ولا تقسدا
في الارض بعد اصلاحها قال بعضهم بعد اصلاحها اي بعد ما بفت الرسل باصلاحها

من الدعاء الى طاعة الله والعبادة له ويأمرون بالحلل ويهتدون عن المحرم وقال بعضهم
ولا تقسدا واني الارض بعد اصلاحها اي بعد ما خلقها ظاهرة عن جميع انواع المعاصي
والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك وقيل بعد اصلاحها اي بعد ما اعطاكم
اسباباً لتدبرون على الاصلاح وبما به تملكون اصلاحها وجائز ان يكون المراد
باصلاح الارض اهلها اي لا تقسدا واهلها وهو كقوله وكاين من قرية عنت عن
امر ربها والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها قوله تعالى وادعوه خوفاً
وطمئناً وقال بعضهم خوفاً لما كان من العبادة من التقصير وطمئناً في التجاوز والقبول
لانهم لا احد قد ران يعبد ربه حق عبادته لا يقصرون في ذلك وعلي ذلك روي
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله وقيل
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان تغفر لي الله برحمته وعلي ذلك ما روي
ان الملايكة يقولون يوم القيمة ما عبدناك حق عبادتك وبحب علي كل مؤمن ان يكون
في فعله خائفاً راجئاً الخوف للتقصير والرجاء لكمال رحمة وقال بعضهم خوفاً
من عذابه ونعيمه وطمئناً في جنته قوله تعالى ان رحمت الله قريب من
المحسنين قال اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقرب
الوقوع فيها والنزول وحتم ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة
رحمة الله قريب من المحسنين وقال الحسن ان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخائفين
وقال بعضهم ان رحمة الله اي اجابة الله قريب الي من استجاب دعاءه ثم قوله من
المحسنين لحتم المحسنين الي انفسهم والمحسنين الي خلقه او المحسنين الي نعم الله
اي احسنوا صحبه نعمه بالقيام بشكرها واجتناب الكفران بها ولحتم ان يراد
بالمحسنين الموحدون والله اعلم قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح
بشراً بين يدي رحمته فترات فترات نشراً ونشراً وبشراً فالنشر هو جمع
النشور وهو من الاحياء والنشر من التقريظ اي يفرق الله تعالى ولبسوت
ذلك السحاب وقيل الريح ترسل وتسوق ذلك السحاب والبشور من
البشارة قوله تعالى حتى اذا اقلت سحاباً ثقالاً قيل اقلت حملت وقيل رفعت
الما وهي واجد قوله ثقالاً اي ثقالاً ما فيه من الماء قوله تعالى ستقنا
لبلد ميت اي الي بلد ميت قوله تعالى فانزلنا به الماء اي انزلنا بالبلد الماء
قوله تعالى فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات اي من كل ما

تَشَاءُونَ مِنَ الثَّرَاتِ قَوْلَهُ تَعَالَى كَذَلِكَ مَخْرُجُ الْمَوْتِ أَيْ كَمَا أَخْرَجَ الْبَنَاتِ وَالْثَمَارِ
مِنَ الْأَرْضِ وَالْخَيْلِ بَعْدَ مَا تَقَاتُوا وَذَهَبَ اثْرُهَا كَذَلِكَ مَخْرُجُ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا تَقَاتُوا وَذَهَبَ
اِثْرُهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ قَوْلَهُ تَعَالَى لَقَدْ تَذَكَّرْتُمْ وَتَتَفَكَّرُونَ وَتَقْرَفُونَ قُدْرَتُهُ
وَسُلْطَانُهُ عَلَى الْأَحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقِيلَ تَذَكَّرُونَ أَيْ تَتَعَذَّلُونَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
هَذِهِ الْآيَةِ حِكْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَنِعْمَةَ لِحُجَّتِهَا عَلَى الْكَفَرَةِ بِالْبَعْثِ وَالْأَحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ
أَمَّا حِكْمَتُهُ فَبِمَا رَسَلَ الرِّيحَ وَلَسَقَ السَّحَابَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُمْطَرُ
فِيهِ مَا لَمْ يَبْقَا يَنْوِذُكَ وَشَاعِدُوا مَا عَرَفُوا أَنَّ يَرْسِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَكَيْفَ
يَرْسِلُ الرِّيحَ وَلَيَسُقِ السَّحَابَ وَبِذَلِكَ تَذَكُّرُ حِكْمَتِهِ أَبَاهُمْ وَأَمَّا نِعْمَتُهُ فَبِإِسْقَاتِ
السَّحَابِ بِالرِّيحِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ حَاجَةٌ إِلَى الْمَطَرِ فَيَرْسِلُ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَطَرُ
وَذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِرَحْمَتِهِ لَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَوْجِبِينَ ذَلِكَ
وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ هُوَ مَا ذَكَرَ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَرْضِ وَأَخْرَاجِ الْبَنَاتِ وَالْثَمَرِ
بَعْدَ مَوْتِهَا لِيَعْلَمَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَحْيَاءِ الْمَوْتِ وَبَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عَلَى مَا قَدَّرَ عَلَى أَحْيَاءِ
الْأَرْضِ بِالْبَنَاتِ فِيهَا وَلَا ثَمَارَ فَإِذَا أَخْرَجَ الْبَنَاتِ مِنْهَا وَالْثَمَارَ مِنَ الْخَيْلِ عَلَى مَا أَخْرَجَ
فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ ذَلِكَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى أَحْيَاءِ الْمَوْتِ وَبَعْثِهِمْ بَعْدَ مَا
صَارُوا تَرَاتِبًا وَاللَّهُ الْمُفَوِّقُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ دَلَالَةٌ أَنْ لَا تَقُمْ مِنَ الْيَدَيْنِ
الْخَارِجَتَانِ فِي قَوْلِهِ بَلْ يَدَايِهِ مَبْسُوطَتَانِ عَلَى مَا تَقُمْ مِنَ الْخَلْقِ كَمَا لَمْ يَنْفُذْ أَحَدٌ بِذِكْرِ الْيَدِ
فِي الْمَطَرِ الْخَارِجَةِ فِي قَوْلِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ لِأَنَّهُ لَا خَارِجَةَ لَهُ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ لَا
يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ لَمْ يَنْفُذْ مِنْ قَوْلِهِ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
الْخَارِجَةَ لِأَنَّهُ لَا خَارِجَةَ فِي الْقُرْآنِ فَعَلِيَ ذَلِكَ لَا تَقُمْ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْيَدَيْنِ الْمَضَافَتَيْنِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ نَهَمَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَنْفُذُ لِسَوِّ اعْتِقَادِهِ وَغَايَةُ جَهْلِهِ إِذَا قَامَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِبْرَازِ
الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ أَنَّهُ بَرِيءٌ عَنْ مِثَالِهِ الْخَلْقِ وَمَعَا سَمِعَ عَلَى مَا قَالَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ لَخُرُجُ بَنَاتِهِ بِأَذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
نَكَدًا إِذْ كَرِهُوا الْمَثَلَ وَلَمْ يَذْكُرُوا الْمَضْرُوبَ لَهُ وَاهْلُ التَّأْوِيلِ قَالُوا ضَرْبُ الْمَثَلِ لِلْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ ثُمَّ خَبِثَ ضَرْبُ الْمَثَلِ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ وَصَفَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخْرَجَ مِنْهَا
الْبَنَاتِ بِالطَّيِّبِ وَوَصَفَ الْأَرْضَ الَّتِي لَا تَخْرُجُ مِنْهَا الْبَنَاتِ بِالْخَبِيثِ فَعَلِيَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ
لَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ مِنَ الطَّاعَةِ لِرَبِّهِ وَالْإِيْتِمَارِ بِأَمْرِهِ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ
طَيِّبٌ وَجَعَلَهُ مِنْ جَوْهَرِ الطَّيِّبِ وَالْكَافِرُ لَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْكُفْرِ

والمعصية للرب موصوفٌ بأنه خبيثٌ وجعله من جوهر الخبيث كما أن الأرض التي تخرج
منها البَنَاتِ الذي يُنْتَفَعُ بِهِ مَوْصُوفُهُ بِطَيِّبِ الْأَصْلِ وَالْجَوْهَرِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَنَاتِ
أَوِ الْبَنَاتِ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ بِهِ مَوْصُوفُهُ بِخَبِيثِ الْأَصْلِ وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ
هَذَا الْقُرْآنَ مُبَارَكًا شَفَاءً لِلْخَلْقِ عَلَى مَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي عَيْنِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ
وَوَصَفَ الْمَاءَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِالْبُورِكَةِ وَالرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ ذَلِكَ الْمَاءُ الْبَارِكُ
فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْجَوْهَرِ مَخْرُجٌ مِنْهَا الْأَنْزَالُ وَالْبَنَاتِ الْمُنْتَفَعُ بِهِ وَإِذَا نَزَلَ
فِي الْأَرْضِ السَّابِغَةِ الْخَبِيثَةِ الْجَوْهَرِ لَمْ يَخْرُجْ لَخَبِيثِ أَصْلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ هَذَا الْقُرْآنُ
هُوَ مُبَارَكٌ وَشَفَاءٌ وَلَيَسْمَعُهُ الْمُؤْمِنُ وَيَتَّبِعُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ وَالْكَافِرُ لَيْسَمَعُهُ وَلَا يَتَّبِعُهُ
وَلَا يَعْمَلُ بِهِ فَصَارَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْبَنَاتِ لَطَيِّبِ
جَوْهَرِهَا وَأَصْلِهَا وَالْكَافِرِ مِثْلُ الْأَرْضِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ مِنْهَا الْبَنَاتِ لَخَبِيثِ أَصْلِهَا
وَجَوْهَرِهَا وَأَصْلِهَا أَنَّهُ ضَرْبُ الْمَثَلِ الَّذِي هُوَ مُسْتَحْسَنٌ فِي الْعَقْلِ بِالَّذِي هُوَ
مُسْتَحْسَنٌ فِي الطَّبْعِ لِأَنَّهُ مَعْرُوفُهُ مَا حَسُنَ بِالطَّبْعِ يَكُونُ بِالْحَسَنِ وَمَا حَسُنَ
بِالْعَقْلِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ حَسَنَهُ بِالذَّلِيلِ وَهُوَ غَائِبٌ فَضَرْبُ مِثْلٍ مَا يَعْرِفُ حَسَنَهُ
بِالْعَقْلِ وَهُوَ غَائِبٌ بِالَّذِي يَعْرِفُ حَسَنَهُ بِالْحَسَنِ وَالْمُشَاهَدَةِ فَلَا يَمَانُ حَسَنَهُ
غَائِبٌ مُرْتَبِطٌ بِالَّذِي طَرِيقُ مَعْرِفَتِهِ حَسَنُهُ الْحَسَنُ وَالْمُشَاهَدَةُ وَهُوَ مَا ذَكَرَ مِنَ
الْبَنَاتِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى طَيِّبِ أَصْلِهَا وَجَوْهَرِهَا وَالَّذِي
لَا يَخْرُجُ شَيْئًا وَهُوَ لَخَبِيثِ جَوْهَرِهَا وَأَصْلِهَا فَعَلِيَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ طَابَ
عَمَلُ الْمُؤْمِنِ وَحَسَنُ جَمِيعِ مَا يَكُونُ مِنْهُ لَطَيِّبِ أَصْلِهِ وَخَبِيثِ عَمَلِ الْكَافِرِ وَقَبِيحُ مَا يَكُونُ
مِنْهُ لَخَبِيثِ أَصْلِهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي ذَكَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ حَسَنُ عَمَلِ هَذَا وَخَبِيثُ عَمَلِ الْآخَرِ
وَقَبِيحُهُ إِنَّمَا يَظْهَرُ فِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ يَفْتَعِضُ وَجُودَ الْبَعْثِ لَا نَهْمًا جَمِيعًا اسْتَوِيَانِي هَذِهِ
الدُّنْيَا فَنَدَلَ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى فِيهَا يَظْهَرُ الطَّيِّبُ مِنَ الْخَبِيثِ وَقَوْلُهُ بِأَذْنِ رَبِّهِ
يَحْتَمِلُ بَعْلِيَّةً وَتَكْوِينِيَّةً وَقَوْلُهُ إِلَّا نَكَدًا قَالَ الْحَسَنُ أَيْ خَبِيثًا أَيْ لَا تَخْرُجُ الْخَبِيثُ
إِلَّا خَبِيثًا وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَمَمُ نَكَدًا أَيْ لَا مَنَفْعَةَ فِيهِ وَقِيلَ إِلَّا نَكَدًا أَيْ عَسَرًا
وَقِيلَ إِلَّا قَلِيلًا وَهُوَ وَاحِدٌ قَوْلَهُ تَعَالَى كَذَلِكَ لَضَرْفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ
أَيْ لِقَوْمٍ يَنْفَعُهُونَ بِالْآيَاتِ قَوْلَهُ تَعَالَى لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَيْ لَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَى قَوْمِكَ وَلَسْتَ أَنْتَ بِرَسُولٍ
لِقَوْمٍ قُلْ لَوْ قُلْتُ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِنَ الرُّسُلِ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَصِحُّ بِالْأَنْبِيَاءِ

والرسل وان لم يعرف انسابهم فانه ذكر الانبياء والرسل باسماهم ولم يذكر انسابهم
ذل ان الايمان به صحيح من غير ان يعرف انسابهم وكذلك يصح الايمان بالانبياء
وان لم يعرف اسماءهم لان من الانبياء من لا يعرف اسماءهم والله تعالى صحيح الايمان
به ومنهم من لم نقصص عليكم وقد وجب الايمان بالانبياء كلهم ذل ان معرفته انسابهم
ليس بشرط وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد فانه اخبر عن رسالة نوح فذل
انه بالله عرف ذل كقول الله تعالى اعبدوا الله فاعبدوا الله اي وحدوا الله
سبقي التوحيد عبادة لان العبادة لا تصح الا بالتوحيد فيها لله خالصا سبقي ذل كحان
ومجوز ان يكون المراد من العبادة ما هو عبادة حقيقة والله اعلم قوله تعالى
ما لكم من الاله غيره اي ما لكم من الاله الحق الذي يثبت الوهيته وربوبيته بالدلائل
والحجج والبراهين من الاله غيره قوله تعالى اي اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان متم على هذا وقال بعضهم المراد حقيقة الخوف وهو خوف اشفاق وذلك
محتمل ان يكون في الوقت الذي كان يطمع في ايمان قومه ثم اياسه عن ايمان قومه
بقوله لن يوم من قومي الا من قد آمن وقوله يوم عظيم اي عظيم على الخلق
كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم على الخلق كما وصف
قوله تعالى قال الملائكة من قومي اي اسراف قومه وسادتهم كقوله انا اطعنا
سادتنا وكبرآرنا فاضلونا السبيلا وكانوا هم اصداد الانبياء والرسل لانهم كانوا
يدعون الناس الى ما يوجب اليهم الشيطان والرسل كانوا يدعون الى ما يوجب اليهم
الله وينزل عليهم لذل قالوا انا لنريك في ضلال مبين لانهم ظنوا ان ما اوجي اليهم
الشيطان هو الحق وان ما يدعوا اليه الرسل ضلال وباطل قوله تعالى
قال يا قوم ليس لي ضلالة ولكن رسول من رب العالمين اي لست بضال
لانه اذا نفي الضلالة عن نفسه فقد نفي ان يكون ضالا وهو حروف لين ورفوت
وعلي ذل امر الانبياء عليهم السلام ان يعاملوا قومهم لان ذل الجع في القلوب
واقرب الى القبول ومحتمل قوله انا لنراكم في ضلال مبين اي لنفي خطا
مبين واخرج علي وجهين احدهما انهم نسبوه الي الضلال والخطا لما راوه خالف
الفراغ عنه والجبايرة الذين كانت همهم القتل لمن خالفهم فنسبوه الي الخطا
لما راوه يعرض نفسه للقتل ظاهرا والثاني في نسبوه الي الخطا لانه ترك دين
ابائه واجدادهم قوله تعالى ابلاغكم رسالة ربي اي رسالته التي امرني بتبليغها

اليهم قبلتم او رددم او عددم او وعدتم لا يني ابلاغها علي اي جال استقبلتموني ومحتمل
ابلاغكم رسالته التي ارسلها الي وقوله وانصح لكم اي ادعوك وامركم الي ما فيه
صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة هي الدعاء الي ما فيه الصلاح والهي عما
فيه الفساد وتكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين روي عن رسول الله صلى الله
عليه انه قال الا ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولرسوله وقال
ابو القاسم رحمه الله النصيحة هي النهاية في صدق العناية ثم اخبر عليه السلام
انه يبلغكم رسالات ربه ولم يبين في ما ذا في كتاب انزله اليهم او يوجي في غير
كتاب يوجي اليهم وليس لنا الي معرفه ذل حاجة سوى التصديق له فيما يبلغ
اليهم وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون اخبرانه قد اتاه من الله العلم باشيائه
لم ياتهم مثله بها وهو كقول ابراهيم لابيه يا ابي ان قد جاءني من العلم ما لم ياتك
ومحتمل قوله واعلم من الله اي العذاب ينزل بكم ما لا تعلمون انتم اذا دمتم
علي ما انتم عليه وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اي تعجبون ما جاءكم ذكر
من الله علي يد رجل منكم ما لا اقدرا انا ولا انتم بتدرون علي مثله وكانوا
يعجبون وينكرون ان يكون رسول الله من البشر كقوله خبرنا عنهم ما هذا
الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لا نزل ملايكة ونحو هذا
كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذل لانهم كانوا قد راوا
تفضيلا لبعض البشر علي البعض وفي وضع الرسالة في الرسل تفضيلهم وقد
راوا ذل كما بينهم والله تعالى تفضيل بعض الخلق علي البعض اذ الله الخلق
والا مريتصرف في ملكه كيف يشاء ولكل ذي ملك وسلطان ان يصنع في ملكه
ما شاء او يقول او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم ولو كان جاء علي من
هو من غير جوهركم كان في ذل لبس واشتباه عليكم لما لا تعلمون احواله
لينذركم عذاب الله ولتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون ان اقيم ما نهاكم عنه
ومحتمل ان يكون في قومه من يجوز ان يرحم عليه قوله تعالى فكلذ بوه يعني
نوحا فيما دعاهم الي عبادة الله ووحدا نيته وهاهم عن عبادة غير الله او كذبوا
فيما اتاهم من آيات نبوته ورسالته قوله تعالى فاجيبنا يعني نوحا
والذين معه في الفلك واعزتنا الذين كذبوا باياتنا اذا كان اهلاك القوم
اهلاك تغذيب وعقوبة نجي وليآه ويقيم الي الاجال التي قدر لهم ويكون

ذلك نجا لهم من ذلك العذاب التي حل بالاعداء وقوله باياتنا محتمل باياتنا التي
جعلناها له لا ثبات وسالته وبنوته ومحتمل كذبوا باياتنا التي اعطيناها اياه
لا ثبات الا لوصية والتوحيد قوله تعالى انهم كانوا اقواما عمن اي عمو
عن الحق قوله تعالى واي عباد اخاهم هوذا الي ارسلنا هوذا الي عباد
وهو ملي ما ذكر في نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الي قومه فعلي ذلك قوله
واي عباد اخاهم هوذا محتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر
واخوة المودة والمحبة واخوة الدين ثم لم يكن بين هو و قومه اخوة الدين ولا
اخوة المحبة والمودة لكن محتمل اخوة النسب لان البشر علي بعد من ادم كلهم اولاده
فاذا كان كذلك فهم فيما بينهم بعضهم اخوة لبعضين كما ولاد رجل واحد يكون بعضهم
اخوة لبعض نسبهم ومحتمل اخوة الجوهر كما يقال هذا اخ هذا اذا كان من
جنسه وجوهره فاحتمل هذا ان الوجهان دون الوجهين الاخرين قوله تعالى
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الي غيره اي اعبدوا الله الذي يستحق العبادة ما لكم
من الي غيره اي ليس لكم معبود سواه بل هو المعبود في الحقيقة فلا تتقون
عبادة غير الله او افلا تتقون الله في عبادتكم غيره و في تكذيبكم هوذا او افلا
تتقون عذاب الله ونعمته عليكم مخالفتكم اياه قوله تعالى قال الملا الذين
كفروا من قومه قد ذكرنا قوله الملا من قومه اي اشرا من قومه وسادته
انا لاريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ذكره هنا ظمهم في تكذيبهم الرسل وفي
وضع آخر قطعوا في التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افترى علي الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين وقد اخبر الله تعالى بذلك كله وهذا في الظاهر اختلاف
وتناقض ولكن محرج قوله وانا لنظنك من الكاذبين كانه في ابتداء ما دعاهم
الي عبادة الله ووجد انبيته كانوا يحاظن فيه لما كان عندهم مد وثا امينا مثل
دعائه اياه الي ما دعاهم فلما ان اقام عليهم آيات الرسالة والنبوة وظهر عندهم
عيب ما عبدوا وعين الله وابطل ذلك وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان
هو الا رجل افترى علي الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ليعلم انهم عن عناد كذبوا الرسل
قوله تعالى قال يا قوم ليس بي سفاهة ان الرسل عليهم السلام كانوا
امروا ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة وهو علي ما امر رسوله حيث قال
له خذ العفو وامر بالمعروف والايه وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة

ونحوه فعلي ذلك الرسل الذين كانوا من قبل كانوا مأمورين بذلك لذلك
قال لهم هو د عليه السلام لما تلقوه بالتكذيب والتسفيه قال ليس بي ما تقولون
تنسبونني الي الله ولكني رسول من رب العالمين ابلفكم رسالة ربي شئتم ام
ايتم وختم ابلفكم رسالات ربي حرمتهم او لم تحرفوني قبلتم عني او لم تقبلوا وختم
ابلفكم رسالات ربي فكيف تنسبونني الي السفه والافتراء علي الله وقوله وانا
لكم ناصح امين اي ادعوك الي وحدانية الله وعبادته والتمسك بالدين الذي
به نجاتكم وكل من دعا آخر الي ما به لجاته فهو له ناصح او محتمل قوله وانا لكم
ناصر امين اي كنت لكم قبل هذا امينا ناصحا فيكم فكيف تكذبوني وتنسبونني
الي السفه ومحتمل امين علي الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي والله اعلم
قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء لخمك وجوها محتمل انه جعلكم خلفاء
قوم اهلككم بتكذيبهم الرسل ولم يهلككم فاحذروا اهلككم بتكذيبكم الرسل المبعوث
اليكم كما اهلك او ليك بتكذيبهم الرسل ومحتمل ان قال جعلكم من قوم صدقوا
رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتموني في دعواي الرسالة ودعاه الي عبادة الله
ووجد انبيته واني لبشر هذا منكم تناقض ومحتمل ان اذكر وانوحا وهو كان
رسولا من البشر فكيف تنكرون ان يكون الرسول من البشر وكان الرسل
جميعا من البشر ومحتمل ان اذكر وانعمة الله التي انعمها عليكم من السفه في المال
والقوة في النفس وحسن الخلق والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الحمد
تركيب فعل ربك بعاد ارم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد هذا
في السفه في المال واما في القوة في النفس وطول القامة ما ذكر في قوله
فتري القوم فيها صرعا كأنهم اعجاز لخل خاويه وقوله كأنهم اعجاز لخل منقعد
فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة وعلي ذلك فسواهم التاويل قوله
وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة وقالت بعضهم هي الطول والعظم
في الجسم ذكر الله تعالى في عباد آسية اربعة ختمهم بها من بين غيرهم احدهما
العظم في النفس بقوله وزادكم في الخلق بسطة والثاني القوة بقوله وقالوا
من اسد منا قوة والثالث السفه في المال بقوله ارم ذات العباد والرابع فضل
العلم بقوله وكانوا مستبصرين قوله تعالى فاذكروا الا الله قال بعضهم
الا لا في دفع بلايا والنعماني سوف النعم لكن هما واحد لانه ما من بلا يدفعوا عن البشر

الا و في ذلك سوف نعمة اخري اليه ولان الله تعالى ذكر في سورة الرحمن الآلا في جميع
ما ذكر و انما سوف النعم بقوله الرحمن علم القرآن خلق للانسان علمه البيان الي آخر
ما ذكر دون دفع البلاء قول الله تعالى لعلمكم تعلمون اي تعلمون ان ذكرتم بغيره وشكرتم
له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وسكركم الي غيره وحتملكم يلقى منكم الفلاح وحتملكم حتى تكونوا
من اهل الفلاح قول الله تعالى قالوا احببنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا هذا يدل ان رسالته التي بلفها اليهم في دعائهم الي عبادته الله وحده وترى
عباده من دونه حيث قالوا احببنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا من قبل
ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وليذروا ما كان يعبد آباؤهم ثم في فعلهم
تناقص لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسول كقولهم تعالى خبر اعنيهم قالوا ما
هذا الا بشر مثكم ياكلوا مما تاكلون منه ويشرب مما يشربون ثم قتلوا آباءهم
في عبادتهم الاصنام والاوثان وهم اذل الخلق واخسهم والثاني انهم كانوا يقتلون
آباؤهم في عبادته غير الله وفي آباؤهم من لعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين تجوامع
نوح فكيف لم يقتلوا من جاثمهم ولم يعبدوا غير الله دون ان قتلوا والذين عبدوا
غير الله فهذه مناقضه وسعه ايضا حيث اتفقوا من ملك منهم بتكذيبهم الرسل
وعبادتهم غير الله ولم يتبعوا من جاثمهم ذكر سفهم وتناقضهم في القول لكن علي
سبيل التعريض دون الشرح وكذا غامضة ما ذكر في كآبه من سفهم بما ذكر
بالتعريض لما لم يؤمنوا برسالة البشر ورضوا بالالهية الاحجار والخشب وقوله
فاتنا ما نقدنا ان كنت من الصادقين كان لعدم العذاب ان لم يصد قوة فيما
يدعوهم اليه ولم يتركوا تقليد آباؤهم في عبادته غير الله قول الله تعالى قال قد وقع
عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وجب عليكم العذاب
بتكذيبكم هذا وتقليدكم آباؤكم في عبادتهم غير الله قول الله تعالى وغضب اي العذاب
ايضا وحتملكم ان تكون الرجس ههنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة الي قد
وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اختارتم من الكفر
وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقولهم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا
قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك
من الرجس الخبيث الخبيث من الشيطان الرحيم قول الله تعالى الجادلوني
في اسما سميتوها ومجادلتهم ما قالوا احببنا لعبد الله وحده الآلة وحتملكم في اسما

سميتوها

سميتوها اي باسماء سميتوها انتم وآباؤكم قول الله تعالى ما نزل الله بها من
سلطان فقتل من حجة اي لم ينزل بهم حجة في عبادة غير الله ولسميتهم الاصنام
الهة وسفعا وخوذلك وقيل السلطان ههنا بمعنى العذر ان لم ينزل بها
عذرا في ذلك وقوله فانظروا اي انظروا انتم وعد الشيطان اي معكم من المنتظرين
وعد الرحمن وكذا قالت الحسن فانظروا انتم مواعيد الشيطان اي معكم من المنتظرين
مواعيد الله قول الله تعالى فالجينا يعني هوذا اول الذين معه برحمة منا اذ من حكم الله
تعالى انه اذا اهلك قوما اهلك تغذيب استاصلم او يحيى ابنياءه واولياء الدين
فيما بينهم ونصرهم وقوله برحمة منا حتملكم برحمته التي هداهم بها ولولا رحمة ما اهتدوا
ولكنه وحهم هداهم وبرحمته اهتدوا وحتملكم انه انما الجاهم من العذاب برحمة
منه والا كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب ولكنه الجاهم برحمة
منه وفصل والله اعلم وفيه ان من يحيى انما يحيى برحمته وفصله وان كان رسولا
لا باستحياب النجاة بنفسه وعمله وهو علي ما روي حيث قال لا يدخل احد
الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يغفرني الله
برحمته قول الله تعالى وقطفنا دابر الذين كذبوا باياتنا قيل دابر الذين كذبوا
او احدا من كذبوا باياتنا اي استاصلم فلم يبق منهم احد وقيل دابر الذين
اي اصل الدين كذبوا باياتنا ولم يبق لنا اياته التي اعطاها هوذا وليس لنا
الي معرفتها حاجة سوي ما اخبرنا ما حل بهم من العذاب انما حل بتكذيبهم
الرسول وذلك كان حكمه وسنته في الامم السابقة قول الله تعالى والي نود
اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلة قوله لتدارسلنا نوحا الي قومك كانه قال
وارسلنا الي نود اخاهم صالحا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم قول الله تعالى
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل باجمعهم انما بعثوا
ليدعوا الخلق الي وحدانية الله والعبادة له وان لا معبود سواه ليستحق العبادة
من الخلق وقوله قد جاءكم بينة من ربكم فقل في ذلك بوجهين قتل منه من ربكم
ما ذكر من النافقة التي جعلها آية له سألته وهو قوله هذه ناقة الله لكم آية
وقيل بينة من ربكم اي الايات التي ظهرت علي لسان صالح وجرت علي يديه
ما بدلت علي رسالته ونبوته لكنهم كذبوا تلك الايات بالتكذيب وعاندوا الله اعلم
قول الله تعالى هذه ناقة الله محتمل لخصيص اضافة تلك الناقة الي الله تعالى وجوها

وان كانت النوق كلها في الحقيقة له احدها انما خصت بتذكير عبادة الله اياهم
ووحدايته تعطيها لها على ما خصت المساجد بالاضافة اليه بقوله وان المساجد
له لما جعلت تلك البقاع لا قامة عبادة الله لخصت بالاضافة اليه تعطيها بتلك
البتاع فعلي ذلك خصت الناقه بالاضافة اليه لما تذكرهم عبادة الله ووحدايته
والثاني يجوز ان يكون تخصيص هذه الناقه بالاضافة اليه لما انه جعلها آية من
آياته خارجة عن غيرها من النوق مخالفة بنيتها عن غيرها ما خلقه واما في
ابتداء احداثها والنشأ بها حيث خلقها بلا اصل حيواني تتولد منه على خلاف
سائر الحيوانات لذلك اضافها اليه والله اعلم ومحمّل الاضافة اليه وجهها
آخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقه لهم ولا جعل عليهم معونتها بل اخبر
ان ذروها تاكل في ارض الله جعل موتها فيما يخرج من الارض ليست كسائر
النوق التي جعل موتها عليهم ومنافعها لهم فعني التخصيص بالاضافة اليه لما هي
خالصة لله تعالى لم يجعل للعباد فيها حق ولا ملكا ولا من منافعها ثم لا يجب ان يكلف
المعني الذي له جعل الناقه آية لانه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعني فلو تكلفنا
ذكره فلعلمه لمخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية فهذه القصص واخبار
الامم الماضية انما ذكرت في القرآن لتكون آية لرسالة محمد فلو ذكر على خلاف
ما كان في كتبهم لكان في ذلك مقال ثم في قوله فذروها تاكل في ارض الله
دلالة ان تلك الناقه كان غدا وهما مثل غدا سائر النوق وان كانت خارجة
عن طباع سائر النوق من جهة الآية ليعلم انها وان كانت آية لرسالة
ودلالة لنبوته فقتلها بها لسائر النوق في تلك الجهة لا يخرجها عن حكم الآية
والدلالة فعلى ذلك الرسل وان كانوا اساءوا وغيرهم من الناس في المطعم
والمشرب لا يمنع ذلك من ان يكونوا رسلا والله اعلم قوله تعالى ولا
تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم لمحمّل ان لا تعرضوا لها قتل ولا قطعاً ولا
عقلاً لما انها ليست لهم وذکره هنا فياخذكم عذاب اليم وقال في موضع آخر
فياخذكم عذاب قريب فهذا يدل على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب
الدنيا لا عذاب الآخرة لانه ياخذهم عذاب الآخرة بغيرهم فيكون هذا الوعيد
عذاب الدنيا والله اعلم قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلقاً من بعد عاد
قد ذكروا تاويله في قصة هود قوله تعالى وبواكم في الارض قبل انزلكم

فيها يخذون من سهولها قصوراً وتحتون الجبال بيوتاً يذكروهم عن وجل ما انعم عليهم
من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم من الخاذا البيوت من الجبال
دون غيرهم من الناس خص هو لا القوم بسعة الرزق وبسط الاموال
وقوم هود بالقوة والبطس وقوله وزادكم في الخلق بسطة وقال من اسد
منا قوة وقال واذ ابطشتم ببطشتم جبارين قوله تعالى فاذكروا الآلة
من السعة في الاموال وبسط الارزاق وما جعلكم خلقاً من بعد عاد وما
اقدركم على الخاذا البيوت من الجبال لم يقدركم على مثله احد لان غيرهم انما
يقتنعون بالجبال على ما هي عليه واما هم فقد مكن لهم لختها والخواذا بها بيوتاً
قوله تعالى ولا تقنوا في الارض مفسدين اي اذكروا ولا تشركوا في العبادة
غيره قوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملا
هم كبروا وهم استكبروا عليه لما رأوه دون انفسهم في امر الدنيا ولم يتبعوه والله اعلم
قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم فيه دلالة ان من المستضعفين
من قومه من لم يكن آمن حيث خص من آمن منهم وفيه دلالة ان اول من اتبع
الرسول هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسول جميعاً هم الضعفاء قوله تعالى
خبرنا عنهم اتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه قالوا انا انا ما ارسل به مؤمنون والاسكال
ان قوله هو لا الذين آمنوا بصالح وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر
جواب ما سئلوا لان الكبراء قالوا لهم اتعلمون ان صالحاً مرسل من قومه وانما
سألواهم عن علمهم برسالته لم يسألواهم عن ايمانهم به وهم اجابوا عن السوال بالايان
به بقوله انا ما ارسل به مؤمنون فدل انهم اجابوا من غير ما سئلوا فنقول
في الظاهر هكذا ولكن هذا جواب لما سئلوا من حيث المعني والدلالة لانهم اخبروا
انهم آمنوا بما ارسل به والايان بالرسالة له لا يكون الا بالعلم منهم برسالته فيكون
هذا اخباراً عنهم عن العلم برسالته دلالة والثاني على الاخبار كانهم قالوا ابي علمنا
انه مرسل من ربه وانما ما ارسل به مؤمنون والثالث محتمل الاستعانة
والجواز فانه يجوز ان يكني بالعلم عن الشيء على التصديق والايان بذلك فكانهم
انما سألواهم عن الايمان به والتصديق له لا بالعلم برسالته لان العلم بالشيء قد
يقع بلا صنع والايان لا يكون الا بصنع فكانهم قالوا لهم اتؤمنون بصالح ونصدقونه
لذلك قالوا انا ما ارسل به مؤمنون وفي الآية دلالة على ان من مكن له من العلم

بأسباب جعلت طريقاً للوصول إلى العلم لم يعذر بالجهل في ذلك حيث قالوا اتقون
ان صالحتا مرسل من ربه اي لا تقبلون قول الله تعالى قال الذين استكبروا انا
بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانهم قالوا ذلك علي مقابلة
قولهم انا بما ارسل به مومنون وهو لا يعموا جميع الطاعات ايماناً بما عرفوه بتصديقاً
علي ما هو حقيقة اللغة قوله تعالى فاعترفوا بالقائه اضاف ههنا العتر اليهم جميعاً
وفي موضع آخر اضاف الي الواحد بقوله فاذا اصاحبهم فتعاطي فاعترفوا ان
تولي واحد منهم عقرها بمشورهم جميعاً وتدينهم ومعونتهم وتراصينهم علي ذلك
فاصيف ذلك اليهم لاجتماعهم علي ذلك والي الواحد مباشرة نفس الفعل منه وفيه
دلالة لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال
ولم يتول بعضهم انهم يشتركون جميعاً في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم
لبعض وكذا ذلك اذا اجتمع قوم علي قتل واحد فتولي بعضهم القتل ولم يتول البعض
بعد ان كانوا في عون او ليك فانهم يقتلون جميعاً وعلي ذلك سخر قول عمر رضي الله
عنه حيث قال لو تمالأ عليه اهل صنعاً لقتلتهم واهل صنعاً اذا اجتمعوا لا سبيل
للكل ان يتولوا قتله فدل انه علي العون والنصر لبعضهم بعضاً يشتركون جميعاً
في القصاص علي ما شارك او ليك جميعاً في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول
بعد ان كان ذلك العقر بمعونتهم وتراصينهم علي ذلك والله اعلم قوله تعالى وعتوا
عن امر ربهم العتوه هو النهاية في التمر والخلاف لا مره علي العلم منهم بالخلاف لا علي
الغفلة والجهل قوله تعالى وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب بما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما وعدهم
العذاب ثم قال فاخذتهم الرجفة وقالت في اية اخري فاخذتهم الصيحة وقال في
موضع فاخذتهم الصاعقة والقصة قصة واحدة فجاء ان يكون المعنى في الكل واحداً
وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجاء به ان يكون صياح بهم فصعقوا
جميعاً فأتوا وهو واحد في المعنى وقتل الرجفة الذللة وقيل هي الصيحة والله اعلم
قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جائئين اي ميتين وقيل لا زقين بالارض وما تواتر
ويقال حتم الطائر بالارض اذا لاق بالارض فقال احمته اي الزقته بالارض والمحمية
هي الطائر الذي يبشدر جناحه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمي بالنبل حتى يموت يقال
حمت الطائر اي شددت رجله وجناحيه ويقال حتم حثم حثوماً وحثماً اذا فعل

٧٥

ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فتولي عنهم اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم
ان العذاب ينزل بهم قوله تعالى وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم والنصيحة ما ذكرنا ان كل من دل اخو علي ما به مخاته وسعي علي دفع البلاء والهلاك
عنه فهو ناجح له فاعلي ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم علي ما به فاجابهم
وسعوا علي دفع الهلاك عنهم لكنهم لم ينفكوا النصيحة منهم قوله تعالى ولو ظنوا
اذ قال لقومهم انا نون الفاجسة ذكر الله تعالى في غيره من الانبياء دعاهم قومهم
الي عبادة الله ووجد انبياءه علي ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اليه غيره
وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا
ولا حتم ان لم يكن منه الدعاء الي ما كان من غيره من الانبياء من توحيد الله وعبادته
فدل النبي عن الفواحش والتغير عليها وهو ما ذكر في آية اخري كذبت قوم لوط
المرسلين اذ قالت لهم اخوهم لوط الا نتقون اليكم رسول امين فاتقوا الله واطيعوا
وهذا منه دعاء لقومهم الي عبادة الله وطاعته والاتقاء عن معاصيه فثبت انه
لا يخالف الانبياء في دعاهم الي عبادة الله ووجد انبياءه اولاً ثم النبي عن ارتكاب
الفواحش والتغير عليها وقوله انا نون الفاجسة ما سبقتم بها من احدين العالمين
يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر الاقوام من تقليد آبايهم في العبادة لغير الله كقولهم
احمنا لنعبد الله وحده ونذكر ما كان لعبادنا واولادنا وقوله انا وجدنا آباءنا
علي امة وانا علي آثارهم مقتدون وقوله انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ويخوذ ذلك
فعلي ذلك كان من قوم لوط للوط لما دعاهم الي عبادة الله ووجد انبياءه واجابوه
بما اجاب الاقوام لا بنيائهم من التقليد لا بايهم فقال رد اعليهم انا نون الفاجسة
ما سبقتم بها من احدين العالمين اي انكم تعلمون اعمالهم اباؤكم ولا تتدون
آباكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان الفاجسة فقال ما سبقتم بها من احدين
من العالمين علي علم منهم ان ذلك فاجسة الاتري انهم قالوا اخذوا آل لوط من قبلكم
انهم اناس يتظفرون والفاجسة ما ذكرنا وهي كل قبيح في العقل والشرع وهذا
الفعل قبيح في العقل والشرع فيكون فاجسته بيان ذلك ان ما حرم الله تعالى من
المحرمات علي الخلق وما اجل من المحلات يكون محبة منه لهم علي ذلك ثم جعل
فيما احل لهم من الاطعمة والاسوية والاستمتاع بالنساء والجنوارى واما هذا العالم
لانهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا واذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم

٧٦

ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على النادل ما احل لهم ليدوم هذا العالم
لا انه احل لهم للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاحبر ان ما ياتون من الفعل فاحشة
لما ليس ايتانهم اياه الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه وذلك
فاحش محرم في العقل لما لم يتعلق به عاقبة حامدة وقد ورد الشرع بالتحريم موكدا لما
في العقل والله اعلم قول الله تعالى بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار
من الشيء والمجاورة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما فالتقوى هو التضييق والاسراف هو الاكثار حيث قال وكان بين
ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء والمجاورة من الحد وكان قوم
لوط اكثر واذ لك النوع من الفاحشة وجاوزوا الحد مستقام مسرفين لذلك والله اعلم
ولاحتمل سقامهم مسرفين لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطاهم الا زواج فعن
منه حيث قال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وقال
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا لآية من آياته من الله تعالى عليهم بما اعطاهم من الا زواج
ثم لم يشكروا على ما انعم عليهم بل ضيعوها واختاروا غير ما جعل لهم فذلك اسراف
منهم واحتمل ان يكون الاسراف هو المجاورة عن الحد الذي جعل لهم وقد جاوزوا
والله اعلم قول الله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قد يتكلم
انهم اناس يتطهرون والاشكال ان الله تعالى احبر وقال وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قد يتكلم وقد قال في موضع آخر فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ايتنا بعذاب الله ونحو ذلك فهذا تناقض فنقول كان من قومه اجوبة
سيوي هذا وقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا الكذ ليس على انه لم يكن منهم
من اول الامر الى آخره الا هذا ولكن اراد لم يكن جواب قومه حين ما نهاهم
عن ارتكاب ما ارتكبوا من الفواحش وغيرهم عليها الا ما قالوا اخرجوا الى لوط من
قد يتكلم انهم اناس يتطهرون لما ينهونهم ولغيرهم على ذلك فكون ذلك لاختلاف
المناهد والمجالس ولم يكن في كل مجلس ومشهد الا ما اخبر واحتمل وما كان جواب
قومه فيما بينهم بعضهم لبعض الا ما قالوا الكذ في هذه الآية وقال في آية اخرى
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وهذا فيما
بينهم وبين لوط عليه السلام فلا يودي الى الاختلاف ثم قوله انهم اناس يتطهرون
لاحتمل ما قال اهل التاويل يتطهرون من اذبار الرجال وقيل يحترجون من ذلك

ويعتزلون عليهم في ذلك والله اعلم قول الله تعالى فأنجيناه واهله الا امراته
كانت من الغابرين قتل الغابري القايي يقال غبرت اي غبت معناه كانت
من الغابرين عن لوط واهله وقت العذاب فان بعض قومه كانوا غائبين عن
قربات لوط فقلبت القربات على الحاضرين وامطرت الحجارة على القاييين ٧٨
وقتل من الغابرين اي الباقين في العذاب قول الله تعالى وامطرتنا
عليهم مطرا مختلفا فيه قال بعضهم قلبت قربات لوط وجعلنا عليها سافلها
علي ما قال فجعلنا عليها سافلها ثم امطر على من غاب منهم بالحجارة وقال بعضهم
قلبت القربات فامطرت على اهلها كما لمطر ذكر علي سبيل المجاز وقال بعضهم
قلبت القربات الارض وامطر عليها حجارة من سجيل لنتسوي الارض كما كانت
او كلام نحو هذا والله اعلم ثم العذاب بالام الماضية لم ياتهم في الدنيا بنفس الكثير
ولكن لما كان منهم من استحل اشياء حرم الله عليهم ومن قتل الانبياء واذاهم
والمكابرات التي كانت بينهم بعد علمهم انهم على باطل وعناد قول الله تعالى فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين لاحتمل ان هذا الخطاب ليس لرسولنا عليه السلام
خاصة بل يكون لكل احد امر بالانظر فيما حل بالام السالفة بتكذيبهم الرسل
وعنادهم ليكونوا على حذر من صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل باولئك والله اعلم واحتمل
ان يكون الخطاب للرسول خاصة فان كان الخطاب له فكان امره ان ينظر في
عاقبة المجرمين ليرحمهم فلا يدعوا عليهم بالعذاب والهلاك والله اعلم
قول الله تعالى والي مدبر اخاهم شعيبا قد ذكرنا فيما تقدم ان معناه ارسلنا
شعيبا الي مدبر رسولنا وقوله اخاهم قد ذكرنا تاويله قول الله تعالى قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الاله عني قد ذكرنا ان الرسل انما جاءوا وبعثوا بالبرهان
الي توحيد الله والعبادة له وان لا معبود سواه قول الله تعالى
قد جاءكم بينكم من ربكم قال بعضهم كانت نفس شعيب صلوات الله عليه بينه
وحجة لقومه لكان لا تعلم ذلك لعدم قيام دليل يوجب العلم غير اننا نعلم انه كانت
معها آيات وبراهين لكن الله تعالى لم يبين لنا ذلك اما نفس محمد صلي الله عليه وسلم
كانت حجة وبينة بالاعلام التي جعلت له في نفسه من ذلك الخاتم الذي بين كنفه
والوراء الذي كان في وجهه من كان هو في صلبه وقت كونه فيه والضوء الذي روي
انه وقت ولاده والغمام الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظ نفسه عن جميع

٧٩
ما كان يتعاطاه قومه من عبادة الاصنام والنواحيش فهو صلى الله عليه كان يري ما من
ذلك كله وما لم يوجد عليه كذب قط وكان نشاء بين اظهريهم وغير ذلك من الاعلام التي
كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلم يكن له آيات غير هالكات واحدة منها كآية
لمن لم يكن يعرف وقد كانت له آيات حسية وعقلية سيوي ما ذكرنا من اياتهم المنصين
علي قبولها ولختم قوله قد جاءكم بينه من ربكم اي حجة والله اعلم قوله تعالى
فاوزنوا الكيل والميزان بالقسط ثم لخصت الامر بايضا الكيل والميزان وجوها
احدها انهم كانوا ائمتا فامرهم بايضا الكيل والميزان وجوها احدها انهم كانوا ائمتا
فامرهم بايضا الكيل والميزان بالعدل ليلا يذهب عنهم تلك الامانة التي كانت لهم
في قومه والثاني ليلا يطلوا الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث امرهم
بذلك ليلا يفتوا في الربا لان ما منعوا منهم من الكيل والوزن واخسروا ونقصوا
لكون ربا ذلك قوله بالقسط اي بالعدل ولو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان
اذا طابت انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط فيه لان من
زاد آخر على حقه لم يمنع ذلك ولم يذم فدل النبي عن ذلك علي انه لاجل الربوا
منعوا عن ذلك والله اعلم وذكر قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم انما
سميها اشياءهم لان بالشراء صار ملكا لهم وان كان في قبض الباعة بعدوني
ايدهم متى لم يوفوا الكيل والوزن عند التسليم فقد نقصوا حقهم ومنعوا بعض ملكهم
وهذا دليل علي ان البيع قبل القبض يوجب الملك للمشتري ثم ليس في قوله
فاوزنوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم انهم كانوا لا يوفون لان الامر
بالشي لا يدل علي مباشرة منعه من المامور قبل الامر وكذا النبي عن الشيء
لا يدل علي مباشرة المنهي من المنهي عنه انما يدل علي التصور لا غير ولكن انما عرفنا
ذلك في سياق قوله ويا قوم اوزنوا المكيال والميزان بالقسط حيث قال خبرا
عنهم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان تترك ما تعبد آباؤنا وان فعلت في
اموالنا نشاء الاية قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي
لا تفسدوا في الارض بعد ان جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومقاسمكم فيها ويحتمل اي
بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء الي توحيد الله والعبادة له والطاعة
ويحتمل بعد ما امر وتبين ما به صلاحكم وصلاح دينكم وقيل لا تفسدوا في الارض
بعد ما خلقت طاهرة عن جميع انواع المعاصي وقيل بعد ما اعطيتم ما تقدرون

بهم علي اصلاحها ويحتمل ان يكون المراد من اصلاح الارض اهلها كقوله وكاي من
قديمة عنت عن امورها اي امرها قوله تعالى ذلكم خير لكم قال بعض اهل
التاويل ذلكم اي وفاء الكيل والوزن خير لكم من النقصان الذي تمنعون ولا يبنوا
شيئا وهو كقوله بقيت الله خير لكم ولختم ذلكم خير لكم اي امنكم في الاخوة خير لكم
من نقصان الكيل والوزن في الدنيا والله اعلم قوله تعالى ولا تنقضوا ايمانكم
صراطا توعدون الاية لخصت ما قال اهل التاويل ان كبراء اهل الشرك
ورؤسائهم كانوا يفتقدون في الطرق انا سنا يصدون الذين كانوا ياتون
شعيبا ليومئوا به من الافاق والنواحي ويكون معنى قوله ولتصدون عن سبيل الله
من آمن به علي هذا التاويل اي تصدون عن سبيل الله من اراد ان يؤمن به
ولختم قوله ولا تنقضوا ايمانكم في القعود ونفسه ولكن علي المنع عن اقامة الشرايع
التي شرع الله تعالى لشعيب اي لا تمنعوا عن ذلك وهو كقول ابليس اللعين لا تعبدون
لهم صراطك المستقيم ليس هو علي القعود ونفسه ولكن علي منعه اياهم عن الصراط
المستقيم وعلي ذلك قوله ولا تنقضوا ايمانكم في القعود ولا تنقضوا ايمانكم في
آمن به عن اقامة الشرايع والعبادات التي دعوا الي اقامتها ويوعدون علي
ذلك ويخوفونهم فيها عن ذلك وعلي هذا التاويل يكون معنى قوله من آمن به
علي وجود حقيقته الايمان منهم قوله تعالى وتبعوها عوجا اي تلتصقون بها
اهل الذيغ وقتل يتبعون هلاك الاسلام وبطلانه وقيل وتبعون السبيل
التي هي غير سبيل الحق وكله واحد قوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثرتم لخصت وجهين احدهما لخصت اذ كنتم قليلا في الاموال والسعة في الدنيا فكثرتم
اي فكثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا قوله تعالى وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل
لان من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الافساد في الارض والتكذيب
لرسل الله اذا علم ان ما حل بهم انما حل لما ذكر وكانهم والله اعلم امره بالنظر في الاسباب
التي صار بها من نقتد بهم اهل فساد وبها نزل بهم الهلاك والعذاب لينزجروا
عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم وزعمهم انهم اهل صلاح لا اهل فساد
قوله تعالى وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما كان قوم شعيب قليلا حين ذكر هذا القول

وَقَوْمٌ آخِزُونَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ شُعَيْبٌ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ
بِهِ رَسُولًا وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرْ وَإِنَّمَا مَعَشَرُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا أَيْ لِقَائِهِ
عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَلَمْ يَكُنْ شُعَيْبٌ أَمْرًا بِالْقِتَالِ وَقَالَ لِبَعْضِهِمْ قَوْلَهُ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ
يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَطَائِفَةٌ يَعْزِي الْكُفَّارَ لَمْ يُؤْمِنُوا
بِالْعَذَابِ فَاصْبِرْ وَإِنَّمَا مَعَشَرُ الْكُفَّارِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا فِي أَمْرِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا
وَمَوْجِزِ الْجَنَّةِ وَالْجَهَنَّمَ هَذَا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَقُولُونَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وَيَقُولُونَ فِي شَيْءٍ يَفْعَلُونَ إِنْ الَّذِي يُخَيَّرُ عَلَيْهِ
هُوَ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ اصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا إِذَا أَمَرَ بِالَّذِي عَلَيْكُمْ
أَوْ بِالَّذِي خُيِّرَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
قَدْ ذُكِّرْنَا أَنْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ هُمْ كِبَرَاؤُهُمْ وَقَوْلُهُ اسْتَكْبَرُوا أَيْ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْخُضُوعِ
وَالطَّاعَةِ لِمَنْ هُوَ دُونُهُمْ عِنْدَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ كَانُوا يَضْغَقُونَ شُعَيْبًا فِيهِمْ وَيَزِدُّونَ بِهِ
كَقَوْلِهِ لَمْ يَأْتِ لِنَرْيَا نَبِيًّا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ
ثُمَّ لَمْ يَرْوِ الْأَمْرَ بِالْخُضُوعِ لِمَنْ دُونِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَدْلًا وَحِكْمَةً وَهُمْ إِنَّمَا اخْتَرُوا ذَلِكَ مِنْ
أَبْلِيسَ اللَّعِينِ وَإِيَّاهُ قَلَّدُوا حَيْثُ قَالَ إِنَّا خَيْرٌ مِنْهُ حِينَ أَمَرَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمْ يَرْوِ اللَّعِينُ الْأَمْرَ بِالْخُضُوعِ لِأَدَمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَدْلًا وَحِكْمَةً فَاسْتَكْبَرَ عَلَيْهِ وَكَفَرُ بِهِ كَذَلِكَ
هُوَ لَا يَرْوِ الْخُضُوعَ لِمَنْ دُونَهُمْ عِنْدَهُمْ عَدْلًا فَاسْتَكْبَرَ وَاعْلَيْهِ فَكُفَرُوا وَقَوْلُهُ تَعَالَى
لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ قَالَتِ الْحَسَنُ أَيْ لَنَقْتُلَنَّكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَانَا قَالَ
عِنْدَهُ لَنُخْرِجَنَّكَ الْآخِرَ أَجْ نَفْسَهُ أَيْ لَنُخْرِجَنَّكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرِينَيْنَا
إِنْ لَمْ تَتَّبِعْ دِينَنَا لَكِنْ قَدْ كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَقٌّ التَّوَعُّدُ بِالْمَقْتَلِ وَالْآخِرَ أَجْ
جَمِيعًا كَمَا قَالُوا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَلَقَوْلُهُ قَوْمَ لُوطَ لَهُ لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمُخْرَجِينَ وَكَقَوْلِهِ قَوْمَ نُوحَ لَهُ لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ وَمَا أَخْرَعَن
قَوْلَ الْكُفْرَةِ لِرَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَإِذْ يَكُرِّ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُشْتَوَكُّ
أَوْ يُقْتَلُونَ أَوْ يُخْرِجُونَ قَوْلُ أَنْ عَادَةَ الْكُفَّارِ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
التَّوَعُّدُ بِهَا جَمِيعًا فَعَلِيَ ذَلِكَ لِحَقِّهِ أَنْ يَكُونَ التَّوَعُّدُ فِي حَقِّ سَعِيدٍ كَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَعَلِيَ ذَلِكَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلرَّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعًا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ذَلِكَ أَنْ
عَادَةَ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ بِالْآخِرِ أَجْ مَرَّةً وَبِالْقِتْلِ ثَانِيًا

وَقَوْلُهُ أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ
الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ لَمَّا يَرَوْنَ أَمِينَهُ عِبَادَتَهُ لَمْ يَنَالُوا بِعِنْدِهِ شَيْئًا فَقَالُوا لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا
عَلَى مَا كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ كَمَا قَالُوا الصَّالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا
كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ فَعَلِيَ ذَلِكَ مُحْتَمَلٌ قَوْلُهُ هُوَ لَا لَتَعُوذُنَّ مِنَ الْعُودِ إِلَى
مَا كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَاحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ مِنْهُ هُوَ ابْتِدَاءُ الدُّخُولِ
فِي الْمِلَّةِ وَالْإِخْتِيَارُ لَهَا دُونَ الْعُودِ عَلَى زَعَمِهِمْ وَإِنْ ذَكَرَ بِلَفْظَةِ الْعُودِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
مُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ عَلَى مَنَعِ الدُّخُولِ فِيهَا لَا أَنْ كَانُوا فِيهَا ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ
وَقَوْلُهُ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا أَيْ رَفَعَهَا ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ كَانَتْ
مَوْضُوعَةً عَلَى فَرْعِهَا فَكَذَلِكَ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ أَيْ
نَعُوذُ فِي مِلَّتِكُمْ وَكُنَّا كَارِهِينَ لِذَلِكَ أَيْ تَأْتِي عَقُولُنَا وَتُكْرَهُ طَبَاعُنَا الْعُودَ إِلَى مِلَّتِكُمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ مِنْهَا
الْإِشْكَالُ أَنْ كَيْفَ قَالَ شُعَيْبُ ذَلِكَ وَكَيْفَ أَخْبَرَهُمْ افْتَرَاوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
لَوْ عَادُوا إِلَى مِلَّتِهِمْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ الْعَادَةَ وَذَلِكَ
بَعْدَ الْإِبْتِدَاءِ لَيَكُونُ مُحْتَمَلٌ وَجَوْهًا ثَلَاثَةً أَحَدُهَا أَنْ ذَلِكَ مِنْهُ أَخْبَارٌ عَنْ قَوْمِهِ
لَا عَنْ نَفْسِهِ أَيْ قَدْ افْتَرَاوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَادُوا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْهَا
وَمَا جُوزَ لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا فِيهَا فَمَا جَوَابُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ هُودٍ وَيَأْتِي
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنْ عَابِلْتُمْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَخَافَ قَوْمَهُ كَمَا أَخَافَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ
قَوْمَهُمْ حِينَ أَوْعَدَهُمْ بِالْقِتْلِ وَالْعُقُوبَةِ خَوْفًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِقَوْمِهِمْ كِيدُونِي فَلَا
تَنْظُرُونَ وَكَقَوْلِهِ هُودٍ إِنْ يَرْيَا مَا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا لَمْ يَنْظُرُونَ
وَيَخُذُ ذَلِكَ مِنَ الْجَوَابَاتِ الَّتِي كَانَتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا قَوَامَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي مُحْتَمَلٌ
أَنْ يَكُونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ كَانَ فِيهَا أَيْ كَيْفَ ادْخُلْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ
مِنْهَا أَيْ عَصَيْنَا اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا ابْتِدَاءً عَلَى مَا ذُكِرْنَا مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَاحْتَمَلُ أَنْهُ إِنَّمَا
أَجَابَهُمْ بِلَفْظَةِ الْعُودِ وَالنَّجَاةِ مِنْهَا بِنَاءً عَلَى مَا عِنْدَهُمْ أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا أَيْ وَمَا جُوزَ
لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا ثُمَّ قَوْلُ شُعَيْبٍ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ مِنْهَا تَقْرِيبُ نَفْسِهِ مِنْهُ أَيَّاهُمْ أَنْكُمْ قَدْ افْتَرَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَلَكِنْ قَالَ
قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ الْعُودِ وَذَلِكَ لَيْسَ وَتَلَطَّفَ

هم ورفق كقولهم وانا واناكم لعلي هدي اوني ضلال مبين هذا تعريف معناه نحن
علي هدي وانتم علي ضلال قوله تعالى الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء
علما والاية حجة لنا على المعتزلة في ان الله تعالى شاء وجود الكفر من الكافر شيئا
حيث اعتقد شعب ذلك واستغنى حالة المشية معناه ما ينبغي لنا ان نعود الي ملتكم
في حال من الاحوال الا ان يشاء الله ذلك منافذ ان الكفر يدخل تحت
مشية الله فكون حجة علي المعتزلة واخلفت اهل التاويل قال الحسن من حكم الله
عز وجل ان من قبل دينه وعصى رسوله ان يكون عدوا له ويخذله كذلك وليتينا
قوله الا ان يشاء الله الا ان يحكم الله اي ما ينبغي لنا ان نعود في ملتكم ونشرك بالله
باختيارنا ومستيقنا دون مشية الله الا ان يحكم الله ان يتخذنا عدوا وتكون من
اعدائه ويعلم ذلك منا ولا يتبدل عليه فيعطى لنا قدره ذلك حتى تكفر باختيارنا
الا تزي انه قال علي اثره وسع ربنا كل شيء علما اي لا نعلم الي ما ذا يصير عاقبة
امرنا في علم الله وما ذا حكمه علينا الولاية والعدالة وقال ابو بكر الكيساني
قوله الا ان يشاء الله ربنا الاستغناء ينصرف الي صدر الكلام فكان المراد من الملة
في صدر الكلام ليس هو الدين الذي هم عليه من الكفر لكن المراد بعض ما يقررون
في دينهم من الافعال وما يزعمون من الشرائع التي تحتل ان يرد الشروع
بها ولحتم التبدل من حال الي حال فالمراد من الملة هي الشريعة ههنا
فكان تقدير الآية وما ينبغي لنا ان نعود فينادعنا الي بعض شوايعهم التي تحتل
ان تصير شريعة الله اذا جاء الامر بذلك من الله اذا نهانا الله عن ذلك الا
ان يشاء الله ان يصير شريعة لنا وبذل النبي بالامر ونسخه وبه نقول وقال
جعفر ابن حرب قوله الا ان يشاء الله الا ان يامرنا الله بذلك واما قال ذلك
علي الا يامرهم وقطع الرجاء اي لو امرنا الله تعالى بالعود الي ملتكم لعدنا اي سلا
يا امرنا الله بذلك ولا يشاء الله البتة كما يقال فلان يفعل كذا ان شاب الغراب
او ان سعدت السماء بما يعلم انه لا يكون علي مجري الغاية او علي الامتناع والاجالة
كقوله ولا يدخلون الجنة حتى يخرج الجمل في سم الحياض فعلي ذلك هذا وما قالوه
بعيد اما قول الحسن ان من حكم الله تعالى ان من رده دينه وعصى رسوله يكون
من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله يكون من المؤمنين فليس فيه

سوي انه يقول انه يعلم من كفر به ومن آمن به فلا معنى للاستغناء ولان الاستغناء
ينصرف الي صدر الكلام وهو العود الي ملتكم لان شوايعهم كان عن ذلك اي
وما ينبغي لنا ان نعود الي ملتكم الا ان يشاء الله لو صار المراد الا ان يحكم الله او
الا ان يعلم الله لكان قبيحا لان العود الي الكفر حرام لا ينبغي ذلك ولا يجوز شيئا
وان علم الله تعالى وجود ذلك وحكم بوجوده وبه يبطل قول الكيساني لانه
ذكر الملة التي هم كانوا عليها وكانوا يشاءون منه العود اليها دون العود الي بعض
شوايعهم التي تحتل التبدل من الخطر الي الاباحة فينبغي ان يرجع الاستغناء
اليها حتى يكون جوابا لسؤالهم لا الي غير ما سألوا فيكون حينئذ اجواب
والله اعلم واما قول جعفر من الا يامرهم الا يامرهم الله عن ذلك فبعيد ايضا لان
الا يامرهم انما يكون فيما يعلم انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الحياض ونحوه فاما في مثل هذا فانه لا يفهم منه الا يامرهم وكانوا
يقولون ان الله تعالى امرهم بالشرك والفواحش فاذا كان الكفر عندهم مأمورا
لا يستحيل الامر والاباحة فاي يتبع لهم الا يامرهم بذلك ان ما قالوه فاسيد
واما عندنا فتجدي الآية علي حقيقتها في العمل لحقيقة المشية وذلك ان من علم الله
منه انه اختار فعل الكفر ويؤثر ذلك علي فعل الايمان والطاعة شاء ذلك علي
ما علم انه اختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لم يشاء له ذلك بل شاء له ضده اذ
لا يجوز ان يعلم من الممر غير الذي يكون منه وان يفعل الممر غير الذي علم منه
كيلا يتقلب علمه جهلا ومتعالي عن الوصف بالجهل فكذلك لا يجوز ان يشاء منه غير الذي
علم انه يكون منه فيؤدي الي ان يصير مغلوبا فيما شاء فيكون عجرا تعالى الله عن ذلك
واصله ان شعيبا خاف ان يسبق منه زله او تقصير يقع منه الاختيار بذلك
فشاء الله بذلك الذبيح والضلال وكذلك جميع الانبياء عليهم السلام كانوا كقول
ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي الخاية وقول يوسف حيث
قال الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء كان خوف الانبياء عليهم السلام اشتد
من خوف غيرهم وقد ذكرنا وجه ذلك في موضع وقوله وسع ربنا كل شيء علما
معناه والله اعلم اي لا نعلم الي ما ذا يصير عاقبة امرنا في علم الله وانما يعلم ربنا السعة
علمه وبلوغه كل شيء وقوله تعالى علي الله توكلنا قتل علي الله اعتمدنا فيما فوئنا
من الاحراج واليه نلجاء في سلطانه ومملكه وبه نشق في وعده بما وعدنا من النصر

وَالظُّنُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَقَوْلُهُ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ قِيلَ
افْتَحْ أَيِ أَحْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَا
كُنْتُ أَعْلَمُ تَأْمِينِي الْفَتْحَ فِي الْآيَةِ حَتَّى تَزُوجَتْ أَمْرًا مِنْ بَنِي كَذَا فَرَفَعَتْ بَيْنَنَا
مُخَاصِمَةٌ فَقَالَتْ لِي تَقَالَ حَتَّى أَفَاتُحَكَ إِلَى فَلَانٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ عَرَفْتُ أَنَّ الْمَخَافَةَ هِيَ
الْمُحَاكِمَةُ وَقَوْلُهُ بِالْحَقِّ قِيلَ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كَانَ أَوْعَدُهُمْ بِهِ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ
بِتَكْذِبِهِمْ شُعَيْبًا وَبَايَعَهُمْ إِيَّاهُ ثُمَّ لَمَعَتْ لُزْلَةٌ أَدْنَى تَعْلَقُ بِقَوْلِهِ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
قَوْمِنَا بِالْحَقِّ الْآيَةِ فِي دَفْعِ سُؤَالِ الزَّمَانِ فِي مَسْئَلَةِ الْأَصْلَحِ وَاللَّطْفِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْأَحْيَاءَ يَقُولُونَ عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُمَّ
اعْصِمْنَا وَاصْلِحْ دِينَنَا وَلَوْ كَانَ اعْطَاكُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي مَقْدَرِهِ مَا هُوَ صَلاَحٌ
لَهُمْ لَمْ يَكُنِ لِلسُّؤَالِ مَعْنَى وَيَكُونُ ذَلِكَ سُؤَالِ الْامْتِنَاعِ عَنِ الْجُورِ كَانَهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ
لَا تُخْرِجْ عَلَيْنَا فَيَقُولُونَ عَلَيْنَا عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ الْحَتَّاجِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ خَيْرًا عَنْهُ
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ
كَانَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يُودِي إِلَى مَا قُلْتُمْ أَنْهَ لَخُورُجِ السُّؤَالِ عَلَى تَرْكِ الْجُورِ
وَالْامْتِنَاعِ عَنْهُ أَيِ لَا تُخْرِجْ عَلَيْنَا وَكَذَلِكَ قَالَتْ فِي آيَةِ أُخْرَى رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَخَوْهُ
لَكِنْ عِنْدَنَا خُورُجُ قَوْلِهِ احْكُم بِالْحَقِّ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ عَلَى وَجْهِ أَحَدِهَا
نَقُولُ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا بِحُكْمِكَ وَهُوَ الْحَقُّ وَالثَّانِي نَقُولُ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ فِي حَادِثِ
الْوَقْتِ كَمَا حُكِمَتْ فِي الْوَقْتِ الْمَاضِي وَهُوَ كَقَوْلِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَهُوَ
النُّبُوَّةُ وَالْهُدَايَةُ وَالثَّلَاثُ لِحْتِمَالِ عَلَى اسْتِحْجَالِ الْعَذَابِ وَاللَّهُ اعْلَمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
وَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ قُلُوبَهُمْ قَدْ كُنَّا فِيهِمْ لَمَّةً وَهُمْ لَا يَشْرُونَ وَالْقَادَةُ
أَخْبَرَنَا الدُّوسَاءُ قَالُوا لَا تَبَاعُ وَالسُّفْلَةُ لَنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا أَنْكُمْ إِذَا الْخَاسِرُونَ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ لَجَاحِلُونَ ثُمَّ لَحِثَ قَوْلَهُ أَنْكُمْ إِذَا الْخَاسِرُونَ وَجَوْهًا أَحَدُهَا أَنَّ
شُعَيْبًا كَانَ لِحْذَرِ قَوْمِهِ عَنِ التَّطَنُّيفِ فِي الْيَكْلِ وَالْوَرَنِ وَيَا مَرِّمْ يَا بَقَاءَ خُفِّ
النَّاسِ نَقُولُهُ أَوْ فَوَ الْيَكْلِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ بِقَوْلِهِ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَخْسِ النَّاسُ أَمْشِيَةً هُمْ فَكَوْنُوا الْكِبْرَاءَ وَالرُّوسَا لِلْسُّفْلَةِ
لَنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا فِي دِينِهِ وَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ الْحَقِّ لِلنَّاسِ فَإِنَّكُمْ إِذَا الْخَاسِرُونَ
لِلْأَرْبَاحِ وَالثَّانِي أَنَّهُ كَانَ يَحْذَرُهُمْ وَيَنْهَعُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَيَدْعُوهُمْ
إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ لِيَقْتَرِبَ عِبَادُهُمْ

إِيَّاهَا إِلَى اللَّهِ زِلْفِي وَبُكُونُ لَهُمْ شَفْعَاءَ فِي الْآخِرَةِ فَقَالُوا لَنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا فِيمَا يَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ وَبَيْنَهُمْ عَنْهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ لَا شَفْعَاءَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّلَاثُ أَنَّهُمْ كَانُوا
يُوعِدُونَ شُعَيْبًا بِالْأَخْرَاجِ كَقَوْلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ فَقَالُوا لَنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا
وَهُوَ لَخُرُجٌ لَا تَحَالُهُ فَيُخْرِجُونَ أَنْتُمْ فَضَرَبْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَاخْذُ تَمَّ الرَّجْفَةُ قِيلَ الصَّيْحَةُ وَقِيلَ الذَّلْزَلَةُ لِمَا قِيلَ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ
فَرَفَعَتْ سَحَابَةٌ فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَ الرُّوحَ لِحْتِمَالِهَا فَلَمَّا كَانُوا لِحْتِمَالِهَا سَأَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ
وَلَحِثَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَهَلَكُوا وَهُوَ مَا ذَكَرْتُ فِي آيَةِ أُخْرَى فَاخْذُ تَمَّ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ
وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلُهُ تَعَالَى فَاصْبِرُوا فِي دَمَارِهِمْ جَائِئِينَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ وَاللَّهُ اعْلَمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا
الْخَاسِرِينَ هُوَ وَاللَّهُ اعْلَمْ مَقَابِلَ قَوْلِهِمْ لَنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا أَنْكُمْ إِذَا الْخَاسِرُونَ وَجَوَابُ
لَهُمُ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا
لَمْ يَفْعَلُوا فِيهَا أَيِ كَانُوا لَمْ يَعِيشُوا فِيهَا وَلَمْ يَنْعَمُوا قَطُّ وَقِيلَ كَانُوا لَمْ يُقِيمُوا فِيهَا قَالَتْ
الْقَتْبِي يَقَالُ غَيْنِيْنَا بِكَانَ كَذَا وَكَذَا أَيِ اقْنَأْ وَيَقَالُ لِلْمَنَازِلِ مَغَانٍ وَأَحَدُهَا مَغْنَا
وَيَقَالُ كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا فِيهَا أَيِ كَانُوا لَمْ يَكُونُوا فِيهَا قَطُّ وَهُوَ وَاللَّهُ اعْلَمْ لَمَّا كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا
نَعَمْ وَلَسْتَ تَحْقِرُوهَا حَتَّى قَالُوا لَبِثْنَا بِوَمَا أَوْبَعُضُ يَوْمٍ وَقَوْلُهُ كَانُوا لَمْ يَفْعَلُوا الْإِسَاعَةَ
مِنَ النَّهَارِ وَخَوْهُ وَكُلُّ ذَلِكَ أَخْبَارٌ عَنْ قَطْعِ أَثَرِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَزَنَ
عَلَيْهِمْ أَوْ بَكَى عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى فَيَتَوَلَّى عَنْهُمْ أَيِ حِينَ رَأَاهُمْ هَلَكِي فَقَالَ شُعَيْبُ
فَكَيْفَ أَسَى عَلَى قَوْمٍ كَأَيِّدِينَ أَيِ كَيْفَ أَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ قَدْ كَذَبُونِي وَاخْتَارُوا عِدَائِي
وَصَارُوا لِي أَعْدَاءَ كَيْفَ أَحْزَنَ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَهُمْ أَعْدَائِي وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ
شُعَيْبٌ حَيْثُ قَالَ فَكَيْفَ أَسَى عَلَى قَوْمٍ كَأَيِّدِينَ حَيْثُ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَهْلِكُونَ وَيَنْزِلُ بِهِمُ
الْعَذَابُ أَيِ لَا أَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَعَلِمَهُمْ مَا ذَكَرْتُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ عَلَى الْقَدَمِ وَالْآخِرِ
قَالَ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَالَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ الْآيَةَ نَقُولُ
كَيْفَ أَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ وَعَلِمَهُمْ مَا ذَكَرْتُ وَقَوْلُهُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِي وَلَقَدْ نَعَيْتُكُمْ
قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا
بِالْبَاسِ بَارِ وَالضُّدَّاءَ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ فِي الْآيَةِ أَصْنَامُ وَاللَّهُ اعْلَمْ مِنْ وَجْهِ أَحَدِهَا
قَوْلُهُ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ فَكَذَّبُوهُ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا الْمَكْذِبِينَ لَهُ بِالْبَاسِ
وَمَا ذَكَرُوا إِلَّا لِحْتِمَالِ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ غَيْرِ أَنْ كَانُوا

منهم زدا وتكذيبهم والثاني وما أرسلنا في قبيلة أهلكنا من بني الأخذنا
أهلها قتل الهلاك بالبأساء والصنوءة لعلمهم بغير عون ثم لم يأخذ الله قوماً بالهلاك
قتل ان بعث اليهم الرسول وقتل ان يغير وأهم ما انعم عليهم بأنفسهم كقوله وما
كان ربك مهلك القوي حتى بعث في أمهارة رسولاً الآية وقوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولاً وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم وقال
وما كنا مهلكي القوي الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الآيات اخبرانه لا
ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان له الهلاك
فتبل ان بعث اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول السليمة بما يوصل الي فهم
كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته وآيات ربه وبيته وما جعل لهم من السبع والنطق
بما به يوصل الي سماع كل ما غاب والنطق بما يريدون ما لم يجعل ذلك بغيرهم من الأيام
ولما انعم عليهم من احسن الصور التي لم يمتن احد لغويله منها الي غيرهما من الصور
لكن لا يهلككم الا بعد بعث الرسل اليهم لما ان اخلق علي مراتب منهم من يفهم بالعقل
لاحتاج الي معونه السميع وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون الاشياء بالفكر
والاستدلال بالعقل الصريح ومنهم من لا يدرك الا بمعونه السميع وهم
كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفصل التنبيه ومنهم من لا يدرك بالعقل
وذلك لغلبة الهوى عليه ولا بالسمع لقلة التأمل في آيات الرسل ليعرفوا
صديق رسالتهم حتى يصيبهم الشدة آيد والغير في انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهايم
الذين لا عقل لهم ولا سميع ولكن يعرفون الشدة آيد وما يصيبهم من البلاء
فعل ذلك مختمهم وتنليم بالشدة آيد والبلاء اولافان رجوعاً عن ذلك وعرفوا نعمة
والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك يتذكرون ويهتدون وذلك قوله فاخذناهم بالبأساء
والصنوءة لعلمهم بغير عون ثم قوله لعلمهم بغير عون اي ليكون عليهم التصريح او لكي يلزمهم
التضرع والتذكر قوله تعالى ثم بد لنا مكان السيئة الحسنة ذكر اهل التاويل
هو السعة والرخاء بعد الشدة والخط وما حل بهم من البلاء حتى عفوا قتل
حموا وكثروا اي كشف عنهم ذلك حتى كثروا وقيل حتى عفوا كان اهلك بعضهم
وترك بعضا حتى عفوا اي كثروا من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا
من البأساء والصنوءة والشدة آيد والخط ثم كشف ذلك عنهم وكثروا والله اعلم
قوله تعالى وقالوا قدمنا ابارنا الصنوءة والصنوءة اي قالوا ان ابارنا قولا كان

بوزن بهم ذلك ولصبيهم مرة سدة ومرة نعمة ولم يكن ذلك عقوبة لهم فعلي ذلك ما يصيبنا
من الشدة آيد والبلاء ليس ذلك بعقوبة لنا ولكن دورا من الضر ونقص منه
علي السدة والبلاء مرة وعلي السعة والخصب اخري ثم اخبر انه اخذهم بغيره
بعد قولهم قدمنا ابارنا الصنوءة والصنوءة بقوله فاخذناهم بغيره وهم لا يشعرون ليعلموا
ان ذلك كان عقوبة لهم وقطعا لعذرهم ثم سمي ذلك اخذاً بالبعث لان الهلاك في حال
السدة والبلاء لا يكون احداً بغيره لان من حل به بلاء وشدة لخاف فيه الهلاك فاذا
هلك في تلك الحال لم يكن اخذاً بالهلاك بغيره الا ترى انه سمي الموت الذي يموت المرء
من غير مرض حل به موت فجأة والذي يموت بمرض بيقدم الموت لا وان الموت
في الوجهين جميعاً لا يعلم بحلوله لكنه اذا لم يقدم مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به
مرض يخاف منه فلم يكن فجأة فعلي ذلك اذا اخذوا في حال السدة لم يكن اخذاً
بالبعث لما خافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون فيؤخذون
في تلك الحال فذلك اخذاً بالبعث وهو أشد من الاول والله اعلم قوله تعالى
ولو ان اهل القري آمنوا ونفوا قيل آمنوا واتوا قتل ان يهلكوا بعد ما اصابهم
من الشدة آيد والبلاء لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لا تعطوا كل خير
ينال من السماء والارض والبركة كل حين ينال من غير مؤنة ولا بعة ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون وختم قوله ولكن كذبوا النعم التي انعم الله
عليهم فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب والكفران والله اعلم ثم ذكرهم هنا
انه يفتح عليهم بركات السماء والارض لو آمنوا ونفوا ثم ذكر في موضع آخر اذا لم يؤمنوا
ولم يشؤا ما ذكرناه به انه يفتح عليهم ابواب كل شئ بقوله فلما تشؤوا ما ذكرناه به فتحنا
عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغيره ولم يذكر البركة لان فيما
لم يذكر البركة وان فتح عليهم ابواب النعم ولكن تلك النعم تصير سبباً لهلاكهم في العاقبة
لما اقدموا علي الكفران ولحقهم النعمة والعقوبة بذلك وفيما ذكر فيه من البركة
بعد الايمان لا يلحقهم في ذلك تبعه ولا عذم اذا البركة كل شئ لا يتبعه عليه ولا شدة
والله اعلم قوله تعالى اقامن اهل القري ان يأتهم بأسنا بيانا وهم ياتون
خارج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة علي الاجاب كقوله اي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان لحيف الله عليهم ورسوله الآية في الظاهر وان
خرج مخرج الشك والارتباب فهو في الحقيقة علي الاجاب كانه قال في قلوبهم مرض

وَأَرْتَابُوا خَافُوا أَنْ لَيْفَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَعَلِيَ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَوْ مِنْ
أَهْلِ الْقُرَىٰ عَلَى الْإِجَابِ كَأَنَّهُ قَالَ قَدْ آمَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
بَيَاتًا وَآمَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا نَهَارًا ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ أَفَأَمِنْ
أَهْلُ الْقُرَىٰ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ قَالَ الْحَسَنُ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْأَمِّ السَّالِفَةِ
أَخْبَرَهُ عَنْهُمْ بَنُورُ بَاسِ اللَّهِ وَعَذَابُهُمْ لَكِنْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ لِيَكُونُوا
عَلَى حَظَرٍ عَنْ مِثْلِ صَنِيعِهِمْ وَقَالَ آخَرُونَ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي قُرَى هَذِهِ الْأَمَّةِ
لَا فِي الْأَمِّ السَّالِفَةِ يَقُولُ آمِنْ هُوَ لَا بَأْسًا كَأَمِنْ أَوْ لِيَكِ مِنْهُ فَإِنْ أَصْنَعُوا
مِثْلَ صَنِيعِهِمْ يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِأُولَئِكَ فِي الدُّنْيَا
قَوْلُهُ تَعَالَى بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ وَقَوْلُهُ بَأْسُنَا نَهَارًا وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَخْبَارُ
أَنَّ الْعَذَابَ أَنْ نَأْتِيَهُمْ فِي حَالِ الْأَمْنِ وَهُوَ وَقْتُ النَّوْمِ وَاللَّعِبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَقْتُ
الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَأَمَّا يَكُونُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ فِي حَالِ النَّوْمِ يَذْكُرُ هَذَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهْلُ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَرَةِ بِتَكْذِبِهِمْ رَسُولَهُ لِيَلَا يَكُونُوا آمِنِينَ عَنْ
بَاسِ اللَّهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَأَمَّنَا مَكْرًا اللَّهُ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرًا اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ الْمَكْرُ فِي السَّاهِدِ هُوَ أَنْ يَرَاهُ مِنْ عَدُوٍّ
حَالِ غَفْلَةٍ لِيَنْتَقِمَ مِنْهُ وَيَنْصُرَ لَكِنْ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى لَا حَاجَةَ إِلَى الْمُرَاقَبَةِ الْقَدْرَةِ
عَلَى الْإِنْقَامِ مِنْهُ فِي أَيِّ حَالٍ شَاءَ لَكِنْ سُمِّيَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ مَكْرًا بِطَرِيقِ
الْمِجَازِ لَوْجُودِ بَعْضٍ مَا فِي الْحَقِيقَةِ وَهُوَ عِتَابُ حَالِ الْغَفْلَةِ وَإِنْ عُدِمَ وَصَفُ
الْمُرَاقَبَةِ وَهَذَا طَرِيقُ الْمِجَازِ فِي اللَّفْظِ هُوَ الْمِثْلُ فِي بَعْضٍ مَا فِي الْحَقِيقَةِ وَنَظِيرُ
مَا قُلْنَا لَفْظُ الْإِمْتِحَانِ وَالْإِبْتِلَاءِ يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ الْإِمْتِحَانُ
وَالْإِبْتِلَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَيَا بَيْنَ الْخَلْقِ هُوَ اسْتَظْهَرَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَيَوْمَرُونَ بِذَلِكَ وَيَهْتَوُونَ لِيُظْهِرَهُمْ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ فَاطْلُقْ لَفْظَ
الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مَا خَفِيَ عَلَى الْخَلْقِ
مِنَ الْخَفِيَّاتِ ظَاهِرًا فِي حَقِّهِ بِطَرِيقِ الْمِجَازِ لِمَا فِي الْإِمْتِحَانِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَا وَجَدَ مِنَ اللَّهِ يُسَمَّى مَكْرًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْرًا فِي الْحَقِيقَةِ لِمَا أَنَّهُ جَزَاءُ
مَكْرِهِمْ فَيُسَمَّى جَزَاءُ الْمَكْرِ مَكْرًا مِجَازًا كَمَا سُمِّيَ جَزَاءُ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةً وَجَزَاءُ الْإِعْتِدَاءِ
إِعْتِدَاءً فَعَلِيَ ذَلِكَ لِسَمِيَةِ الْجَزَاءِ الْوَاجِبِ بِالْمَكْرِ مَكْرًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا جُورَ أَنْ يَكُونَ مَكْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ لَا جُورَ أَنْ يُسَمَّى كَذَا

وَلَوْ كَانَ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَكْرِ لِمَا فِي السَّمِيَةِ بِذَلِكَ دَلَّ أَنْ السَّمِيَةَ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْوَحْيِ
بَطَرِيقِ الْمِجَازِ أَمَا بِطَرِيقِ الْمِثْلِ أَوْ بِطَرِيقِ السَّمِيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا مِنْ حَبْلِ الْآيَةِ فِي الْأَمِّ السَّالِفَةِ
فَتَأْتِيهِمْ بَنُورُ بَاسِ اللَّهِ وَأَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَاغُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَقَوْمٌ يَحْدُثُونَ وَمَنْ يَقُولُ الْآيَةُ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ فَتَأْتِيهِمْ بَنُورُ بَاسِ اللَّهِ وَأَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَاغُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
كَمَا أَصَابَ أُولَئِكَ الْعَذَابَ بِذُنُوبِهِمْ وَنَتَّبِعْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ قَوْلُهُ
أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا قَدَارًا عَلَى اسْتِقْطِ الْأَلْفِ وَالْوَادِ
وَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ قَدَارًا عَلَى اثْنَاتِ الْأَلْفِ وَالْوَادِ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ قَدَارٍ بِالْإِسْقَاطِ فَقَدْ آتَاهُ لِحُكْمِهِ وَجُوهًا أَحَدَهَا عَلَى الْقَدْرِ
وَالْإِثْبَاتِ أَيُّ قَدْ هَدَاهُمْ وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنْ مَنْ يَهْدِيهِمْ نَا هَلْ كَوْنًا أَصَابَ يَوْمَ ذُنُوبِهِمْ
مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ لَكِنْ لَمْ يَهْدِ الْعِنَادَ لَهُمْ وَالشَّيْءُ أَيُّ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ لِمَا يَتَفَكَّرُوا
وَلَمْ يَنْظُرُوا فَيَا هَلْكَ الْأَوَّلِينَ وَمَا حَلَّ بِهِمْ بِتَكْذِبِهِمُ الرِّسْلَ أَنْهُمْ إِذَا تَرَكُوا الْفِكْرَ
وَالْتَمَلُوا وَالثَّلَاثَ لِحُكْمِهِ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ لِمَا أَنْهُمْ لَمْ يَنْفَعُوا بِهِ وَإِنْ هَدَاهُمْ فَكَانَ لَهُمْ
يَهْدِيهِمْ وَهُوَ كَمَا نَفَى عَنْهُمْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْعَقْلَ مَعَ الْوُجُودِ حَقِيقَتِهِ لِمَا يَنْفَعُوا
بِهِمَا هَذَا مِثْلُهُ وَمَا الْقُرْآنُ بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ وَالْوَادِ مَعْنَاهُ أَوَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُمُ الرِّسْلَ
قَدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَهْلَاكِ الَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا وَلِحُكْمِهِ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ وَرَأَاهُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلَاكِ
أَهْلِهَا أَنْهُمْ يَهْدِيهِمْ أَهْلًا كَوْنًا يَرْتَدُّ عَوًا وَمَنْعُوا عَنْ مِثْلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ أَنْ لَوْ نَشَاءُ
أَصْبَاغُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَتَاخِرِينَ فَكُونَ تَأْوِيلُهُ أَنْ لَوْ
نَشَاءُ أَصْبَاغُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَ أُولَئِكَ بِذُنُوبِهِمْ وَقَوْلُهُ وَنَطْبَعُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ لِحُكْمِهِ أَيُّ لِحُكْمِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذَا طَبَعَ هُوَ الْخَتْمُ وَلِحُكْمِهِ طَبَعَ ظِلْمَةُ الْكُفَرَاءِ سَتَرُ
قُلُوبِهِمْ بِظِلْمَةِ الْكُفَرِ وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرُ شَيْئًا وَتَغْشَاهُ فَهُوَ طَبَعَ وَقَوْلُهُ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ يَحْتَمِلُ أَيُّ لَا يَشْعُرُونَ بِسَمَاعِهِمْ وَلِحُكْمِهِ لَا يَشْعُرُونَ أَيُّ لَا يَحْسِبُونَ
كَقَوْلِهِ سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ أَيُّ إِجَابَ مَنْ دَعَا قَوْلُهُ تَعَالَى تِلْكَ الْقُرَى نَقَصَ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ قَوْلُهُ نَقَصَ عَلَيْكَ أَيُّ نَقَصْنَا عَلَيْكَ بِمَا هُوَ حَقٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

خبر رسوله باقت عليه ان اهل القري التي كانت من قبل سألوا رسلا الآيات فجاءوا
بها فلم يؤمنوا ولم يصدقوها فعلي ذلك هو لا انك لو ايتت بما سألوك من الآيات
لم يؤمنوا بها ولم يصدقوها فخير عن نعمتهم وعنايتهم والثاني لخبر ان الآيات
ليست بحج ان يا قوا بها من الجهة التي يريدون انما عليهم ان يأتوا بما هو حجة في نفسه
والله اعلم قولي ولقد جاءتهم رسلا بالبينات محتمل وجوها محتمل الانبياء
التي آيات الرسل قومه من قول العذاب بالتكذيب والكفر بها ومحتمل لبيانات
الآيات التي تدل على صدق رسالة الرسل بما يقولون وخبرون بعد ما سألوا
الآيات التي ردوها رد عناد ومكابرة بعد ما عرفوا قولي تعالى فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا اليوم من المار أو اباسنا بما كذبوا من قبل اي
لا ينفعهم ايمانهم عند ربهم باسم الله كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
الآية ولختم اي ما كانوا اليوم من آلهم الآيات اذا اتهم الآيات بما كذبوا من قبل
لان تركهم الايمان وتكذبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم الآيات ولكن لتعنت فاجروا
انهم وان سألوا الآيات فإنهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا اليوم منوها
يخبرهم الرسول من اتيان العذاب بهم بما كذبوا من قبل من الانبياء والرسول
قولي تعالى وما وجدنا الاكثر من عهد المحتمل العهد المذكور وجوها
احد ها عهد الخلق لما في خلقه كل احد السهارة بالوحدانية له والالهية
فلم يؤمنوا تلك اليهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على السنن
الرسول كقوله وقال الله اني معكم لين اقم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنت
برسلي الآية فلم يؤمنوا بذلك والثالث ما اعطوا من انفسهم من العهد كقول
فرعون لموسي يا هذا الساجد ادع لنا ربك بعهده عندك اننا لم نؤمن ولم يؤمنوا
بما اعطوا اياه من اليهود والله اعلم قولي تعالى وان وجدنا اكثرهم فاسقين
اي قد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم قولي تعالى ثم بعثنا
من بعدهم موسي محتمل قولي ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسي رسولا
بآياتنا الي فرعون وملايه ثم قوله بآياتنا محتمل حججنا والحج محتمل حجج وحدانيه
الله والوحيته ومحتمل حج رسالته ونبوته وقالت الحسن بآياتنا وبنينا وكذلك
تاويل الآيات عنده في جميع القرآن وقوله الي فرعون وملايه ذكره هنا ان
موسي عليه السلام كان مبعوثا الي فرعون وملايه وذكر في موضع آخر انه كان

مبعوثا الي فرعون خاصة بقوله وفي موسي اذا رسلناه الي فرعون بسلاط
مبين وهو كان مبعوثا الي فرعون وملايه والاتباع جميعا لا الي فرعون
وملايه خاصة لكن لخرج خصيص ذكره ولا القادة والله اعلم لما ان الذي
ينبغي الانبياء والرسلا هم الكبرياء والكبرياء والروساء دون الاتباع والسفلة انما الاتباع
نصرون عن اراء الكبرياء ويتبعونهم في الامور وفيما يدعونهم اليه وعلى ذلك
سمي الكبرياء والروساء اصدا للرسلا والا كان موسي مبعوثا الي الكل الوضيع
منهم والرفع ولا قوة الا بالله قولي تعالى وظلموا بها قال بعضهم اي ظلموا
الآيات والحج التي اليها موسي الي فرعون وقومه سمي ذلك ظلما لانهم سموا
بذلك الآيات سحرا بعد ما عرفوها منزلة من الله تعالى فوضعوها غير موضعها
والظلم وضع الشيء غير موضعه وقال قائلون اي ظلموا نعم التي انعم الله عليهم حيث
عبدوا عباده فصدفوا شكر تلك النعم الي غير من انعم الله عليهم وذلك ظلم شكروا
من لم ينعم عليهم وصدفوا الشكر الي غير من انعم عليهم والله اعلم ومحتمل ظلموا بها
اي ظلموا الاتباع بتلك الآيات حيث منعهم عن اتباع الرسول واستنبتعهم
ومحتمل ظلموا بها اي انفسهم حيث تركوا اتباع الآيات والله اعلم قولي تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر للرسول الله وكان
المراد بالخطاب غيره امر كلاً بالنظر في عاقبة المفسدين لما حله بهم بقضاءهم
لان من نظر في عاقبة ما حل بغيره بسبب معصية او فساد يمنع عن مثله حتي
لا يلحقه مثل ما يلحق ذلك والله اعلم ومحتمل ان يكون الخطاب للرسول الله
لوجبين احدهما لما له بما حل بهم بعض النسيب لاذاهم اياه لان من قوم خلوا
الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض النسيب في ذلك
والله اعلم والثاني ليدكرهم وفيهم ما يحل بهم في العاقبة بسبب ما كانوا يباشرون
من الكفر والعناد ليمتنعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ان جروا الله اعلم
قولي تعالى وقال موسي يا فرعون اني رسول من رب العالمين والاشكال
ان كيف قال اني رسول من رب العالمين وهذا الخوض في الظاهر لخرج تركية
نفسه والامتداح بها وقد تبييننا عن ذلك بقوله فلا تزكوا انفسهم فإنه اخبر
انه بالمحل الذي يوضع فيه الرسالة وجعله وانه اهل لها فنقول ليس فيه امتداح
نفسه ولا تركية له لانه انما يذكر منه الله على نفسه حيث وضع فيه الرسالة وجعله

أَهْلًا لَهَا فَيَكُونُ شُكْرًا لِلنَّعْمَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَّا التَّزَكِّيَّةُ وَالْإِسْتِجَارَةُ
فَمَا نَفَعُ فِيهَا هُوَ فَعْلُهُ حَقِيقَتُهُ لَا فَعْلُ اللَّهِ وَحَقِيقَةُ الْجَوَانِ وَإِنْ كَانَ هَذَا تَزَكِّيَّةً وَإِسْتِجَارَةً
لِنَفْسِهِ لَا لِلَّهِ أَمْرٌ بِذَلِكَ لَمَا يَتَضَمَّنُ أَقَامَةً أَمْرٍ وَاحِبٍ عَلَيْهِ وَهُوَ تَبْلِيغُ رِسَالَتِهِ
إِلَى حَلْقِهِ الَّتِي يَتَضَمَّنُ حِكْمَةً بِالْعَقْلِ وَمَصْلَحَةً لِلخَلْقِ تَامَةً وَلَا يَتَكُنْ لَذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ
إِضَافَةِ الرِّسَالَةِ إِلَى نَفْسِهِ وَتَزَكِّيَّةِ النَّفْسِ لِعَيْنِهَا يَتَجَمَّعُ أَمَّا الْغَيْرُهَا فَلَا وَحَقِيقَةُ أَنَّهُ
أَرَادَ بِذَلِكَ تَعْرِيفَ نَفْسِهِ بِالرِّسَالَةِ صَيًّا فَهُوَ لِنَفْسِهِ عَنِ الْهَلَاكِ لِأَنَّهُ عَادَةُ الْمُلُوكِ
أَنَّهُمْ إِذَا بَعَثُوا بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُسُلًا فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَقْبِلُونَ الرُّسُلَ بِالْمَكْرُوهِ وَالشُّرْ
بِإِلْ يَعْظُمُونَ الرُّسُلَ وَيَكْرَهُونَهُمْ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ مَعَادَاةٌ فَدَكَرَ أَنَّهُ رُسُلٌ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ لِيَلَا يَسْتَقْبِلُ بِالْمَكْرُوهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى حَقِيقٌ عَلَى الْآ
أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ قَالَ أَهْلُ التَّوِيلِ أَنَّ مُوسَى لَمَّا قَالَ لِفِرْعَوْنَ أَنِّي رَسُولُ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لَهُ كَذِبْتَ لَمْ يَرْسَلْكَ إِلَهُنَا وَخَوَّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ حَقِيقٌ
عَلَيَّ إِلَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ وَهَذَا
هُوَ الظَّاهِرُ فَإِنْ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ لَا يَذْكَرُ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَمَةٍ فَكُنْ هَذَا الْكَلَامُ خَرَجَ
جَوَابًا لِمَا قَالَ لِفِرْعَوْنَ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ التَّوِيلِ وَهُوَ كَمَا قَالَ عِيسَى سُبْحَانَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ لَمَّا قَالَ لَهُ تَعَالَى أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
قَامِي الْهَامِنْ دُونَ اللَّهِ وَكَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْ عِيسَى بَعْدَ مَا دَعَى قَوْمَهُ عَلَيْهِ
أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ خَرَجَ ذَلِكَ
الْقَوْلُ مِنْهُمْ جَوَابًا مَّا بَقِيَ قَبْلَ ذَلِكَ فَعَلِيَ ذَلِكَ قَوْلُ مُوسَى حَقِيقٌ عَلَى الْإِلَهِ
أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ خَرَجَ عَلَى بَقِيَّةٍ مَّا كَانَ مِنْهُمْ وَحَقِيقَةُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ
عَلَى عَيْنِ كَذِبِ الْقَوْلِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَلَكِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لَمَّا أَنَّهُ حَقِيقٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ
أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرِّسَالَةِ وَاخْتَارَهُ لَهَا أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ وَحَقِيقَةُ أَنْ
يَقُولَ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ وَحَقِيقَةُ أَنْ يَقُولَ أَنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ
عَلَيَّ بَعْدَ مَا أَكْرَمَنِي بِالرِّسَالَةِ إِلَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ ثُمَّ تَرَارَ قَوْلُهُ حَقِيقٌ عَلَى
إِلَهِ أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ تَحْقِيقٌ عَلَى وَتَشْدِيدٌ فَهُوَ تَرَارٌ بِالْخَفِيفِ فَالْحَقِيقُ
فَعِيلٌ مَعْنَى مَفْعُولٌ أَيُّ يَحْقُوقُ عَلَى إِلَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ وَمِنْ تَرَارٍ بِالتَّشْدِيدِ
فَتَوَارِيهِ حَقٌّ عَلَى إِلَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْإِلَهِ الْحَقُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ لِحُكْمِ قَوْلِهِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا يَبَيِّنُ وَحِدَانِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْوَحْدَانِيَّةَ

وَحَقِيقَةُ بَيِّنَةٍ الرِّسَالَةُ مَا يَبَيِّنُ أَنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَنِ كَذِبٍ عَلَيْهِ وَلَا مَقَرٍ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَيُّ لَا تَسْتَعْبِدْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَيَسْتَوُوا
بِعَبِيدِكَ لَمْ يَرُدَّ رِسَالَهُ إِيَّاهُمْ مَعَهُ وَلَكِنْ طَلَبَتْ مِنْهُمْ اسْتِنَاعَظَهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ
وَهُوَ كَقَوْلِهِ أَنْ عَمِدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ أَنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ
فَأَتَتْ بِهَا أَنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ دَلَّ قَوْلُ فِرْعَوْنَ أَنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ أَنَّ مُوسَى
أَرَادَ بِقَوْلِهِ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ الْآيَةُ وَدَلَّ قَوْلَهُ أَنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأَتَتْ
بِهَا أَنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ أَنَّهُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ كَانَ عَرَفَ أَنَّهُ لَيْسَ بِأَلِهِ وَعَرَفَ عِبَادَتَهُ
نَفْسَهُ حَيْثُ طَلَبَتْ مِنْهُ الْآيَةَ عَلَى صَدَقَ مَا دَعَى مِنَ الرِّسَالَةِ وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّهُ
أَلِهُ لَكَانَ قَالَتْ مُوسَى أَنَا إِلَهُهُ فَنِيَّ أَرْسَلْتُكَ وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُ الْآيَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَالْتَقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ قَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ الثُّعْبَانُ الْحَيَّةُ وَقَالَ كُلُّ حَيَّةٍ
لَيْسَتْ ثُعْبَانًا وَالثُّعْبَانُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ
الثُّعْبَانُ الْحَيَّةُ الذِّكْرُ وَقَوْلُهُ مُبِينٌ أَيُّ مُبِينٌ أَنَّهُ حَيَّةٌ وَهُوَ كَمَا ذَكَرْتُ قَوْلَهُ
فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ لَتَشْعَى مُبِينٌ لَا يَشْكُ أَحَدًا نَهَا لَيْسَتْ بِحَيَّةٍ وَحَقِيقَةُ أَيُّ مُبِينٌ أَنْ ذَلِكَ
التَّغْيِيرُ وَالتَّحْوِيلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّازِلِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ نَزَعَ يَدَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَاذَا هُوَ مَا ذَكَرْتُ فِي آيَةٍ أُخْرَى وَأَدْخَلَ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءُ مِنْ عَيْنِ سَوْءٍ قِيلَ أَيُّ مِنْ عَيْنِ آفَةٍ وَلَا أَذَى وَقَالَ
أَهْلُ التَّوِيلِ مِنْ عَيْنِ بَرٍّ وَلَكِنْ عِنْدَنَا مِنْ عَيْنِ سَوْءٍ أَيُّ مِنْ غِيَاثٍ لَيَسْتَفِجُ
أَوْ لَيَسْتَفْزِرُ لِأَنَّهُ خَرَجَ النَّبِيُّ عَنْ خَلْقِهِ وَجُوهِهِ مَّا لَيْسَتْ قَدْ رَفَاخَبَانَهُ لَمْ
يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنْ قِيلَ مَا الْحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِأَدْخَالِ يَدِهِ الْجَيْبَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ
وَأَخْرَاجِهَا بَيْضَاءُ وَكَيْفَ لَمْ يَصِيرَ هَذَا كَذِبًا مِنْ عَيْنِ أَدْخَالٍ وَكَذَلِكَ فِي صِيْرَةِ
الْعَصَى حَيَّةً بَعْدَ مَا طَرَحَهَا عَلَى الْأَرْضِ دُونَ أَنْ تُصِيرَ حَيَّةً وَهِيَ فِي يَدِهِ قِيلَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَمَّا فِي الْعَصَى ظَاهِرُ قَانَهُ أَرَاهُمْ فِيهَا آيَةً بَعْدَ مَا أَخْرَجَ الْعَصَى عَنْ سُلْطَانِ
مُوسَى وَتَدْبِيرُهُ لِيَعْلَمَ أَنَّهَا صَارَتْ حَيَّةً لَمْ يَتَدَبَّرْهُ وَقِيلَ وَلَكِنْ بَالَهُ تَعَالَى وَكَذَلِكَ لَيْدُ
أَيْضًا صَارَ هَذَا بَعْدَ مَا غَشِيَهَا مِنْ بَصَرِهِ وَتَدْبِيرُهُ حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ أَنَّهُ يَنْفِخُ فِيهَا أَوْ يَرِيقُ
عَلَيْهَا شَيْئًا بِالْيَدِ الْأُخْرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي هَذَا امْتِحَانٌ مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُ لِيَكُونَ تَحْتِ
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي كُلِّ جِبَالٍ لِيُثَابَ بِالْأَسْمَاءِ وَيُظْهَرَ الْعِبَادَةُ وَالطَّوَاعِيَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَنْ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ وَقَالَ فِي آيَةٍ

اخري قال للملا حوله ان هذا الساجر عليم اي قال يدعون للملا ويحتفل ان يكون
 يدعون قال للملا ان هذا كذا ثم قال للملا لقومه ان هذا الساجر عليم اراد والله علم
 تلبس ما اتى به موسى من الآية علي قومه واراد بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
 اعز آرقومه عليه والسحر عندنا هو آية من آيات الرسالة في الجملة لانه لا يستفاد
 الا بعلم من السماء وحرم منها وكذلك هذه الحرف والمكاسب التي تكسب في الخلق
 لانه لا تعلم الا بالوحي من السماء لكنه ليس بآية علي الاشارة واليقين اعني انه ليس
 بآية في حق كل شخص وجد لانه قد يوجد من الشخص بطريق التعلم من غيره الي
 ان ينهي الي الوحي كالخرف والمكاسب سواء وهذا طريق معتاد والآية ما
 خرجت علي نقض العادة وانما يكون انه يوصف خاص وهو ان يوجد في حق
 من يعرف انه لم يحصله بالتعلم فيتبين في حقه الوحي وهو خلاف العادة فتكون
 آية وفي حق موسى لو كان ما اتى به سحرا لكان آية لوجود طريقها لانه لست
 بين اظهرهم ولم يروه اختلت في ذلك الي احد للتعلم الا ان الله تعالى مع هذا
 اخبر ما ظهر علي يده عن وسع السحرة وتدبيرهم اذا السحر له مبلغ معلوم
 يعرفه كل من له حظ منه انه لا يتجاوز علي مجري العادة مثل القار المحبسة
 والعداوة والصراع ويخوذ لك وان كان ذلك مقدور الله علي طريق النقص
 ليس في مقدور الساجر اذا اثره في غيره حصل قدرته لكن اخري الله تعالى العادة
 علي ظهور ذلك علي يدي الساجر عند وجود اسبابه من الرتبة ونحوها مما
 خرج عن حدة المعتاد مثل احياء الموتي واثبات الحيوة في الخشب ويخوذ لك
 يعرفه من له بصيرة في بابه انه خارج عن تدبيرهم وانه ليس بما اجري الله العادة
 به فلا يكون سحرا فينتقن انه آية من آيات الله تعالى يظهرها علي يدي من يجري
 الرسالة لصوت دعواه بهذا الطريق عرف سحره فدعون كون ذلك آية
 ولم يكن ذلك من جنس السحر وان كان السحر في نفسه اية ليلاطعن عليه
 احد فيقول ان ما اتى به سحر لا آية والله اعلم ولا يقال ان السحر لما كان امرا
 يظهر علي نقض العادة فزما ياتي به الساجر في موضع لا علم لم بذلك فيدعي النبوة
 عقبيه فنقول اذا كان ذلك امرا يظهر علي ايد السحرة علي مجري العادة عند وجود
 اسبابه باحداث الله تعالى والله تعالى انما اجري العادة بذلك اذا لم يدع الساجر
 عقبيه النبوة والرسالة اما اذا ادعي لا يظهر ويصرفه عن ذلك ليقع الغش

بين الكاذب والصادق وهو كما قلنا في القرآن انه معجز ثم اذا اراد احدا ان
 يدعي به النبوة في حق قوم لم يبلغهم ذلك فيجوز عن انبائه ليطهر كذبه فكذلك
 هذا ولا يقال ان سحرة يدعون قد اتوا بجنس ما اتى به موسى من آية الحيوة
 في الحبال والعصي مثل ذلك صورة لان ذلك تخييل وشعبذة وانه جنس
 آخر ورا السحر لانه لا حقيقة له وانما ذلك اخذ للاعين فاما السحر فهو تخليط
 الجواهر لكن نحدد معلوم لا علي الاطلاق في كل شيء يعرف السحرة من السحر
 والله اعلم ثم قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم كان موسى لا يريد ان يخرجهم من
 ارضهم لكن والله اعلم كان يدعون قال ذلك لقومه اغوا آلهم اي لو ابتغى موسى
 واجتمعوا الي ما يدعوك اليه لا يخرجكم من ارضكم ولكن اصناف الي موسى لما كان هو
 سبب اخراجهم والله اعلم ويحتل ان يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم
 وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون في اسرايل وليستخذموا منهم
 ولسترحون ويتبعون فنقول للقط يريد ان يذهب بذلك كله عنكم ويحتل ان
 يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذي
 كانوا عليه ولكنه كان يغري قومه عليه قوله تعالى قال فماذا تاملون
 دل هذا القول من يدعون لقومه علي انه كان يعرف انه ليس باله ولا رب
 لانه لو كان ما يقول انما ربكم الا علي زعم الالهية لنفسه لكان لا يطلب من قومه
 الامر والاشارة في ذلك دل ذلك انه كان يعرف محضه وضعفه لكنه بكابر
 ويلبس علي قومه ومعه بقوله ان هذا الساجر عليم ثم قوله يريد ان يخرجكم
 من ارضكم هو حرف اعز آرقوليش عليه وقوله فماذا تاملون هو حرف
 تقديب حيث جعل الامر والاشارة اليهم وجعلهم من اهل مشورته قوله
 تعالى قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هناك تقدم
 شيء فكانه هم يقتله كقوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه فقالوا له ارجه واخاه
 اي اخيه واحبسه واخاه هارون ولا يقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا
 كانوا المنعون يدعون عن قتله الا تركي انه قال ذروني اقتل موسى لولم يكن منهم
 منع قتله لم يكن لقولهم ذروني اقتل موسى والله اعلم وقال المتبى ارجه واخاه
 اي اخيه ومنه قوله ترجي من لست ومنه سميت المرجية وقال ابن عباس رضي الله
 عنهما ارجه واخاه هارون لقول اجبها ولا يقتلها قوله تعالى وارسل في الدارين

حاشرين اي ارسل الي المدآين الشرط حاشرين اي يحشرون عليك السحرة
 ولجوعون ويأتون بكل ساحر عليهم اي ليجتمع كل انواع السحر ليتبين سحره ولما
 كان ساحر واحد كافيًا ولكن ارادوا والله اعلم بقوله يا نوح بكل ساحر عليهم
 ان يجتمع جميع انواع السحر عنده ليتبين سحره والله اعلم قوله تعالى وجاء
 السحرة في دعوى قالوا ان لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقهورين
 اي في القدر والمنزلة عندي هذا يدل على ان همة الساجدين ليست الا الدنيا
 لانهم يطلبوا من مزعون الاجور والقدر والمنزلة عنده ان كانوا هم الغالبين ولا
 يجوز من همتهم هذه الدنيا وما ذكر ان يكون له الدرسالة محال وهمة الانبياء
 كانت هي الدين وطلب الاخرة قوله تعالى قالوا يا موسى ايا ان تلقى واما ان
 تكون نحن الملقين هذا ليس على القاء موسى عصاه وتذكر اولئك الالتقاء وان
 كان ظاهر الآية هذا انه لو كان على القاء احدها لكان لا يتبين السحر من الآية
 لكن المراد هو الاقضية في الالتقاء كما انهم قالوا يا موسى ايا ان تلقى او لا ونحن
 الملقون اول مرة وهو كما ذكر في آية اخرى ايا ان تلقى واما ان يكون اول من
 القى قوله تعالى قال القوا اول قال في موضع آخر القوا ما انتم ملقون كانه امر الله
 تعالى موسى ان يامرهم بذلك فقال القوا فلما القوا سحرهم واعين الناس استرهبهم
 هذا يدل على ان السحر انما ياخذ الابصار على غير حقيقته كانت له وهو كالشراب
 الذي يري من بعد حسبه الظمان ما فاذا اجاره لم يجد شيئاً فعلي ذلك السحر ياخذ
 الابصار ظاهراً فاذا هو في الحقيقة باطل لا شيء وهو كالحيال في القلوب لا حقيقته
 له وهذا النوع من السحر كذلك من باب التخييل فان اثبات الحيوة في الخشب
 خارج عن وسع السحرة وليس من جنس السحر لكن يحيرون الناس بما ياخذون
 ابصارهم ظاهراً وكان تضدهم بذلك استرهاب الناس وتخويفهم به الا ترى انه
 ذكر في آية اخرى فاجس في نفسه خيفة موسى وقال سحر واعين الناس
 اي حيروا وكقوله مسحرون اي ما خوذ اغيبتنا فاما السحر له تحقق بقدر ما اخذ الله
 تعالى العادة بظهوره على ابري السحرة باسباب والآيات وضعت لذلك خلافاً للمعتزلة
 ان ذلك كله حيال ومثوية لا حقيقته لشي من ذلك وعندنا هو نوعان والله اعلم ثم
 قوله فاجس في نفسه خيفة موسى يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصرون
 وعينهم كما اخذ اعين الناس والثاني خاف ان يكون سحرهم منع اولئك السحرة

عن روية حقيقته ما جاء به من الآية قوله تعالى وجاءوا بسحر عظيم اي بسحر
 اعظم مما احتمل وسعهم وقد ذكرنا ان ما جاء به الرسل لو كان سحراً في الحقيقة لكان
 ذلك حجة لهم في اثبات البرسالة لان قومهم لم يروهم يختلفوا الي ساحر قط فيعرفوا
 صدوره انه انما عرفت ذلك بالله تعالى وهو كما لا يأتى التي انبأها رسول الله
 تكون آية ومعجزة على رسالته بهذا الطريق قوله تعالى وأوحينا الي موسى ٩٨
 ان اتق عصاك فيه ان موسى عليه السلام كان لا يلقى عصاه الا بعد الامر باللقاء
 وكذلك قوله اضرب بعصاك الحجر وقوله ان اضرب بعصاك البحر ونحوه ليعلم
 ان في ذلك امتحاناً لموسى والله تعالى ان امتحن عباده بما شاء من انواع الامتحان
 والا كان قادراً ان يخلق البحر من غير الامر بالضرب بالعصى وكذلك لم يخلق
 الحجر وبشق على غير ضرب بالعصى وكذلك يصدر العصي حية في يده من غير
 الامر باللقاء ولكن امره بذلك كله امتحاناً منه اياه وابتلاء اذ هي دار محنة
 وابتلاء ليتبينه على الامتثال والله اعلم قوله تعالى فاذا هي تلفت ما يافلون
 قيل ما يكذبون وقال الحسن تلفت ما يافلون اي حياهم وعصيتهم وقيل ما
 يافلون اي ما جاءوا به من الكذب قوله تعالى فوقع الحق قيل اي ظهر
 الحق وبطل ما كانوا يعملون محتمل هذا وجهين احدهما اي بطل ما علموا من السحر
 والثاني بطل ما كانوا يعملون اي ترك السحرة العمل بالسحر اذ اظهر الحق لهم والله اعلم
 وذكر ان في زمن عيسى كان السحر هو الظاهر وكان الناس وقت اذ يعملون
 بالسحر فجاء موسى من الآيات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك
 ليعرفوا الخروج ذلك عن وسعهم ونحوه عن الحد الذي هو مبلغ السحر على
 ان ذلك ليس بسحر ولكنه آية سماوية وكذلك ما جاء به عيسى من الآيات
 جاء بنوع ما كان يعمل قومهم وهو الطب من احياء الموتى وابداء الائمة وقد خرج
 ذلك عن طوتهم فقدموا انه عرفت ذلك بالله تعالى والله اعلم قوله تعالى فقلبوا
 هنا لك اي عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون في الابتداء ان لنا لاجراً
 ان كنا نحن الغالبين فذكر ههنا انهم غلبوا عند ظهور الحق لانهم صاروا غالبين
 قوله تعالى وانقلبوا صاعين قال بعض اهل التاويل رجوع السحرة
 لما غلبوا صاعين من مذلين لكن نحن نقول والله اعلم اي رجوع فرعون وقومه
 الي منا زلهم مذلين لا السحرة لان السحرة قد آمنوا فلا محتمل ان يوصفوا بالرجوع

صاغين من مذلين وقد رجعوا مع الايمان ثم قوله فقلوا هذا لك ليس غلبه القهر ولكن
غلبة الحق اي غلبوا بالحج والايات قوله تعالى والقي السحرة ساجدين اختلف
فيه قال بعضهم والقي السحرة ساجدين اي امروا بالسجود فتسجدوا لانهم القوا
ساجدين حبوا وقهرا وقال آخرون ان هذا عبارة عن سرعة سجودهم
اي لسرعة ما سجدوا وكانهم القوا ثم الآية حجة على المعتزلة لانهم يتكرونها ان يكون
لله في فعل العباد صنع وههنا قد اصنف الفعل اي عندهم بقوله والقي السحرة
ساجدين وليس ذلك الا ان يخلق الله تعالى فعل السجود منهم فدل ان لله
تعالى في فعل العباد صنعا وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل
الي غير وان لم يكن في ذلك الفعل صنع نحو ما يقال في السفن ان هؤلاء خلقوا اوليك
اذا نفذوا عليهم وهم لم يخلقوا اوليك في الحقيقة ولا صنع لهم بالتخليف ومع هذا
اصنف اليهم فعل التخليف فعلى ذلك هذا لا نأقول لابل لم في ذلك صنع
وهو انهم اذا لم ينظروهم فقد خلقوهم فاصنف اليهم لوجود الصنع منهم ولان الحقيقة
ما قلنا وثم لا يمكن العمل بحقيقة الاضافة لانهم لا يكونون تخليف هؤلاء لانه لا قدرة
لاحد على غيره فتمثل على الاضافة بطريق المجاز فاما الله تعالى قدرة ان يخلقهم
الي بخلق فعل السجود منهم لان قدرته كاملة واصنف ذلك الفعل اليه بحال العمل
بحقيقة الاضافة وذلك في تحقيق الفعل والله الموفق قوله تعالى قالوا انما
برب العالمين رب موسى وهارون قال بعض اهل التأويل انهم لما قالوا
انما برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب
موسى وهارون ولكن لا ندري هذا على ان موسى اول ما جاء الي فرعون
ودعاه الي دينه فقال له اني رسول رب العالمين فلا تخشع ان يشك عليه
قولهم انما برب العالمين ولحمته ان يكون قولهم انما برب العالمين رب موسى
وهارون اي انما برب العالمين الذي ارسل موسى وهارون رسولا
قوله تعالى قال فرعون انتم به قبل ان آذن لكم هذا يدل على ان الايمان
هو التصديق لا غير لانه لما قالت السحرة انما برب العالمين قال لهم فرعون انتم
به وهم لم ياتوا سوى التصديق والله تعالى خص ذلك من غير اعتاب الانكار
به ان ذلك ليس بايمان دل ان الايمان هو التصديق الفؤد لا غير والله اعلم
قوله تعالى ان هذا المكرم مكرهه في المدينة لتخرجوا منها اهلها هذا من فرعون

٢٩

نوع توبه علي قومه كما قال في الابتداء ان هذا المكرم مكرهه هو مكرهه من التوبة
والتبليس علي دمه فعلى ذلك قوله ان هذا المكرم مكرهه هو مكرهه منه وتبليس
علي قومه كما ان السحرة برت موسى ثم ميعه قوله ان هذا المكرم مكرهه
المدينة اي شي صنعتموه فيما بينكم وبين موسى وهو كما قال في آية اخري انه
لكبيركم الذي علمكم السجود وقوله لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف هذا
لجهله باشد العقوبة والنكال والالم يقدم بقطع الايد والارجل من خلاف
فان ذلك اليسر واقل في العقوبة من القطع من جانب واحد اذ القطع من
خلاف لا يمنع القيام ببعض المنافع ولا يعجز في اتلاف النفس ولذلك جعل
ذلك حدا في بعض الجنايات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة مشروعة
بحال ذلك انه اسد وانكل من الخلاف وانه لجهله ما قال فاني يصح منه
دعوي الا لوهيته ولحمته انه اختار القطع من خلاف مع انه ليس ليكون
مؤنه الصلب عليهم لانه لا يقطع من خلاف قد يتمكن من الصعود علي
الحسنة ليصلب واما المقتوع من جانب واحد فلا يتمكن من ذلك والله اعلم
قوله تعالى قالوا اننا الي ربنا منقلبون وفي موضع آخر قالوا لا نصير اننا
الي ربنا منقلبون هذا والله اعلم حرج على وجهين احدها الاقرار منهم بالبعث
والايمان به والثاني هذا وعيد منهم لفرعون حيث اوعدهم بقطع الايدي
والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات قالوا اننا وانت الي ربنا منقلبون
فتجزي وتغاقب جزاء منيعك بنا وقوله وما تنقم منا الا ان آتانا بايات
ربنا قيل فيه بوجهين قيل وما تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الالماكان
مننا من الايمان بايات ربنا لما جاتنا وهي ما جاتهم من الايات وقيل وما تنقم
منا اي وما تعاقبنا الا بسبب الايمان بايات ربنا وكان الحق عليك وعلينا
ان تؤمن بايات الله وقوله ربنا افزع علينا صبرا قيل اي انزل علينا صبرا
وقيل انتم لنا صبرا وقيل اصنبت علينا صبرا وكله واحد ثم لخصتوا لهم
الصبر لما لعله اذا فعل بهم ما اوعدهم من العقوبات لم يقدروا علي الصبر علي ذلك
فيتذكروا الايمان لذلك سألوا ربهم الصبر علي ذلك ليثبتوا علي الايمان به والله اعلم
ثم قوله ربنا افزع علينا صبرا دليل على انهم علموا انه اذا افزع عليهم الصبر صبرا
لولا يعلموا لم يكن لسؤالهم معني وهذا علي المعتزلة فان عندهم ان الله تعالى قد اعطاهم

غاية ما فيه صلاح لهم في الدين وانه افزع لهم الصبر ودل سؤا لهم ذلك على انه
لم يعظم وان عنده من يد الواعظين ذلك لكان حنير لهم والله تعالى فقت ذلك علينا
ولم ينكر عليهم انكم لما ذا تسألون في افراغ الصبر عليكم وقد اعطيتكم جميع ما به صلاحكم
في الدين فدل ان الله حجة عليهم قوله تعالى وتوفنا مسلمين سألوا ربهم
ايضا التوفي على الاسلام وهكذا كان دعاء الانبياء والاخبار قال يوسف توفني
مسئلا والحقني بالعالمين وكذلك كان اوصي ابراهيم بنبيه حيث قال يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تتوفن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب على كل مسلم ان يضطلع
الى الله تعالى في كل وقت وبنتل اليه في كل ساعة ليلا يسلب عنه الايمان
لكسب يكسبه اذا الانبياء عليهم السلام مع عصمتهم عن الشرك والمعاصي كانوا يخافون
ذلك لما ان العصاة لا تسقط الخوف ولا توف من عن الذلات فغيرهم احق والله الوفاء
قوله تعالى وقال الملائكة من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض ويذررك والهلك قوله لفسدوا في الارض قال بعضهم في اخراجكم
من ارض مصر وفسادهم العيش عليكم ولحقهم ما ذكر من ترك عبادة فرعون
وخدمته وقوله ويذررك والهلك فترار العامة والهلك جمع الاله وقرأ ايضا
واليهتك فمن قرأ واليهتك حملة على العبادة اي يذررك وعبادتك ومن قرأ
والهلك وهو قول ابن عباس ومجاهد وعامة القراء فالمراد جمع الاله
ثم بعضهم اختاروا القوارة الاولى فقالوا ان فرعون كان يدعي ويقول
انا ربكم الاعلى فكيف يخذ لنفسه الالهة ولكن قد آرة العامة صحيحة فانه ذكر
ان فرعون لعنة الله قد كان جعل لقومه الهة لعبد ونها ليتقوا بوابعها دهم
تلك الاصنام اليه على ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام دون الله ويقولون
ما نعبدكم الا ليتربونا الى الله ذلنا فقالوا ويذررك والهلك التي جعلت لهم
اضافا اليه لما انه هو الذي جعلها الهة لهم ولهذا قال انا ربكم الاعلى لما ان
دونه على زعمه لهم الهة وهي الاصنام وقال بعضهم ان فرعون كان يعبد الاصنام
والاوثنان على ما عباد غيره ويدعي الالهة لنفسه حمتا منه كما قال لقومه
فاذا تامرون وهل تري مولي ليقول لعبد مثل ذلك فدل على جهله وحمقه
قوله تعالى قال سنقتل ابناءهم ونسحق نساءهم قال بعضهم سنقتل
ابناءهم يعني رجالهم ونسحق نساءهم اي نترك نساءهم لانه لا يحتمل قتل البنات

ولم يكن اليه منهم صنع انما كان ذلك من الرجال وقال بعضهم كان فرعون يقتل
ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له بانه يولد فيه مولود يذهب بملكك
ويعين دين اهل الارض فلم يزل يقتل في ذلك العام الابناء ويترك البنات
فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونسحق نساءهم والله اعلم وقوله وانا فقم قاهر
فقتل مسيطون عليهم فان قيل ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانبياء السالفة
في القرآن فتدل لوجوه احدها ان ينهادر ليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان
هذه القصص والانبياء كانت في كتبهم بآبته مبينة وقد علموا ان لسانه على خلاف
كتبهم وعرفوا انه لم يخلف الي احدهم من عرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع عن احده
منهم ثم انبأهم عما كان في كتبهم دل انه انما عرف ذلك من يعلم علم الغيب وهو الله
تعالى فتدل على رسالته والثاني ان البشر حبلوا على حب الاستماع الى الاخبار
والاخبار يث وحب ذلك في قلوبهم حتى ان واحدا منهم يولد اخلايخ ويثاها
من ذات نفسه لان يستمعوا في ذلك ويسمعوا منه فذكرهم هذه الانبياء والقصص
ليكون استماعهم اليها وسما علمها وذلك احسن واوفق اذا خبر ان ذلك احسن
القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث ذكرهم هذا ليعلموا ما
حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستيصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم
الرسول وما عاقبته المفسد منهم والمصلح لمكون ذلك زجوا لهم عن صنيع مثلهم والله اعلم
والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسول اعداءهم ليعلموا
اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من رسول فاجبر
ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم من البشر والسادس انهم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثنان ويقولون انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وانا على
آثارهم مقتدون فاجبر ان كان في آبايهم السعداء وهم الانبياء وكذلك الاشقياء
وهم المكفرون فكيف اقتديتم بالاشقياء دون الانبياء وهلا اتبعتم السعداء منهم
دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف والنهي بالمنكر عرفنا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يامر به وينهى عنه والثامن فيها ان القائلين
منهم ذكر وابعدها ما توافوا وانقصوا وصاروا اذبا وكافوا بالذكر احياء ليرغب
الناس في مباحة الخيو وايتان الصلاح رغبة في بقاء الذكر والاثر بعد
ذهاب اعيانهم وفتاها والله اعلم قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا

بالله واصبر واحتمل قوله استعينوا بالله علي اذ آ طاعته وما تنفذون به الي الله
وكون لهم زليلا يدبره ويحكم ان قال لهم استعينوا بالله ليعين بالنصركم والظفر
واصبر علي اذ اثم والبلاء قوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من
عباده يحتمل هذا وجهين احتمل ان يخرج ذلك من موثي مخرج الوعد لهم بالنصر
والظفر علي الاعداء وجعل الارض من بعد اهلاك العدو لهم وهو كما ذكر
في موضع آخر ونريد ان من علي الذين استضعفوا في الارض اية ويجعلهم
الوارثون ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج النصير علي الرضا بقضاء الله ان
الارض لله يصورها لمن شاء من عباده فاصبر وانتم علي البلى وارضوا بقضائه
وقوله والعاقبة للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخيرة للمتقين خاصة
فاما الدنيا فانها بالشرك بين اهل الكفر واهل الاسلام تكون لهؤلاء مالا وليك
واما الاخيرة فلا حظ للكفرة فيها انما هي للومنين خاصة وهو كما ذكر في آية اخوي
ولولا ان تكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
الي قوله والاخرة عند ربك للمتقين يعني ذلك هذا والله اعلم وقال غيره
والعاقبة للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين علي اعدائهم وان
كان قد يكون في الدفعة الاولى عليهم قوله تعالى قالوا اودينا من قبل
ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يخرج هذا علي وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء
النصر والظفر لهم كما هم استبطاء النصر والظفر علي الاعداء واهلاكهم فقال
لهم موسى عند ذلك عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني
ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما احتمل انه خطر بهال موسى انهم
يقولون انما اصابهم من البلى والشدة آيد لا جليله وبسببه ولكانه فقال له
عند ذلك اعتذرا منهم ان قد اصابنا ذلك وقد اودينا من قبل ان تاتينا
كما اودينا من بعد ما جئتنا لا تختص الاذي بنا مكانك ليلا يتوهم موسى انهم
يقولون ذلك او يخطرون بياهم ذلك ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك علي التقدير
له والنوع يقولون لم يزل يصيبنا من الاذي بسببك ولا جليلك من قبل
ان تاتينا من الاستخدام والاستعباد وقيل الانبياء واستحياء النساء
ومن بعد ما جئتنا من انواع الضرر وهذا لا بعد من امثالهم لغلبة الجهل
فيهم والله اعلم قوله تعالى قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم

في الارض وعسي من الله واجب فوعد لهم عز وجل اهلاك العدو واستخلافهم
في الارض وقوله فينظرون كيف يعملون يحتمل هذا وجهين احدهما ان يجعل
لهم الارض ويوسع عليكم الرزق ويمنحكم في ذلك ويتليكم لانه لجعل لكم
ذلك علي غير امتحان تعلمون ما شئتم في ذلك والله اعلم والثاني يحتمل منكم
بالشد آيد والبلى لينظرون كيف يصرون عليها ويحتمل وجهنا آخر عسي ربكم ان
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظرون كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم
ويحتمل فينظرون كيف الواقع لكم من الجزاء والثواب بسبب العمل ثم قوله
قال موسى لقومهم استعينوا بالله واصبر واحتمل وجهين احدهما انه
امرهم بطلب المعونة لله علي قضاء حوائجهم ويحتمل ان تكون علي طلب التوفيق
لما امر به والعصية عما حطره عنه وكذا لك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق
والمعونة عن الله والعصية عن المعني عنه جرت به سنة الاحيار ثم لا يصلح ذلك
علي قول المعتزلة فكون الآية حجة عليهم لان الدعاء بالمعونة علي اذ آ ما كلف
وقد اعطي جميع اهل التكليف اذ علي قولهم لا يجوز ان تكون مكلفا قد بقي له
شيء مما به اذ آ ما كلف عند الله تعالى وطلب ما اعطي كتمان العطية وكتمان
العطية كفران النعمة فيصير كأن الله تعالى امر بكفران النعمة وكتمانها وهو مع
هذا يطلبها من الله تغتتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلوا اما ان يكون عند الله
تعالى ما يطلب من المعونة فلم يعط التمام اذا او ليس عند فيكون طلبه استهزاء
او من طلب من آخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازي به في العرف معما كان
الذي يطلب اما ان يكون لله تعالى ان لا يعطيه مع انه مكلف فيبطل قولهم
انه لا يجوز ان يكلف آخر بشئ وعنده ما به الصلاح في الدين في حقه ولا يعطيه
اذ ليس له ان لا يعطى وكانه قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا علمه برهه فالاسلام
اولي به فهذا مع لا يدعوا الله احد بالمعونة الا ولا يطمين قلبه انه لا يزل عند
المعونة ولا يذبح عند العصية وليس مثله ملك الله عند المعتزلة وبالله العصية
قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بسنين وبقصر من الثمرات عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال بالسنين بالمجوع وقيل بالقحط وقال مجاهد بالسنين
بالمجوع وهي ما يتواصل ونقص من الثمرات دون ذلك وقالت القتيبي بالسنين
الجذب يقال اصاب الناس سنة اي جذب فان قيل انه ذكر انه اخذ آل



١٠٥
فرعون بالسنين وكان فيهم بنو اسرائيل فاما في الخصيص قيل لئلا يكون
ذلك لهم خاصة دون بني اسرائيل وان كانوا فيهم علي ما ذكرني بعض القصة
ان القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل الماء ويحتمل ان يجذب
والخط كما نوا الضوآل فرعون ولا يصدر بني اسرائيل كثير ضرر لما انهم كانوا
ياكلون للشهوة وبنو اسرائيل للحاجة ومن كان ياكل للحاجة كان اقل حاجة
الي الطعام من ياكل للشهوة فاذا لم يجد واما ياكلون للشهوة كان يصدر ذمت
هم وبنو اسرائيل يجودون ما يدفعون به حوائجهم ويقضي حق النفس لا يصدر
هم ولذلك قيل ياكل المؤمن بمعا واحد والكافر ياكل بسبعة امعار ويحتمل
انه خرج لخصيص ذلك هم لما ان بني اسرائيل ان الله تعالى ان لم يخرجهم
لجميع انواع المجن مرة بالشدة ومرة بالسعة وفي عقد القبط لا فاصيف ذلك
اليهم لما لم يكن في عقدهم ذلك وان كانوا جميعا في ذلك والله اعلم قوله تعالى
لعلهم يذكر ون قيل يتذكرون ما نسوا ما عليهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد ويحتمل يتذكرون اي يتعظون بقلوبهم دون افعالهم بل عما ندوا وكابروا
ويحتمل لكي يلزم الا لفاظ والتذكروا الله اعلم قوله تعالى فاذا جارتهم
الحسنة اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي ان هذا ما كنا نعرفه ابدا علي
مجري العادة ويحتمل ان يقولوا ان هذه لنا بسبب فرعون وعبادتنا وان
نقسم سيئة اي الخط والصيق تطير وابوسي ومن معه وقالوا هذا يصيبنا
بشومة وهذا كما قالت العرب لمحمد صلي الله عليه وسلم كما اخبر عنهم بقوله وان
لنقسم حسنة نقولوا هذه من عند الله وان نقسم سيئة يقولوا هذه من عندك
كانوا يضيفون ما اصابهم من الحسنة الي الله تعالى لانهم كانوا يقدرون بالله
والقبط لا فيقولون ذلك لنا من فرعون اولنا علي جريان العادة فقال قل
كل من عند الله فعلى ذلك قال ههنا الا انما طأ يرم عند الله ثم قوله طأ يرم عند الله
يحتمل وجوها قيل اي جزاء تطيرهم عند الله في الآخرة وقيل طأ يرمهم
وشومهم الذي كانوا يطيروا وبوسي كان بتكذيبهم موسي اضاف ذلك اليها
عنده من الآيات لانهم ينزول تلك الآيات وارسالها عليهم يطيروا وبوسي فكان
تطيرهم ونسأهم بسبب الآيات وهو كقولهم فزادهم رجسا الي رجسهم وليس ذلك
برجس حقيقة ولكن لما وقعوا في ذلك بسبب انكارهم ذلك فسي يذكرك فيما

يرجع الي زعمهم فهذا الكذ لك ثم قوله يطيروا من الطيرة وهو من النسيان يقال
لشامت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان مثله ايضا ويقال
تبركت منه اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واظيرت منه وبه مستعمل
بالصلتين قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه كان طأ يرمهم وشومهم
بتكذيبهم موسي من عند الله قوله تعالى وقالوا لها تاتينا به من آية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قال ابوبكر الكيسان تاتينا به من آية
انه آية تريد ان تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين وقالت ابن عباس والحسن
وهو لا اي ما تاتينا به من آية لتسحرنا بها وقوله من زيادة وبه قال
القتبي ومعناه وقالوا ما تاتينا به من آية وقالت الخليل هوني الاصل ما ما
احديهما ز آية فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلبا للتخفيف وقالت
سبيويه قوله مها اي مه كما هم قالوا له اسكت كما نقول الرجل لا حرمه اي
اسكت ما تاتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التخيير واخذ
الابصار ولا حقيقه له علي الاطلاقات وانما يحقق منه علي قدر ما يجري الله
العادة به كقوله اي لا ظنك يا موسي مسحورا اي متخييرا وقوله سحروا عين
الناس ثم دل قولهم مها تاتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين علي ان
ما قالوا انه سحروا انه سحر عن علم قالوا ذلك بنبوته وما اتي من الآيات
لا عن جهل وغفلة وارادوا بهذا القول الا يأس له عن الايمان به وقول
آياته لانهم اخبروا انهم لا يقتلون الآيات ولا يصدقونه في ذلك والجاهل
بالشي يطلب الدليل علي ذلك لا ان ينكر اصلا انما المعاند هو الذي ينكره
راسنا فذلك ذلك علي عنادهم بالآية قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل الي اخر ما ذكر قال اهل التا ويل لما قالوا لها تاتينا به من
آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين بعد اخذ السنين ونقص من الثمرات
واظهر والعباد والمكابرة بقولهم فما نحن لك بمؤمنين ارسل عليهم الطوفان
والجراد والقمل وما ذكر ثم اعقبها العنق استيضا لاجزاء علي عنادهم
ومكابرتهم ويحتمل ان يكون قوله فارسلنا عليهم الطوفان الي اخره وان
كان موخرًا بالذكر فهو مقدم كما نه قال ولقد اخذنا آل فرعون بسنين
ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الي اخره لعلهم يذكرون

اي يتعظون فلما لم يتعظوا واظهروا العناد وقالوا مآتنا به من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين استأصلمهم بالغرف ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان
قالت بعضهم الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن
عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطوفان
فقال الموت فان ثبت فهو وقيل الطوفان هو انواع العذاب
واما الجراد فهو الجراد المعروف واما القمل قالت بعضهم بنات الجراد
يقال له الدباب وقيل هو الجراد الصغير الذي لا اجنحه لها والضفادع
والدم معروف قوله تعالى آيات مفصلات فتل اي آيات مفترات
واحد بعد واحد لم يرسل الكل جملة بل انما ارسل اية بعد ذات اخرى
بعضها على اثر بعض ليكون ابلغ في الزجر وقيل مفصلات اي مبيئات
واصحات ما علم كل احد بيقين انه ليس من عمل السحر وانه خارج عن
وسع البشر ولكنه آية سماوية لا تري انه لو كان سحرا عندهم لتكفوا في
دفعه واستغلوا بالمتجر كما استغلوا بسحر العصي والحبال لما كان في زعمهم
ان ذلك من باب السحر فاذا لم تكفوا ذلك ولم تستغلوا بدفعه بل فرعوا
الي موسى ليكشف عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرائيل معه
فقالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشف عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن
معك بني اسرائيل فذل زعمهم اليه انهم قد اقروا انها ليست بسحر وانها آيات
قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
لين كشف عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني اسرائيل فذل
الرجز الوان العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد وما ذكر
ثم قولهم لموسي لين كشف عنا الرجز محتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب
سألوا موسى ان يكشف عنهم وقالوا لين كشف عنا الرجز لنؤمنن لك الآية
فلما كشف عنهم الرجز تكفوا ذلك العهد وعادوا الي ما كانوا من قبل ومحتمل
ان يكون قولهم لموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك الآية بعد ما حل بهم انواع
العذاب فعند ذلك قالوا لين كشف عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف ذلك
عنهم تكفوا عهدهم وهو قولهم لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني اسرائيل وعادوا
الي ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر فانتقمنا منهم والله اعلم ثم قوله بما عهد عندك

ذلك

اختلف فيه قال بعضهم بما عهد لك انك متى دعوتك اجابك وقال بعضهم بما عهد عندك
انه آتنا بك وصداقنا انك انكشفت عنا الرجز وقوله لنؤمنن لك اي بما تدعي انك رسول
ولنرسلن معك بني اسرائيل امكن ان يكون ليس علي نفيس الا رسال معه
ولكن علي ترك الاستعداد اي لا نستعبدكم بعد هذا وقال الحسن في قوله
فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم يتكفون اي كشفنا عنهم لواطاعوا
وقولنا بالعهد الذي عهدوا لكنهم لما تكفوا ذلك انتقم منهم وهذا الخبر من قول
الحسن يودي الي مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من قتل او غيب
تغيب اهلاك انما هلك قبل اجله واجله الموت وهذا فاسد لان هذا انما
يصلح من اجل العواقب فاما الله تعالى عن ان يجعل له اجلين احدهما الموت
والاخر القتل ولكن جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يوت حتف
انته الموت وعلي ذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العوان من علم
منه انه يصل الرحم جعل عمره ان يدمن يعلم انه لا يصل رحمه لا ان يجعل عمره
الي وقت ثم اذا وصل رحمه زاد لما ذكرنا ان ذلك امر من اجل عواقب
الامور فاما من يعلم ما كان وما يكون ان لو كان كيف يكون لا وبالله التوفيق
قوله تعالى فانتقمنا منهم ما ذكر علي اثره من الغرق بقوله فاغرقناهم في اليم
ولمحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي
ذكر الذي حل بهم ثم كان الاغراق من بعد قوله تعالى بانهم كذبوا
باياتنا لحتم الآيات التي جاء بها موسى علي وحدا بينه الله وربوبيته وهي
الجمع ولحتم الآيات التي جاءتهم من الطوفان والجراد وما ذكر وقال الحسن
باياتنا اي ديننا قوله تعالى وكانوا عنها غافلين قيل معصين مكذبين
بها لا آياتها كانوا علي سهو وغفلة عنها لكنهم اعرضوا عنها معاندين مكابرين كانوا
كانوا غافلين عنها ولحتم ان المراد وكانوا عنها غافلين عما لحل بهم من العقوبة
بتكذيبها قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وما سبق لهم من الوعد بآياته اياهم الارض وانزالهم
فيها وهو قوله عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وقوله ويزيد ان
من علي الذين استضعفوا في الارض ويجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين كان وعد
لهم الاستخلاف والانزال في ارض عدوهم ثم اخبر انه انزلهم واورثهم علي ما

وعد لهم بقوله وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ بِاسْتِعْبَادِهِمْ وَقَوْلَهُ
مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا قِيلَ فِيهِ بوجوه قتل مشارق الأرض ومغاربها
مملكة فرعون مصر ونواحيها ما يلي ناحية المشرق وما يلي ناحية المغرب لا جميع
الأرض وقيل كان في بني إسرائيل من بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها
من نحو ذي القرنين وداود وسليمان وكان المراد وراثته جميع الأرض لبعض
بني إسرائيل بعضها من فرعون والبعض من ساير الكفرة والله اعلم وقيل
مشارق الأرض ومغاربها أي فضلوا على أهل مشارق الأرض ومغاربها
بقوله وفضلناهم على العالمين أي على عالمي زمانهم ثم تفضيله إياهم على البهائم
بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوصهم من بني آدم
بالرسالة والحكمة والملك وهو قوله وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يوت أحد من العالمين
قوله تعالى التي باركنا فيها قيل أرض الشام وقيل أرض مصر ونواحيها
ثم قيل سماها مباركاً لانهما مكان الأنبياء وقيل مباركاً لكثرة أنزالها وسعتها
قوله تعالى وامت كلمة ربك الحسيني قيل هي الجنة أي وامت كلمة ربك
الحسيني الكلمة التي ذكرها كان وعد لهم أنه ينزلهم فيها ويستخلفونهم وتم ذلك الوعد
لهم وهو ما قال ونريد أن الآية وتم ما وعد لهم أن يمن عليهم وقيل وامت
كلمة ربك الحسيني أي النعمة التي أنعم على بني إسرائيل بما صبروا على البلاء حين
كلفوا ما لا يطيقون من قتل الأنبياء واستحياء النساء واستعبادهم قوله
تعالى بما صبروا واحتملوا صبروا على أذي فرعون وقومه واحتملوا صبروا على
أذي ما أوجب عليهم والله اعلم قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه كلام تام ويبتدأ بقوله وما كانوا يعرشون معطوفاً على قوله وأورثنا
القوم الذين أي أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذي يخذه الملوك وقيل قوله ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون تمام الكلام أي دمرنا أهلنا ما
كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون أيضاً قال القتيبي يعرشون
أي يبنون والعرش بيوت والعرش شقف وقال أبو عبيدة دمرنا أي أهلنا
وأفسدنا وقوله يعرشون يعرش يعني يبنون من البيوت في الكروم

وَالْأَشْجَارَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ لَعَلَّ
عَلَى أَنْ لَّهُ تَعَالَى فِي فِعْلِ الْعِبَادِ مِثْقَالُ حَبِّ خَبْثٍ لِنُصِيبَ الْمَجَاوِزَةَ إِلَى نَفْسِهِ وَهُمْ
الَّذِينَ جَاوَزُوا الْبَحْرَ لَعَلَّ أَنْ لَّهُ فِي ذَلِكَ مِثْقَالُ حَبِّ خَبْثٍ لِنُصِيبَ الْمَجَاوِزَةَ فِي كَاهِلِهِمْ
خَلَقَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِاللَّهِ الْقُوَّةُ قَوْلَهُ تَعَالَى فَأَتَى عَلَى
قَوْمٍ يَعْبُدُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ إِي وَحْدَهُمْ عَكُوفًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَقِيمِينَ عَلَى
ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ
لَيْشَبَّهَ أَنْ يَكُونَ سِوَاهُمْ آلِهَةً يَعْْبُدُونَ وَهِيَ لَا عَلَى الْكُفْرِ بِهِمْ وَالتَّكْذِيبَ لِرَسُولِهِ
وَلَكِنْ قَالُوا ذَلِكَ بِمَا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْخِدْمَةَ لَهُ لَمَّا رَأَوْا
فِي الشَّاهِدَانِ لَمْ يَخْدُمِ الْمُلُوكَ إِلَّا الْخَوَاصَّ لَهُمْ وَالْمُقَدَّبُونَ إِلَيْهِمْ وَمَنْ بَعْدَ
مِنَ الْمُلُوكِ لَخْدُمِ خَوَاصَّهُمْ وَكَذَلِكَ كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْأَصْنَامَ لِيَقْتَرِبُوا بِهَا إِلَى اللَّهِ زُلْفًا وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي بَعْضِ الْقِصَصِ أَنْ فِرْعَوْنَ
كَانَ يَخْدُ لِقَوْمِهِ أَصْنَامًا يَعْْبُدُونَهَا لِيَقْتَرِبُوا بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْخِدْمَةَ لَهُ لَمَّا رَأَوْا
ذَلِكَ هُوَ لَا سَأَلُوا مُوسَى الْهَاتِي مَعْبُودًا يَعْبُدُونَ هُمَا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَهْلًا
لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَالْخِدْمَةَ لَهُ لِيَقْتَرِبُوا بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْخِدْمَةَ لَهُ لَمَّا رَأَوْا
مُخْرِجَ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ وَالتَّجِيلِ لَهُ لَا عَلَى الْكُفْرِ وَصَرَفَ الْعِبَادَةَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ
لِيَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ وَغَرَضُهُمْ تَعْظِيمُ اللَّهِ كَالْوَجْهِ إِلَى الْكَلْبَةِ فِي شَرِيعَتِنَا
وَمِثْلُ هَذَا الْأَعْتِقَادُ لَا يُوْجِبُ الْكُفْرَ إِذَا صَدَرَ عَنْ جَهْلٍ وَكُفْرَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ
لَا عِتْقَادُهُمُ الْإِشْرَاقُ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ وَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدُوا هَاسِئَةً فِي الْعِبَادَةِ
وَأَنْ يَعْْبُدُوا وَهِيَ لِلتَّوَسُّلِ وَالتَّقَرُّبِ فَكُنْ كُفْرُهُمْ لَجَهْلٍ بِاللَّهِ كَمَا هُوَ فَامَّا هُوَ لَا
فَقَدْ أَفْتَى وَابْتَدَعَ وَعَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ مَعْرُوفٌ ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ يَرَوْنَ التَّعْظِيمَ لِلَّهِ فِيهَا
سَأَلُوا مِنَ الْحَرَمَةِ لَعْنَهُ فَلَمْ يَكُنْ نَوَاقِظُهُمْ أَوْ لَيْكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحَتَّى أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ
اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ لَمْ يَرِيدُوا بِذَلِكَ جَعْلَ الْأَصْنَامِ لَهُمُ آلِهَةً يَعْبُدُونَ فِيهَا
لَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ قَادَةً وَرَسُولًا لَخْدَمَتِهِمْ وَيُعْطُوهُمْ فَيَكُونُوا سَفَرًا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوسَى وَلِيَكُونَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّسُولِ وَالنَّعْمِ وَأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ كَمَا رَأَوْا
قَوْمًا يَعْبُدُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ إِي رَأَوْا قَوْمًا يُقِيمُونَ عَلَى خِدْمَةِ رَسُولِهِمْ عَظِيمًا
وَالْوَالِيَيْنِ النَّعْمِ وَأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ فَعَمُوا ذَلِكَ لَأَنَّهُمْ سَأَلُوا مِنْهُ أَنْ يَعْبُدُوا الْغَيْرَ لِلَّهِ
فَإِنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ يَرَوْنَ الْعِبَادَةَ لِعَبِيدِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ التَّوْحِيدُ

الا بهذا وما من أحد من اهل التوحيد وان بعد محله ومنزلته الا واثار
نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل أحد فكان اعتقاده محال في التوحيد
لله ورؤية استحقاق العبادة له دون غيره حتى لو بذل له جميع حطام
الدنيا او اوعد بكل انواع الوعيد ليتزك الدين الذي هو عليه ما ترك البتة
فدل ان التاويل على ما قلنا والله اعلم ويحتمل ان يكون سواكم الها يعبدونه
لما ان اهل الكفر قالوا لهم ان الرسل هم الدين ام وسم بعبادة الانعام كقولهم
والله امرنا بها فشاؤا موسى ليظهر لهم حقيقة كذبهم ويذول عنهم ما خبطوا
بهاهم من بواسطه وسواسهم والله اعلم **قوله** تعالي ان هو لا رمتبر
ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون اي ان هو لا مفسد ما هم فيه اي من العبادة
لغير الله والخنا ذه للاصنام الهة وان عبادتهم لغير الله مهلكة ومفسدة وباطل
ما كانوا يعملون اي باطل ما يأسلون بعبادتهم هو لا وقال العتيبي التبار
المهلك وقال ابو عبيدة المتبر المفسد يقال تبرت الشيء اي افسدته
ويقال رجل متبر اي مفسد **قوله** تعالي اغير الله ابغىكم الها وهو فضلكم
على العالمين يقول اما استحيون ربكم ان تسالوا الها تغدون من دونه
وقد فضلكم بما هداكم ورفقكم للهداية بما لم يوفق ولم يهد احدا من عالمي زمانكم
ويحتمل ابغىكم الها وقد فضلكم بما استغذكم من استخدام فرعون وقهره اياكم
واخرجكم من يده واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الاله الحق وهو ما ذكر علي
اثره بقوله واذا اخيناكم من آل فرعون يسومونكم سواء العذاب يقتلون ايناكم
ولستحيون نسأكم يذكركم نعمهم عليهم بما استغذوهم من فرعون وآله واهلكهم
ثم قوله يسومونكم سواء العذاب قيل الاساء واستحيا النساء يعني البنات
وقوله وبني ذككم بلا من ربكم عظيم قوله في ذككم يعني فيما اخاكم من آل فرعون
بلا من ربكم عظيم اي نعمة من ربكم عظيمة يقال البلا بالميد هو النعمة وبغير المد الشدة
قوله تعالي وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتخذنا لها بعتشر ذكره هنا ثلاثين
ثم ذكر التمام بالعشر وذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة اربعين ليلة بقوله
واواعدنا موسى اربعين ليلة كيف يكون هذا فنقول المعادله اربعون ليلة
وهو ان يعبد الله تعالي كما امره حتى اذا تم ذلك الميعاد يكرمه بالمناجات على الطور
لكنه يحتمل ذكر ثلثين ليلة وعشر وجهين احدهما ان ثلثين ليلة لامر وعشر لامر آخر

نمل

فذكر متفقا لما كان لامرين مختلفين وان كان الجملة اربعين والميعاد بعد الفراغ من
الامرين والثاني يحتمل ان اربعين ليلة في وقتين مختلفين لا على التتابع كانت
ثلثين ليلة في وقت وعشر ليال في وقت آخر بعد ذلك فذكر التمام بالعشر وهو قوله
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة اي ثلثة ايام في الحج
وسبعة بعد الرجوع والجملة عشرة وان كان في وقتين **قوله** تعالي فتم ميثقات
ربه اربعين ليلة دل هذا ان الميعاد الذي وعد له اربعون ليلة **قوله** تعالي
وقال موسى لاجنيه هارون اخلفني في قومي واصح ولا تتبع سبيل المفسدين
والاسكال انه ما معني قول موسى لاجنيه هارون اخلفني في قومي وهو كال
مبعوثا معه رسولا الي فرعون مشركا في تبليغ الرسالة الي فرعون كما قال واشركه
في امري وقوله انا رسولا ربك وقوله واجي هارون هو انضج بيني لسانا فارسله
معي ردا يصدقني فاذا كان هو رسولا لموسي في تبليغ الرسالة كيف قال اخلفني
في قومي وهما شرعا سواء في الرسالة فنقول يحتمل هذا وجهين احدهما ان يكون
رسولين كما ذكر ولكن من ولي اثنين امرا لم يكن لواحد منهما ان يتفرد به الا بالامر
آخر اذا كان ذلك بما يحتاج فيه الي التدبير والراي والرسالة وتبليغ الشرائع
من هذا القبيل فكانه قال اخلفني في الحكم بينهم واصح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك
الي سبيل المفسدين والثاني يحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول على الاصل
وكان اليه الحكم وكان هارون دخيلا في امره ردا له على ما قال فارسله معي ردا
يصدقني والاموي كان هو المأمور بها اولاً والمبعوث اليهم دونه الا انه سأل
من الله تعالي ان يشركه في امره وان يجعله ردا له الا تترك انه المناجي ربه دون
هارون وهو كان المعطي الاوامر دون هارون كقوله وكتبنا له في الاوامر من
كل شيء وهو الذي قال اي الست نارا وهو الذي تؤدي بالبركة من سنا على الوادي
دون هارون وما ظهر على يده الايات من انقلاب العصي حية واليد البيضاء وقلق
البحر وتنجير الحجر ونحوه واذا كان كذلك لهذا السعفة في قوله حال الذهاب
الي المناجات والله اعلم **قوله** تعالي ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه اي
لميعادنا الذي وعدناه وقوله وكلمه ربه لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وما بينه
سوي انه اسمعه سوطا بما ساءد الا على كلام والسوط مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق
وسماع كلام الله تعالي هو سماع سوط منطوم يدل على كلامه وقد ذكرناه في موضع آخر

قوله تعالى قال رب اربي انظر اليك قال لن تدايني ولكن انظر الي الجبل فان
استقر مكانه فسوف تدايني هذه الآية حجة على المعتزلة في جواب روية الله
تعالى فان عندنا القول بالروية جازي في الدنيا والاخرة عقلاً وفي الاخرة القول
بها لانم وهي حق من غير ادراك ولا تفسير والاستدلال بهذه الآية من وجوه
احدها قول موسى رب اربي انظر اليك اعقد جواب روية الله تعالى وسألها
منه ولولا انها في حد الجوان دون الاجالة والا كما اعقد جوابها وما سأل
وكون ذلك جهلاً منه لربه حيث علمه جازي الروية ثم لم يكن جازي الروية بل
يستحيل رويته ومن جهل الله تعالى لا احتمال ان يكون موضعاً لرسالة امينا
علي وحيه والثاني انه لم يغايبه في سوا الروية ولم يبينه ولو كان ذلك مستحيلاً
لكان من حق الحكمة ان يوصفه ويغفل ذلك فانه دون ذلك قد هي نوحاً حين قال
ان ابني من اهلي انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به
علم وغايب آدم وغيره من الرسل ولو لم يكن ما سأل جازي الوجود لكان يبلغ
اعقاد ذلك كغداً ولما لم يرد عليه ولم يذجره عن ذلك دل انه في حد الجوان ولانه
قال ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تدايني علق الروية باستقرار
الجبل ولا يستحيل استقرار الجبل بالتجلي له وما تعلق بشرط متصور الوجود
في نفسه يكون متصور اقال بعض المعتزلة في الخروج عن الاحتجاج بهذا
الآية ان موسى لم يسأل ربه الروية لنفسه ولكنه سأل لقومه لسؤال القوم
منه ان يسأل لم بقوله لن يؤمن لك حتى تربي الله جملة لم يظهر لهم ان ذلك غير
جازي وان كان هو عليه السلام عالماً بذلك لكن نقول هذا بعيد لانه
لو كان سوا آله اياه لسؤال قومه لكان لا يقول رب اربي انظر اليك
ولكن نقول ارفعهم ينظرون اليك فدل انه لم يكن كذلك وقال بعض المعتزلة
هذا منه ليس سؤال رويته الرب وليكن سؤال انه يعلم بها الله على وجه
لا يعتد به شبهة ولا يخطر بباله خطر وجازي سؤال روية الآيات والاعلام
وان كان قد يقع الكناية ببعض الاثر ان ابراهيم عليه السلام قال رب
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليظهرن قلبي فهذا امثله لكان نقول
هذا التاويل فاسد ايضا لوجوه احدها انه قد كان اعطاه الآيات والاعلام
ما لم يكن له الحاجة الي غيرهما من الآيات نحو المعنى التي صارت حجة نبيي

و اليي كان يضرب بها الحجر ففجر منه اثنتي عشرة عينا وما كان من قلق البصر واهلاك
العدو عروها واليد البيضاء فلا احتمال ان يسأل آية اخري لدفع الشبهة مع هذه
الآيات لان الشبهة لو لم تدفع هذه الآيات لم تدفع بآية اخري غيرهما من جنبها
ولان طلب الآية بعد ظهور الآيات عنده مخوج مخرج التعنت وذلك يمنع
الكفرة فاني لا يذالون يطلبون الآيات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم ولا شك
في اجتماع الآيات عنده فيلشبه الطلب منه آية اخري صنيع الكفار فيجب تنزيه
الرسول عن مثله والله الموفق وايضا قال فان استقر مكانه فسوف تدايني علق جود
ما سأل باستقرار الجبل ولو كان المواد من هذا سؤال الآية لم يستقم التعليق
باستقرار الجبل لان الآية التي لا يستقر معها الجبل بل سدك اعظم من الآية
التي يستقر معها الجبل دل ان المحل على الآية فاسد ومن الدلائل لنا في المسئلة
قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولو كان غير جازي الروية
لم يكن لنبي الادراك حكمة اذ لا يدرك غيره بعد روية نبي الادراك وغيره من
الخلق لا يدرك الا بالروية لا معنى له والله اعلم ولان الآية وردت للتمجيد وغيره
اذا كان لا يدرك اذا لم يكن مريئاً لم يتبع له التمدح بكونه غير مدرك انما يقع التمدح
ان لو كان مريئاً غير مدرك وغيره مريئاً مدرك ليعظم له اختصاص ولا يقال
بان الآية حجة عليكم فانه نبي الادراك على طريق التمدح يجب ان يكون الادراك
منفياً والادراك هو الروية لانا نقول بظاهر هذه الآية انه لا يدرك لكنه يري
وقد تمدح بنبي الادراك لا بنبي الروية والروية يتحقق الي ادراك وهو كقوله
ولا يحيطون به علماً ليس نبي العلم به لكن فيه الجواب العلم ونبي الاجابة فكذا
مثله في حق الادراك والله اعلم والدليل على انه لا يدرك ان الادراك هو
الاجابة بالحدود والله سبحانه تعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية اجزاء الشيء
وتقصير له عنها هو اعلى منه والله تعالى ليس بذي اجزاء حتى يتحقق فيه النهاية
على انه واحد الذات والحد وصف المتصل الاجزاء حتى تنفصل على ان القول بالحد
صال في حق الله تعالى اذ كان ولا ما لحد او ما به لحد لانه لا بد من غير ليصير محدوداً
به فاذا لم يكن محد وذا في الازل فهو على ذلك لا يغير اذا التغير على القديم مثال على
ان لكل شئ من المحدث حداً يورك بطريقه وسبيله نحو الطعم واللون والرائحة
وغير ذلك من خاصية الاشياء لها حد ود جعل الله تعالى لكل شئ من ذلك وجهاً

وحدًا يدرك ويحاط به بالطرق التي وُضعت لمعرفة حق العقول والاعراض فإن
بين اللونين من جنس واحد نوع تفاوت يدرك ذلك بحاسة الذوق ونحو
ذلك فاحمد الله تعالى انه ليس بذي حدود وجهات من هذا الوجه يدرك
بالاسباب الموضوعية لتلك الجهات لانه لا أحد يجأ لسنه ويُنشأ به حتى يدرك
التفاوت بينهما من حيث القدرة او الكيفية فدل ان القول بالحدود باطل في
حقه والادراك يقتضي الاجاطة لحدود الشيء فلا يتحقق في حق من يستحيل
القول بالحدود فيه والله الموفق فاما الرؤية لا يقتضي ان يكون المرئي محدود
الا ان كل شيء يدرك كما هو الا ترى انه يعلم وانه لا يقتضي الاجاطة والادراك
فكذلك الرؤية وبعد فان الرؤية تقع على وجهين لا تقع حقيقة كل وجه من ذلك
الا بالعلم بذلك الوجه فان كان شيئًا يعلم على وجوهه وكيفيتها حتى عبر عنه
بالرؤية بصرف الي ذلك وما لا يعرف له وجه ولا يدرك له حد بحسب القول
بتحقق الرؤية ونفي ما يتبادر من آية له فاما الادراك انما هو معنى الوقوف
على حدود الشيء فوجب نفيه اصلاً الا ترى ان الظل في التحقيق يري لكن سلا
يدرك الا بالشمس لينتهي آخر اجزائه بوجود الشمس والا كان مرئيًا في غير
حال الشمس كما هو مرئي وقت وجود الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا لما
يتحقق فيه الحد وبالله التوفيق وكذلك صور النهار يري ولكن لا يعرف حده
بذاته وكذلك الظلمة لان طرفها لا يري حتى يدرك ويحاط به وبالحدود يدرك
الشيء وان كان يري لا بها ولذلك ورد صرف المثل في رؤية الله تعالى بالعمى
في قوله انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لانه لا يدرك حده
وسعته على الحقيقة وان كان على ما يري من حيث الظاهر محدود والوقوف
ويحاط به وهو مرئي بيقين ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بذلك على قدر ما
جاء ونفي كل معنى من معان الخلق ولا يفسر ولا يكيف لما لم يخطو وبالله التوفيق
ومن الدليل لنا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا تحتل صرف
الآية الى الانتظار لثواب الله بوجوده احدًا ان الآخرة ليست بوقت للانتظار
انما هي الدنيا اما الآخرة هي دار وقوع الثواب ووجود الجزاء الا في وقت
الفرع لانه قال وجوه يومئذ ناضرة ونضرة الوجه من باب وقوع الثواب
لامعنى للانتظار ولانه ذكر الخوف الي فقال الي رها ناظرة والي حرف يستعمل

في النظر الي الشيء لانه الانتظار يقال نظرت اليه في الرؤية ونظرته في
الانتظار ولان الآية خرجت بخرج البشارة لعظيم ما نالوه في النعم والانتظار
ليس منه معما كان الصبر عن حقيقة المعلوم قضاء على الله تعالى فيلزم القول ١١٦
بالنظر الي الله تعالى على ما قال علي نفي معاني التشبيه عن الله تعالى على مثل
ما اصنف اليه من الكلام والعقل والقدرة والارادة انه يجب الوصف فيه
على نفي جميع معاني التشبه وكذلك القول بالهستية فمن نعم ان الله لا يقدر
ان يكرم احدا برؤيته فهو يقدر رؤيته الله تعالى بالرؤية التي منها من الخلق
واذا كان القول بالرحمن على العرش استوي وغير ذلك من الايات لا يجب
دفعها لمكان العرض على المعلوم من الخلق والتقدير بذلك بل يجب تحقيق ذلك
على نفي التشبه لمثله خبر الرؤية والله اعلم ومن الدليل ايضا محاجة ابراهيم
وقومه في النجوم وما ذكر من الاقوال والغيبية للنجوم ولم يحاجهم بان لا يجب
ربا يري ولكن حاجهم بان لا يجب ربا يا فل بقوله لا احب الا فلين اذا افول دليل
عدم الدوام ولو كان كونه مرئيًا محالاً وانه دالة للحدوث وامارة الجسم لكان
يستدل به ويحتج عليهم ولا ينظر الا قول للاحتجاج عليهم واحال حال
الحاجة الي الاحتجاج ردا عليهم فيما يدعون من الوهية النجوم واستحقاق العبادة
فدل انه جأيز الرؤية لا تمتنع الرؤية وبالله التوفيق ومن الدليل ايضا
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وجاء في غير خبر ان المراد
من الزيادة هو النظر الي وجه الله تعالى في الجنة وعليه بعض اهل
التفسير والمحتل غير ذلك لما قاله بعض اهل التفسير لكن لولا ان القول
بالرؤية كان امرا ظاهرا في السلف والام لا تحتل صرف ظاهرا لم يحتج الرؤية
اليها ولم يرد التكرير منهم على من صرف الآية الي الرؤية لما صرفوا ظاهرا والآية
الي تاويل ممتنع محال فدل اجماع السلف على القول بجواز رؤية الله تعالى
ومن الدليل ايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه انه قال في غير خبر سترون
ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وسيل رسول الله
هل رأيت ربك قال بقلبي ولم ينكر على السائل السؤال والسائل انما ساله
عن الرؤية بالعين لا عن الرؤية بالقلب لما يعلم السائل ان رؤية القلب هي
العلم بالله تعالى وان النبي صلى الله عليه قد علمه فلم يسأل عن ذلك ولو كان القول

بالرؤية متمنعاً لا نكر على التآيل اذ بعث عليه السلام لتغيير المناكير والله الموفق
الا نري ان الله تعالى حذر المؤمنين عن السؤال عن اشياء ان تبد لكم تسؤوكم
فكيف لم يحتمل ان يحكي السؤال عن الرؤية وهو كقول الحقيقة عند قوم ثم لا ينهوا هم
عن ذلك ولا يوتخهم في ذلك بل يلين القول في ذلك ويرى ان ذلك ليس ببديع
والله الموفق ومن الدليل ايضاً من حيث المعقول وهو ان الله تعالى وعد ان
يحري احسن ما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن ما عملوا به في الدنيا من التوحيد
وارفع قدراً من الايمان به اذ هو المستحسن بالعقول والثواب الموعود من جوه
الجنة حسنة حسن الطبع وذلك دون حسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن
في العقول لا يستحسنه ذوا عقل وجايز ما استحسنه المطيع ان لا يستحسنه
طبع ولا يتلذذ به لطبع الملائكة ومثله في العقوبة قد يستحسن بعضها في العقول
حداً وطبعاً ولا يستحسنها الطباع لذلك لزم القول بالرؤية ليكون كرامة تبلغ
في الحلاله والقدر ما عملوا من المستحسن عقلاً وهو التوحيد فيصير لهم المعبود
بالغيب مشهوداً كما صا والمطلوب من الثواب محضاً ولا قوة الا بالله ولا يقال
بانه جعل جزاء الايمان والتوحيد هو العلم بالله على وجه لا يعتريه الوسواس
باعطاء آيات تضطوهم على ذلك بحيث لا يخطو بها لهم شيء من المشبهات كما يحصل
بالعيان والرؤية فيما يحتمل العيان لا نأقول هذا هو الحجة عليكم لان كلاهما
على العلم بالله في الآخرة علماً لا يعتريه الوسواس ولذلك قلتم انه حصل لهم
مثل هذا العلم جزاء على الايمان والتوحيد وذلك العلم لا يتحقق بالعيان
دون الاستدلال بالآيات كما في دار الدنيا فانه لا يزداد في الآخرة الاكثر
الآيات وانها لا تحقق علم الحق الذي لا يعتريه الشبهة دليله قوله ولوانما
نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية وكذلك ما ذكر من اشتغال الكفرة
بالنكذب بالرسول في الآخرة والانكار عليهم التبليغ كقولهم خبراً عنهم والله ربنا
ما كنا مشركين يقتسمون بالله كاذباً في الآخرة مع معاينتهم الدلائل وقولهم لم
يلبثوا الا ساعة من نهار وغير ذلك دل ان رؤية الآيات لا تضطر الموعود على
الايمان والتصديق ولانه لا يجوز ان يصور علم العيان لحق علم الاستدلال بحسب ان
لا يجوز ان يصور علم الاستدلال لحق علم العيان فدل ان كثرة الآيات لا توجب
ذلك وقد اجمع القول على ثبوت مثل هذا العلم لهم دل ان الرؤية توجب ذلك

والله الموفق وبعد فان ذلك العلم الذي لا يعتريه الوسواس في الآخرة لا يختص
بالمؤمن بل يشترط فيه الكاين والمؤمن وقد خص المؤمنين بالبشارة بالرؤية
دل ان الموعود جزاء على التوحيد هو الرؤية والله الموفق ثم زعم الكفبيات
الغائب اذ المخرج على الوجوه التي يعلمها في الشاهد اعني الضرورة والاكتساب
فكذلك يجب ان لا يري في الغائب الا بالوجوه التي يري بها في الشاهد من المباني
المركبة والمستأنفة والمقابلة وانقال هوأ وعدم الصغر والبعد ولجازت
الرؤية لخلاف هذا الجان العلم بخلاف الوجوه التي في الشاهد وما قاله فاسيد
لانه قد روقاس رؤية الله برؤية جوهيره وقد علم ان من غير جوهيره جوهراً
يوري من الوجوه الذي لا يقدر على الا حاطة لجوهيره فضلاً عن ادراك بصيره
اياهم نحو الملائكة والجن وغيرهم ممن يروننا من حيث لا نراهم وكذا الجنة
الصغيرة مثل البق ومخوذ لك بما يري اسياً مثل لك البصر الموقد بالبصارنا
لما احتل الادراك وكذلك يري الملك الذي يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع افعالنا
على ما لو اردنا قد يزد لك بما عليه جسدنا للزم انكار ذلك كله وذلك عظيم وعلى
ذلك ما ذكر من نطق الجلود وغيرهما لو امتحن مثلها امر الشاهد لو جد
عظيماً وبعد فانه في الشاهد يفصل بين بصيرين في الرؤية والتميز على قدر
تفاوتهما بما اعتراهما من الحجب بما لو قابل حال احدهما بحال الآخر على حاله
بان اختص احدهما بخدة البصر واذ كان كذلك بطل التقدير والقياس الذي
ذكر والله الموفق وايضاً انه في الشاهد لا يعلم بكل اسباب العلم غير العوض والجوهر
ثم جازي العلم بالغائب خارجاً منه فانه يعلم وانه ليس بجوهيره ولا عمر من مثله
الرؤية والله اعلم والثالث ما ذكرنا من فصل رؤية الظل والنظرة والنور من غير
شيء من تلك الوجوه فعلى ذلك الغائب والرابع انه قد يجوز وجود ما ذكرنا
من المعاني كلها مع عدم الرؤية اما المحجب او بالجوهيره في ان تحقيق الرؤية مع
فني تلك المعاني وهذا المحجب للآيل بالجسم عند معارضته ايانا ان الله جسم
لانه فاعل عالم ان وجدنا جسماً ليس بفاعل ولا عالم كالجادات لما جاز وجود
جسم ولا فاعل جاز وجود فاعل ليس بجسم فله في الرؤية على ان البعد الذي يحجبنا
والدقة يجوز ان يبلغه بصير غير ناعم البعد والدقة فصا ارتقاء الرؤية
وانفداهما بالحجاب فاذا ارتفع الحجاب جاز ولا قوة الا بالله وبعد فان الذي يقوله

تقدير برؤية الأجسام وقياس عليها لم تخن لصره بغير الأجسام والاعراض ان كيف
السبيل الرؤية له والكلام في رؤية غير الجسم والعرض فلم قال باكن ما ذكر من الطعاني شرط
لرؤيته وبعد فان كل جسم يري وان كانت الدقة والبعد المجبان فمجرد ارتفاعهما عن بصيرة
غيري علي ما يري ملك الموت من اطراف الارض ووسطها بما لو اعتبر ذلك ببصيرة البشر لما اجعل
الاذراك فثبت ان الذي قد ربه ليس هو شيب تعريف ما يبصر به ولكن سبب تعرف ما
يجب به البصر فاذا ارتفع الما يري ما كان المستقي والممنوع رؤيته لذاته هو العرض لا عين
والا فكل جسم يري فان لزم انكار الرؤية في حق الله تعالى لما الله ليس بحجم او لما لا يري الا بما ذكر
من المعاني لزم الاتقاد برؤيته لما ان الذي لا يري لذاته هو العرض والافكل جسم يري وانه ليس
بعرض يجب ان يكون مرتباً اذا ارتفع الموانع والله الموت وعارض الكعبى ايانا بما ردينا
انه لا يري في الدنيا معاذ كرم لا نقول انه جائز الرؤية في الدنيا ايضا ولا يقال ذلك
الا ان الدنيا دار محنة وكلفة وان الرؤية فيها تسقط المحنة والكلفة خلاف دار الاجرة فانها
دار جزاء فكانت الرؤية لا يفتقر بها لا تمنع فيها والله الموت وذكر في امر موسى انه
ما سال الرؤية انما سال العلم الذي لا يعتد به الشهمة بالآيات وقد ذكرنا فتاد
ذلك ولان موسى رسول نبينا في ما به نجأت الخلق من الدعاء الي التوحيد والعبادة
فهو مكلف بمخاض تبليغ الرسالة اليم وهذا النوع من العلم الضروري مما يسقط المحنة
والاستكثار اذ لا سبق الخطرات واعتداء الشهوات ليومر بالدفع والاستئلاف
بالآيات فدل ان سؤال هذا النوع من العلم في دار المحنة لا يجوز وانما سال الرؤية
ليجمل قدرة وليعرف عظيم مجله عند الله تعالى وان كان في اعطى اذ لك رفعه
فلذلك لم يعط المستول في الدنيا او يكون الله تعالى امره بان لسال الرؤية
ليعلم الخلق جواز ذلك وان كان لا يكلفه بذلك في الدنيا وباللغة التوفيق ثم
استدل الكعبى وقال ان الله لم يري نفسه من يعقل انما اري الجبل والجبل لا
يعقل ليعلمه وليتراء ذلك انه لم يرد بسؤال الارادة حقيقة الرؤية التي ذكرها الجبل
لا يراها ولا يعقل فالآية ايضا صارت انك اك الجبل واستفادته ان ارادة الآية
ليندك بها وفي هذا انه قد اري موسى الآية وهو انك اك الجبل والله تعالى يقول
لن تراني وحمله علي الآية وقد رآها ولا فقه الا بماهية فان قيل ما معني توبة
موسى عن ذلك بتوبه سبحانه بك ثبت اليك وانا اول المؤمنين لو كان سؤا له بالامر
من الله تعالى قل لست اجد ان يكون التوبة منه علي سبيل العادة في الخلق عند

جدوث رؤية الاله والوجود ذنب منهم فعلي ذلك من موسى عند انك اك
الجبل والمحتمل انه لما راي من جلال الله وعظمته فدع الي التوبة واحداث الايمان
به وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف في الخلق ومحتمل انه كان اعتقد جواز
الرؤية في الشاهد واحتمال وسعه وطاقته لذلك لما علم من وعد الله اياه ذلك
في الاجرة ولكن لم يعرف معني تعيين الاجرة للرؤية دون الدنيا فلما قال لن تراني
رجع عما كان عنده من التسوية بين الدارين في ذلك حكمة وامر بالذي قال لن تراني
بقوله سبحانه بك ثبت اليك وانا اول المؤمنين وان كان في الاصل امانه وادخله علي نحو
احداث المؤمنين الايمان بكل آية تنزل وبكل فريضة تجدد وان كان في الجملة مؤمنين
بالكل والله الموت ثم اعترض علي نقلنا بقوله وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناضرة بها
ذكرنا وقد بينا ما فيه كفاية والا صل في الكلام انه اذا كان علي امر معهود او ليقرب
به المقصود فيصير اليه عن حقيقة والا لا وذلك نحو قوله الم تراني ربك كيف مد
الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك لما قد في بلفظة الرؤية فعل اخذ علم به انه لم يره
الرؤية بالبصر لكن اراد به العلم فاما اذا لم يقرب به شيء واطلق فيصير الي حقيقة
الاتري ان من قال رايت فلانا ونظرت الي فلان لم يحتمل غير رؤية ذاته بالبصر
واذا قال رايت يقول كذا او يغير كذا انه لا يدور رؤية ذاته فله امر فصة موسى
بقوله انظر اليك وكذلك في قوله الي ربها ناظرة وروي عن صفوان بن يحيى انه
اتي البصرة فقال يا اهل البصرة انا ان كان موسى عليه السلام مشبهاً واما ان كان
الله تعالى يري لانه لو كان بالذي لا يري وسال هو رؤيته كان جاهلاً به
مشبهات اياه لمخلفه فدل انه يري ثم الاصل ان من تأمل الذي ذكر الكعبى عرف
انه مشبهى المذهب لانه لم يذكر المعنى الذي يجب ان يكون الرؤية ستلك
الشرايط انما اخبرنا انه كذلك وجد في الشاهد وهو قول المشبهة انه وجد
كل فاعمل في الشاهد جسماً فكذلك كل فاعلم فيجب مثله في الغائب فكذلك هو
ذكر ان في الشاهد لا يري الا الجسم فكذلك في الغائب علي انه ذكر معني رؤية
الجسم ولم يذكر معني رؤية غيب الجسم حتي يكون له دليل لا وبعد فانه في بالدقة
والبعد وهما ان يلان عن الله يجب ان يري ثم اخرج ايضا بامتداح الله تعالى
بنبي الادراك الرؤية في الدنيا فلا يكمل معني التمدح بل يكون في وقت دون
وقت ويرد عليه مثله في قوله خالق كل شيء وقوله وهو علي كل شيء قدير يجب ان لا يزول

لاية قدح به وقد قال انه ليس بخالق في الازل انما يصير خالقاً بعد الخلق وكذلك
لم يصب الله تعالى بالقدرة على خلق افعال العباد منهم بطريق الاختيار ثم انما ورد هذا
على قول من يجعل الادراك والرؤية واحداً وهو قول بعض اهل السنة من اصحاب
الحديث فاما نحن قد ذكرنا ان الادراك لا يتحقق في حق الله تعالى لانه لا يخالق الاخرة
فلا يلزم من هذا الكلام والله الموفق ثم سلم الكعبني ان الله تعالى راي جميع المراتب
بدون ما ذكر من المراتب والمقابلة ويجوز لك فحشون ان يكون مرئياً بدون ما ذكر
وبهذا يتبين ان ما ذكر لا يؤدي عن كنه معرفة المأبىة فان قيل كيف يري قيل لا كيف
اذ الكيفية لذي صورة بل يري بلا وصف فيام ولا تعودوا انكاراً وتعلقوا بالاقوال ومقابلة
ومداينة وقصير وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك ومماس ومباين وخارج
وداخل ولا معني يا خذ الوهم ويقدره العقل ليقال به عن ذلك ولا قوة الا بالله
قوله تعالى فلما خلق ربه للجبل جعله دكا الآية قال ابو بكر الا صم بجلي بدييات
والاعلام التي بها يعلم ذات بطريق الضرورة على وجه لا يعتز به الشبهة لارؤية
الذات وقد يتبين ان هذا التأويل فاسد بعيد عن الوهم لما قد اعطى
من الايات والاعلام ما له غنیه بها عن غير هذا لا يحتاج الي غيبها وقال
الحسن ان موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية في غير وقت الرؤية فالجسن اقر
برؤية الله تعالى لكنه يقول انها سألها في الدنيا وبنية هذا العالم لا تحتل ذلك
الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف تراه في الخبر ان الجبل لا يستقر له
فكيف تستقر انت لكنه ينشأ في الاخرة بنية كل مسلم على وجه تحتل ذلك وقال
لذلك قال موسى سبحانه ثبت اليك وانا اول المؤمنين بالرسالة الدنيا الرؤية التي نحو
هذا يذهب الحسن ولكن عندنا الرؤية جارية في الدنيا مع هذه البنية اوله وقدره
ان جعلها محتملاً لكن وعد في الاخرة دون الدنيا خفيفاً لا مقابلاً وقال
اهل التأويل بجلي ربه للجبل اي ظهر فراه من غير كيفية بعد ما احدث الله
تعالى فيه الحيوة وما به بصر البصر لكن لا يتم من ظهوره ما يتم من ظهور الخلق على ما
ذكرنا في قوله ثم استوي على العرش وقوله وجاء ربك وعرشك من الايات لا
يقدرا استواراً باستواء الخلق ولا مجيئه بهي الخلق فعلى ذلك ظهوره وبالله العزة
وتوحي انه في التورية انه جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعور واطلع
من جبل فاران وتاويله اي جاء وجهه على موسى في طور سيناء وظهر على عيسى

في جبل ساعور واطلع على محمد في جبل فاران اي حبال مكة فان قيل كيف
اجتدأ موسى على هذا السؤال فقال رب ارنى انظر اليك فهذا امر عجيب
قيل لحتك هذا وجوهاً واحدة لحتك ان الله تعالى امره بهذا السؤال
ليعلم انه قد يري ويعتقد ذلك ويحتك انه سأل على الاستدلال بمثله فانه
لما راي انه اعطاه اسماً لا يكون مثلها في الدنيا انما يكون في الاخرة نحو ما حقت
من النجار العيون من الحجر من غير مؤنة تكون لهم في ذلك من خفي النهار
واصلاحها ونحو ما اعطاهم من اللباس كان يزداد على قدر قاتمهم وطولهم
ومن نحو ما اعطاهم من المن والسلوي على غير مؤنة ولا جهد وذلك كله وصف
الجنة فلما راي ذلك ظن على ان الرؤية تكون في الدنيا ايضاً له وان لم يكن لا جديها
على ما كانت له من اشياء لم يكن مثلها لا جدي في الدنيا ومثل هذا الاستدلال
غير مستبعد في العقول ولحتك انه لما راي نفسه تحمل سبع كلام ربه والتي سبغ
مسامحة كلامه لامين مكان ولا من قريب ولا بعيد ولا من اسفل ولا من اعلى
ولا من تحت ولا من فوق ولكن اسمعه بما شاء كيف شاء بلطفه فعلى ذلك ظن
انه يجوز له ان يمشي ربه الرؤية فيراه بما شاء كيف شاء بلطفه والله اعلم
قوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
سمى الله تعالى موسى وسأبوء الانبياء باسماء الجواهر من نحو موسى وعيسى
ونوح وابراهيم واسماء عيل واسحاق وسمي بيثينا نبياً ورسولاً وذلك يدل
على تفضيله عليهم وكذلك سمي سائر الامم المتقدمة بنى اسوايل وبنى آدم وسمي
امة محمد باسم الايمان وما هو من اسماء الشرف والتفضيل وقال يا ايتها الذين
آمنوا وقال كنتم حنيفا مة ونحو ذلك يدل ايضاً على تفضيل امته على سائر
الامم والله اعلم ثم قوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي
اخترتك وفضلتك على الناس كافة الانبياء وغيرهم برسالاتي وبكلامي لان تعالى
لم يكلم احداً من الرسل الا بسفير سوي موسى فانه كلمة ولم يكن بينهما سفير
والاشكال على هذا من وجهين احدهما انه ذكر انه فضله واصطفاه على الناس
بالرسالة وليس لبعض الرسل على البعض تفضيل في الرسالة اذ اكلوا مبعوثين
الي كافة الخلق اما اذا كان رسول الى قوم خاص فهو دون المبعوث الى البشر
كلهم في المستزلة وغير موسى من الرسل كما في مبعوثين الى الخلق فكيف يكون

مُصْطَفًى عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَالثَّانِي أَنَّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَاهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَخْصُوصًا بِالْكَلامِ
بَلَا وَاسْطَافَةً فَنَبِيَّتَانَا كَانَا مَكْرُمًا بِالْكَلامِ بَلَا وَاسْطَافَةً لِيُثْلَعَ الْمَعْرَاجُ فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا
فَقَوْلُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَى النَّاسِ أَيُّ عَلَى نَاسٍ مِنْ مَائِهِ وَأَهْلِهِ خَاصَّةً لَا جِنْسًا لِلنَّاسِ
كُلِّهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فِي قَوْمِ مُوسَى وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَهُوَ أَمَّا أَفْضَلُ الْأَمْرِ كَمَا أَنَّهُ
أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ لَكِنَّ الْمُرَادَ عَلَى عَالَمِي مَنْ مَائِهِمْ فَكَيْفَ هَذَا وَهُوَ كَانَ أَفْضَلُ نَاسٍ زَمَانِهِ
عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِالْكَلامِ وَبِالرَّسَالَةِ وَكَذَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي مَنْ مَائِهِ الْيَتَامَى وَهَارُونَ وَعِيسَى
بِالرَّسَالَةِ لَوْلَا هُوَ الْأَصْلُ وَهَارُونَ كَالْمُؤَيَّدِ بِهِ وَوَالِدِي كَمَا قَالَ وَاجْعَلْ لِي
فَيْلًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي الْآيَةُ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْيَتَامَى بِالْكَلامِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْلَمْهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ
وَكَلَّمَهُ لَا بِوَسْطَةِ اللَّهِ أَعْلَمَ ثُمَّ عَلَى قَوْلِ الْمُعْتَذِرَةِ لَا يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى مُصْطَفًى غَيْرَ مَنِ وَلَا غَيْرَ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَكِنْ رَسُولًا هُمُ الَّذِينَ أَصْطَفَوْا أَنْفُسَهُمْ لَا يَهْمُ يَقُولُونَ إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى لَا يُرْسِلُ
رَسُولًا إِلَّا وَهُوَ لَيْسَ خَلْقُ الرِّسَالَةِ بِسَبَبٍ مَا آتَى مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِلَّهِ وَتَطَهُّرِ
نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَتَضَعِيفِهَا عَنِ السُّؤَالِ لَأَنَّ أَمْرَهُ تَعَالَى يُعْطِيهِ الرِّسَالَةَ الْبَدَأَ
وَهُوَ قَائِدٌ إِذَا لَوْ كَانَ طَرِيقُ الرِّسَالَةِ الْأَسْتَحْقَاقَ بِسَبَبِ الْعَمَلِ لَا الْأَفْضَالَ
وَالْإِحْسَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِمْتِنَانِ مِنْ أَمْرٍ مَعْنَى وَقَدْ مَنَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِنْ أَمْطَفَيْتُكَ وَقَالَ
وَأَيُّهُمْ عِنْدَ مَنْ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَحْيَاءِ بِقَوْلِهِ إِنْ طَرِيقُهُ الْأَفْضَالُ وَالْإِحْسَانُ دُونَ
الْأَسْتَحْقَاقِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ تَخْرُجُ عَلَى وَجْهِهِ أَحَدُهُمَا الْإِخْذُ بِمَخْجَفِ
الْقَبُولِ أَيُّ أَقْبَلَ مَا أُعْطَيْتُكُمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَقَوْلُهُ وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ أَيُّ يَقْبَلُ وَبِحُجَّتِهِ قَوْلُهُ فَخُذْ
مَا آتَيْتُكَ أَيُّ أَعْمَلْ مَا آتَيْتُكَ بِأَحْسَنِ الْعَمَلِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَزَمِ الشَّاكِرِينَ
أَيُّ النِّعَةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنَ التَّكْلِيمِ وَالرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَيْفَ لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حُجَّتٌ وَجْهِهِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَضَافَ
ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ لَمَّا قَوْلِي كَمَا بَنَى الْمَلَائِكَةُ الْبَرَّةَ الْكِرَامَ وَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ
تَعْظِيمًا لَهُمْ وَتَعْظِيمًا لَهُمْ عَلَى مَا ذَكَرْنِي الْكَابِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ مَخَافَتِهِ
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَقَوْلُهُ مِنْ يَطْعُ الرَّسُولَ فَقَدْ طَاعَ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّ طَاعَةَ
الرَّسُولِ طَاعَةُ اللَّهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَكَذَلِكَ هَذَا أَوْ أَعْلَمُ وَالْبَاقِي حُجَّتٌ أَنَّهُ أَضَافَ ذَلِكَ
إِلَى نَفْسِهِ لَمَّا كَانَ وَكَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَنَا يَكُونُ بِتَكْوِينِهِ الْأَوَّلِيِّ لِيَكُونَ فِي
الْأَوَّلِ الَّتِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا ذَلِكَ قَوْلُهُ إِنَّمَا قَوْلُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَعَلِي ذَلِكَ كَيْتَهُ تِلْكَ الْأَلْوَا حِ حُجَّتُ ذَلِكَ التَّكْوِينِ وَإِنْ كَانَ أَضَافَ
بَعْضَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ إِلَى نَفْسِهِ بِطَرِيقِ الْخُصُوصِ مَخَافَتُهُ قَوْلُهُ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَقَوْلُهُ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَقَوْلُهُ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهُ نَهْرًا
كُلُّهُ حُجَّتُ قَوْلِهِ كُنْ فَكَانَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَوَّلِ الَّتِي أَرَادَ كَوْنَهَا فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
ثُمَّ قَوْلُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حُجَّتٌ مَا يَتَّبِعُ لِلْعِبَادِ الْحَاجَّةَ إِلَيْهِ وَبِحُجَّتِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيِهِ وَحِلَالِهِ وَحُرَامِهِ
قَوْلُهُ تَعَالَى مَوْعِظَةٌ قَالِ الْمَوْعِظَةُ هِيَ الَّتِي لِحُجَّتِ الْقُلُوبِ عَلَى الْقَبُولِ
وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْعَمَلِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمَوْعِظَةُ هِيَ الَّتِي تَنْقِذُ إِلَى الْجَلِّ وَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ الْجَوَازِجُ الْيَتَامَى الْمَوْعِظَةُ هِيَ الَّتِي تُلْتَمِزُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَتَقْدِمُ الْعُيُونَ
الْجَامِدَةَ وَتُصِلُ الْأَعْمَالَ الْمَفْسُودَةَ وَعِنْدَنَا الْمَوْعِظَةُ هِيَ الَّتِي تَذَكِّرُ الْهَوَا وَتُحْجِلُ
عَلَى الْعَمَلِ لَمَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَفَصَّلًا لِكُلِّ شَيْءٍ قَبِيلٌ فَفَصَّلًا لِمَا
أَمْرًا بِهِ وَنَهْيًا عَنْهُ وَقَبِيلٌ بَيِّنًا لِكُلِّ مَا لِحَاجَتِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ
حُجَّتٌ وَجْهِهِ أَيُّ أَقْبَلَ أَوْ أَعْمَلْ بِمَا يَنْبَغِي عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَقَوْلُهُ
بِقُوَّةٍ قَالِ أَهْلُ التَّوْبِيلِ أَيُّ يَجِدُ وَمَوْاعِظُهُ وَلَكِنْ يُمْكِنُ إِجْرَاءُ الْآيَةِ عَلَى حَقِيقَةٍ
الْقُوَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ثُمَّ الْمَعْتَزِلَةُ اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ عَلَى أَنَّ الْقُوَّةَ تَقْدِمُ
الْأَمْرَ بِالْإِخْذِ وَلَكِنْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا بَلْ هِيَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ أَمْرٌ بِالْأَحْذِ بِالْقُوَّةِ يُبْدِلُ عَلَى
قَرَانِ الْقُوَّةِ الْإِخْذَ لَا عَلَى السَّيِّئِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ لَا يَكُونُ أَحَدًا بِقُوَّةٍ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ الْقُوَّةَ
يَكُونُ قَبِيلُ الْفِعْلِ ثُمَّ يَقُولُونَ أَنَّهَا لَا تَبْقَى وَقَتَيْنِ يَكُونُ فِي الْحَاصِلِ لَوْ كَانَ
الْقُوَّةُ قَبِيلُ الْفِعْلِ وَأَنَّهَا لَا تَبْقَى وَقَتِ الْفِعْلِ فَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدًا بِغَيْرِ قُوَّةٍ ذَلِكَ أَنَّ الْقُوَّةَ
مَعَ الْعَمَلِ وَبِاللَّهِ التَّوْبِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَمْرٌ مَكَ يَأْخُذُ وَأَبْأَحْسَنِهَا
حُجَّتٌ قَوْلُهُ يَأْخُذُ وَأَمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْوَجْهِينِ الْقَبُولِ أَوِ الْعَمَلِ أَيُّ مَرَّهْمُ يَقْبَلُوا بِأَحْسَنِ
الْقَبُولِ أَوْ يَفْعَلُوا بِأَحْسَنِهَا ثُمَّ حُجَّتٌ قَوْلُهُ بِأَحْسَنِهَا مَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّوْبِيلِ بِأَحْسَنِ
مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحِلَالِ وَالْحُرَامِ وَبِحُجَّتِ بِمَا هُوَ أَحْكَمُ وَاتَّقِنَ وَبِحُجَّتِ
بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَ بِهَا الْأَوَّلُونَ إِذْ فِيهِ أَخْبَارُ عَنِ الْأَوَّلِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى سَارِكُمْ دَارَ
الْفَاسِقِينَ قَالِ بَعْضُ أَهْلِ التَّوْبِيلِ قَالِ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ سَارِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ
يَعْنِي سُنَّةَ الْفَاسِقِينَ وَهِيَ لَا هَلَكَ الَّذِي هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ كَقَوْلِهِ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ وَسُنَّتُهُ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسْقى مِنْهُمْ لَا هَلَكَ وَالْأَسْتِصَالُ وَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَارِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ جِسْمُهُمْ وَأَمْكِنَ أَنْ يَكُونَ الْخُطَابُ لِلْفُسْقى

أَي سَارِيكُمْ يَا أَهْلَ السُّنُقِ دَارِ النَّاسُفَيْنِ قَوْلَهُ تَعَالَى صَاصُوفٍ عَنْ آيَاتِ
الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ قَوْلَهُ صَاصُوفٍ عَنْ آيَاتِ كَيْفِ وَجْهَيْنِ أَحَدَهَا أَيْ
صَاصُوفٍ عَنْ قَبُولِهَا وَنَقْدِهَا إِذَا لَمْ يَسْتَقْبِلُوهَا بِالْقَبُولِ لَهَا بَلِ اسْتَهْزَؤُا
بِهَا وَاسْتَحْفَظُوا عَلَى عِلْمٍ مِنْهَا آيَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَحُجَّجَهُ وَالثَّانِي أَيْ صَاصُوفٍ
عَنْ وَجُودِ الطَّعْنِ وَالْفُتُوحِ فِيهَا وَالْكِدِّ لَهَا ثُمَّ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ
يَتَوَجَّهُ إِلَى وَجْهَيْنِ أَمَّا أَحَدُ وَجْهَيْنِ الْأَوَّلِ مَا قَالَ الْحَسَنُ أَنَّ الْكُفْرَ جِدًّا إِذَا بَلَغَ
الْكَافِرُ ذَلِكَ الْحَدَّ يَطْبَعُ عَلَيْهِ فَلَا يَقْبَلُ وَلَا يَصْدِفُ آيَاتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالثَّانِي أَيْ
كَانُوا يَتَعَبَّيْتُونَ فِي آيَاتِهِ وَيَكَايِرُونَهُ فِي رُدِّهَا عَنْ عِلْمِهِمْ أَنَّهَا آيَاتٌ وَحُجَّجَهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
فَإِذَا تَقَنَّى صَاصُوفَهُمْ عَنْ قَبُولِهَا وَنَقْدِهَا وَهُوَ كَقَوْلِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَاصُوفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ
وَقَوْلُهُ فَلَمَّا زَاغُوا زَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أَيْ خَلَقَ مِنْهُمْ نَفْسَ الْإِنْفِرَافِ وَنَفْسَ الزَّيْغِ وَهَكَذَا
كُلٌّ مِنْ كِتَابِ عِدَاوَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِحُتَارِهِ وَلَا يَتَّبِعُهُ وَلَكِنْ كِتَابُ لَهُ مَا اخْتَارَ
هُوَ أَمَّا أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ الثَّانِي أَيْ صَاصُوفٍ عَنْ وَجُودِ الطَّعْنِ وَالْمُتَجَمِّعِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى جَعَلَ لِلرَّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ أَصْدَادًا مِنْ كِبَرِ الْكُفْرِ وَعِظَامِهِمْ وَكَانُوا يَطْفُونَ
فِي الْآيَاتِ وَيَقْدَحُونَ فِيهَا فَلَمْ يَخْبِرْهُمْ اللَّهُ أَنَّهُ لَيَصْرَفُهُمْ عَنْ وَجُودِ الطَّعْنِ فِيهَا وَالْفُتُوحِ
أَيْ لَا يَجِدُونَ فِيهَا مَطْعَنًا وَلَا فِدْحًا حَقِيقَةً وَأَنَّ كَانُوا يَقُولُونَ بِلِسَانِهِمْ وَالثَّانِي
أَيْ سَاصُوفٍ عَنْ آيَاتِ الْإِهْلَاكِ وَالْإِبْطَالِ بِهِيَ الْمَهْلُوكُونَ وَالْآيَاتُ هِيَ الْبَاقِيَّةُ
ثُمَّ آيَاتُهُ قَالَ الْحَسَنُ أَيْ دِينَهُ وَتَأْوِيلَهُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ إِذَا بَلَغُوا ذَلِكَ الْحَدَّ صَرَفَهُمْ
عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ وَقَالَ عَيْنُهُ حُجَّجَهُ وَبَرَاهِينُهُ قَوْلَهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيْ الَّذِينَ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ عَلَى الرِّسْلِ بِأَلْمِ بِرِوَايَتِهِمْ أَمْثَالًا
لِأَنْفُسِهِمْ وَأَشْكَالًا وَكَذَا أَكَلُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى أَخْرَافِهِمْ لَمْ يَرَوْا مَثَلًا لِنَفْسِهِ وَلَا شَكْلًا
وَكَيْفَ أَنَّهُ يَرِيكَ لِنَفْسِهِ حَقَّقًا عَلَيْهِ فَيَتَكَبَّرُ وَإِذَا كَانَ الْكُفْرُ لِهَذَا فَاتَّخَذَ كُلُّهُمْ
أَكْفًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا نَمِ أَمْثَالٌ وَأَشْكَالٌ وَمِنْهُمُ الْعُيُوبُ وَاحْتِاجَاتٌ فَلَا يَسْمَعُ لِأَحَدٍ
التَّكْبِيرَ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّمَا الْكِبَرُ بِاللَّهِ وَلَهُ وَلَيْفَ لِمَا لَا مَثَلُ لَهُ وَلَا شَكْلٌ وَهُوَ مُنْقَذٌ عَنِ الْعُيُوبِ
كُلِّهَا وَاحْتِاجَاتٍ لِذَلِكَ كَانَ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْكِبَرِيَّاتِ وَالْعَظِيمُ وَقَوْلُهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيْ لَيْسُوا
بِأَقْلٍ الْكِبَرِ وَلَا لَهُمْ اسْتِحْقَاقٌ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا لِحُتْمِهِمْ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ يَرَوْنَ أَيْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ آيَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا بِذَلِكَ فِي تَقَرُّمِ
عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا قَوْلَهُ تَعَالَى وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوا

سَبِيلًا قَوْلَهُ تَعَالَى ذَلِكَ بَانَهُمْ كَذِبُوا بِآيَاتِنَا لِحُتْمِهِمْ قَوْلَهُ ذَلِكَ أَيْ الصَّرَفُ
الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ آيَاتِنَا كَانُوا فِي حَقِّهِمْ مَا كَذَبُوا الْآيَاتِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ أَنَّهَا آيَاتُ اللَّهِ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَكَانُوا عَنِهَا قُلُوبًا أَيْ عَقْلًا الْعِنَادُ وَالْأَعْرَاضُ لَا تُغْفَلُ
الْجَهْلُ وَالسُّهُو قَوْلَهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ أَيْ الَّذِينَ
كَذَبُوا بِالْآيَاتِ وَابْعَثْ بَعْدَ الْمَوْتِ قَوْلَهُ تَعَالَى حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ لِحُتْمِهِمْ وَجْهَيْنِ
لِحُتْمِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ فَكَذَبُوا بِالْآيَاتِ وَكُفَرُوا بِهَا فَحَبِطَتِ
أَعْمَالُهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِيمَانِ وَبَطَلَتْ وَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمُ أَيْ الْمَعْرُوفُ
الَّذِي كَانُوا يَتَفَعَّلُونَ فِي حَالِ الْكُفْرِ مِنْ مَحْصُولَةِ الرَّحْمِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ الْخَيْرَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ حَبِطَ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْآيَاتِ أَيْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ ثَوَابًا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى
مَنْ يَتْلُكْ وَنَ الْإِيمَانِ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَيْ مَا يَجِزُونَ الْإِيمَانَ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ الْإِسْتِهْزَاءِ
بِالْآيَاتِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيمٍ
عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِقُ كُنَّا كَيْفِيَّةً اتَّخَذَهُمُ الْعَجَلُ فِي سُورَةِ طه فِي قَوْلِهِ فَخَرَجَ
لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِقُ لَوْ هَذَا الْحُكْمُ وَالرُّسُوسِي الْآيَةُ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ
مُوسَى بِبَعْضِهِمْ بِالْهَدَايَةِ وَالْعَدَالَةِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ بِقَوْلِهِ وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى أَمَةً يَهْدُونَ
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَوَصَفَ بَعْضَهُمْ بِالسَّفَاهَةِ وَقِلَّةِ الْفَهْمِ وَالضَّعْفِ فِي الدِّينِ
كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَقَالَ هَهُنَا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا
الْعَجَلُ الْهَذَا عِبْدُوه ذَكَرْهُدَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِيُظْهِرَ فِي آيَاتِهِ وَحُجَّجَهُ وَلِيُفَكِّرَ فِي نَفْسِهِ
مُتَوَدِّي شُكْرَهَا وَسَدِيرِ فِي آيَاتِهِ وَحُجَّجَهُ لِنَتَّبِعَهَا وَلَا تَضَيِّعَهَا عَلَى مَا صَنَعَ قَوْمُ مُوسَى وَقَوْلُهُ
مَنْ بَعْدَهُ أَيْ مَنْ بَعْدَ مَفَارِقَةِ مُوسَى قَوْمَهُ وَقَوْلُهُ مِنْ حَلِيمٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ
أَوْ زَا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَبْلِيَّ عَارِيَّةً عَنْهُمْ مِنْ قَوْمٍ مِنْ عَوْنِ بُولِهِ
أَوْ زَا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ صَانِفٍ أَيْ قَوْمٍ مِنْ عَوْنٍ وَاصْنَفَ هَهُنَا أَيْ قَوْمُ مُوسَى
بِقَوْلِهِ مِنْ حَلِيمٍ فَذَلِ انْ الْعَارِيَّةُ بِحُجُونِ أَنْ تَنْسِبَ إِلَى الْمُسْتَعِيرِ وَفِيهِ دَلَالَةٌ
لِقَوْلِ أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَيَمْلِكُ لَا يَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ فَدَخَلَ دَارَ عَارِيَّةٍ عَنْهُ
حَيْثُ وَقَوْلُهُ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِقُ قَالَ بَعْضُهُمْ صَوْرَتُهُ كَانَتْ صُورَةَ عَجَلٍ وَلَمْ يَكُنْ عَجَلًا
فِي جَوْهَرِهِ وَقِيلَ الْجَسَدُ الَّذِي لَا تَدْبِيرُ لَهُ وَلَا تَمَيِّزُ وَلَا بَيَانَ الْإِنْتِزِي أَيْ قَوْلُهُ
الْمُتَبَرِّ وَاللَّهُ لَا يَكْلَهُمْ وَلَا يَسْتَعِينُ سَبِيلًا لِيُسْفَهَ أَحْلَامُهُمْ حَيْثُ عِبْدُ وَامِنْ لَا تَدْبِيرُ لَهُمْ

ولا كلام يعبر به او دعاء واختاروا الهية من وصفه ما ذكر وقوله له خوار قيل
ان السامري كان اخذ قبضه من اثر الرسول والي تلك القبضة في الجلي التي الوقا
في النار فصار يشبه عجل له خوار وقال بعضهم صاع من تلك الجلي عجل ففتح فيه
من تلك القبضة فخار خوارا وقال بعضهم ان السامري كان هيار ذلك العجل
الذي اخذه كمال حتى اذا مته وحركه خار وقال بعضهم كان وصفه في هيب النج
فدخل الريح في دبره وخرج من فيه فيخو وعند ذلك والله اعلم قوله تعالى الم يروا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر ههنا هكذا ذكر في سورة طه ولا يملك لهم صنوا
ولا نفعا منهم عن عبادته وعينهم بما ذكر انه لا يكلمهم ولا يملك لهم صنوا ولا نفعا
وليس فيه انه ان كان يكلمهم او يملك لهم صنوا ونفعا خوار ان يعبد فدل هذه الآية
ان حظوا حكم في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال احزي وفيه ان امتناع العلة
عن اطرادها يوجب نقيضها وان اطرادها في الابتدأ في معلولاها لم يدل على
صحها فقل الله تعالى اتخذوا اي اتخذوه الهة عبيدوه وكانوا اظالمين في عبادتهم
العجل لانهم وصفوا العباداة في غير موضعها والالهية غير مستحقها وبالله التوفيق
قوله تعالى ولما سقط في ايديهم هذا خوف ليشتمله القرب عند وقوع الذام
وخلوها وتاديله لما راوا انهم قد ضلوا سقط في ايديهم اي ندوا على ما كان منهم
قوله تعالى قاتلوا الذين لم يرحمنا ربنا به ويفتر لنا اي ليس لم يرحمنا ربنا ويوفنا
الهداية والعبادة له ويفتر لنا ما كان مينا من عبادة العجل والافند في العصيان
لنكون من الخائسين ويحتمل قوله ليس لم يرحمنا ربنا ويفتر لنا ابتدأ سبب الرحمة والمغفرة
لقوله ويا قومي واستغفروا ربكم الآية ثم في قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
بعد قوله خوار دلالة ان الكلام ما يفهم منه المراد ليست الحروف لنفسها
لانه اخبر ان له خوارا ام احب انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان له هجا
وحروف ليس بكلام وذلك دليل لقول اصحابنا انهم حلف ان لا يكلم بفلاي سم
خاطبه لبي لا يفهم مراده اصلا ان ذلك ليس بكلام ولا حث في ميمه والله اعلم
قوله تعالى ولما رجع موسى الى قوم غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الحزن
والغضب كقوله يا اسفا على يوسف وقوله فلما اسفونا اشتقنا منهم اي اغضبونا لكن
الغضب على من دونه والاسف والحزن على من فوقه وقوله غضبان اي غضبان
لله تعالى على قوم عبادتهم العجل من العقوبة وهكذا الواجب على من راسكرا ان يغضب

علي مرتكب ذلك المنكر ويا سفا عليه لما يلحقه من العقوبة الهلاك رحمة منه
له ورأفة عليه ويلزم الشكر له لما اعصمه عن مثله وكذلك وصف رسول الله بالاسف
والخزي لتكذبهم لعكسك باخج نفسك الا يكونوا مومنين وقالت فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف تعامل باهل المناكير وقت ارتكابهم
لها والله اعلم قوله تعالى ليس ما خلفتوني من تعدي بخروج هذا علي وجهين
احدهما اي ليس ما اخترتم من عبادكم العجل على عبادة الله والثاني ليس ما
خلفتوني في اتباعكم السامري الى ما دعاكم اليه بعد اتباعكم اياي واجي رسول الله
وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله اعجلتم اموركم اختلف فيه
تاويله قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم لقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم
الوعد الحسن الذي وعدكم ربكم وهو قوله واذا وعدنا موسى اربعين ليلة
وقال اخر ون اي اعجلتم امور ربكم اي عذاب ربكم وغضبه بعبادكم العجل واتخذكم
اياه الهة وقد سمي السفي في غير موضع من القرآن العذاب باسم الامر
لقوله اي امرا له وقوله حتى جاء امر الله وكوذلك قوله تعالى والقي
الالواح قال اكثر اهل التاويل التي الالواح اي طرحها على الارض غضبا منه فزع
بها كذا الكذا الوحا ولكن لا يجوز ان يفهم من قوله والقي الالواح طرحها لا غير الاتري
ان الله تعالى قال والقي في الارض رواي ان تميد بكم ليس يفهم منه الطرح
انما فهم منه الوضع فعلى ذلك قوله والقي الالواح اي وضع لانه اخذ براس اخيه
ولحيته اعني راس اخيه هارون ولا سبيل له الي ان ياخذ راسه ولحيته
والالواح في يديه فوضعها على الارض ثم اخذ راسه ولحيته فجرا الى نفسه على ما
ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي دل ان المراد
منه الوضع فجاء العجل عليه تنزيها للرسول عن الاستخفاف بكباب الله على ما قالوا
من الطرح والله الموفق قوله تعالى واخذ براس اخيه بحجوة اليه وقال
في سورة طه خبيرا عن هارون حيث قال لموسى بقوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي فدل انه كان اخذ بلحيته ورأسه جميعا لشدة غضبه لله على صنيعه فقام
وفي الآية دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولا يكون
موسى ياخذ راسه بالامر والوحي من الله تعالى ثم قوله له هارون لا تاخذ كذا
ولا تفعل كذا دل انه علم انه فعل ذلك بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي

ولا يحتمل ان يكون موسى ياخذ راسه بالامير والوحي من الله تعالى ثم يقول له هارون
لا تأخذ كذا ولا تفعل كذا دل انه علم انه فعل ذلك بالاجتهاد يقتضيه ما قلنا ان هارون
قال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اعتذر اليه ولو كان
يقول له موسى بالوحي لم يكن يعتذر اليه وكذا قال فلا تشمت بي الاعداء لو كان ما يفعل
يفعل عن وحي لم يقتل هذا دل ان الاجتهاد سايغ العذر به وفي قوله واخذ براس اخيه
بحره اليد دالة انه انما اخذ شعر راسه لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان
يحتره اليه دل انه كان اخذ شعر راسه ودل على ذلك قوله لا تأخذ بلحيتي ولا براسي
وبينه دالة لا صحابنا ان من مسح راسه ثم ازال شعره لم يسقط عنه حكم المسح واذا مسح
على لحيتيه ثم سقط ازال عنه حكمه ولزم غسل دقته لما سمي الشعر راسا وسمي اللحية
لا دقتا والله اعلم وقوله قال يا ابن ابي ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني خرج
هذا اصله قول موسى له هارون لما قال له يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الاتبعني
انقصيت امري فقال عند ذلك يا ابن ابي ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا
تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قوله تعالى قال رب اغفر
لي ولا تحني قال بعضهم انما خص اخاه بسواي المغفرة لانهم جميعا قد عبدوا العجل سوي
اخي هارون لذلك خصه بسواي المغفرة له وقال بعضهم انما قال جوا لما قاله
هارون فلا تشمت بي الاعداء الآية ولحملي انه انما خصه بالسواي له بالمغفرة
من الله تعالى لانه سأل ربه ان يجعل هارون له وزيرا بقوله واجعل لي وزيرا
من اهلي هارون اجني اسدود به اذري واشركه في امري لما سأل ربه ان يشركه
في امره ويشد به اذره سأل ربه المغفرة له لهذا والله اعلم وقوله وانت ارحم
الراحمين لان كل من يرحم دونه فانما يرحم برحمته قوله تعالى وقوله ان الذين
اتخذوا العجل اي عبدوا العجل يستيناهم غضب من ربه وذلك في الحيوة الدنيا قال
بعضهم غضب من ربه العذاب في الآخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة في الحيوة
الدنيا القتل والهلاك في الدنيا وقال بعضهم غضب من ربه القتل والهلاك في الدنيا
وذلة في الحيوة الدنيا الخنزير والاسترقاق والاسر والقهو ومحتل قوله وذلة
في الحيوة الدنيا ذل كذا لزم لصنيعهم وثنا السر على ما كان يصنع الخبير المجهل في الدنيا وثنا
الحسن والله اعلم قوله تعالى وكذا كل مخدئ المفتري اي كذلك يخزي كل
مفتري على الله ثم قوله سيناهم غضب من ربه يحتمل وجهين احدهما ان قد نالهم غضب

من ربه يحتمل وجهين احدهما وما ذكر والثاني ان يكون هذا مذكورا في كتبهم ان من
اتخذ العجل معبودا سيناهم غضب من ربه فان كان هذا اخبارا عما في كتبهم فسيناهم
على الوعد صحيح والا على الخبر ان قد نالهم والله اعلم قوله تعالى والذين
علموا السيات ثم تابوا من بعدها وآمنوا قال اهل التاويل والذين يعني الذين
عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعد هذا الغفور الرحيم ولكن لا
معنى للتعبير بهم بل كل من علموا السيات آية سبحة كانت اذا تاب عنها ونبت
عليها وطلب من الله المغفرة غفده له والله اعلم قوله تعالى ولما سكنت عن موسى
الغضب اي الغضب الذي غضب الله على قومه بعبادتهم العجل وقال ابو بكر الا صم
الغضب هو العقوبة واللعن والاصف الله تعالى بالغضب لانه في الحقيقة غلبان
دم المرة ولكن نقول هو ارادة الانتقام قوله تعالى اخذ الألواح يعني الألواح
التي وضعها على الارض قوله تعالى وفي نسخها هدي ورحمة قال بعضهم
يعني في نسخة الألواح لما كانت انسخت من اللوح المحفوظ وقال بعضهم في نسخها
اي الكتب التي انسخها بنو اسرائيل من تلك الألواح وقوله هدي ورحمة
اي هدي من كل ضلالة وبيان من كل عبي وسببه ورحمة من كل غضب وسخطه
قوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون اي للذين يخشون ربه فيعملون له
قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله
لميقاتنا اي لتمام الموعدة التي وعده وهي الاربعون الذي وعد ولكن لا ندري
لماذا لك المقارن الذي ذكر وقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا
اختلف في تاويل ذلك قال بعضهم اي السبعين الذين اختارهم موسى ليكونوا
مع هارون فعبد العجل في افئدتهم فلم ينكروا ولم يعترفوا ذلك ولم يعبدوا العجل بانفسهم
فاخذتهم الرجفة وقال احسن انهم قد عبدوا العجل جميعا الا هارون فالرجفة التي اخذتهم
انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل واحتمل ان يكون موسى اختار السبعين لخرجوا
معه فيكونوا شهداء له على انزال التوراة عليه وكلام ربه وقيل هم الذين تركهم
في اصل الحبل فلما جاءهم موسى بالتوراة قالوا لن نؤمن لك حتى نري الله جهة
فاخذتهم الصاعقة وهلكوا القلوبم ذلك وقيل اختارهم موسى ليتوبوا الى الله
فما عمل قومه ولسنا ندري من اولئك السبعون الذين اختارهم موسى ولا حاجة
بنا الى معرفة ذلك والله اعلم قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت

اهلكتم من قبل واياي قال بعض اهل التاويل اي لو شئت امتهم واياي يقبل
القبلي وقال آخرون هو علي حقيقته الاهلاك اي لو شئت اهلكتم وقوله واياي
على القدرة على الاهلاك اي لقد ربي اهلاكي ولكن لا تهلكوا لما لم يكن مناما لتتحقق
ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتم واياي اهلاكم فتنية اهلكتم واياي من
قبل هدي ولا تهلك الا ان لا نه خاف ان يأت قومهم ويخبرهم انهم اهلكوا بسبب كذا
لم يصد قومه ويتهمهم فيهم ويقولون انك قتلهم على ما ذكر في القصة انه خرج بهارون
الي بعض الجبال فمات هارون هناك فاخبر قومه بذلك فقالوا انت قتلته فلذلك
قال هذا والله اعلم وقوله اهلكنا بما فعل السفهاء منا احتمال هذا وجو ما احتمال
ان يراد به المقدير والاجاب وحتم النبي واحتمل الاستفهام اما المقدير
والاجاب كانه قال لك ان تهلكنا ابتداء اهلاكم امتحاناً وابتلاء لا تهدينا بلا ذنب
الا تري انه قال ان هي الافتتنك والفتنة الابتلاء والامتحان ولك ان تهلك السفهاء
بما فعلوا واما علي النبي فكون معني قوله اهلكنا بما فعل السفهاء منا اي لا تفعل
ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا كما يقول الرجل لا خرافة لك انت كذا اي النبي اي لا تفعل
والله اعلم واحتمل ان يكون على الاستفهام لكن لم يخرج له اجواب كقوله افن هو قائم
على كل نفس بما كسبت وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وخوه بما لم يخرج له
جواب فعلي ذلك هذا لما انه ختم اهلاكم ايام محنة بتفريط كان من بعضهم وان كان
بعضهم برآ من ذلك علي ما كان من اهل المركز في حرب الحربيين العميان وحد
من البعير وكان الفشل والهزيمة عليهم محنة منه ايام كقوله اذ تحسبونهم باذنه
حي اذ انسلختم وتنازعتم في الامور اي قوله ليبتليكم فعلي ذلك هذا والله اعلم وقوله
ان هي الافتتنك فضلها من تشاء وتهدي من تشاء اي ما هي الافتتنك قال ابو بكر
الاصم فضلها من تشاء اي تنهي من تشاء هتيا لولا ذلك النبي لم يكن الفعل فعل الضلال
وتهدي من تشاء اي تامره امر لولا ذلك الامر لم يكن الفعل فعل الاهتداء فكان
النبي سببا لصيرورة الفعل فعل الضلال والامر طريقا لصيرورة الفعل فعل
الاهتداء فكانت الاضافة للتسبيب ولكن هذا فاسد لانه ترك العمل بالحققة ولا ان
النبي عن فعل الضلال والامر بالاهتداء من باب الحكمة فكيف يدخل تحت المشية
وتأويله عندنا انه خلق فعل الضلال من يعلم منه انه خلقنا ردك وخلق فعل
الهدى من يعلم انه خلقنا ردك وهو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف

الي الله تعالى من الافعال علي اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك
من الله خلق ما اصيبت اليه من الوجه الذي يحق وصفه بانه خالق فعلي ذلك
قوله هدي وتضل واحتمل توفيق وحذل وبالله التوفيق وقوله تعالى
انت وليتنا اي انت اولي بنا واحتمل انت ولي هدايتنا وانت ولي نعمتنا فاغفر
لنا وارحنا وانت خير الغافرين لان كل احد دونه انما يغفر برحمته وقوله
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة احسننا الكا به الاجاب اي اوجب
لنا في هذه الدنيا حسنة واحتمل الاثبات اي اثبت لنا واعطنا في هذه الدنيا
حسنة ويكون كقوله ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال
بعضهم واكتب لنا اي وفقنا للعمل نستوجب به الحسنات في الدنيا والآخرة واحتمل
حقيقته الكا به اي اكتب لنا في الدنيا الحسنات ولا يكتب علينا السيئات والله اعلم
واحتمل قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة احسننا انما سألوا
الرحمة ولذلك قال فسأكتبها للذين يتقون اي يتقون مقاصيه ومخالفته ثم
قوله في هذه الدنيا حسنة اي حسنة ختم بها الدنيا وتنقضي بها والايمان مسلم
الا وله في هذه الدنيا حسنة ايها اياه وعلي ذلك يخرج قوله ربنا آتينا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة انما سألوا حسنة ختمون عليها ويكون كقوله
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء بالحسنة الي الآخرة والحسن
عليها والله اعلم وقوله انا هدنا اليك قال بعض اهل التاويل قوله هدنا اليك
اي ملنا اليك وقال غيرهم اي تنبنا اليك ولذلك سميت اليهود انفسهم يهودا
ارادوا انهم تاييرون الي الله لكن لو كان الامر كما ذكر والكان قول الله ما كان
ابراهيم يهوديا اي ما كان ابراهيم تاييما وذلك بعيد لكن ان كانوا سموا انفسهم
يهودا لما ذكر محتمل ان معني قول الله ما كان ابراهيم يهوديا اي لم يكن ابراهيم
على المذهب الذي عليه اليهود وكذلك لم يكن علي المذهب الذي عليه النصارى
ولكن كان حنيفا مسلما قوله تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء قال الحسن سآرا ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله
وشاء ان يصيب رحمة من اطاع الله وصدق رسله ودل قوله عذابي اصيب به
من اشاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء منهم العمل والفعل الذي كان به يصيبهم
العذاب لان حروف من انما يغفر به عن بني آدم ولا جأيز ان يشالهم الايمان

ثم ينشأ لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذا علم منهم انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال
على فعل الهدى سألهم ما اختاروا فاذل على ان افعل العباد كلها تحت مشيئة الله
حيث اكانت او شئاً ثم قوله ورحمتي وسعت كل شيء اي ما من احد من مسلم
وكاف الا وعليه آثار رحمة في هذه الدنيا بما يتبعون ويواخون ويواذون
ومنها يتقلبون واما للمؤمنين الخصوص في الآخرة لاحظ للكا في الدنيا وذلك قوله
فما كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة اي الذين يتقون معصية الله ومخالفة
ويؤتون الزكاة وهو كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات
الدنيا ونعيمها مشتركة بين المسلم والكافر وخالصة يوم القيامة للذين آمنوا لاحظ
للكاف في الدنيا فعمل ذلك رحمة نالت كل احد في هذه الدنيا لكنها للذين آمنوا واتقوا
الشرك خاصة في الآخرة والله اعلم قوله تعالى ويؤتون الزكاة لاحتل
الزكاة المعروفه وحتل تزكية النفس كقوله قد افلح من زكها ومعلوم انه لم يرد
بمؤنة المال ولكن زكاة النفس بالتوحيد والتقوى ويطهرها بذلك عن الشرك
والضلال وعلى هذا قول الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زك منكم من احد
ابداً هو هذه الزكاة لا الزكاة المعروفه زكاة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم
على انه ان كان في الزكاة المعروفه فذلك في قوم ثقل عليهم واشتد احراج
الزكاة من اموالهم كقوله ودل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة
هم كافرين قوله تعالى والذين هم باياتنا يمينون وقد ذكرنا في غير
موضع ان من آيات الله وصدقها فقد امن بالله ورسوله ومن كذب بايات الله
وخالف رسوله مخالفته اعتقاد لان طريق معرفة الله ورسوله انما هو من طريق
الحج والايات ليس من طريق المحسوسات والله الموفق قوله تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي اي يتقون اثر الرسول في كل سيرته وفي كل
امره ونهييه ويطيعونه سماعه رسوله وبنياً بقوله الرسول النبي والرسول
كانه المبعوث على تبليغ الرسالة والمأمور بها على كل حال والنبي كانه المبعوث لم اشياء
عند ما يسألونه ولما سجدوا له والرسول هو المأمور بالتبليغ سألوا ولم يسألوا
شيئاً واواوا وكان محمد صلى الله عليه كلاًها التبليغ والابناء قال الله تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما اؤتيت اليك من ربك وقال ان عليك الا البلاغ قوله تعالى الامي الذي

يحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل الامي ما ذكرني آية اخري وهي قوله
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك وقوله الذي لحدونه
مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل انه رسول نبي وانه امي ثم الحكمة في جعله
امياً ما ذكر في قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك اذا
لا رتاب المبتطلون اي وما كنت تتلو من قبله من كتاب ليلا تقولوا انك
اخذت هذا من الكتب المقدسة ومن علومها وحكمها ولا تحطه بيمينك ليلا
يقولوا انه من تاليفك ويعلموا انه من عند الله جاء به لا من ذات نفسه
قوله تعالى يا امرم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي احرم ما ذكره كدلالة
اثبات رسالته لان اوليك لم يؤمنوا بالتوراة والانجيل فتقولون لا نجد
ما تذكر في التوراة والانجيل ذلك على انهم وجدوه كذلك قوله تعالى
وحمل لهم الطيبات اي ما احل لهم ومحرم عليهم الحيات ما حرم الله عليهم محرم
في التوراة والانجيل مكتوباً عندهم انه لا يامر بشئ ولا ينهى عن شئ ولا يحل
شيئاً ولا يحرم الا بما امر الله اياه لكنهم ينكروا نه انكار عناد ومكابرة وهو كقوله
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وحتل قوله يا امرم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
اي يا امرم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة وهو التوحيد وكذلك
ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكروا هو الكفر وجميع المعاصي وقوله
وحمل لهم الطيبات اي حمل ما هو طيب في العقل والطبع وحرم ما هو خبيث
في العقل والطبع جميعاً لان من الاسباب ما هو مستحب في الطبع لم يجعل
غذاءً للبشر فيه وانما جعل غذاؤهم فيها هو مستطاب في الطبع بلغ غايته في الطب
ولا كذلك جعل غذاؤه البهائم والانعام هذا محتمل والله اعلم ثم المعروف والطيبات
ما لو تركت العقول والطباع على ما هي عليها لكان لا حاجة تنفع الي الرسول
الذي يخبر ان هذا معروف وهذا طيب او خبيث او منكروا ولكن يعرف العقول
والطباع ذلك كله او حسن ما ذكرنا يعرف بالعقل والطبع لكن اعترضت
للعقول شبهات فتمنعها عن معرفة ذلك واحتاجت الي رسول يخبر ذلك فيكون
ارسال الرسل في حق هذا القسم لتأكيد ما في العقول حسنة ولزالة الشبهات
عنها ليعرفها العقول والله اعلم قوله تعالى وضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم قيل الاصر ما غلطوا على انفسهم من الشدايد وقيل الاصر هو شدة العادة والعلم

وقيل اصروهم عهدهم وقتل اصروهم اي الثقل الذي كان بنو اسرائيل
الذموه علي انفسهم وذلك كله متقارب وقال النبي اصروهم اي ذنبهم
الذي كانوا يذنبون اي عقوبة الذنب الذي كانوا اذنبوا في الدنيا والاغلال
التي كانت عليهم وقال الحسن ان اليهود قالوا يد الله معلولة اي مجبوسنة عن
عقوبتنا فقال تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اي غلت ايديهم الي اعناقهم في
النار فاحذر ان امة محمد لما امنوا به وصدقه رفعته تلك الاغلال التي كانت عليهم
عن هذه الامة بطاعتهم رسول الله وقيل الاغلال التي كانت عليهم السدايد التي كانت
عليهم من محرمات لا يجوز لهم العفو عن دم العدو ولا عن اخذ الدية وما لا يجوز غسل
النجاسات ولا يجوز الصلاة فيه الا بالقطع وغير ذلك من الاشياء التي لم تجلهم
فاجلت هذه الامة عليهم من محرمات عليهم من اسياء بظلم كان منهم وتحويل
كقولهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية وقوله
وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية حرم تلك الاشياء عليهم عقوبة
لبغيم وظلمهم الذي كان منهم اخبرانه وضع ذلك عن هؤلاء ولم يحرم مثل ذلك
عليهم وفي هذه الآية اثبات رسالة محمد صلى الله عليه لانه اخبر انه اي والاي
ما ذكرني قوله وما كنت متلوا من قبله من كتاب الآية وكان لا يتلوا ولا
يخط بيده ثم اخبر علي ما كان في كتبهم من غير ان عرف ما في كتبهم او نظرونها
او عرف لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى والله اعلم قوله تعالى
والذين آمنوا به اي صدقوا محمد والله اعلم قوله تعالى وعن روه وقيل
اعانوه باموالهم ونفوسهم بالسيف بايديهم وقال الحسن عن روه ونفوسه
انما هو كلام مثني ومعناها الاعيان وقيل عن روه اي اطاعوه ونفوسه
اعانوه وقيل عن روه عظموه قوله تعالى واستغوا للذي انزل
معه يعني القرآن سماه نور لما ينير الاشياء عن حقائقها بالعقول
لان النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الاسياء سوا طوره فغلب ذلك القرآن
هو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن سوا طوره وقال بعضهم سمي
نور لما ينير الاسياء ويعرف ما غاب ما شهد فيصير العايب له كالشاهد
والله اعلم قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فيه
دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الي الناس كافة وكذلك

روى انه قال بعثت الي الاحمر والاسود وسائر الانبياء عليهم السلام بعثوا
الي اقوام خاصة والى البلدان والقري المعروفة والمحدودة وان كان
منهم مبعوثا الي الناس كافة مثل نوح وغيره فلم يكن غيره مبعوثا الي
القليل الا ان الله تعالى في الآية ان الله تعالى لما خاطبه ان يقول
لناس اني رسول الله اليكم وانه لا سبيل له الي ان يخاطب الناس جميعا
بنفسه فنقول ان رسول الله اليكم ولكن انما يكون ذلك ببعث الرسل اليهم
فقولون انه رسول الله اليكم فانكشف ذكره بتبليغ الرسل اليهم وصار بذلك
مبلغا حين قال الا فهل بلغت فدل ان تبليغ الرسل كتبليغ المرسل بنفسه
وان خبر الواحد حجة اذ كان يبلغ مرسل الاحاد من الرسل الي الافاق
والله اعلم وحتم ان الله تعالى سخر الخلق حتي بلغ بعضهم بعضا رسالته حتي
فتي خبره وانتشر ذكره في جميع آفاق الارض شرقا وغربا كما انه بلغ نفسه
وذلك من عظيم آيات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من فقال الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت اي رسول الذي له
ملك السموات والارض وهو الواحد الذي لا شريك معه الذي يتصرف
بالاحياء والاموات ذكر تخصيص السموات والارض بالملك وان كان له
ملك الكل لماها النهاية في ملك البشر عند البشر وحتم انه ذكر هذا
ليعلموا ان التدبير فيها جميعا لواحد حيث انزل من السماء منافع الارض
علي بعد ما بينها وقوله لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب كانت تسمي كل معبود
الحق وكانت تعبد الاصنام دونه وسمتها الهة فنفي الالهية عما يعبدونه
دونه وانها لنفسه واخبر انه المستحق لاسم الالهية والعبادة لا غير
لانه يحيي ويميت ومن دونه من الذي يعبدون لا يملك الاحياء والاموات
وذكر احيوة والموت والله اعلم لانه ليس بشي الا شئ الشاهد من الحيوة
ولا امر واستد من الموت ليس غيبا اني انما غاب عنهم وينفردوا عن الامر
والاكره ما غاب عنهم والله اعلم وحتم انه ذكر انه يحيي ويميت ليدل انه فعل
واحد لا عدد والله اعلم قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الذي
يؤمن بالله كان صلى الله عليه وسلم هو السابق الي كل خير فليذكر ذلك دعاء الخلق اليه
وهو قوله وانا اول المسلمين فليذكر ذلك انما امر بالايان بالله وكلماته بعد ما آمن

هو وحمل ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اي آمن رسول الله بالله وكلماته التي كانت
في الكتب الماضية فاحضرها على ما في كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى
قوله تعالى وكلماته قال عامة اهل التاويل وكلماته القرآن وذكره بعض
القرآنة وكلمته بلا الالف وصرفوا تاويلها الي عيسى لما سُمي كلمة الله بقوله
وكلمته القاها الي مريم الآية كانه قال قاموا بالله ومحج وعيسى وحتمل
ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من احلال والحرام والامر والنهي والحكمة والاحكام
التي امر بها وشعرها لنا على ما ذكرني ابراهيم انه ابتلاه بكلمات فاتهم والله اعلم
قوله تعالى واتبعوه لعلكم تتقون قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا
في الآية بيان كرامات امة محمد بين انه اكدهم بالطاعة لرسولهم والخضوع له
والتعظيم له حتي لم يخطري بال احد اخلاف له بعدما اتبعه وآمن به وما اكدهم
ايضا من الفهم الفقه والحكمة حتي ذكرني الحديث كانهم من الفقه انبياء وقوم
موسي عليه السلام وعيثرهم من الامم لم يكونوا امثلهم فان قوم موسي قد خالفوه
في اشياء امرهم بها وما اخبرهم من افعال الجهال والله اعلم قوله تعالى
ومن قوم موسي امة يهدون بالحق وبه يعدلون قيل امة يدعوون الي
سبيل الحق وبه يعملون وهو قوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة الآية فعلى
ذلك حتمل الاول علي اضرار الرعا الي سبيل الحق وقال الحسن يهدون بالحق
اي يعملون بالحق وبه يعدلون فيما بينهم لكن الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن
قوم موسي لحمل انه ابلدا اشرف قوم موسي وعلما رهم الذين كانوا في زمينه
يدعون الناس الي الايمان والحق وحتمل ان يكون الامة من قوم موسي في
ن من رسولنا من بقيته قوم موسي وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اما قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو ما ذكرني قوله وقطعناهم في الارض اما يعني جماعة
وقيل وقطعناهم في الارض اما اي جعلنا بني اسرائيل قوم موسي اثنتي عشرة
فرقة وقيل قطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اما اي جاوزناهم بالجد كقوله
وجاوزنا بني اسرائيل البحر قال ابو عوسجة الاسباط الاتحاد والسيط
واحد وقال القتيبي الاسباط القبائل واحدها سبط وقيل الفخذون
القبيلة وقيل الاسباط لهم كالقبائل للعدو وقيل سبط الرجل ولد وله
علي ما روي في الحديث ان الحسن والحسين سبطا رسول الله وقيل ان اولاد

اسمات تسمى اسباطا واولاد اسماعيل قبائل واخذوا كذلك في العرب
يقال قبيلة كذا او فخذ كذا او لسنا نوري حقيقة ذلك والله اعلم ١٢٨ هـ
قوله تعالى واوحينا الي موسى اذا استسقاء قومك ان اضرب
بعضاك الحجر فتدل قوله اذا استسقاء قومك انهم كانوا في المفازة
لان البلد ان والعري لانهم لو كانوا فيها وان الامصار والعري لا تخلو امن
انها رجوي او هي ن لما استسقاء قومك والا تزي انه قال وظللنا عليهما الغمام
ذلك انهم كانوا في المفازة دون دون البنيان لان هناك تقع الحاجة الي الغمام للاطلاع
فاما في الغمام فلا والله اعلم قوله تعالى فابجست منه اثنتا عشرة عيشا قال بعضهم
النجرت علي ما ذكرني سورة اخري فانجرت منه اثنتا عشرة عيشا وقيل ان هذه الكلمة
بلسانهم لا بلسان العرب قوله تعالى قد علم كل انا من مشربهم قال بعضهم تعبدتم
تعالى بمعرفته كل منهم مشربه ليلاليتجاون عنه الي مشرب صاحبه وكانوا همكفين
بذلك بطريق الابتلاء والامتحان وقال بعضهم انما كان ليلاليتجاون في ذلك فيعصى
بهم الي التنازع والاختلاف وذلك سبب التقابل والتفاني وكذلك بقي في اولادهم
ذلك والله اعلم قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوي فيه
ان جميع موهم كان من السماء بلا مؤنة ولا تعب علي انفسهم قوله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوي وغير ذلك قوله تعالى وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون لا احد يقصد قصد ظلم الله ولكن اذا تعدوا واحد ود الله التي
جعلها لهم وجاؤنوها فقد ظلموا انفسهم لما يرجع ضرر ذلك التعدي اليهم وهذه
العلم التي ذكرها الله انما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوي
والعيون والغمام فيدل هذا علي ان عقوبات الدنيا قد يشوبها نعمة ولزها وكذلك
لذات الدنيا قد يمان جها شرا يدهموم فاما مخلص ويصفو هذه النعم في الاجن
وكذلك العقوبة هناك مخلص وتغارق الذات قوله تعالى واذا قيل لهم
اسكنوا هذه القرية بيت المقلقي ويحتمل ان يكون القرية التي ذكرها هي الارض
التي ذكرت في سورة المائدة بقوله يا قوم ارجعوا الي الارض المقدسة التي كتب الله
لكم ولا تترددوا علي ادياركم امهمم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد علي اديارهم فانهم
ههنا بالسكون فيها وياح لهم السؤل منها مما سؤلوا قوله تعالى وقولوا حطة اي
ارجعوا الي السبب الذي يحبط الاوزار لا قولهم خطتنا كذا فلم يكن قوله قولوا حطة

امراهم بان يقولوا اللهم حظ ما علمت ايد ينامن الخطايا ولكن هذا الامر لم يما شرة
العبادات التي هي اسباب معفرة الخطايا والعفو عنها وهو كما قال نوح لقومه
استغفروا ربكم انه كان عفوا راسلا يسئل السماء عليكم مديا لم يرد به ان يقولوا
اللهم اغفر لنا لانهم كانوا كفارا ودعاء الكافرين لا معتبر به في غفران الذنوب
لكن اراد اي يتوابع السبب الذي به يغفر الذنوب وهو التوحيد فهذا مثله
قوله تعالى فبذل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا عليهم
رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضا ذكرنا في سورة البقرة غير انه ذكر
ههنا فارسلنا عليهم رجزا من السماء وذكر في سورة البقرة فانزلنا عليهم وذكر
ههنا بما كانوا يظلمون وهما لك بما كانوا يفسقون والقصص واحدة ليعلم ان اختلاف
الالفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والاحكام ولا يغيرها يبدل علي جوار الصلاة
بالفارسية ودل علي نقل الحديث بالمعني وان الفسق والظلم من حيث المعني
واحد لان الفسق هو الخروج عن امر الله تعالى والظلم هو وضع الشيء غير
موضعه ومن خرج عن امر الله فقد وضع الشيء غير موضعه ومن وضع الشيء
غير موضعه فقد خرج عن امر الله ومحملا اما ذكر بلفظين الظلم والفسق
لان الامر من جميعا كما نالهم والله اعلم قوله تعالى واسلمهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر قال بعضهم هي ايلة وقال آخرون ارجا ولسنا ندري
ما اسم تلك القرية وليس لنا الي معرفتها حاجة والاشكال انه امر بنيان
يسال اهل الكتاب عن هذه القرية ثم بين لهم الرسول بقوله اذ بعدون في السبت
الي آخر ما ذكر والسؤال هو الاستخبار والاخبار ابدأ يكون من المسؤول
دون المستخبر فكيف يكون هذا فنقول في الجواب عن هذا من وجهين
احدهما ان الاستخبار يكون من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثاني طلب
التصديق منهم فهنا لم يحتمل ابتداء الخبر فهو علي طلب التصديق كانه قال لهم
الم يكن كذا فيقولون نعم فيصدقونه فيما يقول لهم والثاني ما قل انه لم يامر
بالسؤال حصفا ولكنه علي التمثيل كانه قال لو سألتم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر يقولون لك كذا او هو كقولك سل بني اسرائيل كم اتيناكم من آية
بينية ليس علي الامران يشا لهم ولكن معناه لو سألتم كان كذا او اجابوك كذا
فعلي ذلك هذا والله اعلم وقيل امره ان يشا لهم اما عذبه الله بذنوبهم اعني

اهل القرية ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ بعدون في السبت اي لعبودون
قوله تعالى اذ بعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سببتهم شرا
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال استدعوا السبت فقطعوا بانفسهم
فابتلوا فيه بتخديم اصطليح الحيتان فيه وامتنعوا بذلك وقال مجاهد
خر ميت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تاتيهم في السبت شرعا بلا مؤنة
وتكلف ولا تاتيهم في غيره مثله لزيادة الابتلاء عليهم وقال بعضهم ابتلاهم الله
تعالى بتخديم السمك في السبت ليبري الخلق المطيع منهم من العاصي وقال
قالون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السر ليكون فسقهم وبعد بهم
ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم
ولا تعذيب والله اعلم وذلك قوله كذا كل سلوهم بما كانوا يفسقون وقوله شرعا
قال ابو عبيدة هي التي دنت من الشط والواحد شارع وقال القتيبي شرعا
اي شوارع اذ بعدون اي يتعدون ما لحق يقال عدوت علي فلان اي ظلمت
وقيل شرعا اي شارع من غمرة الماء اي خارجات وقيل شرعا اي كبيرة
اي تكثر لهم الحيتان يوم السبت وقيل في غير ذلك قوله تعالى ويوم
لا يسببتون لا تاتيهم وقال الكيساني يفتار يسببتون بدفع اليا ومن قرار
بالرفع اراد اي لا يدخلون في السبت يقال اسبت اي دخل في السبت وارج
واحدس اي دخل في الاربعاء والخميس ومن قرار بالفتح اراد سببتوا عظموا
يقال سبتت يسبت سبنا وسبوتنا والله اعلم قوله تعالى واذ قالت امه
منهم لم تقظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والاشكال انه ذكر
في ابتداء الآيات انهم كانوا اثلث فرق فزيت عدوا وتركوا امر الله وانكروا
نهيته وظلموا انفسهم وفريق بهذا الدين اعتدوا وانكروا المحارم كقولهم ومن
قوم موبي امة يهدون بالحق وبه يعدلون وفريق لم يعتدوا ولم يرتكبوا
نهيته ولا نهوا وليك الدين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تقظون قوما الله مهلكهم
للو اعطين اياهم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم كانوا
ثلاث فرق فرق وعظمت وفرقة موعظة وفرقة ثالثه وهم الذين قالوا
لم تقظون قوما الله مهلكهم ثم قال في آخر الآيات انجينا الذين ينيهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا جعلهم فرقين فرق هي التي هلكت بالاعتداء

اهل

وفرقة هي التي نجت فكيف يكون هذا فنقول بكي هم ثلاث فرق ثم ذكر
 الفرقتين عند الهلاك والنجاة لان الفرقة الثالثة دخلت في احدي الفرقتين
 المهلكة والناجية لكن اختلف اهل التأويل قال بعضهم كانوا في الفرقة
 الذين هلكوا وجهين احدهما لم ينهوا او ليك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم
 النبي عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا او ليك منكروا شركوهم في العذاب
 وهو كقولهم لولا ينهاهم الربايون والاحبار عن قولهم الاثم واكلم السحت الآية
 والثاني ان الفرقة الناجية كانوا ينهون او ليك المعتدين عن صنيعهم هذه
 الفرقة يهوا او ليك الناهين اياهم عن النبي عن المنكر بقولهم لم تعظون قوما
 الله مهلكهم فلم ينهوا عن المنكر بانفسهم بل ينهوا الناهين لهذا والله اعلم وقال
 بعضهم لا بل كانوا في الفرقة الناجية منهم قال الحسن لان هؤلاء ايضا
 كانوا يهوا او ليك المعتدين عن الاعتداء والظلم الذي كان منهم وكان قولهم
 لم تعظون قوما الله مهلكهم بعد ما نهوهم وعظوم فلم يتعظوا فماتوا الا و ليك لم
 تعظون قوما بعد ما نهوا وعظوا وكيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينهون
 فانما قالوا ذلك بعد ما نهوا او بعد ما اتوا بما في وسعهم ولا تكليف فوق الوسع
 والله تعالى لا يواخذ المؤمن باليس في وسعه وقال بعضهم ان هذا القول
 منهم يبي وزجر وتوجب لانهم اتوا ابو عبيد شديد بقولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم ففس
 هذا القول منهم يبي وزجر لما اخبر واعما هو النهاية من الوعيد وهو الهلاك
 في الدنيا والعذاب الشديد فيما ياتون من الصنيع ولكن لا حاجة لنا الى معرفة
 حقيقته ذلك انهم كانوا في الهلكي او في الناجين ولم يتعلق بذلك عمل ولا اعتقاد
 سوى ما بين ان من نجي منهم انما نجي بالنهي عن الظلم والعدوان ومن اهلك
 وعذب انما عذب بسبب الظلم والعدوان بقوله الجينا الذين ينهون عن
 السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ولو كان لنا الي ذلك
 حاجة لكان يبين لنا ولم يترك ذلك الي رايانا والله اعلم قوله تعالى قالوا
 معذرة الي ربكم فزارهم معة بالرفع والنصب فمن فزار بالرفع اصغر منه كلمة هذه
 كانوا قالوا هذه معذرة الي ربكم وهو كقولهم سورة انزلناها فاني ل هذه سورة
 انزلناها ومن فزار بالنصب معذرة الي اعتذارا منهم الي ربهم علي انه مفعول
 القول قوله تعالى ولعلم يتقون اي عما نهوا قوله تعالى فلما نسوا

بما ذكر وابه اي تزكوا واعرضوا عما ذكر وابه الجينا الذين ينهون عن السوء
 واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فزار بعضهم بئيس بكسر
 الباء وبغير همز وبعضهم بفتح الباء وبكسر الهمزة بئيس علي وزن فاعيل
 وبعضهم بكسر الباء وتشكين الهمزة علي وزن فاعيل وبعضهم بفتح الباء وتشكين
 الباء وهمزة مفتوحة علي وزن فاعيل وبعضهم بيس علي وزن فاعل وكلها لغات
 ومعناه الشديدي كذلك قاله العتبي وابوعوسجة يقال بيس بياسا
 اذا افتقد ويوس بياسا اذا اشتد وقال بعضهم اي موجه وقال
 الحسن بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون من قولهم بئيس الشيء يقتضيه نعم
 الشيء قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة اي استكبروا
 يقال عطي يعطوا عتوا وكان العتو هو النهاية في الدس ولذلك قيل عز
 قوله من الكبر عتيا يا بسا ذكر عتوه اليه بلس قلوبهم لذلك سمي مرة
 قساوة ومرة استكبارا ومرة عتوا وهو واحد قوله تعالى قلنا لهم
 كونوا فرقة خاسئين اختلف في كيفية قولهم فردة قال بعضهم حول صورهم
 وجسد هم صورة الفردة وكانت عقولهم علي حالها عقول البشر لم تحول
 ليعلموا تعذيب الله اياهم وما اصابهم بهتك حرم الله وقال بعضهم حول طباعهم
 طباع الفردة فاما الصورة والجسد علي حاله وقوله خاسئين قال بعضهم
 اي قاصين مبعدين هو من خسا الكلب خسار فهو خاسي ويقال خسات
 فلا ناوا خساته فحسائه اي بعدته فبعد وكذا في قوله اخسوا فيها اي اعدوا
 فيها وارجعوا وقيل الخاسي الذليل قوله تعالى واذا تاذن ربك
 ليعثن عليهم الي يوم القيمة من ليسومهم سوء العذاب مثل تاذن ربك اي قال
 ربك ليعثن وقيل امر ربك وقال ابو عوسجة واذا تاذن ربك من
 الاذان اي اعلم ربك ثم اختلف اهل التأويل في نزول الآية قال بعضهم
 نزلت بكلمة في شان اصحاب رسول الله لان الكفار كانوا يبعثون من ارا
 الاسلام واتباع محمد فادعاهم الله بقوله ليعثن عليهم الي يوم القيمة اي ليعثن
 علي جنس هؤلاء الي يوم القيمة من يقاتلهم وياخذ منهم الجزية جزاء
 بما كانوا يفسقون الناس عن اتباع محمد والاجابة له فيما يدعوا اليه وقال
 بعضهم هو في بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الي قوله

عسى ربكم ان يرحمكم وان عدمتم عدنا اخبر انهم ان عادوا وعدنا ولم يبين بماذا
ثم بين في هذه الآية بقوله لبعثن عليهم الي يوم القيمة من يسومهم سوء
العذاب وقال قائلون الآية نزلت في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله
انجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابو بكر الا هم هذا التاويل لا يعم
لان من آمن من هؤلاء لم يمتد ذلك وكذلك من صار منهم فترة لم يمتد لان
يعد بوابعد ما صار واقروا ذاهو والله اعلم علي الوجهين الذين ذكرناهما
والله اعلم قوله تعالى ان ربك لتسريع العقاب والله لغفور
رحيم يمتد لسريع العقاب اي ياخذهم في حال امنهم ليس كما ياخذ ملوك
الارض قوتهم بعد ما ساعد منهم اليهم بخوف فعند ذلك ياخذهم بالعذاب
ولم يمتد لسريع العقاب اي عن سريع ياخذهم عقابه وقيل سريع العقاب
لمن كفر وكذب غفور رحيم لمن آمن وصدق الله ورسوله قوله تعالى
وقطعناهم في الارض امما يمتد فوقناهم في وقت ما كانوا مجموعين ثم يمتد الجمع
وجوها احد ها اي كانوا مجموعين في الدين ثم يمتد قوافصا بعضهم كفارا
وبعضهم مؤمنين والثاني يمتد انهم كانوا مجموعين في المكان والمعايش ثم يمتد قوافصا
فصاروا متفرقين ويحتدل انهم كانوا في الدين واحدا ثم يمتد قوافصا رواه الطحاوي
اهو آي يمتد قوله وقطعناهم في الارض امما اي امة بعد امة وجماعة بعد
جماعة خلفا بعضهم لبعض على ما ذكرني آية اخرى خلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلاة الآية قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان قوله
وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فتكون تاويله منهم الصالحون المؤمنون
ومنهم دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك بمعنى غير ذلك كقوله
يعبدون من دون الله اي عبيد الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض
في المعاش وسبق المعاش على بعض وضيق على بعض ويحتدل ان يكون بعضهم
دون بعض في الصلاح في الدين والمذهب نحو المطيع على الاطلاق مع المطيع
الذي يباشر بعض المعاصي والله اعلم قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلمهم يرجعون اي ابتلى بعضهم بالحصب والسعة وبعضهم بالضيق
والشدرة ليدكرهم الموعد من الثواب والموعد من العقاب ليترغيبهم الموعد
من الثواب الي الحسنات ويترغيبهم الموعد من العقاب عن السيئات وذلك

قوله لعلمهم يرجعون ثم قوله لعلمهم يرجعون يمتد وجوها احد ها بلوناهم
بالنعم والحصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا اليه بالشكر
والثنا وبالسيئات اي بالبلايا في انفسهم والمصائب والصيق ليعرفوا قدرة الله
وسلطانه فيرجعوا اليه بالندم والوعار والتوبة والتضرع والثاني معناه
اي بلوناهم بالحسنات والسيئات ليتقرر عندهم ان عيبا هو املاكم بهم من انفسهم
واقدر عليهم منهم فيرجعوا اليه بتسليم النفس لامره وحكمه والثالث بلوناهم
بالحسنات والسيئات المؤمنين منهم والكافرين حتى اذا راوا الاستواء في الحكمة
التفريق بينهم فيضطر الجميع الي الايمان بالبعث اذ حذر وجههم من الدنيا
علي سواء والرابع انه انما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا الذلة الموعود في الآخرة
وكذلك الشدة والمحنة والعقوبة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعدوا للرجوع
الي الموعد لهم في الآخرة والله اعلم قوله تعالى خلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب قال قائلون هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
فالصالحون هم الذين آمنوا بالله وحفظوا حدوده وحلاله وحرامه خلف
من بعدهم خلف اي من بعد الصالحين خلف وهم الذين لم يحفظوا حدوده
ومحارمه وقال قائلون هو صلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل كانه
اخبر انه خلف من بعدهم خلف يعني خلف الرسل والانبياء خلف سواهم ورثوا
الكتاب وهو كما ذكرني سورة مريم خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
وابتغوا الشهوات وانما ذكر هذا بعد ذكر الرسل والانبياء عليهم السلام والله اعلم
وقال القتيبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من
القول قوله تعالى ياخذون عرض هذا الا دين ان اهل الكتاب
كانوا ياخذون الدنيا على احد وجوه ثلاثة منهم من كان ياخذ مستحلالا
ومنها من كان ياخذها بالتبديل والتخريف اعني تخريف الكتاب ومنهم من كان
تناول على ما تناول اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا لا يمتد الا لاخذ
بالاستحلال او بالتبديل والاخذ بالاستحلال ههنا اقرب لانهم كانوا ياخذون
عرض هذا الا دين مستحلين له ويقولون سيغفر لنا هذا يمتد وجوها يمتد
ما قالوا نحن ابنا الله واحبناؤه فيستحلون اموال الناس ياخذونها ويقولون
سيغفر لنا لا نأمن ابنا الله واحبناؤه والثاني يمتد انهم قالوا سيغفر لنا

مع علم انه لا يغفر لهم لما في كتابهم ان لا يغفر لهم اذا تناووا مستحقين ويحتمل انهم
اذا عوتبوا علي ما فعلوا من احدى عرض الدنيا قالوا سيغفر لنا وقال بعضهم
ياخذونه جلا لا كان او حراما وان ياتهم عرض مثله ياخذونه قوله تعالى
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا عليم الا الحق لمحتمل قوله الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب انهم كانوا اذا استحلوا ذلك اصابوا ذلك الي الله فقالوا
الله امرنا ان تاخذ ذلك فنزل الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا
علي الله الا الحق اي لا يضيفون الي الله ما استحلوا ويقولون انه امرنا بذلك
ويحتمل ان يقال الم يؤخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابنا الله واجباؤه وقال
بعضهم قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الآية فيما يوجبون علي الله من مغفرة
ذنوبهم التي لا يزالون يعودون اليها ولا يتوبون عنها قوله تعالى
ودرسوا ما فيه اي قدروا ما فيه وعلوا ما فيه قوله تعالى والدار الآخرة
خير للذين يفتنون افلا يعقلون اي فلا يعملون ما ينكابهم ان ترك مخالفة الله
خير في الآخرة ثم اخبر عن المؤمنين فقال والذين يسكنون بالكتاب بما فيه
من الحلال والحرام واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين قوله تعالى
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة تتل اي رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم
الطور وقيل نتق قطع وقال بعضهم هذا حرف اخذ من كتبهم ولا نذكر كيف
وقيل حركنا وهو قول العتبي وقال ابو عبيد كل شيء قلعت من موضعه
فدميت به ذكر هذا والله اعلم ليصبر رسول الله علي سفة قومه لان قوم
موسي مع كثرة ما عاينوا من الايات التي جرت علي يد موسي وعظيم ما
كان لهم من موسي من النعيم من استنقاذه اياهم من استرقاق فيكون
واخر اجه ايامهم من يده وفزت البحر لهم ومجاورته بهم البحر وتنجيهم من النار
من المجرة وانزال المني والسلوي لهم فجميع ما ذكرنا ونحو ذلك لهم من الله بسبب
موسي ومع ذلك لم يقبلوا التوراة ولم يقروا به الا بعد رفع الجبل عليهم والارسل
فعند ذلك قبلوا يصبر رسول الله ليلا ليصبر علي مخالفة قومه اياه وكثرة سفهمهم
م قوله واذا نتقنا الجبل فوقهم لمحتمل وجهين احدهما انهم عاينوا ذلك حين امنوا
به وقبلوا الكتاب فيكون ذلك منهم ايمان دفع العذاب وذلك يكون عن قهر
وجبر ولا يكون في حال القهر ايمان والثاني صبر ذلك آية عظيمة وحجة

واحدة معجزة فقبلوها وحققوا الايمان به ثم تركوا ذلك يدون عليه ما ذكر
سورة البقرة ثم قوليت من بعد ذلك قوله تعالى وظنوا انه واقع بهم
اي ايقنوا انهم لم يقبلوا واقع بهم قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة
لمحتمل وجهين احدهما خذوا اي قبلوا ما فيه والثاني اي اعملوا بما فيه
قوله تعالى واذا ذكرنا ما فيه قتل اعملوا بما فيه من الحرام والحلال
لعلمكم تتقون من العقوبة والله اعلم قوله تعالى واذا خذ ربك من
بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال الشيخ رحمه الله اختلف في
تاويله قال بعضهم ان الله تعالى انما قال الست بربكم عند ما خلق آدم
اخرج من ان يكون من ذريته الي يوم القيمة مثل الذي فرض عليهم قوله
الست بربكم قالوا بلى لكن هو لا اختلفوا فيما بينهم فمنهم من قال بانه جعلهم
بالمبلغ الذي تجري علي مثلهم القلم بان جعل فيهم الحيوة والعقل والتميز وهو
قوله الحسن ومنهم من قال عرض ذلك علي الارواح دون الابدان
وقال بعضهم بانه خلقهم صنفين فقال هؤلاء للجنة ولأبالي وهؤلاء للنار ولا
أبالي وما عرض عليهم قوله الست بربكم وقال بعضهم عرض علي الكل التوحيد
فقال الست بربكم واعلم ما عليه احوالهم وارجاهم في الدنيا من الفقر
والعنا والاحل ونحو ذلك والله اعلم كيف كانت القصة او كيف يري احوال
الفقر والغني في الذر او كيف قال هؤلاء في كذا ولأبالي مع اجتماع الكل علي
القول بلى لما عرض عليهم في قوله الست بربكم وقد راينا في تلك الاخبار
التي فيها حديث الذر ما كان حفظ عن نفسه وخاصة حفظ العوام واهل الضعف
عن تبليغها الزم واعظم في النفع والبعد عن الشبهة من روايتها وتكليف الكشف عنها
فندال الله تعالى العصمة عما به الهلاك والتوفيق للنصح بما به نجاح كل سامع ودفع
كل شبهة وحيدة فانه لا قوة الا بالله به ومنهم من ذهب في تاويل الآية الي المعروف
من امر ذرية آدم والاختذ عن اصلاب الآباء والانشاء في الارحام علي ما كان
ويكون الي يوم القيمة علي ما قال الله تعالى فلينظر الانسان ثم خلق خلق من ماء
دافق يخرج من بين الصلب والرسايب وقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية وقال ولقد خلقنا الانسان
من سلاله الآية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا وغير ذلك

١٤٧
بما احتج الله تعالى به من اول ما جري به تدبير البشر الى آخذ ما ينتهي امره بما يجز
عن تقديره وسع الخلق ولست أدري عن عقولهم كيفية بدء ذلك وما عليه تنقله
من جبال الى جبال في كل طرفه عين ولحظة بصر مع ما فيه من عجيب التدبير
وحسن التوفيق الذي لو تكلف الخلق لتقو به مثله بكل انواع الخيل من الاصول
الظاهرة بحيث بصره كل بصر لكان يجز عنه فكيف في الظلمات الثلاث معا
ركبت فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل في كل ما انشأه منه وما لا
يلغى الا وهام فضلا من الاجاطة بما في ذلك من الحكمة ولذلك قال الله تعالى
وفي انفسكم افلا تتصرون فكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية واشهاد انفسهم
عليهم تعالى من دبرهم على ذلك وانشأهم على ما فيه من ان يكون له كفوا وشريك
او مقدر آخر قدره فذلك هو معنى اسماهم على انفسهم اي جعلهم على انفسهم
سهودا ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شيء مما
في جعل ذلك ذرية يعرف كل ما يري من عجزه عن تدبير ولده وجهله باحواله
في حال كونه في رحم ابيه بيان على انه لا كان بابا به وامتاته علم ولكن برب
العالمين وذلك هو المعنى الذي يعبر عن القول بالعملة عن ذلك اذ علم كل منهم
لا حالة كقولهم في الوقت الذي لا يذكره احد وذلك قوله ان يقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والذي يبين ان هذا التأويل احق من
الاول ما دل عليه سياقات الآية من ذلك قوله واذا اخذ ربك من بني آدم
واقفا ويل من ذكرت على الاخذ من آدم وهو خلاف ظاهر الآية والثاني
قوله من ظهورهم وعلى ما قالوا يكون من ظهور آدم وهو خلاف الظاهر ايضا والثالث
قوله ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وناويله اي اشهدهم
على انفسهم الست برئكم حتى لا يقولوا يوم القيمة كذا فكيف اخذهم عن القول
بذلك وقد علم انهم كذا ليس احد منهم يتذكر انه خرج كذا وقال كذا
الست برئكم ولا هذا مما يتقذر عنده وان نبه بكل انواع التنبيه والذراع
قوله او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكما ذرية من بعدهم الا لا تقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكما ذرية من بعدهم وفيه وجهان احدهما
ليس في ذلك العذر ما يمنع عن هذا القول اذا لم يكن عندهم علم بذلك
ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم قالوا كذا ذرية من بعدهم وقد اشرك آباؤنا

١٤٨
من قبل ولم يدع عليهم انكم كنتم ذرية من قبل ان اشرك آباؤكم فانكم كنتم
ذرية بعد وجود آدم دل ان التأويل الثاني احق والخامس انهم قالوا انه
جعل الذر قسمين فقال هؤلاء في النار ولا آباي وهو لا في الجنة ولا آباي
وفي القرآن الجمع بينهم جميعا في القول بيلي حيث قال الست برئكم قالوا
بيلي ليس فيه انه افتد البعض دون البعض وذلك عند توحيدهم فكيف
قال هؤلاء في النار ولا آباي والسادس في القرآن ربنا امتنا اثنتان
واحيدتنا اثنتين وقال في موضع آخر وكنتم امواتا فاخياكم ثم لميتكم ثم يحْيِكم
ذكر الموت والحياة مرتين وعلى ما قال هؤلاء يكون اثبات الحياة والموت
الكثر من العدد الذي جاء به القرآن في الكل فدل ان هذا القول يودي
الى خلاف القرآن من هذه الوجوه واما التأويل الثاني فانه يمكن
العمل به من غير خلاف ظاهر القرآن واما اول الآية فظاهر لان فيها
ذكر الاخذ من بني آدم وذكر الاخذ من ظهورهم وهو تحقيق القول
الثاني فان المأخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق
الذي يخرج من بين الصلب والترائب واما قوله واشهدهم على انفسهم
الست برئكم قالوا بيلي يتوجه الى اوجه احدها واشهدهم على انفسهم اي علمهم
ما منه انشأهم وقلهم من حال الى حال ان تمت النسيه وظهرت البشرية
على ما علم كل في ذريته خروج بدية من تدبير والديه وقيامه على ما عليه مداره
وقراره بتدبيره من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر ليقولوا ان الذي يتر هذا
هو ربهم الذي رباهم على ذلك ليس كمثله شيء وكان ذلك اعلاما من الله تعالى
اياهم على انفسهم وشهادة منها بالخلق انه ربهم الذي رباهم ومملكتهم على ما جري
فيهم من تدبير الله تعالى وليلا يقولوا عذرا انا كنا عن هذا غافلين اذ قد عرف
ذاكل ذي عقل وعرف انه كان بالله سبحانه وتعالى لا بوالده ليجعلوا شرك
الآباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثاني ان يكون
الله تعالى اشهدهم على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم في الانتقال على
احوال على ان انفسهم كذا كانت دخل كل من لحوهم في ذلك التدبير
ليعلموا ان الذي دبرهم على ذلك دبر الكل فيزول عنهم شبهة الكون بغير الرب
الذي ليس كمثله شيء فيزول عنهم به عدواله وعلاقته الشبهة بكفر الوالد بن

من حيث حق التبعية اوسعه التقليد بما يعلم خروج الجميع من التدبير ورجوع
التدبير الي غير ليكون موضع الاستدلال بما اراهم هو ودعاهم اليه لا بما
امرهم به الا باء والامهات ثم القول بلى كما اخبر عنهم قالوا بلى يكون نطقاً
وتكون خلقته وتكون جواب الفطرة لحق التامل فالنطق انه لا يسان
احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والمخالف وعلي ذلك قوله ولين
سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما الخلقة بما كان حاجته
الي مقيم والي مدبر علي شوك كل في ذلك اقتدار له بالربوبية وذلك معنى نفي
النفاد عن خلقة وفطرته بما يقبله علي احوال لو تامل الخلاقين ادراك كل
حال منها ووجه التقل وقد رالفير في كل حال لما تهيأ لهم ليعلم ان في الفطرة
سهادة التوحيد وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال كل مولود
يولد علي الفطرة اي علي حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد
وذلك معنى قوله قالوا بلى لا ان ثم قول لسان بل نطق حال كما قال الحكيم
كل صامت ناطق لان صمته دليل تدبير آخر فهو ناطق بالبيان عن الواحد
العزير ولا قوة الا بالله وقد احتمل الا يشهد ان جعلهم شهداء علي انفسهم بالعبودية
لله وانه ربهم والمالك عليهم والقول بلى بما يلزم ذلك القول بالتامل فكانه
قال والله اعلم وفي الآية دلالة خلق الله تعالى فعل الخلق لما بهم الدفق وقد
اخبار الله تعالى انه اخذ ذلك والله اعلم فان قيل علي ما ذكرنا من تاويل السلف
فيلعلهم وجد وامينه خبراً ظنوا ان الآية محتج عليه فاق لوهائي ذلك
فاذا اريد لتوبة ذلك بالآية لا بد من زيادات تلحق بها او تخرج عنها والا
لاحتج من ذلك ان نقول واذا اخذ ربك من بني آدم ان جعل حرف من
صلة ن آية كانه قال واذا اخذ ربك من بني آدم وقد يكون مثله في الكلام كقوله
وتكفر عنكم من سياتكم اي تكفر عنكم سياتكم ويؤخذ بنوا آدم من ظهر آدم
كما يؤخذ ابن كل احد من ظهره اي اصل ابن كل من ظهره وذكر وقال من ظهورهم
لما كان مدسواً اليهم وان كان لو طرح حرف الصلة يزول الشبه فيحفظ في
ذكرهم حق الوصل وان كان حقه الاسقاط كقوله وكاين من فريضة عنت عن
امر ربها وغير ذلك مما كني من اهل القرية باسمها وعلي ذلك اخري ذلك الفعل
وان لم يكن بها في الحقيقة فعلي ذلك هذا فيصير في التحصيل كانه قال واذا
فعل

أخذ ربك من بني آدم من ظهره ثم يكون المأخوذ الذي عرض عليه مجعولة علي
حد لعقل الخطاب ومعنى قوله الست بربكم قالوا بلى هذا ظاهر واما
الخبر الذي فيه القسمة هو لا في الجنة ولا ابالي وهو لا في النار ولا ابالي
كانه ورد لا في هذه الحارة لكن واصل بأخر حديث الذي فيظن انه ورد
فيه ولين كان في حديث الذي فيحتمل ان يكون في الآية ذكر اجابه احد
المؤيدين وقوله قالوا بلى اريد به البعض الذي قال منهم هؤلاء في الجنة ولا
ابالي ولحتمل انه كان بين الجميع اتفاق في هذا الخبر وقالوا باجمعهم بل جواباً
لقوله الست بربكم لكن وقع الاختلاف بينهم فيما حاور اصل الافتراض بالالوهية
والربوبية فالقسمة لما عدا الافتراض بالربوبية وصاروا في الاختلاف
بينهم في اشياء احد وقد توحد في هذا القدر اتفاق بين عامة اهل الكفر
واهل الاسلام وان كان بينهم اختلاف فيما وراه وعت سمة الكفر لما انكروا
دون ما اقروا به فعلي ذلك هذا ثم قوله ان نقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين علي اصناف بعض الرسل واتزال الكتب بالاختلاف عن ذلك ليلا
يدعوا الغفلة بما كانت منهم عن ذلك لما او قظوا ونسوهوا او كيدا لاختجوا بما اعترضهم
من الغفلة اذ قطع عذرهم بغير ذلك من الادلة والرسل والله اعلم
قوله تعالى ان نقولوا انما اشرك آباءنا من قبل اي لا نقولوا اي بعث
الرسل فانزل الكتب لقطع هذا النوع من الشبه علي الوجهين اللذين ذكرتهما
بقوله ولوانا اهلكنهم بعذاب من قبله الآية وقوله ولولا ان نصيبهم
مصيبه وقوله وما كنا متعديين حتى نبعث رسولا فنكون في التأويل الاول
ظهروا امر الذرية للاولاد في الخبر وج عن تدبير الالباء والامهات يقطع الحجاج
بهذين الحرفين وفي الثاني نزول الكتب وارسال الرسل مع ما أمكن جعل
هذا في التأويلين جميعاً والله اعلم قوله تعالى افتهلكننا بما فعل المبطلون
لخروج علي وجوه احدها ان ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الامانة
كقوله ان امره هلك اي لك ان متيننا اذ فعل السفهاء بما فعلوا وان لا تغدبهم
وتتركهم لما يرضي منهم من التوبة او لحدث منهم من لم يسفه والاضافة الي الجملة
في قوله افتهلكننا لاحتتمل وجهين احدهما اي ارادة السفهاء منهم لا طلاق اسم الكل
علي البعض والثاني ان المراد هو الكل اذ الموت حق مكتوب علي جميع البشر

لا على التعذيب لكن على المحنة والابتلاء والله اعلم ولحتم على نبي التعذيب اي لا
تفعل انت كذا كذا يقول الرجل انا افعل هذا او انت تفعل هذا علي
التبري والتغذية ولحتم ان يكون على الاجاب والاثبات لجمعهم في ذلك
وان كان الذي استحق بعضهم بحق المحنة اذ له ذلك ابتداءً وذلك نحو امر احد
بما ابتلاه وان لم يكن منهم جميعاً المعصية وعلى ذلك امر جميع انواع المصائب لجمع
فيها بين اهل الخير والشر لحق المحنة لا العقوبة وان كان ذلك في بعضهم عقوبة
والله اعلم قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات على وجهين احدهما على البيان
ان يبين ما يكسف الغم ويزيل الشبهة والثاني ان يعرفها ويضع كل واحد
منها في احق مواضعه واولي ذلك لقطع العذر ودفع العيب قوله تعالى
ولعلم يرجعون ان تاملوا عما عليه من الباطل والله اعلم قوله تعالى واتل
عليهم بنا الذي اصابهم اياتنا فانسلخ منها اختلف اهل التاويل في الذي امر
النبي بتلاوه بانه عليهم قال بعضهم كان هو نبياً من الانبياء فانسلخ منها يعني
الموه وكفر بهما لكن هذا بعيد محال ان جعل الله تعالى الرسالة فيمن يعلم
انه يكفر بها ولحقاره لوجه وهو يعلم انه ليس باهل لها قال الله تعالى الله
اعلم حيث جعل رسالته وقال بعضهم كان هذا بلع بن باعورا اعطاه الله تعالى
آيات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطي بلع الاسم المخرون وكان يستجاب
له به جميع ما يسأل ربه وقال بعضهم كان هو امية بن ابي الصلت على ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه في نسف شعره وكان شاعراً
وقال بعضهم نزلت الآية في منافق اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله تعالى آيات
فكفروا بها وكذبوها ولكن لا ندري فيمن نزلت الآية وهي تصلح لجميع مكذبي
الآيات فلا يجب ان ينقض على واحد او يسار الي واحد انها نزلت فيه
ولكن نقول انها نزلت في جميع مكذبي الآيات والله اعلم ثم قوله فانسلخ منها
اي خرج منها وقيل نزع منها وقيل نزلها وكله في المعنى واحد ثم قوله
فانسلخ منها لحتم وجهين احدهما انه كان قبلها مرة ثم ردها من بعد القول
والثاني ان لم يقبلها في الابتداء وكذبها لكنه سمي انسلخا وخر وجا والله اعلم
قوله تعالى فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله
تعالى لا يتبع الشيطان احداً ولا ينفعه الا بعد ان كان منه الاختيار

للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان انا ابتغ الشيطان
بعد ما كان منه الانسلاخ والنزوع وقوله فكان من الغاوين قيل
كان في علم الله ان يكون في ذلك الوقت من الغاوين وقيل فكان من الغاوين
اي صار من الغاوين اذا انسلخ منها وخرج والغاوي الضال قوله تعالى
ولو شئنا لرفعناه بها لعل قوله لرفعناه بها اي عصمناه حتى لا ينسلخ منها
ولا يكذب بها ثم معنا عصمناه حتى يعمل بها وان يقال ولو شئنا لعصمناه
حتى لا يختار ما اختار لكنه اذ علم منه انه يختار ذلك وميل اليه شأراً ان
لا يعصمه ولا يوفقه وكيف ما كان فالاية حجة على المعتزلة لانه اخبر
انه لو شاء لرفع بهما فكان له مسيئة الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولورفعه بها
كان اصلح له في الدين ذلك انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح في الدين وهم يقولون
ان المسئلة ههنا مسئلة العسر والقهر لا مسئلة الاختيار وقد ذكرنا ابطال
ذلك فيما تقدم غير مرة والله الموفق قوله تعالى ولكنه اخلا الى الارض
هو ما ذكرنا انه لما علم منه انه اخلا الى الارض ولميل اليها لم يعصمه ولم يوفقه ولم
يرفعه والاخلاد في الارض قال الحسن اي سكن الى الارض وكذلك قال
الكيساني ان الاخلا في كلام العرب السكون الي الشيء والركون اليه
وقال ابو عبيد هو اللزوم للشيء ثم في قوله ولكنه اخلا الى الارض
وابتغ هواه دلالة على ان الان اغة من الله تعالى وترك العصمة له لما يكون
من العبد الميل والركون الي مخالفة الله وترك الايتار له وابتاع الهوا
وقال قتادة اي لو شئنا لرفعناه من اياته الهدي فلم يكن للشيطان عليه
سبيل ولكن سبيل من يشاء من عباده ثم قوله اخلا الى الارض لحتم ان
يكون ذكر الارض كناية عن الدنيا لقوله وغتتهم الحياة الدنيا ولحتم ان يكون
كناية عن الذل والهوان لان كل جنس وبركة انما يطلب من السماء فهم اذا اختاروا
الارض فقد اختاروا الذل والهوان قوله تعالى وابتغ هو به فثله كذلك
كمثل الكلب الآية قال الحسن حال الشيطان بينه وبين ان يعصب الهدي
بما شاء ورتين له وابتغ هو به فثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر اميت
فواده كما اميت فواده الكلب وقال في قوله يمار مثلاً القوم الذين كذبوا
بآتنا صدق والله لبيس امثل قوله تعالى فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

فقال تذكر واوتفكر واوتدبر واني الامثال التي ضربها واعقلوها الي هذا
ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب الذي كذب بالايات بالكلب هو
ان الكلب من عادته انه يذلل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه ادي شي
ولا يبالي ما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد ان ينال منه شيًا فعلي
ذلك الكافر المكذب بالايات لا يبالي ما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب
من الدنيا شيئًا ولسبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب لما ان من عادة
الكلاب انها اذا ظفرت بالحيف تنكب حتى انه وان كان ينادي لها وتدعي بكثر
اليه ولا تلتفت فعلي ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة ويخضع ولا يلتفت الي ما
يؤدي ودعي اليه وقال قتادة هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما ميت فؤاد الكلب
قوله تعالى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يخرج لسانه ويتنفس تنفسًا
مشديدًا تحمل عليه او تتركه ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه الجوع والعطش
لهث واذا لم يصبه لهث ايضا فعلي ذلك الكافر يميل الي ذلك ويختاره اصابعه
شدة اولى بغيره او كلام نحوه قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
ضرب الله مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالثواب
ومرة بالانعام ونحوها وذلك لما فيه من معاني ما ذكر قوله تعالى فاقصص
القصص لعلمهم يتفكرون هو قوله وانزل عليهم نبار الذي آتيناه اياتنا امر
رسوله ليقتل انبا الامم السالفة على هؤلاء ليكون زجرا وتذكيرا للذين
انما حل باؤليك كان بصنيعهم ليجزوا عن مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكيرا
للمؤمنين كقوله وموعظة للمؤمنين ولو كان ذلك للكافر لاهتدي لما اهتدي
المؤمن ولو كان بيا نال كان ذلك البيان من الرسل وغيرهم علي قولهم قوله تعالى
سأرمي القوم الذين كذبوا باياتنا فانفسهم كانوا يظلمون اي ساء مثل الافعال
التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القدر آن وقد ذكرنا في غير موضع تاويل
آيات الله تعالى قوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فاولئك
هم الخاسرون شهد الله عز وجل ان من هداه فهو المهتدي اي من هداه الله
في الدنيا فهو المهتدي في الآخرة ومن يضلل الله في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة
ولو كان المهدي من الله هو البيان والامر والنهي علي ما ذكره القوم لكان الكافر
والمؤمن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر علي ما كان للمؤمن

فلم يستد

فلم يستد فذلك انه من الله تعالى في ذلك زيادة معني للمؤمن لم يكن ذلك منه
للكافر وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدي كما اهتدي
المؤمن وكذلك لو كان بيا نال كان ذلك البيان من الرسل وغيرهم من الخلق
والعلماء فبطل قولهم وكذلك قوله ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون اخبر
ان من اضله خسرو ذلك انه كان منه زيادة معني وهي الخذلان والنزك اي
خلق فعل الضلال منه وليس علي ما تقول المعتزلة انه قد هداهم جميعا ولكن
لم يستد وافنقال لهم انتم اعلم ام الله كما قال تعالى لليهود قل انتم اعلم ام الله
الاية فظاهر الاية علي خلاف ما يقولون ويذهبون والله الموفق
قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال المعتزلة
لم خلقهم لجهنم ولكن خلقهم وذراهم للجنة واعطاهم من القوة ما يكتسبون للجنة
غير انهم باختيارهم استوعبوا اعمالا استوجبوا بها النار فصاروا باعمالهم
لنار لا ان خلقهم لجهنم ثم اختلفوا في تاويل قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس قال بعضهم انما ذكر هذا لما يؤول اليه عاقبة امرهم وهذه اللام
تستقي لام العاقبة وهو كقوله فالنقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وهم لم يلقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن ليكون لهم ما ذكر حبرا عنهم عسي ان
ينفعنا او يعذروا لهذا المقطوع لكن صار لهم عدوا وحزنا في عاقبة الامر
اخبر عما اليه آل امره فعلي ذلك هذا وكما يقال في المسائل السائل لو را
لموت وابنوا الخراب ولا احد يلد للموت وسبي للخراب ولكن ابنار عما يؤول
اليه عاقبة الامر من الموت والخراب كذلك هذا الي هذا التاويل يذهب عامة
المعتزلة وقالت ابو بكر الامم الاية علي التقديم والتأخير كانه قال ولقد ذرانا
كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون لها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها واولئك لجهنم واولئك كالانعام ولكن هذا التاويل بعيد
لانه لو كان هذا في هذا الجنان مثله جميع القدر آن ان جعل اول الاية في آخرها
واخر الاية في اولها وهو يؤذي الي القول باخراج القدر آن من ان يكون
حجة وانما يجوز التقديم والتأخير في موضع لا يمكن العمل بظاهر النظم قانما مع
الامكان فلا والله الموفق واما تاويل عامة المعتزلة انه اختار عما اليه يؤل عاقبة
امرهم واستسهادهم بقوله فالنقطه آل فرعون الاية فهو انما يستقيم من جعل

عواقب الامور يخرج ذلك منه على التبيين والاحتياط لما يعرفوا عاقبة ما به
صار الامر اليهم كالتقاط آل فرعون لموسى لما ذكر عنهم من العرض الظاهر
لما يعرفوا عاقبة الامر فاما الله تعالى عالم السر والعلانية وما كان ويكون
في الادوات التي تكون لاحتمل ذلك وقول الناس لدوا اللوت وابنوا الخراب
انما يذكر ون عند العنبيه والاحتياط لجهنم بعواقب الامور وان كانوا لا يلدون
ولا ينون للوت والجواب ولا تقصدون واما التاويل عندنا على ما ذكر في ظاهر
الآية انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم في الازل انهم يختارون فعل
الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار فخلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في
الازل فكون ما علم على ما علم وكذا خلق المومنين للجنة لما علم في الازل انهم
يختارون فعل الهدي ويعملون الاعمال الطيبة يستوجبون بها الجنة لا ان خلقهم
للجنة مرسلا او خلقهم للنار مطلقا بل خلق البعض للنار والبعض للجنة والله الموفق
فان قيل اليس ان الله تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اخبر
انه خلق الكل للعبادة قد يوجد العباد من البعض دون البعض فخلاقتهم ههنا
كذلك ان الكل خلق للجنة وان لم يوجد من الكل فعل يستوجب به الجنة قيل لا
فرق بين الامر بين فان الله تعالى انما خلق منهم للعبادة من علم انه لعبده ولطيفه
واما من علم انه تكفر به ولعصيه فاما خلقه لما علم انه يكون منه فن كان علم منه
في الازل انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل
الكفر فخلقته على خلاف ذلك لانه لا فرق بينهما وعلى هذا ينصرف الآية وهو قول
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والي الفريق الذي علم منهم العباد ولا لكل
وكم من عام يتراد به الخصوص الاتري ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا تحت
هذا النص فكذلك الفريق الذين علم منهم الكفر والمعصية لم يدخلوا تحت الدليل
عليه قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم الذين خلقتم لغير
الايان والعبادة فهذه الآية في فريقين وهذه في فريق آخر ليكون جمعا بين الفريقين
بقدر الامكان واحتمل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا لآ
كلهم العباد وامرهم بها وعلى هذا التاويل يكون الآية على العموم دون الخصوص
فان التكليف شمل المومن والكافر جميعا والله اعلم واحتمل وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ما خلقت الجن والانس الا ليشهد خلقهم على وحدانية الله

والوحيته والله اعلم قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها قيل الفقه هو معرفة
الشيء بمعناه الدال على نظيره وقيل معرفة الشيء بمعناه الدال على مدبره
ومناقبه وكل واحد من هذين الحدين غير مطرد فالاول لا يطرد
في معرفة الله فانه قال الدال على نظيره والله تعالى ليس نظير العالم
لكنه يستقيم في الاحكام والثاني يستقيم في معرفة الله لا في حق غيره والحد
المطرد ان يقال الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على غير اخبر ان هؤلاء
الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الي الاشياء بمعانيها وحقايقها انما نظروا اليها
بظواهرها وكذا قاله قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الي ظواهرها
ولم ينظروا الي معانيها وحقايقها فند لهم على تدبير منشيئها وحكمته وكذا قال
قوله ولهم آذان لا يسمعون بها وقوله او ليك كالا نعام لما كانت للانعام
قلوب واعين واذ ان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا يسمعون
الذرار ويصرون ظواهر الاشياء فعلى ذلك هؤلاء الكفار وان كانوا
يستمعون النداء ويصرون بما ذكرنا لكن لما لم يفقهوا وتدبير مدبرها
فهم كالا نعام قوله تعالى بل هم اضل لان بنيت الانعام لاحتمل منهم ذلك
وسمه هو لا لاحتل اذ جعل لهم عقولا متميزة تعرف حكمه مميذها ومنشيئها
لكنهم صنعوها ولم يكن من الانعام لصيغ لذك كان او ليك اضل والله اعلم
وقال قائلون انما عنهم هذه الحواس لما لم ينفعوا بها انفع من لهم تلك الحواس
بل كانوا المن ليست لهم فاذا لم يستعملوها في المعاني التي خلقت لها جعلت
كالعدم في حقهم فهم كالا نعام التي ليست لهم قدرة استعمال هذه الحواس في
المعان التي وضعت لها الا من حيث الظاهر بل هم اضل لان هؤلاء اذا ضلوا
الطريق فهم واو ارسدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والهدى واب
اذا ضلوا الطريق فهم واو اهدوا واهتدوا وعرفوا وما لوالا اليه فهم اضل من الانعام
واصله ما ذكرنا انهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم وهو معرفة
حقائق الاشياء وما ادرج فيها من المعاني والحكمة فصاروا في الحقائق كمن لا
حواس له اذ لم ينفعوا بها انفع من لهم تلك لذك نفى عنهم والله اعلم وعاب
عباس رضي الله عنهما قال في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس لهم قلوب لا يفقهون لها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا

يَسْمَعُونَ بِهَا مَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَقَوْلِهِ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَارِهِمْ غَشَاوَةٌ فَمَنْ تَهَلَّلَ لَمْ يَنْفَعْهُ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ أَعْيُنُهُمْ وَلَمْ تَسْمَعْ أَذَانُهُمْ وَقَالَ تَمْ
صَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا فَقَالَ أَوَلَيْكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَيْ فِي الْكُلِّ لَانْ هُمْ لَيْسَتْ
الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَقَضَاءُ السَّهْوَةِ كَهَيْئَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ فَانْهَا تَسْمَعُ النَّدَاءَ
وَلَا تَعْقِلُ فَعَلَى ذَلِكَ الْكَافِرُ وَقَوْلُهُ أَوَلَيْكَ كَالْأَنْعَامِ أَيْ عَرَفْتُمْ مَا أَلْقَى إِلَيْهِمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
لَانَّهُمْ أُعْطُوا سَبَبُ فَمِنْ ذَلِكَ وَالْأَنْعَامُ لَا وَحْتَمَلُ قَوْلُهُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَانَّهُمْ أُعْطُوا سَبَبُ فَمِنْ
ذَلِكَ وَالْأَنْعَامُ لَا وَحْتَمَلُ قَوْلُهُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَانَّ الْأَنْعَامَ تَعْرِفُ رَبَّهَا وَتُحَدِّثُ وَتَذْكُرُ
لِقَوْلِهِ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ لَإَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَقَالَ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَهُوَ لَا يَرْ
لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ وَلَا يُؤْتُونَ وَهْوَ وَحْتَمَلُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَانَّهُمْ يُصَلُّونَ وَيُصَلُّونَ غَيْرَهُمْ
وَالْأَنْعَامُ لَا وَحْتَمَلُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَانَّهُ لَا يَنْفَعُ بِهِمْ وَالْأَنْعَامُ يَنْفَعُ بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى
أَوَلَيْكَ هُمُ الْغَافِلُونَ أَيْ عَنْ فَمِنْ مَا أَلْقَى إِلَيْهِمْ وَمَا أَمْرُ وَابِهِ وَهُوَ أَعْنَهُ وَحْتَمَلُ
أَيْ غَافِلُونَ عَمَّا أَوْعَدُوا قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا
لَحْتَمَلُ هَذَا وَجِهَيْنِ أَحَدَهُمَا أَنَّ الْكُفَّارَ قَدْ ظَنُّوا أَنَّ فِي اثْبَاتِ عِدَدِ الْأَسْمَاءِ
اثْبَاتِ أَعْدَادٍ مِنَ الذَّاتِ وَبَعِيثُ وَنَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ يَقُولُونَ إِنَّكُمْ تَدْعُونَ
التَّوْحِيدَ وَتَسْمُوهُ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ وَهُوَ ظَنٌّ فَاسِدٌ أَذْ قَدْ لَيْسَتْ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ فِي
الشَّاهِدِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمْ لَا يُوجِبُ ذَلِكَ اثْبَاتِ عِدَدٍ ذَلِكَ وَلَا تَجُوزُ مِنْهُ
مَا لَيْسَتْ الْحَوَكَةُ حَرَكَةً عَرْضًا شَيْئًا خَلْقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْجِبُ ذَلِكَ اثْبَاتِ عِدَدِ الْحَوَكَةِ
أَوْ تَجُوزُ بِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فَعَلَى ذَلِكَ كَحَبْرٍ أَنَّهُ لَيْسَ فِي اثْبَاتِ عِدَدِ الْأَسْمَاءِ
اثْبَاتِ عِدَدِ الذَّاتِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي لَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حَرْجُ هَذَا مُقَابِلَ
قَوْلِ كَانِ مِنْهُمْ وَهُوَ أَنْ وَصَفُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ لَا يَحْسُنُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ وَأَضَافُوا إِلَيْهِ
أَشْيَاءً لَا تَصْلُحُ أَنْ تُضَافَ إِلَيْهِ مِنْ خَوْفِهِمْ يَا خَالِقُ الْخَنَازِيرِ وَيَا خَالِقُ الْخَنَازِيرِ
وَيَا إِلَهَ الْقُرْآنِ وَفَاخْبِرْ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى مَا ثَبَتَ عِنْدَ الْخَلْقِ أَنَّهُ مُسَمًّى
لَهُ بِمَا أُعْطَاهُمْ مِنَ الْهُدَايَةِ وَالرَّشْدِ يَقَالُ يَا هَادِي يَا مُرْسِدُ وَخَوْهُ أَوْ يَقَالُ
يَا مُعْطَاهُ مِنَ النِّعَمِ يَا كَرِيمُ يَا جَوَادُ يَا لَطِيفُ وَخَوْهُ أَوْ يَقَالُ يَا خَالِقُ وَيَا رَازِقُ
وَيَا رَحِيمُ وَيَا رَحِيمُ وَخَوْهُ لَكَ وَيَقَالُ يَا اللَّهُ وَيَا رَبَّ لِمَا ظَهَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْوَهْمِ
وَرُبُّوهُ بَيْنَهُ فَقَالَ لَا تَدْعُوا بِكَذَا وَكَذَا لَكِنَّ أَدْعُوا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي يَبْتَغِي عِنْدَ الْخَلْقِ حَقِيقَتَهَا
وَأَنَّهُ مُسَمًّى بِهَا وَقَدْ رَوَى عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ حَبْرُ رَوَى عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُشَلِّينِ

قَالَ فِي صَلَاتِهِ يَا اللَّهُ وَيَا رَحِيمَ وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْيَسَّى
يَنْعَمُ مُحَمَّدٌ وَاصْحَابُهُ أَنْهُمْ يَعْبُدُونَ الْهَاقَ وَاحِدًا فَمَا يَأَلُ هَذَا يَدْعُوا رَبَّيْنِ ٥٨
أَشْتَيْنِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَحْتَمَلُ قَوْلُهُ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى أَيْ لَهَا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لَا لِلْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَ بِهَا الْأَصْنَامُ أَسْمَاءُ اللَّهِ
أَرْبَابًا وَالْهَيْئَةُ فَقَالَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَدْعُونَ بِهَا الْأَصْنَامُ أَسْمَاءُ اللَّهِ
تَعَالَى فَادْعُوهُ بِهَا وَلَا تَدْعُوا بِهَا الْأَصْنَامَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَذُرُوا
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ لَا تَكُنْ لَهُمْ بَصْنِعُهُمْ
وَلَا تَجْتَازُ هُمْ بِأَذَاهُمْ أَيْ كَيْفَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَكَانُ فِي لَحْمِهِ وَالْمَجَازُ فِي بَصْنِعِهِمْ
الْأَتْرَى قَالَ فِي آخِرِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا الْإِلْهَادُ الْمِثْلُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَقِيلَ الْإِلْهَادُ التَّكْذِيبُ وَقَالَ
الْقَتَّابِيُّ يُلْحِدُونَ أَيْ يَجُورُونَ عَنِ الْحَقِّ وَيَعْدِلُونَ وَأَصْلُ الْجَوْرِ هُوَ
الْمِثْلُ عَنِ الْحَقِّ وَالْوَضْعُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُمْ سَمُّوا مَلْحِدِينَ لِمَا سَمُّوا
غَيْرَهُ بِأَسْمَائِهِ أَوْ لَأَشْرَ أَكْثَرِ غَيْرِهِ فِي أَسْمَائِهِ أَوْ لِمَا صَرَفُوا شُكْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ
وَعَبَدُوا وَادَّوْنَهُ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَهٌ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَحْمَهُ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قِيلَ هَذِهِ
بَشَارَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْغُفْرَةِ وَالْظُّفْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي الدُّنْيَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ
هُوَ حُرُوفٌ وَعَبِيدُ أَوْ عَدُوهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بِأَذَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَمَنْ خَلَقْنَا مَعَهُ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ أَيْ يَهْدُونَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ
وَهُوَ الْقُرْآنُ وَالْكِتَابُ وَلَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ بِهِ يَهْدُونَ
وَبِهِ يَعْمَلُونَ وَلَحْتَمَلُ أَيْ يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ
آيَةُ احْذَرِي حَيْثُ قَالَ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَلَحْتَمَلُ الْحَقُّ هَهُنَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى كَقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَبِهِ يَعْدِلُونَ أَيْ بِالْحَقِّ الَّذِي يَهْدُونَ يَعْمَلُونَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَمَا أَرَادَ أَنْ
إِخْلَافَكُمْ إِلَى مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَايَاتِنَا فَذُكِّرْنَا هَذَا
فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ قَوْلُهُ تَعَالَى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ قَالَ
قَائِلُونَ هُوَ صِلَةُ قَوْلِهِ نَبَأًا مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَايَاتِنَا وَقَوْلَهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهُ أَلَوْ عِدَّ لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْغُفْرَةِ وَالْظُّفْرِ

على اعد آية ثم الاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث امن الرجل
 بفته كقولوا فاخذناهم بفته وهم لا يشعرون وقال قايرون الاستدراج
 المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير الذي يضاف
 الى الله والجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق والجهة
 التي تضاف الى الخلق مذموم والجهة التي تضاف الى الله محمود وكذلك ما
 اضيف اليه من الاستدراج والخداع على اختلاف الجهات وهو ان الله تعالى
 ياخذهم بالاستدراج وليستحقون بحق المكافاة والجزاء فلا يلحقه في ذلك
 ذم فاما الخلق فيما بينهم يكرهون ويكفرون لا على استحقاق الجزاء بل ابتداء
 فعل وقيل سئستدرجهم اي يخزيهم جزاء استدرجهم وجزاء كيدهم
 وهو كقولهم ومكر وامكرا ومكرنا مكر اي جزينا مكر جزاء مكرهم لتسمية
 للشئ باسم ما يقابله كقولهم وجزاء سيئة سيئة مثلها ويخوذ لك وعن الحسن
 في قوله سئستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما حدد والله معصية
 حدد الله لهم نعمه ليستنزوا وواشروا وبطروا ثم يهلكهم وقال بعضهم يظهر
 لهم النعم وينسبهم الشكر ويحتمل ما ذكر من المكر والاستدراج والكيد عبادة
 عن العذاب الاتري انه قال ان كيدي متين اي ان اخذي اياهم وعذابي
 شديد قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين لحتم قوله واملي لهم ان كيدي
 متين اي كيدوا انتم واملككم واكيدكم اي اجازكم جزاء كيدكم ان كيدي متين
 اي عقوبتي واخذي شديد ويحتمل واملي لهم اي يفعل بهم ما هو عندهم
 استدراج وكيد وكذلك يفعل بهم ما هو مكر وخداع عندهم وان لم يكن
 من الله تعالى استدراج وكيد وخداع ومكر وهو كقولهم وهو اهلون عليه
 اي اعادة الشئ عندهم اهلون من الابتداء وان كان عند الله تعالى الاعادة
 والابتداء سواء فعلى ذلك قوله سئستدرجهم وقوله ان كيدي متين ونحوه
 وقوله متين اي شديد وقيل المتين هو المحكم القوي ثم ذلك قوله واملي لهم
 على انه لم ينسبهم لخاجة له اليهم او لمنفعة لهم فيهم ولكن انشاؤهم لجوابع انفسهم
 ولما نفع ترجع اليهم حتى ان عملوا ففعلوا انفسهم وان تركوا صرنا وانفسهم
 قوله تعالى اولم يتفكروا وما بصاحبهم من جنة وذلك ان الكفرة كانوا
 ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك والله اعلم

لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم
 بالمكره الا احد رجلين رجل ذو اهيبة وقدر له اعوان وانصار
 او رجل به جنون لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شئ من الامر فلما
 راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون ولم يروا معه انصارا
 واعوانا اذا دعا منه وان كانوا رؤساء الكفرة واهل الشرف لكن لا ينصرونه
 بل يكادونه ويهادونه الى ان رزق الله تعالى لبعضهم الايمان فظنوا انه
 لا يخالفهم الا الجنون فيه فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم ولحتم ان يكون
 نسبهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان الى كانوا
 يعبدونها وهم قد رأوا العقل امينهم قد عبدوا الاصنام وامرهم بذلك
 ولم يحرموا عليهم ذلك فلما حرم هو ذلك عليهم وانفرد من بينهم بالتي
 ظنوا انه انما انفرد بذلك وخالفهم لافقة فيه فذلك حملهم على نسبته الى
 الجنون والله اعلم ثم عاتبهم الله تعالى بتركهم التفكير فيه بقوله اولم يتفكروا
 ما بصاحبهم من جنة ليبين لهم انه ليس به جنون وما ظنوا بما جري على
 خاطرهم من وساوس الشيطان وذلك لحتم وجهين احدهما انهم لو تفكروا
 في رسول الله بما اخبرهم من الرؤوب والمرهوب والمحذور في كتابهم
 على غير لسانهم من غير اختلاف منه الى احد ولا تعلم ليعلموا ان رسول الله
 وان ما اخبرنا اخبر بالله وانه انما يهديهم وحده من غير اعوان وانصار
 ظاهرا من الخلق لعلمه من طريق الوحي ان النصر له والظفر وان اعداءه
 لا يقتدرون على قتله واهلاكه ويحتمل اي اولم يتفكروا في انفسهم وفي اولئك
 الذين عبدوا من الاصنام والاوثان ليطهرهم انهم على باطل وسفيه وليبين
 لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد لا ما كانوا هم عليه لان به جنونا والله اعلم
 وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكير والتدبر لما الحق
 هو لا من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوهم التفكير وكان لهم مثل
 الوصول الى معرفة ذلك والله اعلم ولحتم قوله اولم يتفكروا وما بصاحبهم
 من جنة اي قد تفكروا وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك في قوله اولم ينظروا
 في ملكوت السموات والارض الاية اي قد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل
 هذا لم يخلق عبثا باطلا كما يقال اولم تفعل كذا اي لا تفعل كذا اي قد فعلت كذا

عماذ واوكا بروا آياته وحججه ثم اخبر انه نذير مبين ليس كما يقولون انه
 مجنون اذ معه آيات وحج وبراهين هو نذير مبين قوله تعالى اولم
 ينظروا في ملكوت السموات والارض لحتمل هذا علي الابتداء ولحتمل
 علي الصلة فيما تقدم من قوله اولم يتفكروا وهو انهم اذا نظروا في ملكوت
 السموات والارض عرفوا الهيئته وربوبيته لما راوا من الضال مناغ
 بعض بعض علي بعد ما بينهما واتساف التدبير في ذلك وعرفوا ان ذلك
 كله مسخر لمن له التمييز وان المقصود من خلقه اهل التمييز فاذا عرفوا
 ذلك عرفوا انهم محتاجون الي من يعرفهم ذلك ويعلم ما محتاجون في ذلك
 اذ مجرد العقول لا يعرف الا اصل الشكر واصل التقدير للنعم واتخاذ اما
 لا يعرف مقادير ذلك وادواته ولا يعرف ذلك الا المنعم الذي خلق لهم النعم
 فعرّفوا ان الرسول لا بد لهم ليعرفهم ذلك والله اعلم ولحتمل ان يكون علي
 ابتداء الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق من شيء ليدلهم
 علي وحدانية الله وربوبيته قوله تعالى وان عسي ان يكون اقرب
 اجلهم بناي حديث بعده يؤمنون كان هذا نزل فيمن عرف صدقه لكنه فاند
 في تكذيبه وقال وان عسي ان يكون قد اقرب اجلهم لخذلهم ليرجعوا الي
 لصديقه مخافة الخروج من الدنيا علي ما هم عليه قوله تعالى بناي
 حديث بعده يؤمنون لحتمل وجوها احدها اي انكم ممن يقتلون الاخبار
 والحديث فاذا لم يقتلوا حديث رسول الله وخبره ولم تصدقوه ومعه حجج
 وبراهين بناي حديث بعده يقتلون وتصدقون ولا حديث مثل حديثه
 في التاويل بالمعجزات الناقضة للقادات والله اعلم والثاني لحتمل ان يكون
 قوله بناي حديث يؤمنون يعني القرآن وهو كما وصفه الله بقوله لا ياتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
 علي ان ياتوا مثل القرآن لا ياتون بمثله فاذا لم يقتلوا هذا القرآن الذي وصفه
 ما ذكرنا وانهم ممن يقتلون الحديث بناي حديث يقتلون معه والثالث لحتمل
 ان يكون قوله بناي حديث بعده يؤمنون يريد به الآخرة اي لا حديث بعده
 يؤمنون وقد اقرب اجلهم بناي حديث بعده يؤمنون والله اعلم قوله تعالى
 من يضل الله فلا هادي له اي من اهانه الله تعالى لخلق فعل الضلال منه فلا

احد مملك اكرامه باعطائه الهدي ذكره من يضل الله فلا هادي له وذكر
 في موضع آخر ومن يهدي الله فانه من مفضل اخبر ان الاضلال والهداية
 منه لا من غير ولو كان الهداية المصنفة الي الله هو البيان كما لقوله المعتزلة
 وكذا الاضلال والازاعة هي النبي والتخلية لكان الهداية والاضلال من غيره
 وهذا خلاف ما سبق به النص وبطل التمدح به ولان كل من اراد الله ان
 يهديه اضله غيره وكل من اراد ان يضل يهديه غيره وهذا محال ولان
 في كل موضع اصناف الاضلال اخلق ذكر علي الذم ومن الهداية اليه مدح
 ثم اضافها جميعا الي نفسه ذلك ان في ذلك زيادة معنى ليس ذلك الاضافة
 الي الخلق وهو ما ذكرنا في غير موضع اما فعل خلق الضلال من الكافر وخلق
 فعل الاهنداء والايان من المؤمن او كان منه التوفيق والمعونة في الهدي
 والخذلان في الكفر وهذا ان الوجهان لا يكونان من الخلق وانما يكون من
 الخلق الدعاء وغيره لذلك كان معنى الاضافة اليه لا ما قاله المعتزلة
 من البيان والامر والنهي والحكمة اذ يكون ذلك من الخلق والله الهادي
 والله اعلم قوله تعالى ويذره في طغيانهم يعمهون ولا ضرر لحقه شيء
 طغيانهم لذلك تركهم فيه وذلك علي انه لم ينشأهم لحاجة نفسه ولا دفع
 ضرر نفسه ولكن لحاجة انفسهم وهذا حرف وعيد كقوله سفسدت رجهم
 من حيث لا يعلمون وقوله ان كيدي متين قوله تعالى يسألونك عن
 الساعة ايان مرسيا قل اي ميع فيا مهاب وقيل القبي ايان مرسيا
 اي ميع بونها يقال رسا في الارض اذا ثبت ورسى في الماء ويقال
 للجبال رسا لثبوتها ثم اختلف في السؤال عما اذا قال بعضهم كان السؤال
 عن فناء الخلق وهلاكهم بالنفخة الاولى فسألوا عن وقتها لانه قال في
 آخيه لا تاتينكم الا بغتة وقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
 وهم يخصمون وذلك يكون في الدنيا وقال بعضهم كان السؤال عن البعث
 وقيام القيامة انكارا منهم اياها واستحجال العذاب قال الله تعالى
 وما يدريك لعل الساعة قد يسترجل بها الذين لا يؤمنون بها
 وقال خبرا عنهم اذا متنا وكنا ترابا وعظا ما ايتنا لمبعوثون وغير ذلك
 من الآيات فدل ان السؤال عن البعث والقيامة وليس في قوله لا تاتينكم

الابغثة ما يدل على ان المراد به الفناء اذ هم كانوا يظنون الفناء ويتيقنون
بذلك فلا معنى للسؤال ثم لم يمتد السواك عن البعث وقيام الساعة وجهين
احدهما ان كان السؤال عن المكذب لها فهو سؤال استهزاء واستعجال
لما ذكرنا من قوله لعن الساعة قد يب يستعجل بها الدين لا يؤمنون لها
وان كان السؤال عن المصدق لها فهو سؤال استعلام واشفاق ليتأهبوا
لها وليستعدوا وكقوله والذين آمنوا مشفقون منها لما يسهوا من الآيات
ما يقترب وقوعها كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم
وقوله اني امر الله فلا تستعجلوه وخوفه من الآيات وما سهوا من
رسول الله صلى الله عليه انا والساعة كها تين وفي بعض الاخبار كانت
الساعة تشبعتي وغير ذلك من الاخبار رجمهم ذلك على السؤال ليتأهبوا
وليستعدوا وقوله تعالى قل انما علمها عند ربي لا يحيط بها لوقتها الا هو امر
النبي ان يقول ان علمها عند ربي لا يحيط بها لوقتها الا هو اي لا يكشفها ولا
يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التي تجري على ادي الخلق فتكون لهم
فيها تدبير من اخراج الثمار والنبات وغير ذلك اعني الملائكة الذين
سلطوا على حفظ المطر والنبات فاما الساعة فاما تقوم من غير ان يكون
لاحد من الخلائق فيها تدبير او علم وهو ما وصفها الله تعالى بقوله وما
امر الساعة الا كلح البصر او هو اقرب اخبار ان امر الساعة خارج عن
تدبير الخلق بل يقوم بتدبير الله من غير ان يحيط به احد من الخلق علم
قوله تعالى ثقلت في السموات والارض ثقل ثقلت على اهل السموات
والارض فذكر الثقل لان من خفي عليه شيء ثقل عليه فانما ذكر انها
ثقلت عليهم لثقلها عليهم وثقلت في السموات والارض ثقلت على اهل السموات
والارض لكثرة احوالها وشدة وقوعها كذلك قال المحسن اي اذا جارت
ثقلت على اهل السموات والارض وكبرت عليهم ولحملة ان يكون قوله
ثقلت في السموات والارض على نفس السموات والارض على ما ذكر
في قوله تكاد السموات تنفطرن منه وتنشق الارض وذلك من شدة هولها
ولكن ان كان على نفس السموات والارض فعناها انها لو كانت بحيث تعرف
وقتها وبيتها من يعرف ثقل شيء لثقلت عليها وهو ما قلنا في قوله

وعنه احيوة الدنيا والدنيا لا تغتر احدا ولكن ما كان منها لو كان من يكون
منه العو يد لكان عز ورا فقل ذلك الاول وقال بعضهم نقل ذكرها
على اهل السماء والارض وقال قتادة نقل عليها على اهل السموات
والارض واصله ما ذكرنا اي خفي عليها على اهل السموات والارض
واذا خفي الشيء ثقل قوله تعالى يسألونك كانك خفي عنها اختلف
فيه قال قائلون اي يسألونك عنها كانك مكرم مشرف ذوا منزلة عند الله
تعالى عندهم فتعلمك عنها ولذلك قل في قوله انه كان بي خفيا
اي بارأ حيا فالحفي هو المكرم المشرف البار الذي لا يستخفي شيء ولا
يلتبس عليه وقال قائلون يسألونك كانك خفي عنها اي يسألونك عنها
كانك عالم بها والخفي العالم الخبير وقال قتادة كانك خفي بهم كانك حجب
ان يسألونك عنها وقال بعضهم هو على التقديم والتأخير يسألونك عنها
كانك خفي يعني كانك استخفيت السؤال عنها حتى علمتها قوله تعالى
قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون امر النبي ان يقول مالي
بها من علم انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كايته وحتم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انك لا تعلم انها متى تكون ومحمد اي لا يعلمون
ما لهم وما عليهم قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال
بعض اهل التأويل اي لا املك لنفسي الهدي والضلالة وقال قائلون
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
اي الا ان اقدرني الله تعالى على ذلك فاملك ذلك ويثبته ان يكون امرو
ان يقول لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا يتخذوه معبودا ولا ينسبوه
الي الله تعالى بما لا يليق النسبة به نحو ما قالت النصارى المسيح ابن الله
وقالت اليهود عن يرا بن الله وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله
لعظيم ما وقع عندهم من محمل هولاء وقد رحم عند الله فقال لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا لئلا ينسبوه الي الله من الوجه الذي ينسب اوليكم اظهر من نفسه
الجز والعبودية وهو كما قال عيسى ابن عبد الله آتاني الكتاب الآية والله اعلم
قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت بعضهم لو كنت
اعلم متى اموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح ان انا الانذير

وبشير وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة قالوا لا تخبرك
ربك يا محمد بالتجارة المرجحة فيخبرنيها فتخرج او لا تخبرك بالسنة التي
والجدونه ولخبرك بوقت السعة والحصب فقال عند ذلك ولو كنت
اعلم الغيب من جدونه الا رضى والقحط لاستكثر من الخير اي لحيات
لذلك وما مسني السوء من الضر والشدة والي هذا ذهب عامة اهل
التأويل ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه فان فيما ذهبوا اليه نوع
وهو اما التأويل لو كنت اعلم متى اموت لاستكثر من العمل الصالح فان
من لا يدري متى يموت كان اقتبل على العمل من يعلم انه يموت في وقت
معلوم فان وقت الموت اذا لم يعلم فحاف ان يكون الوقت قريبا فانه ياتيه
بغتة فكون مستعدا لذلك فاما متى علم انه يموت بعد سنة او اكثر فربما يتكاثر
الي ان يعترف الوقت ليتوب قبل ذلك فيقبل ثوبته فدل ان هذا التأويل
ضعيف ولنا تأويل العامة فهو بعيد فان النبي عليه السلام ما لجم المال حتى يوصف
بذلك وكان مختارا لعقرو ولاقتبل على الدنيا ولكن التأويل الاسبه ان يقال
والله اعلم اي لا اعلم لكم نفع ولا ضررا لو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثر من الخير عند الله
اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصد قمتوني وامنتني لاستكثر من الخير عند الله بايمانكم
بالله وتصديقكم اياي او ان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضررا لو كنت املك ذلك
لكم لاستكثر من الخير لانكم اذا رايتم املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب
لامنتني وصد قمتوني فانا بذلك استخرج عند الله خيرا كثيرا وقال بعضهم قوله
لا املك لنفسي نفعا ولا ضررا اي ولا اعلم الغيب الا قدر ما اوحى الي ولو كنت اعلم
الكثير مما اوحى الي لاستكثر من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب فتدل ان اوحى
الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثر من الخير بذلك وحتم ان يكون قوله ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثر من الخير اي لو كنت اعلم من المجيب عليكم ومن الراد ومن
المصدق ومن المكذب لاستكثر من الخير لانه لا تشتغل من يعلم انه يرد ولا يجب
وانما يشتغل من يعلم انه يجب ولا يكذب فيستكثر ابتاعه والمطيعين لله والاسبه
من التأويلات ما ذكرنا لاستكثر من الخير بتصديقكم اياي وايمانكم بي وما
ذكرنا اني لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب ايضا لامنتني وصد قمتوني
فانا بذلك استوجب من الله خيرا كثيرا وقوله تعالى وما مسني السوء ان انا الانذير

وبشير وحتم وما مسني السوء منكم سوء ردي وتكذيب لانه لو علم الذي يحبه
ويصدق من الذي لا يحبه ولا يصدق لم يسته منه شيء الراد والاذي لانه لا
يشتغل به بعد ما اقام عليه الحجته من المجيب منكم ومن الراد ان انا الانذير
وبشير لقوم يؤمنون قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها نسلها ووجها لسكن اليها فلما بعثها حلت حملا حمينا فمرت به قال
عامة اهل التأويل ان آدم وحواء لما اخطا الى الارض تغشاها آدم فحلت فابتها
ابليس اللعين فقال يا حواء ما هذا الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعلة
بهيمة من هذه البهائم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما
اثقلت اتاها وقال كيف تجد ينك قالت اني اخاف ان يكون الذي ذكرت ما
استطيع القيام اذا قعدت الاجهد قال افرايت ان دعوت الله بجعله انسانا
مهلك ومثل آدم التسمية في قالت نعم فافضرت عنها فقالت لادم لقد اتاني آت
فخوفني بكذا واني لاحاف بما ذكر فدعوا الله تعالى في ذلك فذلك قوله فلما اثقلت دعوا الله
وبهاتين اتيتنا صالحا اي جعلته انسانا لتكونن من الشاكرين فكان هذا
دعاهما فتدل ان قوله لا ادري اتاها ابليس اللعين فقال لا تسمينه بي وعنتين
قالت نعم ما اسئلك فقال اسمي لحيارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتياها
صالحا جعل له شركا فيما اتياها الآية على هذا حمل اهل التأويل الآية والي آدم وحواء
صروها وذلك وحش من القول فيج في آدم وحواء ذلك ولان سمية الولد
بذلك ونسبتها اليه لو ثبتت لم تكن اشراكا اذ لو كان في مثله اشراك لكان اضافه
العبيد والمال اليك الى الخلق اشراكا في الالهية فيبغي ان منع الخلق في
الاضافة ولما اطلق الخلق ذلك من غير منع من احد من الانبياء والرسل
ولا من احد من العقلاء حيث قالوا فلان عبد فلان وامة فلان دلي انه لا
اشراك في هذه الاضافة ولم يوجد منها او منها سوى الشبه من الجاهل
فما عني قوله جعل له شركا فيما اتياها دل ان الآية لا يصح حملها على آدم وحواء
والله اعلم ثم المتأويل عندنا اي ما ذهبوا اليه وهو ان قوله هو الذي خلقكم
من نفس واحدة يعني آدم وجعل منها ذواتا اي حواء وغيرهما من ذوات اولاده
الي يوم القيامة اخبرنا انه خلق بني آدم وبناته من نفس آدم كانه في كل نفس
جزء منه قد اجتمعت الاجزاء كلها في آدم فكون الجملة نفسا واحدة ثم جعل

تلك النفس زوجها ووجه كل واحد من بنيه الي قيام الساعة اذ ياكل اخراؤه
واجزأؤه منه فيصير في القدير كما نه خلق الزوجات كلها من النفس لا زواج
وهو كقوله ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها الآية اخبر
ان الازواج خلقهن من انفس الازواج وانهم من انفسهم خلقن فتصرف
قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها الي كل زوج وزوجة واذا اثبت كان قوله
فلما انشأ ما حمل حملاً خفيفاً يصرف الي كل زوجة حملت من زوج من اولاد
آدم وحواء لا اليها قوله تعالى فلما اتت دعوى الله ربهما لين آتينا صالِحاً لنكون
من الشاكرين يمكن ان يصدق ان كل زوج وزوجة يدعوان عند ظهور الحمل
بالمرأة بالصلاج والحيول لولدهما ولحم ان يصدق ان آدم وحواء كانا يدعوان
الله تعالى بالصلاج والحيول لولدهما كما كان يدعوا اب وام ويدعوا الولدان
للادلاء بالصلاج والحيول قوله تعالى فلما اتتا صالِحاً جعل له شركاً فيها
انها يصدق ان كل زوج وزوجة من الكفرة يدعوان لولدهما بالصلاج والحيول
الشرك عند حصول الصلاج ثم جعل ان له شركاً في الولد ويدعوان الولد الى عبادة
القيم طناً منها ان ذلك شكر منها لما ذكرنا من زعيم الي العادة للاصنام للتوسل
الي الله تعالى كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ما نعبدكم الا ليقربونا الي الله زلفى
علي هذا وامثاله يجوز ان يخرج الامة فاما ما قاله اولئك فهو بعد محال والله اعلم
قلت بعضهم ان العرب كان اذا اولد لهم اولاد ذكور فيسجدون الي الاصنام التي
يعبدونها ويصنيفون اليها تقطيعاً لها يقول ابن النبي والعيزي وابن البنات
وكخذ لك وكافوا يقتلون البنات وكان اذا اصابتهم الشدة يفرعون الي الله
ويتضرعون اليه كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقوله واذا امسى الانسان من دعائه منيباً اليه وقوله واذا انشيم موج
كاظلك دعوا الله مخلصين له الدين واذا ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا الي
ما كانوا قبل كقوله فلما اجتمع الي البسرا اذ هم يشركون وقوله ثم اذا
حوله نغمه منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل واذا كان من عادة العرب
ما ذكرنا كان اذا حملت زوجة احد منهم وثقل ما في بطنها جعل يدعوان الله
ربهما لين آتينا صالِحاً ذكر وسلمت من الولادة لتكون من الشاكرين فلما
اتاهما صالِحاً ذكر جعل له شركاً فيها اتاهما اي جعل له شركاً في الولد التي ولد

منها فليسجد الي الاصنام التي كانوا تعبدونها فذلك قوله جعل له شركاً فيها
اتاهما تعلي الله عما يشركون فعلي هذا التاديل يكون صدر الآية في آدم ثم
وحواء قوله تعالى فلما انشأ حمل حملاً خفيفاً حملت به الي ستم
بالجهل قال النبي اي آخر الآية يصرف الي غير آدم وحواء وقالت
الحسن الآية في مشركي العرب الا قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها لتسكنوا اليها فان ذلك في آدم وحواء الا تري انه قال
اتسركون ما لا خلق شيئاً وهم مخلوقون وقالت ابوبكر الاصم قوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة هو نفس آدم وجعل منها زوجها اي خلق كل نفس
منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن
اليها فعلي هذا التاديل يصرف آخر الآية الي غير آدم وحواء ويحمل قوله
خلقكم من نفس واحدة الآية ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليداً
لابائهم وسلفهم فندكر سفهم ان النفس التي خلقت منها لم تقلد احداً
ولم يشرك احداً انما اتبعت ما في العقل حسبه او ما في السمع من الاشياء
فكيف لا اتبع النفس التي خلقت منها وهي لم تتبع الا ما ذكرنا دون
ما اتبعت في الاشراك لله من دونه ولو كانت القصة في آدم علي ما نقوله
اهل التاديل كان العرب تعلقوا واعتدوا به فيقولون انه اشرك
ونحن شرك اتبعنا عتاله فذلك انه ليس علي ما قالوا ولكن علي الوجوه
التي ذكرنا والله اعلم شق في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة دلالة
ان ليس لاحد من البشر علي آخر فضل من جهة الخلقة والنسبة اذ كلهم
خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات فان كان لاحد فضل علي آخر
فانما يكون لا اعمال والكتاب واخلاف محمود موده ومجاسن بخار هلك قوله
ان اكرمكم عند الله اتقوا الله فاما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض علي بعض والله اعلم
قوله تعالى اليسرون ما لا خلق شيئاً وهم مخلوقون ذكر سفهم انهم
يشركون في عبادته والوهيته من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله تعالى
وخلق لما تعبدون فصرفت العبادة الي غير الذي خلقهم سفه وجوده
قوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصراً ولا انفسهم ينصرون ليسفهم
ايضاً ان في الشاهد لا خضع احداً ولا لشركه الا بحاج اننا لما سبق منه

اليه من النعمة او لما يامل من المنفعة في العاقبة وانتم تعبدون هذه الاصنام
 ولم يسبق منها اليكم شئ ولا لكم رجاء نفع في العاقبة منها فكيف تعبدون وتحتمل
 ولا تستطيعون لم يصد آيد فعون عنهم الصنم ولا انفسهم ينصرون اي ولا ان
 قصد قصدهم بالكسر والاتلاف يملكون دفعه عن انفسهم والله اعلم
 قوله تعالى وان تدعهم الي الهدى لا يسمعوا كحتمل هذا وجهين احدهما
 اي ان تدعهم الي الاصنام الي الهدى ليهتدوا لا يسمعواكم اي لا يجيبوكم ولا هم
 يهتدون والثاني وان تدعهم الي ما لكم اليه من حاجة لا يسمعواكم اي لا
 يقضوها ولا يملكون ذلك قوله تعالى سواء عليكم ادعواهم ام انتم صامتون
 يحتمل ان تكون الآية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابداً بقوله وسواء عليهم
 ان نذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعهم يعني المشركين
 الي الهدى لا يسمعواكم فعلي ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعواهم يؤمن وامكن
 ان تكون قوله سواء عليكم ادعواهم في الاصنام والاول في المشركين والله
 اعلم ثم يحتمل ان يكون الخطاب للمسلمين بقوله وان تدعهم يعني اهل مكة الي
 الهدى لا يسمعواكم اي لا يجيبوكم وجايز ان يكون الخطاب بهلاهل مكة تقول وان
 تدعهم الي الاصنام التي تعبدونها الي الهدى لا يملكون اجابتمكم يستقيم في
 عبادتهم من حاله ما وصف قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله
 عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون
 من دون الله اصناماً واثناً وحتمل تدعون اي تسمعون من دون الله الهة
 وقوله عباد امثالكم اي في الخلقة والجدية والدلالة على وحدانية الله ولكن في
 التدبير والمعونة دونهم الا ترى انه قال لهم ارجل ميشون بها ام لهم ايدي
 يبطشون بها الآية اي ليس لهم ما ذكرتم دونهم في التدبير وحتمل قوله عباد
 امثالكم اي الملائكة الذين عبدوهم هم عباد امثالكم فلا تسموهم الهة ولا تعبدوا
 عباد امثالكم ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير وخارج على هذين التاويلين
 جواب اشكال او رده المحدث في هذه الايدي وقالت فيها تناقض لانه قال عباد
 امثالكم ثم قال في اخذها لهم ارجل ميشون بها الآية فاذا لم يكن لما يعبدون
 هذه الاشياء فكيف يكونون امثالاً لهم فعلي التاويل الاول المراد هو الملائكة
 في اصل الخلقة والحديثة والحاجة الي الخلق والمحدث وان كان بينهما تفاوت

في الصورة والتدبير والمعونة ونحوها وعلي الثاني المراد هو الملائكة وبينهم
 تماثل فيما ذكر من الايدي والارجل والاذان والاعين ونحوها فان كانت
 المراد هو التاويل الاول فقوله لهم ارجل الملائكة مبنية على قوله
 عباد امثالكم وان كان المراد هو الملائكة فقوله لهم ارجل ميشون
 به الآية مقطوع عن الاول فنصرف الي الاصنام والله اعلم وبعضهم اجابوا
 عن هذا الاشكال وقالوا ان قوله عباد امثالكم ذكر على الاستفهام اي
 اعباد امثالكم علي حذو حرف الاستفهام اي ليس عباد امثالكم لذك قال لهم
 ارجل ميشون بها الآية اي ليس لهم ذلك حذو نبي الملائكة وسفهمهم بعبادته
 من ليس بمثل لهم والله اعلم قوله تعالى فادعهم فلست جيبواهم ان كنتم
 صادقين ذكر الدعاء والاستجابة ولم يمتن فيماذا يستجيبونهم ولا يجب ان
 نفتر الاستجابة في الشفاعة او في التقرب الي الله تعالى او في غير ذلك
 الا ان يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا وقوله ان كنتم صادقين
 انهم الهة علي ما تزعمون او ان كنتم صادقين فيما تزعمون ان عبادكم اياها
 فقد بكم الي الله فلما قول الله تعالى لهم ارجل ميشون بها ام لهم ايدي يبطشون
 بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها ويبرون من نقصدهم
 بالسواء او نقصدون قصد من اراد الصنمهم ويدفعون عن انفسهم وكذلك
 يعبدون ما لا ايدي لهم يبطشون يدفعون عن انفسهم من اراد الصنم
 بهم او ياخذون من نقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها اي يبصرون
 من يقصدهم بالصنم ام لهم آذان يسمعون بها من ليستهم ويذكرهم بالصنم ليستهم
 في عبادة من لا يملك دفع من نقصد بالسواء اما هرباً منه واما قصداً منه اليه
 بالسواء فاذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدونهم وهو كقول ابراهيم يا آبت لم تعبد
 ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعني عنك شيئاً فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يجلب بهم
 كيف يملكون حذوكم او دفع الصنم عنكم والله اعلم قوله تعالى قل ادعوا
 شركاءكم قال بعضهم خاطب به كفار مكة فقال قل ادعوا شركاءكم الذين يزعمون
 انهم الهة دون الله وحتمل قوله شركاءكم اي ادعوا من شارككم في عبادة من
 دونه وقوله ثم كيدون يحتمل ان يكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون
 الاصنام والافان من دون الله قال لهم ذلك رسول الله بين ظهرانيهم

اعني ثم كيدون ولا تنظرون ثم لم يقدر احد الكيد به والضرور مع قوتهم وعدتهم بالكثرة
والاعوان وصنعت رسول الله وقلة اعوانه فذل عجزهم عن ذلك وجروا
الرسول علي ذلك علي انه كان انه في نفسه وانه بالله ينصر وانه بامره يقول
ذلك وانه قوي علي اعدائه وعظم عن كيدهم وذلك من عظيم آياته لانه قال ذلك
لمن كانت همهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فيما هم عليه من الدين ثم لم يقدر عليه
احد منهم الضرر به ذلك انه كان بالله حفظه وكذلك قال عامة الانبياء بين طهروا
قومهم من مخو هود ونوح قال نوح لقومه فكيّدون جميعاً ثم لا تنظرون اني توكلت
علي الله زلي وربكم وقال نوح ان لنقصروا منا فانا لنخونكم كما تنحدون الآية
وقوله ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين ذكر هذا علي ان قوله
ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكره هو داني اسهد الله واشهدوا اني بريّ ممّا
تشركون من دونه فكيّدون جميعاً ثم لا تنظرون اني توكلت علي الله زلي وربكم
الآية وكما قال نوح ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فلي الله
توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة ثم افضوا اليّ ولا ينظرون فدعوا
الي الله عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه اعتمدوا وبه وثقوا ففعل ذلك رسول الله
قال ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين اي هو ولي حفظني
وهو يحفظ الصالحين او يتولي الصالحين اي سويله صلوا ميّل قول ما ذكرنا
من الرسول قومهم ويحتمل خافلي وناصره الذي نزل الكتاب الذي عجزت
الخلايق عن اتيان مثله او ولي تدبره الذي نزل الكتاب او ولي امري او ولي
اي الله وهو يتولي الصالحين قوله تعالى والذين يدعون من دونه لا يسقطون
بضركم ولا انفسهم ينصرون تذكر سفهم لعباده من عجز عن دفع الضرر عن نفسه
فضلا ان يدفع ذلك عنهم او لجدا الي انفسهم منفعه واحبر عن جهلهم انهم يعبدون
من لا يملك دفع ضرر ولا جبر نفع بقوله وان تدعهم الي الهدى لا يسمعوا الآية
ثم قال بعضهم تدعون من دونه هم الملايكة بقوله لا يملكون ما ذكر وقال بعضهم الاصنام
التي تعبدون وما ذكر وهو اشبه ثم قوله وان تدعهم الي الهدى يحجّ حجّ علي وجهين
احدهما مخاطب به المؤمنين لقول وان تدعوا اهل مكة الي الهدى لا يسمعوا الي لا يجيبوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي لا ينفقون به اولسدة لقنهم لا يبصرون
ويحتمل ان يكون قوله وان تدعوا الاصنام التي تعبدون الي الهدى لا يسمعوا اي لا

جيبوا ولا يملك الاجابة ويحتمل لا ينفقوا حقيقته السّاج وتراهم ينظرون اليك
علي التمثيل اي كانوا يبصرون اليك وهم لا يبصرون حقيقة والله اعلم
قوله تعالى خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين الآية متوجه
وجهين احدهما علي حقيقة اخذ والثاني علي العمل بالعفو فان كان علي اخذ
من علي وجهين احدهما اي خذ الفضل الذي لاحق لهم فيه ولا تجري الشح والضمه
به من اموالهم وهو القليل من ذلك وكان ذلك في ابتداء الامر ثم صار منسوخا
بآية الزكوة والثاني ان خذ ما يفضل من انفسهم وحوالهم اذا اعطوك من غير
مسئلة منهم اي اقبل منهم ما اعطوك ولا تلج في المسئلة كقوله ولا يمشا لكم اموالكم ان يمشا لكمها
فنجفكم بخلافها الا به اخبر انه ان يمشا لكم اموالهم حلفم ذلك علي البخل وان كان علي
العمل فهو علي وجوه احدها اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم واعرض عن السفهاء
واحكم معهم امور رسول الله ان يميل الخلق بأشياء ثلثة امور ان يعفو الظلمة عن
ظلمهم ولا يكا فيهم بظلمهم وامر ان يعفو عن السفهاء والجهال وان يحلم معهم وامر ان
يعامل المؤمنين بالرفق واللين والرافة وبذلك وصفه الله تعالى فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال في قوله خذ العفو وامر
بالمعروف واعرض عن الجاهلين ما نزل الله تعالى هذه الآية الا في اخلاق
الناس وعن قتادة قال في هذه الآية اخلاق حسنة امر الله تعالى بنبية بها
ودعا اليها الي هذا ذهب بعض اهل التأويل وصرف تأويل الآية اليه وفي حرف
ابن مسعود وانّ بن كعب رضي الله عنهما خذ العفو وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة انه امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف
هو اسم كل خير وامر بالعفو عن الظلمة والاعراض عن الجهال وعلي ذلك روي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رجلا يشتم رسول الله فيؤذيه فدخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فواسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله
اليس هذا كان يشتمك قال بلى يا عائشة ان من شر الناس الذين يكرمون
لا نقاء سرورهم والسنتهم الي مثل هذا ذي النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عن الظلمة
وترك المكافاة وقيل وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما شهد خلقك
وتامرك به وهو اشياء ثلثة اشان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس
اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما بما خلقته وشهد علي وحدانية الله

والوحيته والثاني لشهد علي ثم الله فتدعو الي الشكر لمن انعم عليه واما الواحد
الذي بينه وبين الناس مما يدعو خلفه اليه هو ما يرغب نفسه في كل محاسن
ومرغوب فيه وينفرد نفسه عن كل اذى وسوء فامر النبي صلى الله عليه وسلم
بان يعامل الناس بما يرغب نفسه ويطلع في المحاسن ويمتنع عن كل اذى وسوء
والله اعلم قال تعالى وايا ينزعك من الشيطان نزع فاستغذ بالله انه سميع
عليم قال بعضهم النزع هي اذي افعال المعصية وكذا لك فستره بن عباس يقول
اذا اذنت ذنبنا فاستغذ بالله وقال العتبي ينزعك اي ليسمخفك وقيل
نزع سنا اذا افتد وقال ابو عتبة النزع هو التوريق للفتاد وقال بعضهم ينزعك
من الشيطان نزع اي يوسوسك الشيطان وسوسة قوله تعالى فاستغذ
بالله الاستغادة وجهان احدهما النزع الي الله عند وسوسة الشيطان والالتجاء
اليه لما دارك عجزا عن دفع ما يوسوس اليه ورده ليكون هو الدافع عنه ذلك
وهو الراد فامر الله تعالى عند وسوسة الشيطان بالتمتع اليه والالتجاء اليه وقال
اكمل اعود بالله اي لاجاء الي الله وكذا لك قوله استعذ بالله ومعاذ الله
اعوذ بالله ومنه الاعادة والتقوين والنقود وقال غيره اعود بالله اي امسح بالله
وقيل اعود بالله اي اخصن به وقيل الاستغادة بالله هي الاستغناء بالله لدفع
ما اعترض له من الشيطان وكله قريب بعضهم من بعض فان قيل ما الحكمة
في جعل عذرهم من غير جنتهم ومن حيث لا يبرونه ويراهم مثل فيه وجهان
احدهما ليكونوا بذكر التيقظ والانتباه غير غافلين عنه والثاني ليكونوا ابداء
مضوعين الي المتضرعين اليه مبتهلين ليكون هو حافظ لهم والدافع شره عنهم
وساوسهم فيما امر بالفرع اليه والاستغادة به عند نزع الشيطان رد قول
المعتزلة لانهم يقولون انه قد اعطاهم جميع ما يريدون به وساوسه ونزعاته حتى
لم يبق عنده شيء يعبدونه فليطلب الاعادة لمخرج كتمان النعمة او مخرج الهز
بهم اما الهز فلانه يسأله ما يعلم ان ليس ذلك عنده واما كتمان النعمة فلانه اذا كان
ذلك عنده فيكون السواأل كتمانها وفي ذلك كفنا بها والله الموفق قوله تعالى
ان الذين اتقوا اذا امسهم طائف من الشيطان تذكر واوقار طيف من الشيطان
فمن قرأ طيف قال الطيف اللمة وهي غفلة من اللوم وهو الجنون وقيل
الخطورة والشيء الذي لغشى قلبك وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف

الخيال الذي ياتيك في المنام يقال طائف فلان يطوف وطائف الخيال بطيف
وقيل الطيف ما ياتيك من الشيطان وقدر مجاهد طيف من الشيطان وقال
الي غضب من الشيطان ومن قرأ طائف قال هو من الطوائف وقيل الطائف
والطيف في اللغة سواء قوله تعالى تذكر واحتمل وجوها احدها اذا امسهم
بذلك فاستغفروا وابوا عما كان منهم كقولهم والذين اذا فعلوا فاجسأ او ظلموا
الفسهم ذكر والله فاستغفروا والذين انهم تذكروا وجوه جيل دفع
وساوسه والثالث اي استفادوا به حيث امرهم بالاستغادة به عند نزع
الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا امسهم طائف من الشيطان قال
اذا اذنبوا ذنباً تذكر واذا نوبهم فتأبوا عنها وكذا لك قوله في قوله واما ينزعك
من الشيطان نزع هو اذي ذنب يرتكب فان كان علي هذا فهو مخرج علي النبي عن
ذلك والمراد به امته كقوله ولا تكون من المسركين وقوله فلا تكون من الجاهلين
وقوله فلا تكون من الممتريين وان كان يعلم انه لا شك ولا جهل ولا شرك غيره
في الوحيته وعبادته فليذكر ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله واما ينزعك
من الشيطان نزع او يكون هذا اخرج لتعليقه امته ان كيف يفعلون اذا اعترض
لهم ذلك وهو ان يستعذوا بالله تعالى ويحتمل قوله ان الذين اتقوا اذا امسهم
طائف من الشيطان اي الذين اتقوا امساك يد الشيطان اذا امسهم من ذلك
تذكر واذا لك فقد قوا انه من الشيطان والبصروا ذلك منه اذ هم من اهل البصر
يبصرون ذلك انه مما اتقوا من الشيطان ويحتمل ان الذين اتقوا المعاصي اذا
امسهم وساوسه من الشيطان تذكر واذا لك وقال بعضهم اي ان الذين اتقوا
الشرك لكن هذا ضعيف لانه ليس كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر انه يذكر
فكون من المبصرين قوله تعالى واخوانهم يعني اخوان الكفار والسياطين
يبدونهم في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقضون عنها اي لا يمتنعون عنها
ولا يبصرونها كما ابصروا الذين اتقوا عنها حين ابصروها ويحتمل واخوانهم يعني اصحاب
الذين اتقوا وهم سياطينهم من الانس يدعونهم الي دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا
يطيعونهم فيما يدعونهم اليه اذ يجوز ان يكون لكل موطن شيطان من الانس وشيطان
من الجن كقوله وكذا لك جعلنا لكل عدوا سياطين الانس والجن فقد دعا
اولئك سياطين الانس اي اهل الانس فلم يجيبوهم والجن فقد دعا اولئك

ثم دعاهم شياطين الاليس ايضا فلم يجيبوهم والله اعلم نقالي واذا لم
تاتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ظاهرا لآية في سواك اهل الكفر رسول الله انه
كان اذا اتهم بآية استهزوا بها ونقضوا واذا لم تاتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا
استدعتها واحداثتها وانشأتها وهلا انبأنا من قبل نفسك فامر عليه السلام
بان يقول اي لا افعلها ولا انشاها من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي
بقوله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ويحتمل ان تكون سواك الآية من
المؤمنين فان كان منهم من هو سواك الاسترشاد لما يزداد لم بكل آية نزل اليهم
زيادة قوة ولقين في دينهم كقولهم واذا انما نزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه اياتا فاما الذين آمنوا فزادتهم اياتا وهم يستنبطون واما
الذين في قلوبهم مرض فنزادتهم رجسا الي رجسهم وكقوله فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر منها القتال رأت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت ثم اخبر انه لا تتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر انه بصائر من ربكم قل
بيان ان هذا القرآن بيان من ربكم يصبر به من لم يعاند ولم يكابر عقله كل ماله
وعليه وانما البيان بين الحق والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم يؤمنون
اي ورحمة من العذاب والله اعلم نقالي واذا اقرار القرآن فاستمعوا
له وانصتوا لعلكم ترحمون اسر الله نقالي بالاستماع الي هذا القرآن والانصات
اذا اقراروا ان كان في العقل ان من خاطب احذر خطاب يلزمه الاستماع الي ما
يخاطبه ويبدأ فيه به فله نقالي اذا خاطب خطاب اولي ان يستمع له مع ما
ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع اليه كقوله
هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك
من الآيات ولا سبيل الي ان يعرف انه بصائر وانه هدى وما ذكر الا بالاستماع
اليه والتفكر فيه فدل على ان الاستماع لازم في العقل لمن له ادب عقل
يما ذكرنا من الخطاب في الشاهد لكن ذكرها هنا الاستماع اليه والله اعلم
لوحين احدهما مقابل ما كان الكفرة يقولون لا تسمعوا هذا القرآن والقوا
فيه فامر الله نقالي للمؤمنين بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا هذا القرآن
وامر بالانصات مكان ما قالوا والقوا فيه والثاني يجوز ان يكون امرا بالاستماع

في الصلاة علي ما قاله بعض اهل التأويل انه في الصلاة وقال بعضهم في حال
الخطبة لما يسبق الي اوهايمهم انهم لما استغلوا الي غير هاتين العبادات
ولزمهم انواع القرب ليسقط عنهم حق الاستماع فامر عن وجل بالاستماع
اليه والانصات له ليعلموا ان حق الانصات والاستماع لازم في كل حال
ثم الاستماع اليه يكون لتفهيم ما اودع فيه من الامر والنهي والوعيد والوعيد
وعينه والانصات للتعظيم له والاجلال ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة
ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والعبر والحكم ليفهموا ما فيه
ويقتلوا ويقوموا بوقاة ذلك فاما سائر الاذكار انما صار عبادة بنفسها لذلك
لم يلزم الاستماع الي سائر الاذكار ولزم استماع تلاوة القرآن والله اعلم
ولان القرآن كتاب الله ومن الاستغفات والجفأ ان يكتب الشان الي
احيه كائنا لم لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الي كتاب الله اعظم في الجفأ
والاستغفات ولان القرآن بجهر وسائر الاذكار ولا يجهر فان كانت
بجهر فيسمع لها كما يستمع الي القرآن لافرت بينهما والله اعلم وذكر في بعض
القصص ان الآية نزلت في الصلاة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرأ في صلواته كما يقولون مثل ما قال فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والامر
بالاستماع اليه والانصات له وذكر ايضا انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة
حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت لذلك ولان ربي كيف كانت القصص
وفيم كانت ثم ان كانت الآية في الصلاة فشهد دلالة النهي عن التلاوة خلف الامام
لانه امر بالاستماع اليه والانصات له وعلي ذلك جاءت الاخبار عن ابي العباس
قال كان النبي صلى الله عليه اذا صلى فترار اصحابه اجعون حلقه حتى نزل
واذا اقرار القرآن فاستمعوا له وانصتوا فسمكتوا وروي عن علي بن ابي حمزة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلوة الفجر الواقعة فزاحا رجل خلفه
فلما فرغ من الصلاة قال رسول الله من الذي نازعني في هذه فقال الرجل
انا يا رسول الله فانزل الله نقالي واذا اقرار القرآن فاستمعوا له وانصتوا
وعبر ذلك من الاخبار قال قوم ان الانصات الذي امر به المؤمن بمعناه
ان لا يخسر بقرآته ما ليس فيه نهي عن التلاوة علي سبيل المخافة في نفسه وبه
نقول ان المعتدي بقراءة في نفسه لاجرا والفارقي علي سبيل المخافة ليس

صامتا ومنصتا لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه اذ اكبر سكت بين التكبير والقراءة فقلت له يا ابي انت ارايت سكتا بين التكبير والقراءة اخبرني بما نقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وعبر ذلك من الدعوات سمع ابو هريرة النبي صاكا في حال ما يقتار على المخافة الدعوات ولم يذكر عليه رسول الله ذلك ان التاديل مجيب لكما نقول هذا مخالف للاجاديث الواردة في الباب روي ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة ظن انها الصبح فلما سلم اقبل على الناس وقال هل يقرأ منكم احد فقال رجل انا فقال عليه السلام ابي اقول مالي انا نزع القرآن قال ابو هريرة فانهى الناس عن القراءة فيها لم يهر فيه النبي وقد علمنا ان الموت لا يهر بقرآنه فبما قل متا قول من ادعى النبي ان لشغله عن القراءة بسبب الجهر فلا وجه لقوله مالي انا نزع القرآن الا ان الموت عن القراءة اصلا جهر امامه او خافت ولما روي عن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلواته قال اياكم قراء سبع اسم ربك الا على فقال بعض القوم انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم قل خبا لجنيتها فين عمران بن حصين ان الرجل خافت بقرآنه وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال كما نقرأ خلف رسول الله فقال عليه السلام خلطتم على القرآن فان قيل لعلمهم كانوا يجهرون بالقرآن فنهى عن الجهر قيل لم يبلغنا في شيء من الاخبار ان الموتين كانوا يقرأون جهرا ولو كانوا يقرأون جهرا لا ودي اليكما اودي انهم كانوا يقرأون والله ليل على صحة ما قلنا ما روي عن ابي وايل قال سالت ابن مسعود عن القراءة خلف الايام فقال انفت فان في الصلاة شغلا وسيكفيك ذلك الايام وعن عبد الله بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له ايام فقرأها الايام له قراءة وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى وخلفه رجل يقرأ فيها رجل من اصحاب رسول الله عن القراءة في الصلاة فتنازعوا فيه حتى ذكر للنبي فقال من صلى خلف امام يقرأه له قراءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فاذا قرأ الايام فافستوا وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الايام اياما ليوم به فاذا اكبر فكبروا واذا افتار فافستوا وروى عن جماعة من الصحابة

انهم قالوا لا قد آتت علي من خلف الايام منهم علي وابن مسعود وجابر وسعد وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم اما عن علي فقال من قراء خلف الايام فقد اخطأ الفطرة وعن عبد الله من قراء خلف الامام علي فقه ثابا وعن زيد من قراء خلف الامام فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرأ خلف الايام في فيه جمرة وعن ابن عمر كان اذا سئل هل يقرأ احد خلف الايام قال لا فاذا صلى احدكم وحده فليقرأ وكان بن عمر لا يقرأ خلف الايام وعن ابي سعيد انه سئل عن القراءة خلف الايام فقال كفيك ذلك الايام وعن ابن عباس ان رجلا ساله افترا خلف الايام قال لا ابي مثل هذه الاجاديث ذهب اصحابنا ونقلوا من قال بوجوب القراءة على المصلي بما روي عن عبادة ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة لمن لم يقرأ بام القرآن ولكن نقول بان الحديث عام مطلق يجب حمله على المصلي وحده ولا بالاجاديث المنتشرة في الباب وعلا بذلك الحديث وهكذا اقره سفيان الثوري ولا يترك مثل هذا الحديث الكتاب والاجاديث المسهورة المنصوصة في الباب واجماع الصحابة وانه اعلم قولهم تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالعقد والامثال ولا تكن من الغافلين اخلف اهل التأويل في الذكر الذي ذكر في الآية منهم من صرف التأويل الى كل ذكر ومنهم من صرف الى التلاوة فان كان ذكر العقد والامثال كناية عن الليل والنهار فهو امر بان يذكر الله في جميع احواله يذكره بنعمه واحسانه وذكره هو شكره وذكره بقدرته وسلطانه وذلك بحمله على الخضوع له والتواضع ويذكر امره ونهييه ووعدته ووعدته وذلك بوجوب الاقرار بالمقصير والخوف بعقوبته والرجية في وعده كما انه قال واذكر ربك في كل حال من الليل والنهار ايا شكر النعمة واحسانه واما الاقرار بالمقصير في امره ونهييه واما الخوف لو عيده والرجية لو عده ايا ذكر ربك متضرعا متواضعا خائفا راعيا وان كان العقد والامثال كناية عن العداة والعني فهو كناية عن التلاوة على ما سبق من ذكر التلاوة فمن قوله واذ انذار العداة فاستمعوا له وهو كونه ولا تجتهد بصلواتك ولا تخافت بها ايا ولا تجتهد بصلواتك في بعض

صَلُّوا نَك وَلَا تَخَافَتْ فِي بَعْضِهَا أَوْ أَنْ يَقَالَ لَا تَخْضَعُ جِهَرًا وَلَا تَخَافَتْ غَايَةً
الْمَخَافَةِ وَلَكِنْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَنْ يَقَالَ لَا تَسْتَعِظُ بِالْجَهْرِ وَلَا بِالْمَخَافَةِ وَلَكِنْ
أَقْدَارُهَا مِنْهُ فَقُلْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَإِذَا ذَكَرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً الْآيَةَ
وَقَدْ أَرَبَعْهُمْ وَخِيفَةً وَهُوَ مِنَ الْخُفَاءِ حَيْثُ قَالَ وَإِذَا ذَكَرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ فَأَمَّا
ظَاهِرُ الْقَوْلِ أَرَادَ بِهِ خِيفَةً وَهُوَ مِنَ الْخُوفِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَخَصَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ يَذْكُرَهُ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَأَنْتَ خَلْفَ الْأَيَّامِ لَتَنْعَ قَدَارَتُهُ وَأَمَّا
الْأَصْلُ قَالَ أَبُو عَوْنٍ هِيَ الْعَشِيَّاتُ الْوَاحِدُ أَصْلٌ وَأَصِيلٌ وَقَوْلُهُ وَلَا
تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ مَعْلُومٌ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ فِي حَالٍ
وَلَكِنْ هَذَا عَلَى النَّهْيِ لَا مَنِيَّةَ كَقَوْلِهِ فَلَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَمَتِّعِينَ وَقَوْلُهُ وَلَا يَكُونُ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ قَالَتِ الْمَسْئُومَةُ لَوْلَمْ يَكُنْ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ قَرَبٌ
الذَّاتِ لَكَأَنَّهُمْ وَالْبَشَرُ عِنْدَ رَبِّكَ سَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا مَعْنَى لِمُخْتَصِمِ الْمَلَائِكَةِ
بِذَلِكَ لَكِنْ التَّأْوِيلُ عِنْدَنَا إِي عِنْدَ رَبِّكَ لِلطَّاعَةِ أَوْ فِي الْكِرَامَةِ وَالْمَنْزِلَةِ
لَيْسَ عَلَى قُرْبِ الذَّاتِ وَلَكِنْ عَلَى بَيِّنَاتٍ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَقَوْلُهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ لِيَسْجُدُوا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتَرُونَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالطَّاعَةِ لَهُ وَالْخُضُوعِ فَقُلْ ذَلِكَ الْأَوَّلُ الْأَتَزِي أَنَّهُ قَالَ وَاسْجُدْ وَاقْرُبْ
لَيْسَ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَرْضِ لِقُرْبٍ مِنْهُ إِذَا سَجَدَ وَأَصْلُ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ مِنْ
جَزْأِيَّةِ الْأَشْيَاءِ مَخْرُجٌ مَخْرُجٌ لِعَظِيمِ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ كَقَوْلِهِ وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ
لِلَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الْقَاعُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَظِيمًا لَهَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمُ الْكَعْبَةُ بَيْتُ اللَّهِ عَلَى
ذَلِكَ الْأَوَّلِ أَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ أَمَّا لَطَائِفُهُمْ أَيْهَا وَالْخُضُوعُ وَأَمَّا الْكِرَامَةُ
لَهُمُ وَالْمَنْزِلَةُ وَأَضَافَهُ كَلِمَةَ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللَّهِ مَخْرُجٌ مَخْرُجٌ لِعَظِيمِ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ
الْأَلَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ وَقَوْلُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَوْلُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ اسْتَدَلَّ بِتَفْصِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ هَذِهِ الْآيَةُ لَكِنَّا نَقُولُ أَنَّ الْأَفْضَلَ
عِنْدَ اللَّهِ الْأَطْوَعُ لَهُ وَالْأَخْضَعُ وَالْأَتَقَى وَالْأَقْوَمُ لِأَمْرِهِ وَبِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقِيكُمْ لَا يَسِيرُ أَنْ هُوَ الْأَفْضَلُ مِنْ هُوَ لَا وَقَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ
فِيمَا نَقَدَّمْ وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فِي قَوْلِهِ أَنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

٧٩

عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَيْسَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلَهُ لِيَسْجُدَ وَنَ أَيُّهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَى الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرُوبِ وَأَنْوَاعِ الْحَاجَاتِ أَجْرِي وَأَوَّلِي
أَنْ لَا يَسْتَكْبِرُوا وَعَنْ عِبَادَتِهِ أَوْ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَانْتَمِ احْتِجَ أَنْ لَا يَسْتَكْبِرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ لِأَنَّ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ فَخَرَجَ هَذَا جَوَابَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَلَيْسَ يَسْتَكْبِرُونَ الشَّبِيحُ هُوَ وَصَفَ الرَّبَّ بِالرَّفْعَةِ وَالْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ وَالْعَالِي
عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ وَعَمَّا وَصَفَهُ الْمُخَدُّونَ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ جَمِيعِ مَعَانِي
الْخَلْقِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَهُ لِيَسْجُدَ وَنَ السَّجُودُ هُوَ الْخُضُوعُ فِي بَيِّنَاتٍ
الْكَامِلَةِ وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ وَجُوبُ السَّجْدَةِ عَلَى مَنْ تَلَاهَا أَوْ
سَمِعَهَا إِنَّمَا فِيهَا الْإِخْبَارُ عَنْ السَّاجِدِينَ أَنَّهُمْ سَجَدُوا وَعَنِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَنَ
ذَلِكَ تَرْغِيبٌ فِي السَّجُودِ إِلَّا أَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ
مِنْ مَعَهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا
السُّورَةَ الَّتِي فِيهَا السَّجْدَةُ فَيَسْجُدُ وَلَسَجَدُ حَتَّى مَا سَجَدَ أَحَدٌ نَامَوْصًا لِيَسْجُدَ
فِيهِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي صَلَاةٍ
وَفِي بَعْضِ الْإِخْبَارِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ فَيَسْجُدُ وَلَسَجَدُ مَعَهُ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ سُورَةَ وَالنَّجْمِ فَسَجَدَ فِيهَا وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ
أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ إِلَّا شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ أَخَذَ كَفًّا مِنْ جَعْفَرٍ فَرَفَعَ إِلَى جَبْهَتِهِ فَلَقَدْ
رَأَيْتُهُ فَمَثَلَ كَأَنَّهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ذَكَرَ سَجُودَ الْقُرْآنِ
أَوْعَدَ فَقَالَ الْأَعْرَافُ وَالرَّعْدُ وَالنُّجُومُ وَبَنِي إِسْرَآئِيلَ وَمَرْيَمُ وَالْحُجَّجُ وَتَحِيَّةُ
وَاحِدَةٍ وَالْفَرَاقَانُ وَطُسُ وَالْمَرْصُ وَحَمْرُ قَالَ وَلَيْسَ فِي الْمَفْصَلِ
سَجُودٌ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَكُونُ
فِي أَحَدِهَا السَّجْدَةُ نَحْوُ الْأَعْرَافِ وَالنَّجْمِ أَنْ شِئْتَ فَاسْجُدْ ثُمَّ قُمْ فَتَقْرَأُ وَإِنْ
شِئْتَ فَارْكَعْ بِهَا وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لِيَسْجُدَ فِي الْأَعْرَافِ
وَبَنِي إِسْرَآئِيلَ وَالنَّجْمِ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَقْدَارُ بِأَسْمِ رَبِّكَ وَاجْتَمَعَ بَعْضُ
مَشَائِخِنَا عَلَى أَنَّ السَّجُودَ عَلَى مَنْ تَلَى آيَةَ السَّجْدَةِ وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ
أَنَّ الْمُصَلِّيَ إِذَا تَلَى آيَةَ فِيهَا سَجْدَةٌ أَنْ لِيَسْجُدَ فِي صَلَاتِهِ وَلَوْ كَانَ السَّجُودُ تَطَوُّعًا

مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَيْسَ مِنْهَا فَذَلِكَ عَلَى أَنْ السُّجُودَ وَاجِبٌ
فِي الصَّلَاةِ وَإِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ وَاجِبًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاجِبٌ وَمِنْ الْحُجَّةِ لَنَا
إيضًا مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ آيَاتٍ فَجَدَّ فِيهَا فَكَانَتْ
السُّجُودَ بِهَا وَاجِبًا كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى صَلَاةَ الْعِيدَيْنِ كَانَتْ وَاجِبَةً إِذْ
مُؤَاطَبَتُهُ عَلَى الشَّيْءِ دَلِيلُ الْوُجُوبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَوْلُهُ تَعَالَى يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
اختلف في الأنفال قال بعضهم الأنفال هي المغنمات التي يغنمها المسلمون
مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَقَالَ بَعْضُهُم الْأَنْفَالُ هِيَ الْفُضُولُ عَنْ حَقِّ أَصْحَابِ
الْفَتَايِمِ فَإِنَّ الْفُضُولَ مَا خُذَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَمِنْهُ التَّغْيِيلُ وَهُوَ عَطَاءُ شَيْءٍ زَائِدٍ
عَلَى أَصْلِ السَّهْمِ لِزِيَادَةِ غَنَائِهِ فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنَ الْأَنْفَالِ الْفَتَايِمُ فَالسُّوَالُ
يَحْتَمِلُ وَجُوهًا كَحَقِّ الْفُضُولِ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُ الْقِسْمَةُ بَيْنَهُمْ أَحَدُهَا السُّوَالُ
عَنْ حِلِّ الْفَتَايِمِ وَحَرَمَتِهَا إِيَّيْهَا يُسْأَلُونَكَ عَنْ حِلِّ الْفَتَايِمِ وَحَرَمَتِهَا لِأَنَّ الْفَتَايِمَ
كَانَتْ لَا يَحْتَمِلُ فِيهَا الْإِبْتِدَاءُ لَمَّا قِيلَ إِنَّ الْمَتَقَدِّمَةَ كَانُوا يَغْنَمُونَهَا وَيَجْعَلُونَهَا فِي مَوْضِعٍ
فِيهِ نَارٌ فَخَرَقَهَا فَنَافَسُوا عَنْ حِلِّهَا وَحَرَمَتِهَا فَنَزَلَتْ يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ
قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِيَّيْهَا قُلِ الْحِكْمُ فِي الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ يَجْلِسُ الْمُنَاسِبَاتُ
وَالْحُجُومَاتُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَكَحْتَمِلِ السُّوَالِ عَنْهَا عَنْ قِسْمَتِهَا عَلَى مَا رَوَى فِي بَعْضِ
الْقِصَةِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَتْ سَأَلْتُ عِبَادَةَ الصَّامِتِ عَنِ الْأَنْفَالِ
فَقَالَ فِينَا أَصْحَابُ يَدٍ نَزَلَتْ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ لَقِيَ النَّاسَ
بِئَرْ نَقْلِ كُلِّ امْرَأَةٍ أَصَابَ وَكَانَ اثْنَا ثَلَاثَ فَيَحْوِي الْعَدُوَّ يَتَيَّقُونَ وَيَأْسُونَ
وَتَلْتَجِعُونَ النُّفْلَ وَتَلْتَقِيَامُ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ بِحُرُوسٍ وَرَسُولِ اللَّهِ وَكَوْنُونَ
رِدَائِهِمْ كَحُكْمِ كَرِّ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَضَعَتْ الْحَرْبُ قَالِ الَّذِينَ أَصَابُوا النُّفْلَ
هُوَ لَنَا قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ كُلَّ امْرَأَةٍ أَصَابَ وَقَالَ الَّذِينَ
كَانُوا يَتَيَّقُونَ نَحْنُ أَحَقُّ بِهَا فَأَنَّا وَلِينَا الْقِتَالُ وَشَغَلْنَا الْعَدُوَّ عَنْكُمْ وَحَلَيْنَا
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النُّفْلِ وَقَالَ الَّذِينَ أَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا

كَمَا خَشِينَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كَرَّ الْعَدُوِّ فَقَعْنَا دُونَهُ حُرُوسًا لَهُ وَرَدَّاهُ لَكُمْ فَلَمَّا
اختلفنا وَسَّاتِ اخْتَلَفْنَا انْتَزَعَهُ تَعَالَى مِنْ أَيْدِينَا فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِهِ فَقَسَمَهُ
عَلَى النَّاسِ عَنْ بَوَائِي عَلَى السُّوَالِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ
قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَحْتَمِلُ يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ
إِيَّاهُ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قَالَتْ مُجَاهِدٌ وَعُكْرَمَةُ
كَانَتْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَتَسْبِيحُهَا قَوْلُهُ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَتْ فِي قَوْلِهِ يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ الْأَنْفَالُ هِيَ الْفَتَايِمُ الَّتِي كَانَتْ
لِلرَّسُولِ وَاللَّهُ خَالِصَةٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا شَيْءٌ مَا أَصَابَ سِرًّا أَوْ يَأْتِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ
شَيْءٍ إِتَوَّاهُ إِلَيْهِ فَمَنْ حَبَسَ مِنْهُ ابْرَةً أَوْ حَيْضًا فَهُوَ قَوْلُ وَكَانَ يُعْطَى مِنْ
يُشَارُ وَكَانُوا يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ إِيَّاهُ يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ عَلَى اسْقَاطِ حُرُوفٍ
عَنْ وَكَانُوا يُسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الْأَنْفَالِ شَيْئًا فَنَزَلَتْ قَوْلُهُ
يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَإِنْ كَانَ الْأَنْفَالُ هِيَ
فُضُولُ الْمَغَنِمَاتِ عَلَى مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فَهُوَ عَلَى مَا رَوَى فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ
أَخَذَ كَبَّةً وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْهَا لِي أَخَذَ الْآخَرُ سَيْفًا وَقَالَتْ
اجْعَلْهُ لِي وَكَوْنُ ذَلِكَ كَانُوا يُسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ فَنَزَلَتْ قَوْلُهُ يُسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَكَانُوا يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ
عَنْ التَّمْثِيلِ وَهُوَ أَنْ يُنْفِلَ الرَّسُولُ بَعْدَ مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ أَوْ بَعْدَ مَا انْهَزَمَ الْكُفَّارُ
وَأَدْبَرَ الْعَدُوَّ عَلَى مَا رَوَى عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَتْ نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ
بِرَبِّهِ أَنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصْبَحْتُ سَيْفًا فَأَنْبَتَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ نَقْلِيهِ
فَقَالَ صَنَعَهُ ثُمَّ قَامَ فَقُلْتُ يَا بَنِي اللَّهِ نَقْلِيهِ اجْعَلْ كُنْ لَا عَمَلَ لَهُ فَقَالَتْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَيْثُ أَخَذَتْهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يُسْأَلُونَكَ عَنِ
الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ثُمَّ قَالَتْ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَبْ فَخِذْ سَيْفَكَ فَمَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَهْوُونَ عَنْ طَلَبِ
التَّغْيِيلِ مِنَ النَّبِيِّ بَعْدَ حَصُولِ الْقِسْمَةِ فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنَّ النَّبِيَّ أَطْلَقَ بِالتَّصَرُّفِ
فِي الْفَتَايِمِ ثُمَّ كَيْفَ شَاءَ لِأَحَقِّ لِلغَيْرِ فِيهَا حَتَّى قَالَتْ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ بَعْدَ نَزُولِ
الْآيَةِ إِذَا هَبْ فَخِذْ سَيْفَكَ إِيَّاهُ أَنْ اسْتَقْدَمُوا الْفَتَايِمَ فِي أَنْ يَقْسِمَ عَلَى خُمُسَةِ اسْمِ

يجعل اربعة الاخيار بين اهل الغنمة والخمس بين الاصناف الذين صرفه
اليهم على ما نذكر وينقل قبل الاحواز والوقوع في ايديهم بخريصا
المقاتلة لا بعد الحصول في ايديهم وكذلك روي عن عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه قال التنفيل في حال ما لم يلق الزحفان او الصفات
فاذا التقيا فهو مغنم وقد ورد الاحاديث مقدرة للآية روي عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان الغنمة لم تحل لاحد قبلنا وجلت لنا وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه لم تحل الغنمة لقوم سود الرؤس قبلكم
كانت تنزل نارا من السماء فتاكلها فلما كان يوم بدر اسرع الناس في الغنائم
فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمستكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وعن ابي ذر قال خرجت في طلب رسول الله صلى الله
عليه فوجدته يصلي فانظرته حتى صلى فقال او تبت الليلة حننا فيها
واحلت لي الغنائم ولم تكن لاحد قبلي وغير ذلك من الاحاديث والله اعلم
قوله تعالى فانقوا الله قيل انقوا الله في اخذ الانفال ولكن ينبغي
ان يحوي على اطلاقه في الانفال وغيرها اي انقوا معصية الله ومخالفته
في اموره ونهي قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين
وهو ان يكونوا مجتمعين على كلمة واحدة لما ذكر من عظيم منته ونفع التي انهما
عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكر وانفة الله عليكم
اذ كنتم اعداء قالت بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء
قالت بين قلوبهم وذلك من عظيم نفع عليهم فامرهم باصلاح ذات البين ليكونوا
على النعمة التي انعم الله عليهم مجتمعين غير متفرقين قوله تعالى واطيعوا الله
ورسوله اي اطيعوا الله في اموره ونهي واطيعوا الله ورسوله في ادا به وسنته
ان كنتم مومنين وحتم اطيعوا الله فيما دعاهم اليه ورجعكم اليه واطيعوا رسوله
فيما بينكم ان كنتم مومنين اي مصدقين به والله اعلم قوله تعالى انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم تغلبت المعتزلة بهذه الآية على ان حرد
التصديق او التصديق مع الاقرار ليس بايمان ما لم ينضم الي ذلك هذه
الاعمال حيث فسر المومنين بالذين فعلوا هذه الافعال لكننا نقول
ان الآية تخرج على وجه تختم ما ذكرتم ويحتمل وجوها اخر ايضا فانه يحتمل

اي انما المومنون ينبغي ان يكونوا على ما ذكر من الاوصاف وياتي الجميع ما
ذكر من الافعال وبه نقول فان هذه الافعال من شر آي الايمان
ومواجبه لا انه ينعدم وصف الايمان بترك هذه الافعال ويحتمل اي انما
المومنون المختارون الذين لهم درجات عند ربهم ومغفرة على الاطلاق ١٨٤
هم الذين وصفهم بما ذكر من الافعال فاما الذي عوي عن هذه الاوصاف
او عن بعضها فهو مؤمن حقيقه ويرجي له الدرجات والمغفرة بسبب شفاعته
الاحياء اما لم يدخل تحت الوعد المطلق بدون ان يعذب بقدر ذنوبه
ثم عاقبته الجنة ويحتمل انما المومنون الذين ظهر صدقهم عندكم هم الذين
اتوا بهذه الافعال من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما
كان عليه واقامة الصلاة والتوكل على الله في جميع اموره ليس كالمنافقين الذين
كانوا مترابين في ايمانهم كما وصفهم في آية اخرى حيث قال واذ اقاموا
الي الصلاة قواما كسالي وكانوا اذا انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون
الله الا قليلا مرآة للناس فاما المومنون الذين يظهر صدقهم عندكم هم الذين
يقومون بوقا ذلك كله وهو كما وصفهم في آية اخرى انما المومنون الذين آمنوا
ورسوله لم يربنا بؤا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون جعل ما ذكر من الافعال علما بين الصادق في الايمان وبين
المنافق في حق العباد ليعرفوا المعاملة معهم فاما حقيقه الايمان بعلمه
الله وهو حقيقه التصديق ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس
العمل كانه قال انما المومنون الذين اعتقدوا ما ذكر من وجل القلب والخشية
عند ارتكاب المعصية والمقصير عن القيام بما عليه اذا ترك المومن من المقاصي
انما يترك عن جهالة ثم يتوب عن ذنبه كقوله انما التوبة على الله لذنن يعلون
السنور بجهالة ثم يتوبون عن ذنب يتركب ذلك اما الغلبة سهوة او اعتقاد
التوبة من بعد او رجاء رحمة الله وفصله في العفو عن ذنب فكان المراد من
قوله انما المومنون الذين اعتقدوا ما ذكر الله من الافعال وهو كقوله فان
تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم هو على الاعتقاد والقبول له
لانهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا بحلي سبيلهم وان لم يقيموا الصلاة وما ذكره فاعلى
ذلك الاول يحتمل ذلك واذا ثبت احتمال الآية الوجه التي ذكرنا لا يجب

صَرَفَ الْآيَةَ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالُوا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ أَنْفَاجُونَ
الْعُتْرُونَ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالُوا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى لَأَنَ الْأُمَّةِ أَجْمَعَتِ أَنْ مِنْ أَمِنْ
بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ بِلِسَانِهِ كَانَ مُؤْمِنًا وَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَنْفَعَالِ الْقِيَامُ ذَكَرَ خُجْرَانِ
يُؤْمِنُ ثُمَّ يَحْتَمِلُ مِنْ سَاعَتِهِ مَا تُمْسِكُ مُؤْمِنًا فَنَدَى أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَنْفَعَالِ لَمْ يَخْرُجْ
عَلَى الشَّرْطِ وَلَكِنْ عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ الْقِيَامُ ذَكَرْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَقَالِي وَإِذَا
تَلَيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ نَادَيْتُمْ أَيُّهَا نَحْنُ لِحُكْمِ آيَاتِهِ حُجْجُهُ وَبِرَاهِينِهِ إِذَا تَلَيْتُ عَلَيْهِمْ
ذَلِكَ يَنْزِلُ دَلِيلُهُمْ ثَبَاتًا وَقُوَّةٌ عَلَى مَا يَكُونُ أَفَانًا الْمُنَافِقُونَ فَإِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ
كَانَتْ تَزِيدُهُمْ بَعْدَ أَوْ رَجَعَتْ كَمَا ذَكَرْنَا فِي آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَحُكْمُهُ أَنَّهُ
ذَكَرَ الْإِيزَادَةَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ حُكْمُ الْحُدُودِ وَالْحُدُودُ فِي كُلِّ وَهَيْتٍ وَكُلِّ سَاعَةٍ
فَإِذَا كَانَ لَهُ حُكْمُ الْحُدُودِ وَالْحُدُودُ يَزِيدُ عَلَى مَا كَانَ فَإِنْ شِئْتَ سَمَّيْتُهَا
زِيَادَةً وَإِنْ شِئْتَ ثَبَاتًا وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرِيدُ الْإِيمَانَ بِالْفَسَادِ
عَلَى الْإِيمَانَ بِالْجَمَلَةِ فَإِنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ
وَإِنْ لَمْ يَخْلُقْ وَالْأَمْرُ فَإِذَا فَتَرَهُ الْإِنْبِيَاءُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِالْإِيمَانِ وَالنَّسَبِ
وَفَتَرَهُ الْكُتُبَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَكَذَلِكَ فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
أَنْزَادَ الْإِيمَانَ وَالنَّصْدِيقَ عَلَى الْإِيمَانَ جَمْلَةً مِنْ حَيْثُ مَعْرِفَةُ الْأَوْصَانِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَقَالِي وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ أَيْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
لَا عَلَى غَيْرِهِ لَيْسَ كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى النَّعْمِ الَّتِي آتَتْهُمْ وَأَعْطَتْهُمْ أَقْوَالَهُ وَمِنْ
النَّارِ مَنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ عَلَى حُرُوفِ الْآيَةِ وَخَوَذَ لَكَ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ فِي جَمِيعِ أَوَالِهِ
يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَمِنْهُ يَخَافُ وَمِنْهُ يَرْجُو لِمَا يَحْتَفِظُ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ
وَالنَّعْمَةِ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ فَمَا هُوَ الْحَقِيقَةُ مِنَ اللَّهِ تَقَالِي قَوْلُهُ تَقَالِي الَّذِينَ
يَقْتُمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمْرُؤْنَ زُنَاهُمْ يَنْفَقُونَ حَقَّ اللَّهِ الَّذِي عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَقَالِي
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا حَتَّمْتُ وَحَمَلْتُ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ حَقَّقُوا
إِيمَانَهُمْ وَحَتَّمُوا أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَعَدَهُمْ وَعَدَّ أَحْقَا وَهُوَ مَا وَعَدَهُمْ
مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ بِقَوْلِهِ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قِيلَ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ أَيْ فَضَائِلٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ أَيْ لِسْتِغْفَرَهُمْ ذُنُوبَهُمْ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
فِي أَجْنَحَتِهِ حَتَّى يُنْسِبَهَا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ ذَكَرَهَا سَعَصَعَ عَلَيْهِمُ النَّعْمُ الَّتِي آتَتْهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَقَالِي وَرَزَقَ كَرِيمًا قَالَ أَحْسَنُ أَيْ رَزَقَ تَكْرِمًا أَهْلَهُ بِهِ وَقَوْلُهُ تَقَالِي

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ لَمْ يَخْرُجْ هَذَا الْخُرُوجُ حَوَابِ فِي الظَّاهِرِ لَأَنَ
جَوَابَهُ أَنْ يَقُولَ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ لَمْ يَخْرُجْ كَمَا أَهْلُ التَّوَابِلِ
اختلفوا فِي جَوَابِهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ هُوَ صِلَةُ قَوْلِهِ لَيْسَ لَوْ نَكَ عَنْ الْأَنْفَعَالِ
لَقَوْلُ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَارِهِونَ
بِحَادِ لَوْ نَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ كَذَلِكَ بِحَادِ لَوْ نَكَ فِي قِسْمَةِ الْأَنْفَعَالِ
وَلَيْسَ لَوْ نَكَ عَنْهَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ جَوَابُهُ فِي أَمْرِهِ بِالْفِتَالِ أَيْ كَمَا أَخْرَجَكَ
رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَهُمْ كَارِهِونَ لِلْخُرُوجِ فَكَذَلِكَ يَأْمُرُ بِالْفِتَالِ مَعَ
الْكُفْرِ وَهُمْ كَارِهِونَ لَذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ جَوَابُهُ فِي قَوْلِهِ إِذْ يُنْفِثُكُمْ
النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ الْآيَةُ يَقُولُ
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاحْتَمَى اللَّهُ تَقَالِي فِي الْخُرُوجِ لِلْفِتَالِ عَلَى
غَيْرِ تَدْبِيرٍ مِنْكُمْ وَلَا نَظَرَ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ حَسْبُكَ فِي النَّعَاسِ أَمْنَةً مِنْهُمْ
وَأَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ لِيُطَهِّرَ بِهِ وَتَبَيَّنَ الْأَقْدَامُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكُمْ وَلَا
تَدْبِيرٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ غَيْرِ مَتَاهِبِينَ لِلْفِتَالِ
وَلَا مُسْتَعِدِّينَ لَهُ كَذَلِكَ لَيْدُكُمْ اللَّهُ الظُّفَرُ وَالنَّصْرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَارِهِونَ
أَيْ وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَجَابُوا لَذَلِكَ وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ فِي الْخُرُوجِ
مِنْ سِدَّةِ الْخُوفِ كَمَا نَافَسُوا قَوْلَ أَيْ لِمَوْتٍ فَاجَابَ اللَّهُ لَهُمُ بِالنَّصْرِ وَالظُّفَرِ
وَأَمْنُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْخُوفِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ حَتَّمْتُ وَجُوهًا
حَتَّمْتُ بِالْحَقِّ الَّذِي لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْخُرُوجِ لِلْفِتَالِ وَحَتَّمْتُ بِالْحَقِّ بِالْوَعْدِ
الَّذِي وَعَدَ لَهُمُ وَالنَّصْرَ وَالظُّفَرُ وَقِيلَ بِالْحَقِّ الْقُرْآنُ لَكِنْ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ
بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْفِتَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَقَالِي
وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَارِهِونَ حَتَّمْتُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا حَتَّمْتُ وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ دُونَ الْبَاطِنِ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ أَذْكَرُ هُوَ الْخُرُوجُ لِلْفِتَالِ
وَحَتَّمْتُ إِنْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ لَكِنْ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ كَرِهُوا الْخُرُوجَ
لِلْفِتَالِ كَرَاهَةَ الطَّبَعِ لَا كَرَاهَةَ الْإِخْتِيَارِ لِمَا أَمَرَ وَابِاخْرُوجِ لِلْفِتَالِ وَهُمْ غَيْرُ مَتَاهِبِينَ
لَهُ وَلَا مُسْتَعِدِّينَ فَكَرِهَتْ أَنْفُسُهُمْ ذَلِكَ كَرَاهَةَ الطَّبَعِ لِفَقْدَانِهِمْ أَسْبَابَ الْفِتَالِ
لَأَنَّهُمْ كَرِهُوا أَمْرَ اللَّهِ كَرَاهَةَ الْإِخْتِيَارِ وَبِاللَّهِ التَّوَكُّلُ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ

علي ان الامر قد يكون في الشيء وان لم يعلم وقت الامر فبماذا يومر وينهل ليل
حيوان تاجير البيان لانهم امروا بالحزج للقتال وهم لم يعلموا وقت الخروج
بماذا يومرون ثم علموا بعد ذلك قوله تعالى تجادلونك في الحق تقتل
في القتال لمحتد في الحق اي في الوعد الذي وعدكم وهو النصر والظفر
قوله تعالى بعد ما تبين محتمل بعد ما تبين لهم الامر بالقتال ومحتمل
بعد ما تبين لهم الوعد بالنصر والظفر قوله تعالى كما نأيسقون الي الموت
وهم ينظرون فان كانت الآية في المنافقين فظاهر فان المنافقين كذا لك
وصموا بالكلية جميع الخيرات والطاعات قال الله تعالى واذا قاموا
الي الصلاة قاموا كسالى يراون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان
كانت الآية في المؤمنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا غير مستعدين
للقتال ولا متاهبين له كانوا اكارهين لذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار
والله اعلم قوله تعالى واذهدكم الله احدي الطائفتين انها لكم الآية
ذكر في بعض القصة ان غير قریش حين افلتت من الشام خرج اصحاب
رسول الله نحوهم علي ما خرج الي العير غير متاهبين للحرب وخرجت قریش
من مكة نعت غيرها هي الطائفة الاخرى وعد الله تعالى لهم ان احدي
الطائفتين لهم اما العير واما العسكر اي انهم ينصرون عليهم فهو يودون
ان يكون لهم غيرات الشوكة وهي التي ليس فيها حرب وهي العير اذ هم
اهون شوكة واعظم غنينة كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وتودون ان
غيرات الشوكة وهي التي ليس فيها حرب وهي العير اذ هم لكم وانما كانوا
يودون ذلك لما كانوا غير مستعدين للقتال والحرب وكان بهم ضعف
وفي اوليك قوة ومنعة والله اعلم قوله تعالى ويريد الله ان يحق
الحق بكلامه محتمل اي يريد ان يظهر الحق بانه منه وهي الهزيمة علي الطائفة
التي لها شوكة عظيمة لقتال طائفة لا شوكة لها وليس عندهم اسباب الحرب
وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم آية في فتيتي التقيائية فقتل في سبيل الله
واخري كاذبة يدرونهم مثليهم راي العين اخبر ان في غلبة هؤلاء اولك مع
ضعف ابدانهم وقلة عددهم وقصور اسباب الحرب من السلاح والكرام والعدة
وعيب ذلك وقوة ابدان اوليك وكثرة عددهم وتام عدتهم وبما هم واستعدادهم

للحرب انه عظيمة فاراد الله تعالى ان يظهر الحق بالآية فاجا العير وامرهم
بالقتال مع العسكر الذين لهم شوكة وقوة ليغلبهم علي اوليك فيعلم كل منهم ان
ذلك انما كان بالله لا بهم وذلك قوله فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمي اخبر ان ذلك بالله لا بهم ومحتمل قوله ان الحق الحق
بكلامه بالوعد الذي وعد رسول الله بمكة بالنصر والظفر لم فاراد ان يظهر
ذلك وحقيقته ومحتمل بكلامه بعلمه وامره ومحتمل اي يوجب ويظهر محتمل
وبراهينه ومحتمل كماله البشائر التي لبسوها المؤمنين بالنصر والعز
لهم وسائر العداات التي كانت منهم اياهم والله اعلم ومحتمل بكلامه اي بلاكيتهم
الذين بعثهم مدد لهم يوم بدر علي ما ذكرنا فاضافهم الي نفسه تعظيما واجلالا
لهم علي ما سمى عيسى روح الله وكلمته وموسى كلم الله تعظيما واجلالا لهم
فعلي ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى ونقطع ذابرا الكافرين محتمل
ويقطع اثارا الكافرين يقتلون جمعا وسقاصلون حتي لا يبقى لهم اثر ومحتمل
ويقطع ما اذبرهم حتي لا نأيتهم مدد وقوله ان ليحق الحق محتمل اي ليظهر
الحق ويوجب يقال حق كذا اي وجب ومحتمل ليظهر حق الحق ويظهر
بطلان الباطل ومحتمل ليحق الحق اي يحق الحق ويذهب الباطل كقوله
جاء الحق وذهب الباطل اي ذهب فعلي هذا يحق الحق ويذهب الباطل
ولو كره المجرمون قوله تعالى اذ يستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اي يمدكم باليت من الملائكة مردفين اختلف في قوله اذ يستغيثون ربكم
فاستجاب لكم الآية قال بعضهم موصلة قوله ولقد نصركم الله بيدروا انتم
اذ لنا في الآية بيان الامتنان عليهم بالاعانة والامداد من الملائكة يوم بدر
والاشكال انه ذكرهنا باليت من الملائكة مردفين وذكر في آية بثلاثة الاف
من الملائكة منزلين وذكر في آية خمسة الاف من الملائكة مسومين فكيف يكون
هذا فيقال والله اعلم محتمل ان يكون الملائكة يوم بدر خمسة الاف كما ذكر
خمسة الاف من الملائكة منزلين وذكر في هذه الآية باليت من الملائكة مردفين
وهي العان فيكون خمسة الاف لكن ذكر علي سبيل التكرار ومنهم من يقول ان
قوله بثلاثة الاف من الملائكة منزلين كان في حرف احد اذ ذكرنا ان قصة
احد فان كان كما ذكرنا فمحتمل ان يكون يوم بدر ازل خمسة الاف مسومين

مع الغلابة ثم انزل الفأمر ديني والارداة التنازع اي الفاتحة بغير المشركين
ببد ربي حال ما انهزموا واتبهم اهل بدر وجوز ان الارداة الامداف يكون
المراد انه انزل الفين من الملائكة بعد ما انزل خمسة الاف مسومين ويحتمل
ان يكون المراد بهذا كله يوم بدر في احوال مختلفة خمسة الاف معطين في
حال وثلثة الاف في حبال الفأوا الفين على اختلاف تاويل الارداة
في حال فكون مستقيماً وليس فيه تناقض والله اعلم ثم فآيدة ما ذكر
من مدد الف ملك وثلثة الاف وخمسة الاف طابينه قلوب اوليك المؤمنين
لما انه عبارة عن الكثرة وطابينة القلب بالمدد الكثير ابلغ والافني الملك
الواحد كفاية وان كثر اوليك لكل قوة الملك لا سيما اذا كان هو يراهم
ولا يرونه والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ يستغيثون
ربكم فاستجاب لكم هو رسول الله وان ذكر بلفظة الجماعة وذلك ان النبي
صلي الله عليه وآله اكثره المسركين بعد علم انه لا قوة لهم معهم الا بالله تعالى
فدعاه ربه ولصنعه اليه ولكن عندنا هذا خطاب لرسول الله مع المؤمنين
الا ترى انه قال اذ تقول للمؤمنين الزكفكم ان يذكركم ربكم الا به والله اعلم
بذلك وليس لنا في معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه البشارة لهم بالنصر
والطابينة قلوبهم وابناء ان حقيقه النصر انما تكون بالله لا باحد سواه
وذلك قوله وما النصر الا من عند الله ان الله عن يركم عن يركم لا يذلة
احد ولا يعجزه حكيم في امره وفيه لا يامر بشئ ولا ينهى عن شئ الا وفيه
حكمة فان قيل في قوله اذ يستغيثون ربكم الآية وقوله كما نأيسقون
الي الموت وهم ينظرون دلالة انهم خافوا كل خوف حتى وضعهم مدة الخوف
كما نأيسقون الي الموت وكيف خافوا كل هذا الخوف وقد وعد لهم النصر
والظفر بقوله واذ بعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم وكيف استغاثوا
ربكم ذلك وقد سبق منهم الوعد بالنصر والظفر فقتل عن هذا من جهين
احدهما ان يحتمل ان يصرف الآية وهي قوله كما نأيسقون الي الموت
ونحوه الي المنافقين ومتى صرفت اليهم لم يلزم السؤال فان المنافقين
على شك من الوعد بالظفر فلذلك خافوا والثاني يحتمل ان يكون في المؤمنين
وخوفهم مع وعد النصر والظفر يحتمل وجوهاً واحداً يحتمل ان يكون الوعد

بالنصر والظفر للمؤمنين انما بين لرسوله ولم يبين لهم فالتق في قلوبهم الرعب
والخوف من العدو وكثرتهم وشوكتهم وقلة هولا وضعفهم على ما هو مقتضى
الطباع والله اعلم ويحتمل ان الله تعالى بين للمؤمنين الوعد بالنصر والظفر
وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم انه في اي وقت يكون الا ترى انهم
امروا بالخروج ولا يدرون الي ما ذا يومرون فخافوا الاحتمال ان وقت
الظفر والنصر متاخر ومثل هذا الا باس به ويحتمل ان وعد النصر
قد بلغهم وعلموا بميعاد النصر وان لهم الظفر في هذا الحرب على الكفرة غير
انهم خافوا ذلك وكرهوا القتال خوفاً من الطبع وكراهة النفس لا كراهة
الاختيار وجأيز وجود الخوف طبقاً من القتال مع اليقين بالنصر والظفر
ويحتمل ذلك بالدليل سمياً وعقلاً ويحتمل ان يكون الوعد بالنصر والظفر
لهم معلقاً بشرط التصريح اليه والاستغاث منه على ما يكون في الدعاء
ان يكون المغفرة معلقة بالاستغفار والدعاء وتوحد المغفرة عند الدعاء
وتكون الدعاء لا محالة وعلى ما يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمقاصير يتركها
وسعادة آخر ودخوله الجنة بخيرات يات بها فيصير من اهلها وتكون
منزلة الاشباب بهذا كذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الخوف لهم
من القتال والخروج الي الجهاد محتمل تخشعهم بها من الله وان علموا بوعد النصر
ليكون لهم الثواب بمقابلة الخوف مع حصول النصر والظفر بالوعد كقوله ولنبلوكم
بشئ من الخوف الآية والله اعلم قوله تعالى اذ نعشكم الناس امنه بينه
ذكر الناس بعد شدة خوفهم والناس لا يكون من استد به الخوف ولا
لعمشاء الا بعد الامن فكون في هذا ذكر منته ولطفه باعطاء الامن لهم بعد ما
كان من حالهم ما ذكر حيث قال كما نأيسقون الي الموت وهم ينظرون قوله
تعالى ونزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا
فاخر والماء بقي المسلمون في رمل لا سمت اقدامهم عطشاً فوسوس اليهم الشيطان
انهم لو كانوا على حق ما بلوا مثل ذلك في رمل لا سمت اقدامهم عطشاً فبادل الله
تعالى لهم مكان الخوف امنا يامنون به وانزل عليهم من السماء ماء ليطهركم به وليبين
وسدد به الرمل ليثبت اقدامهم فذلك قوله اذ نعشكم الناس امنه بينه
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان

ورسوله ثم قوله شاقوا الله قيل اي حاربوا الله ورسوله وقيل خالفوا الله ورسوله
وحقيقته المشافهة المخالفة قد تكون بالمجاربة وقد تكون بمخالفة
الامور التي قول الله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب له في الاخرة قوله تعالى ذلكم فذوقوا اي ذوقوا ذلك العذاب
والعقاب قوله تعالى وان للكافرين عذاب النار ابي بالخلاف لله ورسوله
والمجاربة معها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا القيم الذين كفروا زحفا
فلا تقولوا لا بارئنا ان اول الامر بالقتال وصرفه كان لبذل النفس
وتسليمها للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف الجماعة والعهد الذي لا يحد
وليس للجماعة ومع ذلك امر بالقتال مع الزحف والهي عن الفرار دل ان
فرض القتال في الابتداء كان لبذل النفس في القتل وعلي ذلك يخرج قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلب ياتين وليس لوسع الواحد القيام للعشرة
اذا احاطوا به على سبيل الغالب ويجوز ان يفرض بدل النفس للقتال
كما قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم واخرجوا من دياركم
ما فعلوه الا قليلا منهم اخبرانه لو امر به لم يفعل الا القليل منهم فجاز
الامر بذلك ابتلاء وامتحان ثابته لم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كما يمشقون
الي الموت هو على التحقيق اذ الي ذلك يشاققون ثم صار منسوخا حقيقا
وجان الفرار للواحد من السلافة فصاعدا بقوله الان خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا الآية وحتم وجه آخر وهو ان الله تعالى انما امر بذلك
ليكون ذلك القتال معجزة وآية لرسالة النبي ليعرف كل انه انما قام ذلك
القتال بالله تعالى لا بقوة انفسهم اذ ليس بين وسع احد على سبيل العادة
القيام للعشرة او الجماعة كثرة بقوته اذا احاطوا به فيكون ذلك على بعض
العادة وهو تفسير الآية والمعجزة والله اعلم قوله تعالى ومن يوم يومئذ
دبر الامم خروا للقتال او متحيزا الي فئة فقد باربعين من الله فيه النبي عن
الانزاع والتولي عن العدو والا ان يكون على الوصف الذي ذكر وهو المتحيز
للقتال والمتحيز الي فئة قيل المتحيز للقتال هو المستقل من مكان الى مكان
للحرب على ما هو ذات اهل الحرب من الحداق والمكيدة والمتحيز الي فئة
هو المتحيز الي فئة على جهة العود اليهم للحرب يقال تجوزت وتحيزت بالواو والياء

حقيقا اذ توجه نحو الحرب وقوله فقد باربعين من الله وماوية جهنم وليس
المصير ذليل تاكدا النبي وان المراد منه التحريم لان العقاب لا يوعده
الا على المحرم ثم الآية لمحتل وجهين احدهما ان يكون الاستثناء من قوله
فقد باربعين من الله كانه قال ومن يوم يومئذ دبر فقد باربعين من الله
الامتحر فالقتال او متحيزا الي فئة على التقديم والتأخير فعلي هذا لم يكن
التولي مباحا اصلا لكن فيه رفع الوعيد لدخول الاستثناء عليه فيرفع
المواخذة مع قيام الحرمة فيكون رخصه حقيقا ولمحتل ان يكون الاستثناء
من قوله ومن يوم يومئذ دبر كما هو ظاهر الآية فيكون الاستثناء
من التولي فصار التولي على الوصف الذي ذكر مستثنا فكون مباحا لان
الاستثناء من الخطر باحة وانه اصح فانه جاء عن غير واحد من الصحابة
توليه الدبر على الوصف الذي ذكر وكذا قال عليه السلام فيمن فرأى من
الحرب الي المدينة وفيها النبي انتم الكفارون انا فيه لكل مسلم والله اعلم
ثم قالت المعتزلة دل ما وعد الله المتحرف لغير قتال والمتحيز الي
غير فئة بقوله فقد باربعين من الله من ارتكبت كبيرة لخلد في النار
لانه ذكر في اول الآية المؤمنين ولم يخرج الخطاب بقوله يا ايها الذين
امنوا اذ القيم الذين كفروا زحفا او عدلهم الوعيد الشديد الذي مثله
يوعده اهل النار غير اهل الايمان فدل انه يخرج عن الايمان بارتكاب
الكبيرة ويخلد في النار قالوا ولا يجوز صرف الآية الي اهل النفاق لانه
ذكر في القصة انه لم يكن يوم بدر منافق والآية نزلت في اهل بدر وقلنا
نحن في الخروج عن هذه السببة وجهين احدهما ان الآية نزلت في المنافقين
دون اهل الاسلام فانه لم يكن لاهل الاسلام يوم بدر فيه يتحيزون اليها
لان يومئذ لم يكن دار اسلام لما يكن الغلبة لاحكام اهل الاسلام بل احكام الكفرة
ظاهرة ولم يصح قولهم انه لم يكن يوم بدر منافق فان الله تعالى قال اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم من عثر هو لا دبرهم فيقول تزلت هذه الآية
يوم بدر والثاني لمحتل ان ما ذكر من الوعيد لمعني في تولية الدبر والاعراض
عن القتال لا لنفس تولية الدبر اذ قد ذكر تولية الدبر في آية اخرى وذكر
العفو عنها بقوله ان الدبر تولوا منكم يوم المواقعة انما استنزل الشيطان

بمعين ما كتبوا او لقد عني الله عنهم وذلك هو اكتساب سبب يعني الى الكفر والردة
فيكون هذا عقاب الكفر لا عقاب مطلق الكبيرة فان قيل لعل التوبة مضرة فيما
تولت من الآية كانه قال انما استنزها الشيطان بمعين ما كتبوا فتابوا ولقد
عني الله عنهم قيل بل جاز ان يجعل التوبة مضرة فيها كما جاز ان يضار الردة
فيما تلونا وما ذكر من الآية لبيان ان الحكم غير متعلق بنفس التولي ظاهراً
مع جواز ما ذكرتم ان الحكم متعلق بالتولي والعفو مقيد بالتوبة ولكن يحمل على
ما قلنا لا يلائل تلك على اضمار الردة احدها انه ذكر التحيز الي فيه ولم يكن التحيز
يومئذ فيه بحيث يراها فاذ التحيز انما يتحيز ليصير الى العدة والقصد الي ذلك
وحقيقته سبب الكفر والثاني ما ذكر في بعض القصص لما اصطفت القوم رفع
رسول الله صلى الله عليه يداه فقال يا رب ان يهلك هذه العصاة فلي تعبد
في الارض ابداً ومن هرب او ولي الدبر في مثل تلك الحال كان قصده ان
لا يعبد الله في الارض والتولي على هذا القصد سبب الكفر والثالث ان الله
تعالى قد وعد النصد والظفر على العدة فمن ولي دبره لم يول الا للتكذيب
بالوعد وعدلهم وذلك كفر والله اعلم قول الله تعالى فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي خرج على وجوه احدها فيه دليل على انه
لا صنع للعبد في القتل واستخراج الروح منه انما ذلك فعل الله واليه ذلك
وهو لما لك له والالتزام ان الضربة والجرح قد تكون ولا موت هناك
وكذلك الرمي ليس كل من ارسل شيئاً من يده هو رمي انما يصير رمياً بالله لانه
هو الذي انشأ فعل المصني به في السم وفعل الاصابة والالجراح فكانه لا صنع
للرامي فيه الا تزي انه لا يملك رد السم اذا ارسله ولو كان فعله لم يكن رده
لان كل من قدر على فعل لقدر على التروك والامتناع منه ولهذا قال
ابو حنيفة رحمه الله ان الاستحجار على القتل باطل والثاني انهم انما قتلوا
بعوة الله ونصره كما تقول الرجل لا خرا اذ اقبل رجلاً انك لم تقتله وانما
قتله فلان اذ اقتل بعونه ذلك الرجل فعلى ذلك الاول والله اعلم وكذلك
في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي اي ما اصاب رميك المقصد الذي
قصدت الا بتبليغ الله السم الي ذلك المقصد والله اعلم والثالث فلم يقتلوهم
لم تطفوا بخروجكم اليهم قبله لانهم كانوا بالمحل الذي وصلهم من الضعف والذلة

وشدة الخوف كما نأيتنا قوت الي الموت وهم ينظرون والكفار لهم قوة وشوكة
فكانه قال والله اعلم فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم اي لم تطفوا بخروجكم اليهم
ودفعكم اياهم قتلهم لما كان فيكم من الضعف وقوة اوليك ولكن الله اذ لهم
والقي الرعب في قلوبهم حتى قتلهم فكان الله قتلهم وكذلك قوله وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمي اذ لا يطمع الانسان برمي كف من تواب
النكبة باعد آية كلهم ولكن الله رمي حيث بلغ ذلك البصائرهم وغطي به اعينهم
على ما ذكر في القصة انه رمي كفاً من تواب فغشى ابصار المشركين فانزلهوا
ذلك والاربع لختل ان يكون سببه القتل والرمي الي نفسه لما نسب
واضاف كل خير ومعروف الي نفسه كما قال يبتون عليك ان اسلوا قل لا تموتوا
على اسلامكم بل الله بمن عليكم ان هذا ايكم للايمان والآية وقال ولكن الله هديت
من يشاء وقال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
وعين ذلك من الايات التي فيها اضافة الافعال التي خلصت وصفت لله تعالى
فعلى ذلك نسب فعلهم الي نفسه لخلوصه وصفائه والله اعلم قول الله تعالى
وليبل المومنين منه بلاءاً حسناً اي نعمة عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوة ابدانهم ووفور عدتهم وهو كما ذكر في هلاك
فرعون اللعين وقومه بقوله في ذلك بلاءاً من ربكم عظيم اي نعمة عظيمة فعلى
ذلك هذا والله اعلم قول الله تعالى ان الله سميع عليم اي سمع لرعايكم الذي
دعوتهم وتضرعتم اليه الذي تضرعتم اليه او ان يقول سميع اي مجيب لرعايكم عليم
بافعالكم وافعالكم التي تشرون وتقلنون قول الله تعالى ذلكم وان الله
مومن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلك الذي كان بهم من القتل والاسير
والهزيمة لما اوهن الله واضعف كيدهم وخبثهم ان يكون هذا صلة قوله
وليبل المومنين منه بلاءاً حسناً اي ذلك البلاء والاحسان الذي من الله عليهم
من ايهان كيد الكفرة وذلك يكون في جملة المومنين ما من مؤمن الا والله تعالى
اليه البلاء وانعام في كل حال لا يهان كيد الكافرين وقال الحسن اذ يدرك الله
منامك اي في عينك التي تنام بها ذكر المنام وادبه موضع النوم وهو العين دون
حقيقته النوم وذلك يكون في حال النيقطة لانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تنام عيناى ولا تنام قلبي وانما اراه اياهم قليلاً في العين التي بها ينائم

وَهُوَ عَيْنُ الْوَجْهِ فِي خَالِ الْيَقْظَةِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 أَنَّهُ قَالَ لَقَدْ قَلَّلُوا فِي أَعْيُنِنَا يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قُلْتُ لَصَاحِبِي تَرَاهُمْ سَبْعِينَ فَقَالَ
 أَرَاهُمْ بِأَيْتَةٍ حَتَّى اخْتَارَ رِجْلَانَهُمْ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ كُنَّا الثَّانِيَانِ كَانَ الْفَافَانِ كَانِ
 الثَّانِيَانِ هُوَ الثَّانِي أَنَّهُ أَرَاهُمْ رَسُولَهُ قَلِيلًا فِي الْيَقْظَةِ بِالْعَيْنِ الَّتِي يَنَامُ بِهَا فَبُهِتَ ظَاهِرُ
 وَأَنَّ كَانَ أَرَاهُمْ فِي الْمَنَامِ حَقِيقَةً فَلَقَا يَلِيقُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ رُؤْيِي النَّبِيِّ حَقٌّ فَكَيْفَ
 أَرَاهُمْ قَلِيلًا وَهُمْ كَثِيرٌ خِلَافَ مَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْجَوَابُ أَنَّ نَقْلَ الْحَمْدِ أَنْ
 يَكُونَ أَرَاهُمْ بَعْضُهُمْ لَا الْكُلَّ فَهُوَ حَقِيقَةٌ مَا أَرَاهُمْ قَلِيلًا وَلَكِنْ قَلِيلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَجَائِزُ أَنْ
 يَكُونَ أَرَاهُمْ أَصْحَابَهُ أَيْ هُمْ قَلِيلًا وَإِنْ أَضَافَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِهِ دَلِيلُهُ مَا ذَكَرَ فِي آيَةِ
 أَحْزِي وَأَذِيرْكُمْ هُمْ أَذِ الْقَيْمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَخَاطَبَ
 بِرَسُولِهِ وَالْمُرَادُ بِهِ عَيْنُهُ الْأَتْرُجِي أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا
 أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا يَنْقَلِبُ لَهَا أَفْتٌ وَلَا تَنْهَرُهَا وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَزُولَ هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ وَفَاتِ
 وَالدَّيُّ رَسُولُ اللَّهِ لَكِنَّ هَذَا خِطَابٌ لَهُ ظَاهِرًا وَالْمُرَادُ مِنْهُ أَمْتُهُ فَكُلُّ ذَلِكَ هَذَا
 وَأَذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَجِبُ أَنْ يُخْرِجَ رُؤْيَا عَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ الْخِلَافَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ أَرَى كَثِيرًا مِمَّنْ فَتَنَّا وَتَسْتَغْفِرُ لِمَا اسْتَغْفِرُوا وَاسْتَغْفِرُوا بِالْغَيْبِ
 الْعِتَالِ وَالْحَرْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ أَيْ أَمَّ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فَهُمْ فِيهِمْ وَلَضَرُّهُمْ
 عَلَيْهِمْ وَلِحَسْبِهِمْ قَوْلُهُ سَلَّمَ أَيْ أَجَابَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَعَاذُوا وَاسْتَغْفِرُوا بِالْغَيْبِ
 وَالظُّفْرُ لَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَيْ عِلْمٌ بِمَا فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْجَنِّ وَالْفُتُلِ وَأَمْرٌ عَدُوَّهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا
 يُدْعَى لَهُمْ أَذِ الْقَيْمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلُدُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِحَسْبِهِمْ قَوْلُهُ وَأَذِيرْكُمْ
 الْآيَةِ لَمَّا رَأَوْا الْمَلَائِكَةَ لَا تَنْفُسُهُمْ أَنْفُسًا وَأَعْوَانًا أَذْكَانَ قَدْ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَالْإِغَاثَةَ
 بِالْمَلَائِكَةِ فَاسْتَقْلُوا الْعَدُوَّ مَعَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ كَانَ قُوَّةً كَثِيرًا فَهُمْ قَلِيلٌ مَعَ
 الْمَلَائِكَةِ فَدَاوُدُ قَلِيلًا عَلَى مَا كَانَ فِي مَقَابِلَةِ الْمَلَائِكَةِ وَقَوْلُهُ وَقَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَنْهَى كَذَلِكَ كَانُوا قَلِيلًا وَلَمْ يَرَوْا الْمَلَائِكَةَ مَعَهُمْ وَقَالَ يَفْضَلُ هَلَّا لَنَا وَبَلِ
 قَلْدُ هُوَ لَا يَنْهَى أَعْيُنَ أَوْلِيكَ وَأَوْلِيكَ فِي أَعْيُنِ الْغُرَبَاءِ الْآخِرِ لِيُضْرِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ وَحَسْبُ فِي الْقِتَالِ فَيَنْتَقِظُ مَا هُوَ الْمُرَادُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ لِيَقْنَى اللَّهُ أَمْرًا
 كَانَ مَعْقُولًا وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا أَيْ لِيُخْزِيَهُمْ مَا وَعَدَ مِنَ النَّصْرِ وَالظُّفْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْغَلْبَةِ
 وَالْهَزِيمَةِ عَلَى الْكُفْرَةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ آيَةً وَمُحْجِزَةً لِلْبَيْتِ وَكَذَلِكَ ذَكَرَ فِي الْقِسْمَةِ أَنَّ قَوْلَهُ

تَسْهِيْزُ مَجْمَعٍ وَيُولُونَ الدُّبُرَ فِي بَدْرٍ وَعَدُّ لَكَ لَهْرِيْنِهِ وَكَانَ وَعَدَ اللَّهُ مَفْعُولًا
 ثُمَّ قَوْلُهُ لِيَقْنَى اللَّهُ بِحَسْبِكَ أَيْ لِيَحْلُقِ اللَّهُ وَيُنْشِئُ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ كَأَيُّهَا أَوْ
 لِيَفْضَلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ
 لِيَقْنَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِهِ مَفْعُولًا كَأَيُّهَا فَيُوجِبُ أَمْرًا لَا يَدَّكَ بَيْنَ لِيَعْنَى ١٩٨
 الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ بِالْغُفْرِ وَبَدَلَ السُّرُوكَ وَأَهْلَهُ بِالْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ وَهُوَ قُرْبُ
 مَا ذَكَرْنَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ أَيْ إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ تَدْبِيرُ الْأُمُورِ
 وَوَقَدْ يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْقِسْمَةِ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ
 لَمَّا رَأَى قِلَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَحْدُ اللَّهُ بَعْدَ الْيَوْمِ فَكَذَّبَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ
 وَقَتْلَهُ فَقَالَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمْرٌ بَدْرٍ مِنْ أَوَّلِهِ
 إِلَى آخِرِهِ كَانَ آيَةً حَتَّى عَرَفَ كُلُّ ذَلِكَ الْأَمْنِ عَائِدًا وَكَانَ لِعَقْلِهِ قَوْلُهُ
 تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْقِيَمَةُ قِيَّةٌ فَابْتَغُوا قِيْلَ الْقِيَمَةِ اسْمُ جَمَاعَةٍ يَخَازُ إِلَيْهَا
 وَهِيَ مِنَ الْبَنِيِّ وَهُوَ الرُّجُوعُ إِلَى جَمَاعَةٍ يَعْنِي النَّاسَ إِلَيْهَا وَيَرْجِعُونَ ذِكْرَهُمَا
 الْقِيَمَةِ وَذَكَرَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَقْدَمَتْ الرُّجُوعُ فَقَالَ إِذَا الْقِيَمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 رُجْعًا وَنَبِيٌّ هُنَاكَ عَنْ تَوَلِيَّةِ الْأَذْيَارِ يَقُولُ فَلَا تَقُولُ لَهُمْ إِلَّا دَارَ وَآمْرًا هَذَا
 بِالشَّيْءِ يَقُولُ فَابْتَغُوا لِيَعْلَمَ أَنَّ فِي الْأَمْرِ بِالشَّيْءِ نَهْيًا عَنْ تَوَلِيَّةِ الْأَذْيَارِ
 وَفِي النَّهْيِ عَنْ تَوَلِيَّةِ الْأَذْيَارِ بِالشَّيْءِ فَيَكُونُ فِي النَّهْيِ عَنِ الشَّيْءِ أَمْرٌ
 بِنَصْرِهِ وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ صَدْرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْكَيْدُ أَيْ وَإِذَا كَرَاهَى اللَّهُ فَيُنَاقِضُكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ وَعَدَمُكُمْ مِنْ نَصْرِهِ
 وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى الْكُفْرَةِ لَتَنْظُرُوا وَلِحَسْبِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا
 وَأَمَّا أَلَمْ أَيْ إِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا وَأَمَّا أَلَمْ أَيْ إِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا وَأَمَّا أَلَمْ أَيْ إِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا
 بِوَالِ اللَّهِ وَإِنْ شَاءَ أَحَدُهُمَا بَوَاجِهُ لَاسْتَفْرِجُونَ إِلَيْهِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ
 كَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ اسْتَرْجَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَمْ يَجْعَلِ الْآيَةَ
 وَحَسْبُهُمْ وَإِذَا كَرَاهَى اللَّهُ كَيْدًا فِي النَّعْمِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَلِحَسْبِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى
 يَدْرِي رَبُّ الْعَالَمِينَ وَذَلِكَ بِالَّذِي مَنَعَكُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْخِلَافِ لِأَمْرِهِ وَفِيهِ
 بَعْضٌ مَا يُرْتَبِكُمْ فِي طَاعَتِهِ وَخُذْكُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَعَلِيَ هَذَا الْوَجْهَ يَكُونُ الْأَمْرُ
 بِذِكْرِ الْأَحْوَالِ وَحَسْبُهُمْ أَيْضًا الْأَمْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ بِاللِّسَانِ وَذَلِكَ بَعْضٌ مَا يَسْتَعَانُ
 بِهِ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ وَهُوَ مَنَعَارُفُ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَيُخَوِّذُ لَكَ قَوْلُهُ تَعَالَى

لانه ان كان منظرًا الى القيمة فكون امتناع الهلاك لا يكون امتناع مطلق التعذيب
سيوي الاهلاك والله اعلم **قوله** تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غرًا هؤلاء دينهم اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم
المشركون كانه قال اذ يقول المنافقون والمشركون غرًا هؤلاء دينهم وقال
الحسن هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فمضوا من اهل مكة لان هذا وضعهم
كما قال الله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا وقال بعضهم هم قوم
كانوا اسلموا بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار
مكة الى بدر خرج هؤلاء معهم فلما غابوا قلة المؤمنين وضعهم وقوة اولئك القوم
شكوا في دينهم وارتابوا فمضوا هؤلاء دينهم لكن ان هذا في المنافقين فكون
في اسقاط الواو كانه قال اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والاطهر
ان يكون في غير المنافقين لان المنافقين هم الذين آمنوا والكفر حقيقة والذين
في قلوبهم مرض الذين لم يضرروا الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا في اعترض لهم شك وريبة
من بعد اذ ارادوا ان يحاربوا الله ورسوله **قوله** عن هؤلاء دينهم يخرج علي وجعل اجها
أي غرة الموعود الذي وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا واداء ذلك
واعقد واقدموا على القتال فمضوا فيكون دينهم غرة واداءهم في الهلاك والثاني
عن هؤلاء الموعود لهم في الآخرة من النعم الدائمة والحياة الباقية لما رأوا هم ستركوا
ابائهم وأولادهم وجميع شيوخهم وخرجوا الى القتال مع انه لم يكن لهم عدة ولا اسباب
الحرب فلم يكن خراجهم الا استمناقا وخوفًا على دينهم ليس لهم دين ولم يكونوا ايتا تلو
الافقة دينهم فلهذا قالوا غرة هؤلاء دينهم والله اعلم **قوله** تعالى ومن يتوكل على الله
اي يعتمد على الله في حرب بدر ويثق بوعد الله في النصر وذا العفة لم غرًا هؤلاء دينهم
فان الله عن من لا يجتهد شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل والهزيمة وقيل
العز في هذا الموضع القابل الحكيم بما امر بالقتال ويحتد ومن يتوكل على الله في جميع
اموره ويكل اليه امره والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر قول المنافقين في القرآن
حتى يتلو في الصلاة قيل انما ذكره الله اعلم ليعرف عظيم منزلة الذين وخطير
قدره في قلوبهم اي في قلوب المؤمنين وذلك لانه بدوا انفسهم للهلاك لجنوحهم الى
قتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم رجاء ان يسلم لهم دسهم
فكون في قلوبنا مثل ذلك واعتدك بهم في تقوية الدين والله اعلم وفي قوله

اذ يقول

اذ يقولوا المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرًا هؤلاء دينهم دليل اثبات رقالة
لانهم انما قالوا ذلك سرًا فيما بينهم فاطلع الله تعالى على ذلك رسوله ليعلم انه عرف
بالله والله الموفق **قوله** تعالى حتم الله تركي اذ يثق في الذين كفروا والملائكة يصنزون
وجوههم وادبارهم قال بعضهم الآية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرًا ورياء الناس يقول والله اعلم ولو تركي اذ تقبض الملائكة
ارواح الذين كفروا وكيف تقبضون ارواحهم وكيف يصنزون وجوههم وادبارهم
اي لو رايت وعانيت احوال التي تقبض فيها ارواحهم وما ينزل بهم من العذاب
لعلت ان ما عملوا من صد الناس من سبيل الله واسمكارهم على المؤمنين
وحز وجهم لقتال اصحاب محمد انما عملوا بانفسهم لا بالمؤمنين ثم قوله ولو تركي اذ
يتوكل الذين كفروا والملائكة يصنزون وجوههم وادبارهم تحتل ما ذكر من فعل
الملائكة يكون يوم بدر لان الآية ذكرت في قصة بدر ويحتد ان يكون ذلك في
كل كاذب ان الملائكة يفعلون بهم ما ذكره قوله ولو تركي اذ الظالمون في غرات الموت
والملائكة يسطوا ايديهم الآية هذا في كل كاذب فعلى هذا يحتد الاول والله اعلم
ثم قوله يصنزون وجوههم وادبارهم تحتل ان لا يكون على ارادة حقيقة الوجوه
والدبر ولكن على ايصال الالم اليهم بكل متربات وبكل وجه كقوله لهم من فوقهم
ظلل من السماء ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التخت والوقوف ولكن عبارة
عن احاطة فعلي ذلك الاول وقال بعضهم يصنزون وجوههم في حال ادبارهم
في حال الهزيمة من المؤمنين والله اعلم **قوله** تعالى ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد اي ما لحقهم بما ذكرنا كان بالكتائبهم واختيارهم والله
تعالى ليس بظلام لهم فيما شرع من القتال والهلاك والتعذيب في الآخرة لانه
مكن لهم حتى يكتسبوا النجاة والحياة الدائمة منهم ليثوم اختيارهم وقنوا فيما وقعوا
وبأسه القوة واليحول وفي الآية دلالة الرد على المجبر لانهم لا يعقلون للعبادية
افعالهم متقابل يجعلون حقيقة الله تعالى والله تعالى ذكر ذلك بما قدمت ايديكم
ولولم يكن لهم فعل لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معنى وكذلك قوله وان الله ليس
بظلام للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب بطريق الجزاء ظلالًا ان لهم الله
فعلًا حقيقة والله الموفق **قوله** تعالى كذاب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله
وقال بعضهم صنيع هؤلاء اي صنيع اهل مكة لمحمد كصنيع فرعون وقومه بوسني يعني في

في التكذيب والكفر بآياته وما جاء به عن الله تعالى وقال بعضهم صبيح لاديه باهل مكة من العقوبة
والنقد بكنهه فزعون وآله ومن سبق من الامم من الاهلاك والنقد ب
وقد فعل باهل مكة يوم بد رسولهم رسول الله كما فعل ذلك فزعون وآله
فبعض معاملتهم موسى وقوله كذا ب وقيل كفعل وقيل كفعل وقيل كسبيبه وكله واحد
قوله تعالى فاحذروا الله بذا نوبهم ان الله توكيد العقاب اي لا يصفه شيء
لا منه عما يريد قوله تعالى ذلك بان الله لم يكن معيرا نعمه انما على قوم حتى يعير
ما بانفسهم اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر لاجل ان الله تعالى اجري السند
انه لم يكن معيرا نعمه انما على قوم حتى يعير وما بانفسهم ثم قوله لم يكن معيرا نعمه
انما على قوم حتى يعير ما بانفسهم اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر لاجل ان الله
تعالى اجري السند انه لم يكن معيرا نعمه انما على قوم حتى يعير وما بانفسهم ثم
قوله لم يكن معيرا نعمه انما على قوم حتى يعير وما بانفسهم ثم قوله لم يكن معيرا
نعمه انما على الذين بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يكن معيرا
تلك النعمة عليهم حتى يعير وما بانفسهم وهو تكذيبهم الرسل وردد الكتب ونزك القول
بعد ما اقتسموا انهم يكونون به اهدى من احدى الامم واختارهم الشرك والكفر
على الايمان والتوحيد فاذا اختلفوا اذ لك معير عليهم ذلك وهو قوله وما كان ربك
مهلك القدي حتى بعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا الآية والثاني تحت النعمة
الدينية اي لا سغير عليهم تلك النعمة الا بتغيير من قبلهم ما بتوك الشكر لها وما
لصرفت الشكر الي غير الذي انعموا عليهم ولو رايت التغير بدون هذين في حق المسلمين
فليس ذلك سغير في الحقيقة لان ذلك يزول الى خلف اما في الدنيا واما في الآخرة
فلا يكون تغيرا في الحقيقة وقال بن عباس رضي الله عنهما نعمة من نعم ان تولوا عن
شكرها عبر الله عليهم فاحذروا منهم قوله تعالى وان الله سميع عليم قيل سميع
لشكر من يشكره ويجهد لزيادة النعمة اذا شكر ويحتل سميع اي يجيب عليهم بمصلحتهم
وحتل انه سميع لما اسروا امن القول وجهروا به عليهم ما اسروا من العمل واسروا
قوله تعالى كذا ب آي فزعون والذين من قبلهم كذا بوايات ربهم قد ذكرنا
تاويله فان قيل ما فائدة تخصيص آي فزعون من منهم وما الحكمة في تكرار قوله
كذا ب آي فزعون الآية قيل اما تخصيص فيجهد ان يكون لما كان آي فزعون وهم
اليهود اقرب الي هؤلاء من غيرهم من كان قبلهم من النصارى والمجوس وهو قوله

انا ارسلنا اليكم رسولا منا هذا عليكم كما ارسلنا الي فزعون رسولا ليسا لولا
عنهم فيعرفون صدق ذلك ويحتل ان يذكر اهل الكتاب منهم لما كانوا انكرتون
بعث الرسل من غيرهم ويقولون ان محمدا من بعث الي الامتين فاحذر
ان موسى لم يكن من القبط وهو قد بعث رسولا اليهم فعلي ذلك محمد وان كان
امثا بعث الي غير الامتين والله اعلم واما فائدة التكرار والله اعلم من وجوه
احدها وهو انه ذكر في الآية الاولى الاحذ بالذنوب والنقد ولم يبين
ما كان ذلك العذاب ثم بين في الآية الثانية ان ذلك العذاب هو الاهلاك
والاستيصال حيث قال فاهلكناهم بذا نوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين
والثاني لاحتل ان المراد بالآية الاولى العذاب في الآخرة بكفرهم بايات
الله فانه قال كفروا بايات الله فاحذروا الله بذا نوبهم ومطلق المواخذ بسبب
الذنوب في الآخرة اذ عذاب الدنيا يشويه معنى الزجر والعظة والمراد بالآية
الثانية هو الاهلاك في الدنيا حقيقة للذجر بسبب عنادهم فانه ذكر وقال
كذا بوايات ربهم فاهلكناهم بذا نوبهم فاعرفنا آل فرعون والثالث لاحتل ان
ذكر في الآية الاولى الكفر بايات الله ولم يستثن ما الكفر وذكر في الآية الاخرى
التكذيب بايات الله فثبت لها ان الكفر باية هو التكذيب بايات الله فثبت لها في الآية
دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعل مقابلة وصده التكذيب وفيه دليل
على ان الايمان ليس هو المعرفة لان معادل المعرفة الجهل والجهل بالله ليس
هو التكذيب لكن المعرفة بسبب التصديق والجهل بسبب التكذيب ثم التصديق
والتكذيب انما يتحقق في الاخبار فيكون الايمان هو تصديق ما اخبر الله على
لسان الرسل او تصديق ما جاء به الرسل واخبروا عن الله تعالى والكفر
على مضاده ذلك او تصديق ما شهدت الدلائل والايات الحقيقية على وحوانية
الله وتفرجه عن الشرك اذ الدلائل في المعنى كانا اخبرت وشهدت بما جعلت
ادلة عليها او يكون الله محجرا بما نصب من الدلائل على ما جعلها اداة على ذلك
الكفر على خلاف ذلك والله الموفق قوله تعالى ان ساء الذواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون قد ذكرنا تاويل الآية ثم ذكر ههنا ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي الذين سمعوا الايات واحق وعقلوها
فلم يؤمنوا بها فكانهم لم يسمعوا ولم يعقلوا حيث لم ينفقوا بما سمعوا فيكون الايات

في المعنى واحداً انما يكونون بهذا الوصف اذا ختموا على الكفر وترك الايمان
فكون الآية في قوم علم الله تعالى انهم ختموا على الكفر ولا يؤمنون ثم اختلف اهل
التاويل في ذلك قال بعضهم نزل في بني قريظة عما هدوا رسول الله ثم اعانوا
مشركي مكة على رسول الله بالسيلاج وغيره فاقالهم رسول الله وكانوا يقولون
نسينا واحطانا ثم عاهدوا مرة ثانية فنقضوا العهد فذلك قوله ثم سقون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون اي لا يبقون نقض العهد ولا سقون الشرك
وقال بعضهم نزلت في المردة والعداغنة من الكفار والايمة منهم حيث كانوا عتقوا
ما سمعوا ودرستوا الكتب لكن عني وما فلم يؤمنوا بها وعلي هذا حمل اهل التاويل
تاويل الآية وعلي ما ذكرنا صدر فوالا الا صرف الآية الى اهل النفاق اولي اثم
هم المعذرون فون بنقض العهد مرة بعد مرة قوله تعالى فاما يتقنتم في الحرب
ففسد بهم من خلفهم قيل فاما يتقنتم في الحرب الكياسة منهم في الحرب وقيل تلقيتم
من الحرب من اللقاة وقيل تجدتم في الحرب وقوله فسدد بهم من خلفهم قيل
اي نكل بهم من بعدهم اي اصنع بهم ما ينكل به من بعدهم اي يتنعون وقيل فوط بهم
من خلفهم اي اجعلهم عظة لمن سواهم وغيره لمن وراهم وقال ابو عبيد التشرديد
في كلامهم التبريد والفرق اي فرق بهم وقال التثبيتي قوله فسدد بهم من
خلفهم اي افعل بهم فعلاً من العقوبة والتكيد ما يتفوت به ما وراهم من الاعداء
قال ويقال سدد بهم ستمع بهم بلغة قريش وقال ابو عبيد التشرديد التكيد والتكيد
التخوين والرد عما يكره والنكال العذاب اي نكل بهم حتى يخافوا من خلفهم والتشريد
المرصد والتشريد القليل وقيل فسدد بهم من خلفهم اي اخف بهم من بعدهم ما صنع هؤلاء
وبعضه قريب من بعض ثم الآية نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكان عاهدتهم
بنقض العهد فامر الله تعالى رسوله ان ينكل هؤلاء ليكون ذلك عبرة وزجراً
لمن بعدهم وان لم يكن لهم في ذلك زجر فيكون في تمليك هؤلاء لمنفعة لغيرهم اذا علم
غيرهم او راد انه فعل هؤلاء ما ذكر وهو كقولهم ولكم في القصاص حيوة من راد انه فعل
القاتل عداغنة عن مثل اخر فكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله تعالى
من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمة لان في الطبايع النفار عن القتل
فاذا راد انه يقتل بركة الاسلام اجاب الي ذلك اشفاقاً على نفسه وخوفاً على طلب
محبته فكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات

في النفس وما دون النفس جعل ذواجر وموانع عن المعاودة الى مثله
فعلى ذلك قوله فسدد بهم من خلفهم امر بذلك عظة وزجراً لمن خلفهم وهو قوله
لعلهم يذكرون لكي يذكروا النكال فلا سقنوا العهد وكذا كل من غوب
في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر لموعد في الآخرة وجعل كل لذيذ
وشهي في الدنيا داعياً لما وعد في الآخرة في الجنة وكل كد به وقبح زاجر له
عن الموعد في الآخرة في النار وعلي هذا بناء امر الدنيا من المحاسن والمقارح
والمناهي والمضار والملاذ والمكاره والله اعلم قوله تعالى واما تخافون
من قوم رحية فانبذ اليهم علي سواء قال بعضهم تخافون اي تعلمون من خيانه
فانبذ اليهم علي سواء اي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من خيانه فتكون انت وهم
في الخيانة سواء لان عندهم انهم معاهدون لقيام العهد بعد ولكن انبذ اليهم
العهد ثم ناصب فيما بينهم الحرب وقال بعضهم هو علي حصته الخوف بقوله
اذا خفت منهم النقص او الخيانة فانبذ اليهم اي الت اليهم بنقضك لتكون انت وهم
في العلم بالنقض سواء وقال ابو عبيد فانبذ اليهم علي سواء اي اظهر لهم
انك عدو وانك مناصب لهم حتى يعلموا ذلك فيصير علي ذلك سواء وقال
ابو عبيد قال عبيد واحد من اهل العلم فانبذ اليهم علي سواء اي اعلم انك تريد
ان تخارهم حتى يصيروا مثلك في العلم فذلك السواء وقال الكيساني السواء
العدل وقال بعضهم علي سواء اي علي امريتين وقال ابو عبيد فانبذ اليهم
علي سواء اي سيرا اليهم وقد علموا بك وعلمت بهم وبعضه قريب من بعض والاصل
في العهد ما ذكر في آية اخري وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم
لم سقنوا شيئا ولم يظاهروا عليكم احداً فاقوا اليهم عهدهم الي مدتهم امر عز وجل
باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقضوا سناً ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا احداً منهم
فاذا فعلوا شيئاً من ذلك قلنا ان نقض العهد الذي كان بيننا وبينهم وكذلك
ابتداء العهد فيما بيننا وبينهم اذا سألونا ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن
في العهد منفعة ظاهرة للمسلمين وخيراً لهم له مراعاة ذلك العهد وحفظه
فاذا خاف منهم خيانه او الطلع علي خيانه منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان كذلك
الخيانه من جملتهم وممن له منعة فله ان يناصرهم معهم الحرب وان لم ينبذ اليهم
واذا كان ذلك من بعض علي سبيل التلميع والسوقه فليس له ان يجارهم

الا بعد البند اليهم والله اعلم قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سيقوا انهم
 لا يعجزون قال بعضهم اي لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا منك يا محمد من المشركين
 يوم بدر ان لا اظفرك عليهم في عير من الحروب والمغازي وانهم يفوتون
 ويعجزون الله عن ذلك وقال بعضهم اي لا تحسبن الذين كفروا انهم يفوتون
 ويعجزون الله عن نعمته وعذابه ثم تدار بعضهم بفتح الالف انهم لا يعجزون ولذلك
 وجهان احدهما على طرح حرف لا وجعلها صلة ظاهرة كانه قال ولا تحسبن الذين
 كفروا سيقوا انهم يعجزون والثاني على انهار اللام كانه قال ولا تحسبن الذين
 كفروا سيقوا انهم لا يعجزون وما قرأه العامة في الحفص وهي على المبتدأ
 كانه تم الكلام بقوله ولا تحسبن الذين كفروا سيقوا ثم قال انهم لا يعجزون على
 التقدير الاول وقال القتيبي سيقوا اي فاتوا وقيل المعجز والسائق والفايت
 واحد والله اعلم قوله تعالى واعذوا لهم ما استطعتم من قوة قال بعضهم معناه
 لا تحموا الى الحروب والمغازي بلا سلاح ولا عدة كما خرجتم الي بدر لان الله تعالى
 اراد ان يجعل حرب بدر آية ليميز بين الحق والباطل وبين الحق والمبطل لذلك
 امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة فاما غيرهما من الحروب فلا تحموا اليها الا
 مستعدين لها وبعد فان اهل بدر انما تركوا الاستعداد للحرب طاعة لله تعالى
 فانه امرهم بالخروج كذلك وفي الاشتغال بالاستعداد ترك الطاعة له وامرهم بها
 بالاستعداد لها ما استطاعوا من الاسباب وما ان ذلك اوجب للعد ومن ترك الاستعداد
 قال الله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله فامرهم وجل بالاسباب في الحروب
 وان كان قادرا على نصر اوليائه على اعدائه بلا سبب فكان الطاعة له بالاستقلال
 به والحكم بخلاف الاحوال والمصلحة متفاوتا وعلى هذا جعل جميع امور
 الدنيا مقنونا بالاسباب من نحو الحياة والموت وجميع الامور وان تقدر على
 ابتلاء الانسان والخلأين بلا توب وعدة لجعل لهم والموت بلا امر من ولكن خلق
 الاسباب لتحقيقا للابتلاء في حال غيب الدلائل فهذا مثله ويحتمل قوله ما
 استطعتم من قوة اي اعدوا من السلاح ما تقوون به وتقدرون على استعماله
 لا ما لا تقوون به ولا تقدر على استعماله ثم اختلف في قوله من قوة قال
 بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك ردوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قد اقره واعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوة الرمي وقال ذلك ثلثا وقال بعضهم

القوة السلاح وقيل الحيل وامكن ان يراد بها جميع اسباب الحرب لان القوة
 السابقة على الفعل هي القوة من حيث الاسباب عندنا وفي الآية دلالة
 على ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان تقدم وكذلك المراد من قوله
 لو استطعنا لخرجنا معكم ارادوا استطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل
 قوله تعالى ومن رباط الحيل ترهبون بوعده والله وعدكم قتل هذا
 كناية عن اقتناء الحيل والاعداد للحرب امر بذلك رهبة للعد وقوله
 تعالى وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلم اختلف في تأويله قال بعضهم
 ترهبون برباط الحيل وما ذكر من القوة والسلاح المشركين وآخرون من
 دونهم اليهود والنصارى فترهبون هؤلاء ايضا وقال بعضهم وآخرون من دونهم
 المنافقين الذين كانوا اينا بينهم لا يعرفونهم وكانوا اطلاقا للمشركين وعيونهم
 تخبرونهم عن عورات المؤمنين فترهبون هؤلاء ايضا وقال بعضهم وآخرون من
 دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الي يوم القيمة وقال بعضهم وآخرون
 من دونهم هم الشياطين لا تعلمونهم الله يعلم وهو كقوله انه يريدكم هو وقبيله من
 حيث لا تدرؤهم وردوا على ذلك خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ينجب الشيطان
 انسان في داره فرس عتيق فان قيل اي رهبة مع الشياطين فيما ذكر من رباط
 الحيل واستعداد السلاح للحرب قيل لاحتد ان المراد بذلك رهبة في قمع
 اوليائهم لانهم يخافون وقوع الدين على المشركين والكفرة ويحتمل ان يكون رهبة
 والخوف لا وليائهم وهم الكفار لكن نسب ذلك اليهم ومثل ذلك كثير في التراكب
 ثم في قوله عدوا لله وعدوكم دلالة ان من كان عدوا لله يكون عدوا للمؤمنين
 ومن كان عدوا للمؤمنين فهو عدو الله حيث سمي عدوا لله عدوا للمؤمنين والله اعلم
 قوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اخبارا ان ما تنفقوا
 في سبيل الله يوفى عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما انفقتم في سبيل الله
 من شيء فهو خلفه واما الثواب في الآخرة قوله تعالى وانتم لا تعلمون يحتمل
 وجهين احدهما وانتم لا تعلمون فيما امركم بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العدة
 والاتفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله تعالى فله ان ياخذها منكم والثاني وانتم
 لا تعلمون في الثواب في الآخرة اي يعطيكم الثواب في الآخرة او الخلف في الدنيا
 على التمام بلا نقصان والله اعلم قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها قدرك

بالنصب السلم وقد ي بالحنف قال اهل اللغة من قدار بالنصب حمل على المصاحفة
والموادعة ومن قدار بالحنف حمل الآية على الاسلام واوله الى مل اليهم
والله اعلم اي اذا اجتمعوا للصلح وطلبوا منك فاجبهم ولا تمنعك عن الصلح
معهم ما كان منهم من نقض العهد علي ما ذكر في قوله الذين يتقضون عهدهم
في كل مرة نقول لا تمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ذلك
العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يكفيك ويطلعك
على ذلك والله والهآني قوله فاجب لها تنصرف الى المسالمة والمصالحة ومنهم
من قال وان جنحوا للسلم اي ان خضعوا وتواضعوا للاسلام قبل منهم واخضع لهم
كقوله واحفض جناحك للمؤمنين امره بحفض الجناح لهم فان قيل ما معنى في قوله
فاجب لها علي قول من قال بان المراد من قوله وان جنحوا للسلم هو الاسلام
لان النبي صلى الله عليه كان يدعو الى الاسلام ولا شك انه كان يقبل منهم الاسلام
فما معنى الامر بقول الاسلام منهم امرا ترك مواخذة ما كان منهم في حال
نقض العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات
والاخذ يتبعون بها ويواخذون اذا اسلموا واذا انقضوا العهد ثم اصابوا شيئا
من ذلك ثم اسلموا يواخذوا بذلك فمحتمل ان نقول له فاجب لها اي لا تواخذهم
ما كان منهم في حال نقض العهد كيلا تمتنعوا عن الاسلام خوفا من المواخذة
بها وقال الحسن هذا منسوخ لنسخه قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
الآية وقال بعضهم نسخ قوله اقتلوا المشركين الآية وقال بعضهم نسخ قوله ولا تتنوا
وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الايام اذا اراي الصلح
والموادعة وهو الايمان الوقت بيد وغيره بدل منفعة ونظر المسلمين اجابهم
الي ذلك وصالحهم واذا اطلب الكفار منه وبالمسلمين قوة القتال والحرب معهم لم
يجبهم الي ذلك وما ذكره هؤلاء من نسخ الآية بما قالوا فلا تعرفه والله اعلم بالصواب
قوله تعالى وان يريدوا ان يحذعوك اي يخشوا في الصلح فان خشيتك
الله اي امكنتك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن
منهم وان كان قوله فاجب لها في الاسلام فكون قوله فان خشيتك الله اي
يطلعك الله علي ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفت منهم انهم يظهرون لك الاسلام
في الظاهر ويكونون في السر علي ما كانوا امن قبل فلا تمنعك ذلك علي قبول الاسلام

منهم فان الله يكفيك ذلك ويطلعك علي ذلك والله اعلم قوله تعالى هو الذي
ايدكم بنصره وبالمؤمنين اخذك قوله وبالمؤمنين الملايكة الذين افهم الله
تعالى يوم بدر معونة للمؤمنين واخذك وبالمؤمنين المؤمنون الذين كانوا
معهم ببدر فاخبر الله تعالى انه يريد بنصره ومعونة المؤمنين ونصرهم
وكان النصر له بالله في الحقيقة بقوله وما النصر الا من عند الله لكن النصر
من الله تارة بالاسباب من الملايكة والمؤمنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة
باللطف منه بلا سبب قوله تعالى والف بين قلوبهم لو انقضت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الفت بينهم قال بعضهم الفت بين قلوبهم
بالدين الذي اجتمعوا عليه كقوله اذ كنتم اعداء قالت بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة
اخوانا اخذ لانهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا اجازوا اخوانا
ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف بين القلوب والاجتماع بينهما ولكن يجوز
ان لا يوحد التاليف وان وجد الاسلام ليعلم ان الله هو الذي يولف بينهم
بلا طرفة وفضله بقوله ولكن الله الفت بينهم والذين يكون سبب التاليف
على انه يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب مرة يكون بالدين ومرة باللطف
من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق
في الدين ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان لا طماع فهو يرتفع باللطف من الله
والله اعلم قوله تعالى انه عز يزكيم عن يز لا يجزه شيء حكيم في امره وحكمه
قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال بعضهم
اي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين فكون قوله ومن اتبعك بطرفا
على الكاف من قوله حسبك الله معتقده كفاك الله في العون والنصر لك وكفي
المؤمنون من اتباعك وقال بعضهم اي حسبك الله وحسبك من اتبعك من
المؤمنين فيكون قوله ومن اتبعك نسفا وعطفا على قوله اي حسبك نصر الله
وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكره هو الذي ايدكم بنصره وبالمؤمنين والاول
اشبه قوله تعالى يا ايها النبي جرح المؤمنين علي القتال التحذير علي القتال
يكون وجهين احدهما ان يعدلهم من المنازع في الدنيا يطمع لهم ذلك من نحو ما جاء
من التنفيل ان من فعل كذا فله كذا او يعدلهم المنازع في الآخرة كقوله تعالى ان الله
اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية وما ذكر من الثواب والاخذ

في النفقة التي سفقونها في سبيل الله بقوله هل اذكركم علي تجارة ينجيكم من عذاب
 اليم فيكون الوعد لهم بالمنافع في الدنيا والاخرة ووعد النصر لهم بخزائن القتال
 والثاني ان يكون التحريض ببيان ضرر يلحقهم من اوليك وتكبه تصل اليهم من
 قبلهم كقوله الا يقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهم باخراج الرسول وهم يدوكم
 اول مرة الآية جمع الله تعالى في هذه الآية جميع انواع الحير الذي يكون في القتال
 مع العدو من وعد النصر للمؤمنين وادخال السور وفي قلوبهم وفي الحزن
 عنهم وتعذيب اوليك بايديهم ويخوذ لك وهذا كله لمحض علي القتال ويرغبهم
 في الحرب مع العدو والله اعلم قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون
 يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا القامتين الذين كفروا اختلف في تاويل
 هذه الآية قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين علي الامر
 كانه قال ليكون منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا اذا امر العشرة بالقيام لمائة
 وقالت الدليل علي انه علي الامر قوله ان خفف الله عنكم ولو لم يكن علي الامر والعزيمة
 لم يكن يذكر التحصين معني وقال بعضهم هو علي الوعد انهم اذا صبروا وبيقوا العدو
 هم غلبوا عدوهم علي ما اخبركم من فيية قلمية غلبت فيه كثرة باذن الله وظاهر
 الآية للاخبار حيث قال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اخبر
 انهم اذا صبروا وغلبوهم ثم هم صبروا وغلبوا علي ما وعد الله واخبر عنه لكن
 الاشبه ان يكون علي الامر ليس علي الخبر علي ما ذكرنا من قوله الان خفف الله
 والذي يرويه هذا اما دوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت ان
 يكون منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فكتب عليهم ان لا يفتر واحد من
 عشرة ثم انزل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
 صابرة يغلبوا مائتين كتب عليكم ان لا يفتر مائة من مائتين قوله تعالى بانهم
 قوم لا يفقهون اي لا يفقهون ما لهم وما عليهم قوله تعالى الان خفف الله
 عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف
 يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين فان قيل ما معني قوله الان خفف الله
 عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم وقت ما امر العشرة بالقيام لمائة والعشرين
 بالقيام لمائتين فما معني ذلك فقل امر بذلك اعني العشرة بالقيام لمائة مع علمه
 ان منهم ضعفا وان كان في ذلك اهلاك انفسهم وذلك منه عدل ادلة الانفس

ان شاء اتلفها بالموت وان شاء يقبل العدو واما التخفيف منه رحمة وفضل
 فكان امر الواحد بالقيام لعشرة علي علم منه بالضعف فيه ابتداء امتحان منه
 وله ان يمتحن عباده بما فيه وسعهم ومالا وسع لهم فيه وفي الحكمة ذلك اذ لست
 بالانفس والاحكام فله ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو قوله وانا كتبنا
 عليهم ان يقتلوا انفسكم واخرجوا من دياركم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا
 لمحتل ان يكون ذلك عليهم ولحمته ان علم منهم الضعف كانوا شاهدا عيانا كما
 علم انه يكون منهم الضعف وهو كما ذكرنا في قوله حتي يعلم المجاهدون منكم
 والصابرين اي يعلم انه جاهد كما علم انه لجاهد فعلي ذلك هذا والله اعلم
 ثم ذكر العشرين والمائتين وذكر المائة والالف لمحتل ان يكون علي التحذير
 حتي اذا اكل العدد الذي ذكر لم يسعهم الفرار ويلزمهم القيام لهم واذا
 كانوا دون ذلك لم يلزم نحيب علي العسر من ان يتأووا المائتين ولا
 يفتر واعنه ويباح للواحد ان يفتر من العشرة وكذلك لا يباح للمائة
 الفرار من الالف ويباح للعشرة الفرار من المائة وكذلك بعد التخفيف
 لا يباح الفرار للمائة من المائتين والالف من الالفين ويباح الفرار
 للواحد من اثنين وخمسة وكذلك قال الحسن ان الله تعالى امر ان يصبر
 عشرون مائتين وان فدا منهم لم يفتر رواه ان يصبر مائة لالف ان فدا
 منهم لم يفتر رواه ان يصبر الالف لالفين ان فدا منهم لم يفتر رواه فان كان علي
 الحمد مد فالعبي فيه انهم اذا كانوا اعددا كثيرا كانوا اضعف فلا يسعهم ان لا يقاتلوا
 ويفتر واعني الحرب واذا كانوا اعددا قليلا يباح لهم التوكل ومحتل ان يكون
 ذكر العشرة والعشرين والمائة والمائتين ويخوذ لك ليس علي التحذير والتقدير
 لكن في الا بتداء امر للعشرين ان يصبروا المائتين والمائتين ان يصبروا الالف
 ثم خفف ونسخ الاول فامر المائة ان يصبروا المائتين والالف ان يصبروا الالفين فكون
 للحكم وجوب المقاومة للواحد مع العشرة ثم صار منسوخا واستقر الامر
 علي وجوب المقاومة علي الواحد مع الالف والالفين والالفين ان ذكر العدد ليس علي
 الحمد وولكن لبيان ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر في النسخ عدد غير العدد
 الذي في المنسوخ ذكر العشرين لمائتين والمائة لالف وفي النسخ ذكر المائة
 لمائتين والالف لالفين ولو كان ذكر ذلك علي الحمد لربغي ان يذكر في النسخ

العشرون لاربعين كما ذكر المائة لما تين لمقابلة المائة للالف ولما ذكر الالف للالفين
مقابلة ما ذكر العشرون لما تين دل انه ليس ذلك على سبيل الحد من الآزم وعلى
ذلك روي عن عمرو رضي الله عنه قال اذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاستأثر
فلا فدا علينا واذا لقي ثلاثة فقلنا فداؤه ولم يجعل للواحد الفداء من اثنين حيث
لم يوجب علينا الفداء اذا جعل نفسه اسيرا له ولم يقاتلهم وقد جعل له الفداء
عن ثلثه حيث جعل له الفداء اذا جعل نفسه اسيرا لهم وترك القتال وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ذلك وهذا هو الاصح ثم الصبر
ما هو قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله تعالى وكفها عن جميع
شهواتها ولذا انها فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر
هو ان يوطن نفسه في القتال مع العدو ويحبسها في ذلك واما الشكر قيل
هو ان يبذل نفسه ما يحويه الله لا يجعل لغيره فيكون الصبر والشكر في الحاصل
سواء وان كانا في العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما حوته
لله والصبر هو الكف عن جميع ما يبي الله عنه وحبس النفس على جميع ما امر الله وادار
ما اقتضى عليه فاذا حبسها عن غير ما يكون ما ذل ولهاذا سمي الصبرا ياما بقوله
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر ههنا مكان ما ذكر في غير الايمان
وهو قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله والله مع
الصابرين في النصر على عدوهم والغلبة عليهم قوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يتخفى في الارض لمخرج تاويل الآية على وجهين احدهما
اي ما كان لسي ان ياخذ الفداء من الانساري حتى يتخفى في الارض اي يغلب
في الارض حتى اذا اخذ الفداء وسرحهم واطلقهم يكون رجوعهم الي غير منعة
وشوكة فلا يكون في ذلك صبرا بالمسلمين فاما اذا لم يغلب في الارض ثم اخذ
الفداء واطلقهم يكون رجوعهم الي منعة فيصير واحدا على المسلمين فتكون في ذلك
صبرا بالمسلمين فلا يحل والثاني اي ما كان لنبي ان يأسر الانساري حتى يغلب
في الارض اي حتى يصير الدين كله لله بل عليه ان يقتله للحال كقوله وقابلوهم حتى
لا يكون فتنه ويكون الدين كله لله واختلف في نفس الاثخان قال ابن عباس رضي الله
عنه الاثخان القتل وقيل حتى يتخفى اي يغلب وقال ابو معاذ حتى يتخفى اي
بذل اهل الارض وصبر وامتنعوا من له والمثخن الذليل وقال ابو عبيدة

حتى يتخفى في الارض اي يتخفى في اهل الارض ويكثر القتل والجراحات
فيهم يقال اثخن في القوم اذا كثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه
حتى اثخنه اي ضربه حتى لا يقدر على القيام وهو ما ذكر محمد رحمه الله في بعض
مسائله انه اذا رمى صيدا بالبسم فاصابه واثنه ثم رمى آخر لبسم فاصابه فانه
للاول لما انه صيئ بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي
وصفنا ويقال تخن يتخن تخانة وتخنون فتولحن اي غلظ ثم اختلف اهل التاويل
في قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يتخفى في الارض هو عام مطلق
في كل نبي ام لا قال بعضهم هو عام مطلق في حق كل نبي ونبينا عليه السلام كان دخل
فيه وبه قال ابو بكر الكيساني واجم وقال بان الله عاتب واصحابه في احدي
الاساري فانه مطلق وبالغ في العتاب في احدا الفداء منهم بقوله تريدون عرض
الدنيا والله يريد الآخرة وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه انه لما استشار
اصحابه في الاساري اشار ابو بكر الي احدا الفداء وعمر الي القتل فقال لو نزل
من السماء عذاب ما نجنا الا عمر عاتبهم باحد الاساري والحق العتاب الشديد في
اخذ الفداء وقد امر بغير الرقاب بقوله فاصبروا فوق الاعناق واصبروا
كل بناي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن الانبياء فيما معني يكون لهم
اساري حتى يتخفوا في الارض وعن سعيد بن جبيرة انه قال يقتل اسرا
المشركين ولا يفادون حتى يتخفى فيهم القتل وقد ارجى اذا ائتمتهم فسد والوفات
فايامنا بعد واما فدا ولا يقال بان الله تعالى قال لولا كتاب من الله سبق لمستمكم
فيما اخذتم عذابا عظيما معناه والله اعلم انه لولا الحكم السابق بالاباحة في حق
هذه الامة والالحقكم العذاب بذلك فدل ان الرخصة ثابتة في حق نبينا وامتته
لان هذه الآية اعني قوله لولا كتاب من الله سبق توجه الي وجوه من التاويل احدها
ما قال ابو بكر الكيساني اي لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب المخيطين في
عملهم على خلاف اميره والالمستمكم العذاب فيما اخذتم من الاساري والفداء منهم
عذابا عظيما وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من
الاخذ وغيرهم وانه يتوب عليهم والالمستمكم العذاب بذلك وقال آخرون لولا كتاب
من الله ان احل الغنائم لهذه الامة والالمستمكم العذاب فيما اخذتم واستحلتم عذاب
عظيم وقال بعض اهل التاويل لختل قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى اي ما

كان لنبى قبلكم ان يكون له اسرى حتى يتجن في الارض واما انتم فقد لكم الاسارى
 والغنائم الاتري انه قال لولا كتاب من الله سبق لمستكم فيما اخذتم عذاب عظيم
 فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا والدليل على ان المراد هذا اما روي عن ابن عباس
 قال لما اسروا الاسارى يوم بدر قال النبي صلى الله عليه لاي بكر وعمر
 وعلي ما ترون في هولة الاسارى فاشاد ابو بكر الى العدا وعمر الى القتل
 فهو يما قال ابو بكر ولم يهو ما قال عمر فانزل الله تعالى ما كان لنبى ان
 يكون له اسرى الي قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاجل لهم الغنمة وعن
 عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله
 عليه ما تقولون في هولة الاسارى فقال ابو بكر قوميك واهلك فاستبهم
 واستبناهم لعلى الله ان يتوب عليهم وقال عمر كذبوك واخرجوك قد هم نضرك
 اعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثيرا الحطب فاذلهم
 فيه ثم اصترم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمتك فسل رسول الله فلم
 تلجهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ
 بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله فقال
 ان الله تعالى كليل قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله تعالى شديد
 قلوب رجال حتى يكون اشد من حجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم
 قال فمن تعني فانه مني ومن عصاني فانك عفو رحيم وان مثلك يا ابا بكر
 كمثل عيسى قال ان تقدمهم فانه عبادك وان لغضوبهم فانك انت العزيز الحكيم
 وان مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال ربنا اطهر على اموالهم واشدد
 على قلوبهم وكمثل نوح عليه السلام حيث قال رب لا تذر علي الارض من الكافرين
 ديارا انتم علي ولا تغلب احدكم الا بقدر او ضرب به عنق قال عبد الله فقلت يا
 رسول الله الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
 صلى الله عليه فارايته في يوم اخوف ان تقع علي حجارة مني في ذلك اليوم حتى
 قال رسول الله الاسهيل بن بيضاء فانزل الله تعالى ما كان لنبى ان يكون له
 اسرى الي اخر الآيات الثلاث والدليل عليه ان في قوله فاصبروا فوف
 الاعناق دلالة اباحة الاسر ورحمته لانه قال فاصبروا فوق الاعناق
 والضرب فوق الاعناق هو الابانة من المفضل الذي يبان به النفوس وذلك

قل ما يمكن في القتال ولا نقد رابانه الروس في الحرب انما يكن ذلك بعد ما
 اخذوا ووقعوا في ايديهم فذلك ذلك علي اباحة الاخذ واما ما ذكر من
 الضرب بكل بناء فهو في الحرب لان في الحرب انما يضرب فيما ظنوه ووجد
 السبيل الي ذلك فكون في الآية اشارة الي اباحة الاسر والقتل كيف
 ما اراد والله اعلم ولا يقال انه عو بت بقوله لولا كتاب من الله سبق لمستكم
 فيما اخذتم عذاب عظيم لانا نقول انما عو بت لخطر الاسر والمفاداة
 ولكن لانه لم ينتظر بلوغ الوحي وعمل بالاجتهاد فقال لولا كتاب من الله
 سبق اي لولا من حكم الله تعالى ان لا يعذب احدا علي الهل بالاجتهاد
 والامستكم العذاب باقدايمكم علي الاسر بالاجتهاد وترككم انتظار الوحي
 علي انه لحتل ان يكون قوله لولا كتاب من الله سبق ملحقا علي ما سبق من
 قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
 يجادونك في الحق الآية ويكون صلة لذلك لاني هذه الحادثة اي لولا
 من حكم الله ان جعل لكم الظفر علي احدي الطأفتين منها مطلقا فعملتم بما
 لحتله مطلق النص والامستكم العذاب بمجادلتكم رسول الله ومخالفتكم اياه
 في الخروج وارادتم العير دون الجند ويكون قوله اخذتم معناه عملتم
 والله اعلم واختلف اهل العلم في فداء الاسارى بالمال واباحة الاسر
 قال ابن عباس رضي الله عنه ان قوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى
 حتى يتجن في الارض نزل في يوم بدر والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد
 سلطانهم انزل بعد ذلك في الاسارى فاما ما بعد واما فداء فجعل النبي والمؤمنون
 بالخيار ان شاؤوا فذوهم اخبر ان ما نزل من العتاب في حق النبي في اسر
 الاسارى يوم بدر وفدايه اياهم لقتلة عدد المسلمين فلما كثرة المسلمون واخفن في
 الارض وظهد الدين اطلق له المفادات وقال سعيد بن جبير يقتل الاسرا
 ولا يعادون حتى يتجن منهم الموت ويكون اليك للمسلمين وفدا قوله حتى اذا
 اتخمتهم فسدوا الوثاق فاما ما بعد واما فداء وعن الحسن انه كره قتل الاسير
 وقال يصنع به ما صنع رسول الله باسارى من اوفاديه وهو قول عطاء
 وعنه وقال مجاهد القتل افضل من العدا وقال ابو عبيد ان الايام
 مختير بين ان يقتل الاسير او يفسد عليه او يقدية او يشترقه لان رسول الله

قتل عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر ثم قدم المدينة فحكم في سائرهم
بالفداء أو المن وكذلك حكم في بني قديظة سعدان فقتل مقاتلهم ثم من النبي
صلي الله عليه علي الزبير بن باظا لما كلفه ثابت بن قيس ثم علي بن المصطلق فلم
يقتل احدا منهم ثم من علي اهل خيبر وقد قتل ابن اب الحقيق ثم كان فتح مكة
فقتل هلال بن خطيل ومعتص بن ضبابة واطلق سائر الناس ومن ابو بكر رضي الله
عنه علي عيينه بن حصين والاشعث بن قيس وقتل رجلا من بني سليم وكنا
نقول ان قول ابي عبيد ان للامام ان يقتل الاسير فهو كما قال لان النبي
قد قتل من ذكر من الاسراء واما قوله ان له ان يغديه لان النبي فاذي
اساري اهل بدر فليس كذلك عندنا فان المفاداة عن الاسير بالمال ليرد
الي دار الحرب فيصير حربا لنا لا يجوز ومثركوا العرب بما لا يجوز تركهم علي الكفر
بالجزية لقوله عليه السلام لا يجتمع دينان في جنيرة العرب وكذلك مفاداة
الاسير باسير المسلمين لا يجوز عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند ابي يوسف
ومحمد رحمه الله يجوز وعند الشافعي ليجوز احد الفداء عن الاسير كيف ما كان
واما اخذ الفداء من اساري بدر كان قتل نزول قوله تقتلونهم ويسلمون
وقوله فاما ما بعد واما فداء لا حجة فيه علي ما نذكر والله اعلم واما قوله ان له
ان يسترقه فهو كما قال اذا كان الاسير من اهل الكتاب او من اهل الجحيم فاما مشركوا
العرب واهل الردة فلا يسترقون لانه لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه استرق
احدا منهم لما اسره ولا بلغنا ان ابابكر استرق احدا من رجال اهل الردة وكيف
يسترقون وقد قال الله تعالى تقتلونهم او يسلمون واما قوله له ان من عليه
ولا يقتله وهذا في اهل الكتاب صحيح واما في حق العرب فلا فان الله تعالى
قال تقتلونهم او يسلمون وقال فاذا انسحق الاشهاد الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتمهم فاما قوله فاما ما بعد واما فداء فقتل عن السدي وقتادة
وعنه ما ان ذلك منسوخ بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وسورة البراءة نزلت بعد سورة محمد عليه السلام علي انه يجوز ان يكون
ذلك في اهل الكتاب فيمن عليهم بعد اسرههم علي ان يسروا اكره للمسلمين كما فعل
رسول الله باهل خيبر او ذمة كما فعل عمر باهل السواد او يسترقوا اذا كان
الرق يتبع عليهم واما ابو بكر انما من علي الاشعث وعيينه لما اتيا اسلما واما الزبير

واهل خيبر فكانوا اهل كتاب فمن علي اهل خيبر لم يصيروا اكره للمسلمين
واما الذين بقوا من عليه ولم يقتله ولم يمت انه هل جعله ذمة والذمة الجزية
ام لا والله اعلم وفيما روينا من استشارة النبي اصحابه في اساري بدر دلالة
العمل بالاجتهاد فكون حجة علي منكري القياس والذي يدل علي صحة
الاجتهاد ما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال لا يكره وعمر يا ابابكر وعمر
ان ربي يوحى الي ان اساوركما ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما علمت خلاف
رايكما فهذا دليل علي انه لا يجوز لاحد ان يخالفهما فيما اجتمعا عليه وان ما
اختلفا فيه لا يجوز للعدول عن قوليهما ويجب الاخذ باحدهما وذلك يكون
بالاجتهاد والقياس اذ الترجيح بالمعنى يكون قالت المعتزلة في قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة علي ان الله تعالى قد لا يريد ما اراد العباد
فلا يجب ارادوا المعاصي ان يكون الله مويدا لها لانه اخبر انهم ارادوا عرض
الدنيا والله يريد الاخرة فجوز انهم ارادوا المعصية والله تعالى يريد الطاعة
لكن التاويل عندنا اي تريدون حياة الدنيا وعرضها والله يريد الاخرة وعرضها
فان الله تعالى اراد لهم الاخرة بالقتال مع احدي الطائفتين وهم العسكر وهم
ارادوا عرض الدنيا وهو العير فقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا لانفسهم لان
يريد الله ان يكون لا محالة فاما ما اراد العبد قد يكون فكون ارادة حقيقة لمقتضاها
الفعل وقد لا يكون فكون متنيا وذلك جائز في صفات العبد واصله ان الله تعالى
اراد الاخرة لاهل بدر فكان ما اراد واراد لا وليك الكفرة النار فكان كما اراد
وهو كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم خطا في الاخرة والاشبه ان يكون الارادة
ههنا من العباد في المحبة والمودة اي قد دون ولحنون عرض الدنيا لان المحبة
ليست من قد آيين الفعل لا محالة والله يريد الاخرة هو علي حقيقة الارادة وهو
ما ذكر في آية اخري حيث قال واذهدكم الله احدي الطائفتين انها لكم وتودون
ان عيب ذات الشوك تكون لكم كانوا يودون القتال مع غير ذات الشوك
حتى يكون لهم الفناء ثم الارادة التي تضاف الي الله يخرج بها وجوه ثلاثة احدها
الرضا كقوله سيقتول الذين اشركوا الوشا الله ما اشركا كانوا يستدلون
بتوكله ايامهم علي ان الله تعالى رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله واذ
فعلوا فاجشنة قالوا وجدنا عليها ابانا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة

كل فاعل يخرج ضله على غير سهو وغفلة ولا طبع بل خروج على الاختيار
قوله تعالى فكلوا مما غنمتم قال بعضهم حلالا طيبا واحدا كل حلال طيب
وكل حرام خبيث وانما طيب اذا حل وخبيث اذا حل لكن بحسب قوله حلالا
طيبا حلالا بالشرع طيبا بالطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع خبيث
بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرم بالشرع وبالطبع والخبيث بالطبع ولان الطيب
هو الذي يتلذذ به ولا تبع فيه لان خوف التبعه مما يفسد عليه ويذهب
بطيبه ولذا نهى ما ذكر من الطيب ههنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون
الاموال ويجمعونها من وجه لا لجل وباسباب فليس ذلك فيكون المسلمون يتناولون
منها اذا غنموها لاجل تلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا انه
لا مواحدة لكم في ذلك وفيه دليل جواز التصرف في البع الفاسد
وطيب التناول منه للثاني وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون
بازن كمال الكفرة المستفاده باسباب فاسدة في حق من يملكها بالاستيلاء
والاستغنام والله اعلم وفيه دلالة ان اهل الكفر لا ياخذون بالافعال
التي كانت لهم في الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادة لما ليس عليهم اداؤها انما عليهم
الاعتقاد والله اعلم قوله تعالى واتقوا الله اي فيما امركم به ونهيكم عنه فلا
تقصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل قوله تعالى يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال
عامة اهل التأويل ان الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك
قال ابن عباس قالوا للنبي آمنة ما جئت به ويشهد لك رسول الله فقول ان
يعلم الله في قلوبكم خيرا اي يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم خيرا
يعلم الله اعتقاد الايمان يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي تحلف عليكم خيرا مما اصاب عليكم واخذ
منكم في الدنيا وكذا روي عن العباس انه قال بعد ما تم عناه وكثر ما له ان الله تعالى
وعدي وعدين بقوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويفضلكم وقد صدق الحق الوعدين
والجنه عني به انه اعطاه مالا كثيرا فارحوا ان ينجذ الوعد الاخر وهو المغفرة هذا
معني كلامه لكن الآية فيه وفي غيره كل من فعل مثل فعله فهو في ذلك سواء وحتم
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي ان يعلم الله منكم العزم على
الايمان والميل اليه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان والتصديق لكن معناه

في الحقيقة قد علم الله في قلوبكم خيرا وهو الميل الى الايمان والعزم عليه فقد اتاكم
خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان لان علم الله بما لا يحتل التعليق بل الله تعالى له
علم اذ لي بما يكون وما لا يكون وبما لا يكون لو كان كيف يكون لذلك قلنا انه اذا
بوالمأخوذ ويجوز ان يذكر يفعل مكان فعل في اللغة قال الله تعالى اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض عتدهم الله دينهم اي قال المنافقون وذلك
كثير في القرآن وعلى هذا والله الموفق ومحتمل يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي يتكلم
ويغضكم افضل مما اخذ منكم من العدا في الاخرة من النعم الدائمة والحيوة
الباقية والله اعلم قوله تعالى ويفضلكم ذنوبكم والله غفور رحيم
اي غفور لما كان منهم في حال الشرك كقوله فان انتهوا فان الله عفوت
الذنوب التي سلفت منهم وقوله رحيم اي يرحمهم في حال الاسلام والله اعلم
قوله تعالى وان يريد خيانتك فقد خا نوا الله من قبل فامكن منهم لحتل
ان يكون الآية صلة ما سبق من الايات من قوله الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون وقوله فاما تخافون من قوم خيانة
وقوله وان يريد ان يخذلوك فان حسبك الله وعينه ذلك فكان معناه
والله اعلم وان يريد خيانتك في نقض العهد فقد خا نوا الله من قبل ثم قوله
فقد خا نوا الله من قبل لحتل اي خا نوا الله من قبل فيما عهدهم وان يؤمروا
بذلك من ذلك قولهم لين الخيئة من هذه لتكون من الشاكرين وقوله ومنهم
من عاهد الله لئن انا انا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقد
اتاهم الله ذلك ولم يؤمروا بما عهدهم وعينه ذلك من العهود والامانات التي اوتوا
فيها فحافوا الله في ذلك ونقضوا وحتل ما عهدهم اليهم في امرهم واطمأن
نعتهم وصفته في كتبهم فكتبوا ذلك وحق فوه واظهر واخلف نعتهم وصفته فذلك
منهم خيانة بقوله فقد خا نوا الله من قبل فامكن منهم فاذا جابوك فامكن الله تعالى
ايضا منهم وقال بعضهم وان يريد خيانتك الآية اي ان جابوك بعد اسلامهم
بالكفر بك فقد خا نوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله من قبل هذا القول ان
جابوك امكنك منهم فقتلتهم واسدتم كما فعلت بهم يوم بدر والله اعلم وقوله فامكن منهم
قال بعضهم اي انتم منهم جزا خيانتهم فممكنك ايضا حتى سقم منهم اذا خا نوك
وقال بعضهم اي فقد خا نوا الله من قبل فامكنك الله منهم اي لقد ركن عليهم فاذا خا نوك

بقدرك الله عليهم ايضاً ثم قوله وان يدحيا نك ليس على الارادة ولكن
 على حقيقته وقوع فعل الحيانة كانه قال فان خا نوك فقد خا نوا الله من قبل
 لكن ذكر الارادة واراد بها حقيقته الفعل مجازاً اي ان الارادة صيغة كل فاعل
 مختار لما لا يكون الافعال الاختيارية الا بالارادة والله الموفق قوله
 تعالى والله عليم حكيم اي عليم بما يشرون وما يبيعون من الحيانة ونقض العهد
 حكيم في امره وحكمه حيث امكنك منهم قوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا
 وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله آمنوا اي صدقوا بايات الله
 وحججه او صدقوا رسوله في جميع ما جاء به كما انه مقابل قوله كذاب آل
 فزعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله وقوله كذبوا بايات ربهم
 ذكر ههنا النصد يت مكان التكذيب هناك وقوله وجاهدوا اي جاهدوا
 في اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم اي بذلوا ذلك والذين اؤوا اي ضموا
 النبي ونصره واوليك بعضهم اولياء بعضهم قال ابن عباس وعامة
 اهل التاويل الولاية التي ذكرت في الآية في التوارث جعل الميراث
 للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين آمنوا ولم يهاجروا
 الي المدينة وكذلك قالوا في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
 من شيء حتى يهاجروا يعني الميراث وروي عن عبد الله ابن مسعود قال
 قالت رسول الله صلى الله عليه واله المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعضهم في
 الدنيا والآخرة وعن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه واله عن السعدي
 عن القاسم قال اخبر رسول الله بين اصحابه فاخا بين عبد الله ابن مسعود
 والذين يربون العوام اخوة يتوارثون بهالا منهم هاجر واوتركوا قدامهم حتى انزل
 الله تعالى اية الموارث وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله والذين
 عقدت ايمانكم فاقوم نصيبتهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يربون
 الانصار في دون ذوي رحمة بالاخوة التي حي النبي بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا
 موالي مما ترك الوالدان والاقرابون لسختها وقوله والذين عقدت ايمانكم فاقوم
 نصيبتهم اي من النصر والنصيحة والرفادة ونوصي له ولا ميراث وعن الحسن في
 قوله واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون
 بالمهجرة فكان الاعراب لا يرث المهاجر والمهاجر لا يرث الاعراب لمحضهم بذلك

٢٤١

على المهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى والوالا رحام بعضهم اولي ببعض في
 كتاب الله فوارث الاعراب المهاجر وتوارثوا بالارحام الي هذا يذهب
 عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان المهجرة كانت مفروضة فزال فرضها
 بقول النبي عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عائشة
 رضي الله عنها انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية انما كانت المهجرة الي الله
 ورسوله والمؤمنون يفترون بدعهم من ان يقتنوا عنه وقد افشى الله تعالى
 الاسلام ولحقه غير ما ذكر اهل التاويل وهو ان قوله ان الذين آمنوا
 وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله الي قوله او ليك بعضهم
 اولياء بعضهم اي اوليك بعضهم اولياء بعضهم في تمام الولاية في التناصرو والتعاون
 والحقوق والديانة ثم اولي بعضهم ببعض من الذين آمنوا ولم يهاجروا والانيهم
 آمنوا وهاجروا ووتركوا ما اهلهم واهلهم وقد ابا انهم وبلد هم الذين كانوا
 فيه مقيمين اشفاقاً على دينهم واستسلاماً لهم ولا نفهم والانصار آذوهم
 وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع مؤنهم من غير
 ان كان سبق منهم اليهم سي فصاروا لهم اعواناً وانصاراً فصار بعضهم اولياء
 بعض في تمام ما ذكرنا من الولاية وكذا قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا
 ما لكم من ولايتهم من شيء اي من تمام ما ذكرنا من الولاية لهم ولانة الدين وليس
 لهم ولاية التناصرو والتعاون والحقوق والمنافع التي تكسب بالدين والله اعلم
 وفي قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء دلالة بقض
 قول المعتزلة في ان صاحب الكبيرة يخرج من الايمان لان الله تعالى
 ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وصاروا بتركهم
 الهجرة مرتكبين كبيره فدل ان ارتكاب الكبيرة لا يزيل الايمان ثم قوله ما لكم من
 ولايتهم من شيء فذكر بالنصب والحفظ وكذلك في قوله هناك الولاية لله الحق
 في الكهف فذكر بالنصب الواو والكهف ثم قال بعض اهل الادب الولاية بنصب
 الواو النصورة والمعونة والحفظ الواو السلطان اي السلطان به وقال بعضهم
 على العكس وقال اخذون مما سواها فيها قوله تعالى والوالا رحام بعضهم
 اولي بعضهم اي الوالا رحام اذا آمنوا وهاجروا وبعضهم اولي بعضهم
 لانهم اذا آمنوا وهاجروا ولهم قربة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولي من غيرهم

الذين لا قذابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع فيهم الرحم والنصرة والديانة والحق فقد
اجتمع فيهم اشياء اربعة وفي اوليك ملة هم ادنى بهم من غيرهم هذا على التاويل
الذي ذكرنا قولنا **تعالى** وان استنصروكم في الدين يعني الدين لم يهاجروا
وهو محتمل وجهين احدهما اي اذا اطلبوا منكم النصرة والمعونة على عدوهم فاعلموا
النصر والمعونة على اوليك اذا لم يكن بينكم وبين اوليك ميثاق والثاني اي اذا
علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافونهم فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي اذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اي
ليس عليكم ان تنصروهم وان اتاكم عدوهم من المشركين وقتلوهم ليردوهم
على الاسلام لكن الآية وان كانت مطلقة فالمراد بها والله اعلم اي فلا تنصروهم
اذا كان بينكم وبينهم ميثاق حتى تنبذوا العهد وعليكم بنذ العهد ونصرة المسلمين
والله اعلم **تعالى** والله كما تعلمون بصيراي في المعونة والنصرة **قوله**
تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول ابن عباس وعامة اهل التاويل
اي بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا في المهاجرين والانصار **قوله**
ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التقاون والتناصر والدين والحق جميعا
على ما ذكرنا في المؤمنين **قوله** **تعالى** لا تفعلوا تكن فتنه وفساد كبير قيل
بوجه احدها اي ان اخوانكم الذين لم يهاجروا واذا استنصروكم على عدوهم فلم ينصروهم
تكون فتنه في الارض وفساد كبير اي اذا لم يكن بعضكم اعوانا وانصا لبعض على
ما كان اهل الكفر بعضهم اعوانا وانصا لبعض عليكم العدو وفساد فكون في ذلك
فتنه وفساد كبير وهو **قوله** وقايلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله
وقال بعضهم لا تفعلوا تكن فتنه في الارض وفساد كبير ملحق بقوله الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق وعهد فنصروهم تكن فتنه في الارض وفساد كبير وقال بعضهم
لا تفعلوا اي ان لا تفعلوا ما امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين وجعلتم
التوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنه في الارض وفساد كبير لان الله تعالى
ذكر التوارث ثم ذكر في آية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الآية
وما ذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر بكون
فتنه في الارض وفساد كبير **قوله** **تعالى** والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين اؤوا ونصروا اي صمدوا رسول الله والمهاجرين الي انفسهم

ونصروهم **قوله** **تعالى** اوليك هم المؤمنون حقا اراد به المهاجرين والانصار
سماهم مؤمنين حقا لما حققوا ايمانهم باعمالهم لان المهاجرين هاجروا بلادهم
واهلهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله واطاعوا
في ذلك والانصار صمدوا رسول الله والمهاجرين الي انفسهم وانزلوهم منازلهم
وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم
التي عملوا عند الناس والله اعلم **قوله** اوليك هم المؤمنون حقا اي اوليك
هم المؤمنون الذين وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في آخر الآية لهم مغفرة ورزق
كريم **قوله** اوليك هم المؤمنون حقا اي اوليك هم المؤمنون صدقاني السيرة
والعلاينة ليس كالمنافقين الذين يكون ايمانهم في العلانية دون السيرة وهو **قوله**
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ثم قد جمع الله تعالى بين المهاجرين
والانصار في حق الشهادة لهم بالتصديت والايمان حيث قال اوليك هم المؤمنون
حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب به من المنافع حيث قال اوليك بعضهم
اولياء بعض وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق
كريم جمع بينهم في هذه الخصال وان قدم ذكر المهاجرين في غير واحد من الآيات
لما انهم كانوا مستوين في الاسباب التي استوجبوا ذلك وهو ما ذكرنا من
المهاجرين ترك الاوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن اهلهم واموالهم
وكان من الانصار مقابل ذلك ان اظهروا منازلهم واطلقتهم وبذلهم اموالهم
وقيام اهلهم في خدمتهم فدل على استواء الاسباب الاستحقاق لذلك
جمع بين الكل والله اعلم **قوله** **تعالى** لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن
يكرم اهل به **قوله** **تعالى** والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
فاوليك منكم اي من آمن من بعد هؤلاء وهاجروا بعد هجرة هؤلاء فانهم يلحقون
باوليك في جميع ما ذكر في اوليك من الشهادة في التصديق في الايمان والولاية
ووعده المغفرة ومحو ذلك حيث قال فاوليك منكم يذكرو هذا والله اعلم **قوله**
فما عمل اوليك من الهجرة والنصرة وبذل النفس والمال والاشفاق على الدين
لتكون منهم كما جعل اوليك منهم اذ جعل وجود الهجرة من الذين هاجروا مع
رسول الله والذين تآخروا هجرة منهم سواء والله اعلم **قوله** **تعالى** والوالوالرحام

بعضهم أولى ببعض أي الوالا رجاء بعضهم أولى ببعض في الميراث من جميع المؤمنين
هاجر وأولم يهاجر وأهذه الآية نسخت حكم الميراث الذي ذكر في قوله
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء لأنه كان جعل ميراثهم لحق
الآيمان والمهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال والوالا رجاء
بعضهم أولى ببعض وكذلك ما ذكر في سورة الأجزاء والوالا رجاء بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فإذا لم يبق من الرحم أحد فبعد
ذلك يكون لجملة المؤمنين وعلي ذلك خرج قولنا صحابنا أن أولى الأرحام
بالميراث أولى من جملة المؤمنين حتى يرد عليهم ولم يوضع في بيت المال الذي
هو حق المؤمنين لظاهر الآية وعلي ذلك خرج قولهم في العقل أنه علي ذوي
الأرحام فإذا لم يكن أحد منهم فكون علي جملة المؤمنين في بيت المال والله أعلم
قوله تعالى في كتاب الله أي في حكم الله ولحقه في كتاب الله أي ذكر في
كتاب الله قوله تعالى أن الله بكل شيء عليم أي عليم بالعباد وما يكون منهم
وكتهد أي عليم بالاحتاجون وما لا يحتاجون وهو حرف وعيد والله أعلم

سُورَةُ التَّوْبَةِ

قوله تعالى برآة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين
قال أهل التأويل المراد من قوله برآة من الله ورسوله هي البرآة
من العهود وهي نقض العهود التي كانت بين رسول الله وبين المشركين
أمه بنقض العهود التي بينه وبينهم بعد أربعة أشهر فإنه قال فسبحوا في
الأرض أربعة أشهر أي يسبحون في هذه المدة آمنين عن الحرب ثم غيبت إمامهم
معنى هذه المدة ثم بعد ذلك أضلت أهل التأويل في كيفية ذلك لأن ظاهر
هذه الآية تقتضي أن من كان بينه وبين رسول الله عهد كيف ما كان فاجله
أربعة أشهر لأنه ذكر العهد مطلقاً بقوله إلى الذين عاهدتم من المشركين
فسبحوا في الأرض أربعة أشهر ثم قوله إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم
لم تقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاقموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ظاهرة
لغنى أن لا ينقض العهد من المشركين جملة كيف ما كان العهد بل يتم العهد
إلى المدة المسماة لهم وإن توفي عهدهم إلى تلك المدة ثم قال في آية أخرى

إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقام لكم فاستقيموا لم امر بآفا
عهدهم وأيضاً به ما داموا علي العهد ولم تقصوا ولم يخونوا وقد ورد الأجاديث
مختلفة أيضاً روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما فتح الله تعالى عليه مكة في رمضان
ورجع إلى المدينة ونزلت برآة من الله ورسوله فبعث أبا بكر إلى مكة علي
جميع الناس ليقم لليومين حجهم ويكون أميراً عليهم وبعث معه عشرة آيات
أولهن آيات وأمره أن يقتداها علي أهل مكة ويبذلها كل ذي عهد
عهده كما وصف له فلما خرج أبو بكر من مكة نزل جبريل فقال
لرسول الله إنه لا يودي عن ذمتك إلا رجل من أهل بيتك ولا يعطي ذمتك
إلا رجل من أهل بيتك فدعا علياً رضي الله عنه وبعثه إلى أهل مكة وقال
له كن أنت الذي لغتوا رهولاً الآية أت علي أهل مكة فإنه لا يودي عن ذمتي
ولا يعطي ذمتي إلا رجل من أهل بيتي ومضى أبا بكر ليصلي بالناس فسار حتى
لحق أبا بكر في الطريق فاحبوه بما أمر به رسول الله فمضيا فكان أبو بكر
رضي الله عنه أميراً علي الموسم وعلي رضي الله عنه صاحب البرآة وفي رواية
لما أدركه علي واحبوه بذلك واخذ منه البرآة رجع أبو بكر إلى النبي فقال
لنبي بآتي أنت وأمي نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عندي أو رجل مني
أما ترضي يا أبا بكر أنت صاحبني في الغار وانت آتي في الإسلام وانت تزد علي
الحوض يوم العسمة فقال بلى يا رسول الله فمضى أبو بكر علي الناس ومضى علي
بالبرآة فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي عند حجرة العقبة فقال
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم قالوا له بماذا افتقدار علي الناس برآة من الله
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين الآية أي من كان بينه وبين رسول الله
عهد فهو بري منه غير أربعة أشهر فإنهم يسبحون فيها آمنين غير خائفين فهذا
أحد يث موافق لظاهر أول السورة ولكنه مخالف لقوله إلا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم تقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاقموا إليهم عهدهم إلى
مدتهم وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كنت مع علي حين بعثه
عليه السلام ببرآة إلى المشركين فكنت أنا الذي حتى فحل صوتي فقبل له بأني
شيء كنت تنادي قال أمرنا أن لا يدخل الجنة إلا مومن ومن كان بينه وبين
رسول الله عهد فاجله إلى أربعة أشهر فإذا مضت أربعة أشهر فإن الله بري

من المشركين ورسوله وهذا الخبر موافق ايضا لظاهر اول السورة مخالف
 لقوله الا الذين عاهدتم من المشركين الآية وروي عن علي رضي الله عنه انه
 سئل يا اي شيء بعثت الي اهل مكة قال اربع لا يدخل اجتهه الانفس مؤمنه
 ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه عهد فعهد به الي مدته ومن لم يكن بينه
 وبين النبي عهد فعهد اربعة اشهر ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الحرم
 مشرك بعد عامة هذا وهذا الحديث مخالف بظاهره ظاهر اول السورة
 فان فيه ان من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد به الي مدته وفي اول
 برآة من كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر ولكنه موافق
 للآية الثانية والثالثة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا
 شيئا وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
 لهم لما اختلف ظاهر الايات والاجاديت فاحلف اهل التاويل في التوفيق
 بينهما فقال بعضهم ان اول السورة في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد
 مطلق مرسل غير موقت بوقت مبين فامر سقن ذلك العهد المرسل بعد
 اربعة اشهر ونفاه في الاربعة الاشهر وهو قوله الا الذين عاهدتم عند
 المسجد الحرام في العهد الموقت الي مدة معلومة فاستثنى العهد الموقت الي
 مدة معلومة فاستثنى العهد الموقت وامرنا باتمام العهد المسي وفته الي انتها
 المدة فكذا ذلك قوله فامروا عهدهم الي مدتهم اليهم وقوله فما استقاموا لكم فاستقيموا
 لهم وكذا روي عن محمد بن اسحاق انه قال بعث رسول الله ابا بكر امير علي
 الحج في سنة تسع يقيم للمؤمنين حجة فخرج ابو بكر ونزلت برآة في نقض ما بين رسول الله
 وبين المشركين من العهد والذي كان بينه وبينهم من العهد ان يصعد عن البيت احد
 حاه ولا يجاز احد في الشهر الحرام فكان ذلك عهد عام مرسل بينه وبين اهل الشرك
 وكانت بين ذلك عهد وبين رسول الله بين قبائل من العرب مخصوصة الي اجل
 مستأنة فنزلت برآة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين اي الي
 اهل العهد العام المرسل من اهل الشرك من العرب ان الله بري من المشركين
 ورسوله بعد مضي اربعة اشهر وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
 فاذا حمل عليه فلا يكون حبيذا بين الايات اختلاف وكذا روي علي هذا خرج
 الاجاديت فان حديث ابي هريرة ان من كان بينه وبين رسول الله عهد

فان اجله اربعة اشهر انصرف الي من كان له عهد مطلق موقت الي مدة
 معلومة وحديث علي ان من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد به الي مدته
 انصرف الي الاجل المسمى وانصرف قوله ومن لم يكن بينه وبين رسول الله
 عهد فعهد اربعة اشهر اي من لم يكن بينه وبين النبي عهد الي مدة معلومة
 فاجله اربعة اشهر وما روي في حديث ابي هريرة في رواية اخري ومن كان
 بينه وبين رسول الله مدة فاجله اربعة اشهر ارادوا الله اعلم مدته مهمة مرسله لا
 معينه بان عهد اليهم شهرا او سنين غير مستأنة ومتى حمل الاجاديت علي ما
 ذكرنا يرتفع الاختلاف والله اعلم وقال بعضهم بان اول السورة في قوم كانت
 عادتهم نقض العهد ونكثه كقوله الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يقضون
 فامرنا في رسول الله بان يوجل من نقض عهد اربعة اشهر كانه قال برآة من الله
 ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فنقضوا عهدهم فسيحوا في الارض
 اربعة اشهر فامر فنقضوا عهدهم والعرب يصنع مثل هذا في كلامهم واما قوله
 الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا شيئا ولم يظاهروا اليكم احدا
 فامروا اليهم عهدهم امر باتمام عهد من لم سقن وكذلك قوله الا الذين عاهدتم
 عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وهذا يبين ان النقض مضمون
 في اول الآية لانه استثنى تمام من سقن عهده الي مدته والمستثنى خلاف
 المستثنى منه فدل ان المراد في اول السورة علي من نقض العهد وعلي هذا
 لخرج الاجاديت لحديث علي موافق لما ذكرنا فانه قال ومن كان بينه
 وبين النبي عهد فعهد الي مدته ومن لم يكن بينه وبين النبي عهد فعهد الي مدته
 اربعة اشهر اي اذا نقض العهد الذي كان بينه وبينه فانه اربعة اشهر وحديث
 ابي هريرة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الي اربعة اشهر اي عهد
 فنقضه وكذلك الرواية اخري ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فاجله
 الي اربعة اشهر اي مدة فنقضها حتى يكون توفيقا بين الاجاديت والايات
 والله اعلم والي هذا القول ما قال ابو بكر الكيساني وقال بعضهم اول الآية
 في قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر بقوله الا الذين
 في الارض اربعة اشهر دليله ما ذكرنا من لفظ الاتمام فاستثنى بقوله الا الذين
 عاهدتم من المشركين الي قوله فامروا اليهم عهدهم الي مدتهم فاستثنى من كان

مدته اكثر من اربعة اشهر فعهد الي مدته ومن لم يكن بينه وبين النبي عهد
اي اكثر من اربعة اشهر فعهد اربعة اشهر وكذا حديث ابي هريرة وقال
بعضهم اول الآية في قوم كان عهدهم اكثر من اربعة اشهر فامروا بان يحط الي اربعة
اشهر ثم ينقض بعد ذلك الا في قوم خاص وهم فتيان احدها الذين عاهدوا
رسول الله عند المسجد الحرام من قبل بكة الذين كانوا دخلوا في عهد قريش
يوم الحديسة الى المدة كانت بين رسول الله وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا
الحج من قريش وهو الدليل فامر النبي باتمام العهد لمن لم يكن نقضه من بني بكر
الي مدته فذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم والقديق الثاني كان قوم من خراعة من بني المصطلق فامروا
ان يتم لهم العهد الذي بينهم وبين النبي وذلك قوله الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينفذوا شيئا الاية وعن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين
حين جعلوا ينقضون عهودهم قبل فامروا الله بتيه ان ينظر فمن كان عهد
اربعة اشهر ان نقضه الي ان لمضي اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الي عشر
محرم من شهر ربيع الاخر ومن كان له من العهد اكثر من اربعة اشهر
ان يحطه الي اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الي انقضاء اربعة اشهر ومن كان
له من العهد اقل من اربعة اشهر ان يرفعه له فجعله اربعة اشهر ومن لم يكن
له عهد بينه وبين رسول الله ان يجعله له خمسين ليلة وذلك من يوم النحر الي
ان لمضي خمسون ليلة وذلك من يوم النحر الي ان لمضي خمسون ليلة وذلك الي
التلخ المحرم الاحي واحد منهم وهو بنوا ضمرة من بني كنانة كان بقي لهم من عهدهم
تسعة اشهر فامر الله تعالى منه ان يتم لهم عهدهم الي مدتهم وقد كانوا عاهدوا
رسول الله في العمرة التي احملت له فيها مكة بعد احدى سنة بسنة عاهدوا في تلك
الايام عند البيت وذلك قوله برأة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم
من المشركين يقول من كان بينه وبين رسول الله عهد فهو بري من عهده
بعد اربعة اشهر ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم من المشركين وهو بنوا ضمرة
حي من بني كنانة امر الله تعالى ان يتم لهم ما عاهدتم الي مدتهم وكذلك قوله كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم الاية فهم بنوا ضمرة فما استقاموا لكم في وقاء العهد فلم ينفذوا كما نقض

٢٢٩

غيرهم فاستقيموا لهم علي التمام بوقاء عهدهم هذا كله قول اهل التاويل وعرضا
لحتمل غير هذا وهو ان قوله برأة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم
من المشركين الاية اي برأة في امضاء العهد ووقايه واتمامه ليس علي النقص
والبرأة من العهد الاتري انه قال الي الذين عاهدتم من المشركين والبرأة
اليهم هي الايمان ووقاء العهد اليهم ولو كان علي النقص لكان من حق الكلام
برأة من الذين عاهدتم فذلك انه هو اتمام العهد لهم وامضاءه ويؤيد ما قلنا
بقا قال بعض اهل الادب البرأة هي الايمان كما يقال كبتت له برأة اي
امانا وهذا شبه بما قال اهل التاويل ولا يقال ان الله تعالى قال علي
اثر هذا واذا ان من الله ورسوله الي الناس يوم الحج الاكبر ان الله بري من
المشركين ورسوله ذلك ان المراد من اول السورة البرأة من العهد
وكذلك ما روينا من حديث ابي بكر وعلي رضي الله عنهما انه بعد ما نقض العهد
لانا نقول امر بنقض العهد بعد الامضاء والاتمام اربعة اشهر وبعد النقص يكون
حكم قوله ان الله بري من المشركين ورسوله ولا يقال بانه استثنى من قوله
برأة من الله ورسوله ولا الي الذين عاهدتم من المشركين قوله الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينفذوا شيئا الي قوله فامروا اليهم عهدهم الي مدتهم
ولو كان اول علي اتمام العهد كيف استثنى منه اتمام العهد ايضا وحكم مستثنى
خلاف حكم مستثنى منه لانا نقول بان في الاول امرا باتمام العهد اربعة
اشهر واستثنى اتمام العهد الي تمام مدتهم وكذلك في قوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام علي ان هذا ليس باستثناء من قوله برأة من الله ورسوله
الي الذين عاهدتم من المشركين الاية بل قوله الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينفذوا شيئا مستثنى من قوله وبشر الذين كفروا من عذاب اليم
الا الذين عاهدتم وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام مستثنى
قوله فامروا المشركين حيث وجدتموهم الي ان قال الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام والله اعلم قوله تعالى فيسحقوا في الارض اربعة اشهر اي
سبع واروا اذ هو في الارض اربعة اشهر اي في مدة العهد امنين غير خافقين
قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المؤمنين وان اعطوا لكم العهد
في وقت فانكم غير فآيت عن الله بعد تلك المدة ولحتمل انكم غير معجزي اولي الله

٢٣٠

غيرهم

عن المقص بعد تلك المدة قوله تعالى وان الله مخزي الكافرين المخزي هو
العذاب القاصح الذي يفضيهم ويظهر عليهم ولحملة ان يكون ذلك العذاب
والاجزاء الذي ذكرني الاخرة قوله تعالى واذا نزل من الله ورسوله
الي الناس يوم الحج الاكبر قال العتيبي واذا نزل من الله اي اعلام ومينه اذا نزل
الصلاة وهي الاعلام يقال اذنتهم اي انا قول الله تعالى ان الله يبرئ من المشركين
ورسوله بعد اربعة اشهر اي اعلام من الله ان الله يبرئ من المشركين ورسوله
بعد اربعة اشهر من يوم الحج الاكبر فكان ابتداء الاجل الذي اجل الله تعالى
للمشركين عامة الا ما استثنى هو يوم الحج الاكبر واختلفت الروايات عن النبي
في نفسين وكذا اختلفت الصحابة واهل التاويل في ذلك اما الروايات
فانه روي عن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
يوم عرفه هل تدرون اي يوم هذا قالوا نعم اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال
فان الله تعالى قصم دماكم واموالكم عليكم اي يوم القيمة كحرمة يومكم هذا وروي
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قوله
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قال فاي
بلد هذا قالوا هذا بلد حرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال هذا يوم
الحج الاكبر فدماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم
قال هل بلغت وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقه حمراء
يوم النحر فقال ان تدرون اي يوم هذا قال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر
وروي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعزرو بن حزم والحج الاصغر العرة
فهذا دليل على ان الحج الاكبر هو الوقوف بعرفة على ما قال عليه السلام الحج عرفة
واما اختلاف الصحابة روي عن عمرو بن عبد الله عنه انه وقف بعرفات فقال
لن هذه الابنية فقبل لعبد القيس ودعا لهم ثم قال ان هذا يوم الحج الاكبر
فلا يصوم منه احد وروي عن سعيد بن المسيب انه سئل عن صوم يوم عرفه فقال
انا احذركم عن من هو افضل مني مائة ضعف ثم قال عمر بن الخطاب او ابن عمر
هو يوم الحج الاكبر فلا يصوم منه احد وعن الزبير قال يوم عرفه هذا يوم الحج الاكبر
وعن احارث قال سالت عليا عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن علي رضي الله
عنه انه خرج يوم النحر على بعثته يريد ابحا نه فجاءه رجل فاخذ بطيما بخلته فسأله

عن الحج الاكبر قال هو يومكم هذا اخل سبيلها وعن عبد الله بن سنان قال
خطبنا المعيرة بن شعبة يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحية ويوم الحج
الاكبر وعن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر واما اختلاف العلماء
روي عن مجاهد انه قال يوم الحج الاكبر يوم عرفه وقال ايضا يوم الحج الاكبر حين
الحج الاكبر اراد الوقوف بعرفة وعن ابي حنيفة انه سئل عن الحج الاكبر فقال
يوم عرفه فقيل له من عندك او من عند اصحاب محمد قال كل ذلك وروي عن
عبد الله بن ابي اذني وسعيد بن جبيرة يقولان الحج الاكبر يوم النحر وسئل عبد الله
ابن شداد عن الحج الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العرة وعن مجاهد
ايضا انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر ولكن عامة اهل التاويل على انه يوم النحر
فان حديث عبد الله بن الزبير عن ابيه مرسل غير متصل ثم مع ارساله فيه
وهم لان خطبة النبي المشهورة هي التي قال فيها اي يوم هذا قالوا يوم حرام
قال اي بلد هذا قالوا بلد حرام ومنا من الحرم وعرفات خارجة من الحرم
فدل ان المروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في يوم عرفه هل تدرون اي
يوم هذا وهم واما حديث بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
وقد اورد حديث علي رضي الله عنه علي ما روي عنه انه قال ان النبي صلى الله
عليه بعثني يوم الحج الاكبر ان لا يطوف احد بالبيت عديان الحديث بطوله وقد روي
عن علي هذا مفسرا لقوله بعثني النبي يوم الحج الاكبر واما رواية عمرو بن حزم
في مرسله وحكاية عن كتاب وليس في الكتاب بيان عن يوم الحج الاكبر انما ذكر
فيه الحج الاصغر ولولا رواية علي وابن عمر لكان ان يقال يوم عرفه هو يوم الحج
الاكبر لانه هو الذي يوقف فيه بعرفة وهو الركن الاصيل في الحج على ما روي
في الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى مع الجماعة فقد تم حجه وقضى
نفسه فكان بادراكه تم الحج ونفوس ولجان ان يقال هو يوم النحر ايضا لان فيه
بعضي طواف الزيارة وهو فريضة ويقضى فيه اكثر مناسك الحج فقد استوي
اليومان في انه يقضى في كل واحد منهما فرض من فرائض الحج واد يوم النحر
على يوم عرفه بما يفعل فيه من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفه من المناسك
الا الوقوف فما يوردي فيه اكثر مناسك الحج كان اولى بان يضاف اليه الحج الاكبر
والله اعلم ومن الحسين انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال سنة حج المشركون

والمشركون جميعاً اجتمعوا بمكة وكان ذلك اليوم لليهود عيداً والنصارى عيداً
لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله تعالى الحج الاكبر قال ابو بكر الصديق
ان يسمى الله تعالى لعيد اليهود والنصارى يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول
السحرة واللعنة عليهم ولكننا نقول جازان يسمى به لاجتماع الخلائق فيه
من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يومياً عظيماً لقوله يوم عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين ثم من الناس من استدلت بالخبر الذي روينا ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه علياً فاذا ركبكم
فاخذها منه فرجع ابو بكر الى النبي وقال هل يدك في شيء قال لا ولكن لا يبلغ
عني عيرك او رجل مني على ان علياً هو المستحق للخلافة وهو الاجتبهادون ابي بكر
لكننا نقول لا حجة فيه لانه محتمل انه ولي ذلك علياً لما كان من عادة العرب انهم اذا
عاهدوا عهداً انه لا ينقض ذلك عليهم الا من هو من قومهم فولي ذلك علياً لانه يكون
لم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد واقدم على الجواب قتل بند العهد
وان في كتابه ان لا يبداء بالحاربة مع اهل العهد قبل النبد فقد خالف كتابه
ولاحتمل ان يقال انه وليا امر القتال وهو كان البصر واقترب من امر الحرب
بالي بكر هو المولى في امر العبادات وعلى امر المحروب والحاجة الى الخلافة
لاقامة العبادات اكثر من الحاجة الى اقامة المحروب على انه محتمل ان يقتل
بان هذا حجة عليكم فان ابا بكر كان اميراً لموسم وعلى كان مناديه والامير في شأهنا
اجل قدرنا واعظم منزلة من المناوي قوله تعالى فان تبتم فهو خير لكم
اي ان تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لانهم يامنون عن العرب الذي كان في قلوبهم
على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه انه قال نصرت بالعرب من مسير
شهرين قوله تعالى وان توليتم اي ان اعرضتم عما ذكرنا فاعلموا انكم غير
معجزين الله اي عبيد فائتين عن نعمة الله وعذابه ولما احتمل قوله فان تبتم عن نقض
العهد فهو خير لكم في الدنيا وان تبتم واسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والاخرة
قوله تعالى وبشروا الذين كفروا بالعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقضوا شيئاً محتمل ان يكون قوله وبشروا الذين كفروا بالعذاب اليم
هو القتل والاسر ولما احتمل ان يكون المراد به هو العذاب في الآخرة وقوله
الا الذين عاهدتم من المشركين الآية قال بعضهم هو صيغة قوله براءة من الله

الحج

ورسوله

ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اي من اليهود التي كانت بين رسول
وبينهم ما سوي الا ربعة الاشهر من يوم الحج الاكبر ثم استثنى من جملة
ذلك فقال الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا شيئاً ولم يظاهروا
عليكم اجداً فاقوا اليهم عهدهم الي مدتهم امر باتمام العهد للذين لم ينقضوا
المؤمنين شيئاً ولا يظاهروا احداً فاما الذين عاهدتم بنقض العهد وبكثرة
فانه لا يتم لهم ولما احتمل ان يكون صيغة قوله وبشروا الذين كفروا بالعذاب اليم ويكون
العذاب اليم هو القتل والاسر فانه قال وبشروا الذين كفروا بالقتل
والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا شيئاً ولم يظاهروا
عليكم اجداً ثم قوله لم ينقضوا شيئاً اي لم ينقضوا شيئاً ما داموا في العهد ولم
يظاهروا عليكم احداً اي لم يظاهروا ولا اطاعوا احداً من المشركين عليكم
قوله تعالى واموا اليهم عهدهم الي مدتهم بالبر ببقاء العهد لهم الي تمام
المستثبات اذا لم يخوفوا ولم يظاهروا عليهم اجداً وهو كقوله واما الخافون من
قوم خيانة فابند اليهم على سواء امر بالبند اليهم عند خوف الخيانة والائمان
عند عدم الخيانة وقال بعضهم هذا في قوم خاص وهم الذين عاهدوا
رسول الله يوم الحذبية او قوم من بني كنانة وهم بنو اضمرة على حسب ما اختلفوا
فيه اهل القيل فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربعة ثم لم ينقضوا
في الاشهر الاربعة ولم يظاهروا عليكم احداً اي لم يعينوا على قتالكم احداً
من المشركين فان لم يفعلوا ذلك فاقوا اليهم عهدهم اي مدتهم اي اوفوا عهدهم
الي اجلهم المسمى وان زاد على الاربعة الاشهر قوله تعالى ان الله يحب
المتقين اي يحب المتقين لنقض العهد وقيل يحب المتقين الذين اتقوا الشرك
والمعاصي قوله تعالى فاذا انسحوا الاشهر الحرم فاقبلوا المشركين حيث
وجدتموهم قال بعضهم الاشهر الحرم هي الاربعة الاشهر التي هي اشهر العهد والائمان
التي جعلها الله تعالى اجلاً لمن امر بنقض عهده سوي ما استقام من جملة اهل
العهد على ما ذكرنا وهي الاشهر الحرم المتأليات من عشرين الى عشرين
مخلوامين شهر ربيع الاخر وسميها الاشهر الحرم لما حرم القتال فيها بسبب العهد
والائمان فامره اذا انسح هذه الاشهر الاربعة بان يضع السيف فيمن عاهد
ان لم يدخلوا في الاسلام ونقض ما سمي لهم من العهد الا في حق قوم استنفاهم

٢٢٤

وَبَقِيَ عِنْدَهُمْ إِلَى اجْلِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعَنْ إسماعيل السدي في قوله فسبحوا في الأرض
 أربعة أشهر قال عَشْرُونَ بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الْحِجَّةِ إِلَى عَشْرِينَ ربيع الآخر ثم لا
 أمان لأحد ولا عهد إلا الإسلام أو السيف وقال قتادة فإذا انسحبت الأشهر
 الحرم هي عَشْرُونَ مِنْ ذَلِكَ الْحِجَّةِ إِلَى عَشْرِينَ ربيع الآخر وقال الزهري هي
 ستو آت وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ولكن هذا بعيد لأن سورة براءة نزلت
 بعد خروج أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج فاتبه بها علي وأبو بكر خرج في آخر ذي
 القعدة أو في أول ذي الحجة فدل أن هذا القول ضعيف وقال بعضهم الأشهر الحرم
 هي الأشهر التي خلقها الله وجعلها حراماً بقوله إن عدة الشهور عند الله اثني عشر
 شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فكان معناه
 فإذا انسحبت الأشهر الحرم فاقبلوا المشركين ولكن في حق ذلك لم يكن له عهد مع
 رسول الله لما ذكرنا أن من كان له عهد فاجله أربعة أشهر من يوم النحر إلى
 تمامها وذلك بعد عشرين من شهر ربيع الآخر وكذا روي عن ابن عباس رضي الله
 عنهما في قوله فسبحوا في الأرض أربعة أشهر قال جعل الله تعالى للذين عاهدوا
 رسول الله أربعة أشهر يسبحون فيها حيث شاءوا واجل من ليس له عهد انسلاخ
 أشهر الحرم حسين بن عمار أنه علم ثم قوله فاقبلوا المشركين حيث وجدتمهم
 قال بعضهم هو في الأماكن كلها في الحيل والحرم ويكون ناسخاً للحرمات التي نزلت
 في الحرم بقوله ولا تقاتلهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه لا كله حيث
 يترجم لها ويعبر عن كل مكان وقال بعضهم معناه فاقبلوا المشركين في الأماكن
 كلها إلا في الحرم واليه مآل أصحابنا رحمهم الله حتى قاتلوا الأيوبيين
 بقتال المشركين في الحرم ولا يقتل إذا دخله ملحقاً إليه ذلك ليله ما ذكر في السورة
 التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلهم حيث تقبضهم واحذرهم من حيث
 احذروكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك
 فيه وأمكن أن يكون أنهم لا يقتلون إلا أن يدخلوا الحرم وقد نهوا عن الدخول
 فيها والحج هنا لك علي ما روي عن علي رضي الله عنه أنه نادى بالموسم ألا يحج بعد
 العام مشرك فإذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم فيه بعد النبي كما تبدأ مقاتلتهم
 أما ما لقيام المدة في حرمهم وإذا قاتلوا عند المسجد الحرام قاتلناهم لقوله فإن
 قاتلوك فاقتلوهم قوله تعالى وحذوهم واحصوهم أي اسروهم واحصوهم

قوله تعالى واقعدوهم كل موضع المراد رصد الطريق كأنه أمر بقوله إذا قعدوا
 عليهم وأمكن لهم ذلك والأشهر عند الأماكن والحبس إذا دخلوا الحصن وحفظ
 المراصد عند الأماكن ليلا يفتروا ويقال أرصدت له أي انتظرت أن أجده
 فرسيت ويقال برصدته أي انتظرت له وقال بعضهم قوله كل موضع أي اقعدوا
 بكل طريق ترصدونهم وتحفظونهم ليضيق عليهم الأمر ليزجروا ويثقادوا وفيه
 دليل النبي عتاق الحمل إلى دار الحرب من أنواع الثياب والامتنعة وما ينتفعون
 به لأن الله تعالى أمر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق عليهم الأمر
 ويستند فينقادوا وفيما حمل عليهم توسعاً عليهم والله أعلم ويحتمل قوله وحذوهم
 واحصوهم واقعدوهم كل موضع أي اقعدوا أي اقبضوا بالحج والبراهين ليضطروا إلى قبول
 ذلك فإذا انعادكم والاقبلوهم حيث وجدتمهم قوله تعالى فإن تابوا
 وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال بعضهم أمر الله تعالى في أول
 الآية تقتل المشركين بقوله فاقبلوا المشركين حيث وجدتمهم ثم قال فإن
 تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فوجب بظاهر الآية أن
 تقتل من آمن ولم يقيم الصلاة ولم يوت الزكاة لأن الله تعالى أوجب القتل وقد
 علّق رفعه بمباشرة هذه الأفعال والمعلق بالأفعال لا ينزل إلا عند وجود
 الكل فلم يأتوا بذلك كله يعني القتل واجتبا ما كان وكذلك فعل أبي بكر دليل
 على هذا فإنه لما ارتدت العرب منهم الزكاة حاربهم حتى أذعنوا بآياتها إليه
 فإنه روي عن النبي رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
 العرب كافة فقال عمر يا أبا بكر أتريد أن تقتل العرب كافة فقال أبو بكر قال
 رسول الله صلى الله عليه إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقاموا
 الصلاة وآتوا الزكاة منعوني دماءهم وأموالهم والله لو منعوني عناقاً ما كانوا يعطون
 رسول الله لا قاتلتهم عليه قال عمر فلما رأيت رأي أبي بكر قد شُرح عرفت أنه الحق
 وعين الحسين قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه ارتدت العرب عن الإسلام
 إلا أهل المدينة وأهل مكة فنسب لهم أبو بكر الحرب فقالوا أنا نشهد أن لا إله
 إلا الله ونصلي ولكن لا نؤتي فقتل عمر والبدريون إلى أبي بكر فقاتلوا دعوهم فإنهم
 إذا استقر الإسلام في قلوبهم وبنت أدياً فقال أبو بكر والله لو منعوني عناقاً لا
 يهاخذ رسول الله قاتلتهم عليه قال وقال رسول الله على ثلاث شهادة أن لا إله

إِلَّا اللَّهَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَتَنَّا قَوْمَهُمْ
 دُونَهُ فَقَالُوا إِنَّا نَأْتِيكَ وَلَكِنْ لَنْ نَدْفَعَهَا إِلَيْكَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ وَاللَّهُ حَتَّى أَخَذَهَا
 كَمَا أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَاصْنَعُوا مَوَاصِفَهَا وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
 لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلف أبو بكر وارتد من ارتد من العرب
 بعث أبو بكر لقتال من ارتد عن الإسلام فقال له عمر يا أبا بكر ألم تسمع رسول الله
 يقول أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوا ذلك عصموا
 مني دماءهم وأموالهم إلا لحقها وحيثما بهم علي الله فقال لو منعوني عقالاً ما كانوا
 يودونني إلى رسول الله لقاتلتهم عليه فلما رأيت أنه شرح صدر أبي بكر علمت أنه
 حق وقالت آخرون أن المراد من قوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة هو
 قبولهما والاعتقاد دون فعلهما واستندوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه
 قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني
 دماءهم وأموالهم إلا لحقها وفي بعض الأخبار قالت أمرت أن أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله وأبي رسول الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني كذا وفي بعضها
 حتى يقولوا لا اله الا الله وأبي رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإذا فعلوا
 ذلك منعوا مني كذا ذلك ما ذكرنا من الزيادة والتقصان على أن ذلك
 في قوم مختلفين وأنه على القول بذلك والاعتقاد لا على الفعل نفسه فمن كان
 لا يقتر بشيء من ذلك فإذا قال لا اله الا الله كان إيماناً منه في الظاهر ومن
 كان يقول باللوهية ويقتر بها ولا يقتر بالرسالة فإذا قال لا اله الا الله وأنه
 محمد رسول الله كان ذلك منه إيماناً ومن كان يقتر بهذين ولا يقتر بالصلاة والزكاة
 فإذا أفرد ذلك كان منه إيماناً فوجب حمل هذه الأجزاء على القول والاعتقاد
 لا على نفس الفعل يقتر بما قلنا أن الآية أن يأخذوا منهم الزكاة وآتوا بها ولو كان
 أداء الصلاة والزكاة من جملة الإيمان لكانوا أعين مؤمنين بأخذ هؤلاء جبراً لأنه لم يوجد
 منهم إلا ذلك والله أعلم قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فاجره
 حتى يسمع كلام الله الآية وقد قالت في آية الأولى فإذا انسح الاشرار فامتلوا
 المشركين فامرني الآية الأولى بالقتل والاسر عند الوجود فقال فامتلوا المشركين
 حيث وجدتموهم وخذوهم وأمرني هذه الآية بالاجارة والأمان إذا وجدناهم وظفرت
 بأنهم إذا استجاروا منا ليسمعوا كلام الله وفي الآية الأولى أمر بأن يقتل كل من صد

ليأخذه فنفقه أو بأسره وفي هذه الآية أمر بأن يبلغه مأمنه إذا استجار وسمع
 كلام الله ولم يؤمن وحال الدخول في هذه الآية مثل حال الدخول في الأولى
 لأنه يهتار له في كل وقت يظفر به أن يستجير ليسمع كلام الله فيظهر من نفسه
 ذلك وإن كان لم يكن عرضه من الدخول إذا السلام ذلك لئلا يرد إلى مأمنه
 مثل الذي دخل لطلب الأمان حقيقة فوق التعارض بين الآيتين إذا
 نزول العمل والقيام بما في أحدي الآيتين في الظاهر وكما ب الله منزه عن
 ذلك فلم يطلب المعنى الموفق بين الأمرين من طريق التماثل بالأسباب
 التي هي تدل على حق العمل بالآيتين جميعاً ليزول التعارض والتناقض من
 الكتاب من حيث الظاهر فقال أصحابنا أنه إذا قصد المشرك نحو ما من
 أهل الإسلام غير مظهر أعلام الحرب ولا ما يدل على أن يحجبه إلى دار الإسلام
 لذلك بل لمسي من شيء من يتعلق بالحاجة ومن يتقاهد ويطلب من ينادي
 بالاستجارة والأمان فيجار له وإن كان مقبلاً نحو ما مننا كالطالب لأحد
 وكان عليه أعلام الحرب لكنته كالعافل عن الذين يصدون له والذين
 لم منعه وقوة له فلا يقبل قوله أنه قصد الاستجارة وطلب الأمان دون
 تحصيل عرض له في الاضطرار بالمسلمين وذلك مبني على تسليم الأمر للغالب
 من الأحوال إذا لوجه للعمل بحقيقة العلم في ذلك وعلى ذلك عامة الأمور
 بين أهل الدارين وفي هذه الآية على الوجه الذي ذكرت دلالة القول
 بالقياس والاعتبار إذا لوجه سوي الاجتهاد والاعتبار بأحوالها وهذا
 مما لا يعرف إلا بغالب الرأي وكل قياس هو العمل بغالب الرأي بناء على
 أسباب ودلائل والله أعلم ثم في قوله فاجره حتى يسمع كلام الله دليل
 أنه قد يودن الحر في الدخول في مأمن المسلمين إلى أن يبلغوا مستأجراً فيستجير
 لانا نعلم أنه لا يمكنه أن يستجير من مأمنه لبعده مأمن كل من مأمن الآخر
 ثم لا يكون مأمن العذيقين في أحد الدارين لما كان في الحقيقة من كل فريق
 منها نفى من العذيقين الاضطرار به خوفه فإذا كان كذلك فلا يوجب وجوب
 المسلمين إياهم حق القتل والاسر بقوله حيث وجدتموهم ويجب رده إلى مأمنه
 لو لم يحضره ولا يسمع نعرته لشيء من ذلك والله أعلم ثم في قوله وإن أحد من
 المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله أمر بالاستجارة وبذلك الأمان له من

غير ان بين انه طلب الايمان واستجار لما ذك ولا شك انه لا نجار المشرك على كل حال اذا استجار لكنه ختم ان يكون ترك بيان ذلك لما في الجواب بانه كانه قالت وان احد من المشركين استجارك حتى يسمع كلام الله فاخذه ثم ابلفه ما منه وذلك كقولهم يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة الآية في الجواب بيان ما استفتوا كانه قالت ما يستفتونك من الكلالة قل الله يفتيك فيها فهذا مثله ويحتمل انه الذم الاجارة بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله على اي وجه دخل اذا استجار وطلب الايمان فيسمع كلام الله اي يسمع حجته وان لم يذكر لطلب الايمان شيئا وهذا حسن لانا امرنا بالتصديق عليهم ليسلوا فاذا انجنا لهم الدخول للنجاة بلا عرض يذهب منفعة التصديق فيكون المقصود بالهدى لما يرون من آثار الاسلام ومحاسنه وحسن رعاية اهل الاسلام وحيل معالمتهم وليسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا ولذلك يؤذون وان كان في ذلك قضا حاجاتهم وقد روي عن نبي الله انه لم يكن يقاتل حتى يدعو الي الاسلام فيما كان دعاهم غير مرة فذلك المعنى عند الايمان اولى ثم قوله حتى يسمع كلام الله تعلق المعتزلة بهذه الآية على ان كلام الله مخلوق لانه اخبر ان كلامه مشموع ولا يسمع الا الصوت فدل ان كلامه مشموع هو الحروف المنظومة والله مخلوق وكان نقول ان كلام الله تعالى هو صفته قايمة به ان لية وحقيقته الكلام لا تسمع في الشاهد اذا الكلام صفة المتكلم قايمة به فان الذي يودي الكلام ويفهم ويدرك وهو الحروف التي تتألف وتنظم بوضع اللسان خارج الحروف لا يسمع اذا لم يكن معه صوت بان لم يستعمل اللسان في مواضع الحروف على وجه الشدة وانما يسمع بصوت يخرج من حيث الخارجة التي تكلم فيبلغ حروف كلامه السامع فالسمع يقع على الصوت الذي هو يدرك الكلام ويفهم فصار سمع الكلام في الاصل مجازا لا حقيقة فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله تعالى ثم هو يخرج على وجوه اربعة وهو ان يسمع المعاني الى جعل لها الكلام من الامر والنهي والتحريم والتحليل ونحوها بسماع الفاظ ذاتها عليها نظمها الله تعالى ليقف الخلق على معاني كلامه بسماعها فقبل انه سمع كلام الله لما سمع ما يفهم به معاني كلامه التي هي الاغراض في حق السامعين فنسب السماع الي كلامه لصبر و رته مشروعا

معنى ويحتمل ان الله تعالى نظم القرآن والقرآن على ما أعجز الخلق عن مثله موديا معاني كلامه فنسب اليه بامنه تاليفه على ما هو عليه وان كان مشموغا من غير على ما نسب القصايد الي منشئها والكتب الي مؤلفيها والا قاييل الي الاوائل التي منهم ظهرت وان لم يكن الذي يقوله في الحقيقة قوله وكلامه بما كان منه البد الذي عليه يتكلم فمثله معني قوله حتى يسمع كلام الله والله الموفق والثالث انه يسمى سمعا لكلامه وان كان يسمع الحروف والاصوات والله تعالى تجل عن الوصف لكلامه بالحروف والمجاز والاعاص ونحوها لما انه بها يعبر بكلامه وبها يوصف ان له كلاما فنسب اليه لما اليه المرجع وان كانت هذه الارصاف غير متوهمة في كلامه ولا متصورة وهذا كقول هو الذي خلقكم من نفس واحدة او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل فنسب اليه فعلى ذلك امر الكلام وهذا كقولهم انهم ملا قواربهم وانهم اليه راجعون وقوله واليه المصير فاضيف اليه اللقاء والرجوع والمصير يوم القيامة لما انه لا تدبير لاحد في ذلك اليوم لا ان في ذلك اليوم صيرورة اليه ورجوعا و لقاء لم يكن من قبل فمثله هذا ثم ان الله تعالى تجل عن التصوير في الاوهام او التقدير في العقول فعلى ذلك صفته بل ذلك الحق واولي اذ لخص صفات الخلق في الجملة لا لخص ولا تصور في الاوهام ولا يقتدرها العقول الا من طريق القول دون حقائقها مثل السمع والبصر والعقل على ما هي اغيار لهم فانه المتعالي عن التصور في الاوهام فوصفه بالعلم والكلام ويخوذ لك الحق في ابطال توهم ذلك فيه والله اعلم وقال البلخي يقال كلام الله على المجاز والموافقة لا على الحقيقة كما يقال هذا قول فلان وكلام فلان وليس ذلك كلامه وانما هو كلام المتكلم به المعاني والقابل به وقال ابو بكر الامم هذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه يذهب الي مثل ما يقال يعرف الله تعالى من وجوه على تحقيق الوجوه لغيره من غير توهم المعنى الذي به يعرف الله تعالى منه فمثله كلامه والله اعلم ثم سماع كلام الله تعالى لخرج على سماع القرآن وعلى سماع او امر الله تعالى ونواهي

في حق العرض عليه وعلى سماح حج النبوة وآيات الرسالة او التوجيه
من القرآن والله اعلم ثم معلوم ان كلام الله هو حجة وان الحجة قد لذمت
الخلق من وجهين احدهما ما ظهره عجز الخلق عن مثله وانتشر الخبر في الافاق
علي قطع طبع المتقابلين لرسول الله بالرد الباذلين مهجم وما حوته ايديهم في
اطفان نوره فكان ذلك حجة بينه لزمته والله اعلم والثاني ان جميع ما ينزل
منه لا يوتي على آيات الا وفيها ما يشهد الحق على تصور افهام الخلق عن بلوغ
مثله في الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة بما لو قبل ما فيه من المعنى وما اخذت
به من الفائدة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء واذا
كان كذلك صار هو بالرد مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب ثم لم يفعل
بمن استجار وسمع كلام الله ولم يقبل بل يرد الي ما منه لما لم يكن تضمن امانه
القبول ولم يفار من ايضا بالرد وليس ذابا عظم من مباشرة ما فيه الحدود
ولم يواجه بها لما لم يلتزمها بالدخول فلا يقيم عليه فالنحو براحق ان لا يقام
والله اعلم ثم قوله ثم ابلغه ما منه لحتل وجهين احدهما ان يوعده ولا منعه عن العود
الي ما منه ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل عنه بل هو في حكم الحرفي ولذا لا يجب
العود بقتله ولذا لا يجب الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والله اعلم والثاني ان
يكون علينا جفطة الي ان يبلغ ما منه يدفع المسلمين منه وفي ذلك دليل على لزوم
حق الايمان للجميع بايمان البعض وليس لمن لم يؤمن له ان يتعوض له لان ما كان
البعض نفعه على الكل والله اعلم ثم في قوله ثم ابلغه ما منه دلالة انه لم يقبل ما اسمع
وعرض عليه اذ لو قيل كان ما منه دار الاسلام لادار الحرب فان من اسلم
في دار الحرب يحق الخروج منها فكيف يعود اليها والله اعلم قوله تعالى
ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون ما لهم وما عليهم وحتل نبي العلم
بما لم يتفقهوا بما علوا وحتل ذلك تعليم من مع رسول الله كيفية معاملة الكفرة
وحسن المعاشرة معهم اذ هم لا يعلمون حقيقة ذلك كما لم يكونوا يعلمون
من قبل والله اعلم قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله هو والله اعلم اي كيف يستحقون العهد وكيف يعطي لهم
وقد نقضوا العهد التي بينهم وبين ربه والعهد الذي بينهم وبين رسول الله
فاما العهد الذي بينهم وبين ربه فهو عهد الخلقة اذ في خلقه كل احد الشهادة

على وحدانية الله والوحيته والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم في كتبهم
من اظهار صفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله وكذلك نقضوا
العهد الذي بينهم وبين رسول الله يقول الله تعالى والله اعلم كيف
يستحقون ان يعطي لهم العهد وقد نقضوا العهد الذي عاهد الله اليهم
والعهد الذي اعطاهم رسول الله لا يستحقون ذلك الا ان الله تعالى
بفضله واحسانه اذن ان يعطي لهم العهد بقوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام فما استنقوا موالك فاستقيموا لهم اي او فوالهم العهد
اذا و فوالكم وحتل قوله الا الذين عاهدتم استثنى فوالها خاضا انه
عاهدكم رسول الله ولم سقنوا شيئا في ذلك فامر بالوفاء في عهدهم
الي اجله اذا استنقوا موالي موجب العهد في المدة و فوالهم والله اعلم
وحتل ان لا يعطي العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام والله اعلم
قوله تعالى ان الله يحب المتقين اي يحب من اتقى الشرك
واتقى كل جور وظلم والله اعلم قوله تعالى كيف وان يظهر
عليكم لا يرقبوا فيكم ايلا ولا ذمة يقول والله اعلم كيف تقطون لهم العهد
وكيف يستحقون العهد ولو ظهر واعليكم وظفروا بكم لا يرقبوا فيكم ايلا
ولا ذمة اي لا يحفظون قبل الايل الله والذمة العهد وكذا روي
عن ابن عباس الايل الله ولذا قال في تفسير جبريل عبد الله وقيل
الايل القدابة وقيل الايل العهد والذمة التذمة و في حرف حفصة
لا يرقبوا بكم عهدا ولا ذمة وقيل الايل الحزم يقول كيف تعطونهم العهد
وهو ان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم القدابة ولا العهد ولا الحزم وقد
كانوا يحفظون فيما بينهم القدابة والرحمة حتى يعادى بعضهم بعضا ويأصروا
اذا كان يقع بين قرايتهم ورحمهم وبين قوم آخرين مباغضة وعداوة
وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يتقاتلوا في الاشهر الحرم ولا عند المسجد
الحرام وكانوا يحفظون العهد فيما بينهم من قبل ثم مع ذلك لا يرقبون فيكم
ولا يحفظون شيئا من ذلك قوله تعالى يرضونكم باموالهم وتأيي
قلوبهم اي يقولون بالسنتهم اي يؤفون العهد ويحفظونه وتأيي قلوبهم الا
النقض قوله تعالى واكثرهم فاسقون اي في نقض العهد والعتق

هو الخروج عن أمر الله لقوله ففشق عن أمر ربه قوله تعالى فصّدوا
عن سبيله أي صدوا الناس عن متابعة رسول الله وقيل صدوا الناس
عن دين الله وهو دين الإسلام قوله تعالى إنهم ساء ما كانوا يعملون
أي بئس ما عملوا من صدق الناس عن دين الإسلام ومتابعة محمد
قوله تعالى وأوليك هم المعتدون أي في نقض العهد والاعتداء
المجاورة عن الحد الذي جعل لهم قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا
الصلاة واتوا الزكاة فإخوانكم في الدين أي فإن تابوا من الشرك وما
كان منهم وقوله وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة لختل وجهين أحدهما
لختل الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة والمراد من الآية الاقرار بها
والاعتقاد والقبول لها دون نفس الفعل وذلك في القادة والكبراء
الذين يأمرون عن الخضوع لأحد ولا يؤذون الزكاة ولا يتصدقون لما
نظروا أنهم يجلدون في الدنيا أشفاقا على أنفسهم ولختل أن يكون المراد من
الصلاة الخضوع والخشوع ومن الزكاة زكاة النفس وإصلاحها فإن كان
المراد هذا فهو لازم في الأوقات كلها على كل أحد ما من وقت إلا وعلى
كل أحد الخضوع لخالقه والخشوع له وإن يركب نفسه ويصلحها قالت الله
تعالى قد افلح من زكّتها والله أعلم قوله تعالى ونفضل الآيات
لنؤمن بغيركم أي بغير الآيات لنؤمن بغيركم بعلمهم ويحتمل أي لنؤمن إذا
نظرنا وأوتدبرنا فيها لعلنا لا لنؤمن لا يعلمون قالت بعض أهل التأويل
انظروا إلى كرم ربكم وجوده قوما افتروا على الله كذبا وكذبوا رسولهم
وهتموا بأخذاجهم من بين أظهرهم أو قتلهم وطعنوا في الدين الحق وعلموا
كل بلية من نصب الجروب والقتال فيما بينهم ثم إن وعد لهم المغفرة والتجاوز
عما كان منهم بالتوبة بقوله إن يستهو يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الإخوة
والمودة بقوله فإخوانكم في الدين وقوله إذ كنتم أعداء قالت بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخوانا وغير ذلك من الآيات فهذا يدل على أن من كان
له مكانة ثبت أوجهاً فإذا رجع عن ذلك وتاب لزمه أن يتجاوز عنه وإن لا
يذكر بعد ذلك ما كان منه من الذنب على ما جعل الله فيما بين هؤلاء بقوله
فإخوانكم في الدين قوله تعالى وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم يحتمل

قوله إيمانهم العهد نفثها لأنها تسمى إيمانا قالت الله تعالى وأوفوا بعهد الله
إذا عاهدتم ذكر العهد ثم قالت ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ولختل
أنه أراد بها نفس الإيمان التي حكفوا بها بعد إعطاء الأيمان توكيدها
لئلا ينقضوا العهد إذ من عادتهم نقض العهد ونكثه قوله تعالى
وطعنوا في دينكم طعنهم في الدين ظاهر قوله تعالى فقاتلوا أئمة
الكفر أي أئمة الكفرة وتحصيص الأمر بمقالة الأئمة لما إن الاتباع
أبداً يقتلون الأئمة ويصدرون عن إراهم وتدابيرهم فإذا قاتلهم اتبع
الاتباع لهم فيكون الأمر بالقتال معهم أمراً بالقتال مع الاتباع والثاني
لنفي التشبهة لأن أصحاب الصوامع لا يقتلون هؤلاء الأئمة كانوا أئمة
في العبادة والطاعة فيشكل أنهم لا يقاتلون بين الله تعالى الأمر بالقتال
مع الأئمة إزالة لهذا الوهم لأن أصحاب الصوامع قد عزلوا أنفسهم عن
الناس وعن جميع المنازع وحسبوا للعبادة وامتنعوا عن الاضطرار
بأحد والأئمة ليسوا كذلك والله أعلم والثالث خص الأئمة بالقتال
لأنهم إذا قاتلوا لم يبق لهم أيام في الكفر فيذهب الكفر رأساً وهو كقولهم
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فالعرض من مقابلة الكفرة هو انكسار
شوكتهم ودفع فتنتهم وإظهار دين الحق وذلك يحصل بقتل أئمتهم وروايتهم
والله أعلم قوله تعالى إنهم لا إيمان لهم لختل أي لا عهد لهم بعد نقض العهد
الذي كان لهم إذا انقضوا ويحتمل أي لا إيمان لهم أي لا يعطي لهم العهد لهم
ثانياً بعد ما نقضوا العهد لأنهم اعتادوا نقض العهد ثم فأيده قوله إنهم
لا إيمان لهم لختل أي وجهين أحدهما أن أهل العهد إذا نقضوا العهد
ينقض ذلك ويتركون على النقص ويقايلون بعد النقص وليس كأهل
الذمة إذا نقضوا الذمة لا يتركون وذلك ولكن يؤذون إلى الذمة وسأ
يُنقَضُ الذمة منهم والثاني قالت ذلك في قومه علم الله أنهم لا يؤفون بالعهد
أبداً وفي الآية قراءة أخرى بكسر الالف أي لا يؤمنون أبداً فإن كان كذلك
فهم في قومه علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً قالت الحسن لا إيمان لهم أي لا تصديق
لهم قوله تعالى لعلمهم ينهون أي عن نقض العهد قوله تعالى لا
تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم أي كيف لا يقاتلون وإيمانهم ما ذكرنا وهو حرف اعتد

علي مقاتلة من اغنا نقض اليهود والتحريض على ذلك قولهم تعالى وهو
باخراج الرسول لخصم اي هموا يقتله وفي القتل اخرجهم فلهذا ذكر
الاجراج ومحمد اي هموا باخراجهم من المدينة على ما ذكر في بعض النسخة
ان اليهود قالوا لرسول الله ان كان الانبياء والرسول بيت المقدس المدينة
فانتقل اليه وفي الآية دلالة اثبات الرسالة لانه معلوم انهم استروا
فيما بينهم اخرجهم وقتله وما اظهروا ثم اخبرهم النبي بذلك انما
عرف ذلك بالله تعالى قوله تعالى وهم يدوكم اول مرة ختم بدوكم
في نقض العهد اي هم يدوكم بنقض العهد بالاخراج ومحمد هم يدوكم
بالتقال اول مرة قوله تعالى ان تخشوا الله احق ان تخشوا اي لا
تخشوهم واخشوا الله فانهم لا يقدرون على ان يصل اليكم نكبة الا باقدار الله ايام
ولمحمد اي تخشونهم والله قادر ينصركم وتوعدوكم فانه احق ان تخشوا ان
كنتم مؤمنين اذ هو القادر على منعم عنكم ونصركم عليهم قوله تعالى فانلوم
يعذبهم الله بايدكم علم الله عز وجل كراهة القتل وتقله على الخلق فامر المؤمنين
بمقاتلة الكفرة ووعدهم النصر والتعذيب للكفرة بايدهم ثم هذا الجمل جهين
اخذها القتل والهزيمة والثاني الاشارة والسبب قوله تعالى ويخزم
يختم وجهين ختم الهزيمة والاخر الآذلال في الدنيا ويخزم
في الآخرة لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اجزيت به والخزي هو
العذاب الذي فيه الفضيحة والذلة وفي قوله يعذبهم الله بايدكم
دلالة لنقض قول المعتزلة في خلق الافعال لانهم يقولون ان لا قدرة
لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايدهم ولو كان غير قادر على
افعالهم لكان تعذيبه ايام بيد لا بايدهم قوله تعالى وينصركم عليهم
وعدهم النصر والظفر عليهم وخزي الكفرة وهو كقولهم قل هل توبصون
بنا الا اخذي الحسنين ونحج نترقب بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
او بايد بنا ثم كذلك في قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايد بنا دلالة
نقض قول المعتزلة في خلق الافعال لانه اخبر انه يصيبهم العذاب
من عنده او بايد المؤمنين والله اعلم قوله تعالى ويشف صدورهم
مؤمنين لمحمد ان يكون قلوب المؤمنين توجعت وبألمت بكفرهم بالله وبكذبهم

الرسول فوعد لهم شفاء صدورهم وذلك كحتمل وجميع احدها انهم
يسلمون فيصرون اخوانا فبدخل في قلوبهم السرور والفرح بان
ما حزنوا وتالموا فذلك شفاء صدورهم والثاني ويشف صدورهم
بالقتل والهزيمة فيكون في ذلك شفاء صدورهم غمما باله وتوجعت
بالتكذيب والكفر بآيات الله وتكذيب رسوله قوله تعالى ويذهب
غيظ قلوبهم هذا ايضا لمحمد وجهين احدها يذهب الغيظ الذي كان
في قلوب المؤمنين بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله باسلامهم يسلمون
فيصرون اخوانا او يقتلون ويهلكون فيذهب عنهم الغيظ والغضب الذي
كانوا غضبوا عليهم بالذي ذكرنا قوله تعالى ويتوب الله على
من يشاء اي ان ساعدتم عليه وان شاء تاب عليه وفي الآية دلالة
رد قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع
الكفرة والعصاة لكنهم لا يتوبون بسوء اختيارهم والله تعالى اخبر انه
يعذب بعضا ويتوب على بعض فالذي شاء ان يعذب غير الذي شاء
ان يتوب عليه والذي شاء ان يتوب عليه غير الذي شاء ان يعذب
فيكون حجة عليهم قوله تعالى والله عليم حكيم اي عليم بما كان ويكون
اي عن علم بما يكون منهم خلقتهم لا عن جهل اذ خلقه ايام ليس لمنافع نفسه
وحاجته لتغاليه عنها وانما خلقتهم لحاجتهم ومنافعهم وقوله حكيم اي واضع
كل شيء موضعه ومحمد عليم بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر
بآياته حكيم اي جعل عليهم من القتل والاسير والتعذيب في الآخرة
والله اعلم قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم وهو كقولهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم العاصرين وقوله ام حسبتم ان تتركوا ولما ياتكم مثل
الذين من قبلكم الآية وقوله الما حسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون هذه الآيات كلها في المنافقين الذين اظهروا الايمان
باللسان واروا المؤمنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام الموافقة
بذلك فقال عز وجل ام حسبتم ان تتركوا اعلى ما اظهرتم من الايمان
باللسان تبطلوا بالقول جعل الله تعالى التثايب تطهير الارض من الكفر

وَالثَّانِي لِيَكُونَ مَعَ الْكُفْرَةِ فَرَضًا لِمَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا آيَةٌ يَتَّبِعُ بِهَا نِقَافُ
مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ مَرَارَةً وَصَدَقَ مَنْ أَظْهَرَ حَقِيقَةَ امْتِحَانِ الْمُنَافِقِينَ
لِمَقَرِّقِ الْحَقِّ الْمَخْلُصِ مِنَ الْمُنَافِقِ الْمَرَايَ لَأَنَّ الْقِتَالَ هُوَ مِنْ أَرْفَعِ أَعْلَامِ
يُظْهِرُ بِهَا اخْلَاصَ الْمَرْءِ وَنِقَافَهُ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ إِيْمَانُ يَظْهَرُونَ الْمُوَافَقَةَ
لِلْمُؤْمِنِينَ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا لِيَسْلَمَ لَهُمُ الْمُنَافِقُ الْيَقِي كَأَنَّهُ يَنْتَفِعُونَ بِهَذَا
وَيَنْتَفِعُونَ بِالْقِتَالِ خَوْفُ الْهَلَاكِ فَإِذَا خَافُوا الْهَلَاكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ امْتَنَعُوا
عَنْهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ
الْيَتَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا خَوْفًا وَاشْتِقَاقًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَقَوْلِهِ وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ
فِتْنَةٌ ائْتَلَبَ عَلَيْهَا وَجْهٌ هَذَا وَصَفَ الْمُنَافِقَ قَائِمًا بِالْمُؤْمِنِ الْمَحْقُوقِ لِلإِيمَانِ
الْمَخْلُصِ لِلإِسْلَامِ فَإِنَّهُ يَسْلَمُ لِنَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَلَفٌ
نَفْسِهِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ عَلَى حَرْفٍ وَوَجْهٍ كَالْمُنَافِقِ وَلَكِنْ عَلَى الْوُجُوهِ
كُلِّهَا وَالْأَحْوَالِ جَمِيعًا عِبَادَتُهُ لِلَّهِ لَا يَمْنَعُهُ خَوْفُ الْهَلَاكِ عَنِ الْقِتَالِ
بَلْ نَفْسُهُ يَسْتَحْتِ ذِكْرُكَ وَتَرْغِي بِهِ وَلَا كَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ثُمَّ قَوْلُهُ
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُخَلَّوْا بِاللَّهِ الْأَسْتَفْهَامُ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ لِلْإِجَابِ وَالْحَقِيقُ ثُمَّ
يَحْتَمِلُ هَهُنَا وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا إِي قَدْ جَسَمْتُمْ أَنْ تَتْرَكُوا عَلَى مَا أَظْهَرْتُمْ
مِنْ الْمُوَافَقَةِ مَعَ الْخِلَافِ فِي التَّسْوِ وَلَا تَقْتُلُوا وَلَا تَمْتَحِنُوا بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ
فَأَجِدُوا التَّوَالِيَيْنِ عَلَى الْأَخْبَارِ عَلَى طَوْبِ التَّقْدِيرِ وَالْحَقِيقِ وَالثَّانِي عَلَى
النَّبِيِّ وَالْإِنْكَارِ وَقَوْلُهُ وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ جَهْلًا أَيْ
لِيَعْلَمَ جَاهِدًا مَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ جَاهِدٌ وَلِيَعْلَمَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ كَأَنَّ لَانِ لَا يَجُوزُ
أَنْ يَوْصَفَ اللَّهُ بِالْعِلْمِ بِمَا لَيْسَ يَكُونُ آيَةً يَعْلَمُ كَأَنَّ مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَوْصَفَ بِهِ أَنْ
يَعْلَمَ مِنَ الْجَالِيسِ الْقِيَامُ فِي حَالِ جُلُوسِهِ وَمِنْ الْمُتَحَرِّكِ السُّكُونُ فِي حَالِ
جَرَكْتِهِ وَمِنْ الْمُسْكَنِ السُّكُوتُ فِي حَالِ كَلَامِهِ أَمَّا يَوْصَفُ بِالْعِلْمِ عَلَى الْجَالِ أَيْ يَكُونُ
الْمَعْلُومُ عَلَيْهَا لَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْجَالِ وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَكُونُ وَقَدْ مَا يَكُونُ
عَلَى مَا يَكُونُ وَاللَّهُ الْمُؤْتِمِرُ وَجَسَلُ هَذَا وَجْهًا آخَرًا هُوَ أَنَّهُ أَصَافُ الْعِلْمَ
إِلَى نَفْسِهِ وَأَرَادَ بِهِ أَوَّلِيَّاهُ كَقَوْلِهِ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ إِي تَنْصَرُوا
أَوَّلِيَّاهُ اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ أَوْ إِنْ تَنْصَرُوا دِينَهُ أَوْ رَسُولَهُ فَقُلِيَ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَلَمَّا

٢٩٧

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ إِي لِيَعْلَمَ أَوَّلِيَّاهُ الْمُنَافِقِ الْمَرَايَ وَالْمُؤْمِنِ
الْمَحْقُوقِ وَالْمَخْلُصِ وَلِيَقْبَلَ لَهُمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ أَيْضًا لِيُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ
إِي لِيُخَادِعُونَ أَوَّلِيَّاهُ اللَّهُ إِذَا اللَّهُ لَا يَخَادِعُ وَلَا يَنْصَرُ إِذَا هُوَ نَاصِرٌ كُلِّ أَحَدٍ
وَلَا يَخْنِي عَلَيْهِ شَيْءٌ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَمْ يَخْذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ أَيْ لِمَجْدٍ وَأَمَّا الْجَاهِلُ الْجَاهِلُونَ
إِلَيْهِ دُونَ مَا ذَكَرُوا لَوْ وَجَدُوا لَمْ يَخْذُوا ذَلِكَ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَخْذُوا
وَهُوَ كَقَوْلِهِ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنْفُسَهُمْ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ هُمْ يَفْرَقُونَ لَوْ
يَجِدُونَ مَلْجَأًا وَمَغَارَاتٍ أَوْ مَدَّخَلًا لَوْ لَوَّاهُ إِلَيْهِ وَهُمْ لَجَمْعُونَ اخْتَبَرُوا
أَنْفُسَهُمْ لَوْ وَجَدُوا مَلْجَأًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ وَلَا يَظْهَرُونَ ذَلِكَ قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ
الْأَدَبِ الْوَلِيَّةُ الْبَطَانَةُ مِنَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَأَصْلُهَا الْوُلُوجُ وَهُوَ أَنْ يَخْذُوا
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَخِيلًا مِنَ الْكُفْرَةِ وَخَلِيلًا وَدِيدًا وَجَمْعُهَا وَلَا يَجُوزُ وَقَالَ
بَعْضُهُمُ الْوَلِيَّةُ خَاصَّةُ الْمَرْءِ أَصْلُهَا مِنَ الْوُلُوجِ وَهُوَ الدَّخُولُ قَالَتْ اللَّهُ
تَعَالَى حَتَّى يُلْجَأَ إِلَى مَلْجَأٍ حَيَاظُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْوَلِيَّةُ الْحَيَاظُ وَقَالَ
بَعْضُهُمُ الْوَلِيَّةُ مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْوَلِيَّةُ مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ لَيْسَ مِنْهُ
فَهُوَ وَلِيَّةٌ وَبَعْضُهُ قَرِيبٌ مِنْ بَعْضٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَرَجَ عَلَى الْوَعِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْبُرُوا
مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّوَالِي نَزَلَتْ
الْآيَةُ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ أَسِيرٌ يَوْمَ بَدْرٍ فَاقْبَلُ نَاسٌ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْهُمْ عَلَى بَنِي طَالِبٍ فَعَبَّرُوا بِالْكُفْرِ وَالْقِتَالِ
مَعَ النَّبِيِّ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ فَقَالَ مَا لَكُمْ تَذْكُرُونَ مَسَاوِيًا وَتَذْكُرُونَ
مَجَاسِنًا فَقَالُوا أَوَلَيْكَ حَسَنٌ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ أَنَا نَعْبُدُ الْمُشْجِدَ الْحَبْرَ أَمْ
وَنَحْبُذُ الْبَيْتَ وَلَسْتُ بِحَاجٍ وَفَكَرَ الْعَائِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِ
وَلَكِنْ فِي آخِرِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْآيَةُ فِي الْعَبَّاسِ
عَلَى مَا قَالُوا لِأَنَّهُ قَالَتْ أَوَلَيْكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ وَالْعَبَّاسُ
قَدْ أَسْلَمَ مِنْ بَعْدِ فَلَا يَحْتَمِلُ هَذَا الْوَعِيدُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَلَكِنْ يَكُونُ الْآيَةُ
فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَقَالَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّوَالِي مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْبُرُوا إِي مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ عِبَادَةُ مَسَاجِدِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ بِهِمْ خِرَابٌ

مَسَاجِدَ اللَّهِ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ أَرْغَاءُ نَفْسِهِمْ بِأَلْذِكْرِهَا فِيهَا وَالصَّلَاةُ وَإِقَامَةُ الْحَيَاتِ
وَهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهَا بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ فِيهَا بَلْ هُمْ يَذْكُرُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ
فِيهَا وَلَعِبْدُهَا فَكَانَ بِهِمْ خَرَابُ الْمَسَاجِدِ لَا الْعِمَارَةَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ مَا
كَانَ يَنْفَعِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْبُدُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ لِأَنَّ الَّذِي مِنْهُمْ
عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ حَبْتُهُمُ الدُّنْيَا وَمِثْلُهُمْ أَيْهَا فَعَلِي مَا عِنْدَهُمْ مَا يَنْفَعِي لَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ مَا كَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ عِمَارَةُ مَسَاجِدِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ
بِهَا فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِنَّمَا تُقَصَّدُ بِعِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَالْإِنْفَاقِ
عَلَيْهَا الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا فَيَضِيعُ نَفْسُهُمْ فِي ذَلِكَ إِذَا لَا
مَنْفَعَةَ لَهُمْ فِيهَا إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَجَوْنَ لَهُ يَمْنَعِي عَلَى كَوْنِهِ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنَ
لَا نَفْسَكُمْ وَإِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا أَيْ فَعَلِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى شَاهِدِينَ عَلَى النَّفْسِ
بِالْكَفْرِ قَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ عَلَى نَفْسِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ سَعَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ لَا تَهْمُ
مِنْ قُرَابَتِهِمْ وَأَرْحَامِهِمْ وَقَدْ سَمِيَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَصَلِّينَ بِالْقَوْمِ بِهَذَا الْاسْمِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَقَالَ تَسْلُوا عَنِ أَنْفُسِكُمْ خِيَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
ذَكَرَ الْمُتَصَلِّينَ بِهِمْ بِاسْمِ أَنْفُسِهِمْ فَعَلَى ذَلِكَ الْأَوَّلِ وَخَتَمَ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بِالْكَفْرِ حَقِيقَةً لَكِنْ عِنْدَ الضَّرُورَاتِ وَهِيَ حَالُ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ وَعِنْدَ
الْمُهْلَاكِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُنَّا نَكْتُمُ بِهِ مُشْرِكِينَ
وَعَنِ ذَٰلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا يَقْتَدُونَ فِيهَا بِالْكَفْرِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَشْهَدُ
أَنْفُسُهُمْ بِالْكَفْرِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ خَلَقَهُمْ تَدَلَّى عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَشَهِدَ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ
بِمَا جُعِلَ فِيهَا مِنْ آثَارِهِ كَذَلِكَ فَتَكُونُ شَاهِدَةً عَلَى فَعْلِهِمْ بِالْكَفْرِ إِذْ عَلَيْهِمُ السَّيِّئَةُ
بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَنْ اخْتِيَارِهِمْ رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ آثَارِهِ كَذَلِكَ الدَّالَّةُ عَلَى الصَّانِعِ
فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بُصِيرَةٌ
فَتَلْبَسُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ بُصِيرَةٌ أَيْ مِنْ نَفْسِهِ بَيَانُ هَذَا مِثْلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِلَى الْخَيْرِ
الْآيَةِ فِي قَوْمٍ مَا تَوَقَّعُ أَعْلَى الْكَفْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَعْبُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَيْ بِهِمْ عِمَارَةُ مَسَاجِدِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْفَعِي أَنْ يَعْبُدُوا مَا يَذْكُرُونَ
اللَّهُ فِيهَا وَيَتِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُودُونَ الْحَيَاتِ وَعَلَيْهِمْ عِمَارَتُهَا لِأَنَّهُمْ هُمُ
الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهَا وَيُطْمَعُونَ الثَّوَابَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَمْ

يَحْشُ إِلَّا اللَّهَ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ صِلَةُ قَوْلِهِ اتَّخَشُونَهُمْ فَإِنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَحْشَوْهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَمْ أَنْ يَحْشَوْا اللَّهَ وَلَا يَحْشَوْا غَيْرَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ خَشْيَةُ
الْعِبَادَةِ فَكَانَ قَوْلُهُ وَلَمْ يَحْشُ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُعْبِدْ إِلَّا اللَّهَ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَعَنِي أَوْ لَيْكَ أَنْ يَكُونَ نَوَاسِيتُ الْمُتَعَدِّينَ وَعَنِي مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ أَيْ كَانُوا
مُتَعَدِّينَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
كُنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ أَصْنَاءُ فَعَلِ
أَوْ فَاعِلٌ لَكِنْ يَصِحُّ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَابَلُ فَعْلٌ أَوْ فَاعِلٌ أَوْ فاعِلٌ أَوْ فاعِلٌ أَوْ فاعِلٌ
لَا يُقَابَلُ فَعْلٌ بِفَاعِلٍ وَلَا فاعِلٌ بِفَعْلٍ وَهَذَا ذَكَرَ السَّقَايَةَ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَهُوَ فَعْلٌ مُقَابَلٌ قَوْلُهُ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَهُوَ اسْمٌ هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
كَأَنَّهُ قَالَ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَأَيَّامِ الْحَاجِّ
وَالْعَامِ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كُنْ آمَنَ بِاللَّهِ لِيَكُونَ مُقَابَلَةً لِمَنْ يَحْشُ أَوْ مُقَابَلَةً
فَعْلٌ بِفَعْلٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ نَفْسُ الْمُسَافَةِ
بَيْنَ مَنْ سَقَا الْحَاجَّ وَعَمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَهُوَ كَافِرٌ وَبَيْنَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِهِ وَالْأَشْكَالُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ
فَيُقَالُ لَا يَسْتَوِيَانِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ الْكَافِرُ قَدَانِي بِالْمَحَاسِنِ وَأَنْوَاعِ
الْخَيْرِ وَإِنَّمَا يُقَابَلُ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ إِذَا قَرَّبَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ فَمَا عِنْدَ الْبَعْدِ
لَا يُقَابَلُ وَلَا يُقَالُ لَا يَسْتَوِيَانِ فَنَقُولُ لِحُتْمِ أَنْ الْمُرَادُ مِنْهُ لَيْسَ مَنْ
فَعَلَ بِحَاسِنٍ فِي حَالِ كَفَرِهِ ثُمَّ آمَنَ مِنْ بَعْدِ كُنْ آمَنَ وَفَعَلَ بِحَاسِنٍ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ بَلْ هُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ فَمَا الْكَافِرُ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْكَفْرِ وَإِنْ
عَمِلَ خَيْرَاتٍ وَبِحَاسِنٍ وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي عَمِلَ الصَّالِحَاتِ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ لَا يُقَالُ
أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ لِوُجُوهِ تَفَاوُتٍ فِي الْأَقْلَابِ وَبَعْدَ التَّفَاوُتِ فِي الثَّانِي وَلِحُتْمِ
أَنْ يُقَابَلَ بِالْمَجَاهِدِ الَّذِي ذَكَرَ أَيْ لَا يَسْتَوِي مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ وَالنَّفْلَ لِلَّهِ
كُنْ سَقَى الْحَاجَّ وَعَمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لِيَلْ يَذَلَّ نَفْسُهُ لِلتَّفَاوُتِ بَيْنَ الْآمِنِ
مِنْ حَيْثُ الذَّاتِ فِي الْإِخْتِيَارِ عَلَى أَنْ يَنْبَغِي التَّشَاوِي مِنْ كُلِّ وَجْهِ إِنَّمَا
يَكُونُ عِنْدَ بَعْدِ التَّفَاوُتِ وَالْإِخْتِلَافِ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي التَّشَاوِي عَلَى الْكُلِّ
كَتَفَاوُتِ مَا بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا فِي مَتَفَارِقِ اللَّسَانِ لَا يَنْبَغِي التَّشَاوِي
بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْحَرَارَةِ وَالضَّرَاءِ لَا يَسْتَوِيَانِ وَذَلِكَ

لَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُخْلَفًا لَكِنْ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ يَشْتَبِهُ عَلَى الْبَعْضِ لَا عَقْدًا قَدْ
أُولَعْتُ بِالشَّيْطَانِ أَيْ هُمْ كَجَوْنِ الْقَوْلِ بِالْبَيْتِ وَبَيَانِ التَّفَاوُتِ بَيْنَهُمَا
الْأَتْرَافِ أَنْ الْكَافِرَ لَمَّا كَانَ فِي مَعْتَقَدِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُؤْمِنِ مُخْلَفًا كَيْفَ بَقِيَ
الْمُسَاوَاةُ بَيْنَهُمَا يَقُولُ لَا يَسْتَوِي أَحْيَابُ النَّارِ وَأَحْيَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمُ النَّازِلُونَ وَصَرَفَ فِي حَقِّهَا امْتِلَاحًا لَا تَشْتَبِهُ عَلَى كَقَوْلِهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَالْحَرُّ وَرَمَا يَسْتَوِي
الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَكَذَلِكَ هُنَا الْكُفْرُ اعْتَقَدُوا أَنَّ لَهُمْ حِجَابًا
وَحِجَابَاتٍ وَأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَحَسْبُوهَا أَنَّهُمْ عَلَى دُونِ مَنْ
خَالَفَهُمْ فِي الدِّينِ فَتَقِيَّ اعْتَقَادَهُمْ يَقُولُهُ لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ تَعَالَى
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَيْ لَا يَهْدِيهِمْ مَا دَامُوا فِي ظُلْمِهِمْ وَمَا دَامُوا اخْتَارُوا
وَقَتَ اخْتِيَارَهُمْ ذَلِكَ وَحَسْبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي قَوْمٍ خَاصٍّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ
تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ قَوْلُهُ
الَّذِينَ آمَنُوا أَيْ صَدَقُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ
عَنْهُ أَنَّهُ مُحَقَّقٌ وَالْأَكَاثَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ لِقَوْلِهِمْ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ
رُفْقَى وَقَوْلُهُمْ هُوَ لَا شَيْعًا وَنَاعْبُدُ اللَّهَ كَمَا نُوَافِقُهُمْ بِاللَّهِ لَكِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ الرِّسَالَاتِ
وَقَوْلُهُ وَهَاجَرُوا أَيْ فَارَقُوا آبَاءَهُمْ وَأَخْوَانَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ
وَبِلَدَهُمْ هَاجَرُوا جَمِيعًا مَخْجِبَةً أَنْفُسَهُمْ وَتَوَاهَى وَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ وَذَلِكَ مَا
ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوَاهُ هَذِهِ وَفَارَقُوا كُلَّ شَيْءٍ قَاعًا عَلَى دِينِهِمْ لِيَسْلَمُوا أَعْطُوا
فَسَلَّ الْأَسْلَامَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَأَعِيدُوا بِكُلِّ عِيدٍ وَخَوَّتْ مَا فَارَقُوا ذَلِكَ ثُمَّ
إِذَا اسْتَلَمُوا فَارَقُوهُمْ وَاجَابُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَطَلَبًا
لِوَسْوَانِهِ لِيَقْلَمَ عَظِيمٌ قَدَّرَ الدِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ وَخَطِيرٌ مِنْهُمْ لَنَنْتَ لَعَلَّكُمْ أَنْ
يَحْنُ أَحْيَابُ رَسُولِ اللَّهِ عَظِيمٌ وَاسْتَدْرَجَ مِنْ مَجْنُونًا لَنْ مَجْنُونٍ كَانَتْ عَلَى خِلَافٍ
عَادَتِهِمْ وَخَطَرٌ مَا طَبَعُوا لَنْ الْإِنْسَانُ مُطْبُوعٌ عَلَى حَبِّ مَا ذَكَرْنَا وَنَحْبُولُ عَلَيْهِ
فَهُمْ مَعَ ذَلِكَ تَرَكَوا فَارَقُوا وَنَحْبُولُ كَرَاهَةً ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ رَبِّهِمْ فَمَا
مَجْنُونًا فَارْتَبَعُوا مَا سَبَقَ مِنَ الْعَادَةِ هُوَ الْهَوْنُ وَالْيُسْرُ وَقَوْلُهُ وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَيْ بِذُلِّ الْأَحْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَالذَّهَابِ تَعَالَى وَهُوَ
الْأَنْفُسُ وَالْأَمْوَالُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَظِيمٌ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ

التَّوِيلِ مِنْ صَدَقَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَهَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَاهَدُوا الْعَدُوَّ بِأَلِه
وَنَفْسِهِ هُوَ عَظِيمٌ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الَّذِي افْتَحَرَتْ سَيِّئَاتُهُ الْحَاجَّ وَبِعَمَارَةِ الْمَجِيدِ
الْتِمَامُ وَهُوَ كَأَنَّهُ كَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِعُ قَوْلُهُ وَاجْعَلْتُمْ سَيِّئَاتِي الْحَاجَّ إِلَى قَوْلِهِ لَا يَسْتَوِي
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرُوا عَظِيمٌ دَرَجَةً
عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الَّذِينَ اسْلَمُوا مِنْ بَعْدِ وَطَقُوا بِأُولَئِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ تَعَالَى
وَأُولَئِكَ هُمُ النَّازِلُونَ الْقَوْمُ هُوَ الظُّفْرُ فِي اللَّفْظِ أَيْ أُولَئِكَ النَّازِلُونَ
مِنْهُمْ اللَّهُ وَكِرَامَتُهُ وَالنَّاجُونَ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَقِيتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَبَشِّرُهُمْ
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ حَتَّى يَقُولَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ أَيْ بِالْبَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
عَلَى عِدْوَتِهِمْ وَحَتَّى بِرَحْمَةٍ مِنْهُ الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ وَالْكَرَامَةُ فِيهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَرِضْوَانٍ أَيْ يَبَشِّرُهُمْ أَيْضًا أَنْ رُبَّمَا عَنْكُمْ رَاضٍ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ أَيْ يَبَشِّرُهُمْ أَيْضًا بِجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُقِيمٌ أَيْ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ قَالَ الْحَسَنُ
مَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظِيمًا فَهُوَ عَظِيمٌ لَا تُدْرِكُ عَظَمَتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمِينَ لِحُجَّتِ الْوَلَايَةِ الْمَوَافَقَةِ لَهُمْ
فِي الدِّينِ حَقِيقَةً وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ فِي الدِّينِ مَهْمُومٌ وَهُوَ ظَالِمٌ
لَا شَكَّ فَإِنْ كَانَتْ تَأْوِيلُ هَذَا فَلَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
الْأَمْعَى الْكُفْرَ وَقَوْلُهُ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ أَيْ اخْتَارُوا الْكُفْرَ
عَلَى الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةُ هُنَا مَحَبَّةُ الْإِيمَانِ وَالْإِخْتِيَارُ هُنَا عَنْ مَوْلَاهُ الْكُفْرُ جُمْلَةً
بِقَوْلِهِ لَا يَتَّخِذُوا الْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ هَذَا النَّبِيُّ لَنَا فِي جُمْلَةٍ
الْكَافِرِينَ ثُمَّ نَهَانَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ نَهَانَا أَنْ نُوَالِيَ الْمُتَصَلِّينَ بَنَاءً مِنْ
الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَعَنْهُمْ مِنْ الْقُرْبَانِيَّةِ لِمَا نَقَعَ الشُّبُهَةُ فِي مَوْلَاتِ الْمُخْتَصِّينَ
بِهِمْ فَخَصَّ النَّبِيَّ فِيهِ وَكَذَلِكَ فِي تَخْصِيصِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ لِمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
مَوَافَقَةً فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ فَخَصَّ النَّبِيَّ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَحَتَّى الْوَلَايَةُ أَظْهَرَ الْمَوَافَقَةَ لَهُمْ فِي الظَّاهِرِ عَلَى عَيْنِ حَقِيقَتِهِ بِحَاجِّ فِي جَانِبِ الْأَضْطِرَّارِ
وَهِيَ عِنْدَ حُجُوفِ الْهَلَاكِ وَذَهَابِ الدِّينِ كَمَا أَنْ يَكُونَ قَوْمًا اسْتَوَالُوا بِالْإِيمَانِ

في أنفسهم وكنتم و يظهر ون الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا
على انفسهم فيباح لهم ذلك فلما ان جعل الله تعالى الهجرة فرضا وجعل للمؤمنين
انصارا وما وى تجون اليه لم يغذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا
في السر ليسوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدل على ان من اجري كلمة الكفر
على لسانه في غير حال الاضطراب يصير كاسرا على ما جعل هو لا اوليا
الكفرة حقيقة ظلمة مثلهم اذا اتوا ليهم في الظاهر وان لم يكونوا في
الحقيقة كذلك وهذا امثله وهو كقولهم ان الذين توهم الملائكة
ظالمين انفسهم قالوا فيهم كنتم قالوا انكم مستضعفين في الارض قالوا الله
تكن ارض الله واسعة فهاجر وايضا لم يغذروا في ترك الهجرة فعلى ذلك
هو لا اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم الما وى اليه هانا الله عنها
مخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تؤذوهم ولا تحبؤهم وهو كقولهم
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تطغون اليهم بالمودة
والثاني لا تتخذوهم موضع سرتنا وبطانتنا كقولهم لا تتخذوا بطانة
من دونكم والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم كقولهم يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الى الالة
فانه تعالى هانا ان محبتهم وتوهم هانا ايضا ان تطيعهم فيما يدعونا
اليه وانما كان ذلك كله للخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين والله اعلم
قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واهواؤكم وازواجكم
وعشيرتكم هو مقابل قوله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله الآية ذلك لما ذكرنا في قوله قل ان كان آباؤكم واهواؤكم
عسلي ان المراد من قوله لا تتخذوا آباءكم والابناء جميعا وقوله واهواؤكم
الاخوان وجميع المتصلين بهم دليله ما ذكر في آخيه حيث قال قل ان كان
آباؤكم واهواؤكم وما ذكرنا ان كان طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم
من طاعة الله وطاعة رسوله ورضاه واحب من جهاني سبيله
فترضوا حتى ياتي الله بامر ثم قوله حتى ياتي الله بامر هو حرف وعيد
اي انظروا حتى ياتي الله بامر اي بعد اذ به وقال اهل التاويل اي
حتى ياتي الله بامر في فتح مكة قوله تعالى واموال اقترفتموها قال

بعضهم اكتسبتموها وقالت ابوبكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال
جعلوها حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقولهم قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم
اخبار انهم كانوا يجعلون الاموال حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا
في ذلك والله الهادي قول الله تعالى وتجارة يخشون كسادها
اي كانوا يخشون فواتها وذاتها لا الكساد اذ في الهجرة تركها راسا
قوله تعالى لقد نصرهم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصرهم
في مواطن كثيرة كان فزعكم الى الله ونصرهم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم
باعتجابكم كشرككم فلم تغن عنكم شيئا بغي الكثرة يذكرهم عز وجل منه وفصله
عليهم وان النصرة والظفر مني كان انها كان بالله لا بكثرةهم وقوتهم لانه لو كان
بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين كثرة وقوة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة
عليه في الابتداء لا عجايبهم بالكثرة واعتمادهم عليها يعلم ان النصارى والظفر
انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة ليلا يفهموا على الكثرة ولا يتكلموا عليها فان
قيل قد امرنا الله تعالى باخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله
واعيدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فانما امرنا بما يعجبنا فما يغني النهي
عن العجايب بالكثرة والقوة وكذلك هانا عن التماسي والجئون على ما فات
وهانا ان نصرهم بما يؤتيها وقد كفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات
عنا فلم نصرهم بما اتانا من الشكر ولا الصبر بما عني ذلك قيل معناه والله اعلم
انه هانا ان نصرهم بما يؤتيها النفس الايتار وناسا لنفس ما يصيبنا وبفوتنا
انما علينا ان نصرهم بفضل الله ومنه التي من علينا وحسنابه وعلى ذلك لشكره
وعلى ذلك الصبر ما يصيبنا وانما جعل لنا ثوابا في الآخرة واجرا عظيما
وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك علينا ان نجيب فضل الله ومنه
في ذلك الكثرة الى امرنا بها لا الكثرة لنفسها والقوة والله اعلم فان قيل
العجايب بالكثرة كان من بعضهم لأن من الكل فكيف هزم الكل وكذلك
الغضبان يوم احدا انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان
يكتف الكل ابتداء الاتري ان امر الواحد بالقيام للآتين في الجهاد ثم
امر الجهاد امر على غير وسع ولا ذلك في سائر العبادات لانه امر الواحد

للقيام للآتين في الجهاد وليس في وسع الواحد القيام للآتين فهو والله اعلم
لما ان له ان يكلف قتل انفسهم واتلافها بقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقلوا
انفسكم الآية ولو لم يجدوا ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكره ذلك ان له
ذلك وان له ان يميتهم ويهلكهم فعلى ذلك له ان يأمر الواحد بالقيام
لآتين ولعدد وان كان في ذلك تلف انفسهم ولان الله تعالى امرنا بمجاهدة
الشيطان عدونا واخبر انه يرانا ولا نراه بقوله انه يرانا وهو قبيله
من حيث لا نرونهم والمجاهدة مع عدد يرانا ولا نراه صعب مشدي
لكن الله تعالى علمنا اسباب ما نجارب معه ونجاهد فنغلبه قال الله
تعالى واما ينزعك من الشيطان ان نزع فاستعذ بالله وقالت ان الذين
اتقوا اذا امسهم طائف من الشيطان نذكروا الآية علمنا اسبابا نتقنا بل
بها الشيطان نغلبه ونقهوه وما ذكر من ذكره لا يقو به هو لذلك وكذلك في
العدو الذي نراه من البشر حيث قال يا ايها الذين امنوا اذا القيم فية
فاغتوا فاذا ذكروا الله كثيرا وقالوا واصبروا ان الله مع الصابرين
وقال كم من بنية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله وقد علمنا اسباب
الجهاد معهم والخيال التي يجوز لواحد القيام لآتين فصاعدا باكمل وان لم
يكن في الوسع بالقوة نفسها والله اعلم ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره
من العبادات فيما ذكرنا لما الخلل ان يجعل الله تعالى الجهاد آية من آيات
الحق والرسالة الى قيام الساعة ليقتدوا بها ذلك بخلاف العادة فيظهر
لهم النصر والظفر بعلم الخلائق ان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ولا
يظهر نصر الله الا لاهل الحق ليظهر الحق من الباطل والحق من المنطل
والله اعلم قوله تعالى وضائق عليكم الارض بما رحبت هذا على التمثيل
نقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها الغاية والنهاية ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وانما يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق
والله اعلم قوله تعالى ثم انزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين
قال بعضهم السكينة الملايكة كقوله وما جعله الله الا بشري لكم ولتطمين
قلوبكم به الآية وقالت بعضهم سكينة نصره وقيل وقاره ورحمته وقيل
طمانينه واصله اي سكنت قلوبهم واطمأنت بعد شدة الحزن والحيوان باي وجه

ما سكن بالملايكة او بغيرهم واسكن قلب رسول الله لما استد عليه هزيمة
المجابه ومفا رقتهم اياه ثم في قوله ثم انزل الله سكينة على رسوله
وعلى المؤمنين دلالة نقص قول المعتزلة لانه ستمهم مؤمنين على
ما كان منهم من التولي والتولي لم يجمعهم من الايمان الاول مع ان ذلك
كثيرة منهم ذلك ان الكثيرة لا تخرج عن الايمان قوله تعالى
وانزل جنودا لم تروها هم الملايكة قوله تعالى وعذب الذين
كفروا اي بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم بقوله وذلك جزاؤ
الكافرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال بعضهم النبي عن دخول المسجد
الحرام نهي عن دخول مكة نفسها للنجس واقامة العبادات لا دليل احدها قوله
بعد عامهم هذا ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام احق بالمنع عن الدخول
فيه من غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فتوف بغيركم الله من
فضله وخوف العيلة انما يكون لنفيهم عن دخول مكة لا عن دخول المسجد
نفسه لانه لو كان النبي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك
لانهم يجفون ويدخلون مكة للمجاهرة ولا يدخلون مسجد الجرام فلا خوف
عليهم في ذلك والثالث حديث علي رضي الله عنه انه قال الا لا يحج بعد
العام مشرك وقد بعثه الى مواسم ليتاوي بين الناس بهذا وبهذا يتبين
ان المراد من الآية هو النبي عن دخول مكة للحج وان ذكر دخول المسجد
لجرام عبادته عن دخول مكة للحج لان البيت هو الذي يقصد اليه للزيارة
قال الله تعالى واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال والله على الناس
حج البيت وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في
الاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك النبي لكثرة ذكر المسجد لما ان البيت فيه
ولهذا اختلف ان من كان من اهل الذمة او العبيد منهم المسلمين لا العبيد يدخلون
لخدمة المولى وقدر وي جا بر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون
عبد او امة فان قيل روي عن علي رضي الله عنه انه قال الا لا يدخل الحرم
مشرك ولم يذكر الحج قيل له روي عنه انه قال ناديت ان لا يحج بعد العام

مُشْرِكٌ فَيَكُونُ قَوْلُهُ لَا يَدْخُلُ الْحَرَمَ مُشْرِكٌ مَحْذُورًا عَلَى مَا قُلْنَا عَمَلًا بِالْجَدِثَيْنِ
وَالَّذِي يَقُولُ مَا قُلْنَا أَنَّ النَّهْيَ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ نَهْيٌ عَنْ دُخُولِ
مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَإِقَامَةِ الْعِبَادَةِ قَوْلُهُ وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سُبُوحًا
الْعَاكِفَ بَيْنَهُ وَالْبَادِ وَأَنَّ سَبِيلَ مَكَّةَ كُلُّهَا هَذَا فَإِنَّ عَقَارَ مَكَّةَ لَا يَمْلِكُ وَيَسْتَوِي
الْمَقِيمُ وَالْمُسَافِرُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَالْحَوْمُ كُلُّهُ مَحْذُورٌ
عَلَيْهِ أَنَّ الْمَشْرُكِينَ لَمْ يَزَالُوا مُتَمِيمِينَ فِي الْحَوْمِ بَعْدَ الْبَيْتِ آوَلَمْ يَحْجُوا لَوْ أَنَّ عَمَلًا
يَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ثَمَّ اسْتَقَامُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ فَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ مَوْضِعَ الْعَهْدِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَهْدَ كَانَ يَوْمَ الْحُدُوبَةِ عِنْدَ
الشَّجَرَةِ فَقَدْ جَعَلَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُوَ فِي الْمَسَافَةِ بَعِيدٌ مِنْهُ فَعَلِيَ
ذَلِكَ مَا قُلْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ إِنَّا الْمَشْرُكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ
عَامِهِمْ هَذَا خَرَجَ عَلَى وَجْهِ أَحَدٍ أَكِي لَا تَدْعُوهُمْ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالثَّانِي
قَوْلُهُمْ هَذَا لَكُمْ فَلَا يَقْرَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ إِنَّا الْمَشْرُكُونَ
نَجِسٌ الْأَجْوَالُ وَالْأَشْهُبُ أَنَّ يُقَالُ إِنَّهُمْ نَجِسٌ الْأَفْعَالُ لِأَنَّ قَوْلَهُ إِنَّا الْمَشْرُكُونَ
نَجِسٌ مَخْرُجٌ مَخْرُجُ الذِّمِّ وَلَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَدْعُوا بِنَجَاسَةِ الْأَجْوَالِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ كِسْمِهِمْ
لِأَنَّهُ لَا صَنَعَ لَهُمْ فِي الْأَجْوَالِ وَإِنَّمَا يَسْتَوْجِبُ الْمَذْمَةَ بِالْكَسْبِ فَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا لِحَقِّهِمْ
ذَلِكَ الذِّمَّةُ بِمَا اكْتَسَبُوا مِنَ الْأَفْعَالِ الذِّمِّهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ إِنَّا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أَخْبَرَنَا أَنَّ ذَلِكَ رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
وَهُوَ الْفَعْلُ الَّذِي يُبَايَسُونَ بِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ دُونَ نَفْسِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّهَا
لَيْسَتْ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَعَلِيَ ذَلِكَ هَهُنَا قَوْلُهُ إِنَّا الْمَشْرُكُونَ نَجِسٌ فِي الْأَفْعَالِ
الْمَشْرُكِينَ نَجَسَةً خَبِيثَةً وَالْعِبَادَاتُ الَّتِي يَأْتُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَسْبٌ وَعَلَى
ذَلِكَ كَانَ النَّهْيُ عَنِ الْحَجِّ نَهْيًا عَنِ إِقَامَةِ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَنْزِيهاً لِنَتِكَ الْبَقْعَةِ
عَنِ إِقَامَةِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ فِيهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً
فَسُوفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قِيلَ خَافُوا مِنَ الْعِيْلَةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ الْمَشْرُكَ عَنْ مَكَّةَ
لِأَنَّ مَعَاشَ أَهْلِ مَكَّةَ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْأَقَاتِ وَهُمْ سَعَتُهُمْ وَتِجَارَتُهُمْ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
وَعَدَهُمُ السَّعَةَ وَالْعَنَاءَ قَوْلُهُ فَيُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَأْنَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ إِنَّ شَأْنَهُ عَلَيَّ نَهَانَا وَعَدَهُمُ الْإِعْنَاءَ فِي بَعْضِ الْأَقَاتِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُخْبِرَ أَهْلَ مَكَّةَ أَنَّ يَغْنِيَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَأَمَّا بَنُو إِسْرَءِيلَ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ هُوَ مَا مَوْرَبَانِ لِيَسْتَتْنِي فِي جَمِيعِ مَا يَعْدُهُ قَوْلُهُ
وَلَا تَقُولُوا لِنَبِيِّنَا إِنْ يَأْتِيَنَّكُمُ الْمَرْسَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَسَوَفَ لَكُمُ الْفَيْدُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ
يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ فَيُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَيْ
النَّاسَ يُغْنِيكُمْ عَنْ تِجَارَةِ أَهْلِ الْأَقَاتِ مِنَ الْمَيْمَنِ وَغَيْرِهِ وَعَنْ تِجَارَتِهِمْ وَرَحْلَتِهِمْ
بِغَيْرِهِمْ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ الْمُوسَمِ عَلَى مَشْرُوكِي الْعَرَبِ بِأَيْهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الْمَشْرُكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا قَالَ
إِنَّمَا شَرٌّ مِنْ بَكْرَيْنِ وَأَيْلٍ وَأَهْلِ الْيَمَنِ مِنَ التِّجَارَةِ بِأَهْلِ مَكَّةَ سَتَعْلَمُونَ إِذَا فَعَلْتُمْ
هَذَا مَا ذَاتُ الْقَوْلِ فِيهَا مِنَ الشَّدَّةِ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُونَ إِنَّمَا وَاللَّهُ لَنَقْطَعَنَّ سَبِيلَكُمْ
وَلَا لَنَجْمِلَنَّ إِلَيْكُمْ شَيْئًا خَافَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ ذَلِكَ فَانْزَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلُهُ
وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَيُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَنْ تِجَارَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا
كَذَلِكَ فَاحْصِيَتْ تَبَالُ وَجَرَّشَ فَيَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ الطَّعَامَ وَالْأَكْرَادَ وَكُلَّمَا
يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَتَتَابَعَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَعْوَانًا فَاحْصِيُوا وَاعْنَاهُمْ اللَّهُ عَنْ
تِجَارَةِ أَوْلِيكُمُ عَنْ قَطْعِ رَحْلَتِهِمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَحْتَمَلُ قَوْلُهُ فَيُغْنِيكُمْ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَأْنَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَفَعُوا عَنْ مَكَّةَ لِأَنَّهُ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ التِّجَارَةَ
وَالْمَكَّاسِبَ وَمَا يَبْنُونَ مِنَ الْأَرْبَاحِ بِهَا فَيَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدْخُلُونَ
فِيهَا فَيَكُونُ لَهُمْ غِنَا كَمَا كَانَ لِحَمْلِهِمْ حُبَّ التِّجَارَةِ وَالزَّخْمِ عَلَى تَرْكِ الْهَجْرَةِ قَوْلُهُ
وَتِجَارَةُ تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا حَبَّتِ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
عَلَى تَرْكِ الْهَجْرَةِ قَوْلُهُ وَتِجَارَةُ تَحْشُونَ كَسَادَهَا فَعَلِيَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَيُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بِالْحِجْزَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا
فِي الْآيَةِ الَّتِي تَتْلَوْنَ هَذِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَيْ عَلِيمٌ بِمَا
أَصْنَعُوا مِنْ خَوْفِ الْعِيْلَةِ أَوْ عَلِيمٌ بِالْهَمِّ وَعَلَيْهِمْ أَوْ عَلِيمٌ بِمَا يَكُونُ لَهُ الْفَنَاءُ حَكِيمٌ
فِي أَمْرِهِ وَحَكِيمٌ فِي قَوْلِهِ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً دَلَّالَةٌ أَثْبَتَتْ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُمْ أَصْنَعُوا ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
بِذَلِكَ فَكَانَتْ أَنَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتِيَ الْكِتَابَ وَالْأَشْكَالُ أَنَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ فِي الظَّاهِرِ يَقُولُونَ بِوُجُودِ اللَّهِ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَمَا يَعْنِي هَذَا فَتَقُولُ وَاللَّهِ اعْلَمُ هَذَا وَانْ آمَنُوا بِالنَّظَائِرِ عِنْدَهُمْ
فَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَدَكُمَا ذَكَرَ عَلِيٌّ أَثَرَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ خَيْرًا عَنْهُمْ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عَنْ يَرِثُنَّ اللَّهُ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ لَهُ وَلَدَيْنِ بَيَانٌ
بِاللَّهِ تَعَالَى فَهُمْ عِنْدَ مُؤْمِنِينَ حَقِيقَةٌ وَكَذَلِكَ آمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِنْ لَمْ
يُؤْمِنُوا بِمَا هُوَ الْمَوْعُودُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ فَالْأَقْدَارُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بَعْدَ الْمَوْعُودِ
فِيهِ لَيْسَ بِإِيمَانٍ لَيْسَ وَحَسْمَلُ أَنْ يَقَالَ أَنَّهُمْ وَإِنْ أَقْبَرُوا بِمَا ذَكَرْنَا وَآمَنُوا
لَكِنْ قَدْ اسْتَخْلَوْا شَيْئًا حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَحَرَّمَ مَوَاسِيئَ أَحْلَقَهَا اللَّهُ لَهُمْ
وَأَنْكَرُوا رِسَالَةَ رَسُولِنَا وَمَنْ آمَنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا وَالرَّسُلَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَةِ
مِنْهَا أَوْ بِرَسُولٍ مِنْهُمْ فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا مُصَدِّقٌ لَهُ وَاللَّهُ عَالِمُ
قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَحْكَامًا مِنْهَا الْأَمْرُ بِقِتَالِ
مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِكَيْلَهُ خُرُوجٌ عِلًا وَاجِبٌ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهَا أَنَّهُمْ
مُشْتَبِهَةٌ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمُ اللَّهُ خَلَقَهُ أَحْتَمَلُ قُلُوبِهِمُ الْقَوْلَ بِالْوَلَدِ لِلَّهِ إِذَا لَوِيَ
شَهِدُوا مِنْ الْخَلَائِقِ عَلَى ذَلِكَ وَحَدَّثُوا نَقْلًا بَعْضُ مَنْ بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْحَقِيقَةِ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ وَأَنْ لَهُ يَكُونَ
الْآخِرَةُ دُونَ الَّذِي ادَّعَوْهُ الْمَنَ وَاللَّهُ عَالِمُ وَالثَّانِي أَنَّ الَّذِي جُعِلَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ
هُوَ تَعْظِيمُ رَسُولِ الْمَلُوكِ وَإِجْلَاسُهُمْ حَتَّى يَوْجَدَ مِنْ بَرٍّ أَوْ رَسُلٍ بَيْنَ مَلُوكٍ
قَدْ ظَهَرَتْ بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةُ فَلَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ مَعَ الْبَرَاهِينِ إِلَيْهِ قَدْ عَجَزَتْ
الْخَلَائِقُ وَشَهَادَةُ كُتُبِهِمْ وَتَطَاهَرُ مِنْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ مَكْذُوبُونَ بِكُتُبِهِمْ وَرَسُولِهِمْ عَلِيٌّ
مَنْ صَدَّقَ بِذَلِكَ أَعْنَى تَطَاهَرُ مِنْ شُرَكَائِهِ الْعَرَبِ عَلَى مَحَبَّةٍ وَهُمْ مَنُكِرُونَ كُتُبَهُمْ
وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَدِّقٌ فَبَيَّنْتُ أَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مَكْذُوبُونَ بِكُلِّ كِتَابٍ وَرَسُولٍ
وَإِنْ أَظْهَرُوا الْوَقَافَ وَإِنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِنُكْذِيبِ مَنْهُمْ بِاللَّهِ فَعَلَى ذَلِكَ إِيْمَانُهُمْ
بِاللَّهِ يَكُونُ بِإِيْمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ وَعَلَى ذَلِكَ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي وَفْدِ عَبْدِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ آمَنُكُمْ بِأَرْبَعِ أَمْزُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ أَنْتُمْ دُونَ
كُلِّ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَنْ تَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَلِذَا لَمْ يَكُنْ إِيْمَانُهُمْ
إِيمَانًا بِاللَّهِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلِهَذَا يُجَارَبُونَ وَاللَّهُ عَالِمُ وَالثَّلَاثُ
لِحَسْمَلِ أَنَّهُ نَبِيُّ عَنْهُمْ الْإِيمَانُ بِنَبِيِّ مَنْفَعَةٍ الْإِيمَانُ عَنْهُ إِذَا كُلُّ الْمَنْفَعَةِ بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ
وَالْقَوْلُ عَنْهُمْ بِالْعَظِيمِ فَإِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْمَنْفَعَةُ تَرَكَوا الْقِتَالَ وَالْإِيمَانُ

وَاللَّهُ اعْلَمُ ثُمَّ التَّرَكُّ عَلَى قَبُولِ الْجِزْيَةِ جَائِزٌ فِي حَقِّ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ
قَدْ تَقَدَّمَ بِالْقِتَالِ بِقَوْلِهِ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِلَى أَنْ قَالَ مِنَ الَّذِينَ
أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّا لَا حُلَّ ذَلِكُ الْمَالِ نَقَابِلُ وَتَوْصِرُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّى تَرَكَوا الْقِتَالَ مَعَهُمْ وَأَمَرْنَا
بِالتَّرَكِّ عَلَى كَفَرِهِمْ إِذَا أَعْطُوا الْمَالَ إِذَا فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ الرِّضَا بِكُفَرِهِمْ كَمَا كَتَبَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى كُلِّ نَفْسٍ الْمَوْتَ ثُمَّ قَدْ يَتَرَكُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ اخْتِلَافِ الْأَدْيَانِ
وَنَفَقَتِ الْأَصْوَافُ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ وَالرِّضَا بِمَا اخْتَارُوا وَمِثْلُهُ
فِي الْأَوَّلِ لَا يَدُلُّ عَلَى الرِّضَا بِكُفَرِهِمْ وَلَا عَلَى الْقِتَالِ لِأَخْذِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ
عَنْهُمْ وَاللَّهُ اعْلَمُ ثُمَّ الْأَمْرُ أَنَّ الْقِتَالَ لَمْ يُجْعَلْ لِيَكُونَ عِقَابًا لِلْكَفَرِ إِذَا بَوَّعَ
الْقِتَالُ وَمَعْنَاهُ قَدْ يَوْجَدُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَشْرَافِ جَمِيعًا وَهُوَ الْمَوْتُ ثَبَتَ أَنَّهُ
لَمْ يُجْعَلْ لِذَلِكَ وَلَكِنْ لِيُوجِبَ أَحَدُهُمَا أَنْ يَنْظُرَ بِهِ عَلَى الْإِحْيَاءِ بِمَا فِيهِ نَجَاتُهُمْ
وَبِهِ يَنْبُلُ كَرَامَةُ الْأَبِيدِ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ زَمَنَّا كُلَّ أَنْوَاعِ الْحُجِّ فَلَمْ يَنْتَعِمُوا قَاتِلِنَا
لَا الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الْحُجِّ حَتَّى تَلْذِذُوا وَالدِّمَاءُ الْحَيَوَةَ قَاتِلِنَا
حَتَّى يَلْبِسُوا عَنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ الْمَنَافِعَةَ عَنِ النَّظَرِ فِي الْحُجِّ وَالصَّادِقَةُ عَنْ الْإِحْيَاءِ
بِزُولِ عَنْهُمْ وَفِي قَبُولِ الْجِزْيَةِ قَبُولُ بَعْضِ الذَّلِيلِ وَالصَّغَارِ الَّذِي يَنْفَعُهُ
عَنْهُ الطَّبَاعُ وَيَدْعُو إِلَى مَا فِيهِ الذُّوَالُ فَيَنْظُرُوا فِي الْحُجِّ وَيُقَاتِلُوا إِلَى مَا دَعَا
إِلَيْهِمْ فَيَكُونُوا بِهِ نَجَاتُهُمْ وَحَصْلُ لَنَا زِيَادَةَ كَرَامَةِ لِحَصِيلِ سَبَبِ الدَّاعِي لَهُمْ إِلَى قَامَةِ
سَبَبِ النِّجَاحِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَاللَّهُ اعْلَمُ وَالثَّانِي أَنَّ الْحُجَّ كُلَّهَا تَنْقَسِمُ أَحْسَنَاتٍ
وَالسَّيِّئَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ وَلِذَا كَانَ جُعِلَ بِالْمَوْتِ وَالْحَيَوَةَ يَقُولُ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَعَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ أُمُورِ الدُّنْيَا
هُوَ التَّغَلُّبُ عَلَى مَخْتَلَفِ الْأَحْوَالِ فَكُلُّهُ الدُّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ يَكُونُ مَرَّةً بِحَاجَةِ
الْيَدِ وَمَرَّةً بِاللِّسَانِ وَمَرَّةً بِالشَّرْكِ لَا أَنْ جُعِلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَشَيْءٍ وَلَكِنْ بِمَا عَلَيْهِ
أَمْرُ الْحُجَّ فَعَلَى هَذَا أَمْرُ الْقِتَالِ فِي تَوْصِرِ وَالْعُضُوعِ تَوْصِرِ عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ الْمُطْلَقَةِ وَعَلَى مَا عَلَيْهِ حَقُّ الْحِكْمَةِ ثُمَّ الْفَرْقُ بَيْنَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ
بِحُجَّتِهِمْ عَلَى وَجْهِ أَحَدِهَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا اقْتَسَمُوا بِاللَّهِ جَمْعًا إِيْمَانُهُمْ لَيْسَ جَاءَهُمْ
تَوْصِرٌ لِيَكُونَ أَحَدٌ مِنْ الْأَمْزُجِ أَرَهُمْ تَوْصِرُ فَكَذَّبُوا ثُمَّ اقْتَسَمُوا لَيْسَ
جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا فَجَاءَهُمْ آيَاتٌ فَلَمْ يُؤْمِنُوا فَاسْتَوْجَبُوا الْقِتَالَ أَنْ يُؤْمِنُوا

بالعهد الذي سبق والتم الذي محدوا به وليس لغيرهم هذا والثاني قوله ونقلب
افيدتم وابصارهم كالم يوموا به اول مرة فبين الاياس عن ايمانهم وقبول
الجزية ليحاطوا اهل شريعة الله فليستعوا منه الحج ويعاينوا الافعال
المحمودة في العقول والاخلاق الكريمة التي جاء به الرسول فيومينوا وهؤلاء
قد اياس الله عن ايمانهم واخبر انهم يياسون ابدا فلذلك لم يعط لهم العهد وعلى
ذلك ظهروا بعضهم اليهود مرة بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى فيهم ان
لا يؤمنوا بالآيات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال
خاصة فنزع منهم ذلك الى ان يؤمنوا بالله اعلم ووجه آخر ان رسول الله
بعث فيهم ومنهم فأوجب لهم الفضيلة به ان لا يقبل منهم غير الايمان كما فصلت
البقرة التي بعث فيها رسول الله ومينها ان لا يترك فيها غير المؤمنين لفصيل
له فهذا مثله والله اعلم ووجه آخر وهو انهم قوم ليس لهم راس ولا ائمة
في الدين فيرجعوا اليهم في التماسيس ومعلوم ان لا قوام في العقول لا مبر
الدين الا بالائمة كالسياسات كلها والامور التي فيها القوام من الملك وعين بل اينا
كانوا جردا عبادا ومصوا على المثال فلا يرجعون في الحقيقة الا الى عادة
خارجية عن التدبير وغيرهم يرجعون الى مذاهب استثنى على ما يشبه امر الآيات
فقد تعلقوا بضرب من ذلك ونوعه وتركوا اذا خضعوا واضعوا للمسلمين
وصاروا بقاءهم بالذمة رجاء ان يتاملوا وينظروا فيما سمعوا من الحج اذ لكل
ذي مذهب نظر ونامل وليس لأوليك سوى العادة وتقليد الآباء ومن ذلك
وصعه لا ينظر فيهم للنظر والله اعلم ووجه آخر وهو ان مشركي العرب
في حيد القلوة حتى لم يكونوا يقدرون على المناواة الا بمغونة اهل الكتاب
وعينهم فامكن ان يضطرر والى القتل لانه لا يمكنهم المقاومة مع المسلمين فيحقق
ما هو المراد من شرع القتل بيقين وأما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة
وهم كعيل لان لهم جايما جتمعهم عليه وهو الدين الذي استسوه بآثار شيوخهم فكان
ذلك سبب التكثر فاذا اجتمعوا لم يكن في وسع اهل الاسلام القيام له والقتال
معه وفي الإقامة على القتال معه على كل حال ولا يقبل منهم الا الشيف او الاسلام
والقتال سبب الفتنة والهلاك فينضم بعض الي بعض فيتناصرون جبا للحياة فيجأ
على المسلمين بارجاء التكثر العناء والهلاك فلم يتعين شرع القتل وسيلة الى

وجود الاسلام بل شرع معه عقد الذمة واخذ الجزية للحصول المراد بأي طريق
يمكن ويقتض من الامر الى الايام الذي هو صاحب الامر والراي في هذا
الباب ليباشه ما يري المصلحة فيه من الطرق والله اعلم ووجه آخر وهو ان
مشركي العرب ليس لهم دين يدعون به ولا مذاهب معلومة اعتمدوا عليها
يقاثلون ويناضلون عن ذلك الدين وليس لهم دين اعتمدوا عليه ولهذا لم يذكر
في شيء من الكتب لهم مذاهب وابناهم كالسباع عادة هم السلب والقتل والافاقة
والقتال والذبح عن القبائل وقد يترك العادات بما يعترض عليها كما يمنع المشرك
عليها من القتال والحرب فاذا لم يبقوا وما يحاذي لك يتركوا عادتهم في ذلك وقبلوا
ما امروا من الدين دفعا للضرر وعن انفسهم في البقاء على العادة الاولى والتكليب
فيها امر وبالعدول اليه فاما اهل المذاهب فانما لموا عليها ودانوا بها
بالحج مثل ذلك لا يترك الا بالحج ويقبول عقد الذمة يتحقق هذا الغرض ليحاطوا
المسلمين ويروا محاسن الحق وليسمعوا الحج ويلزموا الدلائل عليهم فانه لا بد
لذلك من زمان طويل يتبدرون ويتاملون فيها فلذلك افترقا ووجه
آخر وهو انه ينكر الزام كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يثبت القول
بالاسلام ويقضي اليه فانما نقول لليهود والنصارى انهم اعقدتم حقيقة دينكم
نقول رسوكم وبالكاب الذي انزلت عليكم على لسانه وعرفتم كون ذلك
الكتاب كتاب الله بقوله وابنا عرفت صدق قوله في انه رسول وما اتى
به كتاب الله بالبحان كم عن اتيان مثل ما اتى به من الدلائل والبراهين ومثل
ذلك قايمة حقيقة هذا الدين الذي ادعوا اليه فكان اعتقادكم حقيقة ذلك الدين
لاجل قيام المعجزة يوجب عليكم اعتقاد هذا المذهب وانما نتوصل به
المناظرة بعد اعطينا العهد والذمة فكان فيه رجاء الوصول الي ما سريح له
القتال فاما مشركو العرب لم يبين مذهبهم على الحج انما هو تقليد وعادة فليس معهم
فماذا نوابه ما يعني بهم الى الدين الحق فلذلك افترقا والله اعلم فان قلت لنا طرد انكم تقاثلون
الكفرة بكفرهم ثم اذا اعطوكم شيئا من الاموال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم لا تقتلهم
الي الدين الحق لا لطمع في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء سبذ لو كنتم لو كانت
المقاتلة للنزوع عن الكفر والوصول الي ما هو بخاتم في الآخرة لكان الرجال
والنساء في ذلك على السواء فنقول لهم اننا لا نقاثل الكفرة لوجود الكفر منهم جراً

علي كغيرهم عقوبة عليهم وليكن ندعهم الي الاسلام اولاً وان اجابوا الي ذلك
والا قاتلناهم لنضطرهم الي الاسلام ولهذا ما نقاتلهم لاسي سواه فاذا كان
في اخذ الجزية وعقد الذمة ما يدعوم الي الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم
علي ذلك لعلمهم يرغبون الي الاسلام اذ اراوا اثارها واحكامنا لان لا تركناهم
وعقوبة فيما نأخذ منهم او طمعاً في ذلك واصلة تامر ان القتل بطريق المجنة
اذا الدار دار مجنة لا دار حيز آ والمجنة تكون لمختلف الاشياء لا بمولفها مرة
بالقتل نفسه ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدة آيد وهو كقوله ونبلوكم
بشي من الخوف والجوع الآية وقوله ونبلوكم بالسيوف والخيوف فتنة فاذا كان مجنة
لا حيز آ جاز ذلك فكان حكمه لحصول المراء لمختلف الطرق عند اختلاف الاحوال
والله اعلم وقولهم بانكم تقاتلون الرجال دون النساء لان اتباع الرجال
في جميع الاحوال وخدمهم يعتمدون علي ذاي الرجال لقصور رايهم فاذا
اسئلوا اسلمن هذا هو المعروف فيما بينهم فكان شرع القتال واخذ الجزية
في حق الرجال بما يغني عن ذلك والله اعلم ولما ذكرنا ان القتال مجنة لا جزاء
الكفر اذ الدار دار مجنة وتكليف فله ان يمتحن بعضاً بالقتل وبعضاً باخذ المال
وبعضاً لا بذال بذالك فيبقى الامر علي تحقيق ما شرع لاجله فاما لو كان بطريق
الجزء لوجب التسوية بين الكل كالخليد في النار في الآخرة جزاء واقامنا
والله اعلم قوله تعالى ولا تحرمون ما حرم الله ورسله لحتمل انهم لا يحرمون
بخريف الكتب وكتمان نعت رسول الله والله حرم ذلك عليه ويحتمل ولا يحرمون
عبادة الاوثان والله ورسله يحرمون ذلك ويحتمل ولا يحرمون ما حرم الله
ورسله من الخمر والخزير والميسر وخوها والله اعلم قوله تعالى
ولا يدينون دين الحق اي دين الاسلام لانه دين يوجب العقول كلها ويشهد
علي حقيقته خلقه الخلائق كلها ويحتمل ولا يدينون دين الحق اي لا يدينون ديناً
هو حق الله بل يدينون ديناً لا حق له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوم الي
عبادة الاصنام فنجيونه والله اعلم قوله تعالى حية يعطوا الجزية لحتمل قوله
حي يعطوا اي يعطوها لا علي الاعطاء فقط وهو كما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا
الصلاة واؤوا الزكاة هو علي القبول لها لا علي العقل نفسه وهذا كذلك ويحتمل
نفس الاعطاء وهو والله اعلم ان الجزية جعلت لحتمل الدم في المستقبل فيقتلوا

ليحتمل بها الدم علي حسب معنى الايام او ليحتمل المشقة والصغار باخذ المال
حبراً او كرهاً في حال ابتداء العهد وقد عجزوا عن المقا بلعوم مع المسلمين حرباً
اذا انظرهم انهم انما يقتلون العهد في مثل هذا الحال فيحتملهم ذلك علي الاسلام
والله اعلم قوله تعالى عن يدهم صاعون قال بعضهم اي لا يؤخروا
اخذها عن وقت قبولها بل تؤخذ بدءاً بيد لما قلنا فقال بعضهم عن يدي عن يدي
وعليه وحبر تحقيقاً للصغار علي ما قالوا ينبغي ان يؤخذ بتلايبه ويهت هذا
ويقال له ادي الجزية يا عدو الله وقال بعضهم عن يدي عن طوع وطيب
النفس وقيل من جماعتهم ليكن لا ندركي ما يعنون بالجماعة وقوله وهم
صاعون قيل ذليلون وهو من الصغار وهو الذل يقال صغراً يصغر صغراً
فهو صاغراً اي ذلت وقيل صاعون مذمومون وعن ابن عباس رضي الله
عنهما صاعون اي يشنون بهما متلبين والله اعلم تشد لاختلاف بين اهل
العلم ان اليهود والنصارى يقترون علي دينهم بالذمة واخذ الجزية واما
المجوس فانهم يقترون ايضاً علي دينهم باخذ الجزية وقبول الذمة فانه روي عن
عبد الرحمن بن عمار ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ الجزية من المجوس فانه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال سمعوا بهم سنة اهل الكتاب
ففي بعض الروايات اشهد ان رسول الله اخذ الجزية من مجوس هجر
وروي عن عمرو رضي الله عنه انه قال ما الذي ما صنع بالمجوس فانهم ليسوا
بمسلمين ولا من اهل الكتاب فقال له عبد الرحمن بن عوف اشهد لرسول الله
بقول سمعوا بهم سنة اهل الكتاب وروي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
اخذ الجزية من المجوس وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا اعلم الناس
بهم كانوا اهل الكتاب يقترونه واهل العلم يد رسونه فضع ذلك عن صدورهم
وعن ابي موسى قال لو لا اني رايت ابيحاي اخذوا الجزية من المجوس ما
أخذتفا وعن ابي عبيدة الجراح قال كتب رسول الله صلى الله عليه وآله الي المنذر
ان استقبل قبلتنا وصلي صلواتنا واكذب يمينتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة
رسوله ومن احب ذلك من المجوس فهو مؤمن ومن ابا فقلية الجزية وعلي ذلك
مضت الامة ولم ينكره احد من السلف حتي قال قوم ان المجوس انما اخذت
منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا نسائهم وذبا لهم اتباعاً لما روي عن علي وقال

آخرون ليستوا من أهل الكتاب و لكن يؤخذ منهم الجزية ابتغاء لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنواهم سنة أهل الكتاب غير ناكح نسائهم ولا اكل ذبحهم
ثم المسئلة في تقدير الجزية روي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
انه بعث معاذ الى اليمن فقال له خذ من حاكم دينارا او عدله معا فدا
وروي عن عمر رضي الله عنه انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد و امر ان
يضع على أهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما و اربعة وعشرين
درهما و اثني عشر درهما و في بعض الروايات انه ضرب على أهل
الذهب اربعة دنانير و على أهل الورق اربعين درهما و ضيافة ثلاثة
ايام و رزقا للمسلمين و احتجابا رحمهم الله فجعلوا فيهم ثلث طبقات اغنياء
و اوساط و فقراء فيؤخذ من الغني الموسر ثمانية و اربعون درهما و من
الوسط اربعة وعشرون درهما و من الفقير المحترق اثنا عشر درهما و ما
روي في بعض الاخبار اربعين درهما و اربعة دنانير لا يخالف ما ذكرنا
فان ذلك من غير المؤنة و الضيافة و الرزق الذي في الخبر و ما ذكرنا من
ثمانية و اربعين مع المؤنة و الضيافة فهما سواء في المعنى و هذا من عمدة
رضي الله عنه لخصه المهاجرين و الانصار فلم يأت من احد منهم النكير عليه
و الرد فهو كالانفاق منهم على ذلك على انه لا يحتمل ان يكون عمر قد رد ذلك رايًا
منه لان المقررات و المحذورات سبيل معرفتها التوقيف و السمع لا العقل فهو
كالمنموذج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و اما حديث معاذ فيحمل ان النبي
انما امره بذلك لما كان هو أهل فقير و حاجة على ما روي عن عمر في الضعفاء من أهل
مصر و الشام و ليس هو الجدة الذي لا يكدر اكثر من ذلك الا ترى ان عمر
الزم المياسير اكثر من دينار و لم يترك ذلك احد من القضاة فدل اجماعهم
على ما وصفنا ثم المسئلة في التمييز بين الطبقات بين الغني الموسر و بين الوسط
و بين الفقير قال بعضهم الطبقة الاولى من ليس له مال يحب في مثله الزكاة على
المسلمين و هم الفقراء المحترقون فمن كان له مال اقل من مائة درهم فهو من أهل
هذه الطبقة و من بلغ ماله مائة درهم فهو من أهل الطبقة الثانية و اذ بلغ ماله
اربعة آلاف فصاعد انصار من أهل الطبقة فآخذوا ذلك من قول علي و عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما قال لا اربعة آلاف درهم فآذوها نفقة و ما فوق ذلك

كثرة و يحتمل ان يكون الطبقة الثانية من مائة درهم الى عشرة آلاف
درهم و ما زاد على ذلك يجعل من الطبقة الثالثة لما روي عن أبي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك عشرة آلاف درهم جعلت
صفاح يعبث بها يوم القيامة ثم في قوله قاتل الذين لا يؤمنون بالله الى قوله
حتى يعطوا الجزية دلالة على ان الجزية انما تؤخذ من المقابلة دون من ليس بأهل
لها من النساء و الصبيان فانه امر بالقتال الى حين اعطى الجزية و انما
الداخل تحته أهل المقابلة دون الصبيان و النساء فان قتلهم حرام بالاجتماع
و روي عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى امير الجيوش ان لا تقتلوا الا
من قاتلكم و لا تقتلوا النساء و الصبيان و لا تقتلوا الا من جرث عليه المواشي
و كتب الى عماله ان لا تضربوا الجزية على الصبيان و النساء و في بعض الروايات
ان لا تأخذوا الجزية على الصبيان الا على من جرث عليه المواشي و كذلك روي
في حديث معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن و امرني
ان آخذ من كل حاكم دينارا او عدله معا فان قيل روي في حديث معاذ
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخذ من كل حاكم و حاكمية دينارا
و في بعض الروايات امرني ان آخذ من كل حاكم ذكرًا و أنثى و دينارًا قيل
ان كان الحديث محفوظا فيحمل على ما يؤخذ من نصاري بني تغلب و يكون
حكم نساء العرب فيما يؤخذ منها من أهل الكتاب يحالف حكم نساء العجم و يحتمل
انه غير محفوظ لان عمل الامة بخلافه لان الوفاة قد تجري على ان لا جزية
على النساء و لو كان محفوظا لظهر العمل به و يحتمل قوله خذ من كل حاكم و حاكمية
دينارا اي خذ منها دينارا و لا تأخذ من كل واحد منها دينارا و فيه جعل المرأة تنافيا
للرجل في الجزية و الله اعلم ثم يذكر مسألة ليس في الآية ذكرها و هي ان الجزية
اذا ضربت فدخلت سنة اخرى قيل ان يؤد بها اخذت منه الجزية للسنة
الثانية المستقبلة و لا تؤخذ للسنة الماضية و ليست كتابا بالديون عندنا
فان المجوس اذا سلم بعد معنى السنة لم يطالب بجزية العام الماضي و لو كانت
كتابا بالديون لطلب بها بعد الاسلام كتابا بالديون فان قيل اليس ان من
أخر الخراج من سنة الى سنة فانه يطالب به و لا يشق فاما بالكم في خراج الرواس
فيل لست الجزية نظير الخراج فان الخراج يجب على المسلم في ارضه فهو كسائر

الذيون بخلاف الجزية فان المجوس اذا اسلم بعد منفي السنة لا يطالب بها فانه
روي عن عمرو رضي الله عنه انه رفع الجزية بالاسلام وقالت واهو ان في الاسلام
معاد ان تغل وقالت عليه السلام ليس على مسلم جزية من طال له بعد الاسلام
فقد خالف الخبر فان قيل ان المسلم انما يزول عنه الجزية الماضية لا تصار
الي جبال لا يجوز ان يوضع الجزية عليه ابتداء فلا يكون اهل الجزية فلا يبق بخلاف
الذي اذا احرق فانه بقي اهل حتى يوضع عليه في السنة الثانية ابتداء قيل
ان الذي اذا اجتمع عليه جزية سنتين فصارت اهل لا يجوز ان يلزم عليه
مثلها ابتداء فانه اذا كان فقيرا لا يجوز ان تزداد على اكثر من اثني عشر دهما فكذا
يجب ان لا يبي الجزية الماضية حتى لا يوحى ضعف ما وضع عليه في كل سنة
واصله ان الجزية انما جوت لحقن الدم في المستقبل فاذا اصاب دمه محفوظا
في السنة الماضية فلا تؤخذ الجزية لاجلها فانه لا حاجة الي ذلك كما اذا اسلم
او مات يشق طعنه الجزية لعدم الحاجة الي الحقن بها والله اعلم قوله
تعالى وقالت اليهود عن يربن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت
بن آية الحزب تكاد السموات ينفطرن منه وتنفق الارض وتجر الجبال
هذه ان دعوا للرحمن ولذا اخبر ان السموات تنفطرن وتنفق الارض
وتجر الجبال لعظيم ما قالوا في الله من البهتان والفتوى عليه ان له ولدا
لم يبن الذي قال ذلك فقالت اليهود عن يربن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله اخبر بهذه الآية انهم قالوا ذلك وهو كانوا
علموا انهم قالوا في الله ما قالوا او انما ذكره لوجوه احدها لما فيه من اثبات
رسالة محمد عليه السلام لان هؤلاء كتموا ذلك فآخبر رسول الله ان اولهم
قالوا ذلك وهم كانوا يكتنون عن رسول الله ليعلموا انه انما علم ذلك بالله
والله اعلم والشاني خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبره على سفه هؤلاء
ليصور على سفههم واذاهم والثالث خبر انهم مشبهة لانهم تشبوا
المخلوق اليه فقالوا ان ولانا ابنه فلو لا انهم عرفوا الله مثل معرفتهم المخلوق
والآية قالوا اذ لك وما اعتقدوا من التشبيه والله اعلم قوله تعالى
ذلك قولهم باقواهم اي ذلك قولك قالوا بلا حجة ولا برهان كانت لهم في
ذلك او قالوا باقواهم من غير شبهة اعترضت لهم بحملهم على ذلك

والله اعلم قوله تعالى ايضا قول الذين كفروا من قبل حتمك
هذا ان قد كان قبل هو لا آمن الكفرة من قد قال مثل قول هؤلاء وحتمك
ايضا قولهم قول من سبق من الكفرة فيما قالوا من الشرك والكفر
والكذب والافتراء على الله وهو قوله تشابهت قلوبهم اي في الكفر والمضاهاة
تقتضي المشابهة مطلقا لا من جميع الوجوه كقولهم فقلنا اضربوه
بعضها كذلك يحيي الله الموتى ليس ان يحيي الموتى كلهم كما يحيي ذلك
التمثيل بعنبر بعض تلك البقرة عليه ولكن يحييهم احياء فعلى ذلك
قوله ايضا قول الذين كفروا من قبل اي قولهم باقواهم ايضا قول الذين كفروا من قبل اي قول
النصارى صاهار قول الذين كفروا من قبل وهم اليهود فان النصارى
قالوا لعيسى انه ابن الله كما قالت اليهود من قبل لعيسى يدانه ابن الله فصرخوا
ذلك قولهم اي النصارى الذي هو الاقرب لا الي الجملة السابقة والله
اعلم قوله تعالى قاتلهم الله اي يوفكون هذه الكلمة كلمة اللعن تستعمل
عند من اكبر القول والفعل من غير ارادة تحقيق ما وضع له ثم قوله
اي يوفكون محتمل من ابن يوفكون ويفترون على الله من غير شبهة
اعترضت لهم ومحتمل اي كيف يوفكون بلا منفعة تحصل لهم ومن غير
حجة وبرهان كان لهم والله اعلم قوله تعالى اتخذوا اخبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله فيل الاخبار والعلماء والرهبان العباد
وقيل الاخبار هم اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى
ثم قوله اتخذوا اخبارهم ورهبانهم محتمل انه خرج على سبيل التمثيل
اي السفهاء والاتباع اتخذوا اخبارهم ورهبانهم اربابا اي اتخذوا
في الطاعة لهم والاتباع لا مرهم كما انهم اتخذوا اربابا لا على التحقيق وهو
كما ذكرنا من تشبه عبادة الشيطان اليهم بقوله حين اعن ابراهيم
يا ابت لا تعبد الشيطان اليهم بقوله ولا اخذ نقصد قصد عبادة الشيطان
لكن صاروا بالطاعة له والاتباع لا مرهم كما انهم عبادة واما في المسيح فهو على
الحق فانيهم قالوا انه اله وقالوا ابن الله فهو خوج في المسيح على التحقيق
وفي الاخبار والرهبان على التمثيل ومحتمل ما روي في الخبر ان ثبت

انهم لعبدوهم ولكنهم احلوا لها ميثاقا حرمها عليهم فاستحلوها وحرّموا
اسيأ احل الله ذلك لهم فحرموا ذلك فقال اتخذوا اخبارهم ورضاهم
ان بائنا لهذا الله اعلم قول الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
الآية محتمل اي ما امروا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون الا صنم والاولان
ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا قول الله تعالى يريدون يطفوا نور الله
بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيد وقيل القرآن وقيل دين
الاسلام فان كان المراد من النور هو الذكر والتوحيد فمغناه والله اعلم
انهم لم يكونوا يعترفون بذكر الله ولا بتوحيد ولا يذكرونه ايضا انما يعرفون
ذكر الاصنام اناها يذكرون وبحق العقوبة والرحم يتنامرون فيما بينهم فلما
ان بعث رسول الله وتوحيد وبالتناصر بحق الدين ارادوا ان يطفوا
ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القرآن فقد ارادوا اطفاء كقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والعواوين وقولهم ما هذا الا اساطير الاولين
وقولهم ما هذا الا سحر مفترا وكذا من قال نور الله هو الدين
لقولهم ما هذا الا سحر مفترا وكذا من قال نور الله هو الدين
للقول له امن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال الله نور
السموات والارض وفي حرف ابي رحي الله عنه مثل نور المؤمنين
وقد ارادوا اطفاء هذا النور وهو الدين بحق ليسلم لهم المنافع التي كانت
لهم بسبب الدين الباطل بما اتخذوا الا متاع خدنا وما كلفه والله اعلم ثم
قوله يريدون ان يطفوا اي يجتهدون ان يطفوا نور الله فما يقدر
على اطفائه ويحتمل يريدون اي يجتالون ان يطفوه باسباب يتكلمون
بما شربوا قول الله تعالى اي بالبح والبراهين ويحتمل بالسر
والاظهار وقد اتمه لقوله اليوم اكملت لكم دينكم قوله تعالى ولو
كره الكافرون ظاهرا قوله تعالى هو الذي ارسل رسول الله بالهدى
ودين الحق محتمل بالهدى اي هدي يهديهم الي ما به يكون جمع الحاسن
والخيرات حاسن وخيرات وهو الايمان لان الحاسن والخيرات
انما تقوم بالايمان وبه ينفع بها بعثه لذلك والله اعلم ويحتمل الهدى القرآن
اي به يهديهم ويبين لهم الحاسن من المساكين والحسنات من السيئات
وقوله ودين الحق اي وهو دين الحق الي الايمان الذي يصير

الحاسن حاسن وخيرات حيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين
الحق اي دين الله بقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين قوله
تعالى ليظهره على الدين كله محتمل وجوها محتمل ليظهره رسول
على اهل الدين كله بالحق والايات وقد اظهر محمد الله على اهل الاديان
كلها بالحق والايات حتى لم يفضل احد بمعارضتها فضلا عن ان يتعرض لابطالها
مع مدحهم معجهم في اطفاء هذا النور ويحتمل ليظهر على اهل الاديان
كلها بالقهر والغلبة والادلال وقد كان حتى خضعوا له كلهم وذلوا
حتى لم يبق في حديرة العرب مشرك ولا كافر وصار اهل الكتاب
قليلين صاعين في ايدي المسلمين ويحتمل ليظهره على الدين كله اي ليظهر
دينه على الاديان كلها فان كان المراد ظهور دينه على دينه بالحق والبراهين
فقد ظاهرا على الاديان وان كان اراد ظهوره من حيث القهر والغلبة
فبعد لم يكن ويقول ان شاء الله يوم القيمة قال على الذين كله ولم يقتل
على الاديان كلها لان الدين متى عرفت باللام كان المراد به الاديان
كلها كقوله يا ايها الناس اني قد بعثتكم بربكم الكريم يدخل فيه كل انسان
وجاز ان سمي ذلك دينا لانه وان كان ادنا محتمل فمبني تجميع
الي الواحد لان الكفر كله مله واحدة وهو دين الشيطان فسماه بذلك
لهذا والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثير من الاخبار
والدهبان لباكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا ياكلون اموالهم
بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقولهم يحرفون الكلم عن مواضعه
وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب ليختصبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الا به وهم انما حرفوا ذلك وبدلوه ليسلم لهم تلك
الاموال وذلك اكل باطل لانهم كانوا ذهاب تلك المنافع والاموال
اذا اسلموا ولهذا والله اعلم سموا هم اربابا في الآية الاولى لما ان جعلوا
اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيد لهم فيكونون كالا رباب
لهم والله اعلم قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل ان يكون هذا اصلة قوله لباكلون اموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اي احذر اموالهم ليعبدوا الناس

عن سبيل الله ويكسرونها ولا ينفقونها في سبيل الله انما انفقوا الصدقة
الناس عن سبيل الله ومنهم من حمل الآية على منع الزكاة وقدر في
الاحبار عن رسول الله صلى الله عليه عن بعض اصحابه ان كل مال ادى
الزكاة عنه فهو ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد الزكاة
عنه فهو كنز وان كان على وجه الارض ثم ان كانت الآية في الكفرة
فهو في القبول دون نفس العقول وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة
وانؤ الزكاة فخلوا سبيلهم وقوله والذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة
هم كافرين وذلك في القبول لاي الاية انفسه ومن اصحابنا من استدلك
بهذه الآية على لزوم من النضة والذهب بعضه الى بعض لانه ذكر كنز الذهب
والفضة جميعا والحق الوعيد بترك الاتفاق من النضة بقوله وسلك
ينفقونها في سبيل الله ولم يقل ولا ينفقونها في سبيل الله فلو لا ان النضه
واجب ويكون المودي عن احدهما مؤذنا عين الآخر والام يكن لذلك معنى
ثم هو في ستار الناس انهم يودون من الفضة ثم الذهب لان الذهب
اعد عندهم والفضة دونه والله اعلم قوله تعالى يوم نحشي عليها
في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية جعل الله تعالى
تغذيب الكفرة في الآخرة بالاسباب التي منعتهم عن طاعة الله وهدتهم
الى مخالفة امره وجمع بينهما في الدار كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وبين القرين وقوله احسروا الذين ظلموا فآزواهم وما كانوا يعبدون
من دون الله وحوذ ذلك فاعلي ما كنزوا ونحيي عليها فتكوي بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم يغذهم بها لما منعتهم تلك الاموال عن طاعته ودعتهم الى استد
الناس عن سبيل الله فجعل هذه الاموال بالكل به محتمل ان يكون
الحياة كناية عن ايام الرجل وتلقا وجهه اي لما لم يقدموا الاموال الى
الآخرة ولم ينفقوها في سبيل الله تكوي بها جباههم لما حصل منهم التقصير
من هذه الجهة وقوله وجنوبهم وكل جهة فيلحق العذاب من كل جانب
وقوله وظهورهم لما انفقوا الاموال في الصدقة عن سبيل الله لتكوي
بها ظهورهم لما انفقوا الاموال بمقاومة من يعطيهم الاموال وحسنون

في حقهم والله اعلم ومحتمل ما ذكره اكاية عن اجابة العذاب بهم
من كل الجهات ليس لعذاب الدنيا يكون من جهة دون جهة وهو كقوله
لهم من جهنم ما دون من فوقهم عواس وقوله لهم من فوقهم ظلال من النار
ومن تحتهم ظلال اي يحيط بهم العذاب فعلى ذلك هذا وقوله انفس
سقي بوجهه سواء العذاب يوم القيمة اي يحيط بهم حتى لا يفتروا على
دفعه عن وجههم والله اعلم وقدر في من الاجاد بيت على وفق الآية
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي حقها الا جعلت له يوم القيامة
صناجح نارا تحيى عليها في نار جهنم يكوي جنبه وجهه وظهوره في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتى يلقى بين الناس فيري سبيله اما
الي الجنة واما الي النار وما من صاحب بقدر ولا غنم لا يودي حقها
الا اوتيت بها يوم القيمة نظاروه باطلا فلها وتطحن بقدرها ثم ذكر فيه ما
ذكر في الاول قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل قال هي لثلاث لرجل
آجر ورجل ستر ورجل وزر فاما من ربطها عدة في سبيل الله فانه لوانه
طول لها في مخرج خصب اوى روضة فكتب الله له عدد ما اكلت حسنة
وعدد ارضاها حسنة ولوا تقطع طولها ذلك فاستفتت شرفا
او شرفين كتب الله له عدد اثارها حسنة ولوموت بهر عجاج لا يريد
منها السقي فشربت كتب الله عدد ما شربت حسنة ومن ارتبطها
عز او خيرا على المسلمين كان له وزر يوم القيامة ومن ارتبطها نعتنا
تقطعا ثم لم ينس حق الله به في رقابها وظهورها كانت له ستر من النار
يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر ففيه دلالة وجوب الزكاة في الخيل وهو
حجة لاني حنيفة راحة الله لانه قال ثم لم ينس حق الله له في رقابها وظهورها
واحسن الذي في رقابها هو الزكاة والذي في ظهورها الجهاد عليها والله اعلم
قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله قوله
في كتاب الله محتمل اللوح المحفوظ على ما قاله اهل التأويل ومحتمل في كتاب الله
اي في حكم الله قوله تعالى عند الله محتمل اللوح المحفوظ عند الله لا نطلع
عليه غيره وفيه تقديم وتأخير كما قال ان عدة الشهور اثنا عشر

شهراني كتاب الله عند الله اي في اللوح المحفوظ الذي هو عند الله لا يطلع عليه غيره ويحتل وعند الله اي في علمه لا يقف عليه الا من اطلقه الله عليه علي ما عرفت من العرف فكان تاويله علي هذا والله اعلم علي ما قال بعضهم ان الله تعالى جعل عدة الشهور اثنا عشر شهرا بالاهلة علي ما عرفت من العرب لما وقفوا علي معرفة ذلك ولم يوقف غيرهم من العجم والروم حتي بعدوا السنة بالايام دون الاهلة والعرب تعرف بالاهلة علي ما خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فيكون في هذا اظهر فضيلة العرب والله اعلم ويحتل انما ذكره اخبارا منه لينبئ به انه جعل اربعة من الشهور الاثني عشر حرما وكانت العرب تدبر بذلك وتمنع عن القتال والاعارة فيها الي ان امتد بهم الزمان وكان معيشتهم من الاعارة وكان عاداتهم القتال والنبات فيشق عليهم توالي اشهر حرم لا يصيبون منها شيئا علي ما قال بعضهم ان اشهر الحرم عند العرب شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وقال بعضهم ثلثة ستر ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وواحد واحد واحد وهو وجب حتي لهم القتال في المحرم وحرم في سفير بدل عنه في سنة ثم حرم في المحرم واحل في سفير في سنة اخري واحد من روماء العرب وكان له شوكة وقوة وكانت العرب لا تخرجون عن حكمه فبقي ذلك الي زمن النبي فنزلت الآية ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم الي ان قال انما الشهور زيادة في الكفر بفضله الذين كفروا وحملوه عاما ومحرمونه عاما الآية في الآية بيان ان القتال حرام في هذه الاشهر المحرم في ابتداء الاسلام علي ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وزاد فيه ثباتا حيث غاب اصحاب النبي باستخلاص القتال في المحرم وتأخيرهم الحرمة الي صفر وجعله زيادة في الكفر فقال انما النبي زيادة في الكفر بفضله الذين كفروا وحملوه عاما ومحرمونه عاما فعابهم بتجليل المحرم وتخفيف المحلل وقد ورد الاجازة في موافقة الآية فانه روي عن النبي عليه السلام انه خطب في الموسم وقال في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا اربعة حرم ثلاث

متواليات ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضى الذي بين جمادى وشعبان ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اي شهر هو واي يوم هو واي بلد هو قالوا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام فقال اراها قالوا بلي فقالوا اللهم اسهد في بعض الاخبار زيادة فقال انما النبي زيادة في الكفر بفضله الذين كفروا وحملوه عاما ومحرمونه عاما لبواطي عدة ما حرم الله وذلك انهم كانوا يجعلون سفرا عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النبي من الشيطان الحكيو يث الي آخره فذلك الاجازة يث علي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يحرموا القتال فيها اذ بين الاشهر الحرم وغاب الكفرة مغيرة ذلك النسبة وجعل النبي زيادة في الكفر ثم ان الله تعالى نسخ ذلك بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويحذركم من الاماني وصار القتال واجتا في الشهور كلها والله اعلم فان قال قائل ما معني الحديث الا ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والارض الحديث بطوله قيل لخص ما اشار الي الحديث ان الله تعالى جعل اربعة اشهر حرما وبينها وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والعرب في الجاهلية عتبرت بفعل المحرم حلالا في سنة واقامت سفرا مقامه وفي السنة الاخرى عملت علي ما وضع الله تعالى من تحريم المحرم واحلال صفر واعتقدت ذلك دينا وسفرا لهم فاخبر عليه السلام ان استدار الزمان علي الهيئة التي كانت موضع الله علي الاضافة الي اعتقاد العرب لما عملت دينا وشرعا حقا وان كان لا يتغير الا بتغييره لا بتغيير البشر او اراد من حيث العمل اي بغير الا ان العمل علي الوجه الذي وضعته العرب ويعود الي ما وضعه الله تعالى والله اعلم ويحتل وجها آخر ما ذكر عن مجاهد رحمه الله قال فرض الله تعالى الحج في ذي الحجة ولهذا سمي المشركون هذا الشهر الذي فيه فوض الحج ذا الحجة ثم غيرت العرب هذا الحكم فكان يحجون في ذي الحجة عامين ثم في المحرم عامين وسموه ذا الحجة ثم سمو المحرم صفرا وسموا الصفر ربعا الي آخر ثم في صفر في عامين حتي فلتقت حجة الي بكر بعد الاسلام في ذي القعدة

وَنَهَاهُمْ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ الْفُرُوقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ فِي الْأَرْضِ قَالُوا بَعْضُهُمْ لَكَ نَزَلَتْ
فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَخْلَعُونَ رُسُلَ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ الْفُرُوقُ وَاحْتِفَاؤُهُمْ قَوْلُهُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ
وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ فَفَعِيمٌ ذَكَرْتُ لَكَ الْوَعِيدَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ
الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ الْفُرُوقُ وَاحْتِفَاؤُهُمْ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ
عَامَّتُهُمْ هِيَ فِي حَالَةٍ مَخْصُوصَةٍ وَهِيَ غَزْوَةُ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ فِيهَا
بِنَفْسِهِ إِلَّا تَدْرِي إِلَى قَوْلِهِ لَوْ كَانَ عَرْضًا فَذَيَّابًا سَقَرًا فَاصِدًا لَا يَتَوَكَّلُونَ وَلِذَلِكَ
وَقَعَ التَّنْذِيرُ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ تِلْكَ الْغَزَاةِ وَقَعْدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ قَوْلِهِ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا الْأَنْهَمُ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا فِي الْحَالِ
الَّتِي لَمْ يَخْرُجْ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ حَمِيصًا أَنْ يَخْرُجَ
إِلَى الْجِهَادِ يَدْرِي عَلَى التَّخَرُّفِ بَيْنَ الْحَالَيْنِ قَوْلُهُ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلَعُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَرْعَوْا عَنْ نَفْسِهِ
فَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْخُرُوجَ فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمِيصًا فَمَا فِي الْحَالِ الْآخِرِ
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الْعُرَى وَالْجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَأَوْعَدَ الْقَاعِدِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَوْعَدَهُمُ الْإِمْنُ تَابَ عَلَيْهِ
مِنْهُمْ وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا وَاسْأَلْهُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا فِي الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْغَزَوَاتِ
فِي جَمِيعِ الْأَوَاقَاتِ وَلَكِنْ نَقُولُ أَنْ ارَادَ بِهَذَا أَنْ النِّفَاقَ وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ
يُطِخُوا النُّفُورَ فَإِذَا اشْتَكَتْ زَالِ الْغُرُوضِ عَنِ الْقَاعِدِينَ هُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ ارَادَ وَالْغُرُوضُ
فِي عُمُومِ الْأَوَاقَاتِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّهُ يُجَالَتْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَا نَحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
كَانُوا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَوَّلِي أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ مَا خَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَى الْجِهَادِ بَلْ بَعْضُهُمْ قَاعِدُونَ
مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْضُهُمْ خَرَجُوا إِلَى الْجِهَادِ وَكَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْرُجُوا كُلُّهُمْ إِلَى الْجِهَادِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُُوا فِي الدِّينِ الْآيَةُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيُّ يَنْفِرُ طَائِفَةٌ وَيَكُتُّ طَائِفَةٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَثُرَتْ
الَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَبَيَّضُوا أَوْخَانَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَزَاةِ وَمَا نَزَلَ

مِنْ الْكِتَابِ وَالْحُدُودِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَتَأْتِلُمُ فِي الْأَرْضِ قِيلَ اسْقَلْتُمُ الْمَغْرِبَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاقْتَمْتُمْ وَحْتَمَلْتُمُ التَّنَاقُلَ هُوَ أَنْ يَرَوْنَ أُنْفُسَهُمُ التَّغْلُفَ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَكُونُوا أَقَامُوا وَلَمْ يَنْفِرُوا كَمَا يَقَالُ نَصَاصُهُمْ تَعَالَى إِذَا أَرَى مِنْ نَفْسِهِ الْقَتْمَ
وَالْعَمَى مِنْ غَيْرِهِ أَنْ كَانَ بِوَذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ أَتَأْتِلُمُ امْتَلَأْتُمُ
وَرَكْنَتُمْ إِلَى الْمَقَامِ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ حَتَّى إِذَا دَارَكَوْا مِنْهَا جَمِيعًا أَيْ
تَدَارَكَوْا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَرْسَلْنَا مِنْ الْأَجْرَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ أَيْ مَا مَتَاعُكُمْ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَا قَلِيلُهُ مَا
وَعَدَانِ يَتَّبِعُكُمْ فِي الْأَجْرَةِ وَحَتَمَلُ أَيْ مَتَاعُ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِ مَا يَنْتَهِي
قَلِيلٌ عِنْدَ مَتَاعِ الْأَجْرَةِ وَكَرَامَتُهَا لَا أَنْ كَرَامَاتِ الدُّنْيَا عَلَى سِتْرِ الزَّوَالِ وَكَرَامَاتِ
الْآخِرَةِ عَلَى الدَّوَامِ وَالْفَرَادِ وَحَتَمَلُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ عِنْدَ مَتَاعِ الْأَجْرَةِ لِأَنَّ مَتَاعَ
الدُّنْيَا وَمَتَاعُهَا يَشْتَوِي الْأَقَاتِ وَالْمَصْرَفَاتِ وَمَتَاعُ الْأَجْرَةِ خَالِصَةٌ لَا يَشْتَوِيهَا
الْأَقَاتِ وَالْمَصْرَفَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا تَنْفِرُوا تَعَالَى تَعَالَى تَعَالَى
أَلَيْسَ أَيْ أَنْ لَمْ تَنْفِرُوا فَإِنْ كَانَتْ الْآيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ فِي ظَاهِرَةٍ وَأَنْ كَانَتْ فِي
الْمُؤْمِنِينَ فَحَتَمَلُ قَوْلُهُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أَيْ يَحُلُّ بِهِمُ الْعَذَابَ وَلَمْ يَبَيِّنْ مَا ذَكَرْتُ
الْعَذَابَ أَيْ عَلَى الْخُلُودِ أَمْ لَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ شَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْوَعِيدَ فِي تَرْكِهِمُ النَّفَرَ
وَالْخُرُوجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى مَا شَدَّ
بَيَّضُوا فِي الْوَلَايَةِ عَنِ الدُّرُوبِ وَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَجَاتٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَمْثَرَ قَالَتِ الْإِسْلَامُ أَوْ مَخْجَرًا
إِلَى قِيَّةٍ فَقَدْ بَيَّنَّا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ الْآيَةَ غَيْرَ أَنَّهُ شَدَّ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَخْرَجٌ وَكَانَ
نَفَارُهُمْ نَفَادَ نَفَاقٍ وَهَبْنَا شَدَّ لِعَفِيدِ لَكَ فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَخْرَجًا وَفِيَّةً يَتَصَرُّونَ
إِلَيْهَا وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ أَجَدَ مَا لَمْ يَخْلَفُوا الْمُؤْمِنِينَ مَوْجِعَ الْعَذْرِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْخُلُفِ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ وَالنُّفُورِ عَلَى الْجِهَادِ فَيَقُولُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلَعُوا الْعَذْرَ فَمَنْ تَخَلَّفَ أَيْضًا لِلْعَذْرِ
وَلَمَّا فِي ذَلِكَ عَذْرًا وَالثَّانِي يَكُونُ لِلْكَفَّارِ مَوْجِعُ الْأَجْحَاجِ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ أَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ نَسَا
فِي الْأَجْرَةِ وَتَحْتَوْنَ نَسَا عَلَى ذَلِكَ ثَمَانِي يَنْفِرُونَ عَنْ ذَلِكَ وَيَرْغَبُونَ عَنْهُ وَالْمَالِ
يَكُونُ فِي تَخْلُفِهِمَا بَيِّنَاتُ الشُّكِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا تَخَلَّفُوا وَاللَّهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَهُمْ قِيلَ فِيهِ يَوْجُ قِيلَ لِيَسْتَبْدِلَ الْمَلَائِكَةُ
يَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَا اسْتَبْدَلُ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ وَبِوَدِّ حُسْنٍ وَقِيلَ لِيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَهُمْ فَيَنْصُرُوهُ عَلَى مَا اسْتَبْدَلُكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ لِيَسْتَبْدِلْ

قَوْمًا عَيْنِي أَيْ تَشَاءُ قَوْمًا غَيْرَ كُنْ الْأَوَّلَ أَشْبَهُ الْأَوَّلِ قَالَ عَلِيٌّ إِنَّهُ لَا تَنْصُرُ
فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَلَا تَنْصُرُ شَيْئًا هُوَ مَا ذَكَرْنَا أَيْ لَا تَنْصُرُ وَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَلْفِ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ لَا تَنْصُرُ وَاللَّهُ شَيْئًا وَالْأَوَّلَ أَشْبَهُ
قَوْلَهُ تَعَالَى الْأَوَّلُ فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ قَوْلَ أَنْ لَمْ تَنْصُرْ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ فَاللَّهُ يَنْصُرُ
عَلَى مَا نَصَرَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِي الْغَارِ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا وَاحِدٌ وَإِنْ
لَمْ تَنْصُرْ فَاللَّهُ كَانَتْ فِي نَصْرِهِ عَلَى مَا كَانَتْ مَا ذَكَرْنَا فِي الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ
إِلَّا وَاحِدٌ فَالْيَوْمَ لَا يَنْصُرُ وَمَعَهُ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ مَا لَا يَحْصِي وَأَصْلُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
إِنَّمَا اسْتَنْصَرَ لِحَاجَتِهِ لَهُ إِلَى نَصْرِهِمْ إِذَا قَادَرَانِ يَنْصُرُ رَسُولُ اللَّهِ بِأَمْرٍ أَلَيْسَ يَطْلُبُ
النَّصْرَ لَهُ مِنْهُ لِيَكْتَسِبَ بِذَلِكَ ثَوَابًا لَا لِنَفْسِهِ وَذَكَرْنَا فِي الْأَجَالِ وَعَلَى هَذَا مَا
طَلَبَ مِنَ الشُّكْرِ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى نِعْمَةِ إِطْعَامِهِمْ لِحَاجَتِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ وَلَكِنْ لِيَسْتَدِيرَ
النِّعْمَةَ وَيَصِلُوا هِيَ إِلَى النِّعْمَةِ الْبَاقِيَةِ فَلَنْ يَكُنْ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَأَمْرُهُ
بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ لَمْ يَكُنْ لِمَا كَانَ نَفْسُهُ أَذْيَقُ أَنْ اللَّهَ كَانَتْ فِيهِ وَنَاصِرُهُ وَلَكِنْ إِنَّمَا يَسْتَدِيرُ
وَيَأْتِيهِمْ بِالْخُرُوجِ لِمَا كَانَ لِنَفْسِهِمْ لِيَكْتَسِبُوا بِذَلِكَ قَدْرًا وَثَقَاتًا عِنْدَ اللَّهِ وَزُلْفَى لِلْآثَرِ
أَنَّهُ قَالَ لَا تَنْصُرُوا الْعِدَّ بِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَقَالَ وَلَا تَنْصُرُوا شَيْئًا أَيْ إِنْ لَمْ
تَنْصُرُوا وَأَوْلَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا تَنْصُرُوا شَيْئًا إِذْ كَانَتْ فِيهِ فِي نَفْسِهِ وَإِنَّمَا عَابَتْهُمْ
بِتَرْكِ النَّفَرِ وَالْخُرُوجِ لِيَلَا يَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا وَلَا يَرْكَبُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
عِيَانًا كُنْ أَوْ لِيَكُنْ الْكُفْرَ لِأَنْ رَكِبُوا لَهَا فِي الدُّنْيَا وَجَبَّ أَيْهَا هُوَ الَّذِي مِنْهُمْ
عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الَّذِي جَهَلَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ وَتَرْكِ
الْإِجَابَةِ لَهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَنَقُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا
وَلَا تَرْكَبُوا بِهَا مِنَ الْآخِرَةِ لِيَمْنَعَكُمْ ذَلِكَ عَنِ النَّفَرِ وَالْخُرُوجِ إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ رَسُولُ اللَّهِ
عَلَى مَا سَمِعَ أُولَئِكَ الْكُفْرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى إِذَا خَرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَيَّ اضْطَرُّوا إِلَى الْخُرُوجِ حِينَ هُمْ مَوْتًا بِقَتْلِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى ثَانِي أَشْنَيْنِ إِذَا هُمَا فِي الْغَارِ ثَانِي أَشْنَيْنِ أَيْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ
مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَابْنُ هَذَا الْوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالْوَحِيدِ النَّصْرَ وَالْحِفْظَ مِنَ الْآلِ كَوْنِ لِيَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ لَمْ يَكُنْ
بِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالثَّانِي يَذْكُرُ لَأُظْهَرَ نَصْرَهُ إِلَى بَعْضِ
أَيِّ هُوَ ثَانِيَةً فِي كُلِّ أَمْرٍ قَوْلَهُ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ لِحَاجَتِهِ لَا يَجُزُّ أَنْ اللَّهَ

مَعَنَا لَمْ يَكُنْ حُزْنُ أَبِي بَكْرٍ حُزْنًا عَلَى نَفْسِهِ وَلَكِنْ اسْتِغْفَارًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَصَابَ
وَكَذَلِكَ رُوِيَ فِي الْحَبَرِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَنْ تَصَابَ ٢٨
يَذْهَبَ دِينَ اللَّهِ وَلَنْ يُعِيدَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا مِنْ وَفَى بَعْضُ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَبْكِي اسْتِغْفَارًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَا يَبْكِيكَ فَقَالَ مَا ذَكَرْنَا فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَشْنَيْنِ اللَّهِ تَالِهُمَا
وَقِيلَ إِنَّمَا أَتَيْتَا بَابَ الْغَارِ سَبَقَ أَبُو بَكْرٍ فدخل الْغَارَ وَكَانَ الْغَارُ مَعْرُوفًا بِالْهَوَارِ
فَالْقَمَاهُ أَبُو بَكْرٍ قَدْ مَيِّتٌ فَأَطَالَ ذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ يَدَّيْنِي أَوْ كَلَامٌ يَجُوزُ
هَذَا أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ وَلَا يَجُزُّ لَيْسَ يَنْبَغِي مِنَ الْجُزْءِ لِأَنَّ الْجُزْءَ يُفْعَلُ طَبِيعِي
لَا يُصَوَّرُ النَّهْيُ عَنْهُ وَلَكِنْ عَلَى تَخْفِيفِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ وَتَيْسِيرِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا
قَوْلَهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ حِينَ أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ
حِينَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مَا ظَنُّكَ بِأَشْنَيْنِ اللَّهِ حَتَّى سَكَنَ قَلْبُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مِنَ الْجُزْءِ وَالْحَقِيقَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
وَهُوَ يَخْرُجُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ حِينَ رَأَى
جَنُودًا وَلَمْ يَرَوْهَا حَيْثُ قَالَ وَأَيْدِيَهُمْ جُنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا وَالسَّكِينَةُ أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ بِالْحَجِّ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ لَيْكَةِ إِنْ كَانَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ فِي الْبَتَاءِ
فَأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَخَافُ سِوَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْصُرُ لَا بِحَالَةٍ وَكَذَلِكَ
رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ أَيْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ لِأَنَّ
النَّبِيَّ لَمْ يَزَلِ السَّكِينَةَ مَعَهُ وَهَذَا أَشْبَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَأَيْدِيَهُمْ جُنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا
لِحُجَّتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي فِي الْغَارِ وَحُجَّتِهِ فِي الْعَدَاوَةِ الَّتِي نَصَرَهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ
وغيره حَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَادَرَانِ يَنْصُرُ لَا بِالْبَشَرِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ إِيَّاهُمْ مَرَّهً بِالنَّصْرِ
لَا لِنَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَكْتَسِبُوا بِذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الثَّوَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ هـ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى لِحُجَّتِهِ كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ مَا
مَكُرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ مَوْتًا بِقَتْلِهِ لِيَجْعَلَ كَيْدَهُمْ وَمَكْرَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ هُوَ السَّفْلَى
قَوْلَهُ تَعَالَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا أَيْ مَعْرَاةُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِمْ وَنَصْرُهُ رَسُولُهُ هُوَ الْعَلِيَا
وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَإِذْ يَبْكُوكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَتَشَتَّوْكَ أَوْ يَفْتَشَّوْكَ أَوْ يَجْرُجُوكَ الْآيَةَ وَقَوْلُهُ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وَحُجَّتِهِ قَوْلُهُ كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيْنَهُمُ الَّذِي
يَدْبِرُونَ بِهِ وَمَذْهَبُهُمُ الَّذِي يَنْفَعِلُونَهُ السَّفْلَى أَيْ جَعَلَ ذَلِكَ السَّفْلَى بِالْحَجِّ وَجَعَلَ

دين محمدي هو العليا بالبحر والسيراهين على ما كان ومحتل قولكم كلمة الذين كفروا
السفلى اي جعل اهل الكلمة الذين كفروا هم الاسفلين واهل دين الله
هم الاعلىين وهو قوله وانتم الاعلىون قوله تعالى والله عزير حكيم عزيز
لا يغيره شيء حكيم في امير قوله تعالى انتم واعفوا واخفوا وقلالا اختلف في تأويله
قيل شبانا وشيوخا وقيل مرضا واصحنا وقيل مساعيل وغير مساعيل
وقيل فقرا واغنيا وقيل نشاطا وعيبرا نشاطا واصلة انتم وامسحقين
وامسحقين اي انتم واخف عليكم الخروج او ثقل او خفت على الطبع او ثقل وما
ذكر اهل التأويل من الشيخوخة والشغل والفقر والمرض يرجع الى هذا
لان ذلك مما يثقل به الخروج والتفرق كان التأويل في الحاصل انتم واخف
عليكم او ثقل والله اعلم قوله تعالى ذلك خير لكم اي ذلك النفر والجهاد
خير لكم من المقام في الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون قوله تعالى لو كان عرضا
قديرا وسفرا قاصدا لا يتعوك قال بعض اهل التأويل لو كان عرضا قريبا
اي غنمة قريبة وسفرا قاصدا اي هنيئا سهلا لا يتعوك في ذلك وقيل العرض
الدنيا وسفرا قاصدا اي ليس فيه مشقة واصلة لو كان عرضا هنيئا اي منافع
حاضرة وسفرا قاصدا اي منافع غائبة منتظنة والعرض هو المنافع بقول
لو كانت لهم منافع حاضرة اي غير حاضرة لا يتعوك فيما استتبعهم لان عادتهم
اتباع المنافع يقع عادة المنافع ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله
على حرف فانما المؤمنون هم يعبدون الله تعالى في كل حال في حال السعة وفي
حال الضيق وسبقون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع اولئك قوله
تعالى ولكن بعدت عليهم الشقة يعني المسير قوله تعالى وسيجلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم كتمان قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا ظهور
وسلاح لخرجنا معكم او لو كان لنا اذنا لما استترك ما نجا رب به لخرجنا معكم
قوله تعالى يهلكون انفسهم فيكونوا يهلكون انفسهم بتركهم الله عزير حكيم
وقيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يفتلون اذا تركوا الخروج لظهور نفاقهم
بذلك كفولهم ملقونين ايما تقفوا اخذوا وقتلوا قتيلا ويحتدل يهلكون انفسهم في الآخرة
بنفاقهم في الدنيا والله اعلم قوله تعالى والله يعلم انهم كاذبون اخبر انهم استطاعة

على ذكرك وانهم كاذبون انه لا استطاعة لهم حيث قال في آية اخري ولو
ارادوا الخروج لا عتدوا له عتدة ثم ان المعتزلة تعلقت بهذه الآية على ان
الاستطاعة متقدمة الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معناه
ما تنصون وما استترك السراح ولكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة
الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال فاستطاعة الاسباب والاحوال
بحوزان تقدم وهذه الاستطاعة هي استطاعة الاسباب الاتري انه قال
ولو ارادوا الخروج لا عتدوا له عتدة ومن قولهم ان استطاعة الافعال لا تبقى اوقانا
ثم اخبر ان استطاعتهم كانت باقية اوقانا فاذلت ان المراد بها استطاعة الاسباب
والاحوال دون استطاعة الافعال والله اعلم قوله تعالى عني الله عنك
لم اذنت لهم حتى يتيقن لك الدين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لما اذا ذنت
لهم بالتخلف حتى يطلعك الله على نفاقهم فيما ترك بالاذن بالتخلف في حق المؤمنين
دون المنافقين من المخلص فيكون ذلك لك آية من آيات النبوة لما فيه من
علم الغيب ولا يعلم الغيب الا من يطلع الله عليه ويحتدل ان تاذن لهم يتيقن لك
نفاقهم لانهم يخلفون ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوك لا يفارقونك
مالم تاذن لهم فتيقن لك هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء ومدق المؤمنين
وفي قوله عني الله عنك لم اذنت لهم دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما اذن لهم بالتخلف بلا امر من الله ولا اطلاق تنصيصا حيث عاتبه على ذلك واحتج
هو الى العفو عن ذلك فيكون فيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد اذ لو كان اذن
لهم بالتخلف بامر الله تعالى بذلك لكان نصام يكن ليعاتبه الله على الاذن بقوله لم اذنت
لهم فدل انهم انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما كان في غالب ظنه واكبر رايه
عليهم انما يستأذونه بالقعود عن الجهاد ليعذر لهم فان قيل كيف عاتب
رسول الله ما اذن لهم بالقعود عن اجتهاد واجتهاده حق فانه اخبر انه كان انما
يحكم بما اراه الله بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل لاحتل انه انما عاتبه
على تركه الا فضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن بذلك لما ذكرنا
انه يتيقن به الصادق من الكاذب ويكون فيه آية من آيات التوسلة وبحوزان
يقاوت على ترك الافضل ويحتدل ان يكون قوله عني الله عنك لم اذنت لهم ان يكون
على طريق المعايينة معه ولكن على طريق التعليم ان الله اياه ان كيف يقابل الناس كيف

يُعامل الناس بعضهم بعضاً وهو ان يبدأ بالكلام بما هو بتر وثناء ودعاء فيقول عافاك الله
وابقاك الله وايتك الله ويخود لك ثم يشرع في الكلام ليكون الخج في القلب كما
ذكر الله تعالى عني الله عنك علي سبيل المنج واللفظ مع النجوة انه يراد به الاحبار
عن العفو والله اعلم ومن الناس من استندك بهذه الآية علي تفصيل رسول الله
علي غيره من الانبياء لانه جل وعز قد نداء بذكر العفو عما استوجب العفو عنه وكذا لك
في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زكته وذكر في سائر الانبياء الذلات وسماتهم
بجاء ونه والله اعلم قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله بالخلق
عن الجهاد غير عذر انما يستأذنوك بعد قوله تعالى انما يستأذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر بالفقود والتخلف عن الجهاد بغير عذر وارباب
قلوبهم هم في ربهم يترددون اي في شكهم يترددون فان قيل ان الله تعالى
عاتب رسوله بالاذن بالفقود والتخلف عن الجهاد لمن استأذنه بذلك وذم الاستئذان
بالفقود عن الجهاد في هذه الآية وذكر في سورة النور وقال ايما المؤمنين الذين
آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا امة علي امير جاع لم يذهبوا حتي يستأذنا
اي ان قال فاذن لمن شئت منهم لم يجعل الاستئذان مذهباً بل جعله
علامة الايمان واثبت له اختيار في الاذن والاباح له الاذن لمن ساء فكيف
التوفيق بين الاثنين فيقول ذكر عن الحسن انه قال ان هذه الآية ليست
بالآية اليه ذكرت في سورة النور فلم يكن الاذن بالفقود مباحاً في الابتداء ثم صار
رخصة تخفيفاً علي الناس وكذلك روي عن ابن عباس لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان
سورة النور لم يكن من آخر ما نزلت ولما ذكرنا ان النبي كان ياذن للبعض في الفقود
ويأمر البعض بالخروج في سائر الفروقات وانما التشديد في غزوة تبوك بقوله
الفروقات اخفا فاقبالا الآية ولكن انما عوتب النبي بالاذن في التخلف في حق اولئك
لانهم كانوا من المنافقين واستأذنوا من غير عذر والنبي لا يعلم بذلك وبني
الامر علي ظاهره الجاهل ولم ينظر بلوغ الوحي فثبت لهذا قوله تعالى واذا
كانوا امة علي امير جاع لم يذهبوا حتي يستأذنوا في المؤمنين فلا يستأذن المؤمن
الا بعد ذلك روي عن ابن عباس ويحتمل ان الاستئذان في هذه الآية
من قوم طاعتهم ثمة التفريق ولو لم ياذن لهم النبي في الامتناع والتخلف لختلفوا بغير

اذن فكان يظهر تفاقم به ويعرف كذبهم فيما اظهروا من الايمان فغوتب بالاذن
في التخلف لهذا فاما قوله واذا كانوا امة علي امير جاع لم يذهبوا حتي
ليستأذنوا هم في المؤمنين الذين لا يقاتلهم ولم يكونوا امة من يذهبون لو لم
ياذن لهم فقال فاذ استأذنوك لبعض شأنهم يعني هؤلاء الذين قد
صح عندك ايمانهم ولا يحتاج الي امتحانهم لمغير فتك بهم فاذن لمن شئت منهم
فان التوفيق بين الاثنين علي هذا الوجه فلا تحتمل ان علي التنازع والله اعلم
قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لا عهد والله عذرة يحتمل ان يكون هذا
في غزوة تبوك علي ما قاله اهل التاويل انهم امروا بالخروج والتأهب للعدو
فعمروا ان لا يخرجوا فغوتبوا علي ذلك ويحتمل ان يكون هذا في جميع الغزوات
عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يقاتلوا قط وقالوا واستطعنا الحرجنا
معكم فاكذبهم الله تعالى واخبرهم كذبه وانهم اغنيا لكنهم عزموا ان لا يخرجوا
ولا يعذروا له هذه والله اعلم قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم لحمل
يرض الله حرجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذي لم يرض لاجله ما ذكر في قوله
لو خرجوا فيكم ما زادهم الا حزناً اي فساداً الي آخر الآية ويحتمل كره الله
انبعاثهم اي لم يريد الله حرجهم لما علم منهم انهم لا يخرجون وانما لم يريد لما بين
من الخيال والفتن ويخود لك والانبعاث الخروج وقالت ابو عبيدة الانبعاث
القيام وفي حرج ابن مسعود رضي الله عنه ولكن كره الله حرجهم قوله تعالى
فتبهم قيل حرجهم واصل التقيط التثقيب ومعناه انه علم الله تعالى منهم
ان حرجهم وانبعاثهم لم يرد المسلمين الاخيلاً فنعهم عن الخروج الي الجهاد من حيث
الحذلان والحريمان حيث لم يوفتهم علي ذلك ولم يعصمهم عن التخلف ويحتمل ان
خلق منهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتشاغل الذي هو ضد الانبعاث
ولم يخلق منهم الانبعاث وبني دلالة خلق الله تعالى فعل الشئ ويكون في ذلك
حين لعنه وان كان هو سراً لهم فعلي ذلك خلق فعل المعصية من العاصي وهو
سراً له وقد يكون ذلك خيراً لعنه والله اعلم قوله تعالى وقيل انعدوا
مع القاعد ينحتمل قوله انعدوا والمما استأذنوا رسول الله بالفقود اذن لهم
في ذلك علي ما وقع عنده ان لهم عذراً في ذلك ويحتمل ان يكون ذلك من الله تعالى
فان كان منه فهو علي التقدير والتعذر لا علي الامر بالفعل ويحتمل ان يكون ذلك

مِنَ الشَّيْطَانِ وَاسْمُوسِ إِلَهُمُ أَنْ أَقْعُدُوا تَرْغِيْبًا سِيَهُ إِيَّاهُمْ بِالْعُقُودِ وَالتَّخْلُفِ وَاللَّهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى لَوْ حَزَبُوا فِيمَ مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا لَا يُفِيدُكُمْ لَوْ كَانُوا خَرَجُوا فِيمَ
مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا لَا يُفِيدُكُمْ لَوْ كَانُوا خَرَجُوا لَمْ يَكُنْ لِيَقْتَبِهِمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا خَرَجُوا وَالْخَبَالُ الْفَسَادُ وَالشَّرُّ وَقِيلَ الْقِي
فِيهَا وَاجْتَدَتْ كَحْتَمُ زِيَادَةِ الْخَبَالِ وَجُوهًا حَتَمُ أَنْ يَكُونُوا عِبُورًا لِلْعَدُوِّ وَخَبَرَهُمْ
عَنْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَحَتَمُ أَنْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ كَقَوْلِهِ خَبَرَهُمْ
الَّذِينَ قَالَتْ لَهُمُ النَّاسُ أَنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا كُمْ فَاحْشَوْهُمْ وَحَتَمُ مَا ذَكَرْتُمْ
لَا يَصْنَعُ بَعْدَ هَذَا بِقَوْلِهِ وَلَا وَصَعُوا خِلَافَكُمْ فَتَمْلِكُ هُمُ مِنَ الْإِصْنَاعِ الْأَمَلِ خِلَافًا
إِيَّائِهِمْ خِلَافُونَ الْأَمَلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَقِيلَ وَلَا وَصَعُوا خِلَافَكُمْ إِيَّائِهِمْ أَوْصَعُوا رَوَا جَلَمَ حَتَّى
يَدْخُلُوا بَيْنَكُمْ حَتَّى لَا يَصِيبَهُمُ الْإِذْيُ كَانُوا يَتَسَطَّرُونَ بِالْمُسْلِمِينَ لِيَلَا يَصِيبَهُمْ شَيْءٌ مِنَ
الْبَلَاءِ وَالشَّدَةِ وَقَالَتْ الْقِتْنَى وَلَا وَصَعُوا مِنَ الْوَضْعِ وَهُوَ سِدَةُ السَّيْرِ وَقِيلَ
هُوَ مِنْ عَدُوِّ الْأَمَلِ يَقَالُ أَوْصَعْتُ الْأَمَلِ وَرَكِبْتُ الْعُرْسَ وَاجْرَيْتُ الْحِمَارَ
قَوْلُهُ تَعَالَى خَلَا لَكُمْ إِيَّائِهِمْ وَقِيلَ اخْلَالَ الْقِتَالِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُبَايِعُونَ
أَسْبَابًا يَدْخُلُ فِيهِمُ الْقِتَالُ وَالْفِتْنَةُ وَتَقْضِيهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْفِتْنَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى
يَبْغُوا نَكْمَ الْفِتْنَةِ قِيلَ يَبْغُونَ نَكْمَ الْفِتْنَةِ وَهِيَ الشَّرْكَ الَّذِي كَانُوا هُمُ عَلَيْهِمْ وَحَتَمُ
مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْقِتْلِ وَادْخَالَ الْفِتْنَةِ وَالْجَنِّ فِيهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَحَتَمُ إِيَّائِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَعَدُوا وَلَمْ يَخْرُجُوا
يَسْمَعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا أَيْضًا بِمَا يَكْرَهُونَ يَقُولُونَ الرِّبَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَحَقُّ ذَلِكَ وَحَتَمُ أَنْ يَكُونَ صَوْلًا الْمُنَافِقُونَ سَمَاعِينَ لِلْكُفْرَةِ وَخَبَرًا أَوْ عِيُونًا
يَخْبِرُونَ عَنْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَصَغْفَهُمْ وَحَتَمُ وَفِيكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَمَاعُونَ
لَهُمْ لِأَنَّهُ قِيلَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ أَهْلَ حُبِّهِ لَهُمْ وَطَاعَةِ لَشَرَفِهِمْ فِيهِمْ
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ يَبْغُوا نَكْمَ الْفِتْنَةِ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ
لَهُمْ كَانَ الرَّجُلُ يَرِي الْجَمَاعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَضْرِبُ دَابَّتَهُ حَتَّى يَدْخُلَ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ
لَهُمْ أَلْفَ كُمْ مَا بَلَغَنِي أَنَّ الْعَدُوَّ أَمَامَكُمْ يَرِيدُونَ الْبَيَاتَ وَفَعَلُوا كَذَا وَهَيُّوا
لِلَّذِي قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ إِيَّائِهِمْ جَهْلُ أَمَلِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ
وَلَكِنْ أَحَدُهُمْ لِيَوْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ حَتَمِ الْفِتْنَةِ
الْوَحْشِينَ الَّذِينَ ذَكَرْتُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقُلُوبُ الْكَافِرِينَ قِيلَ إِيَّائِهِمْ تَكَلَّفُوا

وَاجْتَهَدُوا لِيُطْفِئُوا هَذَا النُّورَ وَحَتَمُ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ قِيلَ إِيَّائِهِمْ تَكَلَّفُوا
وَقِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَى حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَطَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ فَيَكُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ
وَقِيلَ حَجَّ اللَّهُ وَادْلَتَهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَارَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ كَارِهِونَ إِيَّائِهِمْ كَارِهِونَ لظُهُورِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ
كَقَوْلِهِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمِنْهُمْ مَنْ
يَقُولُ إِنِّي دَنْ لِي وَلَا تَقْتِنِي فِيمَ دَلَالَةٍ أَنْ لَا كُلَّ مَنْ تَقْتِنُ قَالُوا ذَكَرْتُ أَنَّكَ
بَعْضُهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَالُوا غَيْرُ هَذَا ثُمَّ قَوْلُهُ وَلَا تَقْتِنِي قِيلَ لَا تَقْتِنِي بِالْحَسَنَةِ
الَّتِي فِيهَا الْهَلَاكُ وَالْمُسْقَاةُ إِيَّائِهِمْ لَا تَأْمُرِي بِأَمْرٍ فِيهِ الْهَلَاكُ فَقَالَتْ تَعَالَى الْآيَةُ
الْفِتْنَةُ سَقَطُوا إِيَّائِي الْآيَةُ الْمُسْقَاةُ وَالْبَلَاءُ وَالْهَلَاكُ يَقَعُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنْ
جَهَنَّمَ الْحَيَاطَةُ بِالْكَافِرِينَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْفِتْنَةِ كَفَرُوا لِأَنَّهُ ذَكَرْتُ أَوَّلَ
الْآيَةِ وَصَفَ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ سَمَّاهُمْ كُفْرًا بِقَوْلِهِ الْحَيَاطَةُ بِالْكَافِرِينَ وَقِيلَ
وَلَا تَقْتِنِي إِيَّائِي وَلَا تَوْثِقْنِي وَقِيلَ وَلَا تَخْرُجْنِي وَقِيلَ وَلَا تَكْفُرْنِي وَقِيلَ
وَلَا تَقْتِنِي إِيَّائِي لَا تَكُنْ سَبَبَ فِتْنَتِي وَمَعْصِيَتِي إِيَّائِي لَا تَأْمُرِي بِالْخُرُوجِ وَلَكِنْ ابْزُون
لِي بِالْخُرُوجِ لَا تَكُنْ أَنْ أَمَدَّتْنِي بِالْخُرُوجِ وَلَمْ تَأْذَنْ لِي بِالْعُقُودِ وَالتَّخْلُفِ فَقَعَدَتْ
وَتَخْلَفَتْ كُنْتَ غَاصِيًا تَارِكًا لِأَمْرِكَ فَكُنْتَ أَنْتَ سَبَبَ غَاصِيَتِي فَتَكُونُ أَنْتَ
سَبَبَ فِتْنَتِي وَقِيلَ وَلَا تَقْتِنِي إِيَّائِي تَأْمُرِي بِالْمُسْقَاةِ وَالسُّدَةِ وَلَكِنْ بِالْأَمْرِ
وَالسُّدَةِ وَهُوَ كَارِهِونَ إِيَّائِهِمْ كَارِهِونَ لظُهُورِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ
النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ الْآيَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ الْحَدُّ
ابْنُ قَيْسٍ قَالَ إِيَّائِي إِذَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَفْتَنَنَّ وَلَكِنْ أَعْيُنُكَ بَالِي
فَعِيهِ تَذَكَّرْ قَوْلُهُ قُلْ أَنْفَعُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ بَيْنَكُمْ وَهُوَ قَوْلُ بَنِي عَبَّاسٍ
يَقُولُ لَا تَأْمُرُونِي بِالْخُرُوجِ فَإِنِّي مَوْلَعٌ بِالنِّسَاءِ لَا أَصْبِرُ إِذَا رَأَيْتُهُنَّ فَلَا تَذَرُونِي
كَيْفَ كَانَتْ الْقِصَّةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى الْآيَةُ الْفِتْنَةُ سَقَطُوا إِيَّائِي لَا
فِي الشَّرِّ وَالْآيَةُ سَقَطُوا عَلَى تَأْوِيلٍ مِنْ يُولِ قَوْلَهُ وَلَا تَقْتِنِي لَا تَوْثِقْنِي وَلَا
تَخْرُجْنِي وَعَلَى تَأْوِيلٍ مِنْ قَالَتْ وَلَا تَقْتِنِي وَلَا تَشُقُّ عَلَيَّ وَلَا تَأْمُرُونِي بِالْمُسْقَاةِ
وَالشَّدَةِ وَالصَّنِيقِ يَقُولُ الْآيَةُ السُّدَةُ وَالصَّنِيقُ سَقَطُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَإِنْ جَهَنَّمَ الْحَيَاطَةُ بِالْكَافِرِينَ إِيَّائِهِمْ تَحِيْطُ بِهِمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَقْفَذًا وَلَا مَخْلَصًا
لِمَا تَحِيْطُ بِهِمْ مِنْ قُوَّةٍ وَتَحْتِ وَامَامٍ وَخَلْفٍ وَمِنْ وَشَمَالٍ تَحِيْطُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ

منهم وهو كقولهم لهم من فوقهم ظلال من النار الآية قوله تعالى ان تصيبك
حسنه نسوهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل فبئس
تصيبك حسنه من الغيبة والنصر والظفر على الاعداء ليسوهم ذلك وان
تصيبك مصيبة اي النكبة والمهزيمة يفرحوا بها ويقولوا قد اخذنا امرنا من
قبل ثم قوله قد اخذنا امرنا من قبل لمحمد اي اخذنا امرنا من قبل اي قد
اظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر وكما مع الكافرين في السر والناظر
في الحقيقة وهو ما ذكرنا من انتظارهم احد الامرين في قوله الذين يترقبون
بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم يكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نسبحوه عليكم ومنعكم من المؤمنين قوله تعالى ويولوا
وهو فرجوا وحتموا اولئك الكفرة وهم فرحون وفي الآية دلالة
اثبات الرسالة لانه معلوم ان ما يسوهم كانوا يضربون ويسبون عنه ثم
اخذوا اسرا واستروا واصمروا ذلك انما علم ذلك يا الله تعالى قوله
تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله ما جاء به
القرآن وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعندهم جنة
الآية وحتم قوله لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي ما رزقنا الله تعالى
من الكرامة والمنزلة والنعيم والآية في الآخرة وحتم الا ما احل الله لنا
واباح وقيل الا ما قضى الله لنا ولكن لا يقال فقي فيما يكون لهم وانما يقال
فيما عليهم فانما يقال كتب له وكتب عليه نصا ومعني الآية وتناولها
لن يصيبنا الا ما كتب الله وان كنتم انتم تفرحون بذلك فيما يصيبنا من الشر
قوله تعالى هو مولينا اي فالذي كتب هو مولانا اي هو ربنا ونحن
عبيده فله ان يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر قوله تعالى وعلى الله
فليتوكل المؤمنون وحتم وجهين حتم على الاخبار اي على الله يتوكل المؤمنون
لا يتوكلون على غير وحتم ان يكون على الامر اي على الله توكلوا اي المؤمنون
قوله تعالى قل هل تترقبون بنا الا احد الحسنيين عن ابن عباس رضي الله
عنه اي هل تترقبون بنا الا الشهادة وهي الحياة والرزق الدائم والكرامة
كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون

فرحين بما آتاهم الله من فضله وحتم الا احد الحسنيين في الدنيا الغيبة والظفر
وقيل هل تترقبون بنا الا احدي الحسنيين اما الحياة والآية في الآخرة
والرزق الحسن والكرامة واما الغيبة والظفر والنصر في الدنيا هذا تترقبون
بنا وقوله ونحن نترقب بكم اي يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايد بنا اي من
عنده الله وهو العذاب في الآخرة ان قتلتم او بايد بنا اي القتل بايد بنا وقوله
تترقبون انما معكم تترقبون اي تترقبوا بنا ما تترقبون انما معكم تترقبون العذاب
بكم ثم قوله هل تترقبون بنا الا احدي الحسنيين انما سمي ذلك احدي
الحسنيين وهم كانوا الا تترقبون بنا الا الشر والهلاك كما اخبرهم بقوله ويترقبون
بكم الدوايد ولا تترقبون بنا الحسني ولكن الذي تترقبون بنا وان كان عندهم
هلاك ودأية فهو للمؤمنين الحسني في الآخرة لذلك سمي احدي الحسنيين
والله اعلم قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لا يتقبل منكم قال بعضهم الآية
في الجهاد ان المنافقين كانوا يؤمرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما امر
اهل الايمان به ثم منهم من كان يخرج للجهاد ومنهم من كان تجهز غيره ويقعد منهم
من كان يخرج كارهًا ونحوه فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اي خولان يتقبل
منكم ومنهم من قال الآية في الزكاة ولا ان الله تعالى فرض الزكاة في اموال
المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا ينفقون ويؤدون الزكاة
لكن من كان منهم يودي طوعا ومنهم من يودي كرها فقال قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم ثم بين ما به لا يتقبل نفقاتهم ما ذكر انكم كنتم تؤثما فاسقين وقال
وما منعهم ان يتقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ولا ياتون بالصلاة الا
وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون بين انهم كانوا لا يرون ذلك قربة لكفرهم
وكأنوا ينفقون وهم كارهون في الباطن والتقرب الي الله تعالى لا يكون الا عن
طوع واختيار ثم هذه الآية وجهان من الدلالة لاجد هما اثبات رسالة محمد
اختبارهم لا ياتون الصلاة الا وهم كسالى وهم في الظاهر كانوا ياتونها على ما كان
ياي المؤمنين وكذلك اخبرهم كانوا ينفقون وهم كارهون لذلك وكانوا ينفقون
في الظاهر مثل افناء المسلمين وقد اخبرهم ينفقون مشوا مع كونهم كارهين
في السر ذلك انهم عرفوا ذلك بالله تعالى والثاني فيه دلالة ان لا تقوم قربة ولا تقبل
الا على حقيقة الايمان والايمان هو شرط اقامة هذه العبادات وقبول القرب لا ان

انفسها ايمان حيث انطلق طاعتهم لانهم كانوا يظهرون الايمان وليسرون الكفر
والله اعلم ثم قال انكم كنتم قوما فاسقين كتم انكم كنتم فاسقين وكتم كنتم
اي صيرتم قاسقين بما افقتم وانتم كانوا اظهروا الايمان بتركوا
كقولهم ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا واخبرناهم كانوا آمنوا ثم كفروا فعلي ذلك الاول
قوله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالي اي انهم لا ياتون الصلاة الا
مستقلين لانهم كانوا لا يرونها قربة وفي كسالي ثلاث لغات كسالي وكسالي وكسلي
قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ايا يريد الله ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا قال بعضهم هو علي التقديم والتأخير كانه قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
في الحياة الدنيا ايا يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وبعضهم اخذوا الآية على ظاهرها
اي ايا يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بعضهم هو علي التقديم والتأخير كانه
قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا ايا يريد الله ليعذبهم بها في
الآخرة ثم التقدير في الدنيا كانه ما فرض عليهم من الجهاد وامروا بالخرج
للقتال وكان ذلك يشق عليهم وليست فذلك هو التقدير لهم في الدنيا وهو كونه انجته
عليكم فاذا اجار الخوف رايتهم ينظرون اليك الآية وكتم القتل في الدنيا ان لم
يخرجوا يقتلوا ثم في الآية دلالة الرد على المعترلة لانهم يقولون انه لا يعطي احدا شيئا
الا ما هو اصل له في الدين والله تعالى قال يرسلهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
ولو كان يعطهم الاموال والاولاد الى الخيرات والصلح كانه قال لا تعجبك
ما اعطيتهم من الخيرات والصلح وذلك بعيد وهو كونه احتسبون ان ما مدهم
يوم من مال وبنين سارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اخبرنا الكفار بحسبون
ان ما مدهم يوم من مال وبنين ليسوا وعوا الى الخيرات ثم قال بل لا يشعرون انما مدهم
به لا الخيرات فذلك انه قد يعطي خلقه ما ليس هو باصل لهم في الدين والله الموفق
وفي قوله ان ما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا دلالة على الحقيقة في نقص قولهم
ان لا فعل الخلق لانه اخبرنا به بعدهم بالما استعملوها في غير مواضعها ولا يعذبهم بها
فيما لا يفعل لهم فيه ذلك ان لهم صنفا في ذلك وانه ان ما بعدهم بفعل التسبيح وفي
قوله ان ما يريد الله ليعذبهم بها دلالة على ان ليس كل ما يعطهم ليعذبهم به ولكن
يعطهم لما علم منهم فان كان علم منهم انهم يستعملون ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما بينهم
هلاكم اعطاهم من الاموال لذلك ومن علم منهم انه يستعمله لنجاتهم اعطاهم لنجاتهم

وليس حبيبهم به فانما اعطى كل ما علم انه يكون منهم لانه لو اعطاهم على عين ما علم منهم يكون
في اعطاهم محيضا وهذا بعيد والله الموفق قوله تعالى وتزهدوا في انفسهم كقولهم
وتزهدوا في الباطل اي ذهب وكذلك ابو عبيد اخبر وتزهدوا في انفسهم وهم
كافرون اخبر عن الغيب وكان كما اخبر ذلك انه علم بالله تعالى قوله تعالى ٢٩
ويحلفون بالله انهم لمنكم اي يحلفون انهم لمنكم في الدين والباطل والحقيقة لانهم كانوا
يظهرون الايمان فاحسب وقال وما هم منكم اي وما هم منكم في الدين في الباطل
وان ادعوا انهم منكم قوله تعالى وليكنتم قوما يعرفون اي يخافون القتل
فيظهرون الموافقة قوله تعالى لو يجدون من الجهاد او معاراة اي مدخلا
لو لوالد اليه فيل لو وجدوا حثرتا او معاراة يعني العيان في الجبال او مفضلا
اي سترتا في الارض لو لوالد اليه اي لرجعوا اليه وكذا روي عن ابن عباس
قال المجاز الجهد والمعاراة الغيران والمدخل الشرب وقال ابو عبيد
المعاراة مثل المجاز وهو مكان يختصون فيه ومدخلا هو موضع يدخلون
ايضا قوله تعالى وهم يحسبون فيل يشعرون وقال ابو عبيد بن جراح
يقال سمحت الذابة تجحجح جاحجا في جاحجة وهو من الاستراع وكذلك قال الشعبي
وقال ابو عبيد الجحجج هو الواكب راسه وهو اه وقال بعضهم قوله ام يدخل
اي لو يجدون ناسا يدخلون ما مشا يمشون به لو لوالد اليه وهم يحسبون انهم يمشون
اليه مشرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس لهم ذلك قوله تعالى ومنهم
من يترك في الصدقات اي من المنافقين ثم اختلف اهل التاويل في قوله يترك
في الصدقات قال بعضهم اي يزورونك لكان الصدقات طمعا فيها لتعطيتهم
الصدقات وقيل اي يزورونك لبيتا لو كان الصدقات اي انما يزورونك لكان
الصدقات لتعطيتهم لا يزورونك ولا ياتونك لكان الصدقات اي انما يزورونك لكان
في الدين ولكن لكان الصدقات فان اعطوا منها رصوا عنك ويعطونك وان لم
تعطوا اذا هم لسيخطون ومنهم من قال ومنهم من يترك في الصدقات اي يطعن
عليك في الصدقات اي في قسمة الصدقات وروي عن ابي سعيد اخذ روي الله
عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما له فجاءه رجل فقال له ابو
الحواظ فقال اعدك يا رسول الله فقال له لا تقسمي ذلك ومن يعذر اذا لم اعذر انما
فقال عمر ابن الخطاب يا رسول الله اضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه

فَإِنْ لَمْ يَجِبَ بِالْحَقِّ أَحَدُهُمْ صَلَوَتُهُ إِلَى صَلَوَتِهِمْ وَصِيَّاهُ إِلَى صِيَّاهُمْ تَمُوتُ
مِنْ الدِّينِ كَمَا مَوْتُ السَّمِ مِنَ الدَّمِ ذَكَرَ جَدُّ بَنِي طَوِيلًا فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ جَزَجَ
مِنْ الْخَوَارِجِ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قَوْلُ
يَلْمُزُكَ بَقْدَارٍ بَرَفِجِ الْمَيْمِ وَيَكْسِرُهُ وَقَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ الْمَذَلِيبُ بَيْتًا لَمَّا
وَلَّامُزَ وَهَمَّانُ وَهَامُزٌ مَجِيَّةٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ وَبَلِّ لِكُلِّ هَمٍّ لَمُزَةً وَقَالَ الْقَتَنِيُّ يَلْمُزُكَ
أَيُّ يَطْعَنُ عَلَيْكَ وَبِعَسْكَ فَقَالَ هَمَزَتْ فَلَنَا وَلَمَزَتْ إِذَا عَيْبَتْهُ وَطَعْنَتْ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَيُّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ
وَرَسُولُهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَقَالَ لَوْ أَحْسَبْنَا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ تَمَا طَمَعُوا فِي هَذِهِ
الصَّدَقَاتِ وَطَعَنُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
قُضِيلِهِ أَيُّ رَضُوا مَا رَزَقَتْ لَهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ تَمَا طَمَعُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ قُضِيلِهِ أَيُّ مِنْ الصَّدَقَاتِ الَّتِي كَانَ اعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَرَغِبُوا
إِلَى اللَّهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ تَمَا طَمَعُوا فِي تِلْكَ الصَّدَقَاتِ وَطَعَنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَتَخَطَّوْا
عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّا الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ الْآيَةُ
يُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ الْآيَةُ فِي بَيَانِ مَوْضِعِ الصَّدَقَةِ لَا لِثَبَاتِ الشَّرَكَةِ بَيْنِ الْأَصْنَافِ
الثَّانِيَةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا لِيُبَيِّنَ اسْتِبَابَ الْأَسْتَحْقَاقِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ
وَهُوَ الْحَاجَةُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ سَبَبِ تَذْوِيلِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ
كَلَامُهُ تَوَاتُرُ رُسُوكَ اللَّهُ وَيُثَبِّتُونَ مِنَ الصَّدَقَاتِ فَإِنَّ اعْطَاهُمْ رَضُوا أَمِنَهُ
وَأَنْ لَمْ يَعْطَهُمْ مِنْهُ طَعَنُوا وَقَابُوا عَلَيْهِ كَذَا كَرَبَقُولِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَإِنْ اعْطَوْا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يَعْطَوْا مِنْهَا ذَاهِمٌ يَتَخَطَّوْنَ فَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى
هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّمَا الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ أَنَّ الصَّدَقَاتِ لَيْسَتْ لَهُوَلًا وَلَكِنْ لِفُقَرَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسْكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا ذَكَرْنَا مِنَ هَوَلًا الْأَصْنَافِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
لَا لَهْمُ وَعَلَى ذَلِكَ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ وَالْأَثَرُ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ وَضَعَ صَدَقَاتٍ بِأَعْيَانِهَا حُلَّتْ إِلَيْهِ فِي صَنْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَرَوَى عَنْ حُذَيْفَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هُوَلًا أَهْلُهَا فِي أَيِّ صَنْعَةٍ وَصَنَعَتِهَا أَجْزَاكَ وَعَنِ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ كَذَلِكَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
جَمَعَ صَدَقَاتِ الْمَوَاتِي بِالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ نَظَرُ مِنْهَا مَا كَانَ مِنْتَجِ اللَّبَنِ فَيُعْطِيهَا لِأَهْلِ
بَيْتِهِ وَاحِدًا عَلَى قَدَرِ مَا يَكْفِيهِمْ فَكَانَ يُعْطِي الْعَشْرَةَ لِلْبَيْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يَقُولُ

عُطِيَتْهُ تَكْفِي حَيْثُ مِنْ عَطِيَّةٍ لَا تَكْفِي أَوْ كَلَامٌ كَوْنُهُ هَذَا أَوْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ سَبَّلَ عَمَّا
يُؤْخَذُ مِنْ صَدَقَاتِ الْأَعْرَابِ كَيْفَ يَضَعُ بِهَا فَقَالَ وَاللَّهِ لَا رَدَّ عَنْهُمْ
الْصَّدَقَةُ حَيْثُ يَرُوحُ عَلَى أَحَدِهِمْ مِائَةَ نَاقَةٍ أَوْ مِائَةَ بَعِيرٍ وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ إِذَا لِي صَدَقَةٌ وَاحِدَةٌ فَبَعَثْتُهَا إِلَى أَهْلِ بَيْتِي وَاحِدًا
فَهُوَ لَا يَخْشَى الصَّحَابَةَ اسْتَحْجَازًا وَأَوْضَعَ الصَّدَقَةَ فِي صَنْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَوْ كَانَ
ذَكَرَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لِلْأَسْتَحْقَاقِ لَكَانَ هَوَلًا الصَّحَابَةَ فَعَمُوا ذَلِكَ وَلَا
يُطْعَمُ بِهِ إِلَّا طَالَ حَقُّهُمْ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا رِيٌّ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَهُوَ بِالْبَيْتِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَةً فِي تَرَاهَا فَقَسَمَهَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْأَنْزَارِ بْنِ خَالِيسٍ وَبَيْنَ يَدِ الْحَيْلِ وَبَيْنَ عَيْنِيهِ
ابْنِ حَصِينٍ وَعَلَّقَهُمُ بْنُ عَلَاءَةَ فَقَضَيْتُ قَوْلِي وَأَلَا نَصَارًا وَقَالَ لَوْ أُعْطِيَ سَنَادِيدُ
أَهْلِ الْحَيْلِ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا الْقَهْمُ وَلَكَ كُلُّ صَدَقَةٍ مَقْسُومَةٍ عَلَى الثَّانِيَةِ بِطَرِيقِ
الْأَسْتَحْقَاقِ مَا دَفَعَ النَّبِيُّ الذَّهَبَةَ إِلَى الْمَوْلَةِ قُلُوبُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ وَرَوَى
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مَعَاذًا إِلَى
الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً يُؤْخَذُ
مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتَزِدُ فِي فَعْدِ آيِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَصْنَافَ الْآخِرَ وَلَئِنْ اللَّهُ تَعَالَى
ذَكَرَ بِحَرْفِ اللَّامِ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَإِنَّمَا لِلتَّوْبَةِ وَبَيَانِ الْحَقِّ
ظَهَرَ دُونَ هَيْزَمٍ لَا لِلتَّوْبَةِ لَفَةً وَإِنَّمَا حُرِفَ بَيْنَ مَوْضِعِ الشَّرَكَةِ وَالْفَتْوَى
الْآخِرَةِ أَنَّهُ يَقَالُ الْمِيرَاثُ لِقَرَابَةٍ فَلَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ الْقَرَابَةِ
لَمَّا أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ أَنَّ لِحَقَّ لِلْأَجْنَبِيِّينَ فِيهِ إِنَّمَا مَوْحَقُهُمْ وَلَوْ قِيلَ الْمِيرَاثُ
بَيْنَ قَرَابَةِ فَلَا كَانَ خَطَأً لَئِنْ بَيْنَ يَتِمُّنِي الْحَاصِلَةُ لِحَقِّهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي
الشَّرْعِ وَكَذَلِكَ يُقَالُ اخْتِلَافُ بَيْنِ الْعَبَّاسِ وَالسَّادَةِ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَالسَّيْفَانِ
لِبَنِي هَاشِمٍ يُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ لِحَقَّ فِيهَا لِعَبَّاسٍ لَا أَنَّهَا مِنْهُمْ بِأَخْصَصٍ عَلَى التَّشْوِيعِ
وَلَوْ قِيلَ اخْتِلَافُ بَيْنَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالسَّادَةِ بَيْنَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَالسَّيْفَانِ
بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ لَكَانَ خَطَأً وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَمَاءُ نَاوَحَمَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ قَالَ ثَلَاثُ
مَالِي لِفُلَانٍ وَفُلَانٍ أَنَّهُ كَلَهُ لِفُلَانٍ وَلَوْ قَالَ هُوَ بَيْنَ فَلَانٍ وَبَيْنَ الْمَوْتِ كَانَ
لِفُلَانٍ نِصْفُهُ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَ الْقَوْمُ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُقَسَّمُ بَيْنَ هَوَلًا
الْأَصْنَافِ الثَّانِيَةِ بِالسَّوِيَّةِ لَكَانَ قَالَ إِنَّمَا الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ الْآيَةُ

فإن قيل اليس إن الرجل إذا قال ثلث مالي فلان وفلان اليس أنه يُقسم
بينها بالتسوية كما إذا قال ثلث مالي بين فلان وفلان فكذا لك يجب أن يكون
الحكم في الآية كذلك قيل هذا الافتراق لم يكن من موجب الصيغة فإن
هذه الصيغة لا توجب الاشتراك والتسوية وإنما موجها ما قلنا إلا أن في
الوصية لما جعل الثلث حقاً لها دون غيرها وهو شيء معلوم لا يزيد بعد
الموت ولا ينقص له مدد وليس أحدهما بأولي من الآخر فيقسم بينهما على السواء
نظرًا لهما جميعًا فاما الصدقات فليست بأموال متعينة لا تحتل الزيادة
والمدد حتى تحرم البعض لصرفها إلى البعض بل هي يردن بعضها بعضًا
وإذا فني مالٌ بجي مالٍ آخر وإذا مضت سنة بجي سنة أخرى بالجديد
ولا انقطاع للصدقات إلى يوم القيمة فإذا صرف الأيام صدقة يأخذها
من قوم إلى صنف منهم لم يثبت التحريمان للباقيين فتحمل إليه صدقة أخرى
فيصرف إلى فريق فلا ضرورة إلى الشراكة والتسوية في كل مال يحمل إلى
الأيام من الصدقات والله أعلم وبعد فإنه لم يذكر من أحد من الأئمة
أنه تكلف طلب هؤلاء الأصناف فقسّمها بينهم وكذا لم يذكر من أحد من
أرباب الأموال أنهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء ولو كان الواجب
هو التسمية على التسوية بينهم لم يجز أن لا يقسموها كذلك وصنعون حقوق
هؤلاء وبعد فإنه لو تكلف الأيام أن يظفر هؤلاء الثانية ما قدر على ذلك
ذلك أنه لم يخرج الخطأ بما قومهم القوم ولأن الحق لو كان هو التسوية
بينهم في كل صدقة ترد لكان إذا لم يوجد في بلدة مكاتبون أو أحد من هؤلاء
الأصناف لو يجب أن يشق مقدار حصتهم عن أربابها وذلك بعيد وكيف
يكون الصدقة مقسومة على ثمانية أسهم ولا خلاف في أن يعطي العالمون
قدر أعمالهم وذلك قد يزيد على المن وقد ينقص وإذا زالت التسمية
في أحد الأصناف زالت في الجميع وأعطى كل صنف منهم بقدر حاجته
كما أعطى العمال وكيف يصنع المخالف لنا بسهم المؤلف قلوبهم وقد ارتفع ذلك
ولسح اليس يرد ذلك إلى سائر السهام فإذا جاز أن يزداد على الثمن في وقت
كان أن ينقص منه في وقت والله أعلم ثم قولنا إنما الصدقات
للفقراء والمساكين اختلف في تفسير الفقراء والمساكين قال الضحاك

الفقراء هم المهاجرون لقوله الفقراء المهاجرين والمراد من المساكين الذين
لم يهاجروا وقالت فتادة الفقير الذي به زمانه وله حاجة والمساكين المحتاج
الذي لا زمانه به وقالت الحسن الفقير الذي لا يسأل والمساكين الذي
يسأل وعن الزهري قال الفقراء هم المتفقفون في بيوتهم لا يخرجون
ولا يسألون الناس والمساكين الذين يسألون ويخرجون من قوله
حسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الفقراء فقراء المسلمين والمساكين الطوائف وعن عمر رضي الله
عنه أنه قال ليس المسكين الذي لا مال له المسكين الذي لا يصيب
المكسب ثم إن أبا هريرة روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال ليس المسكين
هذا الطوائف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان قيل فما المسكين يارسول الله قال الذي لا يجد ما يعينه
ولا يظن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس وهذا الوجه على
ظاهره لدفع قول من قال إن المسكين هو الذي يسأل الناس ولكن
يجوز أن يكون معناه والله أعلم أن الذي يسأل وإن كان عندكم مسكينًا
فإن الذي لا يسأل أشد مسكينه منه ولا يجوز أن يحمل على غير ذلك
لأن الله تعالى قد سمي الذين لا يسألون الناس إيجابًا فقرًا ولا يجعل
أحد يث مخالفًا للآية ما أمكن أن يكون موافقًا لها على أن المسكين هو الشديد
الفقر والفقير هو الذي يملك شيء ولم يبلغ في الحاجة والصنوعة حالة
المساكين قال الله تعالى يقيمها ذا مقربة أو مسكينًا ذا مقربة قيل ذا مقربة
الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره بقرته ما روي من حديث عمر
رضي الله عنه ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له
كانه يقول الذي لا مال له وله مكسب فهو فقير والمساكين الذي ليس له مال
ولا مكسب وإن حمل قول النبي ليس لمساكين الذي يسأل ولكن المسكين
الذي يظن به ولا يسأل على أن ذلك الذي لا يظن به هو أشد مسكينًا
من الآخر وإن كان الآخر أيضًا مسكينًا كان موافقًا للغة الذي ذهبنا
إليه وإن لم يبلغ به الضر مبلغ الأول وقد يخرج قول من قال إن المسكين
الذي يسأل هذا المخرج لأن من شأن المسلم الفقير أنه يتجمل بما كانت له حيلة

ويعتق ولا يخرج فيسأل وله حيلة فخر وجهه يدل على شدة ضيقه وسوء
حاله فكان القولان يرجعان إلي معني واحد وإذا كان الفقير أحسن
حالا من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز أن يدفع الصدقة إلي من له مال قليل
لأنه فقير وإن لم يكن حاله في فقره بلغت حال المسكين الذي لا يملك شيئا
وهذا يدل على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة
لذي منة سوى وقوله لا تحل الصدقة لمن له غدا أو غدا أو غدا أو غدا
أن جر عن الصدقة والبحث على الاشتغال بالكسب والله أعلم قوله
تعالى والعاملين عليها اختلف فيه قال بعضهم يعطى لهم الثمن وقال بعضهم
يعطى بقدر عما لهم وقالت بعضهم يعطى لهم الثمن لا معنى له لما يجوز أن يبلغ الثمن
الوفاء وعمله لا يبلغ عشر عشر ذلك ومن قال يعطى لهم كفايتهم وكفاية
عياهم فإنما يكون كذلك إذا كان يشتم نفسه لأمور المسلمين واستعمله لها
على جميع ذلك لأنه إذا كان مترع نفسه لأمور المسلمين كان نفقته وكفايته
عليهم وفي ما لهم فاما إذا تولى شيئا من العمل في وقت فلا يعطى له الكفاية
في عيذ ذلك الوقت والاشبه عندنا أن يعطى لهم قدر عما لهم وهذا كذا
الأيام إذا اشتغل أحد في عمل من أعمال اليتيم فإنه يعطى له قدر أجر عمله
وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سئل عن العاملين على الصدقة
قال لهم بقدر أعمالهم وعن مالك رحمه الله قال أدركت من مصني من
أهل العلم لا يجعلون للعاملين عليها فريضة مسماة والله أعلم قوله
تعالى والمؤلفة قلوبهم قيل كانوا قومًا من رؤساء قريش وصناديد
العرب مثل سفيان بن حرب وسفيان بن أمية وافتقروا ابن حارث
وعيينه بن حزن القداري وحكيم بن حزام ومالك بن عوف البصري
وعندهم ولهم شوكة وقوة واتباع كثير بعضهم أسلموا حقيقة وبعضهم ظاهرا
لا حقيقة فيكون من المنافقين وبعضهم من المشاكين فكان رسول الله
يعطيهم من الصدقات تطييبا لقلوب المسلمين منهم وبقدر الجهد على الإسلام
وحتى يرضوا لاتباعهم إلى اتباعهم وتأليفهم لم يحسن إسلامه وعلى الإسلام
وقد حسن إسلام عامتهم إلا من شاء الله لحسن معاملة النبي معهم وحصيل سيرته
والله أعلم روي عن النبي أن النبي صلى الله عليه وسلم اعطى من غنائم خيبر

الافتقار بن حابس مائة من الأبل وأعطى عيينة بن حصن مائة من الأبل
فقال قوم من الأنصار إن رسول الله يعطي غنائمنا قوماً ينظرون ماؤهم
من سيفنا فبلغ ذلك رسول الله فجمع الأنصار وقال هل فيكم عبيدكم
فقالوا لا وذكره شاطئ بلاد عن أبي سعيد الخدري قال بعث علي
رضي الله عنه وهو باليمن بذهبه في تراثها إلى النبي فقتلهم رسول الله
بين يدي الخيل والافتقار بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة
فقضيت قريش وأنصار وقالوا يعطي صناديد أهل نجد قال إنما أنا ألقم
وفي رواية عنه أنه بعث علي إلى النبي بذهبه في أديهم فقتلهم
بين يدي الخيل والافتقار بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة
أوغامر بن التقييل الحديث بطوله وعن عامر بن سعد عن أبيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا أعطي الرجل العطاء لعينه أحب إلي
منه وما أفعل ذلك إلا مخافة أن يكتب الله تعالى في نار جهنم علي وجهه
وعن صفوان بن أمية قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنه لا يعرض الناس إلي فإن الت يعطيني حتى أنه لا أحب الخلق إلي
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما أصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغنائم بخين وقسم المشاكين من قريش وفي سائر
العرب ما قسم وجد هذا الحجة من الأنصار في أنفسهم فذكر الحديث
وقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وجدتم في أنفسكم
يا معشر الأنصار في لعاعه من الدنيا فالت بها أقواما ليسلوا وكلتم إلي
ما قسم الله لكم من الإسلام ثم ذكر الحديث وفيه الإجماع كثرة وقد ثبت
جواز الصرف إليهم بنص الكتاب وهو قوله والمؤلفة قلوبهم ثم كمل أهل
العلم في ذلك بعد وفات النبي بعضهم قالوا إن جنتهم بقى وأعطوا من بقى من
أولئك الذين أخذوا في عهد عليه السلام والآن يعطى لمن حدث إسلامه
من الكفرة تطييبا لقلبه وتقدير له على الإسلام ويعطى للرسائل من أهل
الحرب إذا كان لهم غلبة تخاف على المسلمين شرهم لأن المعنى الذي له أعطى النبي
أولئك مثله موجود في هؤلاء روي عن الزهري أنه سئل عن المؤلفة قلوبهم
قال من أسلم من يهودي أو نصراني فيل وإن كان غنيا قال وإن كان

غَنَاءًا وَلَكِنْ الْأَشْيَاءُ مَذْهَبًا أَنْ سَهْمًا أَوْ لَيْكَ انْتِخَ وَذَهَبٌ وَمَا أُعْطُوا شَيْئًا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَلَا يُعْطَى إِلَّا لِمِثْلِ حَالِهِمْ وَأَصْلُ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّمَا لَمْ يُعْطِيَا شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَاتِ لِلْمَوْلَانِ قُلُوبُهُمْ وَرَوَى أَنَّ
الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعِيمِيَّةُ بْنُ حَصِينٍ جَاءَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَا يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ
إِنْ عِنْدَنَا أَرْضًا صَبْحَهُ لَيْسَ فِيهَا كَلَاءٌ وَلَا مَنُفَعَةٌ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ نَقْطَعَهَا فَأَقْطَعْهَا
أَيَّاهُمَا وَكُنْتَ لَهَا عَلَيْهَا كَمَا بَأَوَّاشُهُمْ عَمْرُو لَيْسَ فِي الْقَوْمِ فَانْطَلَقَا إِلَى عُمَرَ
لِيُشْهَدَا لَهُ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرَا فِي الْكَأَبِ تَنَادَلَا مِنْ أَيْدِيهِمَا وَلَظَمَ فِيهِ ثُمَّ لَقِيَ
فِيهِ وَمَحَا فَتَذَمَّرَا وَقَالَا لَهُ مَقَالَةٌ نَسِيَتْ فَقَالَ عُمَرَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ
يَتَالَفَهُمَا وَالْإِسْلَامُ يُؤَمِّدُ قَلِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ أَذْهَابًا فَجَهْدًا
جَهْدًا كَمَا لَا رِعَاءَ اللَّهُ لَكُمْ إِنْ رَعَيْتُمَا وَلَمْ يَنْكُرَا بَوْبُكَ قَوْلَهُ وَقَعْلُهُ وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَبَابَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَمْ يَنْكُرَا وَفِيكَونَ أَجْمَاعًا عَلَيْهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَئِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ
الْأُمَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ اعْطَاهُمْ لِيَتَالَفَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا
سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْلَانِ قُلُوبُهُمْ وَالْإِسْلَامُ يُؤَمِّدُ فِي ضَعْفٍ وَاهِلَةٍ فِي قَلْبَةٍ
وَأُولَئِكَ كَثِيرٌ ذَوَا قُوَّةٍ وَعِدَّةٌ وَالْيَوْمَ قَدْ كَثُرَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَزَّ الدِّينُ وَصَارَ
أَهْلُ الشِّرْكِ إِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى وَاحْكُمَ مَتَى ثَبَتَ مَعْقُولًا مُعْنَى خَاصٍ يَرْتَفِعُ
وَيَنْتَهِي بِذَهَابِ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ تَطْيِيرُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَاهِدَ كَثِيرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ إِيَّاهُمْ مَدَارَاتِهِمْ وَمُعَاهَدَتِهِمْ
مُحْتَاجٌ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَضَعْفُهُمْ ثُمَّ لَمَّا اعْتَرَى اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ
وَكَثُرَ أَهْلُهُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرُدَّ إِلَى أَهْلِ الْيَهُودِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ
يُجَارِيَهُمْ حَقِيقًا بِقَوْلِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
إِلَى قَوْلِهِ فَإِذَا اسْلَخَ الْأَشْهُدَاءُ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ وَكَذَلِكَ بَيِّنَ الْإِبْتِدَاءُ
كَانَ الْأَسْرُ وَأَخَذَ الْعَدَاةَ عَنْ الْأَسَارِ مِنْهُنَّ الْقَلَّةُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَضَعْفُهُمْ وَقُوَّةُ
أُولَئِكَ لِيُطْلَقَ قَوْلُهُ يَارْمُ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ زِيَادَةُ قُوَّةٍ لِلْكَفَرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
لَمَّا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَخْرُجَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ لَمَّا كَثُرَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ
وَارْقَعَتْ رَأْسُهُمْ انْتِخَ الْحُكْمُ الْأَوَّلُ بِإِجَابَةِ الْأَسْرِ وَالْمُنَادَاتِ فَكَذَلِكَ مَا يَخُنُ
فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ جَوَانِ النَّسْخِ بِالْإِجْتِهَادِ لَا رَتْفَاجِ الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ
كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّسْخَ قَدْ يَكُونُ بَوُجُودُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِي حُسْبِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

دَلَالَةٌ أَنْ أَذِنَ الْإِسْلَامُ شَرْطًا فِي أَحْيَاءٍ أَوْ مِنْ الْمَوَاتِ وَلَا تَنْكَرُ الْإِبَادَةُ الْإِسْلَامَ
لَا أَنْ ذِيكَ الرَّجُلِينَ الَّذِينَ إِنَّمَا الْبَاكِرُ قَالَا عِنْدَنَا أَرْضٌ مَبْحُورَةٌ لَكُمْ فِيهَا وَلَا مَنُفَعَةٌ
وَذَلِكَ مَوْجُودٌ مِنْ الْمَوَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَفِي الرِّقَابِ
اخْتَلَفَ فِيهِ قَالُ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ وَفِي عَمَقِ الرِّقَابِ وَجُوزُ أَنْ يُغْنَى عَنِ الرِّقَابِ
الرَّقِيبَةُ كَذَا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عُبَايَةَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرِي بِأَشَانِ يُعْطَى الرَّجُلُ
مِنْ رِقَابَتِهِ فِي الْحَجِّ وَأَنْ يُعْتَقَ مِنْهَا الرَّقِيبَةُ وَقَالَ آخَرُونَ هُمَا الْكَاتِبُونَ
مَعْنَاهُ أَنْ يُعْطَى الْكَاتِبُ شَيْئًا يُؤَدِّيهِ فِي كِتَابَتِهِ وَهُوَ الْأَشْيَاءُ وَهُوَ قَوْلُنَا
وَلَا يَشْبَهُ الْأَعْتَاقَ بِنَيْةِ الرِّقَابَةِ مَا يُدْفَعُ إِلَى الْكَاتِبِ فَيُؤَدِّي بِدَلِّ كِتَابَتِهِ فَيُعْتَقَ
لَوْجُودِهِ أَحَدُهُمَا أَنْ الْأَعْتَاقَ أَبْطَالَ الْمَلِكِ وَلَيْسَ بِمُتْلِكٍ وَمَا يُدْفَعُ إِلَى الْكَاتِبِ
هُوَ مُتْلِكٌ وَإِنْ يَكُونُ الرِّقَابَةُ زَكَاةً إِذَا زَالَتْ مِنْ مَالِكَ إِلَى مَالِكَ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى وَاتَّقُوا الرِّقَابَةَ وَالْآيَةُ هِيَ التَّمْلِكُ وَالثَّانِي مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ
جُبَيْرٍ قَالَتْ لَا يُعْتَقُ مِنَ الرِّقَابَةِ خَافَةُ جَدِّ الْوَلَاءِ وَهَذَا لِأَنَّ الْأَعْتَاقَ
يُوجِبُ الْوَلَاءَ لِلْعَتَقِ فَكَانَ حَقُّهُ مِنْهُ بَاقِيًا وَلَمْ يَنْقُطْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَلَمْ يَتَحَقَّقْ
الْإِخْلَاصُ فَلَا يَكُونُ عِبَادَةٌ وَالرِّقَابَةُ عِبَادَةٌ فَلَا تَنَادِي عِبَادَةً قَالَا الَّذِي
يُدْفَعُ إِلَى الْكَاتِبِ انْقُطَعَ حَقُّ الْمُوْدِيِّ وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ حَقٌّ فَلِذَا لَمْ يَخْتَلَفَا
وَالثَّالِثُ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ وَالْعَارِمِينَ وَمَنْ قَضَى عَنْ عَارِمٍ دِينَهُ
بَعْدَ إِمْرِهِ بِنَيْةِ الرِّقَابَةِ لَمْ يَحْزَمْ مِنْ رُكُوتِهِ مَالُهُ وَلَوْ دَفَعَ إِلَى الْعَارِمِ فَقَضَى بِهِ
دِينَهُ جَانَ عَنْ رُكُوتِهِ فَأَعْتَاقَ الْمَذْكُورِ الْعَبْدَ لَمْ تَزَلْ قَضَاءُ دِينِ الْعَارِمِ
لَمَّا جَعَلَ بِأَحَدِهِمَا الْفَكَالَ عَنْ الرِّقَابَةِ وَالْآخَرُ الْفَكَالَ عَنْ الدِّينِ وَلَا حُتَّاجَ
فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَبَوُّلِ مِنَ الْعَارِمِ وَالْعَبْدَ وَإِنَّمَا أُعْطِيَ الرِّقَابَةُ لِلْكَاتِبِ
كَدَفْعِهِ إِلَى الْعَارِمِ فَلِذَا لَمْ يَفْتَرَقَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْعَارِمِينَ
عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ الْعَارِمُ مِنْ ذَهَبِ السَّيْلِ بِأَيْهِ أَوْ أَصَابَهُ حَوْبُ فَذَهَبَ
مَالُهُ أَوْ رَجُلٌ لَهُ عِيَالٌ لَا يَجِدُ مَا يَسْفِقُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَدِينُ جَعَلَ الْعَارِمَ صِلَ الصَّدَقَةِ
وَهُوَ الَّذِي لِحَقِّهِ الْعَزْمُ مِنْ أَيْ وَجْهٍ كَانَ مِنْ دِينٍ أَوْ عِيْنِهِ وَقَتْلُ الْعَارِمِ
الْمُسْتَدِينُ مِنْ غَيْرِ سَوْفَ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَمَّالِهِ
أَنْ أَصْغُوا عَنْ الْعَارِمِ مَنْ فَلَكَتُوا إِلَيْهِ أَنْ يَجِدَ الرَّجُلَ لَهُ الْمُسْكَنُ وَالْحَادِمُ
وَالْفَرَسُ فَلَكَتْ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغُ لِلْمُؤْمِنِ مَسْكَنٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ يَكْفِيهِ مَهْنَتُهُ

وقد سجد جاهد عليه عذوق وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان المسألة لا تحل الا باحدى ثلاث فتم دفع او عزم مقطع او دم مو جع
وروي عن الحسن والحسين وابن عمرو بن جعفر انه سألهم رجل سئلا
فقالوا ان كانت مسألتك في احدى ثلاث فقد وجب حقك في فقير
مدع او عزم مفضع او دم موجه فتم دفع الا جاد يث تدل على ان الفارم
اذا كان دونه مستغفرا بما له حل احذ الزكاة ليقض بها دينه لان الدين
المقطع هذا فان قيل في الخبر او عزم مقطع ومن كان دينه غير مقطع
يحل له اخذ الزكاة بان كان دينه اقل من ماله لكن ما و رآه الدين ليس
بنصيب قس الدين المفضع ان يكون اكثر من المال الذي في يديه او
مثله اما اذا كان المال اكثر لكن لا يبلغ نصيبا فانه لا يباح له المسألة ولكن
حل وضع الزكاة فيه ويباح له اخذه وكان المراد من الحديث ان لا يباح
المسألة الا ان لا يباح له الاخذ فلا يكون مخالفا للآية والله اعلم قوله
تعالى وفي سبيل الله قيل في العزاة وقيل في سبيل الله اي كل من سعى
في طاعة الله وسبيل الخيرات فانه داخل في ذلك اذا كان محتاجا وتوف
اليه ولا يكره وان كان قادرا على الكسب لا شغاله بالغزو او التعلم والتعليم
وتحذ لك واصله ما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
انه قال لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله او ابن سبيل او رجل له جار
مسكين تصدق عليه فاهداها اليه وعن عطاء بن يسار عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تحل الصدقة لغني الا الخمس العالمين عليها ورجل اشتراها
او غارم او غار في سبيل الله او فقير تصدق عليه فاهداها للغني وهذا
لان الرجل قد يكون غنيا بان يكون له دار يسكنها ومتاع متهننه وثياب
يلبسها وله مع ذلك فضل واتي درهم فلا يحل له الصدقة فاذا اعدم على الخرج
في سفره و احتاج الى الآلات لسفره وسلاح يستعمله في غزوه يغزو عليه
وخادم يستعين بخدمة على ما لم يكن اليه واحتاجت حال اقامته فمجوز
ان يعطى من الصدقات ما يستعين به في حوائجه التي تحدث له في سفره وهو
في مقامه غني بما يملكه لا غير محتاج في حال اقامته محتاج في حال سفره
فيحتمل ان يكون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا

في سبيل الله علي ما كان غنيا في حال مقامه فيعطى بعض ما محتاج اليه او الآية
لا يتركها لم يحز له ان ياخذ من الزكاة فان عرض له مرض او سفر فاحتاج الى
دابة ليركبها انه يخرج من الغنى بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له
ان ياخذ الصدقة عند ناله لا يستغني عما هو ملكه وانما الغني من استغني
عما يملكه فلكذلك الفارم على العزو وقد حدث له الحاجة الى اكثر مما يملك
في حال الإقامة وصار من مجوز ان يعان وان كان ملكه الذي كان به
غنيا على اعتبار ما كان قبل حلول العزم به وقد حدث له الحاجة بسبب
العزم والله اعلم قوله تعالى وابن السبيل قيل ابن السبيل ضعيف
ينزل به وقيل هو المأذون عليه المتقطع عن ماله وان كان غنيا وقيل هو المختار
من ارض الى ارض لا يري رجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الماعين
سبيل هو المسافر واصله عندنا هو المتقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تحل لغني الا في سبيل الله او ابن
سبيل الحديث ثم انما مجوز ان يعطى هو لا الذين ذكرناهم اذا لم يكن له شيء معه
او يكون اقل من ما ياتي درهم لكن اذا كان له فيما يملك كل شيء صدقت به شيئا فهو
سيداد سيداد من عيش فيكره له الاخذ اما الجواز فلما روي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اعطوا السائل ولو جاز علي فليس وجاز في بعض الاخبار
عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وللسائل حق
وان جاز علي فليس وعن الحسن قال كان اصحاب رسول الله ياخذون الصدقة
ولاخذهم من السلاح والكداح والعقار قيمته عشرة الاف درهم فهذا
جائز لكن التعفف عنها احسن لقوله عليه السلام من استغنى اغناه الله
ومن استعفف بعفه الله وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم جبلا فحططت
خير له من ان يسأل الناس شيئا اعطوه او منعوا وقال بعضهم اذا كان له خمسون
او اربعون لا يحل له اخذ الصدقة ولا يباح ان يعطى له لما روي عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه الا
جاز يوم القيمة شيئا او خذ وشاؤك و جازي وجهه قالوا يا رسول الله وما
ذا يغنيه او ما غناه قال خمسون او جسابها من الذهب وعن ابي ذر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يسأل وله اربعون دهما فقد الحقت

وعن عمرو بن علي وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص مثل ذلك المروي
عن علي وعبد الله وسعد لا تخل الصدقة لمن كان له حصون درهم أو عوضها
من الذهب وأما عن عمرو قال من سأل وله أوقية فقد الحف عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال من سأل وله أربعون درهما فقد الحف يكتا
نقول هذه الأجزاء يثني كراهة السؤال والاختلاف إذا كان ما بين يده
يكفيه لسداد العيش إلا ترى إلى ما روي عن ابن عباس أن رجلا سأل
النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن لي أربعين درهما فمسيكين أنا قال نعم ولما
روى في حديث معاذ أخذها من أغنياءهم وردّها في فقرائهم قسم الناس قسمين الفقراء
والأغنياء فمجل الأغنياء من يؤخذ منهم والفقراء من تردّ فيهم فكل من لم تؤخذ منه يكون
فقيرا ومن كان له أقل من النصاب لا تؤخذ منه فجوز الرد فيه ومن الناس من قال
إذا كان الرجل صحيحا لا تخل له الصدقة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لا تخل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وفي بعض الأخبار ولا لقوي مكسب ولكن
هذا فاسد لما روي أن الصدقة لا تخل إلا في ثلاث وذكر فتومد فغ من غير فصل بين
أن يكون صحيحا أو من مكسبا أو غير مكسب والآخر أنه قال للرجلين اللذين
سألاه أن شيئاً أعطيتكما منه ولا حق فيها لغني ولا لقوي مكسب ولو كان حراما
لم يكن ليعطيها الحرام ولكن ذلك للزجر عن المسئلة ولما روي عن سلمان الفارسي
رضي الله عنه أنه حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فقال لا تحبها به
كلوا ولهم يأكل ولا يتوهم متوهم أن أصحابه كانوا من هذا كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سأل الناس عن ظهر غنا فإنا ليستكثر من جوعهم
قبل يا رسول الله ما ظهر غنا قال إن تعلم أن عنده ما يفيهم أو يعشيم دل أن الأمر
علي ما قلنا والله أعلم قوله تعالى فريضة من الله والله عليم حكيم محتمل بآيات من الله
وأعلا ما أن أهل الصدقات منهم لا من غيرهم ومحتمل فريضة من الله واجبا من الله
وفريضة من الله أعلم قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي قوله ومنهم أي من
المنافقين يؤذون النبي أخبر أنهم كانوا يؤذون ولم يبين لهم كان يؤذون فيحتمل
يؤذون النبي بتكذيبهم آياه وتركها لأجابه له والطاعة فيما يدعوهم إليه ومحتمل
يؤذونه بكلمات ليسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبونه عليه قوله تعالى يقولون
هواذن قيل الاذن هو الذي يقبل عذره من اعتذار اليه ويسمع من كل أحد

عذرا يعتذر اليه وقبل وكذا كان النبي يقبل عذره من اعتذار اليه ويسمع
منه آ كان له في ذلك عذرا أو لا عذره له لكونه وشرفه وحسن خلقه فظن
أو ليك المجدد لما رآه أنه كان يعاملهم معاملة أهل الكرم والشرف والمجدد
أي يعاملهم معاملة أهل الكرم هذه المعاملة بسلامة قلبه وصفو همته وقصوره
يدية وهم كانوا أهل كبر واقية فقالوا هواذن لقوله ما شئنا ثم خلف ونعتذر
اليه فيصدقنا ويقبل عذرا قال الله تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين خيروا
لكم أي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم من الذي لا يقبل ولا يسمع فكيف
تؤذونه وتطعمون فيه وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تؤمنون به فخذ
بهذا عن شفهم وقيل وتقولون هواذن أي ليس في نفسه ويكم ولا
يكا في من إذاه ولا يجازيه قال أبو عبيدة الأذن الذي من قال له شيئا
أو حدثه حديثا صدقه واستمتع منه وكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل
كل من قال له شيئا أو حدثه واستمتع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه
لما ظن أن ليك ويقرأ أيضا قل اذن خير لكم أي هو يستمتع بحسن التصديق ولا
يستمتع بالكفر والنيفاق قوله تعالى يومين بالله ويومين للمؤمنين قيل
أي يصدق الله بما ينزل على النبي من آياته ويصدق المؤمنون فيما بينهم من
شهاداتهم وإيمانهم على حقوقهم وشروطهم وأموالهم أي يصدق محمد بما يحسن
من سواه المناققين بين الطعين بينه والعيب عليه والآيات بغيره هو التصديق
له بجميع ما فيه والإيمان له من خبره وحديثه ومحتمل أي ويومين للمؤمنين فيما يشهدون
في الآخرة له بالتبليغ إليهم كقولهم فلفسنا لن الذين أرسل إليهم ولنسأل المؤمنين
ومحتمل ويومين للمؤمنين أي يصدقكم فيما بينهم من الأخوة في الدين كقوله
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين قوله تعالى
ورحمة للذين آمنوا منكم كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استقدم
من الكفر إلى الإيمان ومن الهلاك إلى النجاة ليشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا
قوله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم أي في الآخرة
قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم أي بما حكفوا عليه قال بعض أهل
التأويل إن الأنصار مشيت إلى المنافقين فقالوا لهم قد عيونا بما نزل فيكم
حتى متى فكانوا يحلفون للأنصار والله ما كان شيء من ذلك فأكذبهم الله تعالى

وقال يحلفون بالله ما كان الذي بلغكم ليبرصوكم. بالحلفوا والله ورسوله
احق منكم يا معشر الانصار ان يرصوه حيث اطلع علي ما يحلفوا وهم كذبه
ان كانوا مومنين ولكن ليسوا بمصدقين ولكن الاشبه ان تكون الآية في
معاينة جرت بين المومنين والمنافقين باستهزاء كان منهم برسول الله اطلع
فيه واستهزاء بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا علي ذلك ليبرصوهم فقال
تقالي والله ورسوله احق ان يرصوه ان كانوا مومنين حقيقة ولكن ليسوا
بمومنين وما قال بعض اهل التأويل ان رجلا من المنافقين قال والله لين
كان محمد حقا لئن شرب من الحبر فسمعتا رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله
فدعاؤه وقال ما حملك علي الذي قلت فقلت والتعن ما قاله فنزل قوله
يحلفون بالله لكم ليبرصوكم لا يعصم الايمان لو كان كما ذكره والكانوا يحلفون
ليرسول الله لا يحلفون للمومنين ذلك ان الآية نزلت في غير ما ذكره وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الآية نزلت في ناس من المنافقين
تحلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع
انهم لا يحلفون عنه ابدا وكذا قال غيره من اهل التأويل ايضا لو كان
كما ذكره والكانوا يحلفون لرسول الله لا للمومنين ذلك ان الاشبه ما بدأ به
والله اعلم ثم في الآية وجوه من التواكيد احدها بينها دلالة تحقيق رسالته
ليعلموا انه حق حيث اطلعه علي ما اسروا في انفسهم وكنتم من المكروه واوضاع
السفاه والثاني لعذرهم ولما استغوا عن مثله والمعادة اليه لما علموا انه يطلع علي
جميع ما يسيرون عنه ويكتمون والثالث تنبيه المومنين وتعليلهم منه بانه اذا وقع
لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا لرضا بعضهم بعضا ولكن يطلبون به مرضاة الله
ويتوبون اليه قوله تقالي والله ورسوله احق ان يرصوه لان الحلف والحياة
كان في حق الله تقالي لم يكن في حق المومنين لذلك قال والله اعلم والله ورسوله
احق ان يرصوه من المومنين قوله تقالي ولم يعلموا انه من جادة الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها يخرج علي وجهين احدهما انه قد علموا انه من جادة الله ورسوله
ولكن ان له ما ذكر لكم عايندوا الخلاف والمجادلة مع علمهم والثاني اعلموا انه من جادة الله
ورسوله فان له ما ذكر علي ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج مخرج الاجاب
واللان امر ثم قوله يحاد الله يحتمل معناه الله ويحتمل بيشافق الله ويحتمل

ثم في الآية دلالة انهم علموا انهم معاندون في صنيعهم وعلموا ان من عايندوا وكما يغير
حق فان له نار جهنم علي التأويل الذي ذكرنا ان المراد به قد علموا ثم ذكر
مجادلة الله ورسوله لم اقتصر علي ارضاء رسوله لانهم لم يقصدوا اقتضا
مخالفة الله انما قصدوا مخالفة رسوله فحتمل انه ذكر ارضاء رسوله لان في
ارضائه ارضاء الرب تبارك وتعالى كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
فذلك لك ههنا ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا الي رسوله بقوله احق
ان يرصوه ولم يقل احق ان ترصوها فهو والله اعلم انهم اذا ارضوا رسول الله
رضي الله عنهم وكان في ارضائهم رسوله ارضاء لله وهو كما ذكر ايضا بقوله
واذا ادعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم انما ادعوا اليحكم الرسول بينكم فهذا
مثله قوله تقالي ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزي الي
الفضيحة العظيمة في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي العذاب في الآخرة اذ نار جهنم
خزي عظيم قوله تقالي يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون اي احق علي المنافقين ان يحذروا
لما اطلع الله تقالي رسوله علي ما اسروا وكنتموا ويحتمل علي اخباري انهم كانوا
يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله رسوله
من سائرهم وسفهمهم قوله تقالي قل استهزوا ان الله مخرج ما يحذرون
وهو والله اعلم ليس علي الامر ولكن علي الوعيد يقول استهزوا فان الله مظهر
ومبين لما اسدروا وكنتم من الاستهزاء ليرستو لهم والطعن فيه اي لا تفعلوا
قوله تقالي ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر الله تقالي
الاستؤال ولهم بيتين من التناهي والكن في الجواب بيان ان الاستؤال ايضا
كان علي الاستهزاء حيث قال آياته وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
اي ان سالتهم عن الاستهزاء فيقول لا بل نخوض ونلعب قل آياته
ورسوله كنتم تستهزؤن وذا عليهم وتكذبنا لهم ذكرنا ان نضرا من المنافقين
كانوا اجتمعوا في بعض الطريق ليمتد رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلوه
فاطلع الله رسوله علي اجتماعهم في ذلك الوادي فقال ولين سالتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التأويل ان النبي عليه السلام لما رجع من

غنى وة يتوكل ببناءه وليسير اذ هو برهبط يسيرون بين يديه ليحكون ويستهنون
واطلع الله تعالى رسوله انهم يستهنون بالله وكابه ورسوله فقال ولين
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب اي لو سألتهم ما يقولون فنقولون لك بها
نخوض وفيه الركب اذا سار وافقد قيل لغرض ما ذكرنا ايضا ولكن ليس لنا
الي معرفة كهيئة استهن آيهم حاجة سيوي ان فيما ذكرنا من خبر المنافقين فيها
للمؤمنين وتحذير المهر ليجردوا اسرار ما لم يظهر واعلي السنتهم ليعلموا ان الله تعالى
مطلع على ما يسرون وما يصنعون قوله تعالى قل يا الله واياته ورسوله
كنتم يستهنون لا احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم قالوا يستهنون بالله
والمؤمنين فاضاف الله تعالى ذلك الي نفسه كقوله يجادلون الله وهو خادعهم
اي يجادلون اولياء الله لانه لا احد يقصد قصد مخادعة الله وكذا لك قوله
ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله وان تنصروا دين الله
ينصركم فعلى ذلك الاول كانوا يستهنون برسول الله وبالمؤمنين لكن
اضاف الله تعالى ذلك الي نفسه تعظيما واكراما لهم اعدا ما انهم من جملة اولياءه
قوله تعالى واما ته محتمل انهم كانوا يستهنون بالاحكام التي لها آيات
في القرآن واستهزاء بآيات تلك الاحكام الثابتة بالآيات فتكون كاستهزاء
بالآيات فاضاف الاستهزاء الي الآيات وذلك كقوله ولا تمسكوهن
من وراء المعتذروا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا
وهو ما هزوا بالآيات ولكن هزوا بالاحكام الثابتة بالآيات فكان ذلك
استخفافا واستهزاء بالآيات فهذا امثله ثم قوله قل يا الله واياته ورسوله
كنتم تستهنون محتمل وجهين احدهما على الاحباب والحقيق اي يستهنون
بالله وآياته ورسوله ومحتمل على التععيد والتعديد والتوبيخ معناه ايا الله
واياته ورسوله تفعلون هذا بالله قوله تعالى لا تغتذروا وقد كفرتم
بعد ايمانكم اي لا تغتذروا فانه لا يقبل اعتذاركم بالاعتذاركم فيما تغتذرون بعد ما
قلتم انه اذن لما ظهر منكم اخلاف والكذب في ذلك وهو كقوله يعتذرون اليكم
اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم اخبرنا انه
لا يقصد ثم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم ثم قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
محتمل كفرتم بالباطل بعد ما اظهرتم الايمان باللسان ومحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم

حقيقته اي قد كفروا بعد ما آمنوا حقيقة والله اعلم قوله تعالى ان
لغف عن طائفة منكم لغف طائفة قال بعضهم قوله ان لغف عن طائفة
منكم ان المنافقين من آمن منهم بعد النفاق وتاب فاخبرنا ان لغف
عن الطائفة الذين آمنوا حقيقة وتابوا عن النفاق تغيب الطائفة
الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل انما قال ذلك لان المنافقين
منهم من قد مات على الايمان ومنهم قد مات على الكفر فزعم العفو عن مات
على الايمان كقوله ويغيب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبرنا انه
ان شاء تاب عليهم بقوله ان لغف عن طائفة منكم اي عن الطائفة
التي يتوب الله عليهم قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض وذكر في اهل الايمان ان بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وذكر في الكفار والولاية لبعضهم بعضا بقوله والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض وانما كان والله اعلم لان لاهل الايمان دينان دينون
به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدعون ايضا دينهم ويتناصرون
به ويعادون بعضهم بعضا فكل واحد من الفريقين فيما بينهم مولات الدين فاما
المنافقون فانه لا دين لهم يدعون به ولا مذهب ينتحلونه ولا تناصر بعضهم بعضا
ولا تقاون ولا يحري بينهم التظاهر والتناصر وانما هم عبادة النعمة والسعة
ما لو احيث مالت النعمة والسعة فلذلك كان علي ما ذكرتم في قوله والمنافقات
دلالة ان من نافق بالتقليد لا خد او كفر بالتقليد لا خد او نافق وكثر بالتقليد
سواء في استحقاق اسم النفاق واستحقاق العذاب لان النساء هن
اتباع واهل تقليد للرجال ثم سوي بين الرجال والنساء في استحقاق
اسم النفاق والوعيد والله اعلم قوله تعالى يا مروا بالمنكر لئلا تنكروا
ما ينكره العقول وهو الشرك بالله تعالى واخلاف له قوله تعالى
وينهون عن المعروف اي ينهون عما يعرفه العقول ولست تحسنه وهو التوحيد
لله والايمان به ويدخل في المعروف كل خير وحسن وفي المنكر كل سيئ ومعصية
قوله تعالى ولتنبذوا ايديهم اي من الا نفاق في سبيل الخير كذا
قالوا لكن محتمل ان يكون علي سبيل التمثيل لا علي تحقيق فبعض اليد ولكن
علي كف النفس ومنعها عن الاشتغال بالخيرات وخوضها فيها وفي جميع

الطاعات لكنه ذكر اليد ولما باليد يعمل وبها يكتسب الخيرات وهو قوله
وَذُو قُوَّةٍ عَذَابٌ لِلْحَرِيقِ ذلك بما قدمت ايديكم وذلك لما لا يقدمه الايدي
لان الكفر من عمل القلب وكشبهه وهو التكذيب واعتقاد الشرك لكنه
ذكر اليد لما باليد يقدم ما يقدم ويقبض بها في الشاهد اذ هذا امثله ويحتمل
ما ذكر من قبض اليد كناية عن ظلمهم وقلة الا نفاق في الجهاد كقولهم ولا ينفقون
الا وهم كارهون قوله تعالى نسوا الله فليسهم قيل جعلوا الله كالشيء المنسي
لا يذكرونه ابدا فليسهم اي جعلهم كالمنسئين في الآخرة من رحمته لا ينالونها
ويحتمل نسوا الله فليسهم اي نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها فليسهم
على المجازات لذلك وان لم يكن نسيانا كما سمي جزاء النسيان وان لم يكن الثاني
سببه فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازات النسيان لان لم يحتمل النسيان
احدها انه يخرج على علم امر القتال منه للمؤمنين واسبابه كما علم جميع ما يقع لهم
الحاجة اليه من اسباب الحرب في غير اي من القرآن من نحو قوله يا ايها الذين
آمنوا اذ القيتم الذين كفروا رجلا فلا تقولوهما الادبار وقوله واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل يرهبون بوعده الله وعدكم وغير
ذلك من الايات والثاني اخبار وابناء عن دواعي الجهاد والقتال مع
الاعداء الى يوم القيامة لانه امر يقتل من يلونهم من الكفار وكلما فتحوا ناحية
وقومًا صار القوم الذين بقوا وراؤهم هؤلاء الذين وقع الفتح عليهم من الذين
يلونهم والله اعلم ويحتمل انه امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم ككتاب
العبادات والله اعلم قوله تعالى ولجند وانكم غلظة فتل سرت عليهم
وفي حرف بن مسعود واي رضى الله عنهما ولجند وانكم عليهم غلظة اي شدة
ويقتروا غلظة وكسرها وهما لغتان بمعنى واحد قوله تعالى واعلموا
ان الله مع المتقين يخرج على وجوه اصدقا اذا القوا الخلف له فيما علم من امر
الحرب يكون معهم بالنصر لهم والمعونة على عدوهم والثاني مهم في التوفيق
والهداية والثالث في اعطاء الجند قوله تعالى واذا ما انزلت
سورة ومنهم من يقول ايكم ناذته هذه اياتا قال اهل التاويل يعنى لقول
المنافقون بعضهم لبعض اذ احلوا عن المؤمنين ايكم ناذته هذه اياتا
استهزاء منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين آمنوا فزادتهم

ايما ناء وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وما تقولوا وهم كاذبون اي السورة زادت اهل الايمان
ايما ناء ونصدق تعالى ما كان لهم واذت لاهل النفاق تكذيبا وكفرا
الى تكذيب الذي كان منهم وهذا لان اهل النفاق ليسوا باهل ايضا
لقبول الحجّة والدلالة اذ اقامت عليهم امامتهم العناد والتكذيب
ورد الحج والدلائل وكلما زادت الحج والبراهين ازداد لهم العناد
في التكذيب والرد فاما اهل الايمان فان همتم قبول الحج والا ايضا
وكل ما ازدادت لهم الحج والبراهين ازداد لهم الايمان والتصدق
على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايما ناء وقوله فزادتهم رجسا يحتمل
وجوه اربعة اي زادتهم ثباتا ودواعي ما كانوا من قبل بما قامت
لهم من الحج والبراهين والثالث نسوا الله بسوا الحمد المعونة والنصرة
والتوفيق فليسهم اي لم ينصروهم ولم يؤفّقهم قوله تعالى ان
المنافقين هم الفاسقون والاشكال ان اسم النفاق اصح وسترون
اسم الفسق فامعني ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرول
الموافقة للمؤمنين باللسان فاخبروا انهم ليسوا على ما اظهروا ويحتمل انه
سمّاهم فاسقين لان كل اهل الاديان ياتون عن النسبة الى الفسق
والفسقية ويحتمل ان يكونوا يعلمون في انفسهم انهم اهل نفاق ولا يعرفون
انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله ويحتمل ان يكون اسم
النفاق اصح وشوا عن الناب من اسم الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم
الفسق الكبر في القبح والله اعلم قوله تعالى وعذ الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم وعذ لهم نار جهنم وهي المكان الذي يقذبون فيه والثاني
بها يقذبون قوله تعالى خالدين فيها هي حسبهم اي النار كفاية للكفرة
جزاء لصنيعهم بقول الرجل لا خير حسبك كذا اي كفاك كذا اجزاء لك والله اعلم
قوله تعالى ولعنهم الله قيل هو اللعن الطرد في اللغة اي طردهم
عن رحمته قوله تعالى ولهم عذاب مقيم اي لا يبارقهم البتة والله اعلم
قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اي هؤلاء المنافقون
واولئك الكفرة كالذين من قبلكم ولم يثبت في ما ذاك ولكن يحتمل كالذين من قبلكم

اي صيرتم الي العذاب كالذين من قبلكم صاروا اليه وكانوا اشد منكم قوة
وطبشوا واكثر اموالا واولاداً وبنى الشاهد هذا ما يدفع العذاب والعقوبة
وبذلك تنبأ الله بعضهم من بعض ثم لم يقدر وواعلي دفع ذلك عن انفسهم فانتم
دونهم كيف تقدر ورون علي دفع ذلك وقيل كالذين من قبلكم اي صيرتم انتم
في اختياركم من الاعمال الخبيثة من اخلاف الله تعالى وتكذيب الرسل من
الاعمال الخبيثة وتعاطي ما لا حل كما صاروا اوليك الذين من قبلكم في اختيارهم
هذه الاعمال فصيرتم انتم كما صاروا هم قولي الله تعالى فاستمتعوا بخلافكم
فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافكم اي انتفعوا بخلافكم اي اكلتم
الدنيا بدنيكم كما اوليك اكلوا الدنيا بدنيهم وقيل فاستمتعوا بخلافكم اي بنصيبهم
من الدنيا ولم يقدر مواشياً للآخرة فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا ولم تقدّموا
شيئاً للآخرة كما استمتع اوليك بنصيبهم من الدنيا ولم يقدر مواشياً للآخرة واخلاق
النصيب كقولهم اوليك لاخلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه اخلاق الدين وكذلك قال الحسن بخلافكم اي بدنيهم
قولي الله تعالى وخضتم كالذي خاصوا اي خضتم انتم في الباطل والتكذيب
كالذي خاصوا اوليك الامم الخالية قال ابو عبيد خضتم اي لعبتم
كالذي خاصوا اي لعبوا بالتكذيب قولي الله تعالى اوليك حبست اعمالهم
في الدنيا والآخرة اي لا ثواب لها في الدنيا والآخرة لان ثواب الاعمال
في الآخرة انما يكون بالايان وان اعمالهم كانت في غير ايمان قولي
الله تعالى واوليك هم الخاسرون اي خسروا ثباتاً واما بطلان اعمالهم
في الدنيا لما لم يقبل واحد من الفريقين صنيعهم من المؤمنين والكفار لانهم
يرون من انفسهم الموافقة لكل واحد منها وما كانوا مع واحد من الفريقين
وذلك كقولهم مذبذبين بين ذلك لا الي هؤلاء ولا الي هؤلاء والله اعلم
قولي الله تعالى المر يا قوم نبوا الذين من قبلكم قوم نوح الاية لختل جهن
احدهما المر يا قوم اي قد اتاهم خبر الذين من قبلكم وما حل بهم وما
انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم في قتلهم واهلاكهم وهم من جنس انفسكم
فاشد قوة وطبشاً منكم وانتم تعلمونهم في ذلك ثم حل لهم ما حل بتكذيبهم
الرسل واخلافهم فانتم دونهم في كل شيء واقل منكم في القوة والبأس اولي

بذلك ان يصيبكم ويختل قول المر يا قوم نبوا الذين من قبلكم اي يا ايها
نبوا الذين من قبلكم وما حل بهم كقولهم المر يا قوم نبوا الذين من قبلكم
الاول لختل هذا وهو خرف وعيد يحذرهم باحل باوليك ليمتنعوا عن
مثل صنيعهم والله اعلم قولي الله تعالى والموتفكات اتهم رسلهم بالبينات
قال اهل التاويل هي قريات لوط سميت موتفكات اي متقبات
قال العتبي ايتفكت اي انقلبت وقالت ابو عبيدة الموتفكات
هي من الافك وهو الصترف كقولهم انا يؤفكون اي يصرفون وقال
بعضهم الموتفكات المكذبات اتهم رسلهم بالبينات اي اهلها فكذبواهم
فاهلكوا ثم هي من الايقاب اشبه والله اعلم قولي الله تعالى فما كان
الله ليظلمهم اي بتعذيبه اياهم اي لا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك
العذاب قولي الله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاء به من البينات والبراهين
والله اعلم قولي الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعضهم
قوله بعضهم اولياء بعضهم علي الاحباب والاحبار اي ان الدين الذي
اعتقدوا وامتسكوا به يوجب لهم الولاية وليست بعضهم اولياء بعضهم
كقوله اذ كنتم اعداء فالتف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخواناً وقوله
انما المؤمنون اخوة وخواص ذلك هي اخوة الدين وولايتهم وقوله
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعضهم ولا تتخذوا غيرهم اولياء
كقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عداويكم اولياء نبي المؤمنين ان يتخذوا
اولياء من غيرهم كما نهى امر ان يتخذ المؤمنون بعضهم بعضاً اولياء ولا
يتخذوا من غيرهم الولاية لختل وجهين احدهما ولاية روحانية وهي الولاية
في الدين وهي توجب مراعات حقوق تحدث في الدين الذي جمعها وحفظها
والثانية ولاية نفسانية وهي الولاية التي تكون في الانفس والاموال من
خوالة النكاح والميراث وغيرهما فهذه الولاية هي الولاية النفسانية
التي كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية
لهم وهي الولاية لنفسها والولاية الروحانية هي المحبة والمودة فوجب مراعاتها

بالدين ونقاها وهذا كما يقال حيوة روحانية وحيوة جسدانية
فالحيوة الروحانية هي العلم والادب تربي به اشياء وتقر فها من بعد
والحيوة الجسدانية هي الروح الذي به يحيى الجسد وبذها به يموت
الحمد لله اعلم قول الله تعالى يا مرون بالمعروف وينهون عن المنكر
قد ذكرنا ان كان المراد فيها بين الكفرة معناه يا مرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويبدعونهم الى ذلك وينهونهم عن ضد ذلك وان كان المراد فيها بينهم فهو امر
بشرع ونهي شرع يا مرون بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وبينها عما جاء الشرع
بخلافه ويحتمل اي يا مرون بعضهم بعضا بكل خير وبشر وينهون عن كل شر ومغصبة
قول الله وقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة قد ذكرنا قول الله تعالى وقيموا الصلاة
ورسلوا اي في كل امره ونهيه قول الله تعالى اولئك مستبحرهم الله
وعدا انه يرحمهم قول الله تعالى ان الله عز وجل يحكم قتل عذري يري انار
عنه في كل شيء حكيم يري آثار حكمته وتدبيره في كل شيء قول الله تعالى وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن وعد لهم هذه الاشياء ثم قالت ورضوان من الله
والكبراي رضا الله عن العباد المؤمنين في الآخرة الكبريا اعظام لان فيه
حيوة الروح ولذته وما اعطيهم من الجنات والمساكن الطيبة فهو حيوة الجسد
ولذته وحيوة الروح ارفع والكبر من حيوة الجسد لانه لا يؤثر زيادة في
الجسد وكذلك ذكر الحسن والعز والحمد فيه حيوة الروح لانه لا يزيد في
الجسد بل هو سرور وفرح يدخل فيه واذا اصابته شيء من ذلك وسمع
مكروهها حزن واهتم من غير ان يتألم جسده لو حجد الماء شدة في نفسه
وذالك لان ما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل في الدنيا لطلب
رضوان والكبر من العمل لطلب ثوابه لان العمل لطلب رضا
امر عليه والعمل لطلب الثواب امر له والذي قام بأداء ما عليه اعظم درجة
والكبر فضلا من الذي قام بعمل ما له لان كل احد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل
احد يعمل لغيره فلذلك كان كما ذكرنا الله اعلم قول الله تعالى ذلك هو الفوز
العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل قول الله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم واختلف فيه يحتمل ان يكون

هذا امرا بالجهاد مع الفريقين جميعا جادا بالسيف ويحتمل المجاهدة مع
الفريقين جميعا بالحج والبراهين دون السيف ويحتمل ايضا الامر
بمجاهدة الكفار بالسيف والغلظ والتشديد على المنافقين من حيث القول
واقامة الحد ودعوتهم فان كان علي مجاهدة الفريقين بالسيف والله اعلم
في المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين اظهروهم
واظهروا الخلف للمؤمنين بعد ما اظهروا الموافقة لهم وامثال هؤلاء
بما جاهدوا بالسيف ويقابلون به وهو كقولهم لين لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الى قوله ملعونين ايها ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا اخبر انهم يؤخذون ويقتلون ايما يوحدها فيشبه ان يكون الآية
في الامر بالجهاد في هؤلاء المنافقين ويحتمل وجه آخر وهو ان المنافقين
كانوا يطعنون في رسول الله ويعينون عليه فاطلع الله رسوله
وهم قد علموا ان الله قد اطلقه علي ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء
فقال الله تعالى جاهدوهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك
وان كان الامر بالمجاهدة هو المجاهدة بالحج فهو صلي الله عليه وسلم قد
كان حاج الفريقين جميعا بالحج وخاصة سورة البقرة انما نزلت
في محاجة المنافقين ويحتمل الامر بالجهاد مع الكفار وخاصة في المنافقين
تخليط القول والسديد واقامة الحد والتعذيب اذا ارتكبوا
شيئا مما يحجب فيه الحد والتعذيب بما اقاموا بين اظهروا المؤمنين مظهرين
لهم الموافقة والله اعلم قول الله تعالى وما وهم جهنم ببئس المصير
هذا في المنافقين الذين ما تواعي النفاق قول الله تعالى يخلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التأويل
نزلت الآية في شان رجل منافق قال يوما والله لين كان ما يقول
محمد حقا لئن شئ من الحمير فسمع ذلك غلام وهو ربيب ذلك القائل
فقال له تب الى الله وحجاء الغلام الى النبي فاخبره بذلك فارسل اليه
النبي فأتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الآية فيه لكن عين هذا
كانه اشبه لان في الآية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لين كان
ما يقول محمد حقا لئن شئ من الحمير هذا القول بنفسه ليس هو كلام

كفر انما هو كلام ذمهم به نفسه اذ لم يرد به التعليق كواحد من الغرابت
اذ قال حال سهود الوقعة وكان من حيث الظاهر يري الغلبة للكفرة
لو كان دين الاسلام حقا لم يخذل احده لانه لم يرد به تعليق جمعة الدين
بترك الخذلان ولكن اراد التحقيق اي دين الاسلام حق وان الله سلا
يخذل اهل الله اذا احتمل التحقيق واحتمل التعليق فلا يكون كلمة الكفر باحتمال
الا اذا كان الرجل عرفت بالنفاق فتحمل كلامه على الشك وقيل نزلت في شأن
عبد الله بن ابي قال لا محابة والله تامثلنا ومثل محمد الا كما قال
القائل مستن كليك حتى يا كلك وقال لين رجعا الي المدينة ليخرجن لا غنة
منها الا ذك فاحبوا النبي بذلك فدعاه فساله عن ذلك فجعل يحلف بالله
ما قاله وهذا التأويل والذي قبله مخالف ظاهر الآية فان الله تعالى
قال تحلفون بالله ما قالوا ونسب الي الجماعة لا الي الواحد لكن يشبه ان
يكون الآية صيغة قوله ولين سألتم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل بالله
واياته ورسوله وكنتم لتستهزؤن كانوا يستهزؤن بالله وباياته ورسوله
والاستهزاء بذلك كفر على ان الله تعالى بين انهم قالوا قول كفر ولكن لم
يبين ما ذك القول فلا نفتر ان ذلك القول ما هو وليس لنا الي
معرفة عين ذلك القول حاجة والله اعلم قوله تعالى وكفروا بعد
اسلامهم يحتمل كفره وابعدهما اظهره والاسلام اي رجعوا عما اظهروا
ويحتمل كفره وابعدهما اسلموا اسلام حقيقته وفي الآية دلالة على ان الايمان
والاسلام واحد لانه قال كفر وابعدهما سلامهم وقال في آية اخري
ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن نقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ان ذادوا
كفرا فذل ان الايمان والاسلام واحد والله الموفق قوله تعالى
وهتموا بما لم ينالوا مثل هموا مثل رسول الله والمكروه فلم ينالوا ما هموا به
وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك
وهو عيب دلل انه بعالم الغيب علم والله الموفق قوله تعالى وما
نعموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله قال بعض اهل التأويل ان
الرجل الذي قال ذلك تاب عن ذلك فقبل توبته وكان له قبيل في الاسلام

قوداه رسول الله فاعطاه دينه فاستغنى بذلك وعن ابن عباس رضي الله
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي المنان فغني من الغنائم والصدقات
يقول ما نعموا الا ما اعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة ثم قوله
نعموا قال بعض اهل الادب نعموا اي طعنوا فيه يقال نعم ينقم
نفتح القاف في الماضي وكشوه في المستقبل ونقال على العكس نعم ينقم
وهو والله ما طعنوا في رسول الله وما ذكروه بسوء الا ما اغنيهم الله
ورسوله لانهم لو كانوا اهل فقر وحاجة ما اجتروا على الطعن عليه وما
ذكروه بسوء ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما اعطاهم رسول الله
معاملة الكرام وبسطه اليهم حتى قالوا هو اذن نقبل العذر فذل لك
الذي حملهم على الطعن فيه والله اعلم قوله تعالى فان يتوبوا
هو خير لهم فيه ان المنافق يقبل منه التوبة قوله تعالى وان
يتولوا بعد بهر الله عذابا ليمالحتل وان يتولوا بعد ما اسلموا ويحتمل
داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فالامر بالجهاد والقتل والخوف واما التعذيب في الاخرة
فظاهره قوله تعالى وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قد
ذكرنا هذا في غير موضع قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن
اتيتهن من فضله لنصدقن قال بعضهم في ثعلبة بن حاطب سئل
رسول الله ان يدعو الله ليرزقه مالا وقال لئن اتيتهن من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصادقين ومنهم من قال الآية في حاطب بن
ابي بلتع انه كان له اموال بالمشرك فقال لئن اتاني تلك الاموال لصدقن
واكن من الصالحين فتداه الله تعالى تلك الاموال فبخل ومنع ما وعد ومنهم
من قال نزلت في المنافقين جملة ليس في شأن واحد مشد اليه ثم لحتم
قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا وقت ما وعد ويحتمل انه لم يكن منافقا
في ذلك الوقت لكنه صار منافقا بخل وكذب واعتقد الخلف واستحل الخلف
لما وعد مطافقا فان كان لما صار منافقا بخل واستحل الخلف له والمنع فيكون
قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي صار ذلك قلوبهم نفاقا وان كان منافقا
في ذلك الوقت فكون قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي اعقبهم الدوام

علي النفاق الي يوم القيامة يخلفهم ومنهم ما وعدوا ولم يكونوا هذا القول
ومنه من يلزم في الصدقات ثم في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله الآية ان الشذوذ وتلزم اهلها وجبت الوفا بها ويخذون ان
تركوا الوفاء ويكفرون ان استحلوا بعض ما عهدوا والله اعلم وقوله
ولنكونن من الصالحين قال بعضهم من المؤمنين وهو علي تاويل من قال
انه كان منافقا وقت اذ وحتم ان يكون من الشاكرين وكذلك ذكر
في الخبر ان عليه لما سأل رسول الله ان يسأل الله تعالى له مالا لم
قليل تودي شكره حين من قليل لا تودي حقه او كلام نحو هذا والله اعلم
قوله تعالى فلما اتيتهم من فضله خلوا به وتولوا وهم معرضون بحتم
تولوا عن وفاء ما وعدوا وحتم تولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون
عن طاعة الله او معرضون عما وعدوا وعهدوا ان يتولوا والله اعلم
قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه قال بعضهم
اي اثمهم نفاقا بما حللوا الي يوم القيمة وقال بعضهم اعقبهم الدوام
علي النفاق بما اخلفوا الله بما وعدوا وبما كانوا يكذبون يعني للمسلم ان
يحتجب الكذب والخلف في الوعد فانه سبب النفاق او منع من النفاق
وعلي ذلك روي في الخبر ان احتجبوا الكذب فانه باب من ابواب
النفاق وعليكم بالصدق فانه باب الايمان وفي بعض الاخبار عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه كان منافقا من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها
واذا اومن خان فان قيل ان اولاد يعقوب عليه السلام اوتمنوا فخانوا
وحدثوا فكلوا بوايقهم اكله الذيب ووعدوا فاخلفوا افتري انهم نافقوا
فيل ما روي ان من احدث كذب او كذب في امر الدين واما الكذب
في غير امر الدين فلا يوجب النفاق ولا ان اولاد يعقوب قد قتلوا العزم
علي التوبة والاصلاح فتل منيهم الذي بما صنعوا علي حذفت منهم ما فعلوا كما
اخبار الله تعالى بقوله تحلل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين
فلم يصير امانتين واصله ان اعتقاد الكذب واستحلال الخلف في
الوعد والخلاف للعهد هو الموجب للنفاق فاما ترك فعل الوفاء علي غير

استحلال للخلاف فلا يوجب ما ذكره واو الله اعلم ثم في الآية دلالة علي انه
لا ينبغي ان ينقض بالسؤال في شيء علي غير طلب الخيرة في ذلك من الله
تعالى الا تري ان بجملة لما الخ رسول الله صلي الله عليه ان يسأل ربه
ليرزقه مالا يفعل فاعقبه الله النفاق الي يوم القيامة والله اعلم
قوله تعالى الم تعلموا ان الله يعلم سترهم ويخبرهم بحتم وجهين
احدهما قد علموا ان الله يعلم سترهم ويخبرهم بحتم لكثر ما يطلع رسول
علي ما استروا من الخلف وطعنهم في رسول الله وذكرهم اياه بالسوء
والثاني الم تعلموا اي الم يات للذين نافقوا ان يعلموا ان الله يعلم سترهم
ويخبرهم فيطلع رسول الله علي سترهم ويخبرهم فيترك الطعن في رسول الله
وذكر السوء فيه والخلاف له قوله تعالى وان الله علام الغيوب
اي علام الغيوب التي غابت عن الخلق والا ليس شيء يغيب عنه ما غاب
عن الخلق وما لم يغيب عنه يحل واحد ويحتمل اي علام بما يكون ابدا
في الاوقات قوله تعالى الذين يلزون المطوعين من المؤمنين
في الصدقات الآية ليثبته ان يكون الآية صلة قوله ومنهم من عاهد الله
لئن آتينا من فضله الي قوله وهم معرضون ان اهل النفاق كانوا
اهل بخل لا ينفقون الامرا آتوا سمعة وظنوا بمن انفق من المسلمين
ونصدق ظنا بانفسهم فخالوا انهم انفقوا ونصدقوا امرآت وسمعة
وذكر في بعض القصص ان عبد الرحمن بن عوف اتي بنصف ماله في غزوة
تبوك يتقرب به الي الله تعالى وقال يا بني الله هذا نصف مالي تبتك
به وترك نصفه لعيالي قد عاله نبي الله ان يبارك له فيما اعطاه وفيما
امسك فلم ينفق المنافقون وقالوا ما اعطي الا رياء وسمعة وما رجل من فقراء
المسلمين بصايح من يتقرب من الله الصدقة فقال له نبي الله خذوا ودعا
له فقال المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا فذلك لمزهم فانزل الله
تعالى قوله الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهنم يعني الذي كجاء بصايح
قال القتيبي يلزون يعيرون قوله تعالى والذين لا يجدون
الا جهنم اي طاقتهم والجهنم المشقة وقال ابو عوف سمعة

الجهد ثقات الرجل من المال القليل يقال جهد الرجل ان كان من الضعيف
 او الفقر آ يقال جهد في العمل جهد اذا بالغ في العمل وقال
 ابو عبيد الجهد مثل الوسع والجهد الطاقه وكذا قال ابو معاوية
 قلت على شيئين احدهما اثبات الرسالة لانه معلوم ان ما كان منهم
 من اللغو لم يكن ظاهراً بل كان سراً ثم اخبرهم رسول الله بذلك ذلك
 انه انما عرف ذلك بالله تعالى والثاني ان الامور التي فيها بين الخلق انما
 يُنظر الي ظواهرها وان كان في الباطل علي خلاف الظاهر حيث عوتبوا
 بما طعنوا بالرياء والسمعة ليعلم ان الامور التي بين الخلق انما تحمل علي
 ظواهرها والحقيقة هي ما نطق واستر به مخلف العمل لله والسر ما يستر
 المرء في نفسه والنجوي هي اجتماع جماعة علي نحو من الارض اي المرتفع
 من المكان لا سوار قول الله تعالى فيسخرن منهم سحر الله منهم قال
 بعضهم ان من اعتذر الي آخر فيقبل عذره علي علم من المعتذر اليه انه لا عذر
 له فيما يعتذر انه كاذب في ذلك فقبول المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر
 سخرية من المعتذر اليه الي المعتذر وقال بعضهم سحر الله منهم اي يحزيم
 جزاء السخرية فتسمي جزاء السخرية باسمها وان لم يكن الثاني سخرية
 كما سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء فعلي ذلك الاول
 ويحتمل سحر الله منهم اي يحزيم او ليأمر الله منهم فاضيف اليه وكذا يحتمل في قوله
 الله ليستنزلوهم اي ليستنزلوهم او ليأمره وذلك قوله في الآخرة ارجعوا وراكم
 فالتصوان واذا ذلك استنزلوهم بهم وجائز اضافة الشيء الي آخر والمراد
 منه غير المضاف اليه لكن من يكون من المتصلين به قوله تعالى استغفر
 لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال
 عامة اهل التأويل انه لما مات عبد الله بن ابي اراد النبي ان يصلي
 عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه وقال ما أمرك الله بهذا قال استغفر
 لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال
 صلى الله عليه وسلم قد حيتني ربي فقال افعل او لا تفعل وفي بعض الروايات
 قال له عمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر اف لا
 استغفر احداً وسبعين مرة او كلام نحو هذا فانزل الله تعالى عند ذلك

٢٧

ستوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم لكن هذا
 بعيد وهو ان يفهم رسول الله من الآية التخيؤ وعمر بمنعه عن ذلك
 ولا يجوز ان يفهم التخيؤ في ذلك او يخرج ذلك علي التحديد في السبعين
 ولا يحتمل ان لو كان ينسخ بقوله ستوا عليهم استغفرت لهم ام لم
 تستغفر لهم ان يغفر الله لهم لان ذلك بعيد والوعيد لا يحتمل النسخ
 ذلك ان ما حمل الآية عليه اهل التأويل لا يستقيم ثم الوجه فيه
 والله اعلم ان استغفرت لهم فان استغفرك ليس بالذي يرد في
 مجابك لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد تعلم من حكيم ان لا يغفر
 من مات علي ذلك يخرج علي الاعتذار لرسول الله في ذلك والنهي له
 عن الاستغفار لهم وهو كقول ما كان للنبي والذين آمنوا ان تستغفروا
 للمشركين ولو كانوا اولي قربى الآية وقد علم شرك المنافقين وكفروهم
 بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل
 ان يطلع رسوله علي كفرهم فدل ان بعد العلم بذلك نهاه في الآية
 دلالة لبعض قول المعتزلة في قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له
 لانه اخبر انه لا يغفر لهم ما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكفر
 بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر
 ثم طلب المغفرة من الله تعالى والشفاعة لغيره لا يكون الا لخوادم من الخلق
 وهم الرسل والانبياء عليهم السلام علي ما يكون في الساهر لا يرفع الي ملوك
 الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا اهل الشرف
 والمنزلة عندهم لكن الله تعالى اذن لنا في استغفار رعيه نأبوقوله والذين
 جاهدوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
 بالايمان ثم قوله ستوا عليهم استغفرت لهم يحتمل ستوا عندهم استغفرت
 او لا تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استنزال
 منهم له حيث قال سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا
 واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر لنا يخرج الاستنزال علي
 هذا التأويل ويحتمل قوله ستوا عليهم اي ستوا عند الله استغفرت
 او لم تستغفر لهم فانه لا يغفر لهم لكفرهم بالله ورسوله قوله تعالى

والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة لفستهم
في الدنيا اذا ما تواعلي ذلك ثم قوله ان يستغفروا لهم سبعين مرة
يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هو النهاية والغاية في الاستغفار
علي ما روي عن النبي صلى الله عليه انه كان يستغفر في كل يوم سبعين
استغفارا اخبرناك وان انتهيت في الاستغفار النهاية لا يغفروا ولا
ينفع لهم والله اعلم قوله تعالى فريح المخلفون متعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا ان يجاهدوا بآموالهم جمع الله تعالى خصال المنافقين في هذه
الآية احدها ما ذكر من الفرج بالتخلف عن رسول الله والخلاف له والثاني
كراهتهم الجهاد مع رسول الله وتخلهم بآموالهم والثاني صدم الناس عن
الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم لا تنفروا اي الخبر ثم قوله فريح
المخلفون والاشكال انه ذكر المخلفون لان الله تعالى خلقهم لما ذكرنا ان
خرجهم لا يزيدهم الا خبالا وقتا داواهم بغفون الفتنة ويسمعون كلامهم
عن ذلك وهو كقولهم ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله
انبعاثهم فنبطهم اي حبسهم فعلى ذلك قوله فريح المخلفون ويحتمل سمو
مخلفين لما خلفهم اصحاب رسول الله عليه السلام لو ارادوا ان يخرجوهم
كرها لقد راو على ذلك فم كالمخلفين من هذا الوجه وان كانوا متخلفين
حقيقه ثم قوله لم تعدهم خلاف رسول الله اي مخالفة رسول الله وقراء
خلف رسول الله اي فريحو المتعدهم حلف رسول الله اي بعد خروجه
ثم الختم لم تعدهم اي بقعودهم خلفه لان المفعول يذكر للمصدر ويحتمل المتعدهم
اي موضع بقودهم وهو منازلهم وأوطانهم قوله تعالى وكرهوا ان
يجاهدوا بآموالهم وانفسهم في سبيل الله اي كرهوا ذلك لبعثهم وخلافهم
الذي في قلوبهم قوله تعالى وقالوا لا تنفروا اي الخبر هذا الخروج في
الظاهر على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكونوا ارادوا ذلك انما ارادوا
حبسهم عن الخروج في سبيل الله لكن المؤمنين لا يستمعون عن الخروج في سبيل الله
اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا وهو كقولهم الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يحبسون المؤمنين عن الخروج في سبيل الله ولو
اطلقوا القول في المنع وصرحوا به لفهم المؤمنون ذلك وظاهر نفاقهم ويحتمل ان يكون

قوله لا تنفروا اي الخبر قالوا ذلك لا تباعهم للمؤمنين كقوله وقالوا لا تنفروا
اذا ضربوا في الارض او كانوا غفرا الآية قوله تعالى قل نارجهم
اشد حرا لو كانوا ينفقون اي لو كانوا ينفقون ما نزل على رسول الله
لعلموا ان نارجهم اشد حرا من حير الدنيا ويحتمل اي لو كانوا ينفقون
انهم لم يخلفوا في الدنيا لادنيا خاصة ولكن خلفهم فيها ليمتحنهم ليعلموا ان
الموعودة في الآخرة اشد ممتا مقنونا في الدنيا قوله تعالى فليضكوا
قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور
والبكاء كناية عن الحزن يقول افرحوا وسروا قليلا ويحزنون في
الآخرة طويلا كثيرا ويحتمل ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا ينفقون
وليستهم بكون بالمؤمنين في الدنيا يقول فليضكوا قليلا لان الدنيا
قليلة ينقطع وليبكوا كثيرا لان الآخرة لا ينقطع قوله تعالى جزاء
بما كانوا يكسبون ظاهره قوله تعالى فان رجعت الله الى طائفة
منهم فاستأذنوك للخروج ذلك قوله فان رجعت الله الى طائفة منهم
ان ليس كل من تخلف عنه في ذلك فهو منافق ولا كل المنافقين يخلفون
عنهم وقوله طائفة منهم دليل ان الكل ما يخلفوا بل البعض كانوا مع
النبي وكذا يدل على ان بعض المتخلفين ليس منافق لانه قال فان
رجعت الله الى طائفة منهم ولم يقل اليهم وقوله فاستأذنوك للخروج
فقل لن يخرجوا معي ابدا ولن تقا تلوا معي ابدا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
لختمل وجهين احدهما اي لن آذن لكم ان يخرجوا وللذين لكم ان تقا تلوا
معى عدوا منهم عن ذلك عقوبة عليهم لما في ذلك من ظهور نفاقهم
اذ نظرا للمسلمين لما اخبروا ان خروجه معهم لا يزيدهم الا خبالا وقتا داوا
ويحتمل ان يكون على سبيل الاخبار اي وان اذنت لهم بالخروج فلن يخرجوا
فكان هذا اخيارا عن امر في المستقبل وكان كما اخبر فيكون دلالة
رسالة الله اعلم قوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين قتل المتخلفين وهم
المنافقون ويحتمل اي اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقالت بعضهم مع النساء
والزمنى وهما واحد قوله تعالى ولا تصلي على احد منهم ما تابدأ
قوله تعالى منهم اي من المنافقين ذكر في بعض القصص انه لما مات

عبد الله بن أبي جارة ابنه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اتي
مات وأوصاني ان تكفنني قميصك وان تضلي علي فخلع النبي قميصه
فاعطاه ومشي وقام علي قبره وروي في بعض الاخبار انه صلى عليه
والبسمة قميصه فقيل له تلبس عد قاله قميصك فقالت لاني ارجو ان
ان يسلم من قميصي من بني الخنزرج الف فذكر انه لما فعل ذلك رسول الله
الف رجل من المنافقين وروي انه لم يصل عليه فلان ربي كيف كان الامور
بعد ان جاز النبي عن الصلاة علي المنافقين والقيام علي قبرهم بقوله
ولا تضلي علي احد منهم الآية فوجب العمل به وقد روي عن عمرو بن
في حديث فيه طول ان عبد الله بن ابي لهب لما توفي جارة ابنه الي النبي
واخبره بذلك فقال يا رسول الله هذا قد وضعناه علي سرير فقم فضلي
عليه فضلي عليه ثم مشي رسول الله معه وقام علي قبره حتي دفن ثم لم يلبث
الا قليلا حتي انزل الله تعالي ولا تضلي علي احد منهم ابدا ولا يتم علي قبره
ابدا فوالله ما صلى رسول الله علي احد من المنافقين ولا قام علي قبره بعد
قوله تعالي انهم كفروا بالله ورسوله وما تزاوهم فاسفون ستاهم
فتقه واسم الكفرة اجمع واذا مكنهم جمعوا مع الكفرة انواع الفسق فسماهم
به ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون اليه انما اعتقدوا
بهواهم اذ الفسق يحوم علي كل ذي مذهب ودين وكل يانف عن الفسق
ويقبره ولا كذ لك الكفر لان كل من آمن بشئ كفر بضده واصل الفسق
هو الخروج عن الامر والله الموفق قوله تعالي ولا تعجبك اموالهم
وأولادهم انما يريد الله ان يعذبهم به في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون قد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالي واذا آتت سورة ان
آمنوا بالله وجاهدوا مع رسول الله اي اذا انزلت سورة فيها ان آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسول الله لا انها تنزل بهذا الحرف لكن فيها ذكر ان آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسول الله وهو قوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وقوله ان آمنوا بالله اي بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان بلسانهم اذ الايمان
هو التصديق وهو عمل القلب ويحتمل ان آمنوا بالله اذ هم لم يكونوا مؤمنين
حقيقة قوله تعالي استاذنك الوالطول منهم قيل الوالطول هم

اهل الفناء والسفه وقيل هم اهل الشرف والفضل الذين كانوا
يعبدون عن اراهم وينظرون الي تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق
اهل السعة والفناء واهل الراي والتدبير قوله تعالي وقالوا
ذرنا نكن مع القاعددين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم بما كانوا
يوالون اهل الشرك سدا فكم هو القتال مع الاولياء ويحتمل انهم
كانوا يتخلفون ويبتنعون عن الخروج الي القتال لغشلمهم وجبنهم
لانهم كانوا لا يعملون لعواقب ياملون انها كانوا يعملون لمنافع حاضرة
لذلك كانوا المتنبعون عن القتال لما فيه خوف ذهاب ذلك فاما اهل
الايمان فانهم انما يعملون للعواقب وكذلك اهل الكفر انما كانوا يقاتلون
اهل الايمان لعاقبة الغنيمة في الدنيا ودفع السدة عن انفسهم لئلا يسلطوا
وقوله ذرنا نكن مع القاعددين يحتمل مع القاعددين من الضعفاء والمرضى
والصبيان والنسوان اي ذرنا نكن مع هؤلاء حتي اذا اتيهم العدو
من بعد ما خرج الرجال الي قتال العدو يقومون لدفع العدو
عن هؤلاء ويحتمل قولهم ذرنا نكن مع القاعددين اي مع اهل العذر يرون
من انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم في ذلك عذر وهو قوله يقولون
ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فعلي ذلك يحتمل الاول والله اعلم
قوله تعالي رخصوا بان يكونوا مع الخوالب قتل مع النساء وهذا
حرف تعيير وتوبيخ اي رخصوا بان يكونوا في مشاهد النساء دون مشاهد
الرجال قوله تعالي وطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون ان الايمان نورا
يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب ومن الامور
فتصير بادية ظاهرة وللکفر ظلمة تستر الظاهر من الامور فذلك
هو الطبع وقد ذكرنا الوجه في غير موضع وقوله فهم لا يفقهون
اي ما يلحقهم من التغيير برضاهم بالقعود مع الخوالب قوله تعالي
لكن الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي بذلوا اموالهم وانفسهم لنضيد بين الله واطهار سبيله ولم يخجلوا كما يخجل
اهل النفاق ببذل اموالهم وانفسهم في نصرة دينه والمجاهدة مع اعدائه

وَلَمْ يَحْقُقُوا الْإِيمَانَ وَالْمُصَدِّقَ ثُمَّ أَخْبَرُوا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ
وَالْمُصَدِّقَ وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ وَجَاهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُظْهِرَ سَبِيلُهُ ثُمَّ قَالَ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ قَالَتْ بَعْضُهُمْ لَهَا الْخَيْرَاتُ
إِلَى الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْحَسَنُ وَسُلُوكُ النَّاسِ طَرِيقَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الثَّوَابُ
وَالْجَزَاءُ وَقِيلَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ أَيُّ الْخَيْرِ
الْعَيْنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمْ خَيْرَاتٌ حَيَّانٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْمَفْلُوحُ الَّذِي يَنْظُرُ بِحَاجَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ جَنَاتُ
يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْعَظِيمَ
لَيْسَ يَتَّقُ بَيْنَهُمَا يَتَّقُ بَيْنَهُ الْفُلُوحُ وَالْكَافَّةُ وَلَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْقُدْرَةُ وَالْمَنْزِلَةُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ قَالَتْ بَعْضُ
أَهْلِ التَّأْوِيلِ الْمُعَذَّرُونَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَأْذَنُونَ مِنَ الْقَعُودِ وَلَا عُذْرَ لَهُمْ
فِي ذَلِكَ وَقَالَتْ الْكَلْبِيُّ الْمُعَذَّرُونَ هُمُ الَّذِينَ لَهُمْ عُذْرٌ وَبِهِمْ عِلَّةٌ وَقَالَتْ
بَعْضُهُمُ الْمُعَذَّرُونَ هُمُ الْمُعْتَذِرُونَ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَمَى اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ قَرَأَ
الْمُعَذَّرُونَ بِالْخَفِيفِ وَقَالَتْ لَعَنَ اللَّهُ الْمُعْتَذِرِينَ كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُعَذَّرَ
هُوَ الَّذِي لَهُ عُذْرٌ وَالْمُعَذَّرُ بِالْتَّشْدِيدِ الَّذِي لَا عُذْرَ لَهُ لِذَلِكَ لَعَنَ الْمُعْتَذِرِينَ
وَقَالَتْ أَبُو مَعَاذٍ الْكُشْرُ كَلَامُ الْعَرَبِ الْمُعَذَّرُ الَّذِي لَهُ عُذْرٌ وَهُوَ قَوْلُهُمْ
قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ وَقَالَتْ أَبُو عَوْسَجَةَ الْمُعَذَّرُ بِالْتَّشْدِيدِ الَّذِي لَا يُبَاحُ إِذَا
يُرِيدُ أَنْ يُعْذَرَ وَيُقَالَتْ عَذَّرْتُ فِي الْأَمْرِ إِذَا لَمْ يُبَالِغْ فِيهِ وَأَعْذَرْتُ فِي الْأَمْرِ
إِذَا بَالِغْتُ فِيهِ وَقَالَتْ الْقَتَبِيُّ الْمُعَذَّرُونَ بِالْتَّشْدِيدِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
أَنَّهُمْ يَعْصُونَ بِمَا لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلُوهُ يُقَالَتْ عَذَّرْتُ فِي الْأَمْرِ إِذَا قَرَّرْتُ
وَأَعْذَرْتُ جَدَّدْتُ وَقَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ ذَلِكَ هَذَا عَلَى أَنَّ أَهْلَ
التَّفَاتِ كَانُوا صَنَفَيْنِ صَنَفٌ كَانُوا يُسْتَأْذَنُونَ مِنَ الْقَعُودِ وَصَنَفٌ لَا يُسْتَأْذَنُونَ
وَلَكِنْ يَقْعُدُونَ بِقَوْلِهِ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَقَدُوا
الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَذَلِكَ
قَوْلُهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يَقُلْ سَيُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْمُعَذَّرُونَ
بِالْخَفِيفِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَهُمْ عُذْرٌ فَتَحَلَّفَ التَّوَابُّ رَسُولُ اللَّهِ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِمْ

أَلَا وَفَقَّ أَنْ كَانَ لَهُمْ الْخُرُوجُ أَوْ فُقَّ يَخْرُجُونَ وَإِنْ كَانَ الْقَعُودُ أَوْ فُقَّ
يَقْعُدُونَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْآيَةُ الَّتِي سَلَوُا هَذِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ الْآيَةُ فَإِنْ قِيلَ
أَيُّ فَاحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ آيَةً وَاحِدَةً فِي الْفَرِيقَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ إِذَا قُرِيَ بِالْخَفِيفِ
فَهِيَ فِي الدِّينِ لَهُمْ عُذْرٌ وَإِذَا قُرِيَ بِالْتَّشْدِيدِ كَانَتْ فِي الدِّينِ لَا عُذْرَ لَهُمْ
قِيلَ لِيَصْرَحَ عَلَى اخْتِلَافِ الْقِدَارَةِ كَأَنَّ فِي حَالَتَيْنِ وَوَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ
أَنْ كَانَ تَأْوِيلُ الْمُعَذَّرِ بِالْتَّشْدِيدِ هُوَ الَّذِي يَعْتَذِرُ وَلَا عُذْرَ لَهُ وَالْمُعَذَّرُ
بِالْخَفِيفِ هُوَ الَّذِي لَهُ عُذْرٌ أَوْ كَانَ تَأْوِيلُ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى ضِدِّ الْآخَرِ
كَأَنَّ لَهُمْ عُذْرٌ فِي حَالٍ وَلَا عُذْرَ لَهُمْ فِي حَالٍ وَالْأَلَا يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْقَوَارِنُ
جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَتَأْوِيلُهُمَا عَلَى الْإِخْتِلَافِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَهُوَ قَوْلُهُ
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَرَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا أَحَدُهُمَا عَلَى الدُّعَاءِ
وَالْآخَرُ عَلَى الْخَبَرِ هُمَا بَيَانُ صَارَتَا آيَةً وَاحِدَةً لِاخْتِلَافِ الْقِدَارَةِ فِي حَالَتَيْنِ
مُخْتَلِفَتَيْنِ كَذَلِكَ هَهُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ لَوْلَمْ يَذْكُرِ الْمَرْضَى وَالَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ لَكَانَ الْمَقْصَدُ مِنْ قَوْلِهِ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ الْمَرْضَى
وَالَّذِي لَا يَجِدُ مَا يَنْفِقُ وَكَذَلِكَ إِذَا ذَكَرَ الْمَرْضَى كَانَ فِي ذِكْرِهِ مَا يَفْهَمُ
مِنْهُ كُلُّ ضَعِيفٍ وَكُلٌّ مِنْ لَا يَجِدُ مَا يَنْفِقُ فَبِئْسَ كُلُّ حَرْفٍ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ مَا يُفْهَمُ
مِنْهُ مَعْنَى الْأَحْرِفِ فَلَمَّا ذَكَرْتُ أَنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ ذِكْرِ الضُّعْفَاءِ الزَّمَنِيِّ مِنْ
نَحْوِ الْأَعْمَى وَالْأَعْرَجِ فَكَانَ كَقَوْلِهِ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ فَتَكُونُ الْآيَتَانِ وَاحِدَةً أَعْنِي مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَفِيهِ دَلَالَةٌ أَنْ لَيْسَ فِي
ذِكْرِ عَدَدٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ حَذْرٌ دَخُولِ غَيْرِ الْمَذْكُورِ فِي حُكْمِ الْمَذْكُورِ إِذَا كَانَ
فِي مَعْنَاهُ وَلِهَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنْ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَدًا فِي الرَّبِّ أَوْ بِقَوْلِهِ الْخَنْطَةُ بِالْخَنْطَةِ وَالزَّهَبُ بِالزَّهَبِ
وَالْفُضْلُ بِوَأَعْلَى أَنَّهُ لَا لِمَعْنَى وَرَدَّ وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ مَا لَمْ يَذْكُرْ لَمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَوْ
ذَكَرَ الضُّعْفَاءُ لَدَخَلَ الْمَرْضَى وَالْأَعْمَى وَالْأَعْرَجُ وَجَمِيعٌ مِنْ ضَعْفٍ عَنِ الْخُرُوجِ
مِنْ أَنْوَاعِ الْأَعْدَارِ ثُمَّ لَمْ يَذْكُرْ مِنَ الْعَدَدِ عَلَى تَخْصِيصِهِ أَنَّهُ لَا لِمَعْنَى ذَكَرْتُ قَبْلِي
ذَلِكَ خَبَرُ الرَّبِّ أَوْ لَمْ يَجْعَلِ الْعَرَجَ وَالْعَمَى وَالْمَرْضَى وَعَدَمَ النِّفْقَةِ عَدَدًا فِي تَرْكِ

الخروج ولم يجعل شدة الجحيم وبعد المسافة وكحوله عذراً بقوله وقالوا
لا تنفروا في الجحيم قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا ينفقون وأصله
والله أعلم أن كل ما لم يعمل في المنع عن الخروج لسهولة أو لطمع بوجي نيله
من التجارة وكحوله لم يكن ذلك عذراً لأنه ترك الخروج أشد الجحيم
وبعد السفر وحول العدو مما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصرد ذلك
عذراً في التخلّف عن الخروج للجهاد وأما حال المريض والزمانة وعدم
النفقة منهم وتجزؤهم عن الخروج في كل ما يفتقرون وليستهمون صار ذلك
عذراً لهم بالتخلّف عن الخروج إلى الجهاد والثاني بمحتمل أن كل ما يفتقر
علي دفعه لحال لم يجعل ذلك عذراً في التخلّف وما لا سبيل لهم إلى دفعه
فهو عذر والخبر وبعد السفر وحول العدو يجوز أن يدفع فيصير كأن ليس
مقابلتها ما هو أعظم منه وذلك قوله قل نار جهنم أشد حرًا وإذا ذكر شدة
حر نار جهنم وبعد سفر الآخرة وأحواله كان عليه الخروج وسهّل
فارتفع ذلك فلذلك صار أحدهما عذراً والآخر لا والله أعلم قول **تعالى**
إذا نكحوا الله ورسوله قيل لم يجدوا أحداً في دينه ولم يغشوا أحداً في
ديناه وقيل أي أطاعوا الله ورسوله في الحضرة ولم يتركوا طاعته
قوله **تعالى** ما على المحسنين من سبيل أي ما على المحسنين من سبيل في
تركهم الخروج إذا لم يجدوا على الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما يفتقرون
والله أعلم **قوله** **تعالى** والله غفور رحيم أي بتركهم الخروج وتخلّفهم عن
الجهاد مع الاعتذار **قوله** **تعالى** ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت
لا أجد ما أحملهم عليه الآية ذكر في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال لو لا أن أشق على أمتي أو قال على المؤمنين والأخوات في كل شربة بعثتها
لأنهم لا يجدون ما يفتقرون فيخرجون ولا أحد ما أحملهم عليه فيشق عليهم
مفادتهم أيا نافع لا حرج عليهم بترك الخروج إذا لم يجدوا ما يفتقرون ولا ما
تحمل عليه ثم قال ولكن السبيل على الذين لم يجدوا ما يفتقرون فيتركوا الخروج
بقوله إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء وصواباً أن يكونوا مع
الخوالب أي مع البشار **قوله** **تعالى** وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
قد ذكرتها وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الآية الأولى وطبع

على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة الشيء بغيره والعلم هو وقوع
العلم لا لغرض ولذلك يقال الله عالم ولا يجوز أن يقال فقيه فآخبر
تعالى أنهم ما عرفوا الحق بالغير ولا بأنفسهم عناداً منهم ومكابرة قول **تعالى**
يعتذرون اليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم فيه أنباء عما
يقول المنافقون إذا رجعوا إليهم وتعليم من الله لرسوله والمؤمنين فما
يقولون لهم وماذا يجيبون أخبر أن المنافقين يعتذرون عن التخلّف
والفتور عن الجهاد إذا رجعوا إليهم فعلم الله تعالى رسوله والمؤمنين فقال
قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم أي لن تصدقكم بما تعتذرون أي بما تظهرون
لأنفسكم من العذر وقوله قد نبأنا الله من أخباركم محتمل أي نبأنا الله
تعالى أنكم لا تصلحون أبداً كما قالت أمهم رجس وماؤيهم جهنم أخبارهم رجس
وأن ماؤيهم جهنم وقيل قد نبأنا الله من أخباركم حيث قال لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الأحياء إلى أخذ الآية **قوله** **تعالى** وسيرا الله
عملكم ورسوله قال بغضهم وسيرا الله عملكم فيما تستأنفون ومحتمل قوله
وسيرا الله عملكم ورسوله باطلاً ومحتمل وسيرا الله عملكم أي تجزيكم
جزاً عملكم ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك **قوله** **تعالى**
ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة قد ذكرنا أنه ليس شيء يغيب عنه
أو يكون عنده شيء أظهر من شيء ولكن ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنه
محتمل وأحد قول **تعالى** فينبؤكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد والله أعلم
قوله **تعالى** سيكلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا
عنهم محتمل قوله فأعرضوا عنهم أي لحاجتهم أي بحلفون بالله لكم إذا رجعتم
إليهم أنهم يكلفوا الاعتذار لتعرضوا عنهم أي لتجاوزوا عنهم فلا تكافؤهم وأعرضوا
عنهم وأتركوا مجازاتهم لما سألوا من المجاورة وترك المكافاة ومحتمل لتعرضوا
عنهم لا يأتوا بهم ولا تستغل بهم فإنهم لا يصلحون أبداً ذلك قوله أنهم رجس وماؤيهم
جهنم جزاً أي بها كانوا يكسبون **قوله** **تعالى** يكلفون لكم لتعرضوا عنهم أي
لتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر ثم قال فان عرضوا عنهم فإن الله لا يبرئهم
عن القوم الناصقين أخبر أنكم إن رضيتهم عنهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم
فإن الله لا يبرئهم عنكم لما يعلم أنه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم من العذر والله أعلم

وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ نَهْيٌ عَنِ الرِّضَاعَتَيْنِ اعْتَدَا إِلَى الْمَرْءِ وَخَلَفَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَةَ
حَالِهِ لِأَنَّ الرِّضَاعَةَ الْخَلْقَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنفَاءٌ يَكُونُ بِالْخَلْفِ وَمَا يَكُونُ مِنَ الظَّاهِرِ
وَفَأَمَّا لَا وَتَوَقُّفٌ لَهُمْ عَلَى الْبَاطِنِ أَمَّا رِضَاؤُ اللَّهِ تَعَالَى أَنفَاءً يَكُونُ بِنَاءً عَلَى حَقِيقَةِ
الْبَاطِنِ وَإِنَّمَا نَهَى النَّبِيَّ وَاسْتَحْبَاهُ عَنِ الرِّضَاعَتَيْنِ أَوْ لِيَكُنَّ لِمَا أَعْلَمَهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ حَالِهِمْ
أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
يَحْتَمِلُ هَذَا الْجَمْعُ أَحَدَهُمَا أَيْ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَهُوَ
أَن رَسُولَ اللَّهِ دَعَا كَثِيرًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَمُنَافِقِينَ إِلَى الْإِيمَانِ فَأُولَئِكَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ يَقُولُ
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ فَلَمَّا أُولَئِكَ مِنْهُمْ هُوَ لَا يَقْبَلُ لِحُوطَاتِهِ مِنْ
الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا اقْتَرَبُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَحَوَالِيهَا فَاجْتَبَاهُمْ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
وَلَحْتَمِلُ أَنَّهُ إِرَادَةُ الْأَعْرَابِ الْأَعْرَابُ جَمْلَةُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ وَهَذَا الْجَمْعُ
أَحَدُهُمَا أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ كَانُوا يَسْتَمْعُونَ الْآيَاتِ وَالْحُجُجَ وَيُنَاطِلُونَ أَهْلَ
رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ وَمُودَةٍ وَأَمَّا الْأَعْرَابُ هُمُ أَهْلُ بَادِيَةِ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ
الْآيَاتِ وَالْحُجُجَ وَلَا خَالَطُوا أَهْلَ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ فَهِيَ لَاقِيَتْ قُلُوبًا وَاضْبِقَ
صُدُورًا وَأَهْلُ الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ وَأَوْسَعُ صُدُورُهُمْ وَأَسْرَعَ
لِلْإِجَابَةِ وَأُولَئِكَ أَبْطَارُ اجَابَةِ وَابْعَدُوا اللَّهَ أَعْلَمُ وَالشَّيْءُ أَنَّهُمْ وَصَفُوا بِفَضْلِ الْجَهْلِ
تَالَمْ يَوْصَفْ أَهْلُ الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لِذَلِكَ عَلَى مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ لَا يَوْمُكُمْ أَعْرَابِيٌّ وَفِي بَعْضِهَا لَا يَتُومَنُ أَعْرَابِيٌّ مِمَّا جَرَّاهُ فِي بَعْضِ الْخَبَرِ
مِنْ بَدِيعِي وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَا يَكُونُ كَانُوا لَا يَدْخُلُونَ الْأَمْصَارَ وَالْمَدِينَةَ لِيَتَأَدَّبُوا
وَيَتَعَلَّمُوا الْأَدَابَ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُمُ أَجْمَلُ وَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ وَالتَّصَدِيقُ
أَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَصْدَقْ فَإِذَا كَانَ بِالْجَهْلِ مَا وَصَفْنَا كَانُوا
أَشَدَّ انْكَارًا وَتَكْذِيبًا مِنْ غَيْرِهِمْ وَهُوَ مَا ذَكَرُوا جَدْرًا أَنْ لَا يَعْلَمَ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَتَوَلَّى وَصَفَهُمْ بِالْجَهْلِ وَبِالْجَهْلِ يَكُونُ التَّكْذِيبُ وَبِالْعِلْمِ يَكُونُ التَّصَدِيقُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ
أَيُّهُمْ أَقَلُّ عِلْمًا بِالسُّنَنِ وَقِيلَ بِالْعَدَائَةِ وَقِيلَ أَحَدُودَ مَا يُبَيِّنُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَحَاصِلُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَهْلُ جَهْلٍ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ وَالنِّوَاحِي
وَجَمِيعِ الْأَدَابِ وَمَا لَجَلَّ وَمَا لَجَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَيُّ عِلْمٍ

بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ خَلَقَهُمْ حَكِيمٌ حَيْثُ وَضَعَ الْخَلَائِقَ بَوْضِعَ يَدَيْكَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَالْوَهْنَةِ
لَوْ تَدَبَّرُوا وَنَظَرُوا فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ
مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا أَيُّ كَانُوا لَا يُنْفِقُ وَلَا يَحْتَسِبُهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَنْفِقُ وَلَا يَرَاهَا
حَقًّا وَإِنَّمَا يَرَاهَا غَرًّا مَا يَلْقَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا أَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَنَّهُمْ وَمَا جَوَّهَتْ
أَيْدِيَهُمْ لِلَّهِ لَيْسَ لَهُمْ لِمَعْنَى وَأَذَلِكَ غَرًّا مَعْنَى مَوَاوَا لَا تَبْعَةُ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنْ لَمَّا
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَهُمْ لِلَّهِ حَقِيقَةً لَمْ يَعْدُوا ذَلِكَ غَرًّا وَتَبْعَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَتَرَقَّبُ بِكُمْ الدَّوَابُّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوَرِ قِيلَ الدَّوَابُّ هِيَ
الْأَنْفَالُ الْأُمُورُ وَهُوَ مِنَ الدَّوَابِّ وَلِذَلِكَ قِيلَ دَوَابُّ الدَّوَابِّ حَوَادِثُهَا
وَقِيلَ وَيَتَرَقَّبُ بِكُمْ مَوْتَ مُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوَرِ أَيُّ عَلَيْهِمْ أَنْفَالُ
الْأُمُورِ عَلَيْهِمْ مَا يَتَرَقَّبُوا بِالْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
سَمِيعٌ بِمَا قَالُوا وَعَلَيْهِمْ بِمَا أَسْرَوْا وَاضْمَرُّوا قَوْلُهُ تَعَالَى وَمِنَ الْأَعْرَابِ
مَنْ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخَذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ذَكَرَ فِي الْآيَةِ
أَنَّ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَوْلَهُ الْأَعْرَابُ
أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا كَانُوا فِي طَائِفَةٍ مَشَارَ إِلَيْهَا لِأَكْلِ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ
هَهُنَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ آمَنَ وَذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا
أَيُّ لَا يَرَاهُ حَقًّا وَاجِبًا وَلَكِنْ غَرًّا مَا يَلْقَاهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيكَ ذَلِكَ حَقًّا وَاجِبًا
وَلَكِنْ غَرًّا فِي أَمْوَالِهِمْ وَلَجَعَلُونَ ذَلِكَ قُرْبَةً لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ثُمَّ فِي الْآيَةِ
خَوْفٌ دُخُولِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَعِيدِ هَذِهِ الْآيَةِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ
وَلَا يُنْفِقُونَ وَخَوْفٌ لِحُقُوقِ النِّفَاقِ لِأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ يَتَّخِذُونَ مَا يُنْفِقُونَ
مَغْرَمًا مِمَّنْ تَرَكَ إِدَارَتَهُ أَنْ يَتَرَكَ لَأَنَّهُ لَا يُرِيكَ لَكَ حَقًّا لِأَنَّهُ لَوْ رَأَى ذَلِكَ حَقًّا
وَاجِبًا لَأَدَّاهُ عَلَى مَا أَدَّى غَيْرُهُ مِنَ الْحُقُوقِ وَلَوْ كَانَ مَوْفِقًا بِالْبَعْثِ لَانْفَقَ وَجَعَلَ
ذَلِكَ قُرْبَةً لَهُ عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يُنْفِقُ وَيَعْمَلُ لِلْعَاقِبَةِ فَإِذَا تَرَكَ
ذَلِكَ خَافَ دُخُولَهُ فِي وَعِيدِ الْآيَةِ وَلِحُقُوقِ اسْمِ النِّفَاقِ بِوَدَّ أَنْ كُنَّا لَنَشْهَدُ
عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ
الرَّسُولِ قَالَ بَعْضُهُمْ جَعَلُوا مَا أَنْفَقُوا قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ بِصَلَوَاتِ الرَّسُولِ لِأَنَّهُمْ
إِذَا أَنْفَقُوا كَانُوا الرَّسُولَ يَدْعُوهُمْ بِذَلِكَ وَلَيْسَتْ تَغْفِرُ فَكَانَ ذَلِكَ لَهُمْ قُرْبَاتٍ
عِنْدَ اللَّهِ بِاسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ وَدَعَائِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ جَعَلُوا مَا أَنْفَقُوا وَصَلَوَاتِ

الرسول طمأنينة لهم وبرآة من النفاق لان الرسول كان لا يدعوا
لاهل الكفر والنفاق فاذا دعيت لهؤلاء كان لا يدعوا لاهل الكفر والنفاق
فاذا دعيت لهؤلاء وصلي عليهم كان طمأنينة لقلوبهم وعلم لهم للبرآة عن النفاق
وعلي ذلك محتج قوله ان صلواتك تسكن لهم اي تسكن قلوبهم بصلاة
الرسول وتطمئن بانهم ليستوا من اهل النفاق وانهم برآة من ذلك والله اعلم
قوله تعالى الا انها حبة لهم ذكر هذا مقابل ما ذكر في الآية الاولى
وهو قوله ويتوبون بهم الدواير عليهم دأيرة السوء اخبرهم ان ما يتوبون
بالمؤمنين من الدواير عليهم ذلك وهما اخبروا ان ما ينفق المؤمنون ويطلبون
بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعد لهم الجنة بقوله سيدخلهم الله في
رحمته اي في جنته سمي الجنة رحمة لما برحمته بدخلونها لا استيجابا لها
منه بالعمل بل رحمة منه وفضلاً قوله تعالى ان الله غفور رحيم
لما كان منهم من المساوي واليشوك اذا تابوا وآمنوا رحيم حيث لم يؤاخذهم
بذلك قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
يحتمل ان يكون هذا امر بوطأ معطوفا على قوله سيدخلهم الله في رحمته
مع السابقين الاولين اي اولئك الذين آمنوا من بعد اولئك المهاجرين
والانصار يدخلهم في الجنة مع السابقين الاولين من المهاجرين والانصار
وحرف الواو بمعنى مع ويحتمل ان يكون على الابتداء لا على العطف على الاول
ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون هم الاولون في الاسلام والنصرة
وقال بعضهم هم الاولون في الهجرة وقال بعض اهل التاويل السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين تابعوا بيعة الرضوان وقال
بعضهم هم الذين صلوا بالقبيلتين وقال بعضهم السابقون اي الاسلام الاولون
من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا بالقبيلتين قوله تعالى والذين
اتبعوهم باحسان اي الذين اتبعوا اولئك في الاسلام على تاويل من جعل المتابعة
في الاسلام وعلى تاويل من جعل على الهجرة اي والذين اتبعوهم الى يوم القيمة
باحسان وعن عمر رضي الله عنه انه قد ارجح الواو والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان جعلهم فريقين المهاجرين
والانصار ولم يجعلهم طبقة ثالثة وامارة العامة من القراء في علي اثبات

الواو وجعلهم طبقة ثالثة ثم خصوص تسمية اهل المدينة انصارا وان
كانوا والمهاجرون جميعا نصروا رسول الله فهو والله اعلم لا يهمل نصروا
المهاجرين حيث اؤوههم واثر لوهم في منازلتهم واوطانهم وبذلوا انفسهم
واموالهم وان كانوا جميعا في النصر لرسول الله شرعا سواء في الآية
الرد على الروافض لا ينفصلون ابدا بكونهم ومن تابعها ظلمة لا على الحق بتوليم
امر الخلافة والايامة وفي هذه الآية ما يرد عليهم لانه معلوم انهم كانوا داخلين
في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ثم اخبر الله تعالى
انه راض عنهم وانهم راضون عنه بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
انهم كانوا على حق وثواب من الامروا من وصفتهم بالظلم والتعدي هو
الظلم والمتعدي وفيه دلالة جواز تقليد الصحابة والاتباع والاقتداء
بهم لانه مدح من اتبع المهاجرين والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان
ثم اخبر عن جملتهم ان الله تعالى راض عنهم ذلك ان التقليد لهم لازم والاقتداء
بهم واجب واذا اخبروا بخبر واحد في الحديث يجب العمل به ولا يسع تركه
والله اعلم به قوله تعالى ومن حوكم بين الاعراب من قبل الله
اهل المدينة ممدوا على النفاق اخبروا ان من حوكم بين الاعراب ومن
اهل المدينة ايضا ما يقون ممدوا على النفاق ثم قالت بعضهم الممدود
في الشية هو النهاية فيه وقال بعضهم ممدوا على النفاق اي بتواو داموا
عليه وقال بعضهم ممدوا اي عتوا عليه بالغوا فيه اخبروا انهم لشدة مكرهم
وخداعهم وعتوهم لا تعلم انت نحن تعلم كما قال لا تعلم نحن نعلم سنعد بهم
مرتين لان من المنافقين من كان بعد فهم الرسول في الحق القول ومنهم من
كان يعرفه الرسول في صلواته كقولهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كئيبا ومنهم من كان يعرف نفاقه في خلفه عنه في الغزاة بغير عذر
فاخبر عذر وجل ان هؤلاء لشدة عتوهم ومكرهم وفصل خداعهم لا تعرف
نفاقهم نحن نعرف نفاقهم ثم اخبروا انه يغدر متين قال بعضهم القتل والسب
وعين الحسنين قال عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال بعضهم يغدر بهم
بالجوع مرتين وقال ابو بكر الا هم سنعد بهم مرتين القتل والسب وقيل
تغذي به ايام مرتين شدة الموت وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب اليم

وَلَيْسَ بِهِ أَنْ يَكُونَ تَعَذُّبُهُ إِيَّاهُمْ مَرَّتَيْنِ حَيْثُ اخْتِذَ بِالْإِتِّفَاقِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ عِدَاوَةٌ وَامْرُؤٌ آيِضًا بِالْعِتَالِ مَعَ الْكُفَّارِ وَهُمْ
أَوْلِيَاءُ وَهُمْ قَاخِذُ الْعِزِّ بَيْنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْآخِرُ هُوَ الْقِتَالُ
مَعَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْقِتَالُ فِي ذَلِكَ فَإِنْ قِيلَ لِمَ بَلَّغْنَا أَنْ مَنَافِقًا قَتَلَ حَتَّى يَكُونَ
ذَلِكَ تَعَذُّبًا إِيَّاهُ قِيلَ لِمَ بَلَّغْنَا وَلَمْ يَذْكُرْ لِعِلَّةِ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ قَوْلَهُ
لَا تَعْلَمُ فَإِذَا الْمَعْرِفَةُ قَتَلُوا فَهُمْ فِيَقْتُلُونَ كَمَا يَقْتُلُ غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ عِنْدَ الْمَوْتِ صَرْبَ الْمَلَائِكَةِ الْوُجُوهَ وَالْأَدْبَارَ
كَقَوْلِهِ يُصْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَالْآخِرُ عَذَابُ الْقَبْرِ قَوْلُ تَعَالَى
وَأَخْرَجَ مَنْ اعْتَرَفَ فَوَازٍ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا قَالَ عَامَّةُ أَهْلِ النَّوَائِلِ
الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي إِبْنِ لُبَابَةَ وَاجْتَابَهُ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ بَنِي كَنْدَكٍ فَتَدَمَّوْا عَلَى ذَلِكَ
وَاعْتَرَفَ فَوَازٍ وَرَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَابُوا فَقَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ وَوَعَدَهُمْ الْمَغْفِرَةَ
بِقَوْلِهِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْقِصَصِ
أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غَزْوَةِ بَنِي كَنْدَكٍ جَاءَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
عَنْهُ بِأَمْوَالِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا هَذِهِ أَمْوَالُنَا كَالَّتِي خَلَقْتَنَا عَنْكَ فَخُذْهَا
فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنَّا فَكَرَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا فَقَالَ لَهَا أَوْ مَرُّوا بِكَ فَفَزَلَتْ قَوْلَهُ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تَطْهَرُ بِهِمْ وَتَرْكِبُ بِهِمْ وَهَذَا الْوَعْدُ لِكُلِّ مَسْلَمٍ أَرْتَكِبُ ذَنْبًا
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ الْإِيمَانِ ثُمَّ تَدَمَّرَ عَلَى ذَلِكَ وَتَابَ يَرْجِي أَنْ يَكُونَ فِي وَعْدِ هَذِهِ الْآيَةِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ وَذَكَرَ الْمَنَافِقِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الَّذِينَ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا ثُمَّ تَدَمَّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَتَابُوا وَعَدَهُمْ قَبُولُ
التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تَطْهَرُ بِهِمْ اخْتَلَفَ
فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ يَأْخُذُهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ
هِيَ صَدَقَةُ فَرِيضَةٍ ثُمَّ اخْتَلَفَ هُوَ لَا أَنَّهُ آيَةُ فَرِيضَةٍ هِيَ قَالَ بَعْضُهُمْ هِيَ فَرِيضَةُ
زَكَاةِ الْأَمْوَالِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هِيَ فَرِيضَةُ كَفَّارَةِ الْمَا ثُمَّ قَالَتْ هِيَ كَفَّارَةُ
قَالُوا إِنْ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ بَنِي كَنْدَكٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَأَمَرَ اللَّهُ
تَعَالَى رَسُولَهُ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَيَصَدِّقَ بِهَا عَلَى الْفَقَرَاءِ كَفَّارَةً لِمَا أَرْتَكِبُوا
وَمَنْ قَالَ هِيَ فَرِيضَةُ زَكَاةِ الْمَالِ تَعَلَّقُوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ
ابْنَ أَبِي حَاطِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا

فَقَالَ وَبِكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تَوَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا فَقَالَ وَبِكَ يَا ثَعْلَبَةُ أَمَا تَرْضَى
أَنْ تَكُونَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُسَيِّلَ الْجِبَالَ عَلَى ذَهَبًا
لَسَأَلْتَ ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا فَوَاللَّهِ لَئِنْ
أَتَانِي مَالًا لَا أُوتِينَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَدَعَا لَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَ ثَعْلَبَةَ مَالًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
وَذَكَرَ أَنَّهُ اخْتُذَ عَنْهَا فَمَثَلَتْ كُلَّ يَوْمٍ الدُّودَ حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ أَرْزَقَهُ
الْمَدِينَةُ فَتَنَحَّى بِهَا وَكَانَ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَيُخْرِجُ إِلَيْهَا
ثُمَّ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَرَاغِي الْمَدِينَةِ فَتَنَحَّى بِهَا فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
ثُمَّ يَتَّبِعُهَا ثُمَّ يَتَنَحَّى بِهَا فَكَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ يَتَّبِعُهَا ثُمَّ يَبْلُغُ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ
تَوَكَّلَ الْجُمُعَةَ وَالْجُمُعَاتِ فَتَنَحَّى بِهَا وَتَتَلَقَّى الرُّكَّانَ فَيَسْأَلُهُمَا عَنِ الْخَبَرِ وَعَمَّا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً فَبَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الصَّدَقَةِ رَجُلَيْنِ فَكُتِبَ لهُمَا فَرَأَى الصَّدَقَةَ وَأَمْرَهُمَا أَنْ
يَسْعِيَا فِي النَّاسِ وَيَأْخُذَا صَدَقَاتِهِمْ وَأَنْ يَمْدَا ثَعْلَبَةَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ
فَيَأْخُذَ صَدَقَاتِهِمَا فَخَرَجَا بِصَدَقَاتِ النَّاسِ فَصَوَّبَا بِالسَّلَامِ فَأَقْرَارَهُ كِتَابُ
رَسُولِ اللَّهِ فَطَاعَ بِالصَّدَقَةِ وَمَرَّ ثَعْلَبَةُ فَأَقْرَارَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هَذِهِ إِلَّا جَزِيَّةٌ أَوْ اخْتِ الْجَزِيَّةَ فَإِذَا فَرَعْتُمَا فَمَرَّا بِي حَتَّى
أَرِي رَأْيِي فَلَمَّا فَرَعْتُمَا مِنَ النَّاسِ مَرَّ بِهِ فَقَالَ لَهَا مِثْلَ مَا قَالَ وَقَالَ
أَنْطَلِقَا فَإِنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ
لَنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ الْآيَةُ إِلَى هَذَا ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ النَّوَائِلِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنْ
الصَّدَقَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ هِيَ صَدَقَةُ تَطْوَعُ وَأَنَّهُ
أَمْرٌ نَذِيبٌ لَا أَمْرٌ حَتْمٌ وَهُوَ مَا ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَحْتَسِبُ النَّاسَ عَلَى الْإِتِّفَاقِ
بِغَزْوَةِ بَنِي كَنْدَكٍ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِكَذَا فَلَانَ بِكَذَا فَأَخَذَ هَاهُنَا مِنْهُمْ وَهَاهُنَا
فَذَلِكَ قَوْلُهُ الَّذِينَ يَلْزَمُونَ الْمَطْوَعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ
هِيَ بِنِ كُلِّ صَدَقَةٍ تَطْوَعُ قُلْتُ أَوْ كَثُرَتْ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً أَمْوَالُ
لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَقْدَارَ مَا رَأَى الْمُصْلِحَةَ فِيهِ لَا يَأْخُذُ الْكُلَّ لِأَنَّهُ
أَخَذَ الْكُلَّ مَجْزُوعًا وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَكُنْ أَمْوَالُهَا
مِنْهَا وَطَائِفَةٌ مَقْدَارًا يَكْفُرُ مَا أَرْتَكِبُوا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ هِيَ الْكَفَّارَةُ وَإِنْ

كانت زكوة فالمراد القليل لا الكل لان كلمة من المتبعين والله اعلم
قوله تعالى تطهرهم وتزكهم بها ان كفارة صدقة الزكاة فهي تطهر
آثامهم وتزكي آثامهم حتى يقيس عليهم اخراج الصدقة وادواها الي اهلها
وان كانت صدقة الكفارة لمن يحلف عن غزوة يتوك في يكثر آثامهم التي لحقتهم
ذلك وتطهرهم قتل وتصلهم وهي طاهرة وان كانت صدقة تطوع فهي ما ظهر
ايضا وتزكهم لما سبى عنهم البخل ويؤدي الي اجود والكرم الاترك انه مدح من
اعطي وذر من بخل ومنع بقوله فامن اعطي واتقى وصدق بالحسني فسنيلهم
للشري واما من بخل واستغنى وكذب بالحسني فسنيلهم للعسري
قوله تعالى وصلي عليهم ان صلواتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا اتى احد بصدقة دعا له ولستغفرو وكان لا يستغفر
لاهل النفاق وكان قلوبهم تسكن وتطمين باستغفار النبي لما علموا بذلك
انهم ليسوا من اهل النفاق والله اعلم وحتمل وجه آخر وهو ان الله
تعالى امر رسوله ان يستغفرو لهم ويصلي عليهم ثم لا يحتمل ان يأمره بذلك
فلا يفعل او فعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن وتطمين باستغفار النبي
اياهم لما قبلت قلوبهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم قوله تعالى والله سميع
عليم قد ذكرنا تاويله غير مرة ثم قوله خذ من اموالهم صدقة فيه دلالة
على ان الصدقة اذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن اربابها
وان لم يقع في ايدي الفقراء ولم تصل اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة
ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية والله اعلم وفيه
استدلال لمحمد رحمه الله ان الواقف اذا وقف واخرجه من يديه
وجعله في يدك من لاحق له في ذلك فهو جائز ويكون وقفا صحيحا
جائزا والله اعلم ومن الناس من استدل بهذه الآية على ان للامام ان
يطلب بركات المواتي والاموال الظاهرة فان الله تعالى امر بذلك
لرسوله وكذلك مضت السنة من رسول الله في بعض المصدقين الي
احياء العرب والاقاق والبلدان لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها
وعلي ذلك فعل الائمة من بعده ابي بكر وعمر والائمة الراشدين وظهر
العصل بذلك من بعدهم الي يومنا هذا حتى قال ابو بكر رضي الله عنه

لما امتنعت العرب من اداء الزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤذون
رسول الله حاد يثم عليه فذلك بما يؤد ما ذكرنا من حق المطالبة لا بما
بزكوة الاموال الظاهرة وقد بين الله تعالى في ذلك بيانا شافيا
بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها جعل للعاملين
عليها حقا فلو لم يكن علي الايام ان يطلب ارباب الاموال بصدقات
الانعام بما كانوا وكان ادواها الي ارباب الاموال لم يكن لذكر العاملين
وجه ولم يلقنا ان النبي صلي الله عليه وسلم بعث في مطالبة المسلمين
بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك او منهم
من حملها الي الائمة فنقلون ما يحمل اليهم منها ولا يسألون احدا
عن مبلغ ماله ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه عمر العشاريين
الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم فمن بعد داره وسق عليه
ان يحمل صدقته اليه وقد جعل في كل طرف من الاطراف عما شئت التجار
اهل الحرب والذمة فامران ياخذوا من تجار المسلمين ما يدفونه
اليه فكان ذلك من عمر تخفيفا علي المسلمين لان علي الايام مطالبة
ارباب اموال العين واموال التجارة باداء الزكاة اليهم سوي المواتي
والانعام وان مطالبة ذلك الي الائمة الا ان ياتي احد منهم الامام
بشيء من ذلك فيقبله ولا يتعدي عما جرت به السنة الي غيره والله اعلم
قوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ
الصدقات يحتمل قوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
من تاب ويحتمل علي الامور الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة من تاب
وقوله وياخذ الصدقات تسل يقبل الصدقات ويشبه وياخذ الرسول
الصدقات لكن اضاف اخذ رسوله الي نفسه وذلك في القرآن كثير وهو
كقوله خذ من اموالهم صدقة والله اعلم قوله تعالى وان الله هو
التواب الرحيم قال ابو بكر الاعمى التواب يذكر لمعنيين احدهما بمعنى العافي
يقال تاب الله عليه اي عفى عنه ويريد معنى التائب للمبالغة والتواب
عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزمه مع التوبة كفارة
اخرى وان كان ارتكب مساوي وفواحش سوي الشرك والكفر

وَالْمُسْلِمُ إِذَا ارْتَكَبَ مَسَاوِي لَزِمَتْهُ التَّوْبَةُ وَالْكَفَّارَةُ جَمِيعًا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ
لَمَّا اسْلَمَ اعْتَقَدَ حِفْظَ مَا لَزِمَهُ مِنَ الشَّرَآئِعِ فَإِذَا ارْتَكَبَ مَا ذَكَرْنَا جَرَحَ
شُرَآئِعَهُ وَإِذَا دَخَلَ نَقْصًا نَاقِمًا اعْتَقَدَ حِفْظَهُ فَإِذَا تَرَكَ حِفْظَهُ ادْخَلَ فِيهِ
النَّقْصَانِ فَلَزِمَتْهُ كِفَارَةٌ تَجْبِرُ بِهَا النَّقْصَانِ الَّذِي ادْخَلَ فِيهِ فَأَمَّا الْكَافِرُ
فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرَآئِعِ أَمَّا عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ عَنْ الشُّكُوكِ وَيَأْتِيَ بِالْإِيمَانِ
لِذَلِكَ افْتَرَقَا وَاللَّهُ اعْلَمُ قَوْلُهُ تَقَالِي وَقُلْ أَعْمَلُوا نَسِيرًا لِيَسِيرَ إِلَيْهِ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ فِي الدِّينِ كَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ
تَبُوكَ ثُمَّ نَدِمُوا عَنْ ذَلِكَ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَقُولُوا أَعْمَلُوا نَسِيرًا لِيَسِيرَ إِلَيْهِ عَمَلُكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْ أَنْ عُدَّ تَمَرُّ إِلَى مَا عَنَهُ تَبْتِمٌ وَهُوَ التَّخَلُّفُ يُطْلَعُ اللَّهُ
رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ وَسُتَرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَيْ تَرُدُّونَ
إِلَى مَا أَعَدَّ لَكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ
الْآيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ أَعْمَلُوا نَسِيرًا تَسْتَأْتُونَ فَإِنَّ اللَّهَ تَقَالِي يُطْلَعُ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفَائِكُمْ فَيَفْتَحُونَ حَيْثُ يُطْلَعُونَ عَلَى سُرُورِكُمْ
وَسُتَرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَيْ تَرُدُّونَ إِلَى مَا أَعَدَّ لَكُمْ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَيْ بِحُزْنِكُمْ حِزًّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
يُخْرِجُ ذَلِكَ عَلَى الْوَعِيدِ وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
شَهِدَ جَنَازَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا شَهِدُوا مَا فَاتَنِي عَلَيْهَا فَغَبِلَ وَحَبِثَ فَغَبِلَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجِبْتَ قَالَ الْمَلَائِكَةُ شَهِدَ آءِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ شَهِدَ آءِ اللَّهِ
فِي الْأَرْضِ فَإِذَا شَهِدْتُمْ وَحَبِثْتُمْ قَتَلُوا وَقُلْ أَعْمَلُوا نَسِيرًا لِيَسِيرَ إِلَيْهِ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ثَبِتَ هَذَا فِيهِ دَلَالَةٌ حُجَّةُ الْأَجْمَاعِ لِأَنَّهُ قَالَ الْمَلَائِكَةُ
شَهِدَ آءِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ شَهِدَ آءِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَلِذَا شَهِدْتُمْ وَحَبِثْتُمْ فَإِذَا
شَهِدُوا عَلَى شَرِّهِمْ شَرُّوا وَإِذَا شَهِدُوا عَلَى خَيْرِهِمْ خَيْرُوا فَعَلَى هَذَا إِذَا شَهِدُوا
عَلَى حُكْمٍ يُلْزِمُ الْعَمَلَ بِهِ ثُمَّ قَوْلُهُ وَقُلْ أَعْمَلُوا لَيْسَ عَلَى الْأُمُورِ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ جَمِيعًا
أَعْمَلُوا كَذَا وَلَكِنْ عَلَى أَنْ مَنْ بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ يَتَفَكَّرُ فِيهَا وَيَتَذَكَّرُ بِهَا فَلَا يَقْدِرُ
عَلَى عَمَلٍ لَا يَسْتَحْسِنُهُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ لِحَضْرَتِهِ فَإِذَا اخْتَلَفَ
لَا يَعْمَلُهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ قُلْ لِيَسِيرَ إِلَى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ لَيْسَ عَلَى الْأُمُورِ بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ عَلَى الْأُمُورِ بِالتَّفَكُّرِ وَالنَّاسِلِ

والتدبر فيهما نزل بهم بالكذب وكذا لك قوله قل الله احد ليس على الامر
ان يقول لهم ذلك ولكن علي ان يتفكر كل فيه فيعرف انه واحد وقيل
ان هذه الآية كانها نزلت في الذين خلفوا عن رسول الله لكون الي
الدنيا ورغبة فيها وهم المؤمنون والآية التي قبل هذه في المنافقين
الذين خلفوا بالكون في الدنيا كفرا ونفاقا والله اعلم قوله تعالى
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم
هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا اي كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون بما يحكم الله فيهم ايعذبهم ام يتوب
عليهم فنزل قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وقال بعضهم هو صلة قوله والذين
اتخذوا مخرجا من ديارهم اتخذوا مخرجا وكانوا مرجون لامر الله قال
هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عبيدة مخرجون اي محبوسون
يقال ارجيته اي حبسته وقال القتيبي مرجون لامر الله اي مرجون
على امره اي محبوسون مرفوفون على امره قوله تعالى والذين
اتخذوا مخرجا من ديارهم اتخذوا مخرجا واتخذوا مخرجا من ديارهم
عنهما ان المنافقين اتخذوا مخرجا فلما فرغوا منه جاءوا الى النبي وهو
يتجه لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بيننا مسجد الذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة وان نحب ان تاتينا فتصلي فيه فقال رسول الله انا على
سفر وحال شغل ولو قد متنا من سفرنا اتيناكم وصلينا لكم فيه ان شاء الله
تعالى فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مخرجا من ديارهم
بينهم لم يقصدوا بني بنيهم ذلك ما ذكره انا بيننا الذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والاشفاق على الذين وحفظ الصلاة بالجماعة ولكن يقصدون
به صبرا او كفرا وتغريبا بين المؤمنين ثم قوله وتغريبا بين المؤمنين
تفسير لقوله صبرا يقصدون بني بنيهم المسجد الذي بنوا ان يعرفوا بين المؤمنين
وبين رسول الله حتي اذا جاءهم العدة وجدتهم متفرقين فيكون اليسر
واهون عليهم من الكسر عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجمعين على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا وكلهم واجدة

وَقَوْلُهُ فِيهِ كَأَيَّةَ عَمَّا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ لِمَسْجِدِ اسْتَسَى عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ يَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ حَبِيبُونَ وَبِهِ بَعْضُ الْأَخْبَارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَنَا جَدُّ مَلَكُوتِ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا سُبْحَانَكَ بِالْمَاءِ فَلَا تَدْعُهُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَلَا تَدْعُوهُ وَقَوْلُهُ فِيهِ رَجَالٌ حَبِيبُونَ أَنْ يَبْتَطَهُرُوا وَاحْتِمَلُ فِيهِ رَجَالٌ حَبِيبُونَ
أَنْ يَبْتَطَهُرُوا أَيْ فِيهِ رَجَالٌ يُوَثِّرُونَ التَّطَهِيرَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ
فِيهِ وَكُلُّ مَسْجِدٍ هَذَا فِيهِ هُوَ مَوْسَسٌ عَلَى التَّقْوَى أَيْ لِقَوِي الشَّرِكِ وَالْخِلَافِ
لِأَمْرِ اللَّهِ وَفِيهَا هَيْبَةٌ وَاحْتِمَالُ فِيهِ رَجَالٌ حَبِيبُونَ أَنْ يَبْتَطَهُرُوا أَيْ يُوَثِّرُونَ التَّطَهِيرَ
بِالتَّقْوَى وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْجِيهِمْ وَاحْتِمَلُ مَا
ذَكَرَ مِنْ أَهْلِ النَّوَابِلِ مِنَ التَّاجِرِينَ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي تَصِيبُهُمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَمَنْ اسْتَسَى بَنِيانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
أَيْ مِنْ اسْتَسَى بَنِيانَهُ عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ اسْتَسَى بَنِيانَهُ عَلَى شَيْءٍ جَرَفَ هَارِ أَيْ مِنَ الَّذِي بُنِيَ لِلْإِخْتِلَافِ وَالتَّغْيِيرِ
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَفَرِ بِاللَّهِ هَذَا مُقَابِلَةٌ لِمَا كَانَ يَقُولُ مَنْ بَنَى بَنَانًا عَلَى الْمَكَانِ
الَّذِي لَا يُقَرَّبُ وَيُودَى إِلَى الْهَلَاكِ فَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ وَالْأَوَّلُ مُقَابِلَةٌ لِمَا فَعَلَ
أَعْنَى قَوْلِهِ وَالَّذِينَ اخْتَرُوا مَسْجِدًا أَوْ صِنْدَارًا وَكَفَرُوا وَتَغْيِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ كَالَّذِي
بَنَى لَصْدُ ذَلِكَ أَمَّا لَيْسَ بِشَوَاءٍ ثُمَّ قَالَ لِمَسْجِدِ اسْتَسَى عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ
أَنْ يَقُومَ فِيهِ هَذَا مُقَابِلَةٌ لِمَا فَعَلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ اسْتَسَى أَيْ أَصْلَ الْأَشْءِ وَالْأَشْءِ
وَالْأَشْءِ وَالْأَشْءِ وَاحِدٌ قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى شَأْنٍ جَرَفَ هَارٍ قَالَ أَبُو
عَوْنَةَ شَفَاءَ فَمَنْ وَالْجَمْعُ اشْفَاءٌ وَجَرَفَ أَرْضٌ يَسِيلُ فِيهَا السَّيْلُ حَتَّى يَحْفَرَهَا
وَالْجَرَفَةُ الْجَمْعُ وَالْهَارُ الْهَمَشَاءُ لَيْسَ بِطَلَبٍ وَيَقَالُ إِنْفَارٌ يَنْهَارُ أَيْ يَهْتَدِمُ
وَيَقَالُ رَجُلٌ هَارٍ أَيْ ضَعِيفٌ وَارْضَ هَشَّةٌ أَيْ رَخْوَةٌ سَرِيعَةٌ الْإِهْدَامُ
وَقَالَ الْعَتَبِيُّ شَيْءٌ جَرَفَ هَارٍ أَيْ جَرَفَ حَرْفَ هَائِرٍ وَالْجُرُفُ مَا يَجْرُفُ
بِالسَّيُولِ مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالْهَائِلُ السَّاقِطُ فَهُوَ حَرْفٌ مَقْلُوبٌ هَارٍ وَهَائِرٌ
يَقَالُ تَهَوَّرَ الْبَنَاءُ وَانْفَارَ إِذَا سَقَطَ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الشَّافِعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ
وَالْجُرُفُ مَا يَجْرُفُ بِالسَّيُولِ مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَهَارٍ يَرِيدُ هَارٍ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَانْهَارُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ قَالَتْ بَعْضُهُمْ حَسَنٌ اللَّهُ لِمَسْجِدِهِمْ هَذَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَفِي حَرْفِ
ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَحِقَتْ مِنْ قَوَاعِدِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَيُقَالُ لِحْفَرَتْ

٤٧

شأن

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا تَقْعُدُوا أَوْ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ جَعَلَ الْاجْتِمَاعَ فِي الدِّينِ نِعْمَةً لِلَّهِ
عَلَيْهِمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فَأَوْ لِيكَ لَصْدُ وَاقْصِدِ التَّغْيِيرَ لِمَا ذَكَرْنَا
وَاحْتِمَلُ فِيهِمْ كَأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَفْرَقُوا بَيْنَ ضَعْفِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
رَسُولِ اللَّهِ فَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ الدِّينَ لَا يَهْمُ كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ لَيْسَانٍ وَجَدَلٌ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ
كُلُّهُ عَلَى مَا ذَكَرَ فِيهِ دَلَالَةٌ اثْبَاتٌ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَنْهَى
مَعْلُومَاتِهِمْ اسْتَسَى وَأَوْضَحَ وَأَبْنَى بَيْنَهُمْ مِنَ الصِّنْدَارِ وَالْكَفَرِ وَالتَّغْيِيرِ
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى مَا أَسَوَّاهُ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ انْمَاعُوتٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُ تَعَالَى
قَوْلُهُ تَعَالَى وَارْضَا ذَا الْمَنِّ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ قَالِ عَامَةً
أَهْلُ النَّوَابِلِ أَنْ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ حَارِبُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هُوَ أَبُو عَامِرٍ ذَكَرَ أَنَّ أَبَا
عَامِرٍ حَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ فَرَمِيَهُ فَقَالَ لِلْمَنْافِقِينَ ابْنُوا مَسْجِدًا وَاسْتَعِدُّوا
فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْسِرِ فَنَاتِ جَنْدٍ فَخَرَجَ مُحَمَّدًا وَاصْحَابَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَذَهَبَ إِلَى قَيْسِرٍ
بِالشَّامِ فَبَنُوا مَسْجِدًا صِنْدَارًا وَكَفَرُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَارْضَا ذَا الْمَنِّ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ
يَعْنِي أَبَا عَامِرٍ قَالَتِ الْعَتَبِيُّ صِنْدَارًا أَيْ مُضَارَّةً وَارْضَا أَيْ تَرْقُبًا بِالْعَدَاوَةِ
وَقَالَ أَبُو عَوْنَةَ صِنْدَارًا مُضَارَّةً وَارْضَا أَيْ وَقُوفًا وَاسْتَعِدُّوا لِلْفَرَسَةِ
لِمَنْ حَارِبَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِيَجْلِفَنَّهُ أَنْ ارْضَا إِلَى الْحَسَنِ
أَيْ جَلَفُوا فِيهِ مَا ارْضَا وَابْتَغَا ذَا الْمَسْجِدِ الْإِحْسَنِ وَالْحَيَوْنَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهُ لَشَهِيدٌ
أَنَّهُمْ لَكَادِيبُونَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ اثْبَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ قَوْلُهُ تَعَالَى
لَا تَقْعُدُوا فِيهِ إِذَا قَبِلَ لَا تَقْبَلُ فِيهِ لَأَنَّهُمْ سَأَلُوهُ أَنْ يَصِلَ فِيهِ وَقِيلَ لَا تَقْعُدُوا فِيهِ أَيْ
لَا تَأْتِيهِ وَلَا تَدْخُلُ فِيهِ وَهُوَ وَاحِدٌ قَوْلُهُ تَعَالَى لِمَسْجِدِ اسْتَسَى بَنِيانَهُ لِلتَّقْوَى
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ يَقُومَ فِيهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ مَسْجِدُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَتْ اخْتَصَمَ أَوْ
قَالَ اخْتَصَمَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي اسْتَسَى عَلَى التَّقْوَى وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ هُوَ مَسْجِدِي هَذَا وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ
عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي اسْتَسَى عَلَى التَّقْوَى فَقَالَ هُوَ مَسْجِدِي هَذَا وَظَاهِرٌ مَا ذَكَرَ
أَنْ يَكُونَ مَسْجِدَ قُبَاءٍ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ تَرَ قَوْلَهُ فِيهِ رَجَالٌ حَبِيبُونَ أَنْ يَبْتَطَهُرُوا
وَاللَّهُ حَبِيبُ الْمُطَهَّرِينَ قَالَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا هِلَ قُبَاءً أَنْ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ
التَّنْأَ بِالطَّهْرِ فَمَاذَا تَصْنَعُونَ قَالُوا أَنَا نَفْسِلُ عَنْهَا نَارَ الْغَائِطِ وَالْيُولِ

فيه بقعة قري منها وكان مطلع وقال بعضهم اي يوتي بنينايم الذي بنوه في
تار جهنم ولا ندري كيف هو وما مقناه قول قالي لا يزال بنينايم الذي
بنوا رية في قلوبهم قال بعضهم بنوا رية اي حشوة ومداية وقال بعضهم
رية اي شكاو رية واضل الرية التهمة يقال فلان مريب اذا كان به تهمة
فمن قال حشوة وندامة فهو علي وجنين محتمل انهم تابوا وندوا على صنيعهم وحمل
حشوة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وما ارادوا بقوله والله يشهد انهم لكاذبون
ومن قال شكاو نفاقا اي هم علي ذلك الشك والنفاق الي الموت وهو قوله
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يلومهم بيقونه قول قالي الا ان تقطع قلوبهم
هذا محتمل وجنين احد هما علي التمثيل يقال فلان منقطع القول اذا بلغ خوفه
وحزنه غاية فغناه والله اعلم انهم علي الشك والنفاق ابدا الا ان تقطع قلوبهم
اي غير ان قلوبهم منقطعة اي خائفة حزنه في غاية الخوف والجزن والثاني
في الاستفادة عن حقيقة القطع اي هم علي النفاق الا ان تقطع قلوبهم اي الي ان
يموتوا فيكون تقطع القلب كناية عن الموت والله اعلم قول قالي ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة محتمل قوله اشترى
استام لان قوله اشترى خبر عن المآخيه والمراد بهذا الي يوم القيامة
ذلك ان المراد منه في المستأنف وذلك هو الاستياع اي استام وطلب
منهم ان يبذلوا انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين بذكر الا نفس الاموال
فقال مقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ويقتلون ان يكون قوله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم خبرا عن مؤمر باعوا انفسهم واموالهم
كقوله ومن الناس من يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله فليقاتل
في سبيل الله الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فاذا صار وابايعين انفسهم من الله تعالى صار الله مشتريها
منهم ثم بين ان كيف تباع وتشترى فقال مقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون اي يقتلون العدو ويقتلون بقتل العدو وقري الا قول ايضا
بالضم ويقتلون والثاني بضم الياء وهما في المعنى واحد ثم ليس المراد منه اجمع
ان يقتلوا او يقتلوا لاصابة هذا الوعد وهو الجنة ولكن الشرط اخذها وهو
ان يقتلوا العدو او يقتلهم العدو اي قهما كانا وان يقاتلوا العدو وان

لم يقتلوا عرفناه بنص آخر وهو قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فقتل او يغلب بنصه اجزا عظيما وقال هل اذ لكم علي تجارة تحيكم من عذاب اليم
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم جعل الايمان
بالله تعالى والمجاهدة في سبيله تجارة محيية علي النار وكل من يستوطن قتل العدو
لا مجاله ذلك ان المراد بما ذكرنا ونفس الجهاد والمقاتلة مطلقا والله اعلم
ثم قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة جعل
الجنة بدلا وعوضا عما بذلوا من الاموال والانفس من حيث الظاهر
وان كانت الجنة لهم بحق الوعد فضلا منه ورحمة لاحق البدل لان انفسهم
واموالهم في الحقيقة لله تعالى ملك مخلوق له ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم
وان يتلفهم علي وجه شأ فيكون الامر بالجهاد طلب بذل ماله عندهم من
الاموال والانفس وشرا ماله في الحقيقة وذلك لا يوجب استحقاق البدل
ولكن انما ذكر شرا انفسهم واموالهم منهم واذن الله اليهم وجعل الجنة كالبديل
بما ادخل حرف البدل فيه بقوله بان لهم الجنة لوجبهين احدهما اظهار
كرميه وجوده وفضله بما عمل عباده معااملة من لا ملك له فيهم ولا حق
ووعدهم علي ذلك اجزا وبدلا وكذلك ما ذكر من الاقدار له ووعده
لهم علي ذلك الاجر مضاعفا وعلي هذا اما وعد لهم من الثواب فيما يعملون
لا انفسهم كالعاملين له حيث قال جزاء بما كانوا يعملون وقالت ان الله لا يصير
احد المحسنين وقالت انما لا نضيع اجر من احسن عملا ويخوذ لك وان كانوا
في ذلك غير مستحقين عوضا لما عليهم الخدمة بحق انهم عبيده واما قوله وعلي
ذلك قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان استأتم فلها وقوله من عمل
صالحا فلننفسه ومن استأ فليها جعلهم عاملين لانفسهم بما اكتسبوا بها
العرض في الآخرة من الثواب والعقاب والله اعلم والثاني ذكر شرا ماله
في الحقيقة ليعلم الخلق ان كيف يقاتل بعضهم بعضا وكذلك قوله واقرضوا الله
قرضا حسنا غا لهم معااملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم ليعلم الناس بعضهم
بعضا في اموالهم وانفسهم من لا حق له في ذلك فيكون هذا تعليلا للخلق حسن
المعااملة فيما بينهم والله اعلم ويثبت ان تكون الشرا الذي ذكر وما وعد لهم
ببذل انفسهم واموالهم في الجهاد يكون ذلك ايضا في غير الطاعات

والخيرات من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر في الآية
فهو تابع نفسه منه كقول من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله
وتخوذ لك والله اعلم قوله تعالى وعدا عليه حق في التورية والابحار
والقرآن اي وعدا واجبا ثابته حقيقة منه في التورية والابحار
والقرآن وهو ما ذكرنا من نيل الجنة بهذا النفس والاموال في سبيل الله
وفي حرف بن مشهور رضي الله عنه عهدا عليه حق في التورية والابحار والقرآن
ثم قال ومن اوتي بعهد من الله هذا يدلت على ان قوله ان الله استرعى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة انما هو عهد عهد اليهم حيث قال
ومن اوتي بعهد من الله معناه لا احد اوتي واصدت بعهد من الله ان فيتم
انتم بعهد الذي عهد اليكم والله اعلم ثم قوله وعدا عليه حق في التورية
والابحار والقرآن ينقض قول من يقول بان الابطال نزل على التحفيل
والنفس ليس فيه شيء من الشد آيد والتورية نزلت على التشديد
فان فيه ان الجهاد بما موربه في الابطال وكذلك قوله فانت طائفة من بني
اسرائيل وكفرت طائفة فاقتلنا الذين آمنوا على عدوهم وذلك المذكور
في حكم الابطال الا ان يقال بان قوله وعدا عليه حق في التورية
والابحار اي كان هذا مذكورا لهذه الامة في التورية والابحار لا لهم
والله اعلم قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم فيه محتمل ان
يكون المراد من الاستبشار في جميع الاوقات ويثبه ان يكون الاستبشار
الذي ذكر وقت الموت بان يقول لهم الملائكة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به في حال الحياة وهذه الآية تدل على ان البيع انما يكون بغير بدل
وان لم يتلفظ بلفظة البيع فانه لم يوجد لفظة البيع ههنا من الخلق وسماه
بيعا لما كان منهم اعطاه العرض لما يملكون من العرض وهو الجنة وقت
ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام لم تعلق باللفاظ والآيات انما تعلق بالمعاني
فاذا وجد معنى البيع كان بيعا ويسمي به قوله تعالى وذلك هو الفؤاد
العظيم اي الذي ذكر قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون
السايجون الي آخر الآية ذلك بعضهم هو على الصلة للاول فيما ذكرنا من الشرا
والوعد لهما الجنة اذا كانوا على الوصف الذي ذكر على اثره وكذلك في حرف

ابن مشهور رضي الله عنهما ان الله استرعى من المؤمنين التائبين
العابدون الحامدون على الصلة بالكسر اي قوله واحفاطين لحدود الله
وقد ارهاقوا التائبين على حدود الله انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
ومنهم من قال على الا بتدأ بالرفع التائبون العابدون الي آخر الآية
ثم قوله التائبون محتمل التائبون من الشرك ومحتمل التائبون من جميع
المقاصي وقوله العابدون محتمل الموحدون ومحتمل العابدون لجميع انواع
العبادة وقوله الحامدون المشنون على الله تعالى لان العبادات كلها شكر وان
كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون الشاكرين النعم
التي انعمها الله عليهم وقوله السايجون قيل الصائمون وعلى ذلك روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن السايجين فقال هم الصائمون
وقال صلى الله عليه وسلم وسياسة امي العيام قال القتيبي اصل السائح
الذاهب في الارض ومنه يقال ساح اذا جري وذهب والسائح في الارض متبع
عن الشهوات فشبته الصائم به لاسئلة في متوبه عن المطعم والمشرب وجميع
اللذات وقال ابو عبيدة هم الذين يعضون على وجوههم في الارض ليست
لهم منازل تقاح يسبح سبحا وسياسة قوله تعالى الراكون الساجدون
قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون له وكذلك في حرف حفصة
رضي الله عنها قوله تعالى الامر بالمعروف والمحجود التوحيد اي امر
الناس بتوحيد الله ومحجود الامر لهم بالخيرات والمعروف كل ما
قوله تعالى والناهون عن المنكر محتمل الشرك ومحتمل كل معصية والله اعلم
قوله تعالى والحافظون لحدود الله قال بعضهم بغير ايض الله وقال
بعضهم لسنن الله والاسببه والحافظون لجميع احكام الله لا تجاوزون ما
حد لهم ولا يفرطون فيها قوله تعالى ولينزل المؤمنين تحت البسائر لعلهم
الذين سبق ذكرهم ومحتمل على الا بتدأ اي بشر جميع المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا والله اعلم قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمسكين دلت الآية بانها ما ان تستغفروا عننا انه من اهل النار ان الله تعالى
لا يغفر له لما علم انه لا يؤمن فعلى ما علمنا انه لا يغفر له لم تستغفر له لم يحزن لنا
ان نقول له انه اراد الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا كما لم يحزن ان يغفر لمن علم

انه من اهل النار وهذا يقتض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى قد اراد
لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انه اصحاب
الحجيم قال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه قد استغفر
لاجل والدينه وذكر انه دخل على ابي طالب عمته فدعا الى شهادة ان لا اله
الا الله فاني ثم استغفر له وقالت لا تستغفرن لك ما لم آت به عنك او كلام نحو هذا
فمن قال قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى الاية وقالت الحسن لا يحتمل ان يكون رسول من رسل الله لا
يعلم ان الله تعالى لا يغفر الكافر اذ في العقل والحكمة ان لا يغفر له بل يغذبه
ابداً وعندنا في الحكمة تغذيب الكافر ابداً وان لا يغفر لوجوه احدها
ان في ذلك تسوية بين العبد وولايته ومن سوي بين وليه وعذوقه فهو
ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غير الله معه انما
يعبد غيره لجهله وتلك الجهالة لا ترتفع ابداً لانه اذا غفر له يقع عنده انه
انما جوزي به وغفر بعبادة غيره الله والثالث انه لو غفر للكافر لذهبت
حكمة الافعال لان الافعال انما يعمد بها لعمادتها فلو قل اما حمداً واما ذماً
فاذا غفر له حمداً بافعال كان الحق له الذم بها وفي ذلك خروج عن الحكمة والله اعلم
وحتمل ان يكون رسول الله كان يستغفر للمنافقين قبل ان يتبين له انهم
منافقون فلما تبين له نفاقهم كتم عن استغفارهم فاما ان يستغفر للكافر
علي علم منه انه كافر فلا يحتمل على ما يقول بعض اهل التاويل انه استغفر لجهله
ولا حد والدينه والله اعلم قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم ان اياه وعده ان يسلم فكان استغفار
لابيه على ظن انه اخذ وعده فمكون استغفاره بعد الاسلام الا ترى انه قال
ايضاً ربنا ونقبل دعاك ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوقر حساب
فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم لا لجمال لما كان وعده ان يسلم فليستغفر له
في ذلك اليوم لوجود الاسلام منه ظاهراً يدل عليه انه تبرأ منه اذ تبين له
انه من اهل النار ولا يتحقق منه اجاز ما وعده له بقوله فلما تبين له انه عدو لله
تبرأ منه والله اعلم وحتمل ان يكون استغفار ابراهيم لابيه طلب السبب الذي

٢٤٤

يستوجب به المغفرة وهو التوحيد والاسلام وهو كقول هود لقومه ويا
قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكذلك قوله حيناً عن ابراهيم واغفر لي
انه كان من الصالحين اي اعطاه السبب الذي به المغفرة وهو التوحيد وعلي
هذا الحمل استغفار رسولنا لعمه لو ثبت ان سوله سوا آل التوحيد والاسلام
الذي هو سبب المغفرة له وهو اعلم فان كان علي ما ذكرتم كيف استثني الا
قول ابراهيم لابيه لا تستغفرن لك بعد ما اخبرنا لثاني ابراهيم قد ربه بقوله
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم قتل لحنبل الاستثناء في قوله الا قول
ابراهيم لابيه لا تستغفرن لك اي حتى يعلم المعنى من استغفاره لابيه لانا لا
نعرف مراد ابراهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار الانبياء لقومهم
والمتمصلين بهم فاستثنى ذلك الي علم مرادهم من استغفارهم قوله تعالى
ان ابراهيم لاواه حكيم قيل الاواه الدعاء وعلي ذلك روي عن النبي صلى الله
عليه انه سئل عن الاواه فقال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قالت الاواه المومنين وقيل الاواه الفقهاء الموقنين وقيل المسبوحين وقيل
الاواه المتتارقين خوفاً وحزناً وقوله حكيم قيل الحكيم خلاف السفينة وقيل
العليم وقيل الحكيم هو الذي لا يعضب ولا يسفه عند سفه السفينة والله اعلم
قوله تعالى وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما
يتقون اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم الآية في استغفار المؤمنين
المشركين وقالت بعضهم الآية في نسخ الاحكام والشرائع التي تحتل النسخ
فان كان في استغفار المشركين فليس هناك نسخ لانه لم يسبق لهم الامر
بالاستغفار ولا الا باحاطة لهم في ذلك فكانه قال ما كان الله ليضل قوماً صلاً
بالاستغفار للمشركين بعد اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك والله اعلم
وهو حتمل ايضاً ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قيل ان يتبين لهم بقوله
يجعلهم ضللاً حتي يبين لهم ذلك وان كان في نسخ الاحكام فكانه قال والله اعلم
ما كان الله ليضل قوماً صلاً لاجلها لا بفعلهم الذي فعلوا في الامر حتي يبين لهم
ما يتقون اي حتي يعلموا بالذي يلزمهم الانتها عنه وهو النسخ هذا في الاحكام
التي تحتل النسخ اما الاحكام التي لا تحتل النسخ فلا فاصلة ان كل ما كان في العقل
امتناع لنسخه فانه لا يرد فيه النسخ ثم المسئلة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم بالنسخ

كما حال العمل الذي علوا به يجرحون ويأثمون في عملهم بذلك أو يتأبوا
 ويوجرون عليه فإن كان الفعل فعل طاعة وقربة فإنه يثبت في قصده وفعله
 ويكون له القربة في فعله كما روي أن نفرا كانوا يصلون إلى بيت المقدس
 فمعه عليهم ما قد قالت إلا أن القبلة قد حولت إلى الكعبة وهم في الزكوع
 فتحوا الحواشي فاحسبوا بذلك رسول الله فلم يأمرهم بالإعادة وهذا لأن الأفعال
 التي فرضت لم تفرض لنفس الأفعال إنما فرضت للطاعة لله والمقرب
 وقد وجد الفعل على قصد المقرب فيوجرون على ذلك وإن كان الفعل فعل حلة
 وحمة فإنه لا يخرج في فعله قبل بلوغ النسخ نحو ما روي أنهم كانوا يمشون
 الخضر فاتاهم آت فقال ألا إن الخضر قد حوت فصتبوها وكفوا عنها فهم في
 سربهم بعد الخضر يمشون قبل بلوغ الخبر بالتقدير لا يخرجون والله أعلم قولنا
 إن الله بكل شيء عليم أي عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم كان هذا والله
 أعلم خسر لو قد قول من أنكر النسخ في السرد آية يقول إن الله تعالى يعلم ما
 فيه مصالح الخلق وأنتم لا تعلمون فمضى نسخ كان ذلك بيا ناسه أن المصلحة في
 النسخ بعد ذلك فيجب ألا نقاد لذلك يؤيد ذلك قوله إن الله له ملك السموات
 والأرض يحيى ويميت أي أنتم عبده وليس لعبدا أنكار شيء لسيده إنما عليه
 الطاعة والابتناء لسيده في أوامر ونواهي وقوله يحيى ويميت دليل على هذا
 أي لم له أن يميت بعد الحياة ويحيى بعد الموت فكذلك له أن يتعبد لهم في حال عباده
 وفي حال عبادته أحري والله أعلم قولنا تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
 والآية قال بعض أهل التأويل تاب الله عليهم لئلا يسيقت منهم
 ولهفوات تقدمت لأن يكون منهم زلات في غزوة تبوك أما التوبة على النبي
 بقوله عني الله عنك لم أذنت لهم الآية وأما على المهاجرين والأنصار ما كان
 منهم يوم أحد ويوم حنين وهو قوله إنما استغفرتهم الشيطان ببعض ما
 كسبوا ولقد عني الله عنهم وقال بعضهم عني الله عنهم لهفوات كانت منهم
 في غزوة تبوك فانهم هموا أن ينصرفوا في غير وقت الأنصار عني غير أن
 لسد آيد أصابهم تاب الله عليهم لما هموا بالانصراف في غير وقت الأنصار
 إلا أنه ذكر التوبة على النبي على الاشتراك له مع المؤمنين من غير أن كان
 منه ذنب ولا زلة لأنه أخبر أن ذنبه مغفوره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم

من ذنبك وما تأخر وهو كما أسره في الاستغفار كقولك واستغفر لذنبك
 والمؤمنين والمؤمنات وعلى ذلك الأول ويشبه أن يكون التوبة التي ذكر
 على وجهين سيوي ما ذكر واحد هما وهو أنه تاب عليهم على معني أنه ٢٩٦
 وفقهم بحديث الله به للهفوات التي تقدمت أو التبات عليهما من غير أن
 كان منهم في الحادثة شيء بحسب التوبة عنه إذا التوبة من الله تعالى على
 العبد بعبادته توفيقه أي أياهم على التوبة فكان توفيق محمد يد التوبة
 لهم توبة منه عليهم وهذا كسؤال الهدي وهو على الهدي كقولك أهدنا
 الصراط المستقيم وقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله أي بآياتها التي
 آمنوا فيها معني من الوقت آمنوا في حادث الوقت أو أثبتوا على ذلك وإن لم
 يتخلل بين ذلك ما هو ضد الإيمان لما أن الإيمان بفعل محدد فكذلك التوبة
 من العبد أذهي عبارة عن الندم عمّا فعل والعزم على تركه مثله في المستقبل
 فإنه يحدد في كل ساعة والثاني أنما ذكر أنه تاب عليهم وذلك لأنهم حيث صبروا
 على ما أصابهم من السد آيد والجهد كشف الله عنهم أشياء كان مستورة عندهم
 وحلي عنهم غطية كانت لا تخفى لهم من قبل ثم انكشفت وتجلت لهم بصبرهم
 على السد آيد التي أصابهم وهو كقول الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا
 إليه راجعون لما صبروا على ما أصابهم من المصائب ازداد توفيق وتسلية
 الأمر والرجوع إليه وكقول ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن
 بالله يهدي قلبه ازداد لهم ما صبروا هدي وتجلي لهم أشياء لم تكن من قبل
 فعلى ذلك لما احتملوا السد آيد وصبروا عليها زادهم الله تعالى بسبب ذلك تدنوا
 ورجوعا عليه وعزما على الامتناع وفقهم على ذلك وهو التوبة من الله تعالى
 على العبد فلذلك قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والذي يقدر ما
 قلنا من الوجهين أن الله تعالى قال من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم
 أخبر أن الله تعالى تاب عليهم من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ولم يقل أنها
 ذاعت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر قلوب الكل فدل أن ذلك من غير وجود
 الذنب منهم فيكون المراد ما قلنا من الوجهين ثم التوبة من الله تعالى تخدج على
 وجوه أحدها التوفيق وهو أن يوفقهم للتوبة ويكرمهم بها كقولك ثم تاب عليهم
 ليتوبوا أي وفقهم للتوبة فتأبوا والثاني التوبة منه قبولها منهم أي بقبول التوبة

منهم كقولهم انه هو التواب الرحيم والثالث التوبة منه العفو والصفح والتجاوز
 يقال تاب الله عليهم اي عفى وجاز عنهم الي هذا الوجوه كدج اضافة التوبة
 الي الله قول الله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسوة فيل عسوة النفقة
 فان في تلك الغزوة الامر صديق عليهم ولذا لك سمو جيش العسرة وقيل عسرة
 الظفر فانه اشد عليهم امر الحرب وعسر عليهم الظفر بالعدو قوله تعالى
 من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصص ان قد اصابهم من الجهد
 والبسرة حتى ان الرجلين ليقيا بالتمرة بينهما وقد يتداول التمرة بين جماعة
 بمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم لمصها هذا ويحذو ذلك ولكن لا ندري كيف كان
 الامر سوي انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد بهم قوله تعالى
 وعلى الثلاثة الذين خلفوا او قال بعضهم اي خلفوا عن توبة الله عليهم التي ثبتت
 في حق المهاجرين والا نصار بقوله لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والانصار
 بان اخبرهم النبي ان الله تعالى تاب عليهم سوي هؤلاء الثلاثة فكانوا ايتهلون
 ويدعون الله تعالى حتي تاب عليهم وقال قائلون خلفوا اي حلهم الله تعالى
 علي معني انه خلق منهم الخلف عن الغزو ومع رسول الله ولبيته ان يكون قوله
 وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ثم ندوا علي خلفهم فلفقوا رسول الله
 والله اعلم قوله تعالى حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
 عليهم انفسهم لحمل هذا علي التحقيق وحتمل علي التمثيل ثم للتحقيق وجها واحدا
 ما ذكر في القصة انهم شذوا وانفسهم علي السواري والاسطوانات فاقوا بأموالهم
 منعهم عن الخروج وتصدقوا بالارضين التي منعهم عن الخروج فضاقت عليهم
 الارض بعد ما كانت متسعة يتسعون فيها وكذلك ضاقت عليهم انفسهم بما
 شذوا وانفسهم علي الاسطوانات وذكر في القصة ان واحدا من هؤلاء مما
 حبسته ارضه من الخروج فتصدق بها علي الفقراء وكان له القوس بتلك الارض
 ثم ضاقت عليه والثاني ضاقت عليهم الارض بما حبسوا انفسهم عن اراضيهم وتركوا
 شعواتهم وامانيهم وما يتلذذون به فذلك صيق الارض عليهم وضيقت النفس واما
 الوجه الثاني بطريق التمثيل وهو ان الخوف اذا استند بالانسان وبلغ غايته
 حتي منعته عن القرار في الارض والتلذذ فيها يقال ضاقت عليه الارض بسعتها
 وقوله وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر ان الناس كانوا لا يكلمونهم ولا يجادلونهم

ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهل ايهم والله اعلم قوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ
 من الله الا اليه قالت بعضهم ظنوا ان لا نجاة من عفو به الله الا بعفو اي ايقنوا
 ان لا مخلص لهم ولا احتداد من عقابه وقيل وظنوا ان لا ملجأ من عذاب الله
 الا الي رحمة وقيل وظنوا ان لا ملجأ من رسول الله الا الي الله لانه ذكر
 انهم سألوا رسول الله التجاوز عن ذلك فلم يجبههم فابتعدوا عن ذلك ان المفرج
 والمجاء الي الله تعالى لا الي احد دونه قوله تعالى ثم تاب عليهم اي وغمم
 للتوبة وتابوا قوله تعالى ان الله هو التواب الرحيم اي الموفق للتوبة
 او القابل لها والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
 مع الصادقين في ظاهر الآية ان قوما عذروا بالصدق فامروا بالكون معهم في دين الله
 ويشبه ان يكون امده هؤلاء الذين خلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين
 والا نصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة ان الاجماع حجة فانه امرهم
 بالكون مع الصادقين في دين الله فلو لم يكن منهم قبول قولهم لم يكن الامر بالكون
 معهم وجه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكونوا مع الصادقين وهو
 ظاهر وقوله اتقوا الله لحتمل وجوها احدها اتقوا الله في حفظه ولا يمتنعوه
 وكونوا مع الصادقين في وقاء ذلك الحق وحفظه ولحتمل اتقوا الله في ترك
 ما أمتنكم به من الخروج الي الجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المعنى او بقوله
 اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لامرهما والله اعلم
 قوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخللوا
 عن رسول الله يشبه ان يكون هذا اصله ما سبق منهم من المبالغة واليهود التي
 حورت بينهم وبين رسول الله بقوله والله اعلم ما كان اي لم يكن لاهل المدينة
 ومن حولهم من الاعراب ان يتخللوا عن رسول الله بعد ما قبلوا ان يضلوا
 والمعونه وبما يعوهم علي ذلك هذا محتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا ما ذكر
 علي اثر وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم طار ولا نصب ولا خصصة في سبيل الله
 بقوله والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخللوا عن رسول الله
 وقد جعل لكل ما يصيبهم في انفسهم من المعنة والسدة وفي اموالهم من نقصان
 وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو من القتل
 والعنية عوضا واجزا وكتب لهم بذلك عملا صالحا اي ما كان ينبغي لهم ان يتخللوا عنهم

٢٤٨

و قد كتب لهم بكل ما يصيبهم من السدة والعنا وما يصيبون من الخبي العمل الصالح
والاجر العظيم والله اعلم ولحملة ما كان لاهل المدينة ان يخلفوا عن رسول الله بعد ما
تخلفوا من قول الله تعالى ولا ترغبوا بانفسهم عن نفسه اي ما كان ينبغي لهم ان يرغبوا
عن رسول الله لكن ذكر بانفسهم عن نفسه على طريق التاكيد قطعاً للاحتمال كما
يقال جاءني زيد نفسه لا احتمال ان يحج رسول الله فيقال جاء زيد يحج او يقول
رايت انا بعيني لا احتمال ان يقال رايت كذا اي علمت بالخبر محضاً فكذا هم هنا
لا يرغبوا بانفسهم تاكيداً والله اعلم ولحملة ولا يرغبوا بانفسهم اي ولا يرغبوا لانفسهم
اي لاجل انفسهم عن نفس رسول الله وذلك جاءني في اللغة قول الله تعالى
ذلك بانهم لا يصيبهم طمار ولا ضرب ولا محضه في سبيل الله قوله طمار قيل عطش
ولا ضرب قيل العنا والمثقة ولا محضه في سبيل الله اي مجاعة قول الله تعالى
ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون موقفاً وقال بعضهم هو من الموطئ
والموطئ هو السبي الذي يوطأ قول الله تعالى ولا يبالغون من عدو قتيلاً قتل من قتل
فيهم او اغارهم عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اي يكتب لهم وما عليهم العمل
الصالح ذكر هذا والله اعلم لما كان من خلف منهم مخافة ان يصيبهم من العنا والشدة
يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يصح اجرا للمحسنين قول
تعالى ولا تنفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم وما
ذكرنا انه يحجزهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعنا في انفسهم وفي اموالهم من نقصان
وما ينفقون قول الله تعالى ليحجزهم الله احسن ما كانوا يعملون اي يحجزهم
بصالح اعمالهم ولا يحجزهم بسيئاتهم وهو كقوله او ليك الذين سبقت عنهم احسن ما
عملوا ونجوا عن سيئاتهم اخبرني الا قال انه يحجزهم احسن ما عملوا في العزو
ولا يحجزهم بسيئاتهم والله اعلم قول الله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا خرج للعزو خرجوا جميعاً معه فيبقى المدينة خالية عن الرجال
فتنهي الله تعالى عن ذلك وقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما كان ينبغي للمؤمنين
ان ينفروا كافة مع رسول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقال بعضهم كان
رسول الله اذا بعث سرية خرجوا جميعاً فيبقى وحده ولم يبق معه احد من

يشهد التنزيل لخبر او ليك الذين غابوا عنه وقالت بعضهم الآية في الوعود
وذلك ان الوعود اذا قدموا من الاوقات المدينة قدموا مع النساء والذراري
فامر بان ينفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين اي في الآية في الذين
كانوا يخرجون مع رسول الله اذا خرج كان النبي عن الخروج حملة مع النبي
خوفاً على اهلهم وذرايعهم لعل العزق سباههم واخذ اموالهم يقول فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين اي قل لا نفر منهم طائفة من كل
فرقة منهم ويبقى طائفة لحفظ النساء والذراري ثم الذين معه يخبرون الكفار
والمنايقين اذا حضروا بما انزل الله على رسول الله من النصير والمقونة للمسلمين
والهزيمة على الكفرة الذين قاتلوا رسول الله فكان ذلك سبب دعائهم الى الاسلام
والي هذا يذهب الحسن والاصم ومن يقول الآية في الذين حضروا ونفروا
مع السراياها هم عن خروج الكل لما لعله اذا نزل على رسول الله سبي فلم يكن معه
احد يبلغه اليه ثم يبلغه هو الي من غاب وخروج الي العزو فلم يكونوا على علم مما ينزل
عليه صلى الله عليه من الاحكام والسرايع فامر بان ينفر طائفة ويبقى طائفة
ليبلغ النساء الغايب ما نزلهم من القرآن والله اعلم ومن يقول الآية في الوعود
الذين كانوا ياتون رسول الله المدينة بالفتن والذراري كان النبي عن ذلك بما
كانوا يصيغون على اهل المدينة او طائفة ويقلون اسعاهم يقول فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي
قل لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتعلموا الدين واحكامه ثم ليرجعوا الي قومهم
فيعلموهم والله اعلم فان قيل في هذه الآية بني الكل ان ينفر وابع النبي
الي الجهاد وامر في الآية الاخرى بنفر الكل بقوله لنفروا خفاً وثباتاً
وقال فانفروا اثباتاً وانفروا خفاً وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يخلفوا عن رسول الله عليه وسلم قيل قال بعض اهل التاويل
بان هذه الآية تحت الايات التي يوجب الخروج جملة وتبع الخلف وبه قال
الحسن والاصم ولكن يمكن تحريك الايات على التاميم فكان القول به اقرب من
التاميم وذلك من وجهين احدهما بختم الآية انه امر بنفر الجميع عند قلة المؤمنين
ليكون لهم الكفاية مع العدو ثم اذا اكثر المسلمون امر بنفر البعض دون البعض لما قال
والتاني محتمل انه امر بنفر الكل عند النفي وامر بنفر البعض دون البعض في

غير حال التغير جميعا بين الآيات بقدر الممكن والله اعلم ثم قول من كل فرقة
منهم طائفة قل من كل عصابة او من كل قبيلة ومن كل حي ثم في الآية دلالة سقوط
فرض السفر ليعلم العلم والنفقة في الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك فيخرجون
ويتعلمون ثم يعلمون قومه لانه قال فلو لا نفق من كل فرقة منهم طائفة الآية وفيها
ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجملة اذا قام بعض عنهم ثم الآية تحتل جميع
احدهما ان اهل بلدة او اهل قبيلة يختارون من يصلح للنفقة في الدين والتعلم فينظر
حتى اذا نفقوا وتعلم رجوع الي قومه لتعلمهم والثاني بامر من يصلح للنفقة بالتخلف
عن الجهاد اذا كان بهم غنية ليتفقوا عند رسول الله فينذر قومه اذا رجعوا اليهم
من غناتهم وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد وان احتمل الغلط لا ينمأ ذكر من الطائفة
تحتل ان يحسنوا على ذلك كذا او غلطا ثم انهم قومه قبول خبرهم لقوله ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم بخبر رسولهم تعالى يا ايها الذين آمنوا اقبلوا
الذين يلونكم من الكفار اختلقت فيه قال بعضهم ان هذه الآية نزلت قبل نزول
قوله قاتلوا المشركين كافة وقوله فان تولوا فخذوهم واقتلوا حيث وجدتموهم كان
الامر في الابتداء يقتال الآذني بالآذني ثم جاء الأمر لقتال الكفار عانما وقال بعضهم
ان النبي كان اذا غزا رعايا وركنا ويراو ويتركهم وراه ويقاتل عندهم ليكون ذلك
آية لتبويه ليعلم انه لا يباي مؤمن يقاتل ولا يخاف من تركهم وراه ثم امر الله تعالى
المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب والادني فالادني منهم وان لا يتركوا العدة
ورآهم ثم قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار محدح علي وجهين آخرين وكذا ارادوا
لاهل النفاق الثبات والدوام على العناد في تكذيب الحجج والآيات لما ذكرنا
ان السورة حجة ودلالة وبالجملة يزداد الثبات لاهل الايمان بها اذا هم قد اعتقدوا
قبول الحجج والآيات فاما اهل النفاق والكفر منهم اهل عناد ومكابرة فقد اعتقدوا
رد الحجج فيزداد لهم العناد والكفر ويحتمل قد ادتم ايماننا اي ان داد لهم الايمان بالتفسير
على ايمانهم بالجملة وان كانوا مصدقين بذلك جملة فانه اذا نزل بهم نوازل وقد آفيس
ان داد لهم بذلك تصديقنا وكذلك اهل النفاق اعتقدوا الكفر والنفاق ورد الحجج جملة
ثم يزداد لهم التكذيب ورد الحجج على التفصيل والتكذيب لها ويحتمل قد ادتم ايماننا اي ان داد
لهم الحجج والبراهين على الايمان والتصديق على ما كان من قبل وكذلك يزداد لاهل النفاق
ضد ذلك واصل ذلك انه لو لا ما كان منهم من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء

ايمان واحداث تصديق وكذا لو لم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد والمكابرة
كان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فثبتت زيادة على هذا الاعتبار والله اعلم
وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان بها حينات ولاهل النفاق شرور ثم اضافة
الزيادة الى السورة لقوله قد ادتم ايماننا وقوله قد ادتم رجسا تحتل وجهين
احدهما اصيف اليها الزيادة على ما اصيف العنود والى الدنيا وهو ما ذكرنا
انه يبدوا منها لهم من التزيين ما لو كان ذلك من ذوي الافعال والتفكير كانت
ذلك غمرا وافلذلك همنا يظهر لهم نزول السورة من الثبات الدوام والشرح
الصدور ما لو كان ذلك ممن يتصور منه الشك لكان ذلك منه زيادة بالحجة والبيان
والثاني اضاف العنود والى الدنيا لما بها اعتد اهلها وان كان لا صنع من جهتها
في الدعوى ولما بينهما من الحسن الظاهر وانواع اللذات التي تغتر المر بها ومثيل
طبعها اليها فذلك اضافة الزيادة الى السورة لما انه ان داد لاهل الايمان بها التصديق
لمعاني فيها تميل العقل الى العمل بها والتصديق لها وان داد لاهل النفاق التكذيب
والكفر بما اعتقدوا حيث اعتقدوا هم رد الحجج والتكذيب لها فيزداد الرد والتكذيب
عند زيادة الحجج وقال ابو بكر الاثم انما اصيقت الزيادة اليها لانها كانت سبب
الزيادة وقد يضاف الاشياء الى اسبابها كما يضاف الى حقيقة النفاق وليكن لا تحتل
ان يكون السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر لكن الوجه فيه ما ذكرنا على ذلك
الوجه يكون السورة شرطا لاستنباط الله اعلم ثم قوله وهم يستنبشون قيل يفتنون
بنزولها وقوله تعالى اولاد يرون انهم يفتنون في كل عام من اوس من يفتنون
بالجهاد والعز ويتخلفون عنه فيظهر بذلك كفرهم ويقال يفتنون بالسيد والحج
فيظهر ايضا بذلك نفاقهم وكفرهم وهو قوله واذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وكفرهم ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابه
فتنة انقلب على وجهه وقيل يفتنون باظهار الاسرار التي ليسوا بها في انفسهم
والافتصاح بذلك فانهم كانوا اذا خلوا يتكلمون بالكفر فيما بينهم واذا اتوا النبي خبرهم
ما تكلموا به في السورة فيفتنهم بذلك فذلك اختناهم ولا يقال انه قال يفتنون
في كل عام مرة او مؤتين وقوله تعالى ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي لا يتوبون
عن نفاقهم ولا هم يذكرون بما ابتلوا من هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم قوله تعالى
واذا ما كنت لسورة نظر بعضهم الي بعض هل يركم من اجد ثم انصرفوا قال بعضهم

هذه الآية صله قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول انكم ناذرته ايماناً اي
كان ينظر بعضهم الي بعض ثم يقولون ما ذكر وقال بعضهم اذا كانت السورة التي نزلت
حجة في اظهار الدين والايمان لسمعون منه ويقولون انكم ناذرته هذه ايماناً
واذا نزلت في اظهار نفاقهم واقتضا جميع نظر بعض الي بعض ثم انصرفوا ولا يشعرون
منه السورة اسفاً قارحاً من ظهور نفاقهم قوله تعالى صرف الله قلوبهم
يحتمل خلق الله منهم انصرفهم فاصرف اليه الصلوات وليسب ان يكون قوله
صرف الله قلوبهم عقوبة اي عاقبتهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردهم الحج
وتركهم انفسهم والنظر والتأمل فيها والقبول والله اعلم قوله تعالى لقد جاءكم
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ اِي مِنَ الْبَشَرِ وَهُوَ امْتِنَان
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حَيْثُ بَعَثَ الرَّسُولَ مِنَ الْبَشَرِ وَلَهُ انْ بَعَثَ مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ
لَكِنَّهُ بَعَثَ مِنَ الْبَشَرِ لِيَعْرِفُوا الْآيَاتِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا مِنَ السَّمَوَاتِ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ
مَبْلَغَ وَسْعِ الْبَشَرِ فِي الْأَشْيَاءِ وَقَدْ رَأَوْا أَنَّهَا آيَاتُ الْغَيْبِ فَجَعَلَ مَا يَأْتِي
عَنِ الطَّبَاقِ وَوَسْعِ الْبَشَرِ فِي التَّعْلَمِ عَنْ فَوَائِدِهَا آيَاتٍ لَا مَقْصِدَ لَهَا أَنَّهُ يَأْتِي
كُلَّ ذِي حُلِيِّ خَلْقِيهِ وَيَنْفَرُ مِنْ غَيْرِ حُلِيِّ هَذَا ظَاهِرٌ فِي الْخَلْقِ أَنْ كُلَّ ذِي
حُلِيِّ يَأْتِي خَلْقِيهِ وَلَا يَأْتِي بَعْضُ حُلِيِّهِ بَعْثَ الرَّسُولِ مِنَ الْبَشَرِ وَمِنْ جَنْبِهِ يَأْتِي الْغَا
يَهُ وَيَقْبَلُوا مِنْهُ مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُؤْتِيهِ إِلَى مَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ اِي مِنَ النَّسَائِكُمْ يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَمَوْلَاهُ وَلَسَاءَ
بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ سَلَامًا عَنْ جَمِيعِ الْأَقَاتِ بَرِيًّا عَنْ جَمِيعِ الْمَطَاعِينَ وَالْعُيُوبِ لِأَنَّ الْمَوَدَّةَ
إِذَا كَانَ مَوْلَاهُ وَمَنْشَأُهُ فِي قَبِيلِهِ أَوْ مَكَانٍ لَا يَعْرِفُونَ لَهُ الدَّهْنِيَّةَ رَجُلًا يَكُنْ فِيهِ
الطُّغْيَانُ وَالْغَيْبُ وَيَقْعُ التَّنَاقُذُ فِي نَسَبِهِ لِمَهْلِكِهِ نَسَبَهُ وَإِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُونَ مَوْلَاهُ
وَمَنْشَأَهُ لَا يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ عَلَى السَّلَامَةِ وَالصَّحَّةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْعُيُوبِ فَبَعَثَ اللَّهُ
تَعَالَى رَسُولَهُ مِنْ مَوْلَاهُمْ وَمَنْشَأَهُمْ وَمِنْ نَسَبِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَكُنْ فِيهِ مَا ذَكَرُوا
مِنَ الْمَضَامِينِ وَلَا يَقْرُبُ بَنِي مِنَ الْعُيُوبِ وَالْآفَاتِ الَّتِي ذَكَرُوا هَاجِرًا مِنْ خَوَالِ السَّحَرِ
وَالْكُفَّاءِ وَالْجَنُونَ وَالْأَفْرَآءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ
بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لَا نَهْ مَا يَأْتِي بِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجُجِ يَعْرِفُونَ أَنَّهَا سَمَاقِيَّةٌ لِمَا عَرَفُوا
أَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمِ السَّحَرُ وَلَا أَحْذَرُوا عَلَيْهِ كَذِبَ قَطٍ وَلَا جَنَ قَطٍ لَمَّا كَانَ نَسَبُهُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ اِي مِنَ الْعَرَبِ أَيْتِلَا لَكُنَّ وَلَا يَنْشُدُ وَلَا يَحْطُلُ

بِمِيقَاتِهِ عَلَى مَا وَصَفَهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ يَقُولُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يُحَدِّثُ عَنْهُمْ مَكْتُوبًا يَنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ الْآيَةِ وَقَالَ وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَحْطُلُ بِمِيقَاتِهِ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتِمُّنِي أَنْ يَبْعَثَ ٩٥٤
رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُ تَعَالَى خَيْرًا عَنْهُمْ لِيَنْجَا عَنْهُمْ مِنْذِيرًا لِيَكُونُوا أَهْدَى مِنْ أَجْدَبِ
الْأَمْرِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ مَا عِنْدَهُمْ قَبِيلٌ شَدِيدٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ إِي
مَا صَبَقَ عَلَيْكُمْ مَا صَدَّكُمْ وَقَالَ الْقَتَبِيُّ الْعِنَةُ الصَّبَقُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْعِنَةُ الْإِثْمُ
وَقَالَ أَبُو عَوَّجَةَ هُوَ الْإِثْمُ أَقْرَبُ وَهُوَ يَحْتَمِلُ كُلَّ الْإِثْمِ الْكُفْرُ وَغَيْرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ حَرِيصٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُسْلَمْ أَنْ يُسْلَمْ وَقِيلَ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالرَّسُولِ
وَالْهَدْيِ قَوْلُهُ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ إِي إِلَى رَحْمَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ
لَا رَحْمَةَ الطَّبَعِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ قُلُوا إِي أَعْرَضُوا عَنْ أَجَابَتِكُمْ وَدَعَاؤِكُمْ يَأْتِي
إِلَى الْإِيمَانِ وَالْوَحِيدِ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ إِي يَكْفِيَنِي اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَيَحْتَمِلُ فَإِنْ قُلُوا عَنْ
نَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ عَلَى الْأَعْدَاءِ أَفَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ فِي النَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَكُنَّا فِي عَلَيْهِمْ هَذَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَقْرَبُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ عَلَى السُّبُودِ كَرَامَاتِهِمْ وَبَحْتَهُ
مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَعْرَاضِ عَنِ الْوَحِيدِ وَالْأَجَابَةِ لَهُ وَبَحْتَهُ فَإِنْ قُلُوا عَنْكُمْ وَرَدُّوا
أَجَابَتَكُمْ وَالطَّاعَةَ لَكُمْ وَالْأَتَقِيَادَ وَهَتُوا أَنْ يَكْذِبُوكُمْ وَيَكْذِبُوا بِكُمْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
إِي كُنَّا فِي اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ إِي أَنْتَ كُنْتَ عَلَى مَا وَعَدْتَنِي مِنَ النَّصْرِ
وَالطُّغْيَانِ وَوَكَّلْتُ أَمْرِي بِاللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَبِيلٌ هُوَ
رَبُّ الْمَمْلَكِ الْعَظِيمِ إِي كُلَّ مَمْلَكَةٍ عِنْدَ مَمْلَكَةٍ صَغِيرٍ لَيْسَ بِمَمْلَكَةٍ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنَ الْعَرْشِ
هُوَ السِّرِّيُّ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فَهُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ السِّرِّيُّ الَّذِي يَكْرَهُ بِهِ
الْأَحْيَارُ مِنَ الْخَلَائِقِ وَالْأَبْرَارُ مِنْهُمْ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا قَبِيلٌ مِنَ الْعَرْشِ فِيمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَوْلُهُ تَعَالَى الرَّبُّكَ الْكِتَابُ قَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ فِي الْحَرْفِ
الْمَقْطَعَةِ وَقَوْلُهُ يَكُنْ الْكِتَابُ الْحَكِيمُ قَالَ بَعْضُهُمْ الْحَكِيمُ هُوَ اللَّهُ كَانَهُ قَالَ
ذَلِكَ الْكِتَابُ آيَاتِ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْحَكِيمُ صِفَةُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابُ ثُمَّ يَحْتَمِلُ هَذَا
وَجْهَيْنِ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ سَمَاءٌ حَكِيمًا فَعِيلٌ مَعْنَى مَفْعُولٍ إِي أَنَّهُ مُحْكَمٌ وَجَائِزٌ تَسْمِيَةُ الْمَفْعُولِ
بِاسْمِ الْفَعِيلِ مَوْقِفٌ مَعْنَى مَقْتُولٌ وَجَرَحَ مَعْنَى مَجْرُوحٌ وَتَحَوَّلَ لَكَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كِتَابٌ
مُحْكَمٌ فِيهِ الْحَقْلُ وَالْحَرَامُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ أَوْ مُحْكَمٌ مُتَقَنَّ مَبْرُومٌ يَرِي مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ

والاختلاف وهو ما وصفه الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تيزيل من حكم حميد والثاني متناه حكيم لما ان من تأمل فيه ونظر وفهم ما اودع
فيه وادرج صار حكيمًا وهو ما وصفه وسماه مجيدًا اي من تأمله ونظر فيه
صار مجيدًا شريفًا والحكيم هو المصيب في الحقيقة ان كان صفة القرآن او صفة الله
فان كان صفة الله فهو حكيم اي واضح كل شيء موضع فان كان صفة للقرآن
فهو ايضا كذلك ثم قوله آيات تحتل آيات الكتاب المعهودة ولحملة الحج والبراهين
اي حج الكتاب ولحملة اعلامه علي ما تقدم ذكرها قوله تعالى اكان للناس
مجتبا حروف متي كان من الله محتمل وحسين احدهما حقيقة الاحبار اي قد عجبوا
ان اوحينا الي رجل منهم والثاني محتمل علي الاستنكار القبيحون آف اوحينا
الي رجل منهم اي لا يعجبوا ان اوحينا الي رجل من البشر فان الوحي الي من هو من
البشر ابلغ في الحجاج واقطع للعدو واقرب الي الرافة والرحمة لان البشر يعرفون
خروج ما هو خارج عن طوق البشر وسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم
وكذا يالف كل جوهر لجوهره وكل جنس بجنسه ولا يالف بغير جنسه وغير
جوهره فاذا كان الامر ما وصفنا كان بعث الرسل من جنس المبعوث
اليهم ومن جوهرهم ابلغ في الحجاج واقطع للعدو واقرب الي الرافة والرحمة
فان موضع التجب فكان الكفار يعجبون من ثلاثة من انزال القرآن علي
رجل منهم بجهنم الخلاق عن اثبات مثله ويعجبون من الوحي الي رجل منهم
وارساله رسولًا من بين الكلى او من البشر كما قال تعالى خبرنا عنهم ايث الله
بسرار رسولاً وقوله انزل الذكر من بيننا وكافوا يعجبون وقوله اذا متنا
وكنا ترابا وغيره من الآيات فرد الله تعالى تعجبهم هذه الآية بارسال
الرسول من البشر ومحتمل قوله ان اوحينا الي ارسلنا الي رجل منهم اي بان
ذلك ابلغ في التعريف والحجاج لانه بعث اميالا يعرفوه بدراسته الكتب المتقدمة
او تبلي سنيًا منها ولا يعرفوا اختلاف الي احد منهم في تعليم كتبهم ولا عرف انه
كتب سنيًا ولا خطا خط سنيًا ثم اخبر علي كتبهم علي موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير
إسائه ذلك انه انما عرف بالله فذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم
قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا انهم قد مر صدق عند ربهم
قال بعضهم الا نذاريكون في كل مكروه ومن موب والبيان تكون في كل محبوب

و مرعوب وقالت بعضهم ان انذر الناس يعني الكفار بالنار وبشر الذين
آمنوا ان لهم قد مر صدق عند ربهم ثم اختلف في قوله قد مر صدق عند ربهم
قال بعضهم اي لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون
عليها وقيل قد مر صدق اي محمد صلي الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم
وقيل ان لهم ثواب اعمالهم الصالحة التي قد موها بين ايديهم وقال قد مر صدق
اي سلف خير او سلف وعيد وعد لهم بذلك وكان اصله من القدم وقال
ابو عبيدة يقال في الكلام ان فلان عندي قد مر صدق ويد صدق اي نعمة قد
اسلفها الي وقال العتيبي قد مر صدق يعني عملاً صالحاً قد موه وعن ابن عباس
رسمي الله عنهما قال سبق لهم السعادة في الذكر الاول اي اللوح المحفوظ فمن قال
قد مر صدق هو المشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق عبارة عن الثابت
والواقع اي لهم شفاعة ثابتة لا محالة ومن قال وعد ثواب اعمالهم اي تقدم
لهم وعد حق وصدق ومحتمل قد مر صدق اي يثبت قدمهم ولا تزال يوم تزلزل
الاقدام علي ما وصف من ثبوت قدم المؤمنين والعوادة وان تزل قدم الكافرين
كقوله تزلزل عدم بعد ثبوته قوله تعالى قال الكافرون ان هذا الساجد
مبين ومن تدار السجدة علي هذا القرآن ومن تدار ليسا حجة عني النبي ثم المراد
من السجدة هنا هو ما يبرار في الظاهر انه حق وهو في الحقيقة باطل لاشي وهو
نوعان كما ياخذ الابصار ويأخذ العقول ويوتر حقيقة فاما الذي ياخذ الابصار
هو ما يبرار الشئ علي غير ما هو في الحقيقة وذلك شعبه وتخييل واما الذي ياخذ
العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنوناً ويخوذ لك وقول فيعون لموسى اي
لا طمئنتك يا موسى مجور اي مجنون نالكن هو لا يبريدوا بقوله لسا حجة مبين السجدة
الذي ياخذ العقول ولكن ارادوا السجدة الذي ياخذ الابصار في الظاهر وهو لا
شي في الحقيقة ثم في قولهم ان هذا الساجد مبين دليل علي انهم عجبوا واعن رده
وعمره فانه حق لكنهم ارادوا التوبة علي الناس كقول فيعون لسا حجة اذا آمنوا
يرت موسى انه كبيركم الذي علم الحق اراد ان يوقه علي الناس والله اعلم قوله
تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ان القوم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاخبار والرهبان ارباباً من دون الله
يقول ابن رجب الذي يستحق العبادة والاوهية هو الذي خلقكم وخلق السموات

وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُقْبِرُ فِي سَنَةِ يَوْمٍ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ قَدْ تَقَدَّمَ
 ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ قَوْلَهُ تَعَالَى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ هُوَ يَصْنَعُ الْمِيعَةَ الَّتِي ذَكَرْنَا
 ٢٥٧ أَيُّهَا الَّذِي لَيْسَتْ حَقَّ الْعِبَادَةِ إِلَيْهِ وَقَدْ جِئَ السُّكْرَاءُ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي يُؤْتِي
 الْأُمُورَ فِي مَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ فِي حَرَمِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ وَدَفَعَ الْمَضَارَّ عَنْهُمْ لَا الَّذِينَ
 لَا يَمْلِكُونَ حَرَمَ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ وَدَفَعَ الْمَضَارَّ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا حَرَمَهَا إِلَى مَنْ
 يُعْبُدُهُمْ أَوْ دَفَعَ الْمَضَارَّ عَنْهُمْ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّوْبِيلِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ أَيُّهَا الْقَضِيَّةُ
 وَالتَّدْبِيرُ وَالْقَضَاءُ وَاجِدْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ أَيُّهَا الْقَضِيَّةُ وَيُقَدِّرُ مَا
 ذَكَرْنَا وَالتَّدْبِيرُ وَالتَّقْدِيرُ سَوَاءٌ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 الشَّيْءُ هُوَ ذَا الْمَنْزِلَةِ وَالْقَدَرُ عِنْدَ الَّذِي لَيْسَتْ إِلَيْهِ لَا أَحَدٌ فِي السَّاهِرِ لَيْسَتْ
 لِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ عِنْدَ الَّذِي لَيْسَتْ إِلَيْهِ ذَا الْمَنْزِلَةِ وَقَدْ
 وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْفَعُ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا أَذِنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ جَاءَ
 بِالتَّوْحِيدِ مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي أَمَرَهَا وَهِيَ عَنْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ
 تَعَالَى ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَقَالَ ذِكْرُ الَّذِي لَيْسَتْ حَقَّ الْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَدَبَّرَ أُمُورَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا بِهِ لَا يَمْلِكُ
 شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَهُوَ الْمُسْتَوْجِبُ
 لِلشُّكْرِ الَّذِي يُعْبَدُونَ أَنْتُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْجَمِيعُ
 فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ لَكِنَّهُ خَصَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالْمَرْجِعِ إِلَيْهِ مَا أَنْ خَلَّاهُ مِنْ كُلِّ مَعْلُومٍ
 يَوْمَئِذٍ أَنْهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ أَوْ سَقَى لِبَعْثِ رَجُوعًا إِلَيْهِ مَا أَنْ الْمَقْصُودُ مِنْ أَسْئَلِهِمْ
 الْبَعْثُ عَلَى مَا مَرَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا وَهُمْ يَارِزُونَ لَهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَكِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ يَعْرِفُونَ وَيُقَدِّرُونَ بِالْبُرُودِ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
 الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى مَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَالْمَلِكُ الْقَهَّارُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَكِنَّهُ خَصَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالْإِيْتِنَانِ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي الْمَلِكِ وَيُقَدِّرُونَ بِالْمَلِكِ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي الدُّنْيَا مَنْ قَدْ نَازَعَ
 فِي مَلِكِهِ وَلَا يُقَدِّرُ بِهِ فَعَلَى ذَلِكَ الْمَرْجِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا
 لِحُكْمِ الْبَعْثِ الَّذِي ذَكَرَ عَلَى آثَرِهِ بِقَوْلِهِ أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَيَجْعَلُ مَا وَعَدَ
 مِنَ الثَّوَابِ لِلْحَسَنِ وَالْعِقَابَ لِلْمَسِيءِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
 يُعِيدُهُ أَيُّهَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَكُمْ وَالْخَلْقَ جَمِيعًا فَكَذَلِكَ مِنْ أَعَادَتِهِ عَلَى مَا يَرَى

كَقَوْلِهِ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أَيُّهَا أَعَادَةُ الشَّيْءِ
 أَهْوَنُ عِنْدَكُمْ مِنْ بَدَإِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ قُلْ بِالْعَدْلِ وَلَكِنْ فِي هَذَا التَّوْبِيلِ نَظَرٌ لِأَنَّ جِزَاءَ الْعِبَادَةِ يَكُونُ ٢٥٨
 أَفْضَلًا وَاحْتِسَابًا لَا اسْتِحْقَاقًا وَاسْتِجَابًا وَمَا كَانَ بِطَرِيقِ الْعَدْلِ هُوَ مُسْتَحَقٌّ لَا
 مَحَالَةً فَإِنَّ جِزَاءَ الْكُفْرِ بِطَرِيقِ الْعَدْلِ وَكَذَا جِزَاءَ الْعِصْيَانِ لَكِنْ جِزَاءَ الْمَعْصِيَةِ
 لِحُكْمِ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالْإِقْبَابَةِ خِلَافَ جِزَاءِ الْكُفْرِ عَلَى مَا يَعْرِفُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
 ثُمَّ هَذِهِ الْآيَةُ لِحُكْمِ جَوْهَرٍ مُحْتَمِلٍ بِالْقِسْطِ أَيُّهَا الْجَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ
 وَالْمُسْتَحِقِّينَ جِزَاءُ الْإِسْأَارَةِ وَفَصْلٌ بَيْنَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجِزَاءِ
 وَجَعَلَ لِلْوَلِيِّ عِلَامَةً وَأَثَرًا عَرَفَ بِهَا مِنَ الْعَدُوِّ أَذَلَمْ يُفَضِّلْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ
 الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ فِي الرِّزْقِ وَمَا يُبَيِّنُ الْبَهْمِ مِنَ النِّعَمِ وَلَا جَعَلَ عِلَامَةً يَعْرِفُ
 بِهَا الْوَلِيَّ مِنَ الْعَدُوِّ وَجَعَلَ فِي الْآخِرَةِ ذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَ هَذَا مِنْ هَذَا هَذَا
 الْعَدْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا لِيُشَبَّهَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحُكْمُ الْقِسْطِ الْوَزْنُ
 أَيُّهَا الْجَزَاءُ بِالْوَزْنِ عَلَى تَقْدِيرِ النَّوعِ بِالنَّوعِ لَا عَلَى الْقَدْرِ أَنْ يَجْزِيَ بِالْحُسْنَةِ قَدْرًا
 لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ لِيُخَيَّرَ خَيْرًا وَلِلْحُسْنَةِ حُسْنَةً وَلِلْسَيِّئَةِ سَيِّئَةً وَحُكْمُ
 قَوْلِهِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْعَدْلِ أَيُّهَا الْجَزَاءُ الَّذِينَ عَمِلُوا
 بِالْعَدْلِ لَمْ يَجْزَوْا وَافِيَهُ وَلَا جَاوَزُوا الْحَدَّ الَّذِي حَدَّ لَهُمْ أَيُّهَا الْجَزَاءُ فِي الْآخِرَةِ
 مَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا وَعَدَلُوا وَلِيُشَبَّهَ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ الْعَدْلِ كَمَا قَالَ
 لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْعَدْلِ أَيُّهَا لِيُعْزِزَهُمْ فِي النَّارِ إِذَا آمَنُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَوْمَئِذٍ أَجْرُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ الْقِسْطُ عَلَى بَعْضِ
 مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّوْبِيلَاتِ يَكُونُ لِقَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى الْبَعْضِ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ وَيَكُونُ
 وَصْفًا لَهُ ثُمَّ حُكْمُ جَوْهَرٍ أَحَدٍ يَكُونُ الْقِسْطُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى اللَّهِ وَصْفًا لَهُ أَحَدًا
 أَنْ يَجْزِيَ مُزَيَّعًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَدْلِ يَجْزِيَ لِحُسْنَتِهِمْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ وَجِزِيَ لِسَيِّئَتِهِمْ
 جِزَاءُ الْإِسْأَارَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ جِزَاءً بِالْعَدْلِ وَهُوَ جِزَاءُ الْمَثَلِ وَجِزِيَ لِفُتُورِهِمْ أَحَدًا
 بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ يَجْزِيَ لِحُسْنَتِهِمْ جِزَاءً الْحُسْنَةِ وَيَكْفُرُ عَنْ سَيِّئَتِهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَيَجْأُوزُ عَنْ سَيِّئَتِهِمْ وَقَوْلُهُ أَنْ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ
 أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيُقَدِّرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالشَّيْءُ الْجَزَاءُ بِالْعَدْلِ
 إِذَا الْعَدْلُ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ أَيُّهَا يَضَعُ الْفَضْلَ فِي أَهْلِهِ لَا يَضَعُهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

وَوَضَعَ الْفَضْلُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ عَدْلًا أَهْلًا لَهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَيُوتِي كُلَّ ذِي
 فَضْلٍ فَضْلَهُ وَالثَّالِثُ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ مَقَابِلُ الْإِحْسَانِ هُوَ الْفَضْلُ لَا الْعَدْلُ
 الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ لِقَوْلِهِ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا لَوَاقِعِ النَّسَاءِ الْإِلَاحَةِ لَا كَحَتْمِ
 ٢٥٩ أَنْ يَقُولَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا لَوَاقِعِ النَّسَاءِ فِي الْعَدْلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ
 فَأَنْهُمْ لَيَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْدُوا لَوَاقِعِهِنَّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ فَلَا جَوْرَ وَنَ فَعَلِي ذَلِكَ
 قَوْلُهُ لِمَنْ ذِي الْإِيمَانِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الْعَمَلَاتِ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ مَقَابِلُ الْإِحْسَانِ
 وَهُوَ الْفَضْلُ إِذَا لِلْفَضْلِ دَرَجَاتٌ وَأَصْلُهُ أَنْ جَزَاءُ الْأَجْرَةِ كُلُّهُ أَفْضَالٌ وَاحْتِسَانٌ
 وَأَنْفَاعٌ لَا اسْتِجَابٌ وَاسْتِحْقَاقٌ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ قَبْلَ الْحَمِيمِ هُوَ الشَّرَابُ الَّذِي أَنْتَهَى حَقُّ عَمَائِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
 هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ذَكَرَ فِي الشَّمْسِ الضِّيَاءَ وَفِي الْقَمَرِ النُّورَ
 هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَأَنَّ اللَّيْلَ مَظْلَمٌ يَظْهَرُ نُورُ الْقَمَرِ مِنْهُ وَيَغْلِبُ عَلَى ظِلِّهِ اللَّيْلُ
 وَيَقْصُرُهَا فَأَمَّا النَّهَارُ مَبْصُرٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى وَالنَّهَارُ مَبْصُرٌ جَعَلَ فِيهِ النُّورَ
 فَلَوْ جَعَلَ فِي الشَّمْسِ النُّورَ خَاصَّةً لَكَانَ لَا يَظْهَرُ نُورُ الشَّمْسِ وَلَا غَلِبَ نُورُهَا
 عَلَى نُورِ النَّهَارِ فَكَانَتْ تَزْهَبُ الْمَنَافِعُ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا لِلْخَلْقِ لِيَجْعَلَ بِلُطْفِهِ فِيهَا ضِيَاءً
 لِيَظْهَرُ نُورُهَا عَلَى نُورِ النَّهَارِ وَيَغْلِبَهُ وَيَقْصُرُ لِيَظْهَرَ الْمَنَافِعُ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا وَلَوْ كَانَ نُورًا
 مِثْلَهُ لَمْ يَظْهَرِ نُورُهَا مِنْ هَذَا أَوْلَمَ يَوْصَلُ إِلَى الْمَنَافِعِ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا لِلْخَلْقِ وَهُوَ مَا
 ذَكَرَهُ مَدَّ الظِّلَّ وَآخِرُهُ أَنْهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا وَلَوْ كَانَ سَاكِنًا مِمَّا جَعَلَهُ
 بِقَوْلِهِ الْمَرْتَدِّ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا لَكَانَ لَا يَعْرِفُ
 الظِّلُّ ثُمَّ أَحْبَبَ أَنْهُ جَعَلَ الشَّمْسَ دَلِيلًا عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ بِهَا الظِّلُّ بَدْخَ الشَّمْسِ ذَلِكَ الظِّلُّ
 الْمَدُّ وَدَلِيلًا بَعْدَ شَيْءٍ فَضَارَتْ الشَّمْسُ بِهَا يَعْرِفُ الظِّلُّ بِهَا يَظْهَرُ فَعَلٌ ذَلِكَ
 الضِّيَاءُ الَّذِي فِي الشَّمْسِ كَانَ بِهِ يَعْرِفُ نُورُهَا مِنْ نُورِ النَّهَارِ وَبِهِ يَوْصَلُ إِلَى
 مَنَافِعِ الشَّمْسِ وَلَوْ كَانَ نُورًا لَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَظْهَرُ إِذَا لَغَلِبَتْ أَحَدَهَا صَاحِبُهُ
 وَلَا يَعْرِفُ آيَةَ الشَّمْسِ مِنْ آيَةِ النَّهَارِ ثُمَّ جَعَلَ آيَةَ الشَّمْسِ غَالِبَةً عَلَى جَمِيعِ الْآيَاتِ
 حَتَّى لَا يُبْصَرَ النُّجُومُ بِالنَّهَارِ أَصْلًا وَالْقَمَرُ وَإِنْ كَانَ يَرَى وَيُبْصَرُ كَمَا كَانَ نُورُ
 الشَّمْسِ فَذِي غَلْبَةٍ وَيُفْهِمُ حَتَّى لَا يَظْهَرَ أَبَدًا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّمْسِ مَنَفْعَيْنِ
 مَعْرِفَةَ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَةَ الْأَنْمَةِ وَمَعْرِفَةَ نَفْحِ الْأَشْيَاءِ وَبَيَّعَهَا فِي الْقَمَرِ مَنَفْعَيْنِ
 أَيْضًا أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ حَتَابِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَمَعْرِفَةُ بَضْعِ الْأَشْيَاءِ وَالْآثَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ لِمَنَازِلَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ بِشِبْهِ
 أَنْ يَكُونَ الْمُقَدَّرُ الَّذِي ذَكَرَ يَكُونُ لَهَا جَمِيعًا وَيَعْرِفُ الْحِسَابَ وَعَدَدَ
 السِّنِينَ بِهَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ ذَكَرَ فِي حُرُوفِ حَفْصَةَ وَحَيَّ اللَّهَ عَنْهَا وَقَدَّرَ هُنَا
 ٢٦٠ مَنَازِلَ وَجَاءَ بِأَنْ يَكُونَ جَعَلَ الشَّمْسُ بِالَّذِي يَعْرِفُ بِهَا أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ
 وَالْأَنْمَةِ مِنَ الْمَشْتَاءِ وَالصَّيْفِ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ بِالْقَمَرِ وَجَعَلَ فِي الْقَمَرِ مَعْرِفَةَ
 الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَفِي الشَّمْسِ مَعْرِفَةَ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَالْأَنْمَةِ لَا يَعْرِفُ
 بِهَا الشُّهُورَ وَالسِّنِينَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَبِالْقَمَرِ لَا يَعْرِفُ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ وَالْأَنْمَةَ
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ لَيْسَ أَنْ يَعْرِفَ هَذَا بِهَا وَلَا يَعْرِفُ
 غَيْرُهُ بَلْ يَعْرِفُ مَا ذَكَرَهُ اسْتِثْنَاءً إِذَا التَّنْصِيفُ عَلَى الشَّيْءِ لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ مَا
 عَدَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ قَالَتْ ابُوبَكْرٍ اللَّيْسَ
 مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ حَلَّ فِيهِ دَلَالَةٌ مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِي مَا خَلَقَ اللَّهُ
 ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ فِيهِ الدَّلَالَاتُ عَلَى الْأَكْوَابِ وَالسَّهَادَةُ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَحَتْمٌ
 بِالْحَقِّ إِي بِالْحِكْمَةِ إِي لَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثًا بَاطِلًا وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا وَلَكِنْ لِحُكْمٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِي مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْكَافِرِ
 لَا مَحَالَةَ وَهُوَ الْبَعْثُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَتَعْلَمُوا لَتَقُومَ لَتَعْلَمُوا
 قِيلَ تَبَيَّنَ وَنَصَرَهَا لَتَقُومَ يَنْتَفِعُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنْ فِي اخْتِلَافِ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِ لَتَقُومَ يَتَقَوَّنَ إِنْ
 فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَةُ الْبَعْثِ وَدَلَالَةٌ تَدِيرُهَا وَدَلَالَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ
 أَمَّا دَلَالَةُ الْبَعْثِ فَلَا نَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ ذَهَبَ الْآخِرُ وَفِي حَتَّى لَا يَبْقَى
 لَهُ أَشْرَ ثُمَّ يَجْعَدُ أَنْ وَحْدَانٍ عَلَى ذَلِكَ أَمْرُهُمَا فَنَقَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِ
 الْخَلْقِ وَأَنْشَاءِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا صَارُوا تَرَابًا وَأَمَّا دَلَالَةُ التَّدِيرِ فِي حُرَايَاهَا
 وَتَسِيرِهَا عَلَى سَنِينَ وَاحِدٍ وَتَقْدِيرِ وَاحِدٍ مِنْ غَيْبٍ تَغْيِيرُ بَيْعٍ فِيهَا أَوْ تَفَاوُتٍ
 أَوْ نَقْصَانٍ أَوْ زِيَادَةٍ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا يَدْخُلُ فِي الْآخَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِيهَا تَدِيرٌ
 ذَاتِي وَعِلْمٌ أَنْ يَكُونَ وَأَمَّا دَلَالَةُ أَنَّهُ وَاحِدٌ مَا ذَكَرْنَا مِنْ جُرْيَانِهَا عَلَى سَنِينَ وَاحِدٍ وَتَقْدِيرِ
 وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ وَلَوْ كَانَ التَّدِيرُ فِيهَا لَعَدَدُ لَكَانَ مُخْتَلِفًا وَلَا يَجْرِيَانِ عَلَى
 قَدَرٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِيهَا أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ذَلِكَ أَنَّهُ وَاحِدٌ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
 وَفِي قَوْلِهِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ دَلَالَةٌ وَحْدَانِيَّةٍ مُنْشِئَةً وَخَالِقَةً

لأنه انشأهما وبينهما من البعد ما بينهما ثم جعل منافع أحدهما متصلة بمنافع الآخر
علي بعد ما بينهما ذلك ان منشأهما واحد اذ لو كان عدداً لكان منع كل واحد
منهما ففعله من الوصول اليه الآخر علي ما هو فعل ملوك الارض قول
تعالى لتؤمنن بيثقون اي يتقون مخالفة الله تعالى ويتقون الشرور والمعاصي
قول الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا قائلون لا يرجون من الرجاء
اي لا يرجون ما وعد الخلق من الثواب فلا يرجون فيما يرجي ويلطمع من الرغائب
فينصبر كما به قالت ان الذين لا يؤمنون بالآخرة لان المؤمنين يرجوا ويخشون وقالت
بعضهم لا يرجون لقاءنا اي لا يجانون لقاءنا وما من خوف الا وفيه رجاء وما من رجاء
الا وفيه خوف لان الخوف الذي لا رجاء فيه هو اياس والرجاء الذي لا خوف فيه
امن لكن الغالب في الحسنات والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب في السيئات
والشرور الخوف وفيه اياس والرجاء وهو كما ذكرنا في الشكر والصبر انها واحدة
لان الصبر هو كفت النفس عن الشهوات والذات والشكر هو استعمالها في الخيرات
فاذا كفها عن الشهوات استعملها في الخيرات لذلك قلنا انها في الحقيقة واحدة
ولان الشكر هو المتبول وكذلك الصبر ايضاً غير ان الشكر في قبول النعم والصبر
في قبول البلياء والمصائب والله اعلم قول الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأننوا بها اي اختلفوا واطمأننوا بها اي اختلفوا في المقام فيما عملوا لها كانهم
مقبضون منها ابدانهم قوله ورضوا بالحياة الدنيا كمثل وجهين احدهما سروروا
بها وآثروا ثواب محاسن الدنيا علي ثواب الآخرة والثاني رضاهم بالدنيا
والطمانينة بها منعم عن التفكير والنظر في امور الآخرة قول الله تعالى والذين هم
عن آياتنا غافلون اولئك ما لديهم النار بما كانوا يكسبون اي بما كانوا يكسبون من
ردم الآيات وكفرهم بها قول الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهدى بهم ربهم بايمانهم محمداً وجوهاً اي يهديهم ربهم بايمانهم في الدنيا طريقاً الجنة
في الآخرة وهو معنى ما ذكر في القصة ان المؤمنين اذا اخرج من القبر ليصور له
عمله بصورة حسنة والله اعلم والثاني يهديهم ربهم بايمانهم اي يهديهم ربهم
بهديته اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم اي يدعوهم الي الخيرات في الدنيا
بسبب ايمانهم قول الله تعالى تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يقول
اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد تقدم ذكره قول الله تعالى ودعويهم فيها

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قالت بعضهم دعويهم اي دعوي الايمان اي
يدعون الي الآخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا الي الدنيا
وحداية الله تعالى ونزهوه قوله تعالى سبحانك اللهم هو حرف التنزيه ٤٦٤
وتبرأة الرب عن الاشياء وجميع الآفات التي وصفه المشبهة والمحمدة فهذا
يدل ان ما خرج مخرج الدعوي فانه لا يختلف بين دار ودار وقوله سبحانك
اللهم لخرج علي وجوه احدها خبر ان ليس علي اهل الجنة من العباد است
سوي التوحيد اذ هو كلمة التوحيد والثاني يقولون ذلك لعظيم ما رأوا
من النعم وعجب ما عاينوا والثالث شكر الله اعطاهم من الوان النعم والاطعمة
وقالت عامة اهل التاويل هي من الدعاء لا من الدعوي يقولون انهم اذا استهوا
طعاماً او شربوا او تمتوا شيئاً يدعون بقوله سبحانك اللهم فيؤثرون ما تمتوا واشتهوا
لكن الاشكال انه ذكر ان لا ينقطع لذات الجنة ولو كان الامر علي ما قاله اهل
التاويل لكان فيه انقطاع للذات والشهوات حتي يطلبوها بالدعاء الا ان
يقال انهم يلهون الشهوات والذات والاماني ورأى ما كانت فيستهنون فينالونها
بذكر هذه الكلمة قال الله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وقال وفاكهة مما
يتخيرون ولحم طير مما يشتهون الآية لكن لا نعلم مراد الله تعالى علي الحقيقة
فلا ينقطع القول بشئ من ذلك مع جواز ان يكون كل واحد مراداً والله اعلم
قول الله تعالى وتحيتهم فيها سلام قالت اهل التاويل ان الملائكة يأتون
بما استهوا ويسلمون عليهم فيردون السلام علي الملائكة فذلك قوله وتحيتهم
فيها سلام قالت اهل التاويل ان الملائكة يأتون بما استهوا ويسلمون عليهم
فيردون السلام علي الملائكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا اطعموا وقرعوا
قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وهو قول ابن عباس ويشبهه ان يكون
قوله وتحيتهم فيها سلام الكلام الذي لا عيب فيه ولا مطعن اي كلام بعضهم لبعض
منزه عن جميع العيوب منفي عنه المطاعن وهو كقوله لا يسمعون فيها لغواً ولا
تأثيماً الا قلة سلاماً سلاماً ومحوه قوله تعالى وآخذ دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
قال اهل التاويل يقولون علي اثر فداعهم من الطعام والشراب ذلك وقال
الحسن ان الله تعالى رضي من عباده الشكر لما أنعم عليهم في الدنيا والآخرة بالحمد لله
ولسبب العالمين ويشبهه ان يكون قوله وآخذ دعواهم اي دعويهم في الدنيا

وَالله اعلم قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ يُعْجِلُ اللهُ النَّاسَ الشُّرَا سَتَجْلَهُم بِالْخَيْرِ لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ
اجْلُهُمْ كَأَنَّ الْآيَةَ عَلَى الْإِصْبَاحِ قَالَتْ وَلَوْ يُعْجِلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشُّرَا إِذَا اسْتَجَابُوا
لَعَجِلَ لَهُمُ الْخَيْرُ إِذَا اسْتَجَابُوا لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ اجْلُهُمْ لَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي ظَاهِرِ الْآيَةِ
اسْتَجَابَهُمُ الشُّرَا إِذَا ذَكَرَ تَعْجِيلَهُ وَلَكِنْ فِيهِ مَا ذَكَرَ نَامِنِ اصْنَارِ اسْتَجَابِ الشُّرَا
وَهُوَ مَا ذَكَرَ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْقُرْآنِ اسْتَجَابَهُمُ الْعَذَابُ كَقَوْلِهِ وَلَسْتَ تَعْلَمُونَ
الْعَذَابَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ لَا يَسْرِفُ شَيْئًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ لَا يَسْرِفُ شَيْئًا
السَّمَاءُ أَوْ آيَتِنَا بِعَذَابِ الْيَوْمِ وَخَوَذَكَ فَمَا هُوَ اسْتَجَابُوا الْعَذَابَ اسْتَجَابُوا تَضَرُّعَ
فَقَالَ وَلَوْ يُعْجِلُ اللهُ لَهُمُ الْعَذَابَ إِذَا اسْتَجَابُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْخَيْرُ إِذَا اسْتَجَابُوا لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ
اجْلُهُمْ أَيْ هَلَكُوا وَفُتُوا وَهَذَا التَّأْوِيلُ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ خَاصَّةً عِنْدَ اسْتَجَابِهِمُ الْعَذَابَ
اسْتَجَابُوا تَضَرُّعَ وَتَوَّالٍ وَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخَلَائِقِ عَلَى غَيْرِ تَضَرُّعٍ
وَتَوَّالٍ وَلَكِنْ عِنْدَ ارْتِكَابِهِمُ الشُّرَا وَالْمَعَاصِيَ كَأَنَّهُ يَقُولُ وَاللَّهُ اعْلَمْ وَلَوْ يُعْجِلُ اللهُ
لِلنَّاسِ الشُّرَا بِاَلْكَتَابِ الشُّرَا وَبَارْتِكَابِهِمْ الْجَنَاحَ ثُمَّ وَقْتُ اَلْكَتَابِ كَأَنَّهُ يَقُولُ
وَقْتُ اَلْكَتَابِ لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ اجْلُهُمْ لَكِنَّهُ لَمْ يُعْجِلْ لَهُمْ ذَلِكَ قُلْ أَخْبِرْهُ إِلَى الْمُدَّةِ
الَّتِي جَعَلَ لِأَجْلِهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَايَةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَحَتَّى وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ مَا يَدْعُوا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِاللَّعْنِ
وَالْحِزْبِ يَقُولُ الرَّجُلُ عِنْدَ سَيِّئَةِ الْقَضْبِ اللَّهُمَّ الْعَنْ فَلَا نَالَهُمْ أَجْرَهُ وَخَوَذَكَ
مِنَ الدَّعَوَاتِ يَقُولُ لَوْ يُعْجِلُ لَهُمْ أَجَابَةُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَعَجِلْ لَهُمْ أَجَابَةُ عِنْدَ
دُعَائِهِمْ لِبَعْضٍ بِالرَّحْمَةِ وَالسَّعَةِ لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ اجْلُهُمْ وَاللَّهُ اعْلَمْ ثُمَّ قَوْلُهُ لَعَجِلَ إِلَيْهِمْ
اجْلُهُمْ كَأَنَّهُ هَلَكُوا قَبْلَ الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَتْ أَجْلَهُمْ وَحَتَّى أَيْ هَلَكُوا وَتَكُونُ
ذَلِكَ أَنْقِضًا أَجْلَهُمْ أَيْ لَجْعَلِ أَجْلَهُمْ ذَلِكَ فِي الْأَزَلِ وَهَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ
الْمُوَافِقُ لِمَا أَخْبَرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ أَنْ لَا يَهْلِكُ أَحَدٌ قَبْلَ أَجْلِهِ لَا يَقْدُمُ وَلَا يُؤَخَّرُ
مِنْ خَوْفِ قَوْلِهِ لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ وَغَيْرِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ هُوَ مَا ذَكَرْنَا أَنْ مِنْ حُكْمِهِ أَنْ لَا
يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا بِصَنِيعِهِ الَّذِي صَنَعَ وَقَدْ تَعَجَّلَ لَهُمْ جَزَاءُ حَيَاتِهِمْ
فِي الدُّنْيَا بِإِسَاءَاتِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ وَلَكِنْ مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُؤَخَّرَ عِقَابُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أَيْ تَرْكُهُمْ
يَتَرَدَّدُونَ فِي عَمَاهُمْ وَحَرَمَتِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ وَاللَّهُ اعْلَمْ بِالْحَقِّ

قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ الْفَضْلَ وَكَانَ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنْ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْإِنْسَانُ وَالْمَرَادُ
مِنْهُ الْكَافِرُ خَوْفُ قَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنْكَ كَادِحٌ وَقَوْلُهُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا
تَعَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَافِرُ وَقَوْلُهُ وَالْعَصْرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ خَسِرَ لَكِنْ لَا تَقْطَعُ الْقَوْلَ
بِمَا قَالُوا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الْكَافِرُ لَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ دَلِيلُ مَقْطُوعِ
بِمَا عَلَى ذَلِكَ كَأَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَمَلُ الْإِيمَانُ وَكَانَ ذَلِكَ الْخَطَابُ
مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بَأَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ مَا يَكُونُ مِنَ الْكُفْرِ لِأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مَنْ
يُفْعَلُ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ مَسَائِلِ الْحَاجَةِ وَالشُّرَا فَإِذَا أُجِبَ
ذَلِكَ وَانْكَشَفَ عَنْهُ تَرَكَ ذَلِكَ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ اعْلَمْ
ثُمَّ قَوْلُهُ دَعَا نَالِحِيْنَهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا لَيْسَ عَلَيْهِ ارَادَةُ حَقِيقَةِ الْحُبِّ وَالتَّعَوُّدِ
وَالْقِيَامِ وَلَكِنْ عَلَى ارَادَةِ الدُّعَاءِ فِي كُلِّ حَالٍ أَيْ يَدْعُوْنَهُ فِي كُلِّ حَالٍ بِمَا عَرَفُوا
أَنَّ الَّذِي كَانَ يُؤَايِسُهُمْ وَنَهَى عَنْهُ دُونَ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ دَفْعَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الشُّدَا أَيْدٍ وَالْمَضَارِّ
اقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ الَّتِي فِي كَشْفِ ذَلِكَ عَنْهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ سَفْهَتِهِمْ وَشِدَّةِ
تَعَتُّبِهِمْ بَعُودَهُمْ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ يَقُولِهِ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ
مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى صُورَتِهِ يَقُولُ وَاللَّهُ اعْلَمْ لَمَّا أُجِبَ عَنْهُ الْعَذَابُ لَنَسِينَا
كَانَ لَمْ يَعِدْنَا وَمَتَدَايِ اسْتَمَرَّ عَلَى تَرْكِ الدُّعَاءِ فِي الرَّجَاءِ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلُهُ تَعَالَى
كَذَلِكَ ذَرَيْنِ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ الْإِسْرَافَ هُوَ الْعَدْوَانُ وَالتَّعَدِّيُّ
عَنِ الْحِدِّ الَّذِي جُعِلَ لَهُ وَهُوَ وَضْعُ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَنْفَعُونَ
بِهَا فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ
مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا فَإِنْ قِيلَ قَدْ أَهْلَكَكَ مِنْ قَدْ ظَلَمَ وَمِنْ لَمْ يَظْلَمْ يَنْبَغِ نَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَهْلَكَ
مِنَ الظُّلْمَةِ إِنَّمَا أَهْلَكَهُمُ لظُلْمِهِمْ وَلَمْ يَمْلِكْ بِالْإِسْلَاحِ مَنْ لَمْ يَظْلَمْ قِيلَ أَنَّهُ أَهْلَكَ الظُّلْمَةَ
أَهْلَكَ اسْتِيصَالَ وَعَقُوبَةً وَأَهْلَكَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْ لَا أَهْلَكَ عَقُوبَةً وَاسْتِيصَالَ إِنَّمَا
هُوَ أَهْلَكَ بِأَنْقِضَا أَجَالِهِمُ الَّتِي جُعِلَ لَهُمْ وَحَتَّى أَنْ أَهْلَكَ أَوَّلِيكَ لِيَسْأَلَهُمُ الَّذِي
سَأَلَ لَوْ اسْأَلُوا لَعَنَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمُفْتَرِجَةِ إِذْ مِنْ حُكْمِهِ الْأَهْلَكَ عَلَى اَلْأَسْوَالِ
الْآيَاتِ الْمُفْتَرِجَةِ بَعْدَ مَا أَقَامَ الْحُجُجَ الْكَافِيَةَ كَمَا قَالَ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ كَأَنَّهُ قَالَ
عَلَى سَبِيلِ الزَّجْرِ وَالنَّهْيِ لَمْ يَهْلِكْ مَكَّةَ عَنْ تَوَّالِ الْآيَاتِ الْمُفْتَرِجَةِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ لَا تَسْأَلُوا
مُسْلِمًا فَإِنَّكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُ الرَّسُولَ ثُمَّ كَذَبْتُمْ مَا يَعَذِّبُكُمْ كَمَا عَذَّبَ أَوَّلِيكَ إِذَا سَأَلُوا الْآيَاتِ

ولم يتلوها والله اعلم قول الله تعالى وما كان قولكم الا في اليومين والحشر رسول الله وان
سألوك الايات فاذا حث بها فانهم لا يؤمنون يعني اهل مكة قول الله تعالى
كذلك يجزي القوم المجرمين اي كل مجرم قول الله تعالى ثم جعلناكم خلايف
في الارض من بعدهم محتمل قوله خلايف اي جعل انفسكم خلف انفس اوليك
الذين لم يهلككم مخرج هذا المخرج ذكر النعمة والامتنان والرحمة يذكرهم الله لو شاء
اهلك الكل فلا يكون هؤلاء خلفا لاوليك ولكن بفضلهم ورحمته التي البعض لكونها
خلفا لهم ومحتمل اي جعلناكم خلايف اوليك في المحنة والعبادة اي جعل عليكم
من المحنة والعبادة كما كان علي ابايكم وليثبه ان يكون قوله ثم جعلناكم خلايف
اي جعلناكم خلايف الذين لم يظلموا ولم يكونوا المرسل فلا يتبعونهم كما هم ادعوا ان
اباهم كانوا علي ما هم عليه وانهم علي مذهب آبايهم يقول جعلناكم خلايف الذين
لم يظلموا اذ الذين ظلموا قد اهلكوا فقد تركتم مذهب آبايكم والله اعلم ومحتمل ان يكون
قوله ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم اي لست انا باول رسول ارسلت
اليكم ولستم انتم باول تومر ارسل اليهم الرسول بل لم يزل الله تعالى يرسل رسولا
في الامم وكان فيهم لهم اتباع يتبعون رسولهم الي ما يدعونهم اليه ويجيبونهم فابتغوا
انتم يا اهل مكة فيما دعوتكم اليه قول الله تعالى لنظرو كيف تعملون لم يزل الله تعالى
عالمنا بما كان ويكون منهم من الطاعة والمعصية ولكن معناه ليعلم عصاة ومطيعين
لان المعصية انما تكون بعد ما يكون النبي والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم
عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم انه يكون منهم الطاعة وقد
ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم قول الله تعالى واذا تبلى عليهم آياتنا بينات
قد ذكرنا في غير موضع وقد ذكرنا ايضا قوله بينات هي التي تبين انها ايات نزلت
من عند الله لم يخترعها احد من الخلق قول الله تعالى قال الذين لا يرجون
لقاءنا ايت بقرآن غير هذا او بوله يشبه ان يكون است بقرآن غير هذا او
بوله لان اتيان غير هذا القرآن وتهديله واجد فيكون او يعني الواو كما فهم
قالوا ايت بقرآن غير هذا او بوله الا ترى انه قال قل ما يكون لي ان ابذل
من تلقا نفسي انما اجابهم في التبديل ذلك ان السؤال كان سؤالا بتدويل ولكن
يشالون سؤالا تكذيب واستهزاء لانه لا منفعة لهم لو اتي بغير هذا او بوله ما في
هذا ولو جان لم هذا السؤال جان لهم ذلك في كل ما اتي به واحدا بعد واحد

وذلك بما لا نهاية ثم اختلف اهل التأويل في التبديل الذي سألوا قال بعضهم
سألوا ان يبذل ويجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ومكان ما فيه من ذم
المهتم مدحا ونحو ذلك ومحتمل اي بول احكامه وان ترك رسمه ونظمه
ونحن لا نقطع القول بما ارادوا من التبديل بتدويل الاحكام او بتدويل الرسم
والنظم انما نفهم ذلك بالسمع بطريق القوات ولا نقاوتا فكان الكف عن القطع
فيه احق ثم اخبر انه لا نقول ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويؤمر به بقوله
قل ما يكون لي ان ابذله من تلقا نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع
الا ما يوحى الي وقوله اي اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
اي ان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من عرف ربه خاف ان
عصاه وخالف امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخف ان عصاه وخالفه
قول الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اذريكم به هو صلة ما
تقدم من قوله حيث قالوا ايت بقرآن غير هذا او بوله قد ذكرنا انه محتمل
وجهن محتمل انهم سألوا ان يبذل احكامه علي ترك رسمه ونظمه ومحتمل
تبديل رسمه واحكامه كما هم ادعوا علي رسول الله اختراع هذا القرآن
من نفسه واختلافه من عنده فقالت قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اذريكم
به تاويله والله اعلم لو شاء الله ان لا يظهر دينه فيكم ولا الزمكم حجة ولا بعثني
اليكم رسولا ما تلوته عليكم ولا اذريكم به اي ولا اعلمكم به ومحتمل قوله ولا اذريكم
به اي ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام ثم في قوله لو شاء الله ما تلوته عليكم دلالة
ان الله تعالى اذا شاء شيئا كان ولم يشأ لم يكن لانه اخبر انه لو شاء ما تلوته
عليكم فلو لم يشأ ان يتلو ما تلاه ذلك ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وذلك يرد
علي المعتزلة قوله لو شاء الله ان يؤمن الخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا والله اعلم
ومحتمل لو شاء الله لم يوح الي ولا امرني ببليغ ما اوحى الي اليكم ولا بالرسالة الي
ما امرني ان ادعوك اليه قول الله تعالى فقد بعثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
اي قد بعثت فيكم عمرا من قبل هذا ولما ادعيت في الخلق ولا تلوت ما اتلوا
الا ان افلا تعقلون اي لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي اوحى الي اولوكان
اخترعوا مني لكان ذلك فيما مضى من الوقت وكنت كرايتكم فاذا لم يكن ذلك افلا
تعقلون ان الذي دعاني اليه هو الوحي والامر من الله تعالى ببليغ ما اوحى الي

لَا إِنِّي أَخْتَرَعُ هَذَا مِنْ نَفْسِي ثُمَّ يَحْتَمِلُ هَذَا أَوْ جَوْهًا أَحَدَهَا أَنَّهُ مَا ادَّعَا عَلَيْهِ الْإِخْتِرَاعُ
مِنْ عِنْدِهِ فَقَالَ إِنِّي قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا قَبِيلًا إِنَّ يَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا فَلَمْ يَسْتَوْفِي
خَطَّتْ بِمِيقَاتِهِ وَلَا اخْتَلَفَتْ إِلَيَّ أَحَدٌ فِي التَّعْلِيمِ وَالذِّكْرِ أَسَاسَةً فَكَيْفَ اخْتَرَعُ مِنْ عِنْدِي
إِذَا التَّالِيفُ لَا يَتِمُّ وَلَا يُلْتَمَزُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ تَتَقَدَّمُ وَالتَّالِي فِي قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا
إِنِّي سَنِينَ لَمْ تَعْرِفُونِي وَلَا رَأَيْتُونِي كَذِبْتُ قَطُّ فَكَيْفَ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ وَاخْتَرَعُ
الْقَدْرَ أَنْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي إِلَّا تَرَى أَنَّهُ قَالَ عَلَيَّ أَثَرُهُ مِنَ الْآيَةِ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى
عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا أَيْ لَا أَحَدًا أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا وَالتَّالِي يَحْتَمِلُ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا ادَّعَى الْبُعْثَ وَلَا أَقَامَ حُجَّةَ عَلَيْهِ وَإِنَّا قَدْ
ادَّعَيْتُ الْبُعْثَ وَاقْتَضَى عَلَيَّ ذَلِكَ حُجَّةٌ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَذَا إِنِّي لَمْ اخْتَرَعُ هَذَا مِنْ
عِنْدِي أَيْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا
أَوْ كَذَبَ بَأَيَّانِهِ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا صِلَةً قَوْلِهِ آيَةُ بَقَرَةَ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ
أَيْ كَيْفَ تَطْلُبُونَ مِنِّي آيَاتٍ غَيْرَهُ وَتَبْدِيلُ أَحْكَامِهِ وَقَدْ تَعْرِفُونَ قُبْحَ الْكُذْبِ
وَلَحْشَهُ فَكَيْفَ تَطْلُبُونَ مِنِّي الْإِفْتِرَاءَ عَلَيَّ اللَّهُ وَتَكْذِيبَ آيَاتِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا
صِلَةً مَا ادَّعَا عَلَيْهِ أَنَّهُ افْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَاخْتَرَعَهُ يَقُولُ أَنْكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا
عَلَيَّ كَذِبًا قَطُّ وَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا فَكَيْفَ تَسْتَمْتُونَ إِلَيَّ الْكُذْبَ عَلَيَّ اللَّهُ وَقَدْ عَرَفْتُمْ
آيَاتِي عَلَيَّ خِلَافَ هَذَا إِنِّي الْكُذْبُ عَلَيَّ الْخَلْقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَيَحْتَمِلُ عَلَيَّ الْإِفْتِرَاءَ وَقَدْ ذَكَرْنَا
فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ قَوْلَهُ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا هُوَ اسْتِفْهَامٌ يَقْتَضِي جَوَابًا
وَجَوَابُهُ مَا قَالَتْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ لَا أَحَدًا ابْتِغَاءً لِلظُّلْمِ وَلَا الْخُشْيَةِ مِنْ افْتَرَى عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا
يَكُونُ مَا قَالَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَوَابُ الاسْتِفْهَامِ الَّذِي أَضْمَرْتُهُ فِي الْكَلَامِ لَا أَنَّهُ
تَفْسِيرُ الْآيَةِ وَتَأْوِيلُهَا وَقَوْلُهُ أَوْ كَذَبَ بَأَيَّانِهِ الْإِفْتِرَاءَ عَلَيَّ اللَّهُ تَكْذِيبَ آيَاتِهِ
وَتَكْذِيبَ آيَاتِهِ افْتَرَاهُ عَلَيَّ اللَّهُ لَكِنْ ذَكَرْتُ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْمُجْرِمُونَ ظَاهِرٌ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَجَاهِزٌ أَحَدُهُمَا مَا لَا يَضُرُّهُمْ لَوْ تَرَكُوا عِبَادَتَهُ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ لَوْ وَاطَّبُوا عَلَيَّ عِبَادَتَهُ أَيْ لَا يَمْلِكُ إِيصَالُ الضَّرَرِ إِلَيْهِمْ بِالتَّرَكِّ وَلَا إِيصَالُ
النَّفْعِ بِالتَّحْصِيلِ لِمَا ذَا يَعْبُدُونَ وَنَهَى لِيَسْتَفْهَمُوا فِي عِبَادَتِهِمْ مِنْ لَا يَمْلِكُ بِهِمْ دَفْعَ الضَّرَرِ
وَلَا جَرَّ النَّفْعِ وَتَرَكُوا عِبَادَةَ مَنْ بِهِ يَكُونُ جَمِيعُ نَافِعِهِمْ وَغَدَائِهِمْ وَمِنْهُ يَكُونُ كُلُّ خَوْفٍ
وَضَرَرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَقُولُونَ هُوَ لَا شَفْعَاءَ وَنَاعِدُوا اللَّهَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ

هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُمْ تَقْلِيدًا لِأَبَائِهِمْ لِقَوْلِهِمْ وَجَدْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمْرًا بِهَا ظَنُّوا
أَنَّ آبَاءَهُمْ لَمَّا تَرَكُوا وَتَاهَمَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَعْبُدُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَضِيَ بِذَلِكَ
وَيَحْتَمِلُ مَا قَالُوا ذَلِكَ لِمَا لَمْ يَرَوْا أَنفُسَهُمْ أَهْلًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَالْقِيَامُ لِحُدُودِهِ وَقَدْ يَكُونُ
مِثْلُ هَذَا فِي مَلُوكِ الْأَرْضِ أَنْ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَرَى نَفْسَهُ صَالِحًا لِحُدُودِ الْمَلِكِ فَيَحْتَمِلُ
مِنْ دُونِهِ مِنَ الْمُتَصِلِينَ بِهِ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ مِنْ حُدُودِهِ شَفِيعًا لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَعَلَى
ذَلِكَ هُوَ لَا طَعْمَ أَنْ عِبَادَتُهُمْ هُوَ لَا تَقْتَرِبُهُمْ إِلَيَّ اللَّهُ وَلَعَنُوا وَيَكُونُونَ لَمْ شَفْعَاءَ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
لِحَقِّهِ وَجَاهِزٌ أَحَدُهُمَا أَنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ نَبِيُّ الْعِلْمِ عَنْ نَفْسِهِ فِيمَا ادَّعَا مِنْ
كَوْنِ الْأَصْنَامِ شَفْعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ نَبِيُّ مَا ادَّعَا يَقُولُ
الْمُخْبِرُونَ وَاللَّهُ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ أَيْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَوْ كَانَ مَا تَدَّعُونَ مِنْ كَوْنِ الْأَصْنَامِ شَفْعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ
لَكَانَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ فَيَكُونُ نَفْسًا مَا ادَّعَا وَالتَّالِي قَدْ بَيَّنَّ مِنْ هَذَا يَقُولُ قُلْ اتَّقُوا اللَّهَ
مَا لَا يَعْلَمُ أَيْ يَعْلَمُونَ مِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا تَدَّعُونَ وَهُوَ كَقَوْلِ النَّاسِ مَا شَاءَ اللَّهُ
كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ أَيْ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ لَا يَكُونُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ كَلِمَةً سُبْحَانَ جَعَلْتُ لِأَجْلِ اللَّهِ
عَمَّا يَحْتَمِلُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْأَصْنَافِ وَمِنْ الْعُيُوبِ وَالْأَفَاتِ وَهِيَ فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ يَحْتَمِلُ وَجَاهِزٌ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَقُولُونَ هُمْ شَفْعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِمِثَالِ أُولَئِكَ شَفَاعَةً عِنْدَهُ إِذَا الشَّفِيعُ إِنَّمَا يَكُونُ
مِنْ لَهْ مُتَوَلِّهِ وَقَدْ رَعَيْنَا مَنْ لِيُشْفَعَ إِلَيْهِ وَالْمُتَوَلِّهِ وَالْقَدْرُ إِنَّمَا يَكُونُ إِنَّمَا يَوْضَعُ اللَّهُ
تَعَالَى لِلشَّيْءِ مِنَ الْفَضِيلَةِ وَالْخُزْمَةِ فَيَصِيرُ ذَا قَدْرٍ أَوْ بِمَا يَتَعَبَّدُ مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْعِبَادَةِ فَيَقُومُ بِتَوْفِيرِ مَا يَحْتَمِلُهُ وَسَعَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ كَقَوْلِهِ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقِيكُمْ
وَلَا اخْتِمَالٌ لِلتَّعَبُّدِ فِي الْأَصْنَامِ وَلَا هَرَمٌ مِنْ حِمْلِهِ مَا لَمْ يَحْرُومَهُ بَوْضَعُ اللَّهِ تَعَالَى فَيَعْبُدُ
أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الشَّفَاعَةُ فَتَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفْسَهُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
مَنْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ لَدُونِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ كَيْفَ وَقَدْ أَخْبَرُوا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ صَوْرًا وَلَا
نَفْعًا وَفِي الشَّفَاعَةِ ذَلِكَ وَالتَّالِي نَفَرَهُ نَفْسَهُ عَمَّا اسْتَرْكَوا الْأَصْنَامَ آيَةً فِي الْعِبَادَةِ
فَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مَعْبُودٌ أَوْ يَأْذَنُ أَحَدًا بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً اخْتَلَفْتُ فِي تَأْوِيلِهِ قَالَتْ يَعْظُمُ

ان الآية في اهل مكة فانهم كانوا اهل شرك وعباد الاوثان والاصنام لم يكن
فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد
صلي الله عليه وسلم اختلفوا فيمنهم من آمن به وصدقته واخلف دينه ومنهم
من عاند وكابر بعد ان عرف انه رسول ومنهم من شك فيه ومنهم من لم
ينظر في اميره قط ولا تفكر فيه فصارت اربع فرق وقالت بعضهم معناه وما كان
الناس الا امة واحدة بالفتوة اي كانوا جميعا على الفتوة وفي فتوة كل احد
الشهادة على وحدانية الله والوحيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها وقوله فتوة الله التي فتوة الناس عليها اي جعل في خلقه كل احد
الشهادة على وحدانيته والوحيته فاختلغوا منهم من كان على تلك الفتوة بما قرن
شهادة الاختيار بشهادة الخلقة ومنهم من كذب واختار الكفر على ما روي عن
النبي صلي الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه
اخبر انهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن ابواه منعاه عن الكون عليها فبطل
وما كان الناس الا امة واحدة اي كان اختلاف جملة اممنا والناس من تلك
الامم امة واحدة كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الامم بقول ان الامم مع اختلاف جواهرها
واحناسها كانوا اخا ضعين لله مخلصين له فانتم ايها الناس امة من تلك الامم فكيف
اختلفتم واستركتم غيره في الوحيته وربوبيته او عبادته معاركت فيكم من القول
التي بها عرفتم التمييز بين ما هو حكمه وما هو سفيه وقد فضلكم على غير هاتين الامم
ما خلقكم ما في السموات وما في الارض وسخر لكم ذلك كله ما لم يعقل ذلك بغيرها
من الامم وقال بعض اهل التاويل معناه وما كان الناس الا امة واحدة
في نوح عليه السلام لان الكفار هلكوا بالطوفان ومن دخل معه في السفينة
كانوا على دينه مادام هوفهم ثم اختلف اولاده بعد وفاته ومنهم من قال كان
الناس على دين واحد من ابراهيم عليه السلام ثم اختلفوا اليك لا نشهد كيف كان
الامر ولا نقطع القول به فانه لا يعلم الا بحرم من الله تعالى قوله تعالى ولولا
كلمة سبقت من ربك لقتل بينهم فيما فيه يختلفون فيل لولا ان من حكم الله تعالى
ان لا يعذب هذه الامم عند تكذيبهم الايات اذا سالوها والا لاهلككم كما اهلك
الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤالات ولكن اخر تعذيب هذه الامم

الي يوم القيمة والثاني ولولا كلمة سبقت من ربك ان لا يستاصل هذه الامم
عند تكذيبهم رسولهم كما استاصل الامم السالفة بتكذيبهم الرسل العباد
لهم فاحد التأويلين في ترك الاستيصال والاخر في تاخير العذاب
عنهم الي وقت قوله تعالى لقتل بينهم فيما فيه يختلفون اي لقتل بينهم بيان
يضطرهم الي القبول قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من
ربه اي هلا انزل عليه آية من ربه به فقل انما الغيب لله فقل جوابه
والله اعلم بما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك ان لا يعذب هذه الامم بتكذيبهم
الايات عند سؤالاتها والا لا نزل عليك الآية التي سؤلوها فيكذبونها فيعذبون
كما عذبت الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤالات قوله تعالى فقل
انما الغيب لله اي انكم تعلمون ان علم الغيب لله وقد انزل من الايات ما تبين
وبدل على رسالي وقد كذبتموها فلا تذكروني ما الحكمة عند الله تعالى في ان لم
ينزل ما يشاءون من الاية المعينة المقترحة قوله تعالى فانظروا
اني معكم من المنتظرين فيل انظروا اهلاكي اني منتظر هلاككم لانهم
كانوا يوعدون الهلاك وفيل انظروا مواعيد الشيطان اني منتظر
مواعيد الله وهو حرف وعيد وتهديد قوله تعالى واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضآلة مما كبروا في اياتنا قال اهل التاويل اذقنا
الناس يعني اهل مكة اذا اصابهم سعة وفرح ونجاة بما كانوا عادوا
الي ما كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام ولكن نقول لا لمعني لتخصيص
اهل مكة بهذا بل هذا في جميع الكفار فانهم كانوا اذا استوا عما يعبدون
من الاصنام والاثان يعزعون الي الله ويخلصون له الدين كقولهم فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما جاءهم الي البت اذ اثم يشركون كقوله
واذا امتس الانسان الصمد دعا نالحيته او قاعدا او قايما فلما كشفنا عنه ضده مو
كان لم يدعنا الي ضيرته وقوله واذا امتس الناس صمد دعوا ربهم منيبين اليه
الاية وغير ذلك من الايات كانت عادتهم الفرع الي الله عند اصابتهم الشدايد
والبلايا يعلم ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك والله اعلم
قوله تعالى اذ اثم مكروا اياتنا المكروا الايات تكذبوها وادعوا بحجود
لها كما قال بعض اهل اللغة وفيل المكروا الايات هو الاستهزاء بها ثم

ليشبه ان يكون الايات ههنا محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كان من اول امر الى
احز اية فمكروا به حيث هو يقتله عنين من كقولهم واذا مكروا بك الذين
كفروا البيوتك او يقتلوك او يخرجوك ويحتمل ما يرد الايات والجمع مكروا فيها
اي كذبوها ورددوها واستهزوا بها والله اعلم قولهم تعالى قل الله اسرع
مكراً اي اسرع احداً ياخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تأخذوا
رسول الله وتكروا به الا وهو يعلم بذلك هو اسرع مكراً ايكم قولهم تعالى
ان رسلاً يكتتبون ما مكرون اي الحفظة ويحتمل قل الله اسرع مكراً اي اسرع
لجذاً المكرومكم او اسرع احداً من حيث لا تعلمون انتم قولهم تعالى هو
الذي يصوركم في البر والبحر اخلف فيه قال بعضهم هو الذي يصيركم اي هو
الذي يحرككم ما به لتسيرون في البر والبحر وهو الدواب والسفن التي تقطع
بها البر والبحر وهو كقوله لتسير واعلي ظهوره ثم يذكر وانفة ربكم اذا
استوتيم عليه ونقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل
هو الذي يستيركم في البر والبحر اي سخر لكم البر والبحر وهما مكان الخوف
والهلاك اي حفظكم بينهما حتى قضيت بينهما حوائجكم وليس في وسع الخلق حفظ
البراري والبحار عما بينهما من الاحوال فيقول الله بفضل حفظ السائرين
فيها حتى تصوا منها حوائجهم وهو كقوله وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه
لحمًا طرياً ونسخره وامنه حليلة تلبسونها الي آخر ما ذكر من انواع المنافع فلولاً
ان الله تعالى سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والامر بين في واسع احد القيام بذلك وحفظ
نفسه من الاحوال فيه يذكرهم نعمه ومنه التي انما عليهم ليوجهوا شكر نعمه الله
ويحتمل هو الذي يستيركم في البر والبحر او خلق وينشأ فكم فعل السير في
البر والبحر وهو كقوله وقد رنا فيها السير سير واينها ليالي والتقدير هو الخلق
والمقدر المخلوق وفيه دلالة خلق افعال العباد لان السير هو فعل
الخلق وقد اضاف الى نفسه دلالة انه منشأ فعلهم ويشبه ان يكون قوله
هو الذي يستيركم في البر والبحر لا يرد به نفس البر والبحر ولكنه ارا
تذكير نعمه عليهم في كل حال وكل وقت وكل مكان ليذكروا له في كل حال وهو
كقوله ظهر الفتاد في البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسيهما ولكن المكان
الذي فيه المياه والذي لا مياه فيه اي يظهر الفتاد في الأماكن التي فيها

الخلق فعلي ذلك الاول يذكرهم نعمه التي انما عليهم في الأماكن كلها والحوال
كلها والله اعلم قولهم تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اي ركبتم الفلك جريين
بهم بريح طيبة اي تجري بهم السفن بريح طيبة غير ان السفن ليست
تجري في البحار تجريان الماء لان ماء هار اكد في الظاهر لكن الريح هي التي
تجري بها وتستريحها وكذلك الامواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الماء
ولكن هي التي تفتح الامواج وتزعجها لا بغير الماء قولهم تعالى وفرحوا
بما قتل سيوفها وابتلوا بشرا وابتلوا وابتلوا وابتلوا قولهم تعالى جاءتها ريح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان من الريح ما هي طيبة تجري بها السفن
ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفتق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان
الاشياء تفسد مرة وتصلح تارة لا لنفسها ولكن بحفظ الحدود فيها وكذلك النار
تخرب مرة وتصلح تارة وكذلك الماء وذلك اذا حفظ فيه الحجة
اصح وان لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشيء الواحد لنفسه تارة يصلح وتارة
يُفسد فيدل ان غيرا يحفظ احدها على ما يري من المصلحة والحكمة فيدل
على اثبات صانع حكيم والله الموفق قولهم تعالى وظنوا انهم احيط
بهم قتل انهم مهلكون ولكن معناه كانوا يقتنوا انهم مهلكون لغلبة
ظنهم بذلك لان ثبت لهم الايقان وهو العلم بطريق القطع لان الايقان
بالشيء الذي يصيب في خاتمة الاوقات انما يكون بالخير الصادق ولم يكن
ذلك في حقهم ولا يدرون لعن الله يصف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان الا ترى
انه قال علي اثره دعوا الله مخلصين له الدين وانما دعوا الرجاة النجاة ومع رجاء
النجاة كيف يكون يتقن الهلاك ولكن جعل الظن الغالب في كثير من الاشياء
كما لا يقال به الا ترى ان الله تعالى اباح الميتة في حال الضرورة لغالب
الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذلك ما ابيح للمكروه بالقتل ان تجري
كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن والا ليس بعلم بالايجاب انه يقتله محالة
فعلي ذلك قوله وظنوا انهم احيط بهم اي كانوا يقتنوا انهم احيط بهم بغالب الظن
والله اعلم قولهم تعالى دعوا الله مخلصين له الدين انهم اذا استوا عن الاصنام
التي عبدوها في دفع ما حل بهم فدعوا الى الله واخلصوا الدعاء له وقالوا الذين احببنا
من هذه لتكون من الشاكرين ثم اخبر عن سلفهم يعودهم الى ما كانوا عليه

من قبل بقوله فلما اخرجهم اذ اسبقون في الارض يعني الحق وهكذا عادتهم على ما
نقدم ذكره والبعي في الارض هو الفتاد منها قوله تعالى انما بعثكم على انفسكم
متاع الحيوة الدنيا احتمل وجهين احدهما ان يراد انفسهم حقيقة اي حاصل بعثكم
يرجع الي انفسكم في العاقبة واحتمل انما بعثكم على انفسكم اي بعثكم على بعض كقوله
منهوا على انفسكم قوله تعالى ثم انما مرجعكم فينبؤكم بما كنتم تعلمون هذا حرف
وعيد فان كان التأويل في قوله انما بعثكم على انفسكم اي بعثكم على بعض فالوعيد
في قوله ثم انما مرجعكم وان كان التأويل يرجع الي انفسهم حقيقة اي حاصل
بعثكم يرجع اليهم في العاقبة فهو كلام وعيد وقوله ثم انما مرجعكم تأكيد لذلك
الوعيد والله اعلم قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كآثر لثاء من السماء
فاخلط به نبات الارض ما تاكل الناس والالغام فيتل في ضرب مثل الحيوة
الدنيا بالزرع الذي ذكر وجوه قال بعضهم انما الحيوة الدنيا في سرعة فنايتها
وانقطاعها ووحية انتقالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه
وزواله عن صاحبه واحتمل ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا بنائها يسرها ويتهيج
مثل صاحب الزرع الذي ذكر ليسر بها يتهيج ثم ما كان ما ذكر كان لم تكن بالامر
وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا فيها تنفق فيها اي لاجل حيوة
الدنيا للانتفاع بها والاستمتاع دون التوصل بها بالآخرة والحيوة والآخرة
مثل صاحب الزرع الذي ينفق عليه لما يامل من المنافع ولطمع فيه ثم كان ما
ذكر كان لم تكن بالامر ولو علم في الابتداء ان امر زرع يؤول ويصير الي ما
صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة امر تنفقه
لاجل حيوة الدنيا يصير حسرة وندامة عليه ما انفق اذ لو علم انه لا ينفع بها
بعاقبته ما انفق كصاحب الزرع او لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا
يدوم بل يتسارع الي الانقطاع والزوال ما تكلف ذلك او علم انها تزول عنه وتنقطع
عن تلك السرعة بحيث لا يمكنه الانتفاع به ما انفق ذلك والله اعلم قوله تعالى
حيث اذا اخذت الارض زحزها والزيت فيل اي اخذت الارض حسنها والزيت
اي حسنت وانبتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زحزها زيتها
من النبات وكل شيء زحزف قوله تعالى وظن اهلها انهم قادرون
عليها اي ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كما ظن صاحب

الزرع انه قادري على ذلك الزرع قوله تعالى آيتها امرنا بالبيان او نقاراً
قيل عذاباً بنا وانما سيق العذاب امرنا لانه يامر به ياتي وفيه بيان انه
لم يأت به عن غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظمة لهم وتنبيهها الا ترى انه
قال فذلك تفصيل الايات لقوم يتفكرون كان الايات في هذا
الموضع المواظ بما ذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذي
ذكر عظمة وتنبيهها لمن تفكر فيه واتعظ به والله اعلم قوله تعالى فجعلناها
حصيداً اي محصوداً كما حصدا حصداً والحصاد الزرع قوله تعالى كان
لم تكن بالامر قيل اي لم تغش والمغاي هي المواضع التي يعيش فيها
الناس واحداً المغاي مغنا وقيل كان لم تكن بالامر اي لم تكن وقيل
لم تعتمد من العمر وقال بعضهم هو من الغنا اي كان لم يكن غنياً بالامر والله اعلم
قوله تعالى والله يدعو الي دار السلام ويهدي من يشاء الي صراط مستقيم
ذكر المستقيمة والاستقامة في الهداية ولم يذكر في الدعاء ليعلم ان لكل من يدعو
الي دار السلام يهديه وانما يهدي من يعلم منه انه يختار الهدى وذلك على قدرته
انهم يقولون انه اعطي الهدى لكل ثم الهدى على وجوه ثلثة احدها الدعاء
والبيان قال الله تعالى ولكل قوم هاد اي داع ومبين وكقوله هادي
للمتقين اي المتوآن والثاني خلق فعل الاهتداء والثالث التوفيق والعصمة
للاهتداء والهدى ههنا هو التوفيق ثم اختلف في تاويل قوله دار السلام
قال بعضهم دار السلام الجنة والسلام اسم من اسماء الله كانه قال
دار الله اضافها الي نفسه ثم احتمل اضافة الجنة الي نفسه وتسميتها دار الله
وجهين احدهما انها دار اوليائه فتجوز اضافتها الي الله على ارادة الاضافة
الي اوليائه كقوله بخادعون الله اي اوليائه ويحذف لك والثاني انها
دار فضلها الله تعالى فيكون الاضافة الي نفسه بيان فضيلتها وسرفتها
كإضافة المساجد اليها امكان مقام فيها القرب والعبادات لله تعالى
وقال بعضهم المراد من دار السلام الجنة وانما سميت الجنة دار السلام
لوجهين احدهما انها دار السلامة فان كل من دخل فيها امن وسلم عن جميع
الاهوال والافات التي يكون في الدنيا والثاني سميت دار السلام لانه
لا يدخلها الا المسلمون وقال بعضهم المراد من دار السلام هو الاسلام اي

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَسْمِيَةِ الْإِسْلَامِ دَارَ السَّلَامِ حَتَّى وَجَّهَ أَحَدَهُمَا
إِنْ مِنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْإِسْتِزْقَاقِ وَالْجَزَاةِ فِي الدُّنْيَا
وَعَنْ حُلُودِ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا خْتِمَ عَلَيْهِ وَالثَّانِي أَضَافَ الْإِسْلَامَ إِلَى نَفْسِهِ
بِقَوْلِهِ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نَجْوَى رَبِّهِ يَخْلِجُ الْإِسْلَامَ
نُورًا مِنْ رَبِّهِ وَقَدْ أَضَافَ الدَّارَ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ دَارَ السَّلَامِ أَيْ دَارَ اللَّهِ
فَذَكَرَ دَارَ السَّلَامِ وَإِرَادَ بِهِ الْإِسْلَامَ أَذْكَلَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَضَافُ إِلَيْهِ وَزَوْجٍ
فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ لِي
لَتَنْتَمِيَنَّكَ وَلَيُعْقِلَنَّكَ فَلَيْسَ بِكَ وَلَيْسَ بِكَ إِذْ نَكَتَ نَمَاتَ عَيْنِي وَعَقَلَ قَلْبِي وَسَمِعْتُ
إِذْ لِي ثُمَّ قِيلَ لِي سَيِّدِي دَارًا وَجَعَلَ مَا دُونَهُ وَارْسَلْ دَاعِيًا مَنْ أَجَابَ
الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَكُلُّ مَنْ مَادَّهُ وَرَمَى عَنْهُ السَّيِّدَ فَاللَّهُ السَّيِّدُ وَالدَّارُ
الْإِسْلَامُ وَالْمَادَّةُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَبْتَ هَذَا الْخَبَرُ فَيَكُونَ
حُجَّةً لِهَذَا الْقَوْلِ وَفِي حَبْرٍ آخَرَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَوْمًا وَقَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَانَ جَبْرِيلُ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلُ
عِنْدَ رِجْلِي قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اضْرِبْ لَهُ مِثْلًا قَالَ أَسْمِعْ سَمِعْتُ
إِذْ نَكَتَ وَاعْقَلَ عَقَلَ قَلْبِكَ إِنَّمَا مِثْلُكَ وَمِثْلُ امْتِكَ مِثْلُكَ اتَّخَذَ دَارًا ثُمَّ
لَبَّى فِيهَا مِثْلًا قَامَ ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَادَّةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ
فَضَمُّهُمْ مِنَ الْجَانِبِ الدَّرْسُولِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ فَالْتَمَسَ الْمَلِكُ وَالدَّارُ الْإِسْلَامُ
وَالْمَتَّ الْجَنَّةُ وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الدَّرْسُولُ مَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَمَنْ
دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الدَّارَ الَّتِي ذَكَرَ فِي الْآيَةِ هُوَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَبْتَ هَذَا الْخَبَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالُوكَ الْعُضْمُ
أَيْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَى فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً ذَلِكَ الْإِحْسَانُ وَهُوَ
الْجَنَّةُ سَقَى الْجَنَّةَ الْحُسْنَى لِأَنَّهَا جَزَاءُ الْحُسْنَى كَمَا سَقَى النَّارَ السَّوَاءَ بِقَوْلِهِ
أَسَافَ السَّوَاءِ لِأَنَّهَا جَزَاءُ السَّوَاءِ وَكَقَوْلِهِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
وَقَوْلُهُ وَزِيَادَةٌ مِثْلُ الْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بِحَبَّةٍ كُلِّ مُحْسِنٍ وَالْهَيْبَةُ لَهُ
فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِهَا بَعَثَ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى عَيْنِ سُلْطَانٍ لَهُ وَلَا يَدْرِي قَالَ بَعْضُ الْحُسْنَى مَا
تَقَدَّرَ الْعُقُولُ وَتَدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ مِنَ النِّعَمِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَبِئْسَ الْإِلَهِ لَا

يُقَدَّرُهَا الْعُقُولُ وَلَا تَصَوِّرُهَا الْأَوْهَامُ عَلَى مَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ
نِعْمِ الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
هِيَ التَّضْعِيفُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرًا وَسُبْعًا يَهُ وَمَا شَاءَ اللَّهُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
قَوْلُهُ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَقَالَ قَائِلُونَ
الزِّيَادَةُ رُويَتْ مِنَ الرَّبِّ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَجْوهٌ يُؤْمِذُ نَاطِرًا
مَا لِي رُبَهَا نَاطِرًا وَقَالَ قَائِلُونَ الزِّيَادَةُ هِيَ قَبُولُ حَسَنَاتِهِ مَعَ عَافِيَةٍ
مِنَ الْخَطِيئَةِ بِالسَّيِّئَاتِ يَقْبَلُ حَسَنَاتِهِ بِفَضْلِهِ وَرِضْوَانِهِ مِنْهُ وَإِنْ كَانَتْ
يُشَوِّبُهَا السَّيِّئَاتُ وَذَلِكَ طَرِيقُهُ الْفَضِيلُ وَالْإِحْسَانُ إِذَا قَدْ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ
إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا يَقْدِرُ الْقِيَامُ عَلَى وَفَائِهِ مِنْهَا طَوْلُ عَمَلٍ وَعَنْ أَبِي
إِبْنِ طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ الزِّيَادَةُ غُرْفَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ
لَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ وَلَكِنْ نَحْنُ لَا نَقْطَعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي
الْآيَةِ مَا هِيَ إِلَّا بِالْخَيْرِ عَنِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الصَّادِقِ وَلَمْ يُلْقِ ذَلِكَ
بِالتَّوَاتُرِ وَانْمَا وَرَدَ الْأَجَادُ وَأَنَّهُ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ قَطْعًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذُلٌّ قِيلَ لَا يَغْشَى وَجُوهَهُمُ الزَّهْرُ وَالْعُبَارُ
عَلَى مَا يُوصَفُ بِهِ وَجُوهُ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ قَوْلُهُ وَجُوهٌ يُؤْمِذُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ
تَرَهَقُهَا قَتَرٌ وَلَكِنْ عَلَى مَا وَصَفَ وَجُوهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَقُولُهُ وَجُوهٌ يُؤْمِذُ مَسْفُورٌ
مُضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَثَارَ حَسَنَاتِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا
وَلَمَّا لَمْ يَدْرُوا النِّعَمَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى صَرَفُوا شُكْرَهَا إِلَيْهِ دُونَ
غَيْرِهِ وَالْغَبَرَةُ وَالْفَتْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ أَهْلُ النَّارِ هِيَ أَثَارُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي عَمِلُوهَا
فِي الدُّنْيَا مِنْ عِبَادَتِهِمْ دُونَ اللَّهِ وَصَرَفَهُمْ شُكْرَ النِّعَمِ إِلَى غَيْرِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ
صَنِيعِهِمُ الَّذِي صَنَعُوا فِي الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ
جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا جَزَاءُ السَّيِّئَةِ مَا يُوجِبُ الْحِكْمَةَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا مَا جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
وَالْخَيْرِ طَرِيقٌ وَجُوهُ الْأَفْضَالِ وَالْإِحْسَانُ لَيْسَ طَرِيقٌ وَجُوهُ بِالْحِكْمَةِ
وَالْعَدْلِ حَتَّى لَا يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَنْعِ جَائِزًا لِأَنَّهُ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
أَيُّ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النِّعَمِ مَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِ الْقِيَامُ بِكَافَاةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَمَلٌ

وَإِنْ طَالَ وَاجْتَهَدَ كُلُّ جُهْدٍ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَسْتَوْجِبَ قَبْلَهُ جَزَاءً مَا كَانَ مِنْهُ
 مِنَ الْحَيَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَتَرَاهُمْ ذُلًّا مَا ذَكَرْنَا مِنْ آثَارِ
 السَّيِّئَاتِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا ذُلًّا وَهُوَ أَنَّهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 مِنْ عَاجِمٍ وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ رَجَاءً أَنْ يَكُونُوا
 لَهُمْ شُفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ كَقَوْلِهِمْ هُوَ لَا شُفَعَاءَ وَنَاعِزًا أَنْ يَخْبِرَ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ
 مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا يَنْفَعُ لِمَنْ ذَكَرَ عَنْهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى كَانُوا غَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ
 قُطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مَطْلًا قَبْلَ الْمَسْتِ وَغَطِيَتْ قُطْعًا قُرَى مُثْقَلًا وَخَفِضَ الْقُطْعُ
 بِالثَّقِيلِ هُوَ جَمْعُ الْقِطْعَةِ وَالْقُطْعُ بِالضَّعِيفِ جَزَاءً مِنَ اللَّيْلِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَاسْرِ
 بِأَهْلِكَ بِقُطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَمْ يَنْسِبْهُ بِسُودِ الْوَجْهِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ سُودِ الْوَجْهِ
 فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ سُودَ الْوَجْهِ عَلَى مَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا لَا يَبْلُغُ مِنَ
 الْقِتْحِ عُنَايَتَهُ إِذْ قَدْ يَرْغَبُ مَنْ كَانَ مِنْ جَنْبِهِ وَنَوْعِهِ فِي ذَلِكَ وَحَسَنَ ذَلِكَ
 عِنْدَهُ فَإِذَا كَانَتْ الرَّغْبَةُ قَدْ تَقَعُ لِبَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ لَمْ يَبْلُغْ فِي الصَّحِّحِ غَايَتَهُ فَمَا ظَلَمَ
 اللَّيْلِ فَإِنَّ الطَّبَاعَ مَا يَنْفَعُ عَنْهَا وَلَا يَقَعُ الرَّغْبَةُ فِيهَا بِحَالٍ لِذَلِكَ شَبَّهِ وَجْهَهُ أَوْلَيْكَ
 أَهْلُ النَّارِ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا قَالَ أَهْلُ
 التَّأْوِيلِ يَعْنِي الْعَابِدِينَ وَالْمُعْبُودَ الَّذِي عِبِدُوا وَادَّوَنَهُ وَلَكِنْ كُنْ حُشْرًا خَلَّاهُ
 جَمْعًا قَوْلَهُ تَعَالَى ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ اسْتَوْكُوا مَا كَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ هَذَا
 الْحَرْفُ هَهُنَا حَرْفٌ وَعِيدٌ وَإِنْ كَانَ هَذَا الْحَرْفُ حِجْرًا أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْكِرَامَاتِ
 وَيَرْجِعُ بَعْضُهُمْ قَوْلُ الرَّجُلِ لِأَخِي مَا كَانَتْ كَذًا وَأَنَا لَيَعْرِفُ ذَلِكَ
 بِالْمَقْدَمَاتِ وَمَا قَدْ مَدَّ هَهُنَا بَدَلًا عَلَى أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الْكِرَامَةَ وَلَكِنْ أَرَادَ بِالْوَعِيدِ
 قَوْلَهُ تَعَالَى فَذَرِكُنَا بَيْنَهُمْ أَيُّ فَتْرَةٍ بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمُعْبُودِينَ ثُمَّ يَحْتَمِلُ
 التَّفَرُّقَ وَجُوهًا يَحْتَمِلُ فَرَقَنَا بَيْنَهُمْ فِي وَقْتِ الْحِسَابِ مَعَ الْكُفْرَةِ مَا ذَا عِلْمٌ وَلَمَنْ
 عَمِلَتْ وَمَنْ صَحِبَتْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ صَحَبُوا الْأَصْفَامَ وَمَا عِبَدُوا وَهُمْ قَدْ عَمِلُوا لَمْ يَفْتَرِ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُعْبُودِهِمْ الَّذِينَ عِبَدُوا فِي الدُّنْيَا فِي هَذَا الْوَقْتِ وَحَتَّى فَرَقْنَا
 بَيْنَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ فَإِنَّهُمْ نَاطِقُونَ بِعِبَادَةِ هُوَ لَا يَشْفَعُ لَهُمْ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ
 وَيَقُولُونَ هُوَ لَا شُفَعَاءَ وَنَاعِزًا عِنْدَ اللَّهِ فَفَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ وَحَتَّى فَرَقْنَا بَيْنَهُمْ
 بِمَا صُلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَجَعَلَ مَا عِبَدُوا تَرَاتُفًا وَهُمْ فِي النَّارِ هُوَ التَّفَرُّقُ
 بَيْنَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَقَالَ شُرَكَاءُكُمْ يَحْتَمِلُ قَوْلَهُ شُرَكَاءُكُمْ سَمَاءُ

شُرَكَاءُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَوَافِي الْحَقِيقَةِ شُرَكَاءُ لَهُمْ لَمَّا عِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فِي الْإِلَهِيَّةِ
 كَمَا سَجَّ الْأَصْنَامُ إِلَهَةً لَمَّا عِنْدَهُمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ وَالثَّانِي سَمَاءُ شُرَكَاءُ لَمَّا أَنَّهُمْ اسْتَوْكُوا
 فِي الْعِبَادَةِ فَهُمْ شُرَكَاءُ وَهُمْ فِي زَعْمِهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ
 يُنْطِقُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَصْنَامُ يَوْمَ الْعِصَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِهَا النُّطْقُ فِي الدُّنْيَا
 كَقَوْلِهِ يَوْمَ يَذْخَرُ أَخْبَارُهَا وَقَوْلُهُ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسْمُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ بِالْآيَةِ أَنْطَقَهُمْ لِشَهِدُوا وَعَلَيْهِمْ وَحَتَّى أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ عِبَدُوا
 أَنْكَرُوا وَإِنْ يَكُونُوا عِبَدُوا وَهُمْ وَالْأَشْكَالُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَيْفَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ وَإِنَّ
 كَذِبًا وَلَا يَوْصِفُونَ بِهِ فَقَوْلُهُ لَنْ الْعِبَادَةَ لِأَخِي مَا تَكُونُ عِبَادَةً إِذَا كَانَ
 مِنَ الْمَعْبُودِ أَمْرًا بِهَا وَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ الْأَصْنَامَ عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ
 لَهُمُ بِالْعِبَادَةِ وَلَا الْأَصْنَامَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَلَا أَحَدًا
 يُقْصِدُ قُصْدَ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ لِلْأَصْنَامِ هُوَ الشَّيْطَانُ
 صَارَ وَكَانَ نَمَّ عِبْدًا وَهُوَ لَمْ يَقْصِدْ وَهُوَ وَحْتَمَلُ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَنْكَارِ مِنَ الْأَصْنَامِ
 يَا أَنْطَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِمْ بِأَحَدٍ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
 لَا يَكُونُ إِلَّا صِدْقًا وَهُوَ صِدْقٌ لَمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ بَدُونَ أَمْرِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى فَكُنِّي بِاللَّهِ شَهِيدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَيُّ كُنِّي اللَّهُ الْقَائِمُ فِي أَحْكَامِ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنَا لَمْ نَأْمُرْكُمْ بِعِبَادَتِنَا هَذَا هُوَ الْعَالَمُ بِأَنَا كُنَّا بَعَادَتَكُمْ إِيَّانَا غَافِلِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 قَوْلَهُ تَعَالَى هَذَا لَكُمْ تَبَلُّوا كُلُّ نَفْسٍ مَا اسْلَفَتْ قَتَلَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقِيلَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَرَّى تَتَلَوُوا وَتَلَوُوا بِالتَّاءِ وَبِالْبَاءِ أَمَّا بِالتَّاءِ قَتَلَ فَقَدْ أَرَادَ فِي الصَّحِّحِ
 مَا كَتَبَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَقِيلَ تَتَبَعَ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَمَّا بِالْبَاءِ
 مِنَ الْإِتْلَاقِ يَقَالُ يَتَلَوْتُهُ وَابْتَلَوْتُهُ وَاحِدٌ وَجِبْرَتُهُ وَاحْتَبَرْتُهُ وَاحِدٌ وَقِيلَ
 تَتَلَوُوا وَتَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَقِيلَ تَجَزَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى ثُمَّ رَدَّ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ قَتَلَ مَلَكُهُمُ الْحَقُّ لِأَنَّهُ عَيْنُ
 مِنَ الْإِلَهَةِ الَّتِي عِبَدُوا هَذَا قَدْ بَطَلَ عَنْهُمْ وَصَلَّى فِي الْأَجْرَةِ وَحَتَّى أَيُّ حَقٍّ مَا نَجِدُ كُلَّ
 نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنَ أَعْمَالِهَا وَحَتَّى أَيُّ حَقٍّ أَنْ يَتَدَارَكَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَصَلَّى
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلْأَصْنَامِ وَقَوْلُ الْكُفْرَةِ قَوْلُهُ رَدَّ وَأَ
 حَتَّى وَجْهَيْنِ أَيُّ رَدَّ إِلَى مَا أَعْدَلَهُمْ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَالثَّانِي أَيُّ رَدَّ إِلَى أَمْرِ
 مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا إِلَى أَمْرِ الْأَصْنَامِ الَّتِي عِبَدُوا قَوْلَهُ تَعَالَى قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ الْآيَةُ أَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 بِأَنْ يَحَاجَّ أَهْلَ مَكَّةَ فِي التَّوْحِيدِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَكَانَ هَذِهِ السُّورَةُ تَزِلُّ فِي
 حَاجَةِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي التَّوْحِيدِ لِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ ثُمَّ قَوْلُهُ مِنْ يَرْزُقُكُمْ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا
 ٢٧٩ مِنْ يَرْزُقُكُمْ أَيُّ مَنْ يَنْزِلُ لَكُمْ الرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَنْ يَسْتَخْرِجُ لَكُمْ الرِّزْقَ
 مِنَ الْأَرْضِ لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ اسْتِغْثَالَ الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْتِخْرَاجَ الرِّزْقِ
 مِنَ الْأَرْضِ سِوَاهُ وَالثَّانِي يَحْتَمِلُ مِنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيُّ مَنْ
 يُؤْتِيكُمْ الرِّزْقَ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ يُؤْتِي الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ تَدْبِيرَ
 الرِّزْقِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ سِوَاهُ وَلَا أَحَدٌ يَمْلِكُ أَنْ يَسْمَعَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
 وَلَا أَحَدٌ يَصْنَعُ يَمْلِكُ اخْتِجَاجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَلَا اخْتِجَاجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَلَا
 تَدْبِيرَ الْأُمُورِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ مَاسَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَلَا كَيْفِيَّتَهُمَا فَكَيْفَ
 تَمْلِكُونَ أَنْشَاءَهَا وَصْنَهَا فَأَقْوَاهُ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ ذَلِكَ مِنْهُ مَا أَخْبَرَ
 عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ فَتَسْمِعُونَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ أَيُّ قُلُوبٍ لَمْ
 إِذَا عَرَفْتُمْ وَأَقْدَرْتُمْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَا ذَكَرَ سِوَاهُ وَعَرَفْتُمْ أَنَّ لَهُ الشَّيْطَانَ وَالْقُدْرَةَ
 عَلَى الْكُلِّ أَفَلَا تَتَّقُونَ بَوَائِقَهُ وَنِعْمَتَهُ أَوْ إِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدًا إِلَّا
 مَا ذَكَرَ إِذَا اسْتَدَّ أَفَلَا تَتَّقُونَ مَخَالَفَتَهُ وَعُضْيَانَهُ وَحَتْمَهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ صَرْفَ
 سَكْرِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَقَدْ أَقْدَرْتُمْ أَنَّهُ هُوَ الْمَنْعُ عَلَيْكُمْ هَذَا النِّعْمَ لَا مَنْ يَنْعِدُونَ
 دُونَهُ وَحَتْمَهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ دُونَهُ وَأَسْرَافَهُ غَيْرِهِ فِي الْوَهْمِ
 وَرُبُوبِيَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ أَيُّ ذَلِكُمْ اللَّهُ الَّذِي ذَكَرَ رَبُّكُمْ
 الْحَقُّ أَيُّ ثَبَتِ الْوَهْمِ وَرُبُوبِيَّتِهِ بِالْحُجِّ وَالْبَرَاهِينِ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ الَّذِي
 ثَبَتَ حَقِّيَّتَهُ بِالْحُجِّ وَالْبَرَاهِينِ إِلَّا الضَّلَالُ لِأَنَّ مَا لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ وَلَا بُرْهَانَ
 مِنْهُ ضَلَالٌ وَحَتْمُهُ فَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ أَيُّ الَّذِي أَقْدَرْتُمْ أَنَّهُ الْمَالِكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الرِّزْقِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَإِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ عَرَفْتُمْ
 أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَالْقِيَامِ بِسَكْرِهِ دُونَ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ
 فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ لِحَقْمِ اسْمِ الضَّلَالِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ
 قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ تَضَرَّعْتُمْ فَيَنْ تَضَرَّعْتُمْ فَيَنْ تَضَرَّعْتُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ
 غَيْرِهِ يَهْوِي النَّفْسُ وَوَسْوَسةُ الشَّيْطَانِ وَحَتْمُهُ فَإِنْ تَضَرَّعْتُمْ عَنْ سَكْرِهِ
 الْمَنْعُ إِلَى غَيْرِ الْمَنْعِ أَوْ يَقُولُ اللَّهُ فَإِنْ تَقْدَرُونَ مَنْ لَا يَمْلِكُ مَا ذَكَرْتُمْ يَمْلِكُ اللَّهُ أَعْلَمُ

قَوْلُهُ تَعَالَى كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ قِيلَ حَقَّتْ أَيُّ وَجِبَتْ ثُمَّ هَذَا
 يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يَحْتَمِلُ مَوَاعِيدَ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 فَإِنْ كَانَ عَلَى هَذَا فَيُؤْمِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا وَحَتْمُهُمْ
 كَلِمَةُ رَبِّكَ أَيُّ وَجِبَتْ وَلِذَلِكَ حُجَّ رَبِّكَ وَبَرَاهِينُهُ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ أَيُّ لَا يَنْتَفِعُونَ بِأَيَّامِهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ إِذَا الْمَرْءُ يُؤْمِنُ
 فِي الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَاكُمْ مِنْ يَتَرَكُ الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ قَالَتْ عَامَّةُ أَهْلِ التَّوَابِلِ ثُمَّ يُعِيدُهُ الْمُرَادُ مِنْهُ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ
 أَيُّ لَا أَحَدٌ مِنْ شَرِكَاكُمْ الَّذِينَ يَقْبِذُونَ مَمْلُوكًا بِدَا الْخَلْقِ وَلَا إِعَادَتَهُ وَبَعْثَهُ
 وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ ثُمَّ يُعِيدُهُ لَا يَحْتَمِلُ الْبَعْثَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْبِذُونَ بِالْبَعْثِ فَلَا يَحْتَمِلُ
 الْإِحْتِجَاجَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَلَكِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ ثُمَّ يُعِيدُهُ أَيُّ مَاسُوكِ الْبَشَرِ لَا يَمْلِكُ
 أَنْ يَنْكُرُونَ إِعَادَةَ الْبَشَرِ فَمَا إِعَادَةُ غَيْرِ الْبَشَرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَلَا يَنْكُرُونَ فِيهَا
 كَمَا إِعَادَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِعَادَةُ الْأَنْزَالِ وَالنَّبَاتِ لَمْ يَشَاهِدُوا نَفْسَهَا
 وَتَحَدُّدَ مِثْلَهَا وَلَكِنْ إِذَا ثَبَتَ فِي غَيْرِ الْبَشَرِ ثَبَتَ فِي الْبَشَرِ لِأَنَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَلَكِنْ
 عِنْدَ مَا يَحْتَمِلُ الْأُمُورَ مِنْ جَمِيعًا بَعَثَ الْبَشَرَ وَاعَادَتَهُمْ وَاعَادَةَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ وَيَكُونُ
 ذَلِكَ أَعْلَامًا لَهُمْ بِمَا أَقَامَ مِنَ الْحُجِّ وَالْبَرَاهِينِ الْأَتْرَاقِ قَالَتْ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنْ تَوَفَّكُونَ نَفْسَ عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ وَالْأَتْرَاقِ أَنَّهُ أَجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ
 مَا يُلْزِمُهُمْ ذَلِكَ يَقُولُ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ
 يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَاكُمْ مِنْ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَيُّ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا كَانَتْ
 هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي يُعْبَدُ وَهِيَ لَا يَمْلِكُونَ الدُّعَاءَ إِلَى شَيْءٍ فَلَا يَمْلِكُونَ النِّفْعَ وَالضَّرَّ
 وَمِنْ الْخَلْقِ مَنْ لَا يَمْلِكُ النِّفْعَ وَالضَّرَّ وَمَلِكُ الدُّعَاءِ إِلَى صَدِّ أَوْ إِلَى نَفْعٍ
 فَهُوَ لَا يَدُونُ الْخَلْقِ جَمِيعًا إِذَا لَا يَمْلِكُونَ الدُّعَاءَ فَكَيْفَ يَمْلِكُونَ النِّفْعَ وَالضَّرَّ
 بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى سَفَهَهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ الْأَصْنَامَ لَعَلَّهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
 وَحَتْمُهُ مِنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَيُّ يَبِينُ وَيُقِيمُ الدَّلَائِلَ وَالْحُجَّ عَلَى اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ
 لَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ اللَّهُ يَهْدِي الْحَقَّ أَمْرًا بِأَنْ يَخْبِرَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَهْدِي
 الْحَقَّ ثُمَّ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا هُمَا هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الدُّعَاءَ إِلَى الْحَقِّ وَيَمْلِكُ
 إِقَامَةَ الدَّلَائِلِ وَالْحُجَّ عَلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ وَهُوَ لِيَسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ لَهُ وَالرُّبُوبِيَّةَ

وَحْتَمَلُ وَهُوَ الَّذِي يُوَفِّقُ لَاتِيَانِ الْحَقِّ وَحْتَمَلُ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ فَعَلَ الْإِهْتِدَاءَ
فَمِنْ عِلْمِ مَنْهُ اخْتِيَارُ الْإِهْتِدَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى أَفَنُيْهِدِي إِلَى الْحَقِّ
أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا يَهْدِي أَيُّ الَّذِي يُبَيِّنُ الْحَقَّ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ
أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ مَنْ لَا يَبَيِّنُ وَلَا يَدْعُو إِلَّا أَنْ يَهْدِي أَيُّ يَبَيِّنُ لَهُ فَإِنْ قِيلَ
مَا مَعْنَى الْإِهْتِدَاءِ وَالصَّمِّ وَأَنْ هُدًى لَا يَهْدِي قِيلَ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْمُرَادُ مِنْ
هَذَا الْإِنْسَانُ لِأَنَّ الصَّمَّ لَا يَحْتَمِلُ الْإِهْتِدَاءَ وَأَنْ هُدًى وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْإِ
أَنْ يَهْدِي إِلَى الصَّمِّ لَا يَهْدِي الطَّرِيقَ إِلَى مَكَانٍ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْإِهْتِمَالُ
فَيُوضَعُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَمَّا أَنْ يَهْدِي هُوَ بِنَفْسِهِ فَلَا وَلَكِنْ الْجَوَابُ
الْعَلِيَّجُ أَنْ يَقَالَ أَنْ هَذَا صِلَةٌ مَا تَقْدَمُ مِنْ قَوْلِهِ مَا كُنْتُمْ أَيَا نَا تَعْبُدُونَ
يَنْطَقُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُشْهِدُ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ أَنْهُمْ لَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِالْعِبَادَةِ لَمْ وَلَا دَعَوْهُمْ
إِلَى اسْتِرْكَائِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ إِلَّا أَنْ يَهْدِي إِلَى الْإِهْتِمَالِ جَعَلَهُ اللَّهُ
يَحْيَى يَهْدُونَ إِذَا هَدَوْا وَيُحْيِيُونَ إِذَا دَعَوْا بِأَنْ يَخْلُقَ فِيهِمُ الْحَيَاةَ وَإِذَا نَ
لَمْ بِالنُّطْقِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُ الْأَطْنَاءِ
قَالَتْ بَعْضُهُمْ هَذَا فِي الْآيَةِ وَالرَّوْسَاءِ مِنْهُمْ حَيْثُ عَبْدُ الْأَوْتَانِ وَالْأَصْنَامِ
وَقَالُوا مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وَقَالُوا هُوَ لَا شَفْعًا وَنَا عِنْدَ اللَّهِ
وَيُخَوِّذُكَ لَكَ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهمُ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ بِأَنْهُمْ يَكُونُونَ لَمْ شَفْعًا
عِنْدَ اللَّهِ الْأَطْنَاءُ ظَنُّوا وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ هَذَا فِي الْإِتْبَاعِ وَالْعَوَامُّ لَيْسَ فِي الْآيَةِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ قَدْ عَرَفُوا الْبَرَاهِينَ وَالْحُجَجَ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِمُ وَالْآيَاتِ الَّتِي
جَاءَتْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ لَكِنْ قَالُوا أَنْ هَذَا الْأَسْحَرُ مَبِينٌ وَمَا هَذَا إِلَّا أَفْكَلُ مُفْتَرٍ
أَنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ وَيُخَوِّذُكَ لَكَ إِرَادُوا أَنْ يَلْبِسُوا عَلَى الْعَوَامِّ وَيُشَبِّهُوا
عَلَيْهِمْ فَا تَتَّبِعُ الْعَوَامُّ الْآيَةَ فَيَقُولُوا أَنَّهُ كَذَّاءٌ وَأَنَّهُ كَذَّاءٌ وَصَدَقُوا فَيَقُولُوا فَاجْتَبِ تَعَالَى
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهمُ الْأَطْنَاءِ أَيُّ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُ الْإِتْبَاعِ الْآيَةَ فِي ذَلِكَ الْأَطْنَاءُ ظَنُّوا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهمُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ أَيُّ مَا يَتَّبِعُ
أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ الْأَوَائِلُ وَالْأَسْلَافُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ الْأَطْنَاءُ
لَا نَهْمُ عَبْدُ وَالْأَصْنَامِ وَيَقُولُونَ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَابِدِينَ بِلَ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَّاءً لَكْ
يَفْعَلُونَ وَالتَّقْلِيدُ مَبْنِي عَلَى الظَّنِّ نَحْمُ أَخْبِرُ أَنْ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِلَى الظَّنِّ
لَا يَدْرُكُ بِهِ الْحَقَّ إِنَّمَا يَدْرُكُ الْحَقَّ بِالْبَيِّنَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

هُوَ حُرْفٌ وَعَيْدٌ لِيَكُونَ تَوَاعِيْلُ حَذْرٌ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ
يَفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ كَخَوِّجٍ عَلَى وَجْهِهِ أَحَدَهَا أَيُّ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ
بِالَّذِي يَحْتَمِلُ الْإِفْتِرَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِحُجُوجِهِ عَنْ طُوفِ الْبَشَرِ وَسَعَمِ فَذَلِكَ
بِالَّذِي يُحِيلُهُ كَوْنُهُ مُفْتَرٍ الْجَوْهَرِ أَيُّ بِنَفْسِهِ وَالثَّانِي لَمَّا أَدْعَى فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ
وَالصَّدَقِ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِذَا كَلَامُ غَيْرِهِ يَحْتَمِلُ السَّغْفَرَ وَالْكَذِبَ
وَالْحَتْمَ التَّنْزِيْهِ عَنْهُ إِلَّا إِذَا أُتِيَ مِنْ جَهَنَّمَ وَعَصَمَهُ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ الرَّسُولُ
وَاخْتَلَفَتْ فِي نَزُولِهِ فَقَالَتْ بَعْضُهُمْ مُوَصِّلَةٌ قَوْلُهُ قَالَتْ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَ نَارِ آيَاتِ بَقَرَةِ آيَاتٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بِذَلِكَ يَقُولُ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ
أَنْ يَفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ كَقَوْلِهِ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدْلِيَ مِنْ تَلْقَاءُ نَفْسِي أَنْ
أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَاللَّهُ تَعَالَى وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ أَنْ كَفَّارٌ قَدْ بَيَّنَّ قَالُوا أَنْ مُحَمَّدًا
أَفْتَرَى هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَتَقُولُ لَهُ وَاخْتَلَفَتْ فَقَالَتْ وَمَا كَانَ
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيُّ يَضَافُ إِلَى غَيْرِهِ وَاخْتَلَفَتْ وَلَكِنْ
تَصْدِيقُ الَّذِي يَبَيِّنُ بِهِ أَيُّ لَصَدَفَ هَذَا الْقُرْآنُ أَلَكْتُبُ الْمَقْدَمَةَ وَلَوْ
كَانَ مُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي افْتَرَاهُ وَاخْتَلَفَتْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَكَانَ خَرَجَ هُوَ وَسَائِرُ
الْكُتُبِ الْمَقْدَمَةَ مُخْتَلَفًا إِذْ لَمْ يَعْرِفْ مُحَمَّدٌ سَائِرَ الْكُتُبِ الْمَقْدَمَةَ إِذْ كَانَتْ بِغَيْرِ
لِسَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ اخْتِلَافٌ إِلَى مَنْ يَعْرِفُهَا وَلَا كَانَ قَارِيًا لِلْكُتُبِ كَمَا قَالَتْ
وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا نَحْظُهُ بِمِثْلِكَ ثُمَّ حَرَجَ هُوَ عَنِ الْقُرْآنِ
مُصَدِّقًا وَمَوَاقِفًا لِتِلْكَ الْكُتُبِ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا قَوْلُهُ تَعَالَى
وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ قِيلَ فِي الْقُرْآنِ بَيَانُ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ فَتِلْهُ وَتِلْهُ هَذَا
الْكَلَامُ أَنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُخْتَلَفًا فِي اللَّفْظِ فَهُوَ فِي الْحِكْمَةِ وَالصَّدَقِ مَبِينٌ مُوَافِقٌ
لِلْأَوَّلِ وَحْتَمَلُ أَيُّ مَفْصُلٍ مِنَ التَّوَجُّعِ الْحَفُوظِ وَقِيلَ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ
أَيُّ تَفْصِيلُ مَا كُنْتُ لَمْ وَمَا عَلَيْهِمْ وَحْتَمَلُ أَيُّ إِلَى اللَّهِ تَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَيْسَ لِيَا عَيْنِ
قَوْلُهُ تَعَالَى لَا رَيْبَ فِيهِ أَيُّ لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِنُورَةٍ مِثْلِهِ يَقُولُ أَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ افْتَرَاهُ
مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ فَاتُوا بِنُورَةٍ مِثْلِهِ إِذْ لِسَانُهُ وَلِسَانُكُمْ وَاحِدٌ وَأَنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ
بِالْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ وَمُحَمَّدٌ يَعْرِفُ بِوَقْتٍ وَلَا أَخَذَ عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ فَاتُوا بِأَوَّلِي تَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

اختلف فيه قالت بعضهم اي ادعوا بالهتك التي تعبدونها ليعينواكم على اتيان مثله
وقالت بعضهم اي ادعوا من لسانه مثل لسانكم ليعينواكم على ذلك ويحتدل اي
استعينوا برأسة الكتب لمقدروا على اتيان مثله ان كنتم صادقين ان محمدا
افتراه من نفسه فدل ترك استغفارهم بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفتر
وانه ساروي قول الله تعالى بل كذبوا بالالحاظ يحيطوا بعلمه قال بعضهم اي انهم
لم يحفظوا نظمه ولفظه ولا نظره واوتدبروا فيه ليعلموا معناه بل كذبوا بالبدية
والشيء انما يعذر من كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر والتدبر ولا بالبدية
فذلك والله اعلم تاويل قوله بل كذبوا بالالحاظ يحيطوا بعلمه لا بعد ام سبب احاطة
العلم في حتم ويحتدل اي كذبوا على علم منهم انهم كذبوا فيما يقولون وسقولون
انه مفتر ليس بمنزل والله اعلم قول الله تعالى ولما ياتهم تاويله اي ولم ياتهم
العلم بتاويله اي بتاويل القرآن ومعناه والله اعلم انهم كذبوا من غير ان يحفظوا
نظمه ولفظه وتدبروا معناه ولا انهم العلم بعاقبته واخبره اذ قيل التأويل
رد كل شيء الى اوله الامر ولهذا قلت الحكماء اخوكل فعل هو قصد في اوله
وقصد كل شيء في اوله هو آخر في فعله او نحوه واصل التأويل هو النظر
الى ما يؤول عاقبة الامر وقالت بعضهم قوله ولما ياتهم تاويله ما وعد الله
ان يكون قتل ان يكون وقالت ابن عباس تاويل القرآن منه ما يكون
في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة من الوعيد وقالت بعضهم تاويله نوابه
وقيل عاقبته وقالت الواقدي اي ولما ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله تعالى
في القرآن من الوعيد قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم
اي كذلك كذب الامم الخالية رسوله ككذب كفار مكة رسولهم قوله تعالى
فالظلم كيف كان عاقبة الظالمين اي انظر كيف يعاقبون بالكذب ثم
هذا يحتدل وجهين احدهما تشبيه رسول الله اي لست انت باقول مكذب
بذلك كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون له التشبيه عما هو فيه من
تكذيبهم اياه وردهم عليه انه ينزل بهم ما قد نزل باوليائك انهم اقاموا
على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب وان كان خارجا لرسول الله فهو راجع
الى قومه يأمروهم بالنظر فيما نزل بالآيم السالفة وان يتاملوا احوالهم ليكون
ذلك سببا لرجعهم عما هو فيه والله اعلم قوله تعالى ومنهم من يؤمن به

قيل من اهل مكة ومنهم من لا يؤمن به ثم قوله به يحتدل ان يكون كناية
عن الرسول ويحتدل ان يكون كناية عن القرآن ثم يحتدل قوله من يؤمن به
ومنهم من لا يؤمن به اي منهم من قد آمن به ومنهم من لم يؤمن به على الماضي
ويحتدل على الوعد فيما يستقبل اي من اهل مكة من يؤمن بهذا القرآن
ومنهم من لا يؤمن به وهم كذا لك كانوا منهم من قد آمن به ومنهم من لم يؤمن
به فيكون آية رسالته حيث خرج على ما اخبر وذلك لا يعلم الا من الوحي
وقالت بعضهم الآية في اليهود ليست في اهل مكة ولكن الظاهر انها في اهل
مكة وعلى ذلك قول عامة اهل التأويل كان هذا حرج على البشارة
ان منهم من يؤمن به ليلا يقطع ويمنع دعاؤه اياهم الى الاسلام واخبر ان منهم
من لا يؤمن به حتى لا يستدحونه على كفرهم لم يسلم منهم وغا ند والله اعلم
قوله تعالى وربك اعلم بالمفسدين يشبه ان يكون معناه اي على علم بما
كان منهم من الفساد خلقهم وانشاهم ليس عن غفلة وجهل بالفساد انشاهم
ولكن عن علم بذلك لما لا يضروه فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مضل انما
عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتدل ان يكون على الوعيد اي
عالم بفسادهم فيجزئهم جزاء فسادهم والله اعلم قوله تعالى وان كذبوك
فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريون بما اعمل وانا بري بما تقولون تاويله والله اعلم اي
ان كذبت فيما اخبرتهم انه جاء من عند الله فقل لهم لي عملي اي علي ووزعمي فيما
ابليكم ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما ردتم علي فيما بليكم علي الله وهو كقول
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجداي وانا بري بما تجرمون
اي علي جرم افتراي ان افتريت وعليكم جرم ما ردتم علي كما قل ما قاله
اهل التأويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي دينكم قوله تعالى
انتم بريون بما اعمل وانا بري بما تقولون تاويله والله اعلم اي انا لا واخذ بما دنتم
انتم ولا انتم تواخذون بما دنت انا وعملت وهو كقول ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فان تولوا فاعلم انما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وقوله فان توليت فاعلموا انما علي رسولنا البلاغ المبين وقوله قل لا
تسألون عما اجرنا ولا تسأل عما تعلمون قوله تعالى ومنهم من
ليستمعون اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه يعني الي محمد والي ما يتلوا

من العتق ان لكنه لا يؤمن احب ان لا كل مستمع الي شي لينفع بما يستمع او يعقل
 كما يستمع ويؤمن انما ينفع بالاستماع و يعقل علي قدر المقصود والحاجة اليه فهم
 كانوا يستمعون اليه لمعان ومنهم من يستمع اليه ليتخذ لنفسه عند منزلة
 وقد راو يكون عنده مقبول القول الحسن استماعه العتق ان ومنهم من كان
 يستمع ليستمع غيره كقولهم سمعوا للكذب سمعوا لقوم آخر ومنهم
 من كان يستمع ويطيعه في ذلك فاذا خرج من عنده عتبه وبذلك كما اخبر
 عنهم بقوله ويقولون طاعه فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي
 تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء منه وطلب الطعن فيه والعب
 ثم نفي عنهم العقل والسمع والبصيرة بقوله افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون
 ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون وذلك لوجنين
 احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باستماعهم وعقولهم وابصارهم لم يستلهم هذه
 الخواص فنفى عنهم لم يستمع العقل حيث قالت لا يعقلون ونفي عنهم الهدى
 بترك النظر والابصار فقالت افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
 لان بالبصيرة يصل الي الهدى والطرف والسلوك فيها الا تترك ان البهايم
 قد تبصر الطرف وتسلك فيها وتنتهي بها الممالك ولا تعقل لما ليس لها سمع
 العقل فلا تعقل لما ليس لها القلب بالعقل وتبصر به وبظاهره البصيرة تبصر
 الاشياء وبظاهره السمع تسمع الالفاظ فانما نفي عن هذه الخواص ما ذكرنا
 لما انها جعلت لينفع بها لا لتترك سدي لا ينفع بها والثاني ان العقل والسمع
 والبصيرة تكون منها مكتسبات ومنها ما يكون غريزيا فنفى عنهم لما تركوا المكتسبات
 ذلك فلا يحصل لهم ما يحوز بالكسب فاحتمل نفي هذه الخواص هذين الوجهين
 اللذين ذكرتهما والله اعلم **قوله** تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن
 الناس انفسهم يظلمون خبر ان ما حل باوليك من عذاب استيصال عقوبة
 انما حل بظلمهم **قوله** تعالى ويوم نحشورهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار
 عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار
 في قبورهم فيتعارفون اذا خرجوا من قبورهم وقالت بعض اهل التأويل
 اي كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا واصله كانهم استقلوا طول
 مقامهم في الدنيا وما انعموا فيها لما عابوا من احوال ذلك اليوم وسدايد

او استقلوا البثم ومقامهم لطول مقامهم في الآخرة في العذاب وفيه وجه
 اخر وهو انه يذكر من مدة سقاهم وغاية جملهم ان استقلوا ما بعدهم الله
 تعالى من الحزب والعذاب الا بدكانهم لا يلبثون فيها الا ساعة من النهار
 حتى لا يبالوا بما يلحقهم ذلك فلا تمتنعوا عن اكتساب ما به يستوجبون
 العذاب الا ليرى الله اعلم **قوله** تعالى يتعارفون بينهم اي يعرف
 بعضهم بعضا علي قدر ما يلعب بعضهم علي بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلي قدر
 ما يتبرأ بعضهم من بعض ثم لغة في بينهم كقوله فزينا بينهم اي فرقنا بينهم
قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلفظ الله اي خسروا فيما وعدوا
 من النعم والآية في الآخرة بترك اكتسابهم اياها اذ قد اعطوا ما يكسبون
 به نعم الآخرة فالكسبو اما به خسروا وهو كقوله فما اصبرهم علي النار اي
 فما اصبرهم علي اكتساب ما به يستوجبون النار **قوله** تعالى واما
 نريئك بعض الذي لعدم او نتوفيتك قبل في تاويل هذه الآية من
 وجهين احدهما ان هذا علي حذف حرف الشك اعني حرف اما واخر
 حرف ان كانه لقول ان ارياك اما نريئك بعض ما لعدم لاكل ما لعدم
 او نتوفيتك ولا نريئك شيئا هذا محتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب
 للنبي ومحتمل ان يكون رسول الله وعد لهم ان يريهم شيئا فقالت عند ذلك
 واما نريئك بعض الذي لعدم او نتوفيتك كانه يقول ليس اليك ما وعدتم
 انما ذلك اليك كقوله ليس لك من الامر شي والثاني من التأويل ان قوله
 واما نريئك بعض الذي لعدم اي لقد نريئك بعض ما لعدم وهو كقوله ان
 كان وعد ربنا لمفعولا اي لقد كان فعلي هذا التأويل يريه بعض ما لعدم
 ولا يريه كل ما وعدهم وعلي التأويل الاول انه ان اراه ايا يريه بعض ذلك
 او لا يريه شيئا فان قيل اما حرف شك وكذلك او كيف يستقيم اضافته
 الي الله وهو عالم بما كان ويكون ويستقيم اضافته الي من جهل العواقب
 قيل جميع حروف الشك التي اضيفت الي الله فعلي اليقين والوجوب والوقوع
 نحو حرف عسي ولعل وحرف او واما حرف الاستعظام اذ هو لم يزل عالما بما
 كان ويكون في اوقاته وهذا لان هذه الالفاظ ان كانت موضوعة لغة كذلك
 لكنها تستعمل عند ارباب اللسان ايضا للوقوع والاجاب دون الشك ايضا

فمتى أصيغت إلى الله بحملها إلى ما يليق به وهو كما ذكرنا في نسبة الفاظ
إلى الله توجب التشبيه من حيث الظاهر من العين واليد والأتان
والجحي وكذا ذلك أن كان في وضع اللفظة لمعان لا يجوز على الله تعالى
ولكنها لما استعملت لمعان على المجاز يجوز الإضافة إليه وتليق بصفاة
صرفت إلى ما ختمت فهنا كذلك والله أعلم قول تعالى فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا الختم أن الله شهيد لك يوم القيامة
على ما فعلوا من التكذيب بالآيات وردها وهو كقول الله شهيد بينكم
وأوحى إلى هذا القرآن الآية وحتم أي عالم ما تفعلون لا يغيب عنه
شي وهو وعيد كقول والله بصير ما تعملون وهو بكل شيء عليم وكثر والله أعلم
قوله تعالى ولكل أمة رسول أي لكل أمة فيها خلا رسول بعث إليهم
لست أنا بأول رسول بعث إليكم وهو كقول قل ما كنت بدعاً من الرسل
وما أدرك ما يفعل بي ولا بكم قوله تعالى فإذا جاء رسولهم قضى بينهم
بالقسط ختم هذا وجهين ختم فإذا جاء رسولهم قضى بينهم يوم القيامة
بالقسط أي يقضى بين الرسل وبين الأمم بالعدل بما كان من الرسل من بليغ الرسالة
إليهم والدعاء إلى دين الله ومن الأمم من التكذيب للرسل والرد للآيات
لقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزداد على ما كان ولا ينقص والثاني ختم
قضى بينهم أي يهلك المكذبون منهم وينجي الرسل ومن صدق منهم كقول
ثم نجي رسلنا والذين آمنوا الآية قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد
إن كنتم صادقين وذلك أنه لما وعدوا وعدهم العذاب حين قال وأما نرى بينك
بعض الذي نعدهم أي من العذاب فقالوا متى هذا العذاب الذي توعدنا
يا محمد إن كنت صادقاً بأن العذاب نازل بنا في الدنيا وهو على التأويل
الثاني الذي ذكرنا القدر بينك بعض ما نعدهم قوله تعالى قل لا أملك
لنفسي صنواً ولا نفعاً إلا ما شاء الله أمره الله تعالى أن يحبسهم فنقول لا أملك
لنفسي صنواً إلا دفعه عنها ولا أملك جنة منفعة إليها ولا أقدر على أن أدفع عن نفسي
سوا حين ينزل بي ولا أملك أن أسوق إليها خير البتة فإذا لم أملك هذا
كيف أملك أنزال العذاب عليكم إنما ذلك إلى الله هو المالك عليه والقادر
على ذلك لا يملك أحد سواه وهو كقول قل إنما أنا بشر مثلكم قوله تعالى

لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أي إذا
جاء أجلهم لا يقدر أن علي تأخير ولا تقدمون ولا تقدمون أي أنهم
لا يطلبون تأخير ولا تقدم لهم يسألون ذلك ولكن لا يؤخر إذا جاء ولا يقدم
قبل أجله وفيه دلالة أن لا يهلك أحد قبل أجله فلو أن الله تعالى
المعتزلة حيث قالوا من قتل أخيراً فأنما قتل قبل أجله والله تعالى
يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون
والله الموفق خبر الله تعالى بقوله فلا يستأخرون ساعة الآية أن عذاب
تعالى إذا نزل وجاء وقته لا يملك أحد تقديمه ولا تأخير ولا يحتدل ذلك
بالقدر والمعتزلة كما ختم ذلك في الدنيا بالشفاعة والعدا ويذكر عجز
النبي في أنزال العذاب عليهم في قوله قل لا أملك لنفسي صنواً ولا
نفعاً والله أعلم قوله تعالى قل أرأيتم أن أتكم عذاباً بياثراً أو نهياراً
ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله أعلم أي منفعة لكم أن أتكم عذابه
لا منفعة لكم في ذلك بل فيه ضرر لكم فاستعجال ما لا منفعة فيه سفيه وجمل
بشفعهم في سوا أهل العذاب والله أعلم قوله تعالى ثم إذا ما دفع
آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون أي العذاب إذا نزل بكم آمنتم
به الآن خبر عنهم إذا نزل بهم العذاب يؤمنون به ثم يحتدل قوله آمنتم
به أي بالله وبرسوله كقول تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين ثم أخبر أن إيمانهم لا ينفعهم عند معابقتهم العذاب
وقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقوله لا ينفع نفساً إيمانها لم يكن
آمنت من قبل وختم قوله آمنتم به أي بالعذاب لأنهم كانوا يكذبون
رسول الله فيما يدعوه العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيباً فإذا نزل
بهم آمنوا وصدقوا بذلك العذاب يقول آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
تكذيباً واستهزاء أنه غير نازل بكم ذلك والله أعلم قوله تعالى ثم
فيل للذين ظلموا أي فيل للذين أشركوا في الألوهية وعبادته غيره
ذوقوا عذاب الخلد الذي تخلدون فيه أي يقال لهم ذلك بعد ما أدخلوا
في النار هل تحذرون إلا بما كنتم تكسبون في الدنيا قوله تعالى ولستنبؤك
أحق منزل أي وربي أنه الحق وما أنتم بمعجزين قوله ولستنبؤك أحق صواب

يُستخبرونك هذا الحرب اعني الحق هو محتمل ان يكون من الشاكرين منهم في ذلك
طلبوا من النبي ان ذلك حق ام لا ومن المعاندين استجبال العذاب الذي
كان يوعدهم رسول الله استهزاء به وتكذيباً له ومن المتبعين والمطيعين
له التصديق والايان به كقولهم يستحيل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
آمنوا مشفقون منها ويعلمون انه الحق فكانوا فرقا ملته فزقه آمنوا
به وفزقه شكوا فيه وفزقه كذبوه ثم قوله ولستم بتك احق هو محتمل جوهراً
محتمل يستخبرونك وليسا لو تك احق هو العذاب الذي كان لوعدهم انه ينزل
بهم على ما قاله عامة اهل التأويل ثم قال قل اي وري انه الحق اي قل نعم
وري انه الحق انه نازل بكم وما انتم بمعجزين الي بغايتين عنه ولا سا بقين
له ومحتمل احق هو ما يدعوم اليه من التوحيد وهو كقولهم لا براهيم اجبتنا
بالحق امرات من اللاعبين قل بل ربكم رب السموات الآلية فعلي ذلك
قولهم احق هو ثم اخبر انه حق بقوله قل اي وري انه الحق وما انتم بمعجزين
فايتين عنه ومحتمل القرآن اهو حق ام لا قل اي وري انه الحق ليس بهزواً
ولا لعب وهو كقولهم ان الله يامركم ان تدخوا بقرة قالوا اتخذنا هزواً
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر ان ما يامرهم به ويدعوا لهم
اليه ليس هو بهزواً ولا لعب ولكن حق امر من الله تعالى فعلي ذلك قوله
احق هو قل اي وري انه الحق الآية قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظمأ
لما في الارض لافترت به يخبر عنهم انهم يعبدون ويبدلون جميع ما في الارض
لو قدر و اعليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذي منهم
عن الايمان موجبتهم الدنيا وخلقهم عليها وما فيها بقوله ورضوا بالحياة الدنيا
واطاعوا بها قوله تعالى واستروا الندامة لما رآوا العذاب الندامة
لا تكون الا سراً بالقلب فكانه قال حققوا الندامة في قلوبهم على ما كان منهم
من التكذيب بالآيات والعناد في ردّها وقال بعضهم استروا الندامة اي
اظهروا الندامة وهموا بما يستعمل في الاخفاء والاطهار وجوز مثل هذا القول
شعب اي جمع و فرق او يرا دبه على سبيل المجاز لانه اذا استتر في نفسه
لا بد من ان يضع ذلك في آجر فذلك منه اظها ر بطريق السببية قوله تعالى
وقضي بينهم بالقسط لحتمل قضى بينهم بالقسط اي قضى بينهم بما يوجب الحكمة

لان الحكمة توجب تعذيب كل كاذب لئله وكل قائل في الله ما لا يليق به و لحتمل
ان يكون تفسير قوله بالقسط ما ذكر على اثره وهم لا يظلمون اي بالعدل
دون الظلم و لحتمل بالقسط ما ذكر اقتراء كما بك كفي بنفسك اليوم حسيباً
والقسط هو العدل وهم يؤميد عروفا انه كان يقضي بالعدل في الدنيا
والآخرة والله اعلم قوله تعالى الا ان الله ما في السموات والارض
اي اما في السموات والارض كلهم عبيد و ايماناً ومملكه لا لمن تعبدون
دونه من الاصنام والاوتار فمن عند من يملك الدنيا والآخرة اطلبوا
ذلك لا من عند من يعلمون انه لا يملك ذلك والله اعلم قوله تعالى
الا ان وعد الله حق هذا اخبرنا منه في كل وعد وعيد انه كائن لا محالة
عذاباً كان او رحمة قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا
يتفقهون بعملهم ومحتمل قوله لا يعلمون اي لا يكتسبون سبب العلم وهو
التأمل والنظر في آياته وحججه ومحتمل نفي العلم عنه لما لم يعطوا اسباب
العلم وهو العمل فلم يعلموا فان كان علي هذا فتكونين معذورين وان كان
علي الوجهين الاولين فلا عذر لهما في ذلك ثم في قوله الا ان الله ما في السموات
والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته
في خلق السموات والارض وما بينهما الغلظهما وكثافتها وسدتها وعظم
خلقها على ان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم فمن قدر على ذلك
فهو قادر على البعث واحياء الخلق بعد فنايم والشافى لخير عن حكمته في تعلق
منافع الارض بالسما على بعد ما بينهما والافضال على الخلق بانواع النعم التي
يكبر الاحصاء وان كل شيء منها قد وضع موضعه فلا لحتمل من يكون هذا وصفه
بل الحكمة تخلق شيئاً عبثاً وباطلاً ولو كانوا للفناء لا حياة بعده يكون خارجاً عن
الحكمة فظهر انه خلقهم لا ميواد بهم والله اعلم قوله تعالى هو حيي ولحييت
واليه ترجعون اي تعلمون انه هو احياء الاحياء وهو ميت الاموات ايضا
وهو الذي احياكم ثم لميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو يحيي الاحياء
وهو ميت الاموات لا غير فاعلموا انه هو الذي يبعثكم واليه ترجعون الزمهم
الحجة اولاً بالكائن ثم اخبر عما يكون بالحجة وهو كقولهم وهو الذي احياكم
ثم لميتكم الآية قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم مؤيظة من ربكم اي

هَذَا الْقُرْآنَ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِي تَفْسِيرِ الْمَوْعِظَةِ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْمَوْعِظَةُ الَّتِي كُتِبَتْ
بِعَظَمِ اللَّهِ أَنْ تَعُوذُوا بِاللَّهِ ابْدَأُوا قُلُوبَكُمْ بِهَيْكَلِ اللَّهِ أَنْ تَعُوذُوا بِمُثَلِّهِ وَقَالَ آخَرُونَ
الْمَوْعِظَةُ هِيَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى كُلِّ مَرْغُوبٍ وَتُزْجِرُ عَنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ وَقَالَتْ
بَعْضُهُمُ الْعِظَةُ هِيَ الَّتِي تَلْتَمِسُ قُلُوبَ كُلِّ قَاسِرٍ وَتُجَلِّي قُلُوبَ كُلِّ مُظْلَمٍ وَقِيلَ الْمَوْعِظَةُ
هِيَ الَّتِي تَلْتَمِسُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَتُدَمِّعُ الْعُيُونَ الْيَابِسَةَ وَتُجَلِّي الصُّدُورَ الْمُظْلَمَةَ
ثُمَّ فِي الْقُرْآنِ جَمِيعُ مَا ذَكَرْنَا فِيهِ النَّبِيُّ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ وَفِيهِ الدُّعَاءُ إِلَى كُلِّ مَرْغُوبٍ
وَالزُّجْرُ عَنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ وَهُوَ بَلَدُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ وَتُجَلِّي الْقُلُوبَ الْمُظْلَمَةَ
إِذَا تَأَمَّلُوا فِيهِ وَنَظَرُوا وَتَفَكَّرُوا وَتَفَكَّرَ الْمُسْتَرْشِدُ وَطَالِبُ الْحَقِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَشِفَاءُ مَا فِي الصُّدُورِ أَيْ لِلَّذِينَ آفَاتَتْ قُصُورُهُ وَتُتَلَفُ
كُلُّ هَذِهِ الْأَبْدَانِ آفَاتٌ وَأَمْرَاضٌ تَقِلُّ فِي أَثْقَلِهَا وَاهْلَاكُهَا ثُمَّ جَعَلَتْ آفَاتُ
الْأَبْدَانِ وَالْأَمْرَاضِ إِذْ وَبَّيْتُ شَيْئًا بِهَا الْأَبْدَانِ الْمَرِيضَةَ فَعَلِيَ ذَلِكَ جَعَلَ الْقُرْآنَ
شِفَاءً لِهَذَا الدِّينِ وَدَوَاءً لِأَوْدِي بِهِ هَذَا هَبْ بَاقَاتِهِ وَأَمْرَاضِهِ كَمَا يَجْعَلُ الدَّوِيَّةُ
فِي دَفْعِ آفَاتِ الْأَبْدَانِ وَأَمْرَاضِهَا لِذَلِكَ سَمَّاهُ شِفَاءً لِلصُّدُورِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَهَدَى وَرَحْمَةً فَتَلْهُدِي مِنَ الضَّلَالِ وَرَحْمَةً مِنْ عَذَابِهِ
وَقِيلَ هَدَى يُدْعُو إِلَى كُلِّ حَيْثُ وَهَيْدٍ بِهِ الْبَيْتُ وَرَحْمَةً لِمَنْ اتَّبَعَهُ فَإِنَّ هَدَى
وَرَحْمَةً لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ وَعَمِيَ وَضَلَّالٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَتَزَكَّى اتِّبَاعُهُ وَهُوَ مَا
ذَكَرَ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِي وَقَوْلُهُ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَقَوْلُهُ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا أَيْ زَادَ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا إِلَى إِيمَانِهِمْ وَزَادَ لِلْكَافِرِينَ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَخَوَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ يُفْضِلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ فَضَّلَ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ
الْقُرْآنَ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَرَحْمَتَهُ الْإِيمَانَ وَفِيهِ أَنْ
بِأَنْزَالِ الْقُرْآنِ مَفْصِلٌ أَذْ لَهُ أَنْ لَا يَنْزِلَ وَهَذَا أَبَدٌ عَلَى أَنْ أَهْلَ الْفِتْرِ
يُؤْخَذُونَ فِي حَالٍ فَتَرْتَمِمْ لَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَفْصِلًا فِي أَنْزَالِ الْقُرْآنِ ذَلِكَ أَنَّهُ
قَدْ أَقَامَ حُجَّاتٍ عَقْلِيَّةً قَبْلَهُ تَوْجِيهِ التَّكْلِيفِ بِهَا أَوْ لَا فَكُونَ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ أَمْرًا حَتْمًا
لَا يُؤْخَذُونَ بِدُونِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قِيلَ هَذَا أَمْرٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَتُخَاطَبُهُمْ بِذَلِكَ أَيْ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ نَعْنِي بِهَذَا الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ فَلْيَفْهَمْ هُوَ الْعَيْنُ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ حَيْثُ تَجْمَعُونَ
أَيْ فَرَحِهِمْ بِمَا ذَكَرْنا مِنْ جَمْعِهِمْ لِيَعْنِي بِمَا جَمَعَ الْكُفَّارَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَنِعَمِ الدُّنْيَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ أَصْنَفَ
أَنْزَلَ إِلَيْهِ السَّمَاءَ وَأَنْ كَانَتْ الْأَرْضُ زَرْقًا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا
أَسْبَابُهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالسَّمَاءِ مِنْ خَوَالِطِهَا الَّذِي بِهِ يُنْبِتُ الْأَرْضُ النَّبَاتَ
وَيُخْرِجُ بِهِ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْخَارِجِ مَا يَكُونُ فِيهِ غِذَاءٌ لِلْبَشَرِ وَالْدَّوَابِّ
وَمِنْ خَوَالِطِ الشَّمْسِ الَّتِي بِهَا تُنْفِخُ الْأَنْزَالُ وَيَنْعِي الْأَعْنَابُ وَجَمِيعُ الثَّمَرَاتِ أَصْنَفٌ
ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا ذَكَرْنَا وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعَدُّونَ
أَيْ أَسْبَابُ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ لَا أَنْ عَيْنَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحَتَّى
قَوْلُهُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ أَيْ مَا خَلَقَ لَكُمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ وَخَوَّذَ لَكُمْ أَيْ خَلَقَ فَعَلِيَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى لِيُفْضِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالنَّسَائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ
أَيْ مَا حَرَّمَ مِنَ اللَّاحِظَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا أَيْ جَعَلُواهَا لِأَصْنَامٍ وَهُوَ مَا ذَكَرَ
فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى اللَّهِ تَعْلَمُونَ
أَيُّ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ فِي الْحَقِّ بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَلَّلَ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ تَعْلَمُونَ وَذَلِكَ
أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي مَحَاجَّةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمْ لَمْ يَنْوُوا بِالرَّسُولِ وَالْكِتَابِ
وَأَرْبَابِهِمْ صَلَّي إِلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ الْمُحَرَّمِ وَالْمَحَلَّلِ بِالرَّسُولِ وَالْكِتَابِ بِالْخَبَرِ عَنْ اللَّهِ وَهُمْ
لَمْ يُؤْمِنُوا بِوَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرْنَا لَكُنْ كَيْفَ جَعَلَهُ مِنْ حَرَامٍ وَحَلَالٍ وَأَنْتُمْ لَا تَقُولُونَ
بِمَا يَقْدِرُ بِهِ الْخَوَالِطُ وَالْجَلَالُ فَكَيْفَ حَرَّمَ مَا حَلَّلَ لَكُمْ وَاحْلَلَّ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ خَبَرٌ
عَنْ سَفْعِهِمْ وَعَنَادِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ فَإِذَا اجْتَرَأُوا أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ فَعَلِيَ
غَيْرِهِمْ أَجْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِ تَوْعِيدٌ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يُوعَدُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ كَانُوا الْأَيُّومُونَ بِالْبَعْثِ قِيلَ قَدْ أَرَبْنَا الْحُجَّةَ بِكَوْنِ الْبَعْثِ
لَمَّا أَظْهَرُوا مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ فِي الْقَدِيمِ وَالتَّحْلِيلِ فَذَلِكَ مَا يَظْهَرُ كَذِبُهُمْ
بِتَكْذِيبِهِمُ الْبَعْثَ وَحَتَّى وَجْهًا آخَرَ يَقُولُ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ حُجِّجَ الْأُمَمُ حَقًّا وَكَانَ صِدْقًا عَلَى مَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ
وَمَا قَالَ مِنْ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ لَمَّا اكْتَسَبُوا مَعَاثِدَ يَوْعَدُ الْمَرْءُ بِالْإِثْمِ بِمَا
وَيَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ وَيُخْذَرُ وَإِنْ لَمْ يُحْطَ عَلَيْهِ بِهِ فَكذلك هَذَا عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ عَقُولَهُمْ

ما يلهيهم الايمان بالبعث والجنات والآعمال اذ ليس من الحكمة خلق الخلق
للعنا خاصة **قوله** تعالى ان الله لذو فضل على الناس هو ذو الفضل
على جميع الناس من جهة وهو ما ساق الى الكل من الرزق كما فرمهم ومؤمنهم
وانواع النعم وما احتوهم من العذاب الي وقت ولحتم ذو الفضل لما بعث
اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الي الله سابقة صنع ليستوجب
بها ذلك ومنه خضوض فضل على المؤمنين ليعتد ذلك على الكافرين
قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لفضله وما انعم عليهم **قوله**
تعالى وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن قال بعض اهل التاويل
في شأن امرك وحالك وما تتلوا منه من قرآن يتلقم به الرسالة وقال
بعضهم وما تكون في شأن اي في عبادة وما تتلوا منه من قرآن يتلقم به
الرسالة **قوله** تعالى ولا تقولون من عمل انا كما عليكم شهودا
يخاطب النبي تنبيهها وايضا والمراد هو وعينه الاتري انه قال ولا
تقولون من عملهم جميعا في ذلك خبر انكم في كل امر يكون بينكم وبين
ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فانه لكم وعليكم شهود ينظرونهم ويوقفهم على
حدود امتهم بين متيقطين والله اعلم **قوله** تعالى اذ لفيضون فيه
قال بعضهم تفيضون تاحذون فيه وقيل تخوضون وقيل تقولون
وقيل تكثرون ثم احتمل فيه في الحق واحتمل في الدين واحتمل في القرآن
واحتمل في رسول الله يقولون انا نشاهد فيما تخوضون فيه او فيما تقولون
اي القرآن او في الدين وقال ابو بكر الاصم اذ يفيضون فيه اي يفتشرون
فيه وتناولوه ولا تقولون من عمل يفتشرون به الا كما عليكم شهودا والله اعلم
قوله تعالى وما يعذب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
اي لا يعذب عنه ما في الارض ولا في السماء فيما لا امر فيه ولا نهى ولا كلفة
فالذي فيه السوال والامم والنهي والكلفة احري ان لا يغيب عنه شيء
منه قال ذلك على طريق التعميد بالشاهد انهم يراون الالهة فالالهة
والانبياء حق العلم سواء والله اعلم **قوله** وما يعذب عن ربك من مثقال
ذرة يحذير وتخويف على طريق التمثيل دون التصريح والوعيد على وجهين
احدهما على التمثيل والاخر على التصريح **قوله** تعالى ولا اصغر من ذلك

ولا اكبر الا في كتاب مبين قيل ما قل وما كثر الا في كتاب مبين
اي في اللوح المحفوظ مبين واحتمل اي في الكتب المنزلة من السماء
والله اعلم **قوله** تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قالت المعتزلة دللت الآية على ان اصحاب الكبار ليسوا بمؤمنين لانهم
لو كانوا مؤمنين لكانوا اولياء الله واذا كانوا اولياء الله لا خوف عليهم
ولا حزن فاذا كان لا شك ان على اصحاب الكبار خوفا وحزنا دللت انهم
ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الايمان لكن التاويل عندنا والله اعلم
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي في وقت دون
وقت وليس في الآية ان ليس على اولياء الله خوف ولا حزن من اول
الامر الي آخره او في الاحوال كلها وبحوز ان يكون لاصحاب الكبار
لا خوف عليهم ولا حزن في وقت وهو وقت التوبة او حال ما يعفوا الله
تعالى عنهم او في الجنة اذا احتموا على الايمان وعذبوا بالنار على قدر
ذنوبهم والمطلق يجوز تقييده بالدليل واحتمل قوله الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ليس لاولياء الله لا خوف ولا حزن على ما
يكون لاهل الدنيا من الخوف والحزن بسبب الاموال والاولاد انما خوفهم
وحزنهم لعاقبتهم والمراد من الاولياء ههنا هم اخوان المؤمنين على
ما استعمل هذا الاسم فيهم بحكم العرف وان كان كل مؤمن وليا ولاية الايمان
والعام يجوز تخصيصه بالعرف واستعمال اهل اللسان وقالت بعضهم ان
اولياء الله اسم لاهل التوحيد حملة لكن البشارة والوعد لاهل التوحيد
في الاعتقاد والوفاء جميعا لاهل الاعتقاد خاصة عرفنا ذلك بدلائل
وكان المراد من هذا العام هو الخاص والله اعلم ويشبه ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الجنة لقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
وهكذا يكون اذا دخلوا الجنة يامنون عن جميع ما ينقصهم ويحزنهم والله اعلم
قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا هي الرويا الصالحة وعلى
ذلك رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه
الآية ففسر بالرويا الصالحة فان ثبت فهو الحق وقال بعضهم لا يحتمل البشري
الروية الصالحة لانه ليس للبشري في الحياة الاخرة على البشري في الحياة الدنيا

فقال لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا شك انه لا يكون في الآخرة
الرويا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكر من الحجة فهو المراد وان عطف البشري
في الآخرة على البشري في الحياة الدنيا اذ يجوز ان يكون تلك البشارة خلاف
البشارة في الدنيا من حيث الصورة وان كان فيها معنى البشارة فان البشارة
تكون في اشياء ثبتت ان التناويل صحيح لو ثبت الحديث ويشبه ان يكون البشارة
التي ذكرها ههنا نحو قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قد صدق عندهم وقوله ذلك الذي
يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وامثال ذلك لهم
البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال بعضهم لم البشري في
الحياة الدنيا اي بشارة الملائكة عند الموت بقولهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وفي الآخرة الجنة والله اعلم قوله تعالى لا تبدل لكلمات الله لتحتمل
تبدل لكلمات الله من وعده ووعيد وما لا تبدل له ولا تحوّل
واللفظ وان كان عاماً لكن المراد منه الخاص لما قام الدليل على جواز النسخ
وجوده في الأحكام ويحتمل لا تبدل لكلمات الله اي القرآن ثم هو يحتمل
وجهين اي تبدل نظمه بعد قداره وان انتسخ حكمه والثاني لا تبدل لما
فيه من الوعد والوعيد وما ثبت بالحق العقلية اذ النسخ جائز في الأحكام
ويحتمل لا تبدل لما مضى من سننه في الأولين والآخرين من الهلاك
والاستيصال بتكذيبهم الرسل والآيات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلاً
ولن تجد لسنة الله تحويلاً وقوله فقد مضت سنة الأولين ويحتمل قوله
لا تبدل لكلمات الله اي لا تبدل للبشري التي ذكرها هؤلاء الذين تقدم ذكرهم
ويحتمل لا تبدل للحج الله وبراهينه والله اعلم قوله تعالى ذلك هو الفوز
العظيم اي ذلك البشري هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده قال بعضهم
اي لا خوف عليهم من النار ولا هم يخرجون ان يخرجوا من الجنة أبداً
والله اعلم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم يحتمل ولا يحزنك ما قالوا
في الله ما لا يليق به من الولد والشريك ان العزة لله جميعاً ويحتمل اي
ولا يحزنك قولهم الذي قالوا في القرآن انه سيجر وانهم مفترون ولا يحزنك قولهم
فيك انه شاعر وانهم يفتري على الله كذباً وليس به ان يكون قوله ولا يحزنك

قوله اي مكرهم الذي مكر وامين وكيدهم الذي كادوه يؤيد ذلك قوله ان العزة
لله جميعاً اي العزة في المكر والكيد لله اي الغلبة وهو كقولهم وقدمتكم
الذين من قبلهم فله المكر جميعاً اي مكره ينقص مكرهم ولمنعهم وكيدهم
كيدهم فعلى ذلك قوله ان العزة لله جميعاً اي ينقص جميع ما يكرون به
ويكيدونك والعزة القوة لقول ان العزة لله بنصرك على اعدائك ويدفع
عنك مكرهم وكيدهم الذي هموا بك قوله تعالى وهو السميع العليم اي السميع
لقولهم الذي قالوا العليم بمصالحهم وقيل السميع المجيب للدعاء العليم العالم
بما يكون منهم قوله تعالى الا ان الله من في السموات ومن في الارض اي
تعلون ان من في السموات ومن في الارض كلهم عبيده وامان وكيف قلتم
ان فلا ناولده وان له شريكاً ولا يتخذ احداً منكم من عبده وابا به وكذا اولاد اولاد
شريكاً اي كيف يتخذ ولداً له وله ملك ما في السموات وما في الارض
لا حاجة منه فكيف يشبه الولد اليه والشريك وما قالوا فيه بما لا يليق
به او يحرم عن عناه عما يأمرونهم وبها هم متعبدون اي ليس يأمرونهم ويتعبدون
بأنواع العبادات ويتعبدون بأنواع المحبة والحاجة له او لمنفعة له في ذلك
ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله تعالى وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
فيما يدعون من دون الله شركاء الحج والبراهين او اليقين بكتاب او قول رسول
انما يتبعون الظن والحذر قوله تعالى وانهم لا يخشون اي ما هم لا يذكرون
فيما يتبعون من الظن والحذر في دعائهم دون شركائهم لانهم كانوا اهل شرك
لم يكن لهم كتاب ولا امنوا برسول فم قد علموا انهم مفترون كاذبون في دعائهم
دون الله شركاء لهم اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد
من ذلك قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً
بين ههنا انه جعل الليل للسكون والراحة فيه فذكر السكون في الليل
على انه جعل النهار للسعي وطلب العيش اذ هو امولاً بذ منه على ما احري الله
تعالى البقاء باسبابه وذلك مما يتوصل اليه بالكسب ولا بد من زمان السكون
والراحة فكان تعيين الله تعالى الليل للسكون تعييناً للنهار للعاش وفي الآية
اشارة اليه بقوله والنهار مبصراً اي يتصرفون فيه ما تتعبدون وقد نص

عَلَى ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَى بِقَوْلِهِ وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يَعْنِي فِي النَّهَارِ ثُمَّ قَوْلُهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكَ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا
فِيهِ الْآيَةُ وَجُوهٌ مِنَ الدَّلَالَةِ أَحَدُهَا الْحَثُّ عَلَى الشُّكْرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْكَفْرِ
إِذَا مَوْضِعُ الْإِمْتِنَانِ وَتَذَكُّيرُ النِّعَمِ لِيَسْتَأْذِنَ بِذَلِكَ شُكْرًا أَوْ نَفْعًا عَلَيْهِ وَفِيهِ
دَلَالَةٌ اثْبَاتِ الصَّانِعِ فَإِنَّهَا جَرَيَانٌ عَلَى تَقْدِيرٍ وَاجِدٍ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى تَدْبِيرِ
مَذْبُورٍ وَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ عَلَى غَيْرِ تَدْبِيرٍ لَكَانَ لَا جَرِيَانَ عَلَى تَقْدِيرٍ وَاحِدٍ وَلَا عَلَى سُنَنِ
وَاحِدٍ وَلَكِنْ يَدْخُلُ فِيهَا الْإِنْيَادُ وَالنَّقْصَانُ وَالْقِلَّةُ وَالْكَثْرَةُ وَفِيهِ دَلَالَةٌ
أَنَّ مَذْبُورَهَا وَاحِدٌ لَوْ كَانَ مَذْبُورَهَا عَدَدًا لَكَانَ إِذَا غَلِبَ أَحَدُهُمَا دَامَتْ
غَلِبَتِ عَلَيْهِ وَلَا يَصِيرُ الْغَالِبُ مَعْلُوبًا وَالْمَعْلُوبُ غَالِبًا وَفِيهِ دَلَالَةٌ الْبَعْثِ
بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِذَا جَاءَ بِلَفْظٍ صَاحِبِهِ تَلَفًا لَبَقِيَ لَهُ أَثَرٌ ثُمَّ يَكُونُ مِثْلُهُ
بِحَيْثُ لَا يَخَالِفُ الظَّاهِرُ الْحَادِثَ وَلَا الْأَوَّلُ الشَّيْءَ فَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى
إِنْتِشَاءِ لَيْلٍ قَدْ ذَهَبَ أَثَرُهُ وَأَصْلُهُ لِقَادِرٍ عَلَى الْبَعْثِ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى أَحْدَاثِ
نَهَارٍ قَدْ فَنِيَ وَهَلَكَ لِقَادِرٍ عَلَى أَحْدَاثِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَفِيهِ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا
كَانَ وَجُوهًا بِشَيْئَيْنِ لَمْ يَجِبْ إِذَا عُدَّ أَحَدُهُمَا لَانَهُ قَالَتْ وَالنَّهَارُ مَبْصُورًا وَأَنَّهَا
يَبْصُرُ بِنُورِ النَّهَارِ وَنُورُ الْبَصَرِ جَمِيعًا ثُمَّ إِذَا فَاتَ أَحَدُ النُّورَيْنِ نُورُ الْبَصَرِ
أَوْ نُورُ النَّهَارِ لَمْ يَبْصُرْ شَيْئًا ذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ إِذَا وَجِبَ بِشَرْطَيْنِ لَمْ يَجِبْ إِلَّا
بِاجْتِمَاعِهِمَا وَلَئِنْ شَيْءٌ فِي النَّهَارِ إِنَّمَا يَبْصُرُ بِنُورِ الْبَصَرِ وَكَوْنُ الشَّيْءِ مُرْتَبًا
فِي نَفْسِهِ ثُمَّ اللَّيْلُ لِيَسْتَرَّ وَجُوهَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّهُ لَا تَرَكِي بِنَفْسِهَا وَالنَّهَارُ يَكْشِفُ
عَنْ وَجُوهِ الْأَشْيَاءِ ثُمَّ أَثَرُ اللَّيْلِ فِي أَنْ يَمْنَعَ الْبَصَرُ عَنِ الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجِ
الشَّيْءِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُرْتَبًا فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ مَنَعَ الْحُكْمَ وَهُوَ الرُّوْيَةُ لِيَعْلَمَ
أَنَّ الْحُكْمَ إِذَا كَانَ وَجُوبُهُ بِشَرْطَيْنِ تَجُوزُ أَنْ يَمْنَعَ مَا يَدْخُلُ فِي أَحَدِهِمَا
وَأَلَّهُ الْعِلْمَ وَفِي الْآيَةِ بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ حَيْثُ انْتِشَاءُ هَذَا وَاحِدُهُ وَالتَّلَفُّ الْآخَرُ
فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى هَذَا لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ وَفِيهِ دَلِيلُ السُّلْطَانِ لَهُ حَيْثُ يَأْخُذُهُمُ اللَّيْلُ
وَلَيْسَتْ عَلَيْهِمُ الْأَشْيَاءُ مَثَاوًا أَوْ أَبْوَابًا وَكَذَلِكَ النَّهَارُ يَأْتِيهِمْ وَيَكْشِفُ وَجُوهَ
الْأَشْيَاءِ وَجَلِيلُهَا مِنْ عَيْنِ أَنْ ارَادَ وَاذْذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَذَلِكَ عَلَى جَرَيَانِ
سُلْطَانِهِ عَلَى الْخَلَائِقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ وَلَمْ يَمُتْ لِيُبْصِرُونَ وَظَاهِرُ مَا سَقَى مِنَ الذِّكْرِ جَبُّ أَنْ يَقُولَ

لِقَوْمٍ يَبْصُرُونَ لَانَهُ قَالَتْ وَالنَّهَارُ مَبْصُورًا لَكِنْ لِحْتِمَالِ قَوْلِهِ يَسْمَعُونَ أَيْ
لِعَقْلُونَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا
لَا يَعْقِلُونَ وَحَتَمَلُ أَنْ تَذَكَّرَ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَذَا
الْمَوْضِعِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ أَيْ يَتَفَقَّهُونَ بِسَمَاعِهِمْ وَلِحْتِمَالِ يَسْمَعُونَ أَيْ
يَحْكُمُونَ كَقَوْلِهِ سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ أَيْ اجَابَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَرَادُوا بِقَوْلِهِمْ اتَّخَذَ اللَّهُ
وَلَدًا حَقِيقَةً اتَّخَذَ الْوَلَدُ كَقَوْلِهِ خَيْرٌ أَعْنَهُمْ وَلَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ وَكَقَوْلِهِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ كُذِّبُوا وَقَالَتِ النَّصَارَى كُذِّبُوا نَفْسُهُ عَمَّا قَالُوا بِقَوْلِهِ
هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ مِنْ اتَّخَذَ
وَلَدًا فِي الشَّاهِدِ هَذَا إِنَّمَا يَتَّخِذُ لِأَخْرَجِ وَجُوهَ ثَلَاثَةِ أُمَامٍ حَاجَةٍ نَفْسِهِ أَوْ لَشَرِّهِ
تَغْلِبُهُ أَوْ لِمَا يَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَى أَحَرِّ مَا يَجَانُهُ فَإِذَا كَانَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمُلْكُ مَا فِيهَا كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ وَإِنَّمَا وَهُوَ فَلا حَاجَةَ لَهُ نَفْعًا إِلَى الْوَلَدِ وَلَا إِلَى الْوَلَدِ
يَكُونُ مِنْ شَكْلِ الْوَالِدِ وَكُلُّ ذِي شَكْلٍ لَهُ صُنْدُومٌ مِنْ لَهْ شَكْلٍ أَوْ صُنْدُ فَلَارَبُوبِيَّةٍ
لَهُ وَلَا وَهِيَّةٍ وَهَذَا نَفْسِنَا الشَّرِيكَ لِأَنَّ الشَّرِيكَ مِنْ جَنْبِ الشَّرِيكَ وَمُلْكُهُ
وَيَنْفِي الشَّرِيكَ نَفْيَ الْوَلَدِ لِأَنَّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَرِدْ بِقَوْلِهِ
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا حَقِيقَةً الْوَلَدُ إِنَّمَا ارَادَ وَالْعَبْدُ وَهُوَ فَاسِدٌ لِيَأْذَنَ كَرَنًا وَلَا لَانَهُ لَا أَحَدٌ
فِي الشَّاهِدِ لِحْتِمَالِ طَبْعِهِ اتَّخَذَ الْوَلَدَ مِنْ عِبِيدِهِ وَإِنَّمَا يَهْدِيهِ فَإِذَا كَانَ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ
عِبِيدَهُ وَإِنَّمَا يَهْدِيهِ كَيْفَ احْتِمَالِ مِنْهُ اتَّخَذَ الْوَلَدَ مِنْهُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَرِدْ وَاتَّخَذَ
الْوَلَدَ وَلَكِنْ ارَادَ وَالْتَّخْصِصَ بِهَذَا الْأَسْمِ أَنْ لَهُ كَرَامَةُ الْوَلَدِ وَمَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا
فَاسِدٌ أَيْضًا وَهُوَ مُعْنَى عَنِ اللَّهِ لَانِ مِنْ كَلَامِهِ حَقِيقَةُ الْوَلَدِ أَمَّا مَنَعَ أَنْ يَكُونَ
لَشَيْءٍ عِنْدَهُ مَنْزِلَةُ الْوَلَدِ وَكَرَامَتُهُ وَأَنْ يَنْسَبَ نَفْسَهُ إِلَى عِبِيدِهِ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّ
الْحَقِيقَةَ إِنَّمَا انْتَفَتَ عَنْهُ لَعِيبٌ يَدْخُلُ فِيهِ فَإِذَا ثَبَّتَ لَهُ مَنْزِلَةُ بَلَدِ الْحَقِيقَةِ
دَخَلَ فِيهِ عَيْبُ الْحَقِيقَةِ أَوْ شَبْهَةٌ فَيَجِبُ تَنْزِيلُهُ جَلًّا وَعِلًّا عَنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا مِثْلُ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ عَلَى مَا
تَقُولُونَ لَهُ أَنْ لَهُ وَلَدًا لَانَهُمْ كَانُوا أَهْلَ تَقْلِيدٍ لَا بَأْسَ بِهِمْ وَأَسْلَفَهُمْ وَكَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ
بِالرُّسُلِ وَالْكِتَابِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى اتَّقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيْ اتَّقُولُونَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ اتَّخَذَ الْوَلَدَ وَتَقُولُونَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ

قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون هو ما
ذكرنا انهم علموا انه لم يتحد ولدا ولكن قالوا ذلك افتراء على الله لا يفلحون
في الآخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم من الشفاعة عند الله بقولهم ما نعبد
الا لله بونا الى الله زلفا وقولهم هو لا شفعا ونا عند الله اي لا يظفرون
بما طمعوا في الآخرة قوله تعالى متاع في الدنيا اي ذلك متاع في الدنيا
دون الآخرة قوله تعالى ثم النبي مرّجهم خاطب رسول الله بان خبر
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم النبي مرّجهم ثم قوله النبي
مرّجهم لحمل وجهين احدهما انه استدعى رسول الله افتراءهم الكذب
على الله بقول النبي مرّجهم فيذيقهم العذاب الشديد الا لما طمعوا عندنا
من الشفاعة والذلي والله اعلم قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح حين
وجهين احدهما اي اذكر متنا نوح قومهم وما ارادوا من الكيد والمكر
تسليم للنبي صلى الله عليه واله اي اتل عليهم هوان قوم نوح وما حل بهم
من سوء معاملتهم وسوءهم والثاني اي واتل عليهم نبأ نوح اي خبره وحديثه
على ما ذكر اذ قال لقوم يا قوم ان كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله
قال بعضهم اي ان كان كبير عليكم طول مقامي ومكثي فيكم ودعاء اياكم الى
عبادة الله والطاعة له وتذكيري اياكم بآياته وقال بعضهم وتذكيري بعذابه
يترككم اجابني ودعا ويحتمل قوله ان كان كبير عليكم مقامي بما ادعى الرسالة وتذكيري
بآيات الله اي يحج الله على ما ادعيت من الرسالة وقوله فاجمعوا امركم وشركاكم
ثم لا تكن امركم عليكم غمة قال بعضهم اي اجتمعوا انتم وشركاكم ثم كيدون ولا يكون
امركم عليكم غمة اي اجعلوا ما تشدّون من المكر والكيد في ظاهر غير ملتبس
ولا معطى وقال بعضهم فاجمعوا امركم اي اعيدوا امرهم وادعوا شركاكم وكذا
روي في حروف التي روي الله عنه فاجمعوا امركم وادعوا شركاكم وقال بعضهم
لم لا تكن امركم عليكم غمة اي لا تكبر عليكم امركم وقال الكسائي هو من التغطية واللبس
اي لا تغطوه ولا تلبسوه اجعلوا كلنكم ظاهرة واجدة وعن بن عباس رضي الله
عنه اي لا يكن امركم اعتما علىكم اي فرحوا عن انفسكم والله اعلم وقال ابو عبيدة
ان شئت جعلتها ظلمة فلا ينفرون امرهم يعني غمة وان شئت جعلتها شكا واستيقاق
الغمة من غم يعني غما اي غطي لغطي بقول عمت راسه اي غطيته والله اعلم

قوله تعالى ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقال ابو عبيدة اي افعلوا
في ما اردتم ولا تنظرون وقال بعضهم اي اقضوا اما انتم فانصون وهو
كقوله فانقض ما انت قاض وقال الكسائي هو من الانها والابلاغ
كقوله وقضينا الي بني اسرائيل وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي
انهينا اليه وبلغنا وقال بعضهم اي ادعوا الي يتكافئ اي فرع وهو
قول اي بكر الاصم وقال بعضهم ثم اقضوا الي اي امضوا الي كقوله فراع
الي المهتم وقوله فراع الي اهل ثم قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاكم
اي قوله ولا تنظرون وقول هو فليدون جميعا ثم لا تنظرون وقول
رسولنا قل ادعوا شركاكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم
لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان
ذلك انهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله واتكالا بمعونه ونصيره اياهم والله اعلم
قوله تعالى فان قوليت فاستأنتكم من اجير التولي اسم لا يمين للاعراس
والاذبار كقوله واذا تولي سعي في الارض واسم للقبال والقول كقوله
ومن يتولي الله ورسوله والذين امنوا الآية وهما محتمل الامرين جميعا
اي فان اقبلتم وقبلتم ما عرضت عليكم وادعوك اليه فاستأنتكم من اجير ان اجري
الا على الله اي ما اجري الا على الله وان كان في الاعراض والرد فكانت
يقول كيف عرضتم عن قبوله ولم اسألكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر في الاعراض
والرد كقوله ام تسألهم اجرا انهم من معكم مثقلون اي لم اسألكم على ما عرضت
وادعوك اليه عزما حقيقا يشغل عليكم ذلك العزم فيمنعكم مثل العزم عن الاجابة
م في هذه الآية ومثاله دلالة منع احد الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه
لوجاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر ان لا يبدوا ذلك ولا يتعلموا شيئا
من ذلك وفي هذا اهدم شرايع الله واستأطها والله اعلم قوله تعالى
وامرت ان اكون من المسلمين اي مسلما نفسي الي الله سالما لا اجعل لاحد
سواء فيها حقيا ولا حطا او موت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له هو
محتمل ذلك كله والله اعلم قوله تعالى فليدونه يعني نوحا كذبه قومهم فيما ادعى
من الرسالة وما ايتهم من الايات او ما اوعدهم من العذاب بتكذيبهم ايتاه
قوله تعالى فجحيثنا يعني نوحا ومن معه في الفلك اي من ركب معه الفلك

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ خَلْفَاءَ فِي
الْأَرْضِ وَسَكَنَا خَلْفَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ إِي خَلْفَ قَوْمِهِ
أَهْلَكُوا وَاسْتَوْصَلُوا بِالْكَذِبِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاعْتَرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا لِحُكْمِ الْآيَاتِ الْحُجَّ وَالْبُرَاهِينَ الَّتِي أَقَامْنَاهَا عَلَى مَا أَدْعَى مِنَ الرِّسَالَةِ وَحُكْمِ
قَوْلِهِ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا الْعَذَابَ الَّذِي أَوْعَدْنَاهُمْ بِكَذِبِهِمْ إِيَّاهُ فِيمَا وَعَدَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ كَانَ أَنْذَرُ الْفُتُوِّ بَقِيَّةِ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ جَمِيعًا كَقَوْلِهِ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْطَرِّينَ إِي انْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَنْ أَجَابَ وَمَنْ لَمْ يَجِبْ
عَاقِبَةُ مَنْ أَجَابَ الثَّوَابَ وَعَاقِبَةُ مَنْ لَمْ يَجِبْ الْعَذَابَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحُكْمِ الْمُنْذَرِينَ
الَّذِينَ لَمْ يَتَّقُوا الْأَنْذَارَ وَلَمْ يُخِيبُوا إِي انْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَتُهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْإِسْطِغَالِ
بِالْعُنَادِ وَالْكَذِبِ وَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ إِنَّمَا يَقْبَلُ الْإِنْذَارَ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ أَوْ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْإِنْذَارِ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِ إِي مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ رُسُلًا إِي قَوْمِهِ إِي بَعَثْنَا إِي كُلِّ قَوْمٍ رُسُلًا لَا أَنَّهُ بَعَثْنَا
الرُّسُلَ جَمْلَةً إِي قَوْمِهِ وَلَكِنْ وَاحِدًا عَلَى أَثَرٍ وَاحِدٍ عَلَى الْأَكْثَرِ لِحُجَّتِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ
لِحُكْمِ الْبَيِّنَاتِ الْحُجَّ وَالْبُرَاهِينَ الَّتِي أَقَامْنَاهَا عَلَى مَا أَدْعَا مِنَ الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ
وَحُكْمِ الْبَيِّنَاتِ بَيِّنَاتٍ مَا عَلِيمُ إِي يَا قَوْمِ اسْمِعُوا وَحُكْمِ الْبَيِّنَاتِ مَا أَخْبَرُوا قَوْمَهُمْ
بِالْعَذَابِ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَاكْذِبُوا لِيُؤْمِنُوا
بِالْبَيِّنَاتِ كَالَّذِي يَصْدَقُ بِهَا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ بِكَذِبِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِي قَبْلُ
بَعَثَ الرُّسُلَ وَفِيهِ دَلَالَةٌ أَنَّ أَهْلَ الْفِتْرِ يُوْخَذُونَ بِالْكَفْرِ فِي حَالِ الْفِتْرِ
وَحُكْمِ قَوْلِهِ بِكَذِبِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِي مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ إِي مَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بَعْدَ مَا جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُفْتَدِينَ
إِي هَكَذَا نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ مَكَّةَ كَمَا نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ أُولَئِكَ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ
لَا يَأْتُونَ وَلَا يَوْمُونَ بِهَا وَالْأَعْتَادُ هُوَ الظُّلْمُ مَعَ الْعُنَادِ وَالْمُجَادَّةِ عَنِ الْجِدِّ
الَّذِي جُعِلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِي
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا إِي بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الرُّسُلِ مُوسَى وَهَارُونَ
إِي فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَقَدْ بَعَثْنَا إِي الْمَلَأَ وَعَبِثَ الْمَلَأَ لَكِنْ ذَكَرَ الْمَلَأَ وَهُمْ الْأَشْرَافَ

وَذَكَرَهُمْ يَكُونُ ذِكْرُ الْإِلَاقَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى بِآيَاتِنَا لِحُكْمِ الْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْنَا
قَوْلُهُ تَعَالَى فَاسْتَكْبَرُوا بَيِّنَاتٍ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّ مَا جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ
الْآيَاتِ أَنَّهُمَا آيَاتٌ لَكِنَّهُمْ عَنَادُوا وَكَابَرُوا وَلَمْ يَخْضَعُوا فِي قَبُولِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى
وَكَانُوا اقْتَوًا مَجْرَمِينَ ظَاهِرِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْلُ قَالِ بَعْضُهُمْ إِي جَاءَهُمُ الْحُجَّ وَالْآيَاتُ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ
هَذَا إِي الْحُجَّ وَالْآيَاتُ لِسَحَرٍ مِثْلٍ سَمِعُوا الْحُجَّ وَالْآيَاتُ سَمِعُوا أَنَّ السَّحَرُ عِنْدَهُمْ
بَاطِلٌ فَقَالُوا الْحُجَّ أَنَّهُمَا سَحَرٌ مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَى النَّاسِ وَتَلْبِيْسًا عَلَيْهِمْ لِيُظَاهِرُوا عِنْدَهُمُ الْحَقُّ
فَيَتَّبِعُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْحَقُّ هُوَ الْإِسْلَامُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِي الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ تَعَالَى التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ سَمِعُوا حُجَّ الدِّينِ سَمِعُوا عَلَى الثَّانِي سَمِعُوا
الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ وَدَعَا لَهُمُ إِلَيْهِ سَحَرًا ثُمَّ قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِنَا إِي بِأَمْرِنَا وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ إِي الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ إِي الْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
لَا أَنَّهُ يَفْهَمُ مِنَ الْعُنَادِ مَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَكِنْ مَعْنَى الْعُنَادِ هُوَ الْإِسْلَامُ
وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ إِي الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يَفْهَمُ الْمَلَائِكَةُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
إِي الَّذِينَ بِأَمْرِ رَبِّكَ يَعْبُدُونَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَإِذَا كَانَ لَا يَفْهَمُ
مِنْ حُجَّتِ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَكَانَ فَعَلَى ذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ إِي الدِّينَ
عِنْدَ رَبِّكَ الْمَكَانَ أَوْ قُرْبَ الْمَكَانِ مِنْهُ وَلَكِنْ التَّأْوِيلُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ
عِنْدَ اللَّهِ أَمْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ مُوسَى اقْتُلُوا لِحُكْمِ الْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ سَحَرُ هَذَا الْحَقِّ مَا ذَكَرْنَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا يَفْهَمُ السَّاجِدُونَ إِي لَا يَفْهَمُ
السَّاجِدُونَ بِالْحَاجَةِ وَلَا يَفْهَمُونَ لَانِ السَّحَرُ بَاطِلٌ وَلَا يَفْهَمُونَ الْحَقُّ بِلِ الْحَقِّ هُوَ
الْغَالِبُ وَالسَّحَرُ هُوَ الْمَغْلُوبُ عَلَى مَا غَلَبَ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى السَّحَرُ الَّذِي
جَاءَ بِهِ سَحَرٌ فِرْعَوْنَ وَحُكْمِ لَا يَفْهَمُ السَّاجِدُونَ بِسَحَرِهِمْ فِي حَالِ سَحَرِهِمْ كَقَوْلِهِ
لَا يَفْهَمُونَ الْكَافِرُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ الظَّالِمُونَ إِي لَا يَفْهَمُونَ بِظُلْمِهِمْ فِي حَالِ ظُلْمِهِمْ حَتَّى إِذَا
تَرَكَوا الظُّلْمَ وَتَابُوا عَنْهُ فَقَدْ أَفْهَمُوا فَعَلَى ذَلِكَ السَّحَرُ إِذَا تَرَكَوا السَّحَرُ وَتَابُوا
عَنْهُ فَقَدْ أَفْهَمُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْصُرَكَ فَتَكُونَ مِنَ الْغَالِبِينَ
وَقَدْ نَصَرْنَا قَالَتْ الْقَتْبِيُّ لَقِئْتُ فَلَانَا عَنْ كَذَا إِي صَدَقْتَهُ وَالْأَلِيقَاتُ مِنْهُ وَهُوَ
الْأَنْصَرَاتُ وَكَذَلِكَ قَالَتْ أَبُو عَوْسَجَةَ وَقَوْلُهُ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ إِي إِي مِنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَحُكْمِ مِنْ عِبَادَةِ فِرْعَوْنَ وَالطَّاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى

ويكون لكما الكبرياء في الأرض قالت عامة اهل التاويل الكبرياء الملك والسلطان
والشرف اي الملك الذي كان لفرعون والسلطان يكون لكما بتابع النار
لكلان كل متبوع مطاع معظم مشرف ولختم لكما الكبرياء اي الالهية
التي كان يدعي فرعون لنفسه لان عندهم ان كل من اطع واتبع فقد عبده
ونصب الها قول تعالى وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين فيما تدعونا بنا
اليه او ما تدعيان من الرسالة قول تعالى وقالت فرعون ايتوني
بكل ساجد اعلم هذا ينقص ما ادعي فرعون من الالهية فانه اظهر
الحاجة الي غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها قول تعالى فلما جاء
الشجرة قال لهم موسى القواما انتم ملتون فلما التوا قال موسى ما جئتم به
التجرا ان الله سيبطله اي سيبطل عمل الشجر الذي قصدوا به واي جعله
مغلوبا وقوله ان الله لا يضل عمل المفسدين اي لا يضل من اتبعوا من
اعمالهم فجعلهم صالحين جعل اعمالهم الفاسدة سالحة وقالت بعضهم لا يضل
اي لا يرمي بعمل المفسدين وقالت بعضهم اي لا يجعلوا المفسدين باعمالهم الفاسدة
صالحين قول تعالى وبحق الله احق بكلماته ولو كره المجرمون ظهور الحق
الحق والحق حق وان لم يحق وكذلك ذكر في الباطل وبطل الباطل والباطل
باطل وان لم يبطل ولكن لختتم قوله الحق الحق وبطل الباطل اي لجعل
الحق في الابتداء حقا فكونا لجعل الباطل في الباطل في الابتداء باطلا
فكونا باطلا اي تحقيقه الحق كون حقا وباطاله الباطل كون باطلا وهو كما
يقال هذا فاهندي واصله فاضل اي بهدائه اهتدي وباضلاله ضل
فعلي ذلك الباطل باطله بطل والحق بتحقيقه حق والله الموفق وقوله
بكلماته لختتم وجوه لختتم اي برسله اذ بالرسول يظهر الحق وبهم يظهر بطلان
الباطل وهم حجج الله في الارض وبالحج يظهر الحق والباطل وختتم ما ذكره اهل التاويل
بكلماته اي بحججه وآياته اي باياته التي انزل على موسى فظهر حقيقة ما اتي به
وبها ظهر بطلان ما اتي به الشجرة من التجو وختتم كلماته ما وعد موسى قومه
من الظفر على اعدائهم والنصر لهم وعبر ذلك ما وعد من النعمة لهم كقول
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتيكم بالموث
احدا من العالمين قول تعالى فما آمن لموسي الاذرية من قومه لختتم

من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى عليه السلام كان من اولاد اسرائيل
فهو من ذريته من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم يكن البيت
له ولختتم الاذرية من قومه الا قد بين من قدامه وقال اهل التاويل
اراد بالاذرية القليل منهم اي ما آمن منهم الا القليل ولختتم ان المراد منه
قوم فرعون اي آمن قليل من قومه ولكن لا ندري ذلك والله اعلم
قول تعالى علي خوف من فرعون وملايهم لختتم ما آمن من آمن من
قومه الا علي خوف من فرعون اي آمنوا وان خافوا عن فرعون وملايهم
ولختتم ما ترك من قومه الايمان بموسي من ترك الا علي خوف من فرعون
ان لختتم اي يعذبهم ويعذبهم ففهم دلالة ان الخوف لا تعد والموت في ترك
الايمان حقيقة وان كان يعذب في ترك اظهاره لان الايمان هو التصديق
والتصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلائق يطلع علي ذلك لذلك لم يعذب
في ترك اتيانه لانه لا يقدري اسراره الا تري اي قوله وقال رجل مني من
من آل فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه وان لم يظهر قوله
تعالى وان فرعون لعالي في الارض وانه لمن المشرفين وهو ما قال ان
فرعون علي في الارض اي قهر وغلب علي اهل الارض قول تعالى وقال
موسي يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين في الآية دلالة ان
الايمان والاسلام واحدا في الحقيقة لانه يدار بالايمان بقوله ان كنتم آمنتم بالله
وختتم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دلالة انها واحد وقيل ان الايمان
اعتقاد ترك تضيق كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضيق وقيل
الايمان هو التصديق بكلمة الاشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية والاسلام
هو جعل كلمة الاشياء سالمة له والله اعلم وقوله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين لختتم هذا وجهين لختتم ان يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد
فرعون وعقوباته كقوله للشجرة لما امنوا الا قطع ايديكم وارجلكم من خلاف
الآية فقال عند ذلك فعليه توكلوا في دفع ذلك عنكم فت لو علي الله توكلنا
تبنا لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين لختتم قومه لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين
ما تقدم ذكره فآمن لموسي الاذرية من قومه علي خوف من فرعون وملايهم ان
يقتسم اي يعذبهم ثم يخرج علي هذا وجهين احدهما اي لا نجعل لهم علينا الظفر

وَالنَّصْرَ فَيُطْنُوا أَنَّهُمْ هَدَىٰ وَعَلَىٰ حَقٍّ وَنَحْنُ عَلَىٰ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ وَالثَّانِي أَيْ تَجَلُّلَنَا
تَحْتَ أَيْدِي الظُّلْمَةِ فَيُعَذِّبُونَا فَيَكُونُ ذَلِكَ قِتْنَةً لَنَا وَمَحَنَةً عَلَىٰ فِعْلِ فِرْعَوْنَ
بِالشَّجَرَةِ لَمَّا أَمْنُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فِيهِ
دَلَالَةٌ أَنَّ قَوْلَهُ الظَّالِمِينَ وَالْكَافِرِينَ هَهُنَا مَعْنَىٰ وَاجِدَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ وَأَوْجِنَا
إِلَىٰ مُوسَىٰ وَآخِيهِ أَنَّ تَبَوُّيَا الْقَوْمَ مَكَامَصِدَ بَيِّنَاتٍ وَأَجْعَلُوا بَيِّنَاتٍ قَبْلَةَ الْآيَةِ لِحُتْمِ
وَجْهَيْنِ أَحَدَهُمَا أَيْ اخْتِذِ الْقَوْمَ مَكَامًا جَدَّ يَصْلُونَ فِيهَا وَأَجْعَلُوا فِي بَيِّنَاتٍ
الَّتِي اخْتِذَتْ مَسَاجِدَ قَبْلَهُ فَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ تَبَوُّيَا الْقَوْمَ مَكَامَصِدَ بَيِّنَاتٍ الْأَمْرُ
بِاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ فِي قَوْلِهِ وَأَجْعَلُوا بَيِّنَاتٍ قَبْلَهُ الْأَمْرُ بِاخْتِازِ الْقِبْلَةِ فِي الْمَسَاجِدِ
الَّتِي أَمْرُ بَيِّنَاتٍ وَالثَّانِي قَوْلُهُ أَنَّ تَبَوُّيَا الْقَوْمَ مَكَامَصِدَ بَيِّنَاتٍ أَيْ اخْتِذِ الْقَوْمَ مَكَامَصِدَ
مَسَاجِدَ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا وَقَوْلُهُ وَأَجْعَلُوا بَيِّنَاتٍ قَبْلَهُ أَيْ أَجْعَلُوا فِي بَيِّنَاتٍ لَا تَنْفَكُ
قَبْلَهُ تَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا وَتَكُونُ فِيهِ دَلَالَةٌ أَنَّ نَصْبَ الْجَمَاعَةِ وَاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ وَالْقِبْلَةِ
مَتَوَارِثَةٌ مَسْنُونَةٌ لَيْسَتْ بِبَدِيعَةٍ لَنَا وَفِي شَرِيعَتِنَا جَاءَ وَيُؤْتِي مَا ذَكَرْنَا
أَنَّ فِيهِ الْأَمْرُ بِاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَاقْبِمُوا الصَّلَاةَ ذَلِكَ الْأَمْرُ
بِاقَامَةِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِتَوَارِثِ الْبَيِّنَاتِ أَمْرٌ بِاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ وَاخْتِازِ الْقِبْلَةِ
فَإِنْ قِيلَ هَذَا فِي الظَّاهِرِ أَمْرٌ بِاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ وَفِي الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِيهَا
اخْتِازِ الْمَسَاجِدِ وَهِيَ قَوْلُهُ فِي بَيِّنَاتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرَفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ
دَلَالَةٌ الْإِبَاحَةِ حَيْثُ قَالَ أَذْنُ اللَّهِ قِيلَ مَعْنَاهُ فِي بَيِّنَاتٍ أَمْرُ اللَّهِ أَنْ تَرَفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ الْأَنْزِي أَنَّهُ قَالَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُشَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّوسِ وَالْإِسْمِ
وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ اسْمِ رَبِّهِ وَالْقَسْبِ لَهَا فِيهَا وَالصَّلَاةُ مَا مَرَّ بِهِ عَلَىٰ الْوُجُوبِ فَكَذَلِكَ
الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ وَأَمَّا أَهْلُ التَّوَابِلِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُمْ كَانُوا يَجَاهِدُونَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ
فَأَمْرًا أَنْ يَجْعَلُوا فِي بَيِّنَاتٍ مَسَاجِدَ مُسْتَقْبِلَةَ الْكَعْبَةِ يُصَلُّونَ فِيهَا سُبْحًا وَحَقًّا
مِنْ فِرْعَوْنَ وَهَذَا الْخُتْمُ أَنَّ قَبْلَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقِيلَ أَنْ يَسْتَوُوا
عَلَىٰ مَصْرٍ وَمَكْرَهٍ فَلَا يَكُونُ حِمْلَةً عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا مِنْ الْأَمْرِ بِاخْتِازِ الْمَسَاجِدِ وَنَصْبِ
الْقِبْلَةِ وَاقَامَةِ الصَّلَاةِ مِنْهَا جَمَاعَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّوَابِلِ مَعْنَاهُ
وَجْهًا بَيِّنَاتٍ وَمَسَاجِدَ كَمَا خَوَّلَ الْقِبْلَةَ لَكِنَّ هَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بَيِّنَاتٍ الْأَوَّلُ
جَمْعٌ مِنْ جَمَاعَتِهِ أَيْ الْقِبْلَةِ فَلَا مَعْنَىٰ لَهُ ثُمَّ لِحُتْمِ الْأَمْرِ لَهَا بِتَوَارِثِ الْبَيْتِ مَصْدَرٌ
وَجَعَلَ الْبَيِّنَاتِ قَبْلَهُ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ أَحَدُهُمَا الْأَمْرُ بِالْإِنْفِصَالِ مِنْ فِرْعَوْنَ

وَقَوْمَهُ حَتَّىٰ إِذَا ارَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِمْ قَدَّرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ
الْمُرُورِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ الْإِنْفِصَالُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ جَمْعَةِ الْقِبْلَةِ وَالثَّانِي
مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَاتِ فِي بَيِّنَاتٍ فِرْعَوْنَ
فَأَمْرًا بِالْإِعْتِزَالِ عَنْهُمْ وَاخْتِازِ بَيِّنَاتٍ أَحَدَ لَيْتَمَّ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ وَجْهِ
الِاسْتِشْهَارِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَلَبِئْسَ الْبَشِيرُ بِمُحْتَمِلِ الْبَشَارَةِ فِي
الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَنْوَاعِ النِّعَةِ وَحُتْمِ أَنَّ تَكُونَ الْبَشَارَةُ بِالْمُلْكِ فِي الدُّنْيَا
وَالْطُّغْيَانِ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَأَنْوَاعِ النِّعَةِ بَعْدَ مَا أَصَابُوا الشَّدَّ آيِدٍ مِنْ فِرْعَوْنَ
كَقَوْلِهِ يَا قَوْمِ إِذْ كَرِهَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونَ فِيكُمْ أَنْبِيََاءَ الْآيَةِ قَالَتْ ابْرَأُوا لِي
قَوْلُهُ أَنَّ تَبَوُّيَا الْقَوْمَ مَكَامًا أَيْ هُنَا لَهُمْ مَوْضِعًا مِنَ الْهَيْبَةِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَلَقَدْ تَوَّأْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صَدَقَ أَيْ هُنَا لَهُمْ مَبُورًا صَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَحَتَّمْتَ
قَوْلَهُ زِينَةً مِنْ أَنْوَاعِ مَا آتَيْتُمْ مِنَ الْأَنْزَالِ وَالنَّبَاتِ وَخَوَّذَ لَكَ وَحَتَّمْتَ الزُّبْنَ
الَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا مِنَ الْمَرَائِبِ وَالْمَلَابِيسِ وَمَا يَتَحَلَّلُونَ بِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلِيِّ
وَعَنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ قَالَتْ الْمَعْتَزَلَةُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ
سَبِيلِكَ أَيْ أَتَاهُمْ لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِهِ وَلَكِنْ هُمْ أَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ وَقَالُوا
هَذَا كَمَا يُقَالُ لِمَنْ آتَيْتُكَ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا وَلَكِنْ فَعَلْتَ كَذَا وَخَوَّذَ مِنَ الْكَلَامِ وَلَكِنْ عِنْدَنَا
هُوَ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ الْأَمْوَالِ وَمَا ذَكَرْنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يُضِلُّونَ
النَّاسَ عَنْ سَبِيلِهِ آتَيْتُمْ مَا آتَيْتُمْ لِيُضِلُّوا وَهُوَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ إِنَّمَا نَتْلِي لِمَنْ لِيُزَادُوا
إِثْمًا وَقَوْلُهُ فَسَارِعَ لَهْزِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ وَآمَثَالُهُ فَكَذَلِكَ هَذَا فَيَكُونُ
حُجَّةً عَلَيْهِمْ بِظَاهِرِهَا وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ حَتَّمْتَ هَذَا وَجْهَيْنِ لِحُتْمِ أَيْ أَطْمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَجْعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ
قَسْبًا وَغِلْطَةً تَنْفَعُ الْإِتْبَاعَ وَمَنْ يَتْلُو عَنْ إِتْبَاعِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ
أَهْوَنَ عَلَيْنَا فِي اسْتِنْفَازِ الْإِتْبَاعِ مِنْهُمْ وَأَدْعِي لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا
لِإِعَادِهِمْ عَنْ إِتْبَاعِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي أَيْ أَحْلَلَ ذَلِكَ أَنَّهُ يُضْطَرُّ هَمُّ
إِلَى الْإِيمَانِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْآيَاتِ الَّتِي أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْجَسَادِ
وَمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَلَاءِ وَتَكُونُ قَوْلُهُ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ أَيْ مِنْ

ظلمس الأموال وقسامة القلوب وشدها وحتمها ان موسى انما دعاهم بهذا
لما ابين من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون وهو كقول نوح رب لا تذر
علي الارض من الكافرين ديارا عند الياس منهم فعلي ذلك موسى انما دعاهم لذلك
وانما يسع له هذا الدعاء لهذا فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون وقتل ان يتحقق
له الاياس من ايمانهم فلا يسع له ان يدعوهم بهذا وصوا انما ارسله اليهم ليدعواهم
الي الايمان والله اعلم قال ابو عوجحة الطمس هو الذهاب بها اي اذهب بها
وقال القتيبي اي اهلكها وهو من قولك طمس الطريق اذا عناه ودرس وقال
غيره الطمس هو المنح كقوله فطمسنا اعينهم اي منحنهم وقال بعضهم الطمس
التغيير عن جوهرها والله اعلم قوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما
قال بعضهم ان موسى يدعوهم وهارون يؤمن علي دعائيه فقال الله تعالى
قد اجيبت دعوتكما فسمي كلا الكلامين دعاء ولهذا قال محمد بن الحسن رحمه الله
في بعض كتبه ان الامام يدعوهم في منوته في الوتر والقوم يؤمنون قوله
تعالى ناستقيما اي علي الرسالة وما امر كما به قوله تعالى ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد عليه السلام ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
وقوله ولا تتبع اهواء قوم قد صلوا من قبل وخوهم وان كان العلم محيطا ان
الانبياء عليهم السلام لا يتبعون سبيل ذلك ولا هوام لما عصمهم الله تعالى عن
الكآبر والكفر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصية لا تنزل الامر والنهي
بل يزيد حطرا ونهيا والله اعلم قوله تعالى وجاء نأبينا اسرائيل البحر
دلالة علي خلق افعال العباد لانه اضاف الي نفسه انه جاء وبنسوا
اسرائيل هم الذين جاءوا وادلت انه خلق فعلهم واما قوله حتى اذا ذكره
الغرف اي حتى اذا غرق لانه ذكر في بعض القصص ان فرعون لما انتهى الي
ساحل البحر فدري البحر منفرجا طرقاتا انما انفرج البحر فلما دخل
غرق فعند ذلك قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين ثم ايمانهم لم يقبل في ذلك لوجهين احدهما لما حتمت ان يكون عند رؤية
الباس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقته وهو علي ما اخبر عن
ايمان الكفرة في الآخرة لما عاينوا العذاب فقال كقولهم ربنا اخرنا الي اجل
قريب نجت دعوتك وتتبع الرسل وكقوله رب ارجعون لعلنا نعمل صالحا

فيما تركت وكقول ربنا اخرنا فعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وامثاله فيما عاينوا
من العذاب اكبر واشد فيما عين فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعاذوا
لما نهوا عنه لكنهم قالوا ذلك قول دفع العذاب فعلي ذلك ايمان فرعون ايمان
دفع الباس والعذاب عن نفسه لا ايمان حقيقته واختيار والله اعلم والثاني
ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الي الله تعالى فاذا امنت في وقت خرجت
نفسه من يده لم يصير مسلما نفسه الي الله اذ نفسه ليست في يده لذلك لم يقبل
الايمان في ذلك الوقت وقت الاسراب علي الهلاك والله اعلم ويحتمل وجهها آخر
وهو ان الايمان بالله تعالى انما يكون بالاستدلال بالشاهد علي الغائب ولا
يكن الاستدلال بالشاهد علي الغائب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا
بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر لذلك لم يكن الذي ادعي
ايمانا حقيقته والله اعلم قوله تعالى فاليوم نجيبك ببذنبك قيل فيه بوجوه
نجيبك من الخوقة اي تلقيك علي الخوقة وهي مكان الارترفاع والاسواب
ليراه كل احده انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها على ما ادعي واما سآيد ابدان
قوم لم تلق علي الخوقة ولكن بقيت في الخوقة والثاني قيل نجيبك اي تخرجك
من البحر فلا يتركك فيه ليكون لمن خلفك آية والثالث نجيبك ببذنبك اي
تتبع بذنبك وحك لانه ذكر في القصة لما غرقوا هو واعتر في النار كقوله
فما حطيا تم اعز قوا فادخلوا نارا فاخبر تعالى انه لم يهوجسده بروحه الي النار
ولكن اخرج بدنه من البحر وهوي روحه الي النار مع سآير قومه ليرى جسده
فيظهر كذبه فلا يشته امره عليهم والله اعلم ثم قوله ليكون لمن خلفك آية
يحتمل وجهين محتمل ليكون هلاك كل اية فلا يدعي احد الربوبية والالوهية
كما ادعيت والثاني اي لمن شاهدك لذلك عزيقا ملقا انه والله اعلم
قوله تعالى وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون قال بعض اهل
التأويل يعني اهل مكة لغافلون عن هلاك فرعون وقومه حيث قالوا ما
هذا الا سحر والا فكل مغتر او نحوه يقول هم غافلون عما اصاب اولئك اذ مثل
هذا لا يفترى اعني مثل هذه القصص ويحتمل اي كثيرا منه كانوا غافلين
عما اصابهم والله اعلم والفضلة علي وجهين احدها غفلة اعراض وعناد بعد
العلم والمعرفة به ان ذلك حق والثاني غفلة بترك النظر والتفكر وكلا الوجهين

مَذْمُومٌ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِيعَهُمْ قَالَتْ عَامَّةُ أَهْلِ
التَّوْدِيلِ بَوَّأْنَا أَيَّ أَنْزَلْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
٩-٩ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى هِيَ أَمْ نَالَهُمْ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى هِيَ أَمْ نَالَهُمْ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَنَزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ
وَنَمُنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَكِينُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ
الْآيَةِ وَقَوْلُهُ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ
أَيَّ حَسْبُكَ كَرِيمٌ وَحَسْبُكَ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ
يَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَالْجَنَّةُ ذَلِكَ الْوَعْدُ فَهُوَ مَبَازِيعُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
الْجَنَّةَ ذَلِكَ الْوَعْدُ وَصَدَقَ الْوَعْدُ قَالُوا مَا ذَكَرْنَا وَادْرَأْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يَسْتَضْعِفُونَ مِمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا الْآيَةِ وَالثَّانِي مَبَازِيعُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى
مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِيعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
يُخْرِجُ قَوْلُهُ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ أَيْ ادْخُلْنِي
مَدْخَلَ أَهْلِ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ أَهْلِ صِدْقٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ قَالَتْ أَهْلُ التَّوْدِيلِ يَعْنِي الْمَنَ وَالسَّلَوى وَلَكِنْ
يَكُنْ أَجْرًا الْفَرْقَ عَلَى الْعَوْمِ فَلَا مَعْنَى لِلتَّقْيِيدِ وَالطَّيِّبَاتِ هِيَ الَّتِي طَابَتْ
بِهَا الْأَنْفُسُ تَبَاحُلًا بِالشَّرْعِ مَا لَا تَبْعَةَ عَلَى أَرْبَابِهَا فِيهَا مَا لَمْ يَعْصِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَيْ فَمَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ إِلَّا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَقِيلَ فَمَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَنَّهُ رَسُولٌ وَقِيلَ فَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ الَّتِي
أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَنَّهُ مَنْزِلٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَنْ رُبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فَحَسْبُكَ
وَجَهَنَّمَ أَحَدَهُمَا فِي الْجَزَاءِ وَالْثَوَابِ وَالْثَانِي فِي تَبْيِينِ الْحَقِّ مِنَ الْمُبْطَلِ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْخَطَابُ لِلرَّسُولِ وَاللَّهُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ
غَيْرُهُ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْخَطَابُ لَهُ وَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ حَضَرَهُ لَا هُوَ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْخَطَابُ
لِلرَّسُولِ وَاللَّهُ وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ فَقَالَتْ الْخَطَابُ لِلرَّسُولِ وَاللَّهُ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ فَمَهْمَا

ظَهَرَ فِي النَّاسِ أَنَّهُمْ يَخَاطَبُونَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَدْ رَأَوْهُ يُدْعَوْنَ بِهِ
غَيْرِهِ وَحَسْبُكَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خِلَافَ ظَاهِرِ الصَّيْغَةِ وَضَعًا لِأَنَّهُ لَا
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ يُشَقُّ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ قَطًّا أَوْ يَرْتَابُ فَيُجِبُ الْقُرْآنَ
إِلَيْهِ غَيْرُهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ أَيْمَا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدَهُمَا أَوْ كَلَاهَا فَلَا تَقْتُلْ لَهَا
٩-٩ أَيْ الْآيَةَ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِثْرًا رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ هَذَا الْخَطَابُ حِينَ
لَكِنْ خَاطَبَهُ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ فَكَلَاهَا هَذَا مِنْ قَوْلِ الْخَطَابِ لِلرَّسُولِ
وَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ أَنْ الْوَفْدَ مِنَ الْكُفْرَةِ كَانُوا يَقْدُمُونَ
رَسُولَ اللَّهِ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَشْيَاءَ شَتَّى فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخَاطَبَ
الَّذِي قَدَّمَ مِنْهُمْ وَيَقُولُ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ وَقَدْ كَانَ حَضَرَهُ الْوَحْدَانُ وَالْجُمَاعَةُ وَهَذَا الْخَطَابُ
لِلْوَحْدَانِ الَّذِينَ حَضَرَهُ وَعَلَى هَذَا التَّوْدِيلِ قَوْلُهُ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَكُونُ مُتَنَازِلًا
لِذَلِكَ الرَّجُلِ لِأَنَّ كُلَّ مَنْزِلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَنْزِلٌ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ وَإِلَى كُلِّ أَحَدٍ
قَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ أَمْرُهُمْ بِاتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ
ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْزِلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَنْزِلٌ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلَحْتُمُ أَنْ يَخَاطَبَ
بِهِ كُلُّ شَيْءٍ كَقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ لَمْ يَرِهِ أَنْسَانًا
مَعْبُودًا وَلَا جَنَسَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَعْبُودًا وَلَكِنْ الْمُرَادُ
بِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ مَعْبُودٌ بِهِ وَكُلُّ كَافِرٍ وَذَلِكَ جَائِزٌ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَخَاطَبَ بِهِ
كُلًّا فِي نَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَنْ قَالَتْ خَاطَبَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَارَادَ هُوَ أَيْضًا فَهُوَ
لِحَسْبُكَ وَجَهَنَّمَ أَحَدَهُمَا فِي الْإِبْتِدَاءِ لَمْ يَكُنْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ أَمْ لَا إِذَا
كُلُّ رَسُولٍ وَنَبِيٍّ يَحْتَاجُ فِي خَاصَّةٍ نَفْسِهِ إِلَى آيَةٍ وَمُعْجَزَةٍ لِيَعْرِفَ أَنَّهُ رَسُولٌ
مُبْعُوثٌ وَأَنَّ الَّذِي يَأْمُرُهُ بِالْإِسْلَامِ هُوَ الْمَلِكُ دُونَ الشَّيْطَانِ فَحَسْبُكَ أَنْ
يَكُونَ الْمُرَادُ هَذَا فَيَأْمُرُهُ لِيَسْأَلَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَبَازُلًا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا أَخْبَرُوا
بِذَلِكَ يَقِينَنَّ أَنَّ الْخَبْرَ لَهُ هُوَ الْمَلِكُ أَوْ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ نَعْتِ
مَنْ هُوَ آخِرُ النَّاسِ لِيَصِفُوهُ فَعَلِمَ بِهِ دَسَالَةَ نَفْسِهِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا
أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْآيَاتُ
فَقَالَ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ
لَتُخْبِرُونَكَ أَنَّهُ نَزَّلَ إِلَيْكَ لِمَا ذَكَرْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالْثَانِي مَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَعْمَشُ أَنَّ تَأْوِيلَهُ

ما كنت في شك بما أنزلنا إليك لكن فسئل الذين يفترون الكتاب الانبياء التي
أخبرتهم وانبياتهم وادعيت انها اوحيت ذلك وكذبوك في ذلك ليخبروك على
أحدهم ليعيد يدك تعدوا وطمانينة وثبتت الزيادة في التثبيت ليس ما يدل
على الشك والوهن في العلم كقوله في حق ابراهيم اوم تومن قال بلي ولكن
ليطمئن قلبي وكقوله لموسى وهارون ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
وقالت لىوح اني اعدك ان تكون من الجاهلين فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله فاسأل الذين يفترون الكتاب من قبلك قال بعضهم يعني من آمن
منهم وقيل فاسأل اهل الكتاب منهم يخبرونك لانه مكتوب عندهم كقوله
حجده و نه مكتوب عندهم في التوراة والانجيل قوله تعالى لقد جاك الحق
من ربك قيل الحق الله ان جاء من ربك وقيل جاء البياان انه من عند الله
والله اعلم قوله تعالى فلا تكونن من المترين أي من الشاكين قوله تعالى
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا
انه يريد بالخطاب غيره اذ لا محتمل ان يكون رسول الله من الذين يكذبون
بآيات الله او يكون من الخاسرين قوله تعالى ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هي قوله لا ملأنا
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا في حق من حتم عليه بالكفر والله اعلم
والثاني محتمل حقت عليهم كلمة ربك اي علم ربك باحوالهم اي من كان في علمه
انه لا يؤمن فلا يؤمن وقت اختياره الكفر كقوله من يفضل الله فلا هادي
له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقت
اختيارهم الظلم والتأويل الاول يرجع الى الحتم به والثاني الى ان من ثبت
في علمه انه لا يؤمن الى وقت كذا لا يؤمن الى ذلك الوقت ومحتمل قوله
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ما ذكر في آية أخرى اولى ينالهم نصيبهم
من الكتاب ومحتمل ايضا كلمة ربك ما ذكر ولواننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
قوله تعالى ولو جأهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم قيل في الدنيا
ايمان دفع العذاب على ما ذكرنا قوله تعالى فلو لا كانت قرية امتت فتنها
ايمانها الا قوم يؤنس قيل اي لم يكن قرية من القرى امتت عند معاينة
العذاب ايماننا فتنها ايمانها الا قوم يؤنس فانهم آمنوا ايمان حقيقة وعلم الله

صيدهم في ايمانهم فتنهم ايمانهم والله اعلم وقالت بعضهم فهل كانت قرية امتت
اذا رأت باسنا فكانت مثل قوم يؤنس آمنوا حين اذا العذاب ثم هذا
يخرج على وجوه احدها ان سائر القرى كان ايمانهم عند اقبال العذاب
اليهم واستشراق الوقوع عليهم وهم معاينون لذلك فآمنوا دفعا للعذاب المعانين
عن انفسهم فلم يكن ايماننا حقيقة فاما قوم يؤنس فان ايمانهم كان لتخويف العذاب
قبل ان يعاينوا العذاب واستشرف عليهم بالوقوع فتكون ايماننا حقيقة
فتنهم والله اعلم والثاني محتمل ان يكون نزول العذاب بقوم يؤنس
على طريق التخيير والتكليف ان قبلوا الايمان وآمنوا دفع العذاب عنهم
وان لم يقبلوا نزل بهم وفي حق غيرهم نزل العذاب لا على هذا الوجه لما ظهر
عنادهم وعلم الله منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم والثالث محتمل ان ايمان
سائر القرى بعد ما غايبوا مقامهم في النار فآمنوا فيكون ايمانهم ايمان
اضطرار وقوم يؤنس آمنوا قبل ان يعاينوا العذاب وايماننا غايبوا عيني
عذاب الدنيا ونشبه ان سائر القرى امتت بعد وقوع العذاب والناس
فلم ينفهم ايمانهم لانهم آمنوا بعد ما خرجت انفسهم من ايديهم فان ايمان من دعون
وقومنا كان بعد ما غر قوا فلم يقبل ايمانهم فاما قوم يؤنس فانهم آمنوا
اذا غايبوا العذاب قبل ان يقع بهم وانفسهم في ايديهم بعد فقبل وهو
كما ذكرنا اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية آمنوا عند
ما غايبوا قبل ان يقع بهم وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع
العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثالهم والله اعلم قوله تعالى لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا هو العذاب الفاضح والله اعلم
قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت
المعتزلة المراد من المشية هي مشية القهر والحبراي لو شاء ربك مشية
القهر والحبراي لو شاء منهم الايمان خبرا بان اخبرهم على الايمان بان خلق فيهم
الايمان خبرا وهو الامنوا وعلموا بالله ضرورة ولكن قد شأ ان يؤمنوا مشية
الاختيار اي يؤمنون عن اختيار فلم يؤمنوا والدليل على ان المراد مشية
مشية الحبر لا مشية الاحبار قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
اي ليس اليك مشية الاكراه والحبر في الايمان انما كان ذلك الى لو شئت

ذلك لا آمنوا خبراً فيقال لهم ان صوف الآية الى مشية الخبر فاسيد
لوجوه احدها ان مشية الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشية القهر
والخبر غائبة فاذا وجد منه مشية الاختيار فلم يؤمنوا ولم ينفذ مشيته
فيهم فكيف يصدق هو في الاختيار عن المشية التي هي غائبة انها لو كانت
لا آمنوا والثاني ان الايمان لا يتحقق مع الخبر والقهر لانه فعل العبد وفعل
العبد ما حصل بقدره محدثه ولن يتحقق ذلك بدون الاختيار فيكون
التأويل على قولهم ولو شاء ربك ان يؤمنوا فلا يؤمنوا وهذا متناقض
فاسيد وبعد فان كل كافر مؤمن بخلقته اذ خلقه كل احد شهد على وحدانية
الله تعالى ولو صاروا مؤمنين بمشية الخبر لكان ايمانهم في انه لا منفعة لهم
فيه من الثواب وذلك الايمان سواً وكذلك في حق الشهادة على الله سواً
الا ان في اخدي الحالين الشهادة بطريق الدلالة وفي الحال الماية بطريق
الانضاج فاما من حيث ان في الحالين الشهادة بطريق الاضطرار دون الاختيار
سواً فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة لم يستقم تعليل ذلك الايمان ادمثله بالمشية
انما يستقيم تعليل ما لم يكن حاصلاً منهم فذلك ان الحاصل على مشية الخبر فاسيد
ولكن تأويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطفاً لو اعطاهم لا آمنوا كلهم عن اختيار
لكن اذا علم منهم انهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة واذا علم انهم لم يؤمنوا
شأن ان لا يؤمنوا والله الموت قوله تعالى افانت تكفون الناس حتى يكونوا
مؤمنين والاشكال ان في هذه الآية نهياً للرسول عن الاكراه على الايمان
وهو كقول لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقالت في آية اخرى
يقاتلوا هم او يسلموا اي حتى يسلموا وذلك اكراه وقالت عليهم السلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا اكراه فكيف جمع بين هذه
الآيات فتقول من وجهين احدهما ما ذكر ان هذه السورة مكية وقوله
تقاتلوا هم او يسلموا مدني فمحتمل ان النبي مني عن الاكراه على الايمان بقوله
افانت تكفون الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكفونهم عن الايمان بالقرآن والنجس
والاكراه على الاسلام بعد ذلك فيلغى الحكم الاول والثاني فمحتمل ان يجمع بين
الآيات فان المراد من قوله تقاتلوا هم او يسلموا وحجوه الاكراه على كلمة
الاسلام اي تقاتلوا هم حتى يقولوا كلمة الاسلام وتكلموا بكلمة الايمان كما نص عليه

في الحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا
اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الآية قالت
حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب
والاكراه بما لا يعمل عليه فكان تأويل قوله افانت تكفون الناس حتى يكونوا
مؤمنين اي لا تملك ان تكفهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حريصه ورجيته في ايمانهم كاد ان يكفهم على الايمان استغاثا عليهم كقول
يعلى باخع نفسك الآية ونحو ذلك قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله قيل باذن الله اي بعلم الله اي وما كان للنفس في علم الله انها لا تؤمن
فتؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن انما يؤمن من في علم الله انه يؤمن
واما من كان في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل الا باذن الله اي بمشيته
واراد نوعاً لا يؤمن نفس الا بمشية الله اي اذا آمنت انما تؤمن بمشية الله
ما تفعل انما تفعل بمشية الله وهو كقوليه وما تشاؤون الا ان يشاء الله
وقالت بعضهم الا باذن الله اي بأمر الله معناه اذا آمنت انما تؤمن بأمره
لا تؤمن بعينه اميره ونبيه وهما لان ظاهر هذا يقتضي ان يكون الامر
بالايمان من فتواين وجوده لا ينفك عنه كما لا ينفك وجود الايمان عن علم الله
ومشيئته وارادته وكما من ما مور بالايمان لم يؤمن فذلك ان الاول اقرب
واصله ما ذكرنا انه لا محتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه اختياره وادوته
اياه والاختلاف له يثبات الولاية له لانه لم يخرج محجج العجز لان في الشاهد من اختيار
عداوة احد والآخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه وحاجته اليه
تعالى الله عن ذلك كله فلا يوصف بما يؤدي اليه والله اعلم قوله تعالى
ونجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم حتى يعفونوا
وقيل جزاء الكفر على الذين لا يعقلون اي لا يتفكرون بعقولهم والله اعلم
قوله تعالى قل انظروا ما في السموات والارض من تأويله والله اعلم اي
انظروا الى اثار بغيره واخبرنا به التي في السموات والارض لكي تشكروا ومحتمل
اي انظروا الى اثار ربوبيته والوحيته في السموات والارض فتوحّدوا
وتؤمنوا به او يقال انظروا الى اثار سلطانه وقدرته فتخافوا نعمته وعقابه
او انظروا الى اجناس الخلق واتساقه على تقدير واحد ليد لكم على وجدانهم

وَسَخَوْذَ لِكَ لَيْسَ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقَعُ عَلَيْهِ الْبَصَرُ إِلَّا وَمِنْهُ دَلَالَةٌ
الرُّبُوبِيَّةُ حَتَّى طَرَفَةُ الْعَيْنِ وَلِحَظَةِ الْبَصَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ
وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ لِحَقِّهِمْ وَجَوَاهِرِ حَقِّهِمْ وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ
عَنْ قَوْمٍ هَمَّتْهُمُ الْكَافِرَةُ وَالْمُعَانَدَةُ أَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ مِنْ هَمَّتْهُمُ الْكَافِرَةُ
وَالْقَبُولُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ الْآيَةَ وَلِحَقِّهِمْ قَوْلُهُ وَمَا
تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ فِي الْآخِرَةِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا أَمَا تَنْفَعُ وَعْنِي
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ الْإِثْلَ أَيَّامَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِهِمْ أَمْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ فِي يَوْمٍ مِمَّنْ الْهَلَكَ الْإِثْلَ أَيَّامَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِهِمْ أَمْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ مِنَ الْهَلَكَ فَهَلْ
يَخْرُجُ عَلَى التَّوَجُّهِ لَا يَنْتَظِرُونَ هَلَاكَ الرُّسُلِ وَذَهَابِ أَمْوَالِهِمْ وَمَحْتَمَلِ أَيْ هَلْ
يَنْتَظِرُونَ مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمُ الْإِثْلَ مَا يَنْتَظِرُونَ أُولَئِكَ مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ
بِهِمْ أَلَيْسَ هَذَا يَذْهَبُ بَعْضُ أَهْلِ التَّوَالِدِ وَلِحَقِّهِمْ قَوْلُهُ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ مِنْ
تَأْخِيرِ الْإِيمَانِ أَلَيْسَ وَقْتُ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمُ الْإِثْلَ مَا أَخَذُوا لَيْكَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِهِمُ الْإِيمَانِ أَلَيْسَ وَقْتُ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ هَذَا يَخْرُجُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ أَيْامِهِمْ
أَيَّ لَا يُؤْمِنُونَ أَلَيْسَ ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ مِنْهُ وَالْوَجْهَ الْأَوَّلُ
عَلَى التَّوَجُّهِ وَالتَّعْيِيرِ لِلْكَفَرَةِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ خَبِرْنَا عَنْهُ فَاَنْتَظِرُوا أَلَيْسَ مَعَكُمْ
مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ أَيْ فَاَنْتَظِرُوا أَلَيْسَ ذَلِكَ نَائِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا قَوْلُهُ ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا أَيْ الْخَلِيفَةَ
الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَلَا نَهْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ رُسُلِنَا رُسُلٌ حَتَّى يَنْصُرَ الْوَعْدُ إِلَى
الْمُسْتَقْبَلِ وَمَعْنَاهُ كَمَا وَعَدْنَا أَنْ نَجَّيْ الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَلَا نَجْزِي الْوَعْدَ
فَجِئْنَا بِمَعْنَى عَنْ أَيْدِ الْكَفَرَةِ وَشَرِّهِمْ فَكَيْفَ لَكُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حَقٌّ عَلَيْنَا
أَنْ نَنْصُرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَنْجِزَ هَذَا الْوَعْدَ أَيْضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي أَيْ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي الَّذِي أَدِينُ
بِهِ أَيْ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي الَّذِي أَدْعُوكُمْ بِهِ فَلَا تُعْبِدُونِ مَنْ قَبْلَ اللَّهِ
دُونَ اللَّهِ أَلَيْسَ كُنْتُمْ شَاكِكِينَ فِي دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ
أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَتَرْكُمُ دِينِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ بِالشَّكِّ ثُمَّ تَدْعُونَنِي إِلَى دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ
بِالشَّكِّ يَذْكُرُ سَفَهَهُمْ بِتَرْكِهِمْ أَجَابَتْهُ بِالشَّكِّ وَدَعَايَهُمْ إِيَّاهُ إِلَى دِينِهِمْ بِالشَّكِّ

لأن الشك يُوجب الوقت في الأشياء ولا يُوجب الدعاء إليه إنا يُوجب الدعاء
إليه بطلان غير لا الشك هذا والله أعلم مُحْتَمَلٌ وَهُوَ مُحْتَرَجٌ عَلَى وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا
عَلَى الْإِضْمَارِ وَالْآخَرُ عَلَى الْمُنَابَذَةِ أَمَّا الْإِضْمَارُ فَذَاكَ نَأْنِ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِ
الَّذِي أَدِينُ بِهِ وَادْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَإِنَّا لَا أَشْكُ فِيهِ هَذَا وَجْهَ الْإِضْمَارِ وَأَمَّا الْمُنَابَذَةُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ تَمَّا عُبْدُوا وَإِدِينُ بِهِ فَلَا تُعْبِدُونَ ذَلِكَ وَلَا تَدِينُونَ بِهِ فَإِنَّا لَا
أَعْبُدُ مَا تُعْبِدُونَ وَلَا أَدِينُ مَا تَدِينُونَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُونَ إِلَى قَوْلِهِ
لَكُمْ دِينُكُمْ وَإِلَى دِينِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَكِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّيْكُمْ التَّوْفِيقُ هُوَ
الْغَايَةُ وَالنَّهْيَةُ فِي الْإِضْمَارِ وَمَا تُعْبِدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ دُونَهُ لَا تَمْلِكُونَ تَوَفَّيْكُمْ
وَلَا الْإِضْمَارَ بِكُمْ إِنْ لَمْ تُعْبُدُوا مَا يَذْكُرُ سَفَهَهُمْ وَيُلْزِمُهُمُ الْحُجَّةُ أَنَّ الَّذِي يَتَوَفَّيهُمْ
هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ الْأَصْنَامِ الَّتِي تُعْبَدُ وَنَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَأَمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيُشَبَّهَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
كَقَوْلِهِ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ فَعَلَى ذَلِكَ هَذَا وَلِحَقِّهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا
يَكُنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَيْ الشَّاكِكِينَ فَعَلَى ذَلِكَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ
لَهُ الْمُسْلِمِينَ انْفُسَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
أَيَّ أَمُرْتُ أَنْ أَقِمَّ نَفْسِي لِلَّهِ خَالِصًا سَالِمًا لَا أَشْرَكَ فِيهَا غَيْرُهُ وَلَا أَجْعَلُ لِسِيَّوَاهُ
فِيهَا نَصِيبًا وَمَحْتَمَلٌ أَيْ أَمُرْتُ أَنْ أَقِمَّ نَفْسِي عَلَى مَا عَلَيْهَا شَهَادَةُ خَلْقَتِهَا إِذْ خَلَقَتْ
كُلَّ نَفْسٍ تَشْهَدُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْوَهْبِيَّةِ وَلِحَقِّهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَجْهَ أَمْرِكَ لِمَا تَهْتِنُ
بِهِ وَتَقِيمُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ هُوَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا
مِنْ قَوْلِهِ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَخَوَذَكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَلَيْسَ لَا تَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ إِنْ أَطَعْتُمْ وَاجْتَبَيْتُمْ
وَلَا يَضُرُّكُمْ إِنْ تَرَكْتُمْ أَجَابَتْهُ وَطَاعَتُهُ ثُمَّ قَوْلُهُ وَلَا تَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لِحَقِّهِمْ
وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْ لَا تُعْبِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ جَرَّ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْكُمْ وَلَا دَفْعَ الْمَضَرَّةِ
عَنْكُمْ وَالثَّانِي مُحْتَمَلٌ الدَّعَاءُ نَفْسَهُ أَيْ لَا تَسْتَعِزُّ وَلَا تَذْكُرْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْهَاسَا
قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ هَهُنَا ذَكَرَ الظُّلْمَ أَنْ فَعَلَ
مَا ذَكَرَ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الشُّرُوكُ وَذَكَرَ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَلَا تَقْرُبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وَقَدْ قَرَّبَا صَاحِبَهُمَا لَمْ يَكُونَا مُشْرِكِينَ إِنَّمَا اسْتَحَقَّا اسْمَ الْعِصْيَانِ
لِيَعْلَمَ أَنَّ لَيْسَ فِي مُوَافَقَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُوَافَقَةَ فِي الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي إِنَّمَا يَكُونُ

الموافقة في الحقائق في موافقة الأسباب لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم
 قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو نبي عن
 الرجا والطمع الي من دونه اذا احبب الله لا يوجد ذلك من عند غيره
 قوله تعالى وان يردك بحير فلا راد لفضله اخبر انه ان اراد حيرا
 وفضلا فلا راد لذلك الحير والفضل والايمان من اعظم الحيرات وافضلها
 فاذا اراد الانسان ان لا يملك احد دفع ما اراد ولا رده ذلك انه اذا اراد
 الايمان لا يجد كان مؤمنا فهو سقض قول المعتزلة حيث قالوا انه اراد الايمان
 للخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا اذا اخبر انه اذا اراد به حيرا فلا راد لذلك وهم يقولون
 بل يملك العبد واما اراد له ودفعه وبالله العظمة وفيه دليل على انه ليس على الله
 فعل ذلك اعني فعل الخير لانه سقاه فضلا والفضل هو ما ليس عليه هو المفهوم
 في الناس اي ما عليهم من الفعل لا يستون فضلا انما يستون الفضل ما ليس
 عليهم والله اعلم قوله تعالى يصيب به من يشاء عبادي اي يصيب
 به من يشاء من الفضل والخير او من الشر قوله تعالى وهو الغفور
 الرحيم اي لا يعجل بالعقوبة وفيه دلالة تخصيص بعض الناس على البعض
 حيث قال يصيب به من يشاء من عبادي قوله تعالى قل يا ايها الناس
 قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد وقيل الحق القرآن الذي انزل عليه
 وامكن ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله اليه لانه قال
 يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فليشبهه ان يكون الحق هو الدين الذي
 كان يدعوهم رسول الله اليه وشكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك
 ان لم يكابر او محتمل الحق محمدا على ما ذكره بعض اهل التأويل وكان رسول الله
 صلي الله عليه وسلم من اول نشوء الي اخير عميره آية ولجتم الحق القرآن على
 ما ذكر بعضهم وهو ما ذكره لا ياتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية
 قوله تعالى فمن اهتدي فانما نهدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
 اي من اهتدي فانما منفعة اهتدائه له في الدنيا والآخرة ومن ضل فانما
 يرجع ضرر ضلاله اليه وحنا لله عليه اي ما يأمرونه ليس لمنفعة تحصل
 له او حاجة تمسه انما يأمرونه لمنفعة الخلق وحاجاتهم قوله تعالى
 وما انا عليكم بوكيل اي لمسلط قال بعض اهل التأويل انه مفسوخ لنسخته

البيان
 والعقود

آية القتال لكنه لا محتمل لانه وان كان مأمورا بالقتال فهو ليس بوكيل
 ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليهم التبليغ لقوله ان عليك البلاغ
 وكقوله فان تولوا فانيما عليه ما حيل وقوله ما عليك من حسابهم من شيء
 وما من حسابك عليهم من شيء قوله تعالى وابتغ ما يوجي اليك محتمل
 القرآن وغيره من الوحي غير القرآن اذ هو نوعان متلو وغير متلو
 قوله تعالى واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا
 يودونه ويقولون فيه ما لا يليق به ومحتمل اي اصبر على تبليغ الرسالة
 والقيام لما امرت به بقول اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة
 حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير الحاكمين اي اصبر
 على تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك والله اعلم

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم
 قوله تعالى الركاث احكمت آياته ثم فصلت قال الحسن
 احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم
 احكمت آياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهي وقال بعضهم
 احكمت آياته حتى لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ثم فصلت
 بينت ما يوتي ويتقى وما لهم وما عليهم وما لله عليهم وقال بعضهم احكمت
 آياته بالنرايض وفصلت بالثواب والعقاب وقيل احكمت آياته عن
 ان يرد عليها النقص والانتقاص وقيل احكمت آياته عن ان يرد
 عليها النقص والانتقاص وقيل احكمت حتى لا يملك احد التبدل والتغيير
 ومحتمل احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت آياته فلم
 تلغ ثم فصلت بالاحلال والحرام وقيل فصلت اي فرقته في الانزال
 انزل شيء بعد شيء على قدر النوازل والاسباب لم ينزل جملة لانه
 لو انزل جملة لا احتاجوا الي ان يعرفوا لكل سببه وشانه وخصومه
 وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب
 عرفوا ذلك من غير بيان واعلام لها والتفصيل هو التعريف والتبيين وكلا
 المعنيين محتمل ههنا والله اعلم قوله تعالى من لدن حكيم خبير

أَيُّ مِنْ عِنْدَ حَكِيمٍ عِلْمٍ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَوَانِ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ
فَإِنَّهُ قَالَ أَحْكَمْتَ آيَاتَهُ ثُمَّ فَضَّلْتَ وَحَدَّثْتَ ثُمَّ لَتَمَّ تَيْبٌ عَلَيَّ وَجْهِ التَّوَارِخِ
فَدَلَّ أَنْ تَأْخِيرَ الْبَيَانَ جَائِزٌ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قِيلَ
أَيُّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا الَّذِي فِي شَهَادَةِ خَلْقَتُمْ أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ
أَذِي فِي شَهَادَةِ خَلْقِهِ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ لَهُ خَالِقًا مُنْعَمًا عَلَيْهِ مُسْتَحَقًّا لِلشُّكْرِ
وَالْتَعْظِيمِ وَالْحَيْدُمَةِ وَقِيلَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ تَوْحِيدًا وَالْآلَ الَّذِي
فِي شَهَادَةِ حَيْكَمِهِ وَحُدَايَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
أَيُّ مِنْ اللَّهِ يُنْذِرُ مَنْ يُنْذِرُ وَيُبَشِّرُ مَنْ يُبَشِّرُ مِنْ ابْتِغَاءِ وَتَنْذِيرِ مَنْ
خَالَفَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ أَنْ كَانَتْ
الْآيَةُ فِي الْكُفَّارِ فَكُنْ قَوْلُهُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ أَيُّ اسْأَلُوا ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
أَيُّ ارْجِعُوا إِلَيْهِ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَكُلِّ مَا تَمَّ تَأْتِيهَا وَأَنْ كَانَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ
فَطَاهِرٌ فَيَكُونُ قَوْلُهُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ تَوْبًا وَاحِدًا قَوْلُهُ تَعَالَى مَتَاعُهُمْ
مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أَيُّ يَمْتَنِعُ فِي الدُّنْيَا مَتَاعًا فَاسْتَحْسِنُوا ذَلِكَ
الْمَتَاعِ وَالتَّمَتُّعُ فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَانْهَمُوا لَا يَسْتَحْسِنُونَ فِي الْآخِرَةِ مَا
مَتَّعُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا لَأَنْ يَمْتَنِعُوا فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا وَالْمُؤْمِنُ مَا يَمْتَنِعُ فِي الدُّنْيَا
إِنَّمَا يَمْتَنِعُ لَامِرًا بِالْآخِرَةِ وَالشُّرْقُودُ لَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيُوتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ لِحَقِّهِ أَيُّ وَيُوتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فِي الدُّنْيَا حِزْزًا
فَضْلُهُ فِي الْآخِرَةِ وَلِحَقِّهِ أَيُّ مَعْنَاهُ أَنْ مَا لِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ
فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا آتَاهُ بِفَضْلِهِ وَيُعْتَمِدُ وَيُوتِ فَضْلَهُ فِي الْآخِرَةِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فِي
الدُّنْيَا لَأَنْ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْتَمِدُ وَيُوتِ
فَضْلَهُ فِي الْآخِرَةِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فِي الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَأَنْ تَوَلَّوْا إِلَيَّ فَلَمْ تَسْأَلُوا فَإِنَّ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ فَظَاهِرٌ وَقَالَ
عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَهُوَ لَمَّا يَكْبُرُ وَيُعْظَمُ ذَلِكَ الْيَوْمُ قَوْلُهُ
تَعَالَى إِلَيَّ اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ أَيُّ إِلَيَّ مَا أَعَدَّ لَكُمْ مَرْجِعُكُمْ مِنْ وَعْدٍ وَعِيدٍ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَيُّ وَهُوَ عَلَى مَا وَعَدَ وَأَوْعَدَ قَدِيرٌ قَوْلُهُ تَعَالَى
أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَمَّا خَفُوا مِنْهُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ بِنِشَادِهِ كَانَ أَحَدُهُمْ
أَذَامَ بِالنَّبِيِّ تَغْشَى بَنُوهُ وَحَنَاصِدُهُ وَقَالَ قَتَادَةُ كَانَ تَوَاجُّنُونَ صُدُورَهُمْ

لِكَيْلَا يَسْتَمَعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي رَجُلٍ يُقَالُ
لَهُ الْأَخْلَاشُ بْنُ شَرِّ بْنِ الثَّقَفِيِّ كَانَ يَجَالِسُ النَّبِيَّ وَيُظْهِرُ لَهُ أَمْرًا حَسَنًا
وَكَانَ حَسَنًا الْمَنْظَرُ حَسَنَ الْحَدِيثِ وَكَانَ النَّبِيُّ تَجِبُهُ حَدِيثُهُ وَيَقْرُبُهُ
مَجْلِسُهُ وَكَانَ يُضْمِرُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُهُ فَاتَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ
يَقُولُوا لَكُمْ تَوْنٌ مَا فِي صُدُورِهِمْ وَلَيْسَتْ تَوْنٌ وَهُوَ تَوْنُ بْنُ عَمَّاسٍ فَاصِلٌ بَيْنَهُ
الصَّدُورِ وَهُوَ أَنْ يَطْمَأَنَّ حِدَاطُ فِي الصَّدْرِ إِلَى الطَّرَفِ الْآخِرِ لِيَكُونَ مَا أَضْمَرَ
اسْتَسْرًا وَخَفِيًّا وَكَانَ أَصْلُهُ الْمَثَلُ إِلَى غَيْرِهِ وَهُوَ مَا قَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ يَتَّبِعُونَ
صُدُورَهُمْ أَيُّ يَمِيلُونَ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى عَظْفُهُ وَيَشْبَهُهُ مَا ذَكَرَ
مِنْ بَيْنِ الصَّدُورِ أَنْ يَكُونَ كَأَيَّةٍ عَنْ صَنِيقِ الصَّدْرِ وَرِكَتُولِيهِ وَمَنْ يُؤَدُّ أَنْ
يُضْلَهُ بِجَعْلٍ صَدْرُهُ صَنِيقًا حَرَجًا وَحَقْلًا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنِ الْكِبَرِ وَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَى عَظْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى لِيَسْتَحْفُوا
مِنْهُ قَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّ مِنْ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْآيَةُ فِي الْمَنَافِقِينَ عَلَيَّ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ
الْأَسْتَشْرَارَ وَالْأَسْتَشْرَارُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لَا نَهْمُ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْمَوَافَقَةَ
وَيُضْمِرُونَ الْخِلَافَ وَالْعِدَاوَةَ لَهُ وَأَنْ كَانَتْ الْآيَةُ فِي الْمَشْرُكِينَ بِالْأَسْتَشْرَارِ
وَالْأَسْتَشْرَارُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا نَهْمُ لَا يُبَالِغُونَ الْخِلَافَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَظَاهِرٌ
الْعِدَاوَةَ لَهُ وَعِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُطْلَعُ عَلَى مَا يُسِرُّونَ وَيُضْمِرُونَ فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا اسْتَرَوْا وَأَعْلَنُوا وَفِيهِ دَلَالَةٌ أَثْبَاتُ
الرِّسَالَةِ لَا نَهْمُ كَانُوا يُسِرُّونَ ذَلِكَ عَنْهُ وَيُضْمِرُونَ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ لِيَعْلَمُوا
أَنَّهُ إِنَّمَا عَلِمَ ذَلِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى الْآخِرِينَ لِيَسْتَحْفُوا نِيَابَهُمْ
إِنْ لَيْسَتْ تَوْنٌ بِهَا قَالَ أَحْسَنُ الْآخِرِينَ لِيَسْتَحْفُوا نِيَابَهُمْ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَفِي
أَجْوَابِ نِيَابَتِهِمْ يَعْلَمُ فِي ذَلِكَ السَّاعَةِ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَنُونَ وَأَصْلُهُ إِنْهُمْ
يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ هَذِهِ الصَّدُورَ وَالْقُلُوبَ وَالنِّيَابَتَ هُمُ الَّذِينَ
لَسْتُ جُوهَا وَالْكَسْبُ يُوْهَى ثُمَّ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا سِتْرًا وَمَا كَسَبُوا فَلَا يَمْلِكُونَ إِلَّا سِتْرًا
بِهَاتُوتِي اللَّهُ الشَّأْنُ مِنْ غَيْرِ صَنْعٍ مِنْ جِهَتِهِمْ أَحَقُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ الْآخِرِينَ حَرْفُ
لِتَأْكِيدِ الْكَلَامِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدٍ وَعَيْنُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصَّدُورِ يُقَالُ نَشَرْتُ الْمَوَاقِدَ أَبْطَنُهَا أَيُّ وَلَدْتُ

مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْوَلَدِ لَكُنْ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ بِدَاتِ الصَّدُورِ كَمَا يَتَعَنُّ
صَدُورُهَا مُتَبَيِّرٌ وَتَدْبِيرٌ وَهُمْ الْبَشَرُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا قَالَتْ بَعْضُهُمْ عَنِ الدَّابَّةِ الْمُتَحَيِّينِ مِنَ الْخَلْقِ
وَهُمُ الْبَشَرُ فَمَا غَيْرُهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ فَقَدْ سَخَّرَهَا لَهُمْ وَقَالَ قَائِلُونَ إِذَا كُلَّ
دَابَّةٍ تَذُبُّ عَلَى وَجْهِهِ الْأَرْضُ مِنَ الْمُتَحَيِّينَ وَغَيْرِهِ ثُمَّ قَوْلُهُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
اختلف فيه قَالَتْ بَعْضُهُمْ إِنَّ عَلَى اللَّهِ انْشَاءَ رِزْقِهَا وَخَلْقَهَا الَّذِي بِهَا قَوَامُهَا
وَحَيَاتُهَا وَهُوَ قَوْلُهُ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ أَيْ يَنْشَأُ وَيَخْلُقُ رِزْقَكُمْ لِيَسَبِّبَ
مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ فَعَلِيَ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا أَيْ عَلَى اللَّهِ انْشَاءَ رِزْقِهَا
وَخَلْقَهَا وَمِنَ الرِّزْقِ مَا جَعَلَهُ لِيَسَبِّبَ وَمِنْهُ مَا جَعَلَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ وَقِيلَ
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا أَيْ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُبَلِّغَ إِلَيْهَا رِزْقَهَا وَمَا قَدْ رَزَقَهَا وَمَا بِهِ مَعَاشُهَا كَقَوْلِهِ
وَقَدْ رَزَقْنَاهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُ رِزْقُهَا وَمَا بِهِ مَعَاشُهَا ثُمَّ قَوْلُهُ عَلَى اللَّهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ
أَنْ مَا جَاءَهَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَأْتِهَا مِنْ غَيْرِهِ وَحُرُوفٌ عَلَى مَعْنَى حُرُوفٍ مِنْ وَذَلِكَ جَاءَ بِرِ
فِي اللَّفْظِ كَقَوْلِهِ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَهُوَ قَوْلٌ مُجَاهِدٌ وَحَتَّى
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا أَيْ عَلَى اللَّهِ وَقَاءً مَا وَعَدَ وَقَدْ كَانَ وَعْدُهُ أَنْ يَرْزُقَهَا فَعَلِيهِ وَقَاءً
عَمْدُهُ وَاجْتِنَانُ وَعْدِهِ وَحَتَّى وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَهَا لِيَسْقِيَهَا إِلَى وَقْتٍ
مَعْلُومٍ عِنْدَهُ فَعَلِيهِ مَا بِهِ يَعْشَى إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا جَرَى السَّحَابُ أَنْ لَا
يَقَى لِلْبَشَرِ بِذَوْنِ الْغِذَاءِ وَإِنْ كَانَ فِي قَدَرَتِهِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا اختلف فيه قَالَتْ بَعْضُهُمْ مُسْتَقَرَّهَا بِاللَّيْلِ وَمُسْتَوْدَعُهَا
بِالنَّهَارِ فِي مَعَاشِهِمْ إِذَا اللَّيْلُ لِلسُّكُونِ وَالْقَدَارُ وَالنَّهَارُ لِلانْتِشَارِ وَقَالَ
بَعْضُهُمُ الْمُسْتَقَرُّ الرِّحْمُ وَالْمُسْتَوْدَعُ الصُّلْبُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمُسْتَقَرُّ الصُّلْبُ وَالْمُسْتَوْدَعُ
الرِّحْمُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمُسْتَقَرُّ مَثْوَاهَا فِي الْآخِرَةِ وَالْمُسْتَوْدَعُ الْمُتَقَلِّبُ فِي الدُّنْيَا
وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُنْقَلَبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ أَيْ يَعْلَمُ مُنْقَلَبَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَحَيَاةَكُمْ فِي
مَعَاشِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ أَيْ قُدَارَكُمْ وَمَقَامَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مُسْتَقَرَّهَا فِي الدُّنْيَا
وَمُسْتَوْدَعُهَا فِي الْقَبْرِ وَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ الْعِلْمِ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ
فِي حَالِ سُكُونِهَا وَفِي حَالِ حَرَكَتِهَا لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو أَيْ أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً أَوْ مُتَحَرِّكَةً
أَيْ يَعْلَمُ عَنْهَا كُلَّ حَالٍ وَتُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ صِلَةٌ مَا تَقْدَمُ وَهُوَ قَوْلُهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَرَّ
يَتَنُونَ مِنْهُمْ وَالْآيَةُ خَبَرٌ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ كَوْنُ كُلِّ دَابَّةٍ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ

وَمَا تَفِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا اسْتَوْدَعَ الْأَصْلَابُ كَيْفَ عَلِمَ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي فِيهَا التَّوَاتُ
وَالْعِقَابُ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ وَفِيهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى كُلُّ فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ لِحَتِ الْكِتَابِ اللَّوْحَ الْمُحْفُوظَ وَحَتَمَ الْقُرْآنَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَذَكَرَ
فِي مَوْضِعٍ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَفَكَّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَقَالَ وَقَدْ رَزَقْنَاهَا أَوْقَاتًا فِي أَرْبَعَةِ
أَيَّامٍ وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الظَّاهِرِ مُخْتَلِفَةٌ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أَنَّهُ جَعَلَ لِلْأَرْضِ يَوْمَيْنِ يَوْمًا لِيُوجِدَ مَا وَيَوْمًا لِيَعْدِمَهَا وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ
جَعَلَ يَوْمًا لِيُوجِدَ مَا وَيَوْمًا لِيَعْدِمَهَا كَقَوْلِهِ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَقَوْلُهُ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ وَقَوْلُهُ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ
بِالْغَامِرِ وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَهُمَا جَعَلَ يَوْمًا لِيُوجِدَ مَا وَيَوْمًا لِيَعْدِمَهُ فَبُذِلَ الْمُحْتَمَلُ وَقَدْ
ذَكَرْنَا وَجُودَهَا فِي ذَلِكَ تِمَاحْتَمَلُ وَشُعْنًا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَجَاءَ بِرِ
أَنْ يَكُونَ الْيَوْمُ السَّابِعُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي انْشَاءَ فِيهِ الْمُتَحَيِّينَ وَهُوَ الْمَقْصُودُ
مِنْ خَلْقِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ الْأَشْيَاءِ أَعْنَى الشَّرْخِ ثُمَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ
أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ دَخِلَتَا نَحْتِ الْأَوْقَاتِ بِقَوْلِهِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ إِذْ الْأَيَّامُ
عِنْدَ النَّاسِ إِنَّمَا هِيَ مَوْضِعُ الْأَوْقَاتِ فَإِذَا دَخَلَتَا نَحْتِ الْأَوْقَاتِ لِبَسَابِغِ اللَّيْلِ
عَلَى مَا نَقُولُهُ بَعْضُ الْمُخْتَلَفِ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ أَنْ كَانَ الْعَرْشُ هَهُنَا اسْمُ الْمَلِكِ وَالسَّلْطَانُ
عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فَتَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ أَظْهَرَ مَلَكَةً عَلَى الْمَاءِ
عَلَى مَعْنَى عَنْ لَاتِهِ بِالْمَاءِ ظُهُورُ كُلِّ شَيْءٍ وَبَذَلَهُ كَقَوْلِهِ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ
وَإِنْ كَانَ الْعَرْشُ هَهُنَا اسْمُ السَّرِيرِ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ النَّاسِ فَهُوَ خَلْقُ
مِنْ خَلْقِهِ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ أَضَافَتْهُ إِلَى نَفْسِهِ كَأَضَافَةِ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ
لَكِنْ يُضَافُ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ مَرَّةً بِالْأَحْصَاءِ وَالْكَفَّةِ وَمَرَّةً بِالْإِشَارَةِ وَالْأَفْرَادِ
غَيْرُ أَنْ مَا أَضَافَ بِالْإِشَارَةِ وَالْأَفْرَادِ فَهُوَ عَلَى تَعْظِيمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَأَظْهَرَ
قُدْرَهُ وَشَرَفَهُ كَقَوْلِهِ أَنْ طَهَّرَ إِبْرَاهِيمَ وَنَاقَةَ اللَّهِ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ وَكَبَرِيَّاهُ وَذَكَرَ
سُلْطَانَهُ كَقَوْلِهِ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَوْلُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَكَانَ أَضَافَةُ الْعَرْشِ

إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْدَادِ خَلْقِهِ لَيَبَيِّنَ لَكَ وَحَرَمَتَهُ خَلْقَ الْعَرْشِ
وَعَظَمَتَهُ لِيَكْرَمَ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ وَلِيَمْتَحِنَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ لِلْحَمْلِ وَالْخِدْمَةِ بِهِ عَلَى مَا
يَكُونُ لِمَلِكِ الْأَرْضِ سَتِيرًا وَيَسْتَحْدِمُونَ خِدْمَتَهُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِلَالًا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْمُتَحَنِّ فِيهَا لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِنَفْسِهَا إِنَّمَا خَلَقَ لِلْمَتَحَنِّ فِيهَا
كَقَوْلِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ تَامِي السَّمَوَاتِ وَتَامِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ لَأَنْ خَلَقَهَا لِنَفْسِهَا
عَبَثَ حَيْثُ قَصِيرٌ مَخْلُوقُهُ لِلْفَنَاءِ خَاصَّةً وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لِلْفَنَاءِ خَاصَّةً هُوَ عِبَثٌ
لِذَلِكَ كَانَ مَا ذَكَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ
مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ خَاطِبُ
نَبِيِّهِ وَآخِرُهُ إِنْ كَانَ يَقُولُ الْكُفَرُ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ يَقُولُونَ
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَبَيَّ ظَاهِرُ الْآيَةِ أَشْكَالُ فَإِنَّهُ أَخْبَرَهُمْ يَقُولُونَ مَا
يَقُولُهُ سِحْرٌ وَالسَّحَرَاءُ يَكُونُ فِي تَقْلِيلِ الْأَشْيَاءِ وَأُظْهَرَ مَا فِيهِ عَجُوبُهُ لَا فِي مَجْرَدِ
الْأَخْبَارِ وَعَنِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَقَوْلُهُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِمَنْ يَرُدُّهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّكَ مَيِّ
قُلْتَ إِنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ يَقُولُونَ هَذَا سِحْرٌ وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ
مَيِّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَقَامَ الْحُجَّ وَالْبَرَاهِينُ عَلَى
الْبَعْثِ خَبِيرٌ قَالُوا الْحُجَّ الْبَعْثُ وَبَرَاهِينُهُ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ لَمَّا انْجَلَّ عَلَى
خِلَافِ الْعَادَةِ نَظِيرُ السَّحَرِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَحَتَمَ أَنْ أَرَادَ بِهِ الْقَوْلَ
نَفْسُهُ إِنَّكَ قُلْتَ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ فَيَقُولُونَ إِنْ هَذَا
الْأَسْحَرُ مُبِينٌ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنْ سَفَهِهِمْ حَيْثُ اعْتَادُوا
لِنِسْبَةِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى السَّحَرِ حَتَّى الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُ السَّحَرُ وَهُوَ الْأَخْبَارُ
يُسَمُّونَهُ سِحْرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحَتَمَ وَجْهًا آخَرَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا ذِكْرَ السَّحَرِ عِبَارَةً
عَنِ الْبَاطِلِ وَالْمُتَوَيِّةِ فَكُنْ هَذَا مِنْهُ تَكْذِيبًا لِلَّهِ سَوَّلَ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ
الْبَعْثِ لَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ حَقِيقَةَ السَّحَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَئِنْ
آخَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ قِيلَ إِلَيَّ وَفِي مَعْلُومَةٍ وَهُوَ الْبَعْثُ
ذَكَرَ الْأُمَّةَ وَأَرَادَ مَدَّةً مَدِيدَةً لِأَنَّ الْأُمَّةَ اسْمٌ لَطَائِفَةٌ وَجَمَلَةٌ مِنَ الْقَوْمِ فَعَبَّرَ
هَهُنَا عَنْ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لِيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ سَهْ
إِذَا كَانَ الْكُفَرُ يَقُولُونَ لَمْ يَحْبِسْ عَنَّا الْعَذَابَ الَّذِي بَعْدَ مَا لَمْ يَزَلْ عَادَتَهُمْ

أَيُّهُ

اسْتَحْيَا الْعَذَابَ اسْتَهْزَأَ بِالرَّسُولِ الْيَوْمَ يَا أَيُّهُمْ لَيْسَ بِمُصْرَفٍ عَنْهُمْ أَيْ
إِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ جَاءَ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ صَرْفَهُ عَنْهُمْ كَقَوْلِهِ وَالظَّالِمُونَ
مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَخَوَذَ لِكُلِّ مَالِهِمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ وَقِيلَ أَيْ سَلَا
يُصْرَفُ عَنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ مِنْ ظُلْمِ عَوَاشِيَا دَنَهُ كَمَا أَخْبَرَهُمْ يَقُولُهُ وَالْخِذْوَانِ
وَدُونَ اللَّهِ آلِهَةٌ لِيَكُونَ لَهُمْ عِزٌّ أَكْثَرُ أَيْ لَا يَكُونُ لَهُمْ رَدٌّ أَمَا طَعُوا وَرَجَوْا
بِعِبَادَتِهِمْ وَقَوْلُهُ وَالْخِذْوَانِ دُونَ اللَّهِ آلِهَةٌ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ إِذَا هُمْ أَنَا يُقْبَلُونَ
الْأَصْنَامَ رَجَاءً أَنْ يَشْفَعُوا لِقَوْلِهِمْ هُوَ لَا يَشْفَعُ وَنَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ مِرَاحِمَةٍ قِيلَ سَعَةٍ فِي الْمَالِ
وَنِعْمَةً قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ نَزَعْنَا هَامَانَهُ أَنَّهُ لِيُؤْشَرَ كَفُورًا أَيْ إِيَّاسَهُ
ذَهَابَ ذَلِكَ الْمَالِ عَنْهُ وَنَزَعِيهِ مِنْهُ عَنِ الْعُودِ إِلَيْهِ وَاقْنَطَهُ كَفُورًا لِمَا رَأَى
نَزَعَ ذَلِكَ الْمَالِ وَالسَّعَةِ مِنْهُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَهُوَ كَفُورٌ وَعَنْ بَنِي عِبَّاسٍ شَرَّكَ
عَنْهَا أَنَّهُ قَالَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ يَغِي الكَافِرَ مِرَاحِمَةً يَقُولُ نِعْمَةً
بِالْعَافِيَةِ وَسَعَةٍ فِي الْمَالِ وَمَا سَدَّ بِهِ ثُمَّ نَزَعْنَا هَامَانَهُ يَغِي الرِّحْمَةَ أَنَّهُ لِيُؤْشَرَ
كَفُورًا يَغِي قَنُوطَ آيِسٍ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَإِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ رِجْمَةً فَزَجَّوْا
بِهَا وَإِنْ نَصَبَهُمْ سَيْفَةً بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ وَالْإِيَّاسُ قَدْ يَكُونُ
كَفُورًا كَقَوْلِهِ أَنَّهُ لَا يُيَاسُ مِنْ رُوحِ الْقَوَالِ الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ وَحَتَمَ قَوْلُهُ
أَنَّهُ لِيُؤْشَرَ كَفُورًا يَغِي فِي حَالِ ذَهَابِ النِّعَةِ كَفُورًا فِي حَالِ النِّعَةِ وَالسَّعَةِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَئِنْ أَذَقْنَا نَهْمًا بَعْدَ صَرَفٍ آسَمَتَهُ لِيَقُولَنَّ
ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي أَنَّهُ لَعْنُ الْفُجُورِ الْمُنْحَرِ هُوَ الرَّاحِي كَقَوْلِهِ وَفَزَحُّوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَقِيلَ الْمُنْحَرُ الْبَيْطُ يَبْطُرُ فِي مَالِ الرِّخَاءِ وَالسَّعَةِ كَقَوْلِهِ إِنْ أَلَّفَ
لَا تُحِبُّ الْفَرَحِينَ وَالْمُنْحَرُ قَدْ تَبَلَّغَ كَفُورًا يَكُونُ فُجُورًا وَكَفُورًا يَكُونُ الْفَرَحُ سُرُورًا
وَلَا يَكُونُ كَفُورًا وَالْفُجُورُ الَّذِي يَفْخَرُ عَلَى الْفَقِيرِ بِالْمَالِ الَّذِي أُعْطِيَ أَوْ يَفْخَرُ
عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ بِالتَّكْذِيبِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ عَادَةُ رُؤَسَائِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِي
مَالٍ وَسَعَةٍ فَلَا يَرَوْنَ الرِّسَالَةَ تَكُونُ فِيهِمْ دُونَهُمْ فِي الْمَالِ وَالسَّعَةِ كَقَوْلِهِمْ
لَوْلَا تَرَكْ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ عَظِيمٌ وَكَقَوْلِهِمْ خُنْ أَكْثَرُ أَمْوَالِ
وَأَوْلَادِ أَوْ خَوَّهِ وَأَصْلُهُ وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَنْظُرُونَ فِي النِّعَةِ إِلَى مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ
إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْعَيْنِ النِّعَةِ وَأَنْفُسِهَا لِذَلِكَ حَتَمَ نَزْعَ مَا أُعْطُوا مِنْهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ

عَلَى الْإِيَّاسِ وَالْعَنُوطِ وَأَعْطَا ذَلِكَ أَيَّامَ عَلَى الْكُفْرَانِ وَالْفَرْحِ وَالْفَخْرِ وَلَوْ نَظَرُوا
فِي تِلْكَ النِّعَمِ إِلَى الْمَنَعِ لَمْ يَقْعُ لَمْ إِيَّاسُ عِنْدَ النِّعَمِ وَلَا الْكُفْرَانِ وَالْفَرْحِ عِنْدَ النِّسْلِ
بَلْ يَصْبِرُونَ عِنْدَ النِّعَمِ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَشْكُرُونَ لِلْمَنَعِ عَلَيْهِمْ فِي حَقِّ النِّسْلِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ
ثُمَّ اسْتَنْفَذَ الْإِلَاحِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِعَيْنِ الطَّاعَاتِ وَلِيُشَبِّهَهُ
أَنْ يَكُونَ الْإِلَاحِينَ صَبَرُوا أَيْ آمَنُوا عَلَى مَا ذَكَرَ فِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْآيَاتِ
الْإِلَاحِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَقَوْلِهِ وَالْعَصِيرَانِ الْإِلَاحِينَ لِيُخْشِرَ
الْإِلَاحِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْآيَةَ وَخَمَلَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ الْإِلَاحِينَ
صَبَرُوا عَنِ الْمَعَاصِي فَلَمْ يَنْتَكِبُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَيْ الطَّاعَاتِ وَالْإِيمَانَ
فَنَفْسُهُ هُوَ اعْتِقَادُ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي جَمِيعًا وَالْإِتْقَانُ عَنْ جَمِيعِ مَا يَدْخُلُ نَقْصًا
فِيهَا وَإِتْيَانُ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا وَهَكَذَا يَعْتَقِدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَنْتَهِيَ وَيَتَّقِيَ كُلَّ مَعْصِيَةٍ
وَيَأْتِي بِكُلِّ طَاعَةٍ وَيَعْمَلُ بِهَا وَاللَّهُ الْمُؤْتِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَاجْرُ كَبِيرٌ يَشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لَمَّا ارْتَكَبُوا مِنَ الصَّغَارِ مِنَ الذُّنُوبِ
مَعَ الْجَنَابِ مِنَ الْكِبَارِ مِنْهَا وَاجْرُ كَبِيرٌ عَلَى مَا اتَّوَاوَعَمَلُوا مِنَ الْكِبَارِ مِنَ
الطَّاعَاتِ وَخَمَلَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ أَيْ السَّتْرُ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الذُّنُوبَ
فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَاجْرُ كَبِيرٌ بِمَا أَظْهَرَهُمْ مَا كَانَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ
حَتَّى يَظُنَّ النَّاسُ إِلَهُمْ بَعِثَ عَلَيْهِمْ عَظِيمٌ بِمَا أَظْهَرَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ مَا ارْتَكَبُوا
مِنَ الْمَعَاصِي هَذَا التَّأْوِيلُ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُ فِي الْآخِرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ حُرُوفَ لَعَلَّ لِحْتَمَلِ عَلَى الْإِلَاحِينَ
أَيْ لَا يَتْرَكَ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ وَأَنْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَا يَتْرَكَ كَقَوْلِهِ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَوْلُهُ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَآمَالُ ذَلِكَ نَهَاةٌ وَأَنْ كَانَ لَا لِحْتَمَلِ
أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَا جَرَّ لَعَلَّكَ أَنْ تَرِيدَ تَفْعَلُ كَذَا
هَذَا مِنْهُ نَهْيٌ لَهُ عَنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَالتَّائِي يَقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ الْقُرْبِ مِنَ الْفِعْلِ وَالْإِنْفِ
مِنْهُ كَقَوْلِهِ لَقَدْ كَذَبْتَ تَرَكْنِ إِلَهُمْ شَيْئًا قَلِيلًا يَقَالُ حُرُوفُ كَانَ عِنْدَ الْمَسَلِ إِلَهُ وَالْقُرْبِ
مِنْهُ طَمَعًا مِنْهُ فِي إِيْمَانِهِمْ وَذَلِكَ يَمَّا جَلَّ لَهُ التَّوَكُّلُ فِي الْجَمْلَةِ وَذَلِكَ مَا قِيلَ مِنْ خَوْسَبِ
الْمُهْتَمِّ وَذَكَرَ الْعَيْبَ فِيهِمْ وَحَلَّ لَهُ تَرْكُ سَبِّ الْمُهْتَمِّ وَشَتْمِهَا وَكَذَلِكَ خُجِرَ قَوْلُهُ
لَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ أَنْ يَحْلُلَ عَلَى نَفْسِهِ
إِسْفَاقًا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا مَا يُوْجِبُ تَلْفَهُ وَالتَّائِي عَلَى التَّخْفِيفِ كَقَوْلِهِ وَلَا تَجْرُنْ

عَلَيْهِمْ لَا تَكُنْ فِي صَنْبِقٍ مَا يَكُونُ وَقَوْلُهُ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ هُوَ عَلَى التَّخْفِيفِ لَيْسَ عَلَى
الْبَنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ لِحْتَمَلِ مَا قَالَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ
مِنْ سَبِّ الْمُهْتَمِّ وَعَيْبِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَيْ مَا يَقُولُونَ
تَارِكًا خَيْرَ عَنِمْ يَقُولُونَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُنْزًا وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِزَارِ
بِهِ وَكُلٌّ مِنْ اسْتِزَارِهِ بِهَذَا فَحَقٌّ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُهُ وَخَمَلَ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُهُ لَمَّا لَا يَقْدِرُوا
عَلَى إِتْيَانِ مَا طَلَبُوا مِنْهُ مِنَ الْكِبَرِ وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ وَقَدْ وَعَدَ وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْوَعْدِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِي قَوْلِهِ لَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ
وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ وَجِبَّةٌ آخِرَةٌ وَهُوَ يَنْجُجُ مَخْرُجُ الْبَشَارَةِ لَهُ فَإِنَّهُ كَانَ
يَخَافُ مِنْ ضِيقِ صَدْرِهِ وَاسْتِغَالَ قَلْبَهُ عِنْدَ سُورَةِ مَقَامِلِهِمْ إِيَّاهُ فَيَقْعُ لَهُ فِيهِ
تَارِكًا خَيْرَ فِي ابْلَاحِ مَا أُمِرَ فِي تَبْلِيغِهِ فَأَمَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَعَصَمَهُ وَوَجَّهَهُ
أَخَذَ فِي الْإِلَاحِينَ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَا يَقْعُ لَهُ فِي مِثْلِهِ الرَّجَاءُ أَنْ قَدْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي جِبَالِ
مِنَ الْإِحْوَالِ بِتَارِكِ الْبَتْلِيغِ فَأَيَّاسُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَكَلَفَهُ تَبْلِيغَ مَا أُمِرَ بِهِ
فِي جَمِيعِ الْإِحْوَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُنْزًا وَجَاءَ مَعَهُ
مَلَكٌ لَا نَظَرَ لِكُنْزٍ وَالْمَلَكُ مَحَلًّا فِي قُلُوبِ أُولَئِكَ فَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ كُنْزًا فَيُطْعِمُوهُ
فَيَصْدَقُ عَلَى مَا أَدْعَى وَكَذَلِكَ الْمَلَكُ لَهُ مَالٌ عَظِيمٌ عِنْدَهُمْ أَذْكَانَ مَعَهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ
وَصَدَقَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ قَالَتْ ذَلِكَ عَلَى أَثَرِ قَوْلِهِمْ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ
كُنْزًا وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ أَيْ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ إِتْيَانُ مَا سَأَلُوا إِنَّمَا ذَكَرَكَ تَحْكُمُ
عَلَى اللَّهِ وَأَمَّا فِي تَعْلِيكِ ابْلَاحِ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْإِنْدَارِ وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْحُجَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أَيْ حَافِظٌ لِكُلِّ مَا يَقُولُونَ فَيَكُونُ فَيَقْعُ هُوَ
بِهِ أَذْهُوَ الْحَفِظُ وَالْوَكِيلُ لَا أَنْتَ كَقَوْلِهِ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ وَقَوْلُهُ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ وَخَوَذَكَ اللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
مُحَمَّدٌ هَذَا الْقَدْرُ أَنَّ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ قُلُوبًا مَحْمُودَةً أَنْ كَانَ افْتَرَاهُ مُحَمَّدًا فَقَالُوا يَقُولُونَ فَأَتُوا
أَنْتُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ لِأَنْتُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْإِفْتِرَاءِ مِنْهُمْ لَا يَكُنْ قَدْ وَعَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
عَلَى الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَلَمْ تَأْخُذْ وَأَعْلَيْهِ بِكَذِبٍ قَطُّ وَلَا أَظْهَرَهُ مِنْهُ افْتَرَاءُ فَنَ عَوْدَ نَفْسِهِ
عَلَى الْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذْبِ هُوَ عَلَيْهِ أَقْدَرُ مِنْكُمْ لَمْ يَعْرِفْ بِهِ قَطُّ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَ أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ مِنْكُمْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُعِينُكُمْ عَلَى إِتْيَانِ
مِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنْدَ افْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ ذَكَرَ هُنَا فَا تَقَا بَعْشَرَ سُوَرٍ مِثْلِهِ

مُفْتَرِيَاتٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَأَتَى السُّورَةَ مِثْلَهُ قَالَ بَعْضُهُمْ دَعَاؤًا أَوَّلًا إِنَّا نَقُولُ
بَعْضُهُمْ سُورَةً فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ ذَلِكَ قِيلَ لَهُمْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَحَتَّى
أَنْ يَحْدُثَ جَاءَ بِسُورَةٍ مِنْهَا إِنْبَاءٌ مَا اسْتُرْتُمْ وَمَا أَخْفَيْتُمْ تَمَّ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ
ذَلِكَ وَالْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَا أَفْتَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَقُولُونَ
لِنَبِيِّنَا مَا اسْتُرْتُمْ وَتَطْلَعُونَ عَلَى سِرِّ آيَرِهِ مَا أَطْلَعُوا دَعَاؤًا مِنْ اسْتِطْعَمَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْإِلَهِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّهُ افْتَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحَتَّى أَنْ يَقُولَ
أَنْ لَسْنَا نَكْمُ مِثْلَ لِسَانِ مُحَمَّدٍ فَإِنْ قَدَّرَهُ عَلَى افْتِرَاءِ مِثْلِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَتَقَدَّرَ رَوْنُكُمْ
عَلَى افْتِرَاءِ مِثْلِهِ فَأَتُوا بِهِ وَادْعُوا أَهْلًا مِنْ لِسَانِهِ مِثْلَ لِسَانِكُمْ حَتَّى يُفَيِّنُكُمْ
عَلَى ذَلِكَ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّهُ افْتَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ ذَكَرْنَا قَوْلًا
بَعْضُهُمْ سُورَةً مِثْلَهُ مُفْتَرِيَاتٍ قِيلَ أَنْ كَانَ هَذَا مِثْلَ الْإِفْتِرَاءِ أَهْلِي مِثْلًا
تَزْعُمُونَ فَأَتُوا بِمِثْلِهِ أَنْتُمْ لَا تَكُنْ عَلَى الْإِفْتِرَاءِ مِنْ مُحَمَّدٍ هَذَا كَمَا سَمِعْتُمُ الْأَصْنَافَ الْهَيْئَةَ
بَنَاءً عَلَى زَعْمِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لَكُمْ أَيْ فَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لَكُمْ أَنْتُمْ وَلَمْ يَسْجُدُوا
أُولَئِكَ عَلَى الْإِيمَانِ عَلَى إِيْيَانٍ مِثْلِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَبِأَمْرِهِ وَمَنْ
عِنْدَهُ نَزَلَ لَيْسَ بِمُفْتَرٍ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَيْ لَا الْوَحْيَةَ لَمْ تَقْدِرْ دُونَهُ مِنْ
الْأَصْنَافِ وَالْأَوْتَارِ وَالثَّانِي فَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لَكُمْ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِيْيَانٍ
فَاعْلَمُوا أَنْتُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَمَنْ عِنْدَهُ نَزَلَ عَلَى التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ لَكُمْ وَأَنْ كَانُوا
عَلَمُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ كَقَوْلِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ لَكُمْ عَلَى أَنَّهُ
لَا يَعْلَمُ فَعَلَى ذَلِكَ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَيْ خَاصِعُونَ لَهُ
مُخْلِصُونَ وَعَلَى التَّوَالِي الْأَوَّلَ عَلَى حَقِّقَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْيَانِ فِي قَوْلِهِ أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ
نَقَضَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ بِفَهْمِ الْعِلْمِ عَنِ اللَّهِ وَفِي الْآيَةِ اثْبَاتُ الْعِلْمِ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا الْآيَةُ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْآيَةُ فِي
أَهْلِ الْإِيْيَانِ الَّذِينَ عَلِمُوا الصَّلَاحَاتِ مَرَّاتٍ لِلْخَلْقِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ أَلَيْسَ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا مِنْ
الذِّكْرِ وَالشُّرْفِ وَمَا طَلَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا تَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى
فِي الدُّنْيَا جَزَاءً تِلْكَ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا وَبَطَلَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ لَا تَعْمَلُوا الْعَمَلِ اللَّهُ فَلَا تَجْزُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى هَذَا يَذْهَبُ
ابْنُ عَبَّاسٍ وَرَوَى فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّلَ مَا بَالَ الْعَبْدُ
الْمَعْرُوفَ بِالْخَيْرِ لَيْسَ دَعَاؤُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِالشَّرِّ يَهْوُلُ

عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَقَالَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ يَكُونُ لَهُ ذَنْبٌ فَجَازِي بِهَا عِنْدَ مَوْتِهِ
فَيُقْضَى إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَالْكَافِرُ يَكُونُ لَهُ الْحَسَنَاتُ فَجَازِي بِهَا
عِنْدَ الْمَوْتِ تَخَفَّتْ بِهَا عَنْهُ كَرِبَتِ الْمَوْتُ ثُمَّ لَمَعَتْ إِلَى الْآخِرَةِ وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَةٌ
أَوْ كَلَامٌ يَكُونُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ يَعْلَمُونَ أَعْمَالًا هُوَ فِي الظَّاهِرِ
صَالِحَةٌ لِحُجَّتِهِ تَصَدَّقُ عَلَى الْفَقَرَاءِ وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّرَفِ وَاتَّخَذَ الْقَنَاطِرُ وَالرَّجُلُ
يَقُولُ يَوْمَئِذٍ أَلَيْسَ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا لَا سَقَطَ مِنْهَا شَيْءٌ وَهُوَ مَا
وَسِعَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَحَتَّى أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ يَوْمَئِذٍ أَلَيْسَ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي تَرَدُّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمُ
الَّتِي عَمِلُوهَا فَلَا تَقْبَلُهَا وَيَكُونُ أَيْضًا أَعْمَالُهُمْ هُوَ ذِكْرُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَلِمُهَا
إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُمْ فِيهَا لَا يَحْسِبُونَ أَيْ لَا يَنْقُصُونَ مَا قَدَّرَ
لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ بِشَرِّهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ عَلَى هَذَا التَّوَالِي أَيْ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا النَّارُ فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَعَلَى التَّوَالِي الْأَوَّلَ الَّذِي قِيلَ أَنَّهَا فِي أَهْلِ الْإِيْيَانِ أَيْ لَا
يَسْتَوْجِبُونَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا مَرَّاتٍ إِلَّا النَّارَ لِأَنَّهُ إِذَا رَأَى فِيهَا
لَمْ يَحْضُرْهَا بِاللَّهِ وَصَنَعَ أَمْرَهُ وَكُلٌّ مِنْ صَنَعَ أَمْرَهُ وَاللَّهُ وَتَرَكَ فَرِيضَتَهُ لِيَسْتَوْجِبَ التَّعْذِيبَ
عَلَيْهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُ أَنْ شَاءَ وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ أَنَّهُ مُحَالَةٌ يُعْذِرُ بِهِمْ بِعِلْمِهِ
الْمَرَّاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَمِنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدًا
مِنْهُ قَوْلُهُ أَمِنْ حُوفَ تَقْتَضِي الْجَوَابَ لَكِنْ جَوَابُهُ هَهُنَا لَمْ يَخْرُجْ فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ
جَوَابَهُ أَنْ يَقُولَ أَمِنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ لَيْسَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَا قَالَتْ
أَمِنْ خَلَقَ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ وَكَقَوْلِهِ أَمِنْ يَعْلَمُ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَى لَا يَعْلَمُ فَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ أَمِنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ لَكِنْ الْجَوَابُ عِنْدَنَا عَلَى
وَجْهِ مَرَّةٍ بِالتَّصْدِيقِ وَهُوَ مِثْلُ مَا ذَكَرْنَا وَمَرَّةً يَكُونُ بِالْإِشَارَةِ وَمَرَّةً بِالْكَاتِبَةِ
عَلَى غَيْرِ تَصْدِيقٍ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ جَوَابَهُ مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا أَيْ كَانَهُ يَقُولُ أَمِنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزَيَّنَّهَا أَيْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ جَوَابَهُ فِيهَا تَأْخُرَ وَهُوَ فِي قَوْلِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ كَانَهُ يَقُولُ أَمِنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
أَيْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَقَالُوا أَجْزُونَ تَقْدِيرَ الْجَوَابِ وَتَأْخِيرَهُ هَذَا كَقَوْلِهِ أَمِنْ هُوَ قَائِلٌ
أَنَّهُ اللَّيْلُ سَجْدًا وَقَائِلٌ بِمَا يَجْزُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ لَمْ يَخْرُجْ لِهَذَا أَيْضًا

جواب التصريح واختلغوا في جوابه قيل جوابه فيما تأخّر في قوله قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون آمن هو قابت وصف الذين يعلمون فكانه يقول
افمن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من جعل جوابه في قوله واذا آمن الانسان صنو
دَعَارَ به مُنِيًّا اليه ثم اذا حو له نعمة منه لئلي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل
لله ان اذا يصل عن سبيله بل تمنع بكفر كقليل انك من اصحاب النار يقول
من جعل لله ان اذا وصل عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت
آناه الليل شاجدا وقارنا اي ليسا بسوا وقال متايل ليس الذي علي بيان
من ربه كالذي موعده النار والله اعلم وجاهز ان يكون علي طرح الالف فمن علي
بيته من ربه ويتلوه شاهد منه علي الاخبار لا علي الاستفهام فلا يقتضي جواب
الاستفهام ولكن يقتضي خبر المبتدأ وهو قوله اوليك يؤمنون به فهو تمام
اللامر كانه يقول فمن علي بيان من ربه اوليك يؤمنون به وقالت بعضهم علي بيته
من ربه اي علي دين من ربه كانه يقول امن كان علي دين من الله ويتلوه شاهد
منه اي يتلوا ما هو عليه من الدين شاهد منه كمن كان علي دين الشيطان ولا
شاهد له عليه وقالت بعضهم امن كان علي بيته من ربه اي علي برهان من ربه
ويتلوه شاهد منه علي ذلك كمن لا برهان له من ربه ولا حج ولا شاهد له علي ذلك
ثم قوله ويتلوه شاهد منه قال بعضهم اي جبريل او ملك غيره يتلوا عليه القرآن
وقال بعضهم يتلوه شاهد يعني لسانه وقيل يتلوه شاهد منه القرآن ثم قوله
افمن كان علي بيته من ربه يحتمل اصحاب عيسى الذين آمنوا به ومن قبله كتاب
موسى اصحاب التوراة الذين آمنوا به اوليك يؤمنون به اي هؤلاء الذين
آمنوا به هؤلاء هم الذين كانوا يؤمنون بمحمد وما جاء به قوله تعالى ومن
قبله كتاب موسى امانا ورحمة قيل فيه بوجه قيل اي ومن قبل القرآن
كتاب موسى جاء به جبريل الي موسى كما جاء بهذا القرآن امانا يقتدي
ورحمته لهم من العذاب ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القرآن كتاب موسى
التوراة امانا ورحمة فيها انباء هذا القرآن وانبا محمد انه رسول الله كقول مجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقوله يعبرونه كما يعبرون انبارهم وامثاله
وعين ابن عباس رضي الله عنهما قال كان كتاب موسى وهو التوراة امانا
يقتدي به وكان رحمة اوليك يؤمنون به قال اصحاب الذين آمنوا به من

اهل الكتاب وغيرهم ولحتمل اوليك يؤمنون به اي مؤمنين اهل التوراة
يؤمنون بالقرآن ويقتدون به كما آمنوا آمنوا بالتوراة واقتدوا بها
قوله تعالى ومن يكفر به اي يحسد ويحتمل اي بالذين الذي هو
عليه ويدعوهم اليه ويحتمل بالقرآن قوله تعالى من الاجزاب
الاجزاب الفرق والاضناف قوله تعالى فالتار وموعده اي النار
موعده ان مات علي ذلك فاما اذا استلم ومات علي الاسلام فلا يكون النار
موعده قوله تعالى فلا تك في مزية منه يحتمل الوجوه الثلاثة
التي ذكرنا من الدين والقرآن والنبي ثم النهي يحتمل هو نفسه ويحتمل
ان يكون الخطاب له والمراد غيره كما ذكرنا في قوله فلا تكونن من المشركين
وقوله فلا تكونن من المتبرين ويحتمل ذلك وقد ذكرنا ان العصاة لا يؤمنون
الامر والنهي لان بالعصاة يظهر موافقة الامر ومخالفة النهي والله اعلم
قوله تعالى انه الحق من ربك يحتمل القرآن ويحتمل الدين الذي
هو عليه ويحتمل هو نفسه الحق من ربه قوله تعالى ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ظاهر قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا
هو ما ذكرنا ان احدا اظلم علي نفسه من اخذ نفسه من معبوده وشغلها
في عبادة من لا يملك له نفعا ان عبده ولا ضرا ان ترك عبادة قال اهل
التاويل لا احد اظلم ممن افترى علي الله كذبا ومعناه لا احد افشس ظمنا ممن افترى
علي الله كذبا بعد معرفته ان جميع ما له من الله ويحتمل اي لا احد اظلم علي نفسه
ممن التي نفسه الظاهرة في عذاب الله ونقمته ابدأ بافترائه علي الله وبالله
العصاة والقوة قوله تعالى اوليك يعصون علي ربهم اي اوليك الذين
يعرضن اعمالهم علي انفسهم عند ربهم فان وافقت اعمالهم ما في شهادة خلقهم من
التوحيد لله والعبادة له شكروا لما انعم عليهم ادخلوا الجنة وان خالفت اعمالهم
شهادة خلقهم ادخلوا النار يعرضن اعمالهم علي انفسهم عند ربهم لان الله تعالى
عالم بما كان منهم من الاعمال والا توال ويحتمل ان يعرضوا علي انفسهم عند
ربهم علي ما وعد ربهم في الدنيا وعلي ما امر به في فان كان عملهم خيرا موافقا
لذلك يتركون الجنة والافتركون النار ثم يخجلون الذين اتقوا عن الشرك والله اعلم
ويحتمل ما هو ظاهر الاخرة اي يعرضون علي ربهم من غير غيبة منه عن جلالهم

وَحَتَمَ يَرْضُونَ عَلَى رُبِّهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ إِنْهُمْ إِنْهُمْ يُؤْمَرُونَ وَيَنْهَوْنَ وَيُحْتَنُونَ لَا تَنْفُسِهِمْ
وَلَمْ تَنْفَعِ أَنْفُسَهُمْ فَيَكُونُ عَذَابُهُمْ وَفَوَلَهُ عَلَى رُبِّهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَلَوْ تَرَى إِذْ
وَقَعُوا عَلَى رُبِّهِمْ إِيَّاهُ عِنْدَ رُبِّهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَيَقُولُ الشَّاهِدُ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رُبِّهِمْ اخْتَلَفَ فِيهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَلَّا شَهِدَهُمُ الرُّسُلُ
وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْأَشْهَادُ الْمَلَائِكَةُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ الْأَشْهَادُ
الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ قَالَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَهُوَ كَقَوْلِهِ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونُ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ وَكَقَوْلِهِ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ قَالَتْ
هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلِ الْإِلَهِ وَتَبَيَّنَ عِنْدَهُ وَقَوْلُهُ
إِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافُظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ وَخَوَهُ وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أَنَّهُ يَعْصِي أَعْمَالَهُمْ وَأَعْوَالَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ أَقْبَرُوا بِهَا يَبْعَثُوا إِلَى النَّارِ
وَإِنْ أَنْكَرُوا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ مَا ذَكَرَ مِنَ الشَّهَادَاتِ فَإِنْ أَنْكَرُوا يُقَالُ لَهُمْ أَقْرَأْنَا بِكَ
كِتَابَ نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَعِنْدَ ذَلِكَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُ رَحِمِ
كَقَوْلِهِ يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمُ السَّمْعُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمُ الْآيَةُ وَحَتَمَ أَنْ يَكُونَ الْمَلَائِكَةُ
يُبَادُونَ فِي مَلَأَةٍ مِنَ الْخَلْقِ فَتَلْ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
رُبِّهِمْ وَحَتَمَ مَا ذَكَرَ مِنْ شَهَادَةِ الدِّينِ كَانُوا مُوَكَّلِينَ بِكَلَامِهِ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ
يُخْبِرُونَ بِمَا كَتَبُوا مِنَ الْكِتَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى أَلْعَنَ اللَّهُ عَلَى
الظَّالِمِينَ قَالَتْ بَعْضُهُمُ اللَّعْنَةُ هُوَ الْعَذَابُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ هِيَ الطَّرْدُ عَنْ جَمِيعِ
الْمَنَافِعِ وَالْأَبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَنْ دِينِهِ وَفِي الْآخِرَةِ عَنْ ثَوَابِهِ
قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَجِهِينَ حَتَمَ
أَيُّ أَعْرَضُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَحَتَمَ أَيُّ صَرَفُوا النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَإِنَّمَا
يَتَّبَعُونَ ذَلِكَ بِالْمَصْدَرِ أَنَّهُ ارَادَ ذَاوُدَ إِيقَالُ فِي الْأَعْرَاضِ عَنْ نَفْسِهِ صَدَّ
يَصُدُّ صَدُّ وَذَلِكَ قَوْلُهُ يَصُدُّونَ عَنْكَ صَدُّ وَذَلِكَ فِي مَرَفٍ غَيْرِهِ صَدَّ يَصُدُّ
صَدَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَيَبْعَثُهَا عِوَجًا قَالَتْ بَعْضُهُمْ بَغَاةً عَلَى دِينِ اللَّهِ
بِأَجْوَرٍ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ يَبْعَثُ مِنَ النَّاسِ الْمِثْلَ عَنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى دِينِهِمْ فَذَلِكَ هُوَ
بَغْيُ الْعِوَجِ ثُمَّ كُلُّ سَبِيلٍ هُوَ غَيْرُ سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ عِوَجٌ وَبَغْيٌ كَانَهُ قَالَتْ يَبْعَثُ سَبِيلًا
غَيْرَ سَبِيلِ اللَّهِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعِجْزِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا

مَعِجْزِينَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ وَيُنْقِمْ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ وَالتَّالِي إِيَّاهُ أُولَئِكَ لَمْ
يَكُونُوا سَابِقِينَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَجَاءَ إِذَا كَانَ يَكُونُ
الْآيَةُ فِي الْآيَةِ مِنْهُمْ وَاجْتِبَاءَ بَرَةٍ خَيْرَ أَنْهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِينَ عَمَّا يُدِيرُهُمْ مِنْ
التَّعْذِيبِ لَهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
حَسِبُوا أَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ عِبُدُوا دُونَ اللَّهِ يَكُونُ لَهُمْ أَوْلِيَاءُ لَا يَكُونُ
هَؤُلَاءِ شُفَعَاءَ دُونَ اللَّهِ وَمَنْ تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُفْتِنَهُمُ اللَّهُ وَلَئِنْ كَانُوا لَا يُطِيعُونَ
فِي شَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَإِنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَكُونُونَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ أَوْلِيَاءُ عَلَى مَا طَعَّمُوا وَحَسِبُوا أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ
أَعْدَاءُ كَقَوْلِهِ وَإِذَا أَحْشَى النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا أَعْبَادَهُمْ كَافِرِينَ
وَأَمَّا لَهُ كَثِيرٌ وَحَتَمَ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ إِيَّاهُ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ
مِنْ الْخُذِّ وَامِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فَمَا يَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّاافِعِينَ وَقَوْلُهُ
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ وَقَوْلُهُ وَامِنْ دُونِ اللَّهِ
أَلْهَمَ لِيَكُونَ لَهُمْ عِزًّا كَلَّا إِيَّاهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا طَعَّمُوا وَقَالَتْ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا إِيَّاهُ صَارُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى يُضَاعَفُ
لَهُمُ الْعَذَابُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ
الَّذِينَ صَدَّ فَوَاللَّاسِ عَنْ دِينِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُهُمْ أَنْ يَضَاعَفَ لَهُمُ الْعَذَابُ
أَحَدُهُمَا لَمَّا صَدَّ عَنْ دِينِهِمْ وَالْآخَرُ لَمَّا صَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا
كَانُوا يَشْتَرِطُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانَ يُؤَيِّسُهُمْ وَالْآيَةُ بظَاهِرِهَا حُجَّةٌ عَلَى الْمُعْتَرِضِ
لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى عَنْهُمْ اسْتِطَاعَةَ وَالْبَصَرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ سَلَامَةَ الْجَوَارِحِ فَإِنَّمَا
مَوْجُودَةٌ فِي حَقِّهِمْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ نَفَى اسْتِطَاعَةَ الْفِعْلِ وَأَنَّهُمَا لَمْ يَكُنْ مَعَ
الْفِعْلِ وَاعْتَرَضَتْ الْمُعْتَرِضَةُ عَلَى التَّعْلُقِ بِالْآيَةِ وَقَالَتْ فِيهَا بَوَاجِهُنِ أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكُمْ فِي الْآيَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَرِطُونَ وَيُيَسِّرُونَ إِيَّاهُ لَا يَشْتَرِطُونَ السَّمْعَ
وَمَا كَانَ يُؤَيِّسُهُمْ وَنَحْوِ حَقِيقَةٍ فَيَكُونُ لَهُمَا اسْتِطَاعَةُ ذَلِكَ لَكِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ لَا يَشْتَرِطُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانَ يُؤَيِّسُهُمْ إِيَّاهُ مَا كَانَ يُؤَيِّسُهُمْ لَكِنْ اسْتِثْنَاءٌ مِنْهُمْ النَّظَرُ
إِلَيْهِمْ وَالسَّمْعَ لِكَلَامِهِمْ وَهُوَ كَمَا يُقَالُ الرَّجُلُ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ وَلَا اسْتَطَاعَ
أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ وَهُوَ نَظَرُ إِلَيْهِ وَالسَّمْعَ لِكَلَامِهِ فَعَلِيَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ كَانُوا يَشْتَرِطُونَ
وَيُيَسِّرُونَ لَكِنْهُمْ كَانُوا اسْتِثْنَاءً مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَالسَّمْعَ لِكَلَامِهِمْ فَعَلِيَ ذَلِكَ عَنْهُمْ

وَاللهُ اعْلَمُ وَالْثَانِي اَيُّ كَانِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَمَا اخبرناهم منهم بكم عَمِّي
كَانُوا اِيْتِصَامُونَ وَيَتَعَامُونَ الْحَقَّ فَتَقُولُ يَا اللهُ التَّوْفِيقُ مَا ذَكَرُوا مِنْ التَّأْوِيلِ
لَا يَبْصَحُ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْرُدْ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ حَقِيقَةَ
السَّمْعِ وَالْبَصَرِ كَمَا قُلْتُمْ وَلَكِنْ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ بِسَمْعِ الرَّحْمَةِ
وَلَا الْمَنْظَرَ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَالْقَبُولِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمْ حَقَّ السَّمْعِ وَالْقَبُولِ
وَلَا يَنْظُرُونَ بِالْهَيْئَةِ الرَّحْمَةِ وَالْمَنْظَرِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
فَنَفِي اللَّهِ لَهُمْ هَذِهِ الْأَسْتَطَاعَةُ وَالْثَانِي عَمَلُ سَمْعِ الْقَلْبِ وَبَصَرِ الْقَلْبِ
كَقَوْلِهِ فَإِنَّهَا لَا تَقْبَلُ إِلَّا بِصَارٍ وَلَكِنْ تَقْبَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وَهَذِهِ الْأَسْتَطَاعَةُ
الْأَسْتَطَاعَةُ الْفَعْلُ لَا اسْتَطَاعَةَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ جَوَارِحَهُمْ سَلِيمَةٌ صَحِيحَةٌ فَذَلِكَ أَنَّ
الْأَسْتَطَاعَةَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْفِعْلُ مَعَ الْفَعْلِ وَاصْلُهُ عِنْدَنَا مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَالْمَكْتَسِبَ وَالْبَصَرَ الْمَكْتَسِبَ وَمَا ذَكَرَ الْمُرَادُ مِنْهُ السَّمْعُ الْمَكْتَسِبُ وَالْبَصَرُ
الْمَكْتَسِبُ فَإِنَّ الْبَصَرَ فِي الْآخِرَةِ وَالسَّمْعَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِسَبَبِ السَّمْعِ
وَالْبَصَرِ فِي الدُّنْيَا أَيْ بِاسْتِعْمَالِ ذَلِكَ قَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ فِي الْآخِرَةِ لِسَبَبِ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا
إِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَى وَجْهِهَا يَكْتَسِبُ بِهَا الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ فَإِنَّهَا وَضِعَتْ لَا كَتَسَابٍ بِنَلَكِ
الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ خِلْقَتَا فِي الدُّنْيَا لِيَكْتَسِبَ بِمَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ فِي
الْآخِرَةِ وَاللهُ اعْلَمُ وَعَيْنُ الْحَسَنِ أَنَّهُ سَيَلَّ عَنْ قَوْلِهِ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ
وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ قَالَتْ هُوَ كَقَوْلِهِ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِكِ
وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا إِذَا سَمِعُوا الرَّجَى تَقَنَّعُوا فِي شَأْنِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ
لَمَّا نَبَحَ حَتَّى مَنَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَفِي حَرْفِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُضَاعَفُ لَمْ الْعَذَابُ
بِمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَفِي حَرْفِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ بِالْوَاوِ وَحَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ظَاهِرٌ تَأْوِيلُهُ أَيْ يُضَاعَفُ لَمْ الْعَذَابُ بِمَا
كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ فَلَمْ يَسْمَعُوا عَذَابًا وَابْطَأَ وَاللهُ اعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
أَوَّلِيكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَبِعِبَادَتِهِمْ غَيْرُ مَعْبُودٍ
الَّذِي مِنْهُ كَانَ جَمِيعُ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ وَمَا لِحَقِّمْ بِذَلِكَ مِنَ الذَّلِيلِ وَالصَّغِيرِ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ
فَالْعَذَابُ وَالْهَوَانُ الدَّائِمُ بَدَلًا عَنِ النِّعَمِ الدَّائِمَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ أَيْ يَهْلُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ هُوَ لَا شَفْعًا وَنَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لِبِقَرَةِ بَنِي إِسْرَافِيلَ وَأَمَّا لَهُ وَاللهُ اعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَقَالَتْ أَبَوْعُو سَجَّةً لَاجِرًا وَاجِبٌ
مِنَ الْكَلَامِ أَيْ لِحَقِّ أَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَقَالَتْ الْفَرَّارَةُ قَوْلُهُ لَا
جَزَاءَ لَهُمْ أَيْ لَا يَدْرِي لَكِنَّ النَّاسَ أَكْثَرُ وَاسْتَعْمَالُهُ فَعَارِزِينَ مَتَّعَارِفَهُمْ حَقًّا وَلَكِنْ
نَقُولُ أَنَّ الْقَوْلَيْنِ يَرْجِعَانِ إِلَى وَاحِدٍ لَا نَمَّا كَانَ لَا بُدَّ مِنْهُ فَهُوَ حَقٌّ ه
قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ
أَمْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تَأْوِيلُهُ وَاللهُ اعْلَمُ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَمَعَ مَا
أُتِيَ عَلَى رُسُلِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلِزِمُوا ذَلِكَ حَتَّى صَارُوا إِلَى اللَّهِ أُولَئِكَ
أَمْحَابُ الْجَنَّةِ إِذَا مَطْلُقُ الْوَعْدِ فِي هَؤُلَاءِ لَا فِي مَطْلُقِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
الْأَمِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى أَيْ مِنْ الشُّكْرِ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اهْتَدَى أَيْ لَزِمَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى هَكَذَا فَعَلِيَ ذَلِكَ
الْأَوَّلُ وَاحْتَمَلَ ثُمَّ اهْتَدَى سُنَنَ الَّذِينَ أُولَئِكَ كَذَا ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِ وَاخْتَبَتُوا
إِلَى رَبِّهِمْ قَالَتْ بَعْضُ الْأَخْبَاءِ التَّخَشُّعُ وَالتَّوَضُّعُ أَيْ يَخْشَعُونَ وَتَوَضَّعُوا
فَرَقَاهُمْ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ اخْتَبَتُوا أَيْ اطْمَأَنَّنُوا عَلَى ذَلِكَ وَقَالَتْ ابْنُ عَبَّاسٍ اخْتَبَتُوا
خَافُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَقَالَتْ الْقَتَبِيُّ اخْتَبَتُوا أَيْ تَوَضَّعُوا لِرَبِّهِمْ وَقَالَتْ الْأَخْبَاءُ
التَّوَضُّعُ وَقَالَتْ أَبَوْعُو سَجَّةً لَاجِرًا وَالتَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالْمَخْبِتُ التَّائِبُ
وَبَعْضُ هَذَا أَقْرَبُ مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ اعْلَمُ وَمِنَ الْأَخْبَاءِ هُوَ التَّوَضُّعُ وَالتَّخَشُّعُ
مَعْنَاهُ أَيْ تَوَضَّعُوا وَخَشَعُوا بِالْإِجَابَةِ إِلَى مَا دَعَا هُمْ إِلَيْهِ رَبِّهِمْ وَنَدَبَهُمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ هَلْ لِيُسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَيْ مَثَلُ الصَّنْفَيْنِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمَا وَصَفَاهَا وَهُوَ قَوْلُهُ مَنْ كَانَ يَرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا الْآيَةُ هُوَ وَصَفَ الْكَافِرَ وَالْفَاسِقَ الْآخِرَ قَوْلُهُ مَنْ كَانَ
عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ وَهُوَ وَصَفَ الْمُؤْمِنَ وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ وَصَفَ الْكَافِرَ
مَا ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يَعْرِضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ
إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَالْفَرِيقُ الْآخِرُ مَا ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ الْآيَةُ هَذَا وَاللهُ اعْلَمُ الْفَرِيقَانِ ضَرْبٌ
مِثْلُهُمَا بِالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ وَجْهٌ ضَرْبٌ مِثْلُ الْكَافِرِ بِالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى
وَالْمُؤْمِنِ بِالْبَصِيرِ وَالْبَصَرِ هُوَ وَاللهُ اعْلَمُ أَنَّ الْكَافِرَ أَعْمَى الْقَلْبَ وَاحْتَمَلَ السَّمْعَ لَمْ يُبْصِرْ

مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الْمَوْعُودِ وَلَمْ يَسْمَعْ مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الْمَوْعُودِ إِنَّمَا ابْصُرُوا هَؤُلَاءِ
الْأَمْرَ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا سَمِعَ ظَوَاهِرَ الْأَمْرِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْغَائِبِ مِنَ الْمَوْعُودِ كَمَا سَمِعَ
ذَلِكَ وَهُوَ لَمْ يَخْلُقْ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ خَاصَّةً إِنَّمَا خَلَقَ لِمَا وَعَدَ وَأَوْعَدَنِي الْغَائِبِ
وَالْمُؤْمِنِ أَبْصَرَ ذَلِكَ الْغَائِبِ وَسَمِعَ مَا غَابَ مِنَ الْمَوْعُودِ فَكَانَ يَقُولُ كَمَا لَمْ
يَسْتَوْعِدْكُمْ فِي الظَّاهِرِ الْبَصِيرِ وَالْأَعْمَى وَالسَّمِيعَ وَالْأَسْمَعَ لَمْ يَسْتَوْعِدْكُمْ كَمَا نَظَرْتُ
الْقَلْبَ بِمَا غَابَ بِصِيرِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ عِنْدَنَا وَكَذَلِكَ لَمْ يَسْتَوْعِدْكُمْ مِنْ هَوَاكُمْ مَنْ كَانَ
سَمِيعًا بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَيْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِنَّمَا
لَا تَسْتَوِينَ أَوْ نَقُولُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَيْ أَفَلَا تَتَفَعَّلُونَ بِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَتَذَكَّرُونَ
عَمَّا تَنْهَوْنَ عَنْهُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ الْآيَةُ وَجُوهٌ مِنْ الْأَسْوَاحِ أَحَدُهَا
أَنْ يَقَالَ كَيْفَ وَالثَّانِي يَقُولُونَ أَنْ لَنَا بَصَرٌ أَوْ سَمْعًا لَيْسَ بِنَا صَمٌّ وَلَا أَعْمَى
بَلْ أَنْتُمْ الْغَيَّانُ وَالصَّمُّ وَالثَّلَاثُ كَيْفَ ذَكَرَ الْمَثَلُ وَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ وَلَا يَنْظُرُونَ
فِي الْمِثْلِ وَلَا يَتَفَتَحُونَ إِلَيْهِ فَايْتِ فَآيَةُ لَصَرْبِ الْمَثَلِ وَالْجَوَابُ عَنْ الْأَوَّلِ
مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهَا أَنْ يَقَالَ إِنَّهُ إِنَّمَا أُجِيجَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ شَرُّوا الْكِتَابَ بَصَرِ
الْآخِرَةِ وَالْكِتَابَ سَمِعَ الْآخِرَةَ فَتَنِي عَنْهُمْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْحَيَاةَ لِأَنَّهُ بِالْبَصِيرِ
الَّذِي خَلَقَ لَهُمْ مَا يَكْتَسِبُ صَاحِبُهُ بِهِ بَصَرًا فِي الدِّينِ وَسَمْعًا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَحَيَاةً
الَّذِينَ فِيكَوْنُ بِذَلِكَ مَكْتَسِبًا الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ وَالْبَصَرَ الدَّائِمَ فَيَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ
بَصَرًا أَوْ سَمْعًا أَحْيَاءَ كَقَوْلِهِ اسْتَخْبِئُوا اللَّهَ وَلِلَّهِ سُلُوكُ أَزْدَادِكُمْ لَمَّا جِئْتُمْ وَالثَّانِي
إِنَّمَا بَقِيَ عَنْهُمْ هَذِهِ الْخَوَاسِ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا لَئِنْ هَذِهِ الْخَوَاسِ إِنَّمَا أَنْشِيتَ لَهُمْ
وَخَلَقْتَ لِيَنْتَفِعُوا بِهَا انْتِفَاعًا أَرِيدُ بِأَنْشَائِهَا فَإِذَا تَذَكَّرُوا الْانْتِفَاعَ بِهَا جَعَلَ كَأَنَّهُ
لَيْسَتْ لَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ الثَّانِي وَقَوْلُهُمْ إِنَّا بَصَرًا أَوْ سَمْعًا
وَأَنْتُمْ الْغَيَّانُ وَالصَّمُّ أَنْ يَقَالَ لَهُمْ أَنْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ فَقَدْ
اسْتَفْعَلُوا بِالْكَفْرِ فِيمَا قَرَعَ أَسْمَاعَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّظُرِ فِيهَا وَأَنْتُمْ لَا تَبْلُغُونَ تَعَالِيَتُمْ
عَنْهَا وَتَصَامَتُمْ فَذَلِكَ تَفَكُّرُهُمْ وَنُظُرُهُمْ فِيهَا عَلَى أَنَّهُمْ بَصَرًا أَوْ سَمْعًا أَحْيَاءَ وَأَنْتُمْ
يَا أَهْلَ الْكُفْرِ الْعَمِيُّ وَالصَّمُّ الْأَمْوَاتُ وَالثَّانِي مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ إِنَّمَا نَزَلَتْ
فِي حَاجَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ لَمْ يَكُنْ نَوَاجِلًا وَلَا عُلَمَاءَ وَهُمْ كَانُوا يَقْلُدُونَ
آبَاءَهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنُوا بَصَرًا وَلَا سَمْعًا وَلَا أَحْيَاءَ كَمَا ادَّعَوْا فَصَارُوا صَمًّا
عَمِيًّا أَمْوَاتًا وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ الثَّلَاثِ إِنَّهُ ذَكَرَ الْمَثَلُ لَمْ يَلَمْ عَلَى عِلْمِ مِنْهُمْ

أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ الْمَثَلُ وَلَا يَنْظُرُونَ مِنْ وَجْهِ أَحَدٍ هَذَا أَنْ مَا ذَكَرَهُ الْأَهْلُ
الْإِسْلَامَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَفَكَّرُونَ فَيَتَعَفَّلُونَ بِهِ وَالثَّانِي أَنْ ذَكَرَ
الْمَثَلُ رُبَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى النَّظَرِ فِيهِ وَالتَّفَكُّرِ وَالثَّلَاثُ فِيمَا دَلَّاهُ الْبَعْثُ وَذَلِكَ
لِأَنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَا أَوْهُمْ وَقَدْ اسْتَوْوَا بِمَا ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي
الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ التَّفَرُّقَ بَيْنَهُمَا فَبَدَّتْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ دَارِ اخْتِلَافٍ بَعْدَ
بَيْنِهِمَا وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ اخْبِرْ
إِنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ ثُمَّ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا رِسَالًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَكَذَلِكَ
قَالَ فِي حَقِّ رُسُلِنَا لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ بِجِئْتِهِ مِنْ مَكَانٍ
إِلَى مَكَانٍ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَجِيءِ إِلَّا نَقْلًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى
مَكَانٍ فَبَطُلَ بِهَذَا اتِّفَاقُ الْمُجْتَمَعِ بِالْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْمَجِيءَ وَالْإِتِّفَاقَ
إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤَادَ بِالْمَجِيءِ إِلَّا نَقْلًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لَا مُحَالَةَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ
قَوْلُهُ تَعَالَى إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَيْ نَذِيرٌ لِمَنْ عَمِيَ بِالنَّارِ وَبَعْقَابِهِ بَيْنَ
الْأَنْذَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أَيْ لَا تَجْعَلُوا عِبَادَتَكُمْ إِلَّا
لِمَعْبُودٍ هُوَ مُعْبُودٌ بِشَهَادَةِ خَلْقِكُمْ لِأَنَّهُ خَلَقَكُمْ تَذَلَّتْ وَتَشَهَّدَتْ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ
لِلْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ دُونَ مَنْ يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَحَتَّى تَقُولَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أَيْ وَحْدَهُ وَاللَّهُ لَا تَشْرِكُ كَوَامَعَهُ غَيْرُهُ وَلَا تُضَرُّهُ أَلَا لَوْ هَيَّئَتْ
وَالْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلَهُ
جَعَلَ الْإِلَهَ نَفْسًا لِلْيَوْمِ لَا نَفْسًا لِلْعَذَابِ حَيْثُ أَعْرَبَهُ بِأَعْرَابِ الْيَوْمِ دُونَ أَعْرَابِ
الْعَذَابِ فَكَيْفَ يَكُونُ الْيَوْمُ إِلَهًُا وَلَا تَوْفًا لِكَلِمَةِ اللَّهِ أَعْلَمُ إِنَّمَا أَضَافَ الْيَوْمَ إِلَيْهِ
يَوْمًا وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَاللَّيْلَ لَا يَسْكُنُ لَا يُوصَفُ بِهِ لَكِنْ يُسَكَّنُ فِيهِ
وَكَذَا قَالَ وَالنَّهَارُ مَبْصَرًا وَالنَّهَارُ لَا يَبْصُرُ وَلَكِنْ يُبْصَرُ فِيهِ فَعَلَى ذَلِكَ الْأَوَّلِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَيْنَ أَنْ خَافَ عَلَيْهِمْ وَخُوفَ الْمَوْتِ فِي غَيْرِهِ لَا يَكُونُ
خُوفًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ فِي غَيْرِهِ لَا يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ وَجَاءَ وَإِنَّمَا يَكُونُ
فِي حَقِّ نَفْسِهِ خُوفًا وَرَجَاءًا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَّا يَلْقَاهُ صَدْرُ نَفْسِهِ أَنْ حَلَّ بِهِ ذَلِكَ
وَيَلْقَاهُ نَفْسُ الرِّجَاءِ وَأَمَّا فِي غَيْرِهِ لَا يَلْقَاهُ صَدْرُ رَأْيٍ حَلَّ ذَلِكَ فِيهِ وَلَا يَنَالُ النِّفْعَ
مِنَ الرَّجَاءِ إِنْ نَالَ ذَلِكَ الْغَيْرَ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَيْفَ يَكُونُ مَثَلُ هَذَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
لَكِنْ يَخْرُجُ هَذَا عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْخُوفِ هَهُنَا هُوَ الْعِلْمُ بِإِنِّي

أَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْزِلُ بِكَ الْعَذَابَ إِذَا لَمْ تَتُوبُوا وَهُوَ كَقَوْلِهِ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ آيٍ عِلْمُ
وَقَوْلِهِ فَإِنْ خِفْتُمْ الْآيَةَ حُدِّدَ إِلَهُ آيٍ فَإِنْ عِلْمُ أَنْ يَضِيْعَ أَحَدٌ وَدَالَهُ
وَالثَّانِي خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ اسْتِغْفَارًا مِنْهُ لِأَنَّهُ خَلَقَ جَبِلًا عَلَى النَّاسِ مَا يَحِلُّ
مِنْ الْإِلَامِ بغيرِهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي ذِي شَيْءٍ بَعْضٌ أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ فِي عَيْنِهِ وَإِلَهُ أَعْلَمُ
فَإِنْ قِيلَ يَنْزِلُ فِي الْخَوْفِ وَجَاءَ فِي الرِّجَاءِ خَوْفٌ لِأَنَّهُ خَوْفٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ رَجَاءٌ فَهُوَ
إِيَّائِي وَالرِّجَاءُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَوْفٌ فَهُوَ مِنْ نَقْدٍ قَالُوا أَنْ لَا تَقْبَلُوا إِلَّا إِلَهُ
إِيَّائِي خَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا وَالْعَذَابُ فِي حَقِّ الْكُفْرَةِ
مُتَيَقَّنُ الثَّبُوتِ لَيْسَ فِيهِ رَجَاءٌ الْعَفْوُ فَكَيْفَ ذَكَرَ بِلَفْظَةِ الْخَوْفِ وَيُلْغِي عَنْ هَذَا
مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْعِلْمُ وَالثَّانِي أَنَّهُ قَالَ فِي وَقْتٍ
لَمْ يَكُنْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِمْ بَلْ عَلَى رَجَاءٍ الْإِيمَانُ مِنْهُمْ وَمَعَ رَجَاءِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ لَمْ يَنْبَغِ
الْقَوْلُ بِالْعَذَابِ فِي حَقِّ مَنْ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ إِيَّائِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ سَلَا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
قِيلَ الْمَلَأَ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَإِيَّتَهُمْ وَقَوْلُهُ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا
وَهَكَذَا قَالَ كُلُّ قَوْمٍ لِرَسُولِهِمُ الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَهُهُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَهَذَا
كَانَ احْتِجَاجًا مِنْهُمْ فِي رَدِّ الرِّسَالَةِ بِحُجَّتِهِمْ عَلَى الرِّسْلِ فَيَقُولُونَ
أَنْ الرِّسْلَ فِي الشَّاهِدِ أَنَّهُمْ يَجِئُونَ مِنْ عِنْدِ الْمُرْسَلِ وَأَنْتُمْ تَنْشَأُونَ بَيْنَ
أَخْبَرْنَا لَمْ تَأْتُوا مِنْ عِنْدِ أَحَدٍ فِي الظَّاهِرِ وَالرِّسْلُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي مِنَ
عِنْدِ غَيْرِهِ وَكَذَا يَكُونُ لِلرِّسْلِ خُصُوصِيَّةٌ عِنْدَ الْمُرْسَلِ وَلَا تَرَى لِكُلِّ خُصُوصِيَّةٍ
لَا فِي الْخَلْقَةِ وَلَا فِي الْقُدْرَةِ وَلَا فِي الْمَالِ وَغَيْرِهَا فَكَيْفَ بَعَثْتُمْ إِلَهُكُمْ رِسْلًا
دُونَ أَنْ تَبْعَثُوا إِلَيْكُمْ رِسْلًا أَدْنَى وَأَنْتُمْ فِي الْخَلْقَةِ وَفِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ
سَوَاءٌ وَكُنْ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ هَذَا أَكَلَهُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْإِلَهَ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمْسُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا قَالَ لَهُمْ نُوحٌ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِ إِيَّائِي عَلَى بَيِّنَةٍ وَبَرَّهَانٍ عَلَى مَا
أَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ غَيْرِي مِثْلَ هَذَا حُجَّتُ عَلَيْهِمْ فَيَقَالُ لَهُمْ أَنْكُمْ لَا تَرَوْنَ
فَضْلَ اللَّهِ وَتَخْصِيصَهُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ لِمَا جَعَلَكُمْ أَيْمَةً وَرُؤُسًا فِي أُمُورِ
الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِكُمْ فَكَيْفَ تَنْكُرُونَ فَضْلَ اللَّهِ وَتَخْصِيصَهُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ لِعِصْلِ
الدِّينِ وَالرِّسَالَةِ لَكِنْ مِنْ عَادَةِ الْكُفْرِ أَنَّهُ مَتَى لَزِمَتْهُمُ الْحُجَّةُ وَاقْتَمَ عَلَيْهِمُ الْبَرْهَانُ

بِحُجَّتِهِ لَا يَكُنْ دَفْعُ ذَلِكَ نَسْبًا إِلَى الرِّسْلِ إِلَى السَّحْرِ فَقَالُوا أَنَّهُمْ بَشَرٌ
مِثْلُنَا عَلَى طَرِيقِ الْعِنَادِ وَالْمَكَابِرَةِ وَاللَّهُ الْهَادِي وَقَوْلُهُ وَمَا تَرَاكَ
أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بِأَدْيٍ الرَّايِ احْتِجُوا بَيِّنَاتٍ فِي رَدِّ الرِّسَالَةِ
فَقَالُوا إِنْ أَرَادَ الْإِلَهُ هُمْ أَتَبَعُوا لِكُلِّ مَنْ دَعَا هُمْ وَأَهْلُ طَاعَةٍ لِكُلِّ مُتَّبِعٍ
فَلَيْسَ فِي أَتَبَاعِ الْإِلَهُ وَالضَّعْفُ إِيَّاكَ دَلَالَةٌ ثَبُوتِ رِسَالَتِكَ إِذَا هُمْ
يَتَّبِعُونَ بِلَادَ لَيْسَ وَحُجَّةٌ وَهُمْ مَزُوعٌ وَأَتَبَاعٌ لِلْأَعْيَارِ وَلَمْ يَتَّبِعَكَ أَحَدٌ
مِنَ الْأَصُولِ وَكَذَلِكَ قَالُوا أَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَنْ كَانَ بِأَدْيٍ الرَّايِ إِيَّائِي
خَفِيفُ الرَّايِ ظَاهِرُ الرَّايِ لَمْ يَعْرِضُوا حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَلَكِنْ يَقَالُ
لَهُمْ أَنْ هُوَ لَا أَرَادَ لِمَا أَتَبَعُوا الرِّسْلَ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْإِيمَةَ وَالرُّؤُسَةَ
الَّذِينَ مَعَهُمُ الدُّنْيَا وَالْأَمْوَالُ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَيْدِي الرِّسْلِ ذَلِكَ تَمَّ تَرْكُ أَتَبَاعِ
أَوَّلِيكَ وَفِي أَيْدِيهِمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَأَتَبَعُوا الرِّسْلَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَنَّهُمْ أَتَبَعُوا
الرِّسْلَ بِالْحُجَّةِ وَالْبَرِّهَانِ الَّتِي أَقَامُوا عَلَيْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالْإِلَهُ
قِيلَ هُمُ السَّعْفَةُ وَالضَّعْفُ قَالَتِ الْقَبِيلَةُ إِذَا لَنَا أَشْرَارٌ نَادَوْا قَوْلَهُ
بَادِي الرَّايِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ ظَاهِرُ الرَّايِ إِيَّائِي خَفِيفُ الرَّايِ لَا يَعْرِضُونَ حَقَائِقَ
الْأُمُورِ أَنَّهُمْ يَعْرِضُونَ ظَوَاهِرَهَا هَذَا اقْتِرَافٌ مِنْ مَتَارِيفِ غَيْرِهِمْ مِنْ بَدَا
يَبْدُو إِيَّائِي ظَهَرَ وَقَدْ بَادِي الرَّايِ بِالْهَمْزِ وَهُوَ مِنَ الْبِدَايَةِ وَالْإِبْتِدَاءِ
إِيَّائِي فِي أَوَّلِ الرَّايِ وَابْتِدَائِهِ لَا يَنْظُرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَقَوْلُهُ وَمَا تَرَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ يَحْتَمِلُ هَذَا إِيَّائِي فَضْلًا فِي الْخَلْقَةِ أَوْ فِي مَلِكٍ أَوْ فِي مَالٍ
وَلَا فِي شَيْءٍ وَلَكِنْ جَوَابُ هَذَا مَا ذَكَرْنَا قَوْلَهُ وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِ
عَلِيِّ مَا ذَكَرْنَا تَقْدِيرَهُ وَقَوْلُهُ بَلْ بَطْنُكُمْ كَاذِبِينَ هَكَذَا عَادَةُ الْكُفْرِ يَرُدُّونَ
دَلَالَاتِ الرِّسْلِ وَالحُجَّتُ بِالظَّنِّ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِ إِيَّائِي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي أَوْ عَلَى
حُجَّةٍ مِنْ رَبِّي وَبَرَّهَانٍ بَيْنَا أَتَانِي رَحْمَةٌ إِيَّائِي النُّبُوَّةُ لَا يَكُونُ كَانُوا يَنْكُرُونَ
رِسَالَتَهُ لِأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ فَكَيْفَ هُوَ خَصَّ بِهِادُونَنَا وَهُوَ مِثْلُنَا فَقَالَ وَأَتَانِي
رَحْمَةٌ إِيَّائِي النُّبُوَّةُ وَأَتَانِي الْيَقِينُ عَلَى ذَلِكَ بَيِّنَةٌ وَحُجَّةٌ وَلَوْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَوْضِعًا
لِلرِّسَالَةِ فَلَهُ ذَلِكَ وَحُجَّتُ الدِّينِ الَّذِي أَمْرًا بِأَدْيٍ الرَّايِ وَحُجَّتُ
حَقِيقَةِ الرَّحْمَةِ إِيَّائِي وَأَتَانِي النُّبُوَّةُ مِنْ عِنْدِهِ فَضْلًا وَرَحْمَةً كَمَا قَالَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَمُنْ عَلَى مَنْ يَنْشَأُ مِنْ عِبَادِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ قُرْبَىٰ بِالشَّدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فَمَنْ قَرَأَ
بِالشَّدِيدِ فَعَمِيَتْ يَرْجِعُ إِلَى الْإِتْبَاعِ وَالسَّفَلَةِ أَيَّ عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْقَادَةُ وَالرُّسُلُ
وَالْبَشَرُ وَمَنْ قَرَأَ بِالْخَفِيفِ يَرْجِعُ إِلَى الْقَادَةِ أَيَّ عَمِيَتْ وَالتَّبَسُّطُ عَلَى الْقَادَةِ
وَالرُّسُلِ وَنَادَى قَوْلَهُ تَعَالَى أَنْذَرْتُكُمْ هَآئِذَا أَفْجَاهَا عَلَيْكُمْ وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ ابْنُ
أَتَاهَا إِيَّاكُمْ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالنَّبِيُّ وَالَّذِي كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى لَا تُوجِبُ عَلَيْكُمْ
وَلَا أَنْذَرْتُهَا وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ لَهَا بِالْحُجَّةِ وَبِرُهَا بِمَشِيئَتِهِمْ أَمَّا بَيْنَكُمْ وَلَكِنْ نَدْعُوكم إِلَيْهِ
بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ وَتَعَالَى قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ
عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَوْ عَلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى مَا أَدْعِي مِنَ الرِّسَالَةِ أَوْ عَلَى
الَّذِينَ الذِّكْرُ أَدْعُوكم إِلَيْهِ إِنْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا فَلِمَاذَا تَعْرِضُونَ هَهُنَا
أَدْعُوكم إِلَيْهِ وَاقْبَلْتُمْ مِنْكُمْ لِيَكُونَ لَكُمْ الْإِحْتِجَاجُ أَوْ عَلَى الْإِعْتِزَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
حُجَّةً وَهُوَ كَقَوْلِهِ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ إِنْ لَا يُبَيِّنْ لَكُمْ أَجْرًا
عَلَى مَا يُلْفِظُهُ إِيَّاكُمْ وَيَدْعُوكم إِلَيْهِ فَمَنْعَكُمْ ثَقُلَ ذَلِكَ الْعِزْمُ عَنْ أَجَابَتِكُمْ إِيَّاهُ
فَعَلَى ذَلِكَ الْآوَلُ ذَكَرَ هَذَا لِأَنَّ مَا يُلْفِظُ الْإِنْسَانُ مِنَ الضَّرَرِ وَبِمَا يَنْفَعُ
عَيْنَ الْإِدْعَاءِ لِلْحَقِّ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِوَفَايَةِ أَوْ مَبْنَعِهِ عَنِ التَّائِيلِ فِيهِ
فَلَا يَتَيَّنُّ لَهُ الْحَقُّ وَالْبَاقِي إِنْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أَدْعُوكم رَغْبَةً فَيَمُنْ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ
الْأَمْوَالِ أَوْ لِمَنْفَعَةٍ نَفْسِي بَلْ إِنَّمَا أَدْعُوكم إِلَى مَا أَدْعُوكم إِلَيْهِ لِمَنْفَعَةٍ أَنْفُسِكُمْ لِيَلَا
يَكُونَ لَكُمْ الْإِحْتِجَاجُ وَالْإِعْتِزَارُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حُجَّةً وَهُوَ كَقَوْلِهِ لِيَلَا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ لَيْسَ عَلَى اللَّهِ إِذَا سَأَلْتُمُوهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا لَكُنْ لَهُمْ عِزْرٌ
فِي رَدِّ ذَلِكَ وَتَرَكَ الْجَابِيَةَ لَهُ إِذْ لَيْتَهُ تَعَالَى أَنْ يَكْفِيَهُم بِالْإِجَابَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ
بِالْمَالِ وَبَعِيرِ الْمَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ أَجْرُكَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ إِنْ مَا آخِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ
فِي ذَلِكَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا يَتَذَكَّرُ فِيهَا دَلَالَةً
أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَأَلُوا رُسُلَهُمْ أَنْ يَخْذَلَهُمْ مَجْلِسًا عَلَى حِدَةٍ وَفَعَدَّ لَهُمْ ذَلِكَ دُونَ
الْأَرْضِ وَالضُّعْفَاءُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَتَطْرَدُ الضُّعْفَاءُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فِي حَقِّ رُسُلِنَا
وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ الْآيَةِ وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي
قَوْلِهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مَا أَنَا بِالَّذِي لَا أَقْبَلُ الْإِيمَانَ مِنَ الْإِرْدَالِ
وَالضُّعْفَاءِ عِنْدَكُمْ بِقَوْلِهِمْ مَا نَرِيكَ ابْتِغَاءَ الْأَرْضِ ذَلِكَ ظَاهِرًا وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ
فَلَيْسَتْ أَعْلَى ذَلِكَ وَلِذَلِكَ قَالَ لِلَّذِينَ تَوَدُّرِي أَغْنِيكُمْ كُنْ تَوَيْتُمْ خَيْرًا اللَّهُ اعْلَمْ

بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ يَعْنِي بِمَا فِي قُلُوبِ السَّفَلَةِ فَمَقُولٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ
آمَنُوا اللَّهُ اعْلَمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ مَلَأُوا أَرْهَامَهُمْ حَسَدًا وَجْهَيْنِ أَحَدَهُمَا
أَيَّ إِيَّاهُمْ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ فَيَسْتَكُونُ مَعِيَ إِلَيْهِ فِي رَدِّ إِيَّاهُمْ وَتَحْصِيئِهِمْ فِي ذَلِكَ
وَيُطْلَبُ لِيُؤْنَسَ فِي طَرْدِهِ إِيَّاهُمْ وَالثَّانِي أَنَّهُمْ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ بِإِيَّاهُمْ ظَاهِرًا
كَانَ أَوْ بَاطِنًا فِي أَيِّ حَالٍ كَانُوا أَيْلَافُونَ رِبِّهِمْ فَجَزَّاهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ
إِنْ حَسَبْتُمْ أَنْ لَا تَكُونُوا تَحْشُرُونَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ إِنْ أَرَأَيْتُمْ أَنْ تَحْشُرُونَ
يَحْشُرُونَ تَحْشُرُونَ مَا أَدْعُوكم إِلَيْهِ وَتَحْشُرُونَ فِي قَوْلِكُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا آمَنُوا وَابْتِغَوْا ظَاهِرًا
لَا حَقِيقَةً إِذْ لَا وَتَوَفَّى عَلَى السَّيْرِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَتَحْشُرُونَ مَا يُلْحِقُنِي فِي طَرْدِهِمْ
قَوْلُهُ تَعَالَى يَا قَوْمِ مَنْ يَنْفُرْ مِنْ اللَّهِ أَنْ طَرَدْتُمْ إِيَّاهُ مِنْ مَعْنَى مَنْ عَذَابُ
اللَّهِ إِنْ أَنَا طَرَدْتُمْ عَلَى مَا يَدْعُوْنِي إِلَيْهِ وَتَحْشُرُونَ إِيَّاهُ مِنْ مَعْنَى مَنْ عَذَابُ اللَّهِ
إِنْ لَمْ أَقْبَلْ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ قَوْلُهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِيَّاهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِنْ لَمْ
يَنْسَحْ لِي مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ طَرْدِهِمْ وَلَا أَوْ رَدِّ إِيَّاهُمْ وَتَحْشُرُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
فَتَوَمَّنُوا وَاللَّهُ اعْلَمْ وَقَوْلُهُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَالسَّعَةِ فَانْزِلْ
لَكُمْ لَتَوَمَّنُوا وَرَغْبَةً فِي الْمَالِ وَالسَّعَةِ وَالثَّانِي لَيْسَ عِنْدِي سَعَةٌ فَيَقْبَعُ عِنْدَكُمْ
إِنَّمَا أَدْعُوكم إِلَى مَا أَدْعُوكم أَمَّا تَعَالَى رَغْبَةً فِي الْمَالِ عَلَى مَا يَفْعَلُ الْمُفْتَعِلُونَ لِلرَّغْبَةِ
فِي الْمَالِ وَلَكِنْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْمَكْلَفَ بِذَلِكَ مَا مَوْزُوعٌ وَالثَّالِثُ هَتَمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ
ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى اسْتِوَالِهِ كَانَتْ مِنْهُمْ فِي إِيَّتَيْنِ اخْتَرَايْنِ وَالْأَمْوَالِ وَخَوَذَكَ فَقَالَ
لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ لَهْمُ حَسَدٍ وَجُوهًا أَحَدَهَا أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَى
أَنَّهُمْ مَوْرِدٌ وَاسْتِوَالُهُ كَانَتْ مِنْهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ لِرُسُولِ اللَّهِ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُنْزًا
أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ وَقَوْلُهُمْ لِرُسُولِ اللَّهِ كُنْ تَوَمَّنْ لَكَ حَتَّى تَخْرُجَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ فَيُؤْتِ
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ وَقَوْلُهُمْ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ وَامْتَالِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ
عَنْهُمْ فَمَقُولُ لَهُمْ لَيْسَ عِنْدِي وَيُؤْتِي مَا يُطْلَبُونَ مِنْهُ وَتَسْأَلُونَ إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ
وَبَيْنَهُمْ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ حَسَدًا أَنْ يَكُونَ سَأَلُوهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ عَنْ أُمُورٍ
فَسُئِلَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقْبَلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ سَرًا فَعَدَّ لَهُمْ دَفْعَهُ وَإِنْ كَانَ
مَنْ فَعَلَ فَمَسْتَقْبَلُوا لَهُمْ وَيَأْهَبُوا فَمَقُولُ لَهُمْ دَفْعُهُ وَإِنَّمَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ إِنَّمَا أَعْلَمُ
فِي ذَلِكَ إِلَيَّ اللَّهُ وَأَنَا أَخْبَرُكُمْ فَبِمَا أَوْجِي إِلَيْهِ وَأَوْصُوا بِالنَّبِيلِ إِلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ وَلَا أَقُولُ

إني ملك أي لا أقول إني ملك أعلم أخبار السماء والأمور اليه فيها أنا
بشر مثلك وعين بن عباس رضي الله عنهما قال ولا أقول لكم عيني هي عين الله
مفاتيح الله في الرزق فهذا كانهم سألوه السعة حتى يتبعوه فيقول ليس عيني
ذلك ويحتمل أن يكون قال لهم هذا دفع الشبهة عنهم في ذلك لأن من
الكفار من اتخذ الرسول الها فعبده وبعده ما عاينوا أنه من البشر ومثهم
من قال أنه ابن الله كما أخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى ومنهم من
قال أنه ملك وكانوا يعبدون الملائكة وكان الرسل يخبرونهم عن أشياء
غابت عنهم فظنوا أنه إنما علم ذلك لأنه قال لهم هذه التي ذكرنا دحضاً
لهذه الشبهة عنهم متبراً عن مثل ما يزعمون من أمثاله ولذلك قال عيسى
إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركا وهو عليه السلا
م كان يعلم في نفسه أنه عبد الله ولكن قال لهم ليلا يفسبوه إلى الألوهية
فاقتدوا بالعبودية لله تعالى إرشاداً لهم وتبرئاً عن مثل ما زعم بعض الجهال
في أمثاله فهذا مثله والله أعلم بذلك وقال بعض أهل التأويل لا أقول
لكم عيني خدائن الله أي مفاتيح بأنه يهدي السفلة دونهم ولا أعلم الغيب أي لا
أقول لكم إن عيني غيب ذلك إن الله يهديهم وهم مؤمنون بالسيرة حقيقه
وهو كقوله وما علي بما كانوا يعملون وقوله ولا أقول لكم إني ملك أي أنا
بشر مثلكم يقولهم ما نؤيك إلا بشر أمثلنا إلى آخر الآية ثم قال ولا أقول
للذين تزددري أعينكم لن يوفيتهم الله خيراً ولا أقول للذين حقدتموهم
يعني السفلة والاتباع وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين لم تأخذهم
أعينكم لن يوفيتهم الله خيراً أي أيماناً وقوله الله أعلم بما في أنفسهم من الصدق
وقوله إني إذا من الظالمين أي إن لم أقبل منهم الإيمان أو اطردهم إذا
لمن الظالمين لهم والله أعلم قول الله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا قالوا ذلك له لأنه كان طال عمراً وهو بين أظهرهم يبعثهم إلى
الإيمان فاكثرت حجاجه ومجادلته إياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فأتانا
نعيذنا إن كنت من الصادقين وكان بعدهم العذاب إن لم يؤمنوا لقوله
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وما كان وعدهم في غير آية من القرآن
إن لم يجيبوه فقالوا أئتنا بما وعدنا من العذاب فقال إيماناً بآية من الله إن

شأن أي ليس إلى إثبات ذلك إنما ذلك إلى الله إن شاء عجل وإن شاء أخر
إلى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه لو أن
عندي ما تستعجلون به لفتني الأمويين وبينكم قول الله تعالى وما أنتم
بمُعْجزين أي لا تجزؤون الله عن تغذيكم فتفتنون عنه وقيل وما أنتم بسابقي الله
بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها والله أعلم وقوله تعالى ولا ينفعكم نفعي إن
أردت أن أنفعكم لكم إن كان الله يريد أن يغويكم تاول به والله أعلم لا ينفعكم
دُعائي إلى ما به تجانون إن كان الله يريد أن يغويكم ثم اختلف في وقت ذلك
قال بعضهم لا ينفعكم نفعي عند أقبال العذاب اليكم إن كان من حكم
الله أن تكونوا من العاصين في ذلك الوقت وقالت بعضهم أي لا ينفعكم
نفعي إن كان الله يريد أن يغويكم في نار جهنم أي بعدكم ويقول الغي العذاب
كقوله فسوف يلقون غياً أي عذاب جهنم وكقوله من الكلاوي قوله
لا ينفعكم نفعي إن أردت أن أنفعكم لكم إن كان الله يريد أن يغويكم دلالة
تعليل الشرط على الشرط وأما عندنا فهو على ما أخبرنا أن كان الله يريد
اغواء يوم أبدأ في العواية أبدأ وأصله إن الله تعالى أراد عواية من
علمه أنه يختار الضلال لأن من في علمه أنه يختار العواية والضلال
اختار عداوته ولا يجوز أن يريد هو هداية من يعلم أنه يختار عداوته
ولا يجوز أن يريد هو هداية من يعلم أنه يختار عداوته **والله**
يحب لأن ذلك يكون من الضعف إن يختار المرء ولاية من يختار
هو عداوته فذلك أنه لم يرد الهداية لمن علم منه أنه اختار العواية والضلال
ثم أضافه الاغواء والاناعة والاضلال إلى الله سبحانه على وجهين أحدهما
أنه يفتي ذلك الفعل منهم غيماً ورياً وضلالاً لأن فعلهم فعل عواية وريغ
والثاني أنه خذ لهم ولم يوفهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولم يسددهم
ومن ذا الوجه ليس فعله فعل الذم حتى يخرج بالاضافة إليه ومن الوجه
الذي يضاف إلى الجمل يكون على الذم لأن فعلهم نفسه فعل عواية وضلال
فاستوجبوا الذم والله أعلم ثم الاغواء من الخلق هو الدعاء إلى ذلك والأمر
به وهو مذموم يذمون على ذلك وليس من الله تعالى من هذا الوجه
ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما قوله تعالى أم يقولون افتريه

قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ أَجْرَائِي وَأَنَا بِرُكْبَتِهِمْ مُّؤْمِنٌ إِيَّاهُ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ النَّارِ بِلِ فِيهِ قَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ نَوْحٍ لُّوحٍ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ دُعَائِهِ قَوْمَهُ إِلَىٰ دِينِ اللَّهِ
فَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ افْتَرَاهُ وَهُوَ مَجَادِلَةٌ قَوْمَهُ آيَاهُ فِي ذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا
قَوْلُ قَوْمٍ مَّحْمُودٍ قَالُوا افْتَرَىٰ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَيْسَ هُوَ
مِنَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا احْتَرَاهُ عَنْهُمْ فِي صَدْرِ السُّورَةِ يَقُولُهُمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ فَأْتُوا بِمِثْلِهِ مِثْلُهُ مِثْلُ بَابِ إِلَىٰ آخِرِ آيَةِ فَعَلَىٰ ذَلِكَ هَذَا فَقَالَ
تَعَالَىٰ لَهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ أَجْرَائِي إِيَّاهُ افْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ جِرْمِ افْتَرَائِي
وَجَزَاءُ رِيءُ وَأَنَا بِرُكْبَتِهِمْ مُّؤْمِنٌ مَعْنَاهُ وَاللَّهُ لَا تَوَاحُذُونَ أَنْتُمْ جِرْمُ افْتَرَائِهِ
إِنْ افْتَرَيْتُمْ وَأَنَا لَا أَوَاحِدُ بِأَجْرَائِكُمْ كَقَوْلِهِ فَإِنْ قَالُوا فَإِنَّمَا عَلَيْنَا مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَقَوْلُهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَعَلَىٰ ذَلِكَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَمَا كَانَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ لَهُمْ لِمَا
آيَسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ كَقَوْلِهِ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم بِمَا آيَسَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ وَأَنْفَطَعَ
طَعْنُهُ وَرَجَاؤُهُ عَنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ إِيَّاهُ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم بَعْدَ
هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نَوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يَبُوءَ مِنْ قَوْمِكَ
إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ نَوْحًا لَمْ يَدْعُ قَوْمَهُمْ بِالْهَلَاكِ مَا دَامَ يَرْجُوا
وَيَطْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ الْإِيْمَانِ فَلَمَّا آيَسَ وَأَنْفَطَعَ رَجَاؤُهُ وَطَعْنُهُ فَخَيَّبَهُ دَعَا
عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ كَقَوْلِهِ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا إِيَّاهُ أَحَدًا
إِيَّاهُ أَنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَارًا وَعَرَفَ
الْإِيْسَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ بِظَاهِرِ آيَةِ حَيْثُ قَالَ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نَوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يَبُوءَ مِنْ
قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ وَكَذَلِكَ سَايَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَنْ
يُؤْذَنَ لَهُمْ بِالرَّعَا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بِالْهَلَاكِ وَبِالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ بِمَا
دَامُوا يَرْجُونَ وَيَطْمَعُونَ مِنْهُمْ الْإِيْمَانِ وَالْإِحْبَابَةَ لَهُمْ فَإِذَا آيَسُوا وَأَنْفَطَعَ
رَجَاؤُهُمْ وَطَعْنُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَذِنَ لَهُمْ بِالرَّعَا عَلَيْهِمُ بِالْهَلَاكِ
وَالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَعَلَىٰ ذَلِكَ عَوْنُ رَبِّ يُؤْنِسُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بِالْخُرُوجِ
مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِهِمْ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ
لَنْ يَبُوءَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيْمَانَ حُكْمُ التَّجَدُّدِ

وَالْأَبْتَدَاءُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ حَالٍ لِأَنَّهُ أَخْبَرَنَا الَّذِي آمَنَ قَدِ يَوْمَ فِي
حَادِثِ الْوَقْتِ وَعَلَىٰ ذَلِكَ يَحْتَجُّ الزِّيَادَاتُ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي الْإِيْمَانِ
يَقُولُ زَادَتْ إِيْمَانًا الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ قَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ فَلَا تَبْتَئِسْ مِنَ الْحَزَنِ فَقَالَ ابْتَئِسْ
بِتَبْتَئِسِ ابْتِيَا سَائِي حَزَنٍ وَقَالَ الْكَيْسَانِيُّ أَيْضًا فَلَا تَبْتَئِسْ إِيَّاهُ
تَحْزُنُ مِنْهُ مِنَ الْبَابِ يُقَالُ لَا تَبْتَئِسْ بِهَذَا الْمَأْمُورِ هَذَا الْحَتْمُ وَهِيَ
أَحَدُهُمَا إِيَّاهُ الْحَزَنُ بِكَفَرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِبِهِمْ إِيَّاهُ لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ عَنِ الْحَزَنِ
فِي ذَلِكَ إِذَا الْحَزَنُ فَعَلَّ مِنْهُ وَرَدَّ طَبِيعِي لَا يَدْخُلُ حَتَّىٰ تَنْتَهَىٰ وَلَكِنْ
عَلَى النَّبِيِّ وَرَفَعَ الْحَزَنُ عَنْهُ إِيَّاهُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ الْحَزَنِ وَهُوَ أَنْ
يَحْزَنَ لِكُفْرِ قَوْمٍ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ يَحْزَنُونَ لِكُفْرِ قَوْمِهِمْ
بِاللَّهِ وَجَعَلَ انْفِسَهُمْ أَعْلَىٰ لَهُ كَقَوْلِهِ لَوْ سَأَلْنَا لَعَلَّكَ بِأَجْعَ نَفْسِكَ إِلَّا
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ وَأَمَّا لَهُ
وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ الشَّدْحُ مَا يَكْفُرُ قَوْمَهُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِبُهُمْ إِيَّاهُ وَاسْتَدْرَجَتْهُ
فِي إِيْمَانِهِمْ وَكَانَ حُزْنُهُمْ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَهْلِ كَيْفِهِمْ لَا تَوَكَّلْ أَنْ لَوْحًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَعَا عَلَيْهِمُ بِالْهَلَاكِ فَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا وَكَذَلِكَ
سَايَرَ الْأَنْبِيَاءَ ذَلِكَ أَنْ حُزْنُهُمْ كَانَ لِمَكَانٍ كَفَرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِبِهِمْ إِيَّاهُ
لَا لِمَكَانٍ هَلَاكِهِمْ شَفَا قَالِي انْفِسَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي حَتْمُهُمْ كَانُوا
مُتَوَاقِفَةً وَالْمَكْرَبَةُ فَقَالَ لَا تَحْزَنُ يَا كَا فَوَالسَّعْيُونَ فِي هَلَاكِكَ أَيْ
لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ الْحَزَنِ فَإِنْ كَانَتْ فِيهِمْ رَعَا صَحَّ عَنْهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ هـ
قَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَأَضْمَعَ الْفُكْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ
النَّارِ إِيَّاهُ بِأَمْرِنَا وَوَحَيْنَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِيَّاهُ لَمْ يَنْظُرْنَا وَأَمْرُنَا وَلَكِنْ
عِنْدَنَا حَتْمٌ وَحِينَ أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ بِأَعْيُنِنَا إِيَّاهُ كَيْفَ ظَنَّا وَرَعَا بَيْنَنَا يُقَالُ
عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ إِيَّاهُ حَفْظُهُ عَلَيْكَ لَا يَهْمُ مِنْ قَوْلِهِ بِأَعْيُنِنَا نَفْسُ الْعَيْنِ هـ
مَا يَهْمُ مِنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ إِيْدِيكُمْ وَكَسَبْتَ إِيْدِيكُمْ نَفْسُ الْإِيْدِي وَلَكِنْ
ذَكَرَ الْإِيْدِي لِمَا فِي الشَّاهِدِ إِنَّمَا يَقْدَمُ بِالْيَدِ وَيَكْتَسِبُ بِالْيَدِ فَعَلَىٰ ذَلِكَ ذَكَرَ الْعَيْنِ
لِمَا بِالْعَيْنِ يَحْفَظُ فِي السَّاهِدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي قَوْلُهُ بِأَعْيُنِنَا إِيَّاهُ بَاعْلَانَا
إِيَّاهُ لَا يَدُ لَوْلَا تَقْلِيمُ اللَّهِ آيَاهُ اخْتِلَافُ السَّغِينَةِ وَحَوَالِمْ لَيْسَ لِيَعْرِفَ

أَن كَيْفَ يَخْدُوكِيفَ تَجْعَلُهَا عَرَفَ ذَلِكَ يُتَعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَلَا تَخَاطَبُنِي بِالذِّينَ ظَلَمُوا أَنَّهُمْ مَعْرِقُونَ هَذَا مُحْتَمَلٌ وَهَبُ
أَحَدُهُمَا إِيَّيَ لَا لَسَمْعِ إِيَّيَ فِي حُجَاةِ الدِّينِ ظَلَمُوا فَإِنَّهُمْ مَعْرِقُونَ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ
لَا تَخَاطَبُنِي فِي هَذِهِ آيَةِ الدِّينِ هُمْ فِي حُكْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ ظُلْمَةً إِيَّيَ لَا لِنَسَائِي
إِيْمَانًا مِنْ بِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَفِيهِ نَبِي السُّوَالِ عَمَّا فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ
لَا أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ أَوْ لَا يَفْعَلُ فَإِذَا سَأَلَهُ كَأَنَّهُ يُسْأَلُهُ أَن يَكْذِبَ
خَبْرَهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَفِيهِ إِنْ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِيْمَانًا أَحَدًا مِنْ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ إِيْمَانَهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ الْمُؤَقَّتُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكَلَّمَ
مُسْرَعِيهِ مَلَكًا مِنْ قَوْمِهِ مُحَمَّدًا أَمِينَهُ الْمَلَكُ أَرْشَادَ قَوْمِهِ وَالرُّسُلَاءُ مِنْ
قَوْمِهِ هُمُ الَّذِينَ سَخَّرُوا أَمِينَهُ قَالَتْ بَعْضُهُمْ تَخْخَرِيْتُمْ مِنْهُ لِمَا رَأَوْهُ يَخْجُذُ
الْفَلَكَ قَالُوا صَارَ بَعْدَ مَا أَدْعَى لِنَفْسِهِ الرِّسَالَةَ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ تَخْخَرِيْتُمْ
مِنْهُ لِمَا رَأَوْهُ سَخَّرُوا الْفَلَكَ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كَحَرِّ وَلَا وَاِدٍ وَلَا مِيَاهَ
الْجَارِيَةِ إِنَّمَا هِيَ أَبَارُكُهُمْ فَقَالُوا خُذِ السَّفِينَةَ لِيَسِيرَ هَا بِالنَّوَارِي
وَيَحْذُوكَ مِنْ الْكَلَامِ قَوْلَهُ تَعَالَى قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنْكُمْ قَالُوا سَخَّرِيهِ نُوْحٌ وَقَوْمِهِ مِنْهُمْ إِذَا رَكِبُوا الْفَلَكَ رَأَوْهُ يُعْرِقُونَ
قَالُوا كُنْتُمْ عَلَيَّ حِقٌّ وَهَذَا كَيْفَ لَا يُخْجِيْلُكُمْ مِنْ تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْغُرُقِ وَخَوْ
مِنْ الْكَلَامِ لَكِنْ هَذَا لَا نَعْلَمُ لَعَدَمِ قِيَامِ دَلِيلٍ مُوجِبٍ لِلْعِلْمِ وَلَا حَاجَةَ لَنَا
إِلَى مَعْرِفَةِ تَخْخَرِيْتُمْ إِنْ كَيْفَ كَانَتْ سَيُورِي إِنْ فِيهِ أَنَّهُمْ سَخَّرُوا أَمِينَهُ وَحَتَمَهُ
قَوْلَهُ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ إِيَّيَ خُزِيْمُهُمْ جَزَاءَ سَخْرِيْتُمْ وَقَوْلَهُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
هُوَ وَعِيْدُ إِيَّيَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِنْ حَاصِلُ سَخْرِيْتُمْ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ كَقَوْلِهِ وَمَا
يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إِيَّيَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِذَا خَوَّنَا خُنَّ وَعَرَفْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ خُزِيْمُهُ إِيَّيَ عَذَابٌ مُفْعَفَةٌ وَيَهْلِكُهُ وَهُوَ
الْعَرَقُ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ إِيَّيَ عَذَابٌ يَدُومٌ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ عَذَابٌ
مُقِيمٌ إِيَّيَ عَذَابٌ الْآخِرَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا قَوْلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنَّ سَفِينَةَ
نُوحٍ كَانَتْ طَوَّلَهَا كَذَاوَعُومَهَا كَذَاوَعُومَهَا كَذَاوَعُومَهَا كَذَاوَعُومَهَا كَذَاوَعُومَهَا
إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ كَانَتْ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ وَثَلَاثَةُ
أَطْبَاقٍ فَذَلِكَ أَيْضًا لَا نَعْرِفُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا

وَقَارَ التَّنُورَ قَوْلَهُ جَاءَ أَمْرُنَا إِيَّيَ جَاءَ وَمَتَّعْنَا بِالْعَذَابِ الَّذِي
اسْتَجَلْنَا بِقَوْلِهِمْ فَاتَّبَعْنَا مَا نَتَقَدَّرُ أَنَّا كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَسَمِعُوا أَرَأَيْتُمْ
أَمْرًا لِلَّهِ لِمَا لَا صَنَعَ لِأَحَدٍ فِيهِ وَكَذَلِكَ الْمَوْتُ سَمِعُوا أَمْرًا لِلَّهِ لِمَا لَا صَنَعَ لِأَحَدٍ
مِنْ الْخَلَائِقِ فِيهِ وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ سَمِعُوا أَمْرًا لِلَّهِ لِمَا لَا صَنَعَ لِأَحَدٍ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَقَارَ التَّنُورَ قَالَتْ أَبُو عَوْسَجَةَ يَقَالُ قَارَ النَّوْرُ الْمَاءُ
إِذَا خَرَجَ وَقَالَتْ قَارَ يَفُورُ فَوْرًا إِيَّيَ عَلَى كَمَا تَقْبَلِي الْقَدْرَ وَتَصْدُقُهُ قَوْلُهُ
وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمُوتُ مِنَ الْغَيْظِ إِيَّيَ خَرَجَ وَظَهَرَ ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي التَّنُورِ قَالَتْ
بَعْضُهُمُ النَّوْرُ هُوَ وَجْهُ الْأَرْضِ قَالُوا لَهُ إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ خَرَجَ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ فَزَكَبَتْ وَقَالَتْ بَعْضُهُمُ النَّوْرُ هُوَ تَنُورٌ وَخَائِزَةٌ الَّذِي خَبَّرَ فِيهِ
قَالُوا إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ يَنْبُغُ مِنْ تَنُورِكَ فَادْكَبْ قَالُوا وَكَانَ الْمَاءُ يَقُولُ مِنَ
السَّمَاءِ وَيَنْبُغُ مِنَ الْأَرْضِ كَقَوْلِهِ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مِنْهُمُ فَجَرْنَا
الْأَرْضَ عَيُونًا لَكِنْ جَعَلَ عِلَامَةً وَقَتَّ رُكُوبَهُ هِيَ خُرُوجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَنَبْعُهُ
مِنْهَا قَوْلَهُ تَعَالَى قَلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ مُحْتَمَلٌ هَذَا
وَجَمْعَيْنِ مُحْتَمَلٌ إِنْ كُنَّا قَلْنَا لَهُ إِذَا قَارَ التَّنُورَ أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ
وَحَتَمٌ إِنْ كُنَّا قَلْنَا لَهُ وَقَتَّ فُورَ الْمَاءِ مِنَ النَّوْرِ أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
اثْنَيْنِ ثُمَّ قَوْلُهُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ إِيَّيَ مِنْ ذِكْرٍ وَائِيٍّ وَالرُّوحُ اسْمُ لَعْنَةٍ
ذِي شَفْعٍ فَتَقَالُ عِنْدَ الْاجْتِمَاعِ زَوْجَانِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِاسْمٍ لِلشَّفْعِ ثُمَّ مُحْتَمَلٌ
زَوْجَيْنِ مِنْ ذَوِي الْأَنْوَاجِ الَّتِي يَكُونُ لَهُمُ النَّسْلُ لِيَلَا يَنْقَطِعَ نَسْلُهُمْ وَحَتَمٌ
ذَوِي الْأَرْوَاحِ وَغَيْرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَاهْلِكِ الْأَمْنَ سَبَقَ
عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنَ آمَنَ قَالَتْ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ وَاهْلِكِ أَرَادَ بِهِ أَقْرَبَ بَارَهُ وَأَزْوَاجَهُ
وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِوَقَارِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَمَلَةِ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَيَّلَ مِنْ آلِكَ كُلِّ مُؤْمِنٍ تَقِيَّ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَحْمِلْ أَهْلَكَ أَيْضًا الْأَقَارِبَ وَالْأَزْوَاجَ وَالْمُؤْمِنِينَ الْإِمْنِ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ إِيَّيَ الْأَمْنِ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكَيْفِ مِنْ أَهْلِكَ وَقَوْلُهُ وَمَنْ آمَنَ عَطَفَ قَوْلَهُ وَاهْلِكِ وَأَنَّ
عَطَفَ الشَّيْءُ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا ذُكِرْنَا أَنَّ اسْمَ الْأَهْلِ يَتَعَلَّقُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ قَرَابَتِهِ
وَلَكِنْ عَطَفَ الشَّيْءُ عَلَى نَفْسِهِ جَاءَ بِذَلِكَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ

قوله واهلك اراد اهلك خاصة دون المؤمنين من امته الا ترك الله عطف
قوله ومن آمن علي قوله واهلك والسئي يعطف على غيره هو الاصل في اللغة
وقد يعطف على نفسه لصروحة علي خلاف الاصل ثم استثنى من سبق عليه
القول من اهلك وهو ابنه وزوجته فعناء اهلك فكون الاستثناء خاصا
معك الا من سبق عليه القول انه لا يؤمن اهلك فكون الاستثناء خاصا
في الاهل فتبين ان المراد من المستثنى منه هم الاهل الذين آمنوا والله اعلم
وهذا يدل على ان في اهلك من كان ظاهرا كما في اهلك استثنى من اهلك
والله اعلم قوله تعالى وما آمن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم
تذكر كسر الهمزة في قوله الله منه ونعم الذي انعمها عليه لا يوحى مع طول
مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه تومنه الى دين الله ومواعظه لم يؤمن
من قومه الا القليل منهم ورسول الله مع قومه مكثه وقصر عمر آمن من قومه
الكثير بعد فقهه عليه وفيه دلالة قول من يقول ان المواعظ انما
ينفع المواعظ على قدر استعمال الواعظ ليس هكذا ولكن على قدر قبول المواعظ
اياها وقد راقبنا عليها لان مواعظ عليه السلام كان اشد الناس استمالة
للمواعظ والكثرة دعاء ثم لم يؤمن قومه الا القليل دل انه ليس كما فهموا
واما ما ذكر اهل التاويل انه حمل في السفينة جثات العنب فاخذها
ابليس ولم يعطه الا ان اعطى له الشر كذا في الغيب فهذا شيء لا علم لنا به
فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان ليس له في سائر الاية والاشربة
لنصيب انما يكون له فيما يخرج من عصير العنب وتقدير الثلث والثلثين انما
يكون في عصير العنب خاصة ليس في غيره فيكون حجة في حجة الله
في المثلث والله اعلم قوله تعالى وقال اذكروا فيها بسم الله مجريها
وسمى فيها بحمد قوله بسم الله مجريها وسمى فيها انه لما قال لهم فوج اركبوا
فيها قال لهم قولوا بسم الله مجريها وسمى فيها وهو قول الناس بسم الله من
اوله الى اخره وكذا يذكر اسم الله ويقال في اقتتاج كل امر وكل عمل من ركوب
او نزول او غير ذلك ويحتمل قوله بسم الله اي بالله مجريها وسمى فيها اي به
تجري الفلك وبه تروى اسما واسم ضلة زائدة ليست كسائر السفن التي باهلا
تجري وبهم تعطف وهم الذين يتكفون ويتولون اجراءها وقفاها ما

سفينه فوج كانت جريتها بالله وبه روىها لاصنع لهم في ذلك والله اعلم
وقوله ان ربي لغفور رحيم اي غفور لمن آمن به وصدق رسول
رحيم بخبره من الغرق والهلاك قوله تعالى وهي تجري بهم في موج
كاجبال هذا يدل على ما ذكرنا انها كانت بالله تجري وبه تروى حيث لم
يخافوا الغرق من تلك الامواج واما سائر سفن فان اهلها خافوا من
امواجها لما كانوا الذين يتولون ويتكفون اجراءها وقفا والله اعلم
وهذا يدل ايضا ان سفينة نوح كانت آية لرسالة لان الامواج
لمنع عن جريها من السفينة وسيرها فاذا اخبر انها لم تمنع هذه عن جريها
دلت انه اراد ان يكون آية لهم لزيادة توكيد والله اعلم وقالت القتيبي
مرسيتها اي حيث تقفوا وقيل مؤسيتها رسوها قوله تعالى
ونادي نوح ابنه وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي
لمعزل من نوح ويحتمل انه كان معزلا من السفينة او ما كان والله اعلم
قوله تعالى يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل لا تكن مع
الكافرين فتغرق يحتمل وتكن مع الكافرين لعلم الله سبحانه وتعالى
اذ هو لا يعلم حقيقة حال ابنه انه من الكافرين لانه كان يظهر الايمان
معه قوله تعالى قال ساروك الى جبل يعصمك من الماء اي ساقط
الى جبل يمنعك من الماء ظن المسكين ان هذا الماء كغيره من المياه التي
سلم منها بالا لاجل الى الجبال فاخبر وقالت لا عاصم اليوم من امير الله
اي لا مانع اليوم من امير الله اي من عذاب الله وقالت القتيبي اي
لا معصوم اليوم من امير الله اي من عذاب الله كقول الله تعالى خلق
من ماء وافر اي من فوق واصله لا عاصم اي لا شيء يمنع القوم من
نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم منه ثم سمي عذابا به امرا لانه حصل
بامر التكوين وهو ايقاع العذاب عليهم ولا دافع لهم كقوله انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ولا ينال التعذيب هو النهاية في الاحتجاج
والامر بالايمان فسمي باسمه كما سمي البعث لانه هو النهاية في
الاحتجاج على منكري البعث قوله تعالى الا من رحم اي رحم عليه بهدائه
اياها او الا من سبق له الرحمة من الله بالهداية له والحق قوله تعالى

وَحَالُ بَيْنَهُمَا التَّوْحُجُ بِحُكْمِ قَوْلِهِ بَيْنَهُمَا أَيُّ بَيْنِ نَوْحٍ وَابْنِهِ وَحُكْمُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ
السَّفِينَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَانَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ بِحُكْمِ أَيُّ صَارَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ
وَحُكْمُ كَانَ بَيْنَ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَعْرِقُ فِي وَقْتٍ كَذَا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ
بَيْنَ ابْلِيسَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ أَنَّهُ مَخْرُجٌ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ
أَيُّ كَانَ بَيْنَ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَكْفُرُ أَوْ صَارَ مِنَ الْكَافِرِينَ كَمَا ذَكَرْهُمَا فَكَانَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ
وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ فِي الْأَزَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقِيلَ يَا
أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ اقْذِشِي قَالَتْ بَعْضُهُمْ عَادَ كُلُّ مَاءٍ إِلَى حَيْثُ
خَرَجَ مِنْهُ مَاءٌ أَرَسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ عَادَ إِلَيْهَا وَمَا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ عَادَ
إِلَى الْأَرْضِ وَغَابَ فِيهَا وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ لَا وَلَكِنْ أَمْسَكَ السَّمَاءُ مِنْ أَرْسَالِهِ
وَأَمْسَكَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَنْعِهِ وَقِيلَ بَيْنَ قَوْلَيْهِ يَا أَرْضُ ابْلُغِي لَيْسَ عَلَى
الْقَوْلِ بِهِ ذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْسَكَهَا مِنْ أَرْسَالِهِ وَسَعَهُ وَكَوْنُ أَمْرُ كَوْنٍ
عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَحُكْمُ عَلَى الْقَوْلِ مِنْهُ لَهُمُ بِالْظَّلْمِ جَعَلَ فِيهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ
الْحَيَاةِ وَغَيْرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَغِيصُ الْمَاءِ أَيُّ غَارَ الْمَاءُ فِي
الْأَرْضِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَفِيهِ الْأَمْزَاجُ يَهْلِكُ قَوْمٌ نَوْحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَأَسْتَوَتْ أَيُّ اسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودِي وَهُوَ جَبَلٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَقِيلَ
بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَيُّ هَلَاكَ أَوْ قَتِلَ بَعْدَ مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ابْنِ لِي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَاعِدَكَ الْخَيْرَ وَإِنِّي
أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَتْ يَا نُوحُ إِنِّي لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ هَذَا اللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ عِنْدَ نُوحٍ
أَنَّ ابْنَهُ كَانَ عَلَى دِينِهِ لَمَّا لَعَلَّهُ يَظْهَرُ الْمَوَافَقَةُ لَهُ وَالْإِلَاحُ كَمَلُ أَنْ يَقُولَ
أَنَّ ابْنَهُ وَبَيْنَهُمَا حُجَّةٌ وَقَدْ سَبَقَ مِنْهُ النَّهْيُ سَوَآلُهُ هَلْ هُنَا حَيْثُ قَالَتْ وَلَا
تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعَذِّبُونَ وَلَا تَحْتَسِبُ أَنْ تَكُونَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى
دِينِهِ ثُمَّ يُسْأَلُ لَهُ النِّجَاةُ بَعْدَ مَا نَهَى عَنْ الْمُخَاطَبَةِ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا وَقَوْلُهُ إِنِّي لَيْسَ
مِنْ أَهْلِكَ أَيُّ فِي الْبَاطِنِ وَالسِّرِّ وَالْإِخْرَاجُ هَذَا الْقَوْلُ مَخْرُجُ التَّكْذِيبِ
لِأَنَّ سَوَآلَ اللَّهِ لَكِنَّ الْوَجْهَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ عِنْدَ نُوحٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى
دِينِهِ لَمَّا كَانَ يَظْهَرُ لَهُ الْمَوَافَقَةُ لَا يَعْرِفُ مَا يَضَعُ فُسْأَلُهُ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي عِنْدَهُ
وَكَذَلِكَ أَهْلُ النِّفَاقِ يَظْهَرُونَ الْمَوَافَقَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاصْطَبَاحَهُ وَيَضَعُونَ
الْخِلَافَ لَهُ وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ نِيَّاتِهِمْ إِلَّا بَعْدَ إِطْلَاجِ اللَّهِ تَعَالَى آيَةً وَإِطْلَاعِهِ

إِيَّاهُمْ فَقِيلَ ذَلِكَ نُوحٌ كَانَ لَا يَعْرِفُ مَا يَضَعُ ابْنَهُ لَذَلِكَ خَرَجَ سَوَآلُهُ فَقَالَ
تَعَالَى إِنِّي لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِي وَعَدْتَ النِّجَاةَ لَهُمْ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقِيقَتُهُ
بَيْنَ السِّرِّ وَالظَّاهِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عَمَلُ غَيْرِ صَالِحٍ بِغَيْرِ تَتَوَيْنَ وَعَنْ بَنِي مُسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَتَرَاهُ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ بِالْمُؤْمِنِينَ فَتَرَاهُ بِالْمُؤْمِنِينَ عَمِلَ
غَيْرَ صَالِحٍ وَمَنْ فَتَرَاهُ بِالْمُؤْمِنِينَ يَكُونُ مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ سَوَآلَهُ هَذَا عَمِلَ
غَيْرَ صَالِحٍ وَحُجُوزُ أَنْ يَعْرِفَ كَلَامَ الْقُرْآنِ إِلَى ابْنِهِ أَيُّ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ وَهُوَ
عَمِلَ الْكُفْرَ وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ أَيُّ الَّذِي كَانَ هُوَ عَلَيْهِ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنِّي وَاعِدُكَ الْحَقَّ بِحُكْمِ وَأَنْ وَعَدُكَ بِأَعْرَاقِ الظُّلْمَةِ
حَقٌّ وَحُكْمُ أَنْ وَعَدُكَ بِنِجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ حَقٌّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَلَا تَسْأَلُنَّ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمُ لِحُكْمِ هَذَا أَهْلِي عَنْ سَوَآلِ مَا لَمْ يُوْذَنْ لَهُ مِنْ
بَعْدُ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا لَا يَسْأَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ لَهُمْ
فِي السُّوْأَلِ وَإِنْ كَانَ يَسْأَلُهُمُ السُّوْأَلُ وَحُكْمُ أَنْ يَكُونَ عَنَّا بِالْمَاضِي
وَالْأَنْبِيَاءُ كَانُوا أَمْعَابَتَيْنِ فِي أَشْيَاءَ حَلَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِحُكْمِ قَوْلِهِ لَمْ يَسْأَلْهُ
عَمَّا اللَّهُ عِنْدَكَ لَمْ أَذْنُتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَكَانَ مِنْهُ
الْأَمْرُ بِالْقَعُودِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْخُرُوجِ بِقَوْلِهِ لَنْ خَرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَحُجُوزُهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ هُوَ كَمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَآمَنَ لَهُ وَأَنْ كَانَ مَخْلُوقًا
إِنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعُوذَ إِلَى سَوَآلِ
لَا أَعْلَمُ بِالْأَذْنِ وَالسُّوْأَلُ هَذَا بِحُكْمِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْإِغْفَارُ
وَتَرْجِيئُ الْكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ أَيُّ أَنْ لَمْ تَرْجِعْ بِالْعَصَةِ عَنْ الْعُودِ إِلَى مِثْلِهِ
أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ هَذَا يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْعَصَةَ لَا تَمْنَعُ
عَنِ الشَّيْءِ بَلْ بِالْمَنِيِّ يَظْهَرُ الْعَصَةِ وَحُكْمُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ هَذَا لِمَا لَا يَسْتَوْجِبُونَ
الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَهُوَ عَلَى مَا دَوَّى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ قِيلَ وَلَا أَنْتَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَبِي قَوْلِهِ وَالْإِغْفَارِ لِي وَتَرْحُمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَهُوَ طَلِبُ الْمَغْفِرَةِ
بِالْكَافِيَةِ وَهُوَ الْكَوْنُ مِنْ قَوْلِهِ اللَّهُ اغْفِرْ لِي لَانِ بِي قَوْلِهِ وَالْإِغْفَارِ لِي وَتَرْحُمَنِي
قَطَعَ رَجَاءَ الْمَغْفِرَةِ مِنْ عَيْنٍ وَأَخْبَارُ أَنْ لَا مَلِكَ أَحَدُ ذَلِكَ وَلَيْسَ بِي قَوْلِهِ
اغْفِرْ لِي قَطَعَ كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ عَيْنٍ لِذَلِكَ كَانَ ابْلَغَ مِنْ هَذَا وَكَذَلِكَ سَوَّالُ
أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَغْفِرَةَ بِهَذَا الطَّرِيقِ حَيْثُ قَالَتْ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ
لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحُمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ هُوَ سَوَّالُ بِالْكَافِيَةِ وَهُوَ ابْلَغُ بِالسَّوْالِ
وَاللَّهُ الْمُوفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ قَالَتْ بَعْضُهُمْ إِنِّي انْتُزِلْتُ
وَأُمُّ عَلَى الْمُقَامِ وَأَمَكْتُ فِي الْمَكَانِ لَيْسَ عَلَى الْهَبْطِ مِنَ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ إِلَى الْمَكَانِ
الْمُنْحَدِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ السَّلَامُ هُوَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ
الشُّرُورِ وَالْآفَاتِ وَالسُّوءِ هُوَ نَيْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرَّ عَلَى غَيْرِ تَبَعِهِ ثُمَّ هَاهُنَا التَّحْصِيلُ
وَاحِدٌ لَا نَهْ إِذَا سَلِمَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ نَالَ كُلَّ خَيْرٍ وَبَرٍّ إِذَا نَالَ كُلَّ خَيْرٍ وَبَرٍّ سَلِمَ
عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَآفَةٍ فَهَاهُنَا الْحَقِيقَةُ وَاحِدَةٌ وَلَكِنْ فِي الْعِبَادَةِ مُخْتَلِفَانِ وَهُوَ تَطْيِيرُ
النَّفْسِ وَالتَّقْوَى مِنَ الْعَبْدِ إِلَى هُوَ كَسْبُ كُلِّ خَيْرٍ وَالتَّقْوَى هُوَ انْقَاءُ كُلِّ
شَرٍّ وَمَقْصِدُهُ صُمَاةُ الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ وَفِي الْعِبَادَةِ مُخْتَلِفَانِ لَا نَهْ إِذَا اتَّقَى كُلَّ
شَرٍّ عَمِلَ كُلَّ خَيْرٍ وَبَرٍّ إِذَا عَمِلَ كُلَّ خَيْرٍ اتَّقَى كُلَّ شَرٍّ عَمِلَ كُلَّ خَيْرٍ وَبَرٍّ إِذَا
عَمِلَ كُلَّ خَيْرٍ اتَّقَى كُلَّ شَرٍّ وَفِي ذَلِكَ حَرْجُ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ الصَّبْرُ هُوَ كَفُّ النَّفْسِ
عَنْ كُلِّ مَا يُمْ وَالشُّكْرُ هُوَ اسْتِعْمَالُ النَّفْسِ فِي كُلِّ طَاعَةٍ هُمَا أَيْضًا فِي الْعِبَادَةِ
مُخْتَلِفَانِ وَفِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ لَا نَهْ إِذَا كَفَّتِ النَّفْسُ عَنْ كُلِّ مَا يُمْ فَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا
فِي كُلِّ طَاعَةٍ وَإِذَا اسْتَعْمَلَهَا فِي الطَّاعَةِ كَفَّتْ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَمَا يُمْ وَفِي ذَلِكَ حَرْجُ
الْإِسْلَامِ وَالْإِيَّانِ الْإِسْلَامُ هُوَ تَسْلِيمُ النَّفْسِ لِلَّهِ خَالِصًا سَالِمًا لَا يَجْعَلُ لِنَفْسٍ
بَيْنَهُمَا حَقًّا وَالْإِيَّانُ هُوَ أَنْ يُصَدِّقَ اللَّهُ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ فِي نَفْسِهِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَاهُنَا
فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ وَفِي الْعِبَادَةِ مُخْتَلِفَانِ لَا نَهْ إِذَا جَعَلَ نَفْسَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ سَالِمًا
اِقْتَرَبَ إِلَى رُبُوبِيَّةٍ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَإِذَا صَدَّقَهُ وَاقْتَرَبَ إِلَى رُبُوبِيَّةٍ فِي نَفْسِهِ
وَكُلَّ شَيْءٍ جَعَلَهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَكُلَّ شَيْءٍ لَهُ هَذِهِ أَسْمَاءُ فِي الْعِبَادَةِ مُخْتَلِفَةٌ وَفِي التَّحْصِيلِ
وَاحِدٌ ثُمَّ قَوْلُهُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِتَّاجًا يَزِيدُ أَنْ يَكُونَ جَوَابُ قَوْلِهِ وَالْإِغْفَارِ لِي وَتَرْحُمَنِي
أَمْنُهُ عَمَّا خَافَ وَطَلِبُ مِنْهُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّائِي السَّلَامُ مِنْهُ لَهُ هُوَ الثَّانِي الْجَسَنُ
كَقَوْلِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ يُحْتَمَلُ

أَنْ يَكُونَ جَوَابُ قَوْلِهِ رَبِّ انْزِلْ عَلَيَّ مَائِدَةً مَبَارَكًا وَالْبَرَكَةُ اسْمُ كُلِّ خَيْرٍ لَا يَقْطَعُ
لَهُ أَوْ اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَتَّبَعُهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَفِي أَمْرِ مَعْنٍ مَعَكَ اشْرِكْ
مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ السَّلَامِ وَالْبَرَكَاتِ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ فِيهِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ
ذَلِكَ السَّلَامُ وَتِلْكَ الْبَرَكَاتُ فِي الدُّنْيَا السَّلَامُ مَا سَلِمُوا مِنَ الْغُرُوفِ وَالْبَرَكَاتُ
مَا نَالُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَنَافِعِ وَفِي قَوْلِ بَعْضِهِمُ السَّلَامُ وَالْبَرَكَاتُ جَمِيعًا فِي
الْآخِرَةِ وَالْأَسْكَالِ إِنَّهُ قَالَتْ وَفِي أَمْرِ مَعْنٍ مَعَكَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ نُوحٍ يَوْمَ مِيدَانِهِمْ إِنَّمَا
كَانَ مَعَهُ نَعْرُ لِلَّهِ ارَادَ وَاللَّهُ اعْلَمُ الْأَمْرَ لِي كَانُوا مِنْ بَعْدِهِ كَانَهُ قَالَتْ وَفِي
أَمْرِ يَكُونُ مِنْ بَعْدِكَ عَلَى دِينِكَ وَيَكُونُ مَعَكَ دِينًا فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دِينَ النَّبِيِّ
وَالْوَسْطَى جَمِيعًا دِينَ وَاحِدٍ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ شُرَايِعُهُمْ لَانِ تِلْكَ الْأُمَمُ لَمْ تَكُنْ نَوَافِلُ
بِأَنْفُسِهِمْ مَعَ نُوحٍ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا عَلَى دِينِهِ وَهُوَ وَاحِدٌ وَفِي هَذَا يَخْرُجُ
دُعَاؤُهُ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
دُعَاؤُهُ بِالْمَغْفِرَةِ لِلْكَافِرِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِعَدْوِهِ وَكَذَلِكَ يُلْحِقُ عَلَى كُلِّ كَافِرٍ دُعَاؤُهُ
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا قَوْلُهُ تَعَالَى وَامْرَأَتُهُمْ فِيهِمْ ثُمَّ مَتَّعَهُمْ مِنْ عَذَابِ
الْأَلِيمِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ مَتَّعَهُمْ ثُمَّ مَتَّعَهُمْ عَذَابِ الْأَلِيمِ وَيَتِمُّعُ الْمَوْتُ أَيْضًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
بِأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ بِأَنْوَاعِ
جَعَلَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَهَذَا لَانِ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ الْمَوْتُ وَالْكَافِرُ مُشْتَرِكِينَ
فِي مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَبَرَكَاتِهَا وَجَعَلَ مَنَافِعَ الْآخِرَةِ وَبَرَكَاتِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً يَقُولُ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَقَوْلُهُ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الزَّيْتِ ثُمَّ قَالَتْ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ اعْلَمُ
وَقَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا مِنَ السَّفِينَةِ بِسَلَامٍ
مِنَّا فَسَلَّمَ اللَّهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْغُرُوفِ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَفِي أَمْرِ مَعْنٍ
مَعَكَ يَعْنِي بِالْبَرَكَاتِ أَنَّهُمْ نَوَّالُوا وَكَثُرُوا وَابْقُوا مَا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ وَعَنْ بَعْضِ
عِبَائِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَفِي أَمْرِ مَعْنٍ مَعَكَ أَيُّ مَنْ سَبَقَ
لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْبَرَكَاتُ وَالسَّعَادَةُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ وَاللَّهُ اعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ لَعَلَّكَ أَتَى لَكَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ غَابَتْ
عَنْكَ لَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَعْلَمْهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ قِصَّةُ نُوحٍ خَاصَّةً وَأَنْبَاءُ كَانَتْ كَيْفَ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ

نوحيا اليك لان قولك تلك انما يستعمل في البعيد الذي لم يذكر وهو في ذكر
هذه القصة فبحي من حيث الكلام ان نقول هذه من انباء الغيب ولكن نقول
والله اعلم كانه على الاضمار اي هذه الانباء هي تلك الانباء التي ذكرت في كتبهم وان
كان المراد هذه وغيرها من الانباء يصير كانه قال هذه من تلك الانباء
والمحتمل ان يكون المراد بقوله من انباء الغيب اي القصص كلها قصة نوح
وغير من انباء الغيب غابت عنكم لشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك حصن
قومه لاني غير من الاقوام قد كانوا عروا اليك الانباء مكتبتهم وفيه دلالة اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه واله اخبرهم على ما اخبر اولئك الذين عروا اليك الانباء بكتبهم
مع انهم عروا انه لم يختلف الي احد منهم ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى والله اعلم
قولك تعالى فاضرب محمد على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اضرب علي ما امرت
ونهيته او اضرب علي ما اضرب اخوانك من قبيل كقولك فاضرب كما ضرب اولوا العزم
من الرسل قولك تعالى ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله المتقين
الذين اتقوا الشرك وامكن ان يكون المراد الذين اتقوا الشرك والمبغضين
كلها والاشبه ان يكون المراد منه اتقاء الشرك لانه ذكر بادآ قوله وامر
سنتهم ثم عذبهم بما عذاب ابن مريم فلهذا شبه الله اعلم قوله تعالى
والي عباد احاهم هو ذا هذا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الي قومه
فقل ولقد ارسلنا هودا الي عباد احاهم ثم محتمل قوله احاهم وجهين من
حيث الجنس والنسب لان الاخوة علي وجوه اخوة جنس يقال هذا اخوا هذا
نحو مضر اعي الباب وزوجي الخف وامثال ذلك واخوة في النسب واخوة
في الدين قالت الله تعالى انما المؤمنون اخوة وهو لا محتمل ان يكون احسا
لهم في الدين لاختلاف دينهم ولكن محتمل انه اراد احاهم في الجنس ومحتمل
في النسب ايضا لان الناس كلهم ينسبون الي آدم عليه السلام فيقال
بنو آدم مع بعد ما بينه وبينهم ففعل ذلك يكون بعضهم اخوة لبعض مع
بعد النسب الذي بينهم والله اعلم قوله تعالى قال يا قومي اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله غير يستحق العبادة لان الذي تعبدونه
ليس بالله علي الحقيقة يستحق العبادة لان الذي تعبدونه ليس بالله انما اله
الذي يستحق العبادة الله الذي خلقكم وخلق لكم الاشياء التي تحتاجون اليها

وقوله تعالى ان انتم الامفرون اي ما انتم الامفرون لا محتمل ان يكون
هو ذلك لهم هذا في اول ما دعاهم الي التوحيد وفي اول ماردة واجابته
وكذبوه لا ينهم امروا بلين القول لهم وتذكير النعم عليهم كقولك لموسى وهارون
حيث بعثنا الي فزعون فقولنا له قولا لئلا علة يتذكروا وحشي ولكن كانه
قال لهم ذلك بعد ما سبق منه اليهم دعاء غير مرة واقام عليهم الحج والبراهين
فردوها فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئنا بينه والاية
ثم قوله ان انتم الامفرون محتمل وجوها محتمل مفرون في تسميتهم
الاصنام التي عبدوها الهة ومحتمل انتم مفرون فيما اصفتم الامم بالشرك
والفا حشية الي الله اي فقلتم الله امرنا بذلك فقال ان انتم الامفرون في
ذلك ومحتمل ان انتم الامفرون في انكاركم البعث او الرسالة وقوله
تعالى يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجزي الا على الذي فطرني افلا تعقلون
قد ذكرنا في غير موضع اي سألناكم علي ما ادعوك اليه اجرا منعكم عن الاجابة
والمطرونا ادعوك وقوله افلا تعقلون اي رسول اليكم بالحج والآيات
حيث بها افلا تعقلون انها آيات وحجج او افلا تعقلون ان الله واحد واني اوم
رب كل شيء وخالق كل شيء ومنشيه وقوله تعالى ويا قومي استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه محتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
واحدة ومحتمل علي التقديم والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا اما كان منكم
من المستأوي او اقبلوا الي طاعت الله وتوبوا عن افعالكم ثم لا محتمل ان يريد
هود بقوله استغفروا ان يقولوا استغفروا الله ولكن امرهم ان يسألوا سبب
المغفرة وهو التوحيد كانه قال وجدوا ربكم وامينوا به ثم توبوا اليه اذ هذا
امرا يا هود بالانتهاء عن الكفر كقولك ان يفتروا يغفروا لهم ما قد سلف والله اعلم
قوله تعالى يؤسّل السماء عليكم مديرا ويزدكم قوة الي قوتكم قال
بعض اهل التأويل انه قد كان انقطع عنهم المطر وانقطع تسليهم فاخبر
انكم ان تبتم الي الله واستغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مديرا ويزدكم
قوة الي قوتكم حتى تمنا سلوا وتتقوا الدواب محتمل قوله ويردكم قوه اي يزدكم
قوة افعالكم بالخيرات الي قوة ابدانكم لا ينهم كانوا اهل قوة ويطيرون كقولك وقا
لو من اشد منا قوة ومحتمل علي الابتداء يؤسّل السماء عليكم مديرا ويزدكم قوة

إلى قوتكم وقوله ولا تقولوا هجر من أي ولا تقولوا عتوا أدعوك إليه
فتكونوا هجر من قال أبو بكر المجرم الوثاب في الأثم وقيل المجرم هو المكشوب
قوله تعالى يا هود يا جيتنا بيته أي ما جيتنا بيته علي ما تدعونا
إليه أو علي ما تدعي من الرسالة فعند ذلك قال لهم هود إن أتم الأمم
وقوله وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك أي بقولك كان لا يدعوه
هو دالي ترك عبادة الهتهم بحجود القول خاصته ولكن قد دعاهم وإقام
علي ذلك الحجج والبراهين لكنهم قالوا ذلك متعنتين مكابرين قوله تعالى
وما نحن لك بمؤمنين أي لمصدقين فيما تدعونا إليه ونهانا عن أن نعبد
ما يعبد آباءنا وقوله إن نقول الاعتراك بعض الهتنا بسوء قيل
كان هو وعليه السلام بسبب الهتهم ويذكروهم بالغيب لقولون أنه يعتريك
بعض الهتنا بسوء من خيل أو جنون ولا يحب أن يضيبك منها فاجتنبها ما لم
فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان أي إنا إنما نهاك عن سب الهتنا وذكر الغيب
فيها أمثفا عليك ليلا يضيبك منها شيء كما نوحى فوته أن يضيبه الهتهم
بسوء بتركه عبادة الهاته على ما يرجون بعبادتهم إياها شفاعتها لهم والله أعلم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا شتمت الهتنا فحسبك وأصابك
جنون معناه أنك إنما تدعونا إلى ما تدعونا إليه وتدعي ما تدعي لما
أصابك الهتنا بسوء واعتراك بجنون والله أعلم قال أبو عبيدة الاعتراك
الاحذ يقال اعتراك الهما أي احذته وقال القتيبي الاعتراك الأصابة
يقال اعتريت أي أصبت بقول الاعتراك بعض الهتنا أي الأصابة
بعض الهتنا بسوء قوله تعالى قال أي أشهد الله وأشهدوا أي بركي
ما تشركون من دونه أي أي أشهد الله أي بركي ما تشركون به وقيدوه
من الألهة وأشهدوا أي بركي من ذلك وقوله فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون أي فكيدوني جميعا أتم والهتكم فيما توعدونني من الهلاك أو السوء
ثم لا تنظرون أي لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدوني جميعا أي اعملوا
أتم والهتكم جميعا التي توعدونونها خيلتي وجنتي ثم لا تنظرون
في ذلك ولا تمهلون وهذا من أشد آيات النبوة لأنه يقول لهم ذلك
وهو بين أظهرهم وجيدا فلولا الله يقول لهم ذلك بقوة من الله والاعتماد عليه

والأنتصار به وإلا ما اجتروا أحد إن يقول هذا بين أعدائه علم أنه
قال ذلك بالله تعالى وكذلك قال الله تعالى خبرا عن رسولنا حيث
قال بامرء قل ادعوا أشوكا كم ثم كيدون فلا تنظرون وقول نوح ثم اقضوا
إلى ولا تنظرون وقول شعيب يا قوم اعلموا علي مكانكم أي غايل لآية
وأمثاله قالوا عليهم السلام بين أظهر الأعداء ولم يكن معهم أنصار ولا أعوان
ذلك أنهم إنما قالوا ذلك بالله تعالى فيكون من آيات النبوة لهم وقوله أي توكلت
علي الله ربي وربكم أي توكلت أمري إليه أو وكلت جميع عملي إليه أو توكلت
به واعتمدت عليه فيما توعدونني من الهلاك أو توكلت عليه في دفع ما
أوعدهموني وقوله ربي وربكم أي كيف توعدوني بالهتكم إلى تعبدون ولا
تخافون الذي تعلمون أنه هو ربكم وهو كما قال إبراهيم وكيف
أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وقوله ما من دابة
إلا هو آخذ بناصيتها قيل أي يمسها متى شاء وقيل أي ما من دابة
إلا وهو في ملكه وسلطانه وتحت قدرته وتصرفه يقال فلان آخذ بحلقم
فلان وفلان في قبضة فلان ليس أنه في قبضته بنفسه ولكن يراد أنه
في سلطانه وملكه وقوله إن ربي علي صراط مستقيم أي علي الدين الذي
أمري ربي ودعائي إليه وحتمل إن ربي علي صراط مستقيم أي إن الذي
أمري ربي ودعائي إليه صراط مستقيم كقوله إن ربك لبالمرصاد
قوله تعالى فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم يحتمل علي المراد
أي إن تولوا عن آجابتكم وطاعتكم فقل قد أبلغتكم خطابا وأمكن أن
يكونا جميعا علي الخطاب كأنه يقول فإن توليتكم عن آجابتكم فيما أدعوكم إليه
فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم وليس علي إلا التبليغ كقوله ما علي الرسول
إلا البلاغ وقوله إن عليك إلا البلاغ يقول إنما علي البلاغ رسالته إليكم
ليس علي جرم توليتكم عن آجابتكم كقوله فإن تولوا فأنا علي ما حمل وعليكم
ما حملتم ويحذركم والله أعلم قوله تعالى وسخلف ربي قوما غيركم فيه
وآخرون أحدهما الخبر عن هلاكهم لأنه أخبر أنه يسخلف قوما غيركم وما لم
يملك هؤلاء لا يكون غيرهم خلفهم وإنما قال ذلك والله أعلم لأنهم كانوا يقولون
من أشد منا قوة فيقول إن قوة أبدانكم ولطشكم لا تحذر الله عن أهلاككم

ووجه آخر فيه اخبار ان عاد اليسوا هم النهاية في العالم ويقوم بهم السادة
بل يكون لعدم غيرهم والله اعلم وقوله ولا تصرونه شيئا اي لا تصرونه
بتوليكم واعراضكم عن اجابة وردكم رسالة الله اليكم ليس مملوك الارض
اذا اقول عنهم خدمهم وحشهم صند ذلك والثاني لا تصرونه شيئا كما يفسد
مملوك الارض بالقتال والحرب بعضهم بعضا والثالث لا تصرونه لانه
لا منفعة له فيما يدعوكم اليه حتى يصتره صند ذلك اذ ليس يدعوكم الي ما يدعو الحاجة
نفسه ولا لمنفعة له انما يامركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ومحتد ان
يكون ولا تصرونه شيئا جواب قوله فليدون جمعا الآية وقوله ان ربي
على كل شيء حفيظ اي لا يخفى عليه شيء وان لطف فكيف يخفى عليكم اعمالكم واقوالكم
مع ظهورها وبدورها ومحتد اي لا يذهب عنه شيء ولا يفوته فجزيم عليه
والله اعلم قوله تعالى ولما جاء امرنا بنجيناهوذا والذين آمنوا معه
برحمة منا اي امرو نكوبين وقوله جاء اي ظهر الشرة الساعة وهو التكوين
لا نفس الامر فانه انزل وهو كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فعلى ذلك هذا والمراد منه العذاب ثم هذا يدل ان من
نجى انما نجى برحمة الله لا بعمله وليس على ما يقول المعتزلة ان من نجى انما
يجوز بعمله لا برحمته وفضله فنكون الآية حجة عليهم وعلى ذلك الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا
انت يا رسول الله قالت ولا انا الا ان تتعدى الله برحمته ثم قوله برحمة منا
محتد وجوها احدها الرحمة ههنا محتد ان يراد بها هود اي رحمتهم به
حيث بعث اليهم رسولا فنجي من ابتعه فان كانت تاويل هذا فقيه دليل على
ان اهل العظوة معاقبون في حال فتوتهم لانه اخبر ان من نجى انما نجى بهود
فدل انهم معاقبون قيل بعث الرسول والله اعلم ومحتد قوله برحمة منا
اي بتوفيق منا اياهم نجى من نجائهم بانيان سبب النجاة وهو الايمان ومحتد
برحمة منا اي بفضل منا لا بعملهم قوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ قال بعضهم اي نجيناهم من العذاب الذي اهلك هولا ومحتد ان يكون
على الوعد اي نجيم في الآخرة من عذاب غليظ والله اعلم قوله تعالى
وتلك عاد محد وابايات ربه وعصا رسله اخبر انهم كفروا بايات وعصوا

رسله اخبر انهم كفروا بايات وعصوا رسله وهم من حيث الظاهر عصوا
رسولا واحدا وهو هود المبعوث اليهم ولكن الكفر بايات الله كفر
بجميع الرسل وكذا الكفر يؤخذ من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله
لان كل واحد من الرسل يدعو الي الايمان بالله وبجميع الرسل والايات
والكفر يؤخذ في هذا كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان الكفر بايات الله
كفرا بالله تعالى لان الله تعالى انما يعرف من جهة الايات فكون الكفر
بالايات كفرا بربه والله الموفق قوله تعالى واتبعوا امر كل حبار
عنيدي اخبر انهم اتبعوا امر الحبارون واطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم
الحبار قيل هو الذي يتخذ على الرسل ويتكبر عليهم لان الرؤساء منهم كانوا
يتخذون على الرسل ويتكبرون ثم الا اتباع الرؤساء في عملهم وقال ابو عبيدة
الحمار هو المتخير والعنيدي هو المعاند المخالف وقالت القتيبي العنود والعنيدي
والمعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقالت ابو عبيدة العنيدي والعنود والمعاند
الحمار قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال بعضهم
اللعن هو العذاب اي اتبعوا في الدنيا والآخرة بالعذاب كقوله الا لعنة الله
على الظالمين اي واتبعوا اي اتبعوا وقيل ان اللعن هو الطرد طردوا عن رحمة الله
حتى لا يبالوا بها لاني الدنيا والآخرة قوله تعالى الا ان عاد كفروا ربهم
الا بعد العناد قوم هود اي الا بعد الهوى عن رحمة الله قوله تعالى والي
ثمود احنا هم صالحا وقد ذكرنا تاويل الآخرة قوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غير ان الرسل اول ما دعوا فومهم ما دعوا الي توحيد الله
وجعل العبادلة لان غير من العبادات انما يقوم بالتوحيد وكان اول ذنوبهم
قومهم الي التوحيد وجعل العبادلة وقوله هو اسألكم من الارض قيل اي
خلق اشدكم والنساء من الارض وهو آدم فامان والنساء الي ما انسايتننا
والله اعلم وهو كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اخبر ان الله خلقنا من نفس
آدم وان لم يكن انفسنا منه فعلى ذلك اضافة خلقنا اياتنا من الارض وان لم
يخلق انفسنا منها والله اعلم ونسبه ان يكون قوله هو اسألكم من الارض اي جعل
نساء الخلق كلها وناسم وحيوتهم وقوامهم من الارض وقوله واستعصم فيها
قال بعضهم اي اسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال بعضهم جعلكم

اللاح
والشعر

عَمَّارِ الْأَرْضِ تَعْمُرُ وَنَهَا بِعَاشِكُمْ وَمَعَادَكُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَاسْتَعْمَرُوا كَيْ
جَعَلَ عَمْرُكُم طَوِيلًا وَقَوْلُهُ فَاسْتَغْفِرْهُ ثُمَّ قُلُوا إِلَيْهِ هَكَذَا قَدْ ذَكَرْنَا فِيهَا تَقَدَّمَ
إِي كُونُوا أَحْبَابَ بَعْضِهِمْ كَمَا نَهَى قَالَ انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ يَغْفِرْ لَكُمْ وَقَوْلُهُ إِنْ
رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَرِيبٌ مَحْفُوظٌ الْخَلَائِقِ إِي قَرِيبٌ بَيْنَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ أَوْ قَرِيبٌ إِلَى كُلِّ
مَنْ يَفْزَعُ إِلَيْهِ وَقَوْلُهُ مُجِيبٌ أَيْ مُجِيبٌ لِدَعْوَةِ كُلِّ دَاعٍ كَقَوْلِهِ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحْبِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا إِلَى الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى
قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَتَلَ هَذَا أَتَهْتَبُنَا إِنْ نَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ آبَاؤُنَا قَالَتْ
بَعْضُهُمْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا إِي كُنْتَ تَرْحَمُ الضَّعِيفَ وَتَقْوُدُ الْمَرْصِيَّ وَتَحْذَرُ كُلَّ مَنِ الْكَلَامِ
فَالسَّاعَةِ صُرْتُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوًّا إِي كَمَا نَزَجُوا
أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ وَيُنَاقِلُ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ فَالسَّاعَةُ صُرْتُ لِسُتْمِ لَهْتُنَا
وَنَذْكُرُهَا غَيْبِ أَتَهْتَبُنَا إِنْ نَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَيْ مَا كُنَّا نَعْرِفُ أَنْ آبَاءَنَا عِنْدَكَ
سُفَهَاءٌ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَالسَّاعَةُ صُرْتُ لِسُتْمِ أَحْلَامِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامِ ه
وَقَوْلُهُ وَإِنَّا لَبَيْنَا سُبْحًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٌ كَانُوا يَذْكُرُونَ هَذَا لِحُجَّتِهِمَا
لَهُ عَلَيْهِ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ فَقَالُوا إِنَّا عَلَى نَفْسِنَا إِنْ آبَاؤُنَا قَدْ عُبِدُوا
هَذِهِ الْأَصْنَامُ وَإِنَّا عَلَى سُبْحٍ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٌ إِي يَوْمَ نَبْنِي أَمْرَكَ وَدَعَاؤَكَ لَنَا
إِلَى هَذَا الدِّينِ هَذَا مَا قَالَهُ أَهْلُ النَّوْثِ بِلِي قَوْلِهِ قَدْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوًّا قَتَلَ هُنَا
وَلِكُلِّ مَا لَا نَعْلَمُ كَانُوا يَسْرَحُونَ فِيهِ وَمَا الْمَخْطِئُ الَّذِي قَالُوا لَهُ قَدْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوًّا أَسْوَى
أَنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَرْجُوًّا فِيهِمْ بِالْعَقْلِ وَالْدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ وَنَحْوَهَا فَكَانَ مَرْجُوًّا
فِيهِمْ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَنَحْوَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي إِنْ كُنْتُ عَلَى حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي فِيمَا دَعَاكُمْ
إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَصِرَفِ الْعِبَادَةِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً مَحْتَمِلُ إِي أَنَا
هَذِي وَنُبُوَّةٍ مِنْ عِنْدِهِ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِي مَنْ مَنِّعَنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِي
عَصِيَّتِهِ وَرَجَعْتُ إِلَى دِينِكُمْ إِي لَا أَحَدَ يَنْصُرُكُمْ لَوْ أَحْبَبْتُمْ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ مَحْتَمِلُ تَرْكِ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ أَوْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
إِلَى عِبَادَتِهَا وَقَوْلُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ حَسِيرٍ قَتَلَ فِيمَا تَوَجَّهَ قَتَلَ فَمَا
تَزِيدُونِي مَجَادَ لَكُمْ إِيَّاكِي فِيمَا تَجَادَلُونِيهِ الْآخِسْرَانَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَمَا تَزِيدُونِي
بِعَصْبِكُمْ إِيَّاكِي الْآخِسْرَانَا لَا نَفْسُكُمْ وَقَالَ الْقَتْبِيُّ غَيْرَ تَحْسِيرٍ إِي غَيْرَ نَقْضَانِ

وَقَالَ أَبُو عَوَيْجَةَ هُوَ مِنَ الْخُسْرَانِ يَقَالُ إِي الرِّسَالَةُ الْخُسْرَانُ وَقَوْلُهُ
وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَقَالَ لَهَا هَذَا حِينَ سَأَلُوهُ مِنْهُ الْآيَةَ فَقَالَ
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ فِيهَا دَعَايَ مِنَ الرِّسَالَةِ أَوْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ إِي لَكُمْ آيَةٌ الَّتِي سَأَلْتُمُونَهَا عَلَى الرِّسَالَةِ ثُمَّ قَوْلُهُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ أَضَافَ
النَّاقَةَ إِلَى نَفْسِهِ لِمُخْصَصِيَّةِ كَانَتْ فِيهَا خُفْنٌ لَا نَعْرِفُ ذَلِكَ لَيْسَتْ تِلْكَ الْخُصُوصِيَّةُ
فِي عَيْنِهَا مِنَ النُّوْثِ لِمَا جَعَلَهَا آيَةً لِرِسَالَتِهِ خَارِجَةً عَمَّا عَابُوا مِنَ النُّوْثِ وَشَاهِدُهَا
وَهَكَذَا كَانَتْ الرِّسَالَةُ خَارِجَةً عَنْ وَسْعِ الْبَشَرِ وَطَوْقِهِمْ وَعَلَى خِلَافِ مَا اعْتَادُوا
لِيَعْلَمَ أَنَّهَا سَمَارُوِيَّةٌ ثُمَّ لَا نَعْرِفُ آيَةَ خُصُوصِيَّةِ كَانَتْ لَهَا عِظَمُ جِسْمِهَا وَغِلْظُ بَدَنِهَا
حَيْثُ تَقْتَرِبُ الشَّرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا حَيْثُ جَعَلَ يَوْمَئِذَاهَا وَيَوْمَئِذَاهَا يَقُولُ لَهَا شَرِبْ
وَلَكُمْ شَرِبْ يَوْمَ مَعْلُومٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ وَلَمْ يَقْتَسِمْ مَرَاغِبَهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ يَقُولُ فَنَزَرُوا
تَاكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَأَمَّا مَا قَالَهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ حَضْرَةِ كَذَا وَأَنَّهَا كَانَتْ
تَحْلُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَذَا وَاسْمُهَا أَخْضَرُ ذَكَرُوا هَذَا فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ ذَلِكَ وَلَا نَقْطَعُ الْقَوْلَ
فِي ذَلِكَ سِوَى أَنَا نَعْرِفُ أَنَّ لَهَا كَانَتْ خُصُوصِيَّةٌ لَيْسَتْ تِلْكَ الْخُصُوصِيَّةُ لِعَيْنِهَا
مِنَ النُّوْثِ وَلَوْ كَانَ لَنَا إِلَى ذَلِكَ الْخُصُوصِيَّةِ حَاجَةٌ لَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَصْلُهُ
مَا ذَكَرْنَا أَنْ أَضَافَ جُزْأِيَةَ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ لَتَعْظِيمِ تِلْكَ الْحُجَرَاتِ الْأَضَافَةِ إِلَيْهِ
وَأَضَافَةِ كَلِمَةِ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ لِبَيَانِ عِظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ وَارَادَةَ التَّعْظِيمِ وَالتَّجْهِيلِ
لَهُ نَحْوُ قَوْلِهِ لَكُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَوْلُهُ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَسْتَعْجِلْهُ سَوْفَ نَهَاهُمْ أَنْ مَسْتَعْجِلُونَ وَلَوْ يَشَاءُ
مَا لَكُمْ مِنَ السَّعَةِ فَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ شَيْئًا عَرَفُوهُ فَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لَا تَسْتَعْجِلْهُ سَوْفَ إِي لَا تَعْقِلُوهَا وَقَوْلُهُ فَيَا خُذْكُمْ عَذَابُكَ قَرِيبٌ
هُوَ قَرِيبٌ لِمَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى أَشْرَعِ عَقْرِهِمُ النَّاقَةُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَيْثُ قَالَ نَعْقُرُوهَا
فَقَالَ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَ غَيْرُ مَكْذُوبٍ وَقَتْلُ قَرِيبٍ إِي
سَرِيعٌ لَا قَتْلُونَ حَتَّى يُعَذِّبُوا أَوْ مَا ذَكَرْنَا وَجَوَاهِرُ أَصْفَرَتْ فِي الْيَوْمِ
الْأَوَّلِ ثُمَّ أَحْمَرَتْ فِي الثَّانِي ثُمَّ أَسْوَدَتْ فِي الثَّالِثِ ثُمَّ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ فِي الْيَوْمِ
الرَّابِعِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْدِيهِ قَطْعًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ ذَلِكَ وَعَدَ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
إِي لَيْسَ مِنْهُ كَذِبٌ وَكَانَ عَذَابُهُمْ أَنَا نَزَلَ عَلَى السُّؤَالِ الْآيَةَ سَأَلُوا ذَلِكَ
فَلَمَّا اجْتَاهُمْ بِهَا كَذِبُوهَا فَنَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ وَهَكَذَا السُّنَّةُ فِي الْأَمِّ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُمْ

اذا سألوا الآية فجاءهم يوم يوفى بما كانوا يعملون وهو قولهم وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وابتدأنا مؤدا للناقطة مبصرة فظلموا بها الآية والله اعلم قوله تعالى فلما جاء امرنا اني جاءنا امر به كما يقال جاء وعد ربنا اني مؤعد ربنا لان وعده وامر لا يحكي ولا يه اذ لم يكن جاءنا امر به ووعد وهو العذاب وقيل جاء امرنا اني وقت وموع ما امر به ووعد وهو العذاب الذي دُعوا به قوله تعالى نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا قد قدم ذكره قوله تعالى ومن خزي يومئذ قيل انكذبوا بالذي الذي يعذبهم وقيل كل عذاب خزي اي يخام من عذاب ذلك اليوم قوله تعالى ان ربك هو القوي العزيز وقيل القوي هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يذل لمن دونه وقيل القوي المستقم المنتصر لا وليا له من اعدائه والعزيز هو المبيع في ملكه وسلطانه والله الموفق قوله تعالى واحذ الذين ظلموا الصيحة قيل عذابهم كان صيحة صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل الصيحة الصاعقة وقيل كل عذاب هو صيحة لكن لا تدرك كيف كان ويحتمل ان يكون عذابهم قد رسي صيحة لسرعة وقوعه بهم ويحتمل سمي ذلك العذاب صيحة لما رآوه مما يصيحون فيها بينهم والله اعلم قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جامئين وهما قال ديارهم وذكر في سورة الاعراف دارهم والقصة واحدة وقالت بعضهم دارهم فتوارم وديارهم متوارهم ولكن هو واحد اصبحوا جامئين في دارهم ومار لهم ثم قوله جامئين قيل جامدين مؤنث واصل قوله جامئين اي متكئين على وجوههم يقال جثم الطائر اذا انكب على وجهه مخافة الصيد والله اعلم قوله تعالى كان لهم فيها اي كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل كان لم يعزوا فيها وهو واحد واصله انهم صاروا كما لم يكونوا والا لاختاروا والابرار فانهم وان ماتوا ابدانهم وصارت كان لم تكن في الذكر كانهم احياء يذكرون بعد موتهم والله اعلم قوله تعالى الا ان مؤذنا كعدو اربهم اي كفروا بايات ربهم وذلك كفر بالله قوله تعالى الا بعدا ليهوداي برحمة الله قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اختلفوا في هذه البشارة قال بعضهم جاءوا ببشارة اسحاق وكافروا وهو قوله فلبسنا ثوبا باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وقال بعضهم جاءوا ببشارة اهلاك قوم لوط واما لوط واهله قيل ان لوطا عليه السلام كان ابن اخي

ابراهيم وكان فخرج الى الله تعالى ليمسح بعميل قومه وصنيعهم ودعوا بالنجاة منهم وهو قوله اني لعلمكم من القالين ريت نخبة واهلي ما يقولون حتى ذكرني بعض القصة ان سارة قالت لا يبرهم ثم ابن اخيك الي نفسك فاني قومه يعذبون كما نهات فنت انه يتركهم علي ما هم عليه لسوء علمهم والله اعلم قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام هذا يدل على ان السلام هو سنة الانبياء والرسل والملائكة عليهم السلام في الدنيا والآخرة لم يخص هذه به بل كانت سنة الرسل الماضية والامم السالفة وكذلك هو تحية اهل الجنة بقوله سلام عليكم طيبتم ونحوه ثم انتصاف قومه سلاما وارتفاع الثاني سلاما اما الانتصاف فلو وقع القول عليه حيث قال قالوا سلاما فتوكلت قال قولا واما ارتفاع الثاني فعلى الحكاية لقوله سلام لان الحكاية تقرب على ما كان لقول الرجل رايت زيدا يقال له من زيدا فقلت ذلك قال ابراهيم حوا بالسلام الملائكة سلام عليكم ولو ذكر الاول على وجه الحكاية كان جائزا ولو نسب الثاني لاعتبار وقوع الفعل عليه كان مستقيما والله اعلم قوله تعالى فالبث ان جاء بعجل حنيد فحتمل وجهين اي ما لبث عندهم حتى استغفل بتقديم الشيء اليهم وباقامة اسباب ذلك اي لم يلبث عندهم في المؤنسية واحديث معهم على ما يفعل بالاصناف لان المواد به انه لم يلبث حتى جاء بعجل حنيد اي اني بعجل حنيد من غير لبث لان في ذبح العجل وشيته لبثا لا محالة الا ان يكون العجل مسويا عنده فياين به من غير لبث وهو التاويل الثاني فحتمل الآية وجهين على اعتبار الاحوال فان كان العجل مسويا عنده فالبث ينصرف الى اتيان العجل ولو لم يكن مسويا عنده ينصرف الى انه لم يلبث عندهم حتى استغفل تهتاه اسباب الذبح والله اعلم وفي الآية دلالة على ان الادب في صاحب الضيافة اذا نزلك بدضيف ان لا يستغفل بالسؤال عن احوالهم من اين الى اين وما حاجتهم ولكن يستغفل بقداهم وان السؤا عن حاجتهم لان ابراهيم عليه السلام استغفل بقداهم ولم يستغفل بالسؤال عن احوالهم فانه لو سأل عن احوالهم او لا يعرفون انهم من الملائكة وقد عرف ان الملائكة لا يتناولون طعاما فلا يستغفل بقداهم فدل ان الادب هذا والله اعلم ثم اختلف الحنيد قال بعضهم الحنيد السمين الذي انبت ذكر في موضع آخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيد المستوي الذي يستطليه النار

وَسَبِيلَ مِنْهُ النَّارُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْخَيْضُ النَّضِيجُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ
الْخَيْضُ الْمُسْوِيُّ الَّذِي خُدَّ لَهُ فِي الْأَرْضِ خُدٌّ نَحْوِي بِأَجْرِ الْحَيِّ وَقِيلَ
هُوَ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَى الْجَمْرِ فَسْوِيَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا رَأَوْهُمُ لَا يُقِلُّ
إِلَيْهِمْ تَكْرَهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ تَكْرَهُمْ وَانْكُرَهُمْ وَاسْتَكْرَهُمْ وَاحِدٌ وَهُوَ مِنَ الْإِنْكَارِ مَعْنَاهُ
إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَعْرِفْهُمْ فَظَنَّ أَنَّهُمْ لَصُوفٍ لِأَنَّ اللَّصُوفَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
إِذَا ارْتَادُوا السُّبُوحَةَ مِنْ قَوْمٍ لَمْ يَتَنَاوَلُوا مِنْ طَعَامِهِمْ وَلَمْ يَأْكُلُوا شَيْئًا عَنْدهُمْ فَمِمَّا إِذَا يَأْكُلُوا
تَمَاقُذَ الْبُهِمِ مِنَ الْعَجَلِ فَظَنَّهُمْ لَصُوفًا وَقِيلَ لَمَّا يَأْكُلُوا عَنْدهُ الطَّعَامُ تَكْرَهُهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْبُشَرِ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَبِيلُ إِيضًا مِنْهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ خَافَ
يَمَاطُنَ أَنَّهُمْ سَتَرُاقِ حَيْثُ لَمْ يَتَنَاوَلُوا شَيْئًا تَمَاقُذَ الْبُهِمِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ خِيفَةُ
إِي وَحْشَةٍ إِيضًا وَاحْشَةٍ حَيْثُ لَمْ يَتَنَاوَلُوا شَيْئًا تَمَاقُذَ الْبُهِمِ وَصَاحِبُ الْعِيَانَةِ
طَلَقَهُ الْوَحْشَةَ بِأَيْتِنَاوَلِ الصَّيْفِ الطَّعَامُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَئِذَا نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ
سَاقِيًا مِنَ الْبَلَدِ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْبُشَرِ إِلَّا وَقَدْ أَحْتَاجَ إِلَى الْبُشَرِ فَلَمَّا يَتَنَاوَلُوا
عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْبُشَرِ فَجَاءُوا الْإِلَاحَ عَظِيمَ لَتَقْذِيبِ قَوْمٍ وَهَلَاكِهِمْ خَافَ لِذَلِكَ
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا لَهُ لَا تَخَفْ فَمَا أَخْبَرَ عَنْ وَجَلٍ يَقُولُ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى
قَوْمٍ لُوطَ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَا تَخَفْ وَبَسْرُوهُ بِغَلَامٍ هَلِيمٍ وَقَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ
لُوطَ مِنْ عَنِينٍ أَنْ ذَكَرَ سُؤَالَ إِبْرَاهِيمَ أَيَّاهُمْ وَذَكَرَ فِي تِلْكَ السُّورَةِ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى الْبُشَرِ
السُّؤَالَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ
عَلَى الْبُشَرِ سُؤَالَ إِبْرَاهِيمَ لَكِنْ جَمَعَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي الْحِكَايَةِ عَنْ قَوْلِهِمْ وَلَمْ
يَذَكَرْ السُّؤَالَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودًا عَنْهُ فِي تِلْكَ السُّورَةِ ذَكَرَ السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ فَخَرَجَتْ
الْحِكَايَةُ عَلَى مَا كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ وَذَلِكَ مُسْتَقِيمٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ شَائِعٌ فِي الْأَسْتِمَالِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَمْرًا تَقَائِمَةً قَالَتْ بَعْضُهُمْ قَائِمَةً عَلَى رُؤُوسِ الْأَصْنِيَاءِ
لَا يَمُوتُ كَانَتْ عَجُوزَةٌ وَلَا بَأْسَ لِلْعَجُوزَةِ ذَلِكَ الْأَتْرَابُ أَنَّهُ قَالَ وَالْعَوْدُ أَعْدَمُ مِنَ الْبُشَرِ
الَّذِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ
الْآيَةُ وَهِيَ بَعْضُهُمْ قَائِمَةً مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ دَاخِلَ الْبَيْتِ لَكِنَّ لَشَنَا نَدْرِي إِي ذَلِكَ
كَانَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَصَحَّكَتْ قَالَتْ بَعْضُهُمْ فَصَحَّكَتْ تَعْجَبًا مِنْ خَوْفِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُمْ لَصُوفٌ
وَهُمْ كَانُوا ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً دُونَ عَشْرٍ وَكَانَ خَدَمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ عَدَدُهُمْ

ثَلَاثًا يَتَعَفَّرُ عَلَى مَا ذَكَرَ فِي الْقِصَّةِ فَصَحَّكَتْ تَعْجَبًا كَيْفَ خَافَ مِنْ نَفَرٍ عَدَدُهُ دُونَ عَشْرٍ
وَعِنْدَهُمْ مِنْ الْخَدَمِ مَا بَلَغَ عَدَدُهُمْ مَا ذَكَرَ نَاوِلُ اللَّهِ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَصَحَّكَتْ تَعْجَبًا
بِمَا بَشَّرَ وَهَذَا بِالْوَلَدِ وَقَدْ بَلَغَ سِنُهَا مَا بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ وَهَذَا لَكَ وَقَالَ أَحَقُّ أَنْ أَلْيَسَ
وَقَدْ كَبُرَتْ مِنَ السِّنِّ كَذَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَصَحَّكَتْ إِي خَاضَتْ مِنْ قَوْلِهِمْ فَصَحَّكَتْ
الْأَرْبَابُ إِذَا خَاضَتْ غَيْرَ مَسْرُوعٍ وَلَا مَعْرُوفٍ وَعَلَى تَاوِيلٍ مَنْ قَالَ أَنَّهَا فَصَحَّكَتْ تَعْجَبًا
بِمَا بَشَّرَتْ بِالْوَلَدِ مِنْهُ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأَخِيرِ كَانَهُ وَالْبُشَرُ نَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
بِاسْحَاقَ يَعْقُوبَ فَصَحَّكَتْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَصَحَّكَتْ سُرُورًا بِالْأَمْنِ مِنْهُمْ لَا بِمَاجِيئِهَا خَافًا
مِنْهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ فَطَاهِدُ هَذَا أَيْضًا أَنَّهَا بَشَّرَتْ
بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ وَلَهَا بَعْدَ اسْحَاقَ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَعْقُوبَ وَلَدًا مِنْ
إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا وَلَدَ مِنْ اسْحَاقَ فَكَوْنُ نَافِلَةٍ طَافِتًا دُونَهُ فَبَشَّرَ نَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
اسْحَاقَ يَعْقُوبَ نَافِلَةٍ وَهَذَا ذَكَرَ وَهَذَا نَافِلَةٌ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا عَلَى شَيْخَانِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ عَجِيبٌ
وَالْإِشْكَالُ أَنَّهَا كَيْفَ سَجَّيَتْ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ فِي مَقْدُورِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَوْلُهُ هِيَ لَمْ تَحْجُبْ
مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِذْ هِيَ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَهْبِطَ الْوَلَدَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَلَكِنَّهَا تَعْجَبَتْ لِمَا
رَأَتْ الْعَادَةَ فِي النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ أَنَّهُمْ إِذَا بَلَغُوا الْمَبْلَغَ الَّذِي كَانَ بَلَغَاءً لَمْ يَلِدُوا فَتَعْجَبَتْ بِمَا
أَنَّهَا تَلِدُ فِي أَحْوَالٍ إِلَيْهَا عَلَيْهِمْ أَوْ يَرُدُّونَ إِلَى أَحْوَالِ السُّبُحَاتِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُولَدُ لَهَا
وَكُلَاهُمَا عَجِيبٌ حَيْثُ الْخُرُوجُ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ لَا حَيْثُ قَدَرَةُ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ قَالَ فِي
هَذِهِ السُّورَةِ وَأَمْرًا تَقَائِمَةً فَصَحَّكَتْ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَاقْبَلَتْ أَمْرًا تَقَائِمَةً
فَصَحَّكَتْ وَجْهَهَا وَإِنَّمَا يَذَكَرُ الْإِقْبَالَ إِذَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرَةً فَكَيْفَ وَجْهَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ
فَنَقُولُ أَنَّ كَانَ التَّأْوِيلَ عَلَى مَا قَالُوا أَنَّهَا كَانَتْ قَائِمَةً وَرَاءَ الْبَابِ دَاخِلَ الْبَيْتِ
فَكَوْنُ اقْبَالِهَا خُرُوجَ الْيَهُودِ أَعْنَى الْأَصْنِيَاءِ وَإِنْ كَانَ التَّأْوِيلُ أَنَّهَا قَائِمَةً عَلَى رُؤُوسِهِمْ
فَيَكُونُ مَعْنَى الْقَبَالِ فِي صَرَفِ وَجْهِهَا وَصَلَاةِ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى الْقَدَمِ لَكِنْ عَلَى الْقَبَالِ
يَقْبَلُ مَا أَخْبَرَ عَنْهَا مِنْ لِسَانِ الْوَجْهِ إِي أَقْدَمَتْ عَلَى صَدِّكَ الْوَجْهِ فَاقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَنَظِيرُ تَعْجَبَتْ بِمَا سَادَ الْوَلَدَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِ ذَكَرْنَا أَنَا يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَقَدْ بَلَغْتُ الْكِبَرَ وَأَمْرًا
عَاقِدًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُنْيًا مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ فِي أَحْوَالٍ إِلَيْهَا أَنَا
عَلَيْهَا أَوْ يَرُدُّ إِلَى أَشْيَاءٍ فَعَلِي ذَلِكَ قَوْلُهَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا عَلَى شَيْخَانِ أَنَّ هَذَا
شَيْءٌ عَجِيبٌ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا الْتَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَتْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ الْتَجِبِينَ

من قد رآه الله هذه الكلمة لا تختل ان تتجسدت من قد رآه الله ولكن تجسدت بما ذكرنا
من نقض العادة الجارية معناه لا تجسدت من امر الله هذا من نقض العادة الجارية
على طريق الآية وكثيرا ما رأيت امثال ذلك في اهل بيك وذلك قوله رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت ويشبه ان يكون قوله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
صلة قوله قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا سلاما فحسب حيث لم يزيدوا عليه
بل زادوا عليه فكانهم قالوا سلاما عليكم ورحمت الله وبركاته اهل البيت ثم قوله اهل
البيت بالنصب يعني يا اهل البيت علي حذف حرف النداء وهو قوله عليه السلام
تركتم بعدى الثقلين كتاب الله وعري اهل بيته اي يا اهل بيته قوله انه
حميد حميد محتمل المريد الذي يقبل السير ويعطي الجزل كالشكور والمجيد
من المجود والشرف وقيل للمجد المحمود والمجيد الماحد وهو الكريم والله اعلم
قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح يقبل الروح هو الزك والفرع الذي
دخل فيه يحيى الملائكة قوله تعالى وجاءته البشري بالوكيد والخافد وبجاء لوط
واهلكه قوله تعالى بجاء لنا في قوم لوط قال بعض اهل التاويل مجازا لانه
ايام في قوم لوط ما ذكرني القصة انه قال لهم ارايت ان كان منهم من المؤمنين انقذت يومهم
قالوا لا ونحوه من الكلام ومحتمل مجازا لانه ايامهم واستبقا قوم لوط شفقة عليهم ورحمة
لعلهم يؤمنون وقيلون ما يدعون ليلا ينزل بهم ما وعدوا بشفع اليهم ليسا لولا
ربهم ان يبقيتهم والله اعلم فان ثبت هذا والا فلا نفعل مجازا لانه ايامهم وامكن ان يكون مجازا لانه
في دفع العذاب عنهم او تاجيره ذلك قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم اتهم عذاب غير مردود قوله تعالى ان ابراهيم حلیم او اه
منيب قيل الحلیم هو الذي لا يكا في من ظلمه ولا يجازيه به ومحتمل اي حلیم عن
شفقة كل شفقة وقوله او اه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المناق
وهو الدعاء اي كثير الدعاء وقيل الاواه النبي اليه لا تقترلسا نه عن ذكره وقيل
الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه وقوله منيب قيل المنيب المخلص لله وقيل
المعيل الي الله بقلبه ويدنه وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة جمع في هذه
الاحرف جميع انواع الخير والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين
الخلق يذكر انه او اه حلیم منيب قوله تعالى يا اعرض عن هذا يعني عن هذه
المجازاة التي كانت بينهم وقوله انه قد جاء امر ربك اي جاءنا امر ربك وجاء

مردود ربك قوله واياهم اتهم عذاب غير مردود واي غير مردود لا محتمل الرد
بالشفاعة ومحتمل يا ابراهيم اعرض عن هذا اي عن المجازاة لقوله قد جاء امر
ربك بالانصراف والرجوع عند محتمل جاء امر ربك بالذي امر بانزال العذاب بهم
قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطايت بهم قتل اي سآره بحبهم ومكانهم
وكيفهم لصنيع قومه بالغرابة محتمل ان لم يمتهم سوا من قبل قومه قوله تعالى
وضاقت بهم درعاي لم يدركيت يصنع بهم وكيف محتمل ليدفع عنهم سوا قومه
والذرع قيل هو المقدرة والقوة ومحتمل قوله يحيى بهم وضافت بهم ذراعا ذلك
وقوله تعالى هذا يوم عصيب قيل قطع شديد لانه يوم هبتك الاستار
ويفتح الرجال وينه ذليل جوار الاجتهاد لانه قال يوم عصيب وبعد لم يظهر له
سبقت بالوحي وانما قاله اجتهدا والله اعلم قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون
اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرعون اليه اي يروعون
اليه من الدروع اي فرعين اليه والله اعلم قوله تعالى ومن قبل كانوا يعجلون
السيات هذا محتمل وجهين احدهما اي من قبل ان يبعث لوط رسولا اليهم
كانوا يعجلون السيات والسائي محتمل اي من قبل نزول الانبياء بلوط كانوا
يعجلون السيات والسيات الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها
والله اعلم قوله تعالى قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم قال بعضهم اراد
بنات قوم لوط لان الانبياء كانوا كالأب لا ولاد قومه فيستبون اليهم الا نزي الي قوله
النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه وازواجه امهاتهم وهواب لهم سبي وازواجه امهاتهم والنبي باطهر قولي ذلك
محتمل قول لوط هؤلاء بناتي اراد بنات قومه ونسبهن الي نفسه لما ذكرنا محتمل
معنى جعل النبي لا ولاد قومه كالاب وازواجه امهاتهم وجهين احدهما نسبو اليه
للسفقة هو اشفق بهم من الاب والام او حق التربيته وتعليم الدين كالاب لهم
فهو اولي بهم من انفسهم لهذا بين الوجهين والله اعلم وقال عاتمة اراد بنات
نفسه ثم اختلف في معناه قال بعضهم كان ذلك منه تعريضا لهم للنكاح اي
ان هؤلاء بناتي هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم قائلين الايمان وقال بعضهم هو
تعريض منه لما هو ناعندهم لانه عرض كذلك عند نفسه وهذا كما يقولون

ان من اكره علي ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا بأس بان يشتم ويقصد
بشتمه محمدا آخر وان كان عنده المكره ايه يشتم رسول الله بعد ان اخطر الشاتم
بقلبه غيره وكذا لك اذا اكره علي ان يشتم الاله فيقصد بالشتم شتم الهتهم وان
كان عندهم انه انما يشتم الهه الذي يقصد فعلي ذلك محتمل قوم لوط هو لا يباقي
من اظهر لكم تعريضين زنا عندهم وان كان عنده ان ليس لذك يقصد وقالت
قايون انما قالت هذا ليهديهم فتح الفعل الذي قصدوا باصنافه لان الزنا كان عندهم
محرمًا فعرض عليهم بناية ليصير فواقع ذلك الفعل حيث احتمل قلبه في بناية
ولا محتمل في اصنافه ليمتنعوا عن ذلك ومحتمل ان يكون قال ذلك وان كانا
حرامين لكن احدهما اليسر وامون وبحوز الجمع بين السرين ويقال هذا خير
من ذاك اذا كان امون وكذلك بحوز الجمع بين حرامين فيقال هذا اجل اظهر
من هذا افاضنا وان كان حرمًا فذلك ما يحل بالنيكاح وادبار الرجال بما لا يحل
بحال وقالت بعضهم انهم كانوا يخطبون بناية وكان الي ان يزوجهن منهم بالتم
يكونوا كفوا لهن ثم عرض عليهم في ذلك الوقت ليعلموا فتح ذلك الفعل الذي قصدوا
باصنافه او كلام نحو هذا والله اعلم قوله تعالى فانقوا الله ولا تحزبون في
صنيفي وقالت في موضع آخر ان هو لا يصنفي فلا تقصصون ليعلم ان الاخر
هو النصيحة هذا يدل علي ان الخزي هو الذي يفتح من نزل به وقوله
اليس منكم رجل رشيد علي النبي فيمنعهم عما يريدون باصنافي وقالت بعضهم ان
يزوج بعض بناته من يصد عن رايه فيمنعهم عن اصنافه كما انه يقول ليس
منكم من يرشد ويصد عن رايه قوله تعالى قالوا لقد علمت ما لنا من
بناتك من حق قالت عامة اهل التاويل من حق اي حاجة وانك تعلم ما تريد
يقعون الاصناف ثم محتمل الحق علي التاويلين اللذين ذكرناهما لقوله هو لا يباقي
من اظهر لكم وجهين احدهما حق النكاح والثاني حق الاستمتاع اي ليس في بناتك
من حق لاحق النكاح ولا حق الاستمتاع ومحتمل اي انك تعلم ان ليس في بناتك
من حق كما ليس لنا في صنيفك من حق فكيف تمنعنا عنهم ونعرض علينا بناتك
وهن مما ليس لنا فهن من كما وليك والله اعلم قوله تعالى قال لو ان لي
بكم قوة او آوئ الي ذكئ سيد قيل الركن الشريف عند العرب العسيرة اي لو كان
لي قوة في نفسي او عسيرة يعينوني فيه لتأملتكم فيه وفي قوله لو ان لي بكم قوة او آوئ

الي ذكئ سيد يد ليل علي انهم قد هموا لوطا و اوعدهم حتي قال ما قال الا نري
ان الملائكة قالوا له انهم لن يصلوا اليك والله اعلم قوله تعالى قالوا يا لوط
انما رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذك لوط اعني قوله انما رسل
ربك لن يصلوا اليك طامسوا اعينهم وهو قوله ولقد راودوه عن صنيفه
فطمسنا اعينهم فذو فواعداي ونذر وقالت قايون قالوا ذك لما اوعدهم
لوطا حين طمست اعينهم ان صنيفك شحر و البصار فاستيعلم عدا ما تلقى انت
واهلك فقالوا عند ذك لن يصلوا اليك بسوء عدا لانهم يهلكون والله اعلم
قوله تعالى فاستير باهلك بقطع من الليل قيل قطع الليل آخره وهو
وقت الشحر وقيل ثلث الليل او ربعه من آخره قوله ولا يلتفت احد
الا امر انك محتمل الهى عن الالتفات كما انه يقول لا يلتفت احد ومحتمل الخبر كما انه
يقول ولا يلتفت منكم احد الا امرتك وقوله وهو وجهه وذك علامة خلافها
له ثم قوله ولا يلتفت منكم احد الا امرتك قيل لا يلتفت احد منكم الا امرتك
فانها تخلف وتضيفها ما اصاب او ليك وقالت بعضهم لا يلتفت من الالتفات
والنظر وقيل لا يترك احد منكم متابعتك الا امرتك فانها لا تتبعك فضيفها
ما اصاب او ليك والله اعلم وقوله ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقرب كان
لوطا عليه السلام استبطا الصبح بعد انهم فقالوا اليس الصبح بقرب وهذا
من لوط لا محتمل ان يكون قال ذلك وهو بين اظهرهم ويعلم ان فتواه يقبل
اعلاها واسفلها اعلاها ولكن انما قالت ذلك والله اعلم بعد ما اخرجوه من
بين اظهرهم فعند ذك قالت ما قالت واستبطا وقت نزول العذاب
بهم فقالوا عند ذك اليس الصبح بقرب والله اعلم قوله تعالى فلما امرنا
جعلنا لها سافلها محتمل اي جاء المراد بامونا وامن هو جعله عاليها سافلها
وهو امرتكون اي جاء وقت صيرورة قري قوم لوطا عاليها سافلها اذ التكوين
اذني وانما المراد هو المكون الذي هو اثر التكوين السابق والله الموفق قيل
ادخل جبريل عليه السلام جناحه تحت قريات لوط فرفعها الي السماء ثم قلبها
فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهو الي الارض وذك قوله والموت فلكة
اهوي قيل اي اهوي بها جبريل من السماء الي الارض ومحتمل ان يكون
اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض فذك جعل اعلاها اسفلها لكن اهل التاويل

جَمَلُوا مَا ذَكَرْنَا وَاجْمَعُوا عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ قَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ امْطَرْنَا بِأَحْجَابٍ عَلَى هَلْ تِلْكَ الْقُرْيَاتِ
بَعْدَ مَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا فَيُصِيبُ كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ حِجَابٌ مِنْ طِينٍ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ قُلِبَتِ الْقُرْيُوجُ وَجَعَلْتُ أَعْلَاهَا سَفْلَهَا وَارْسَلْتُ الْحِجَابَ عَلَى مَنْ كَانَ
غَائِبًا عَنِ الْقُرْيَاتِ فَيَكُونُ عَلَى كُلِّ حِجَابٍ مَكْتُوبًا اسْمُ صَاحِبِهَا فَتُصِيبُهُ وَتَقْتُلُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَانَ الْحِجَابُ تَضِيبُ الْكُلِّ لِلْغَائِبِ وَأَحْضَرُ جَمِيعًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سَجِيلٍ قَالَ بَعْضُهُمْ السَّجِيلُ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ الَّذِي مِنْهُ رَفَعَ الْجِبَالَ
امْطَرْنَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ طِينٌ مَطْبُوعٌ كَالْأَجْرِ وَعَيْنُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مَنْصُودًا أَيْ تَضِدُ الْجِبَالَ بِالطِينِ وَالصُّقُ بَعْضُهُ
بَعْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مَسْؤُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ أَيْ مَعْلَةٌ مَحْفُظًا لِسُوءِ وَحَمْدِهِ
فِي بَيَاضٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ أَيْ جَاءَتْ مِنْ عِنْدِكَ رَبِّكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَسْؤُومَةٌ
مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهَا اسْمُ صَاحِبِهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ قَالَ
بَعْضُهُمْ وَمَا هِيَ مِنْ ظُلْمَةٍ تَوْمَ لَوْ طَبَعُوهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَمَا هِيَ مِنْ ظُلْمَةٍ أَيْ هَلْ
مَكَّةَ وَحَوَالِيهَا بِبَعِيدٍ أَيْ عَذَابُ اللَّهِ لَيْسَ بِبَعِيدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ سَاءَ فِي الدُّنْيَا
وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ أَيْ تِلْكَ الْقُرْيُوجُ وَالْأَمَكْتُ الَّتِي
أَهْلُهَا لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ مِنْ مَنْزِلِكِي مَكَّةَ وَهُوَ مَا ذَكَرَ وَأَنْتُمْ لَتَمُرُّنَ عَلَيْهِمْ
مُصْجِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَذَكِيرٌ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ
حِينَ يَجْعَلُ عَذَابَهُمْ عَذَابَ اسْتِيفَالٍ لَكِنْ جَعَلَ عَذَابَهُمْ الْجَهَادَ يَقَاتِلُونَ
حَتَّى تَسْلَمُوا وَيُعَادُوا لِلْحَقِّ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى مَدِينٍ آخَاهُمْ
سَعِيًّا أَيْ وَإِلَى مَدِينٍ أَرْسَلْنَا سَعِيًّا قَالَ يَأْتِيهِمْ أَعْبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
غَيْرُ هَذَا قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ آخَاهُمْ سَعِيًّا وَمَا ذَكَرْنَا فِي عَيْنِهِ
مِنَ الْإِخْوَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ مِنْ جِنْسٍ مِمَّنْ
لَا مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا إِخْوَةً لَهُمْ فِي الدِّينِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ
الْإِخْوَةَ مِنْ جِنْسِ الْجِنْسِ أَوْ النَّسَبِ وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ أَيْضًا أَنَّ الْإِخْوَةَ
لَا تُوجِبُ فَضِيلَةَ الْوَاحِدَةِ لَهُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ إِخْوَةٌ لَتِلْكَ الْأَقْوَامِ وَهُمْ
كَفَرُوا وَذَلِكَ يَرُدُّ قَوْلَ الرُّسُلِ فِي تَقْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
بِالْمُؤَاحَاةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ إِذَا الْمُؤَاحَاةُ لَا تَدُلُّ عَلَى

الفضيلة فَمَا الْكُفْلَةُ فَإِنَّهَا تَوْجِبُ الْفَضِيلَةَ وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ
قَالَ لَوْ اخْتَرْتُ سَيِّدِي خَلِيلًا لَخَرْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى
وَلَا يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
لَا يَوْفُونَ النَّاسَ حَقَّوهُمْ فَنَهَا هُمْ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ مَعِيَ الْبَنِي وَجَلَّانِ أَحَدُهُمَا
أَيُّهَا هُوَ الْحَقُّ الرُّبُوبُ لَا يَنْقُصَانِ إِذَا كَانَ بِرِضَائِهِمْ صَاحِبُهُمْ جَوْرًا وَإِنَّمَا
لَا جَوْرَ مَعَ الرِّضَا إِذَا كَانَ حَقُّ الرُّبُوبِ وَالْكَيْلُ وَالْوَرْنَ مِنْ أَمْوَالِ الرُّبُوبِ
فَدَلَّتْ أَنَّ الرُّبُوبَ كَانَ حَقًّا مَائِي سُرْعَةً مِنْ قَبْلِنَا وَالثَّانِي النَّهْيُ
بِرُجْعِ إِلَى الْمَصْرَفِ فِي الْمَبِيعِ قَبْلَ الْقَبْضِ وَذَلِكَ مَبْنِيٌّ مَعَ الْبَايَعِ وَغَيْرِهِ
لِأَنَّ الَّذِي يَنْقُصُ مِنْ حَقِّهِ بِرِضَا يَكُونُ هَبَّةً الْمَبِيعِ مِنَ الْبَايَعِ قَبْلَ
قَبْضِهِ مَعَ قِيَامِ الْبَيْعِ بَيْنَهُمَا فَدَلَّتْ أَنَّ الْمَصْرَفَ وَالْقَبْضَ فِي الْمَبِيعِ قَبْلَ الْقَبْضِ
مَنْهِيٌّ مَعَ الْبَايَعِ وَغَيْرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى إِنِّي أَرِيكُمْ كَيْدًا فِي سَعَةِ
الْمَالِ وَقِيلَ فِي رِخْصِ السَّعْرِ وَإِنَّمَا يَحْتَمِلُ الْمُرَادُ عَلَى التَّقْصَاتِ
وَالظُّلْمِ عَلَى أَحَدٍ عِنْدَ عَزْهِ الشَّيْءِ وَصَيِّقُ الْحَالِ فَكَيْفَ تَنْقُصُونَ أَنْتُمْ
فِي حَالِ السَّعَةِ وَرِخْصِ السَّعْرِ وَبَحْتِ أَيْ إِلَى أَرِيكُمْ كَيْدًا فِي عَزْهِ
هَذَا أَيْ مَقْدَمِينَ عَلَى السَّخَاوَةِ وَالْإِعْطَاءِ فَلَا تَطْلُمُوا النَّاسَ فِي هَذَا
وَلَا تَمْنَعُوا حَقَّوهُمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ
هَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْإِحَاطَةُ مُضَافَةً إِلَى الْيَوْمِ
مَعْنَاهُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ بِالنَّاسِ جَمْعٌ وَهُوَ صِفَةُ يَوْمٍ
الْقَتْمَةِ فَإِنَّهُ هُوَ الْيَوْمُ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَبَحْتُهُ أَنْ يَكُونَ الْإِحَاطَةُ
مُضَافَةً إِلَى الْعَذَابِ أَيْ مُحِيطُ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى يَبْقَى
جَارِحَةً مِنَ الْكَافِرِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً إِلَّا وَقَدْ مُحِيطُهَا بِالْعَذَابِ وَيُصِيبُهَا
لَكِنَّهُ أَصْنَفٌ إِلَى الْيَوْمِ لِأَنَّ الْعَذَابَ مُحِيطٌ بِهِمْ فِيهِ كَقَوْلِهِ وَالنَّهَارُ مَبْطُورٌ
أَيْ يُصَرِّفُهُ فَيُصِيرُ تَقْدِيرَ الْآيَةِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ
فِيمَهُ الْعَذَابُ بِكُمْ فَعَلِي التَّوِيلُ الْأَوَّلُ فَالْيَوْمُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
جَمِيعًا وَعَلَى الثَّانِي فَهُوَ مُحِيطٌ بِالْكَفَرَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْعَذَابَ مُحِيطٌ بِالْكَفَرَةِ
فِيهِ لَا غَيْرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَيَأْتِيهِمْ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَخْسُوا النَّاسَ أَسْخَاةً هُمْ خَصُّ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

لما كانوا يطففون للمكيال وينقصون الميزان رغبة فيهما وفيها جزي الربوا
لما ذكرنا ثم الهى اتاهم تخصيص المكيال والميزان لا يدل على انه لم يكن فيهم
من المائم والاجرام سوى ذلك لكن انما خص هذا لما كان الظاهر فيهم
نقصان الكيل والوزن وهو الغالب من اجرامهم وهو كما خص قوم لوط
بقوله اتاتون الذكران من العالمين وقال انكم لتاتون الفاحشة
ما سبقكم به من احد من العالمين ليس على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش
غير بما كان خص هذا لانه الظاهر والغالب فيهم فعلى ذلك هذا والله اعلم
وفي قوله ولا يبخسوا الناس اشياءهم دلالة ان المستري يملك المبيع
قبل ان يقبضه لانه قال ولا يبخسوا الناس اشياءهم ولو كان لا يملك بفقر
الشيء لم يكن اشياء الناس انما كان اشياء البائع فانما نقص ما لعمال الناس
والله اعلم قوله ولا تقفوا في الارض مفتردين وهو كما ذكر في موضع
آخر ولا تقفوا في الارض بعد اضلاعها وقوله بقيت الله خير لكم ان
كنتم مؤمنين قال بعضهم اي ما ابقى لكم من ثوابه في الآخرة خير لكم ان امنتم
به واطعمتموهما الجمعون من الاموال وقال بعضهم بقيت الله خير لكم اي
ما جعل الله لكم مما حل خير لكم بما حرم عليكم من نقصان الكيل والوزن ان كنتم
مؤمنين بالحلل والحرام او بالآخرة وقال بعضهم طاعة الله فيما امركم
به ويدعوكم اليه خير مما تعلمون وقال احسن رزق الله خير لكم من خيسكم
الناس حقوتهم وهذا يرجع الى ما ذكرنا وقوله وما انا عليكم بحفيظ اي
لست اسهد ببيعانكم حتى اعلم بحكم الناس المكيال والميزان لكن انما عرف
ذلك بالله وفيه دلالة اثبات رسالته وحتمه وما انا عليكم بحفيظ اي مستطير
عليكم انما ابلاغ اليكم قوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك يا امرؤ ان تترك
ما يعبد آباؤنا وان نفعل في اموالنا ما نشاء ويقر اصلواتك قال بعضهم
اهل التاويل اصلواتك اي قرأتك تارك هذا وقال ابن عباس رضي الله
عنه قالوا له ذلك لان شعيبا كان يكثر الصلاة كانت حرج على الاضمار
يقولون اصلواتك تارك ان تامرنا بترك عبادة ما عباد آباؤنا ثم قوله
اصلواتك وصلواتك محتمل ان يكون له صلوات معدومة يفعلها فيقولون اصلواتك
التي تفعلها تارك ان تترك كذا او صلاة واحدة تكثرها تارك ان تترك كذا

وتخصيص الصلاة بالذكر من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر
طاعاته عندهم فقالوا له هذا اما لا يدل على نفي غيرها من الطاعات عنه
فيستل قول من يقول بان التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه
ثم محتمل ما قالوا وجهين احدهما كما فهم قالوا اصلواتك تارك ان تترك ما
يعبد آباؤنا وان نفعل في اموالنا ما نشاء على التسعية له والتجمل لمن
يؤرخ اخذوا بسعفه يقول اعلمك يا امرؤ بذلك او دينك واما انك يا امرؤ
هذا وهو كقوليه قل ليس ما يا امرؤ بدينكم وبحوزة ذلك من الكلام كحرج
على التسعية والتجمل للمخاطب والثاني ان قالوا ذلك على سبيل الإنكار
يقول الرجل لا جذا يا نك يا امرؤ نراك او علمك يا امرؤ بهذا على الإنكار اي لا
يا امرؤ بذلك فعلى ذلك قوله اصلواتك تارك بهذا اي لا تارك بذلك
هذا اذا كانت الصلاة التي ذكروها موضوعة عندهم حتى يستقيم ذلك منهم على
الإنكار ان الصلاة لا تامة بهذا وان لم تكن موضوعة عندهم فالتاويل هو
الاول انهم قالوا ذلك على الاستهزاء والله اعلم ثم قوله اصلواتك تارك
ان تترك ما يعبد آباؤنا يدل على انه حجب اليهم تقليد آباؤهم في عبادة الاصنام
واتباعهم اماهم والاموال التي كانت لهم فيمنعهم هذان عن النظر في الحق
والايات لحجب تقليد الآباء والاموال وهكذا جميع الكفرة انما منعهم عن النظر
في آيات الله والتأمل في حجه واتباع رسوله احدا لوجوه التي ذكرنا مما
تقليد الآباء وحب اللذات والميل الى الشهوات ودوام الرياسات
ظنوا انهم لو تبعوا الرسل واجابوهم الى ما دعواهم اليه لذهب عنهم ذلك والله اعلم
وقوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء محتمل قضا جميع الشهوات وحتم
ما ذكر من نقصان المكيال والميزان يقولون اموالنا ليس لاحد فيها حق
نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم او ان نفعل الالف صيلة ويقدره ان نفعل في
اموالنا ما نشاء وقوله انك لانت احكيم الرشيد قال اهل التاويل
قالوا له ذلك استهزاء به وسخرية كنوا باحكم من التسعية وبالرشيد عن الضار
او انت التسعية حيث سفنت آباءنا في عبادة الاصنام وانت الضال حيث
تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم قالوا على ذلك على النفي والإنكار اي ما
انت احكيم الرشيد ويُسببه ان يكون على حقيقة الوصف له يا حكم والرشيد

لأنهم لم يأخذوا عليه كذا فقط ولا رأوه على خلاف ولا على سفاهة فقط فقالوا انك لانت
الحكم الرشيد اي كنت هكذا فكيف تركت ذلك بادعائك الرسالة ومنعنا عن دين
الاباء وامتنا عنك عنه وهو كما قالت قوم صالح لصالح يا صالح قد كنت فيما مر جوا قبل
هذا اتهمنا ما نعبد ما يعبد ابائنا من قبل قولك تعالى قال يا قوم ارايتم ان
كنت علي بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا حسنت هذا منه ما قال اوليك
الانبياء واتاني رحمة من عنده فكان كما ذكرنا في قوله واتاني منه رحمة وقوله
ورزقي منه رزقا حسنا حسنت انه رزقي الدين والهوي والنبوة وحسنت ان يكون
الرزق احسن هو الاموال الحلال الطيبة التي لا تتبعه عليها فقال ذلك وما
رزق اوليك الكفرة عليهم تبعه في ذلك لانهم اكتسبوا من غير وجه الحق قوله
وما اريد ان اخالفكم الي ما انهيكم عنه من الناس من قال انما قال لهم شعيت هذا
بان انا قالوا له علي ما ذكرني سورة الاعراف لنخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قوتينا اولنعودن في ملتينا بقول ادعوك الي الايمان بالله والتوحيد له وانهيكم
عن الكفر به ثم ارتكب ما انهيكم عنه وادعوك اليه وقال قتادة لم انزل انهيكم
عن امر واركبه وهو واحد وحسنت اي وما اريد فيما انهيكم عنه ان اظهر لكم المخالفة
فيه انما اريد بذلك الاصلاح والنفع لكم فليس المراد عين المخالفة انما المراد ان يصل
النفع اليكم بقول ما ادعوك اليه وذلك قوله ان اريد الاصلاح ما استطعت
اي ما اريد الاصلاح ما دمت مستطيعا وفي الآية دلالة على ان الاستطاعة
تكون مع الفعل لا مع القول لان الاستطاعة لا تكون الا بالقدرة على الفعل
وكيف ما كان فقد اخبر انه يريد ظهر من الاصلاح ما استطاع وهو ينقص قول
المعتزلة لانهم يقولون ان الاستطاعة تقدم الفعل وهي لا تبقى فاذ اعلى قولهم
كانه اراد لهم الاصلاح في حال ما لا يستطيع واينه خلاف ظاهر الآية والله الموفق
قوله تعالى وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان
هو صفة كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو ما يوفق في الطاعة بين قوله وفعله
والخذلان ما يفتقر في المعصية بين قوله وفعله معناه ان كل مؤمن معتقد بان
ما امر به بقلبه ويلتزمه بلسانه وكذلك الاجتناب عما نهى عنه فاما رزقه من اللطف
الذي به يحقق قوله بفعله وجمع بينهما ويؤيد ما امر به فهو التوفيق وفي المعصية
منع عنه ذلك اللطف بين قوله وفعله ولا يحقق قوله بفعله وقال الحسن النجار

التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية ويعتقد
التوفيق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفتقر بين
عمل الخير والاستطاعة او يقول هو ان يفتقر بين عمل الشر والاستطاعة
وهما واحد قوله تعالى عليه توكلت واليه انيب اي عليه اعتمدت في
جميع اموري واليه ارجع او يقول اليه اقبل بالطاعة قوله تعالى ويا قوم
لا تجد منكم شقائي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح
اي مثل ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالترج الضو صر وقوم صالح بالهجرة
علي ما ذكر وقوله تعالى لا تجد منكم شقائي قال بعضهم لا يحملكم شقائي قبل خلالي
ان يصيبكم مثل ما اصاب اوليك وقيل لا يكسبكم واصل الجرم الكسب الالم
وقال الحسن شقائي صمد اري ولكن كله يرجع الي معني واحد لانه اذا ثبتت
العداوة ثبتت المخالفة والبغض والصور ثم يخرج انذاره اياهم من هلك من
الامم علي وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث والقيامة فانذروهم
بن هلك من الامم السالفة لانه لو كان ينذروهم بالبعث لكان ان يجمع فيهم لانهم
لا يؤمنون به والثاني انذروهم باوليكم لانهم كانوا يقبلون آباءهم في عبادة الاصنام
ويتبعونهم فنقول انكم تغفرون آباءكم في عبادة الاصنام والاوثان فاتبغواهم
ايضا فيما بلغوا اليكم من هلاك اوليك بعبادتهم الاوثان وتكذبهم الله سئل فاذا قلدهم
في ذلك فملا تغفرونهم فيما اصابهم والله اعلم او انكم تغفرون آباءكم الذين عبدوا
الاوثان فملا تغفرونهم فيما اصابهم والله اعلم او انكم تغفرون آباءكم الذين عبدوا
ثم هلك ومن يخافهم ثم تجاؤ الله اعلم وقوله وما قوم لوط منكم بعيد اي ليس منكم
من معني منهم فلا تنسوا ما نزل بقوم لوط وهم ليسوا بعيد منكم قوله تعالى
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي اطلبوا من ربكم المغفرة ثم توبوا اليه اي رجعوا
اليه رجوعا لا تقودوا الي مثل صنيعكم ابدا قوله تعالى ان زي عفرار
ودود رحيم من تاب اليه اي اطلبوا السبب الذي يقع لكم المغفرة من ربكم
وهو التوحيد وقوله ودود محنت الوجهين احدهما اي حق ان يؤذاه منه كل
شيء وكل احسان والناس جبلوا علي حيت من احسن اليهم والثاني ودود لمن توسل
اليه وتغرب قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا ما يقول محنت ما نفهم
وما نفعل كثيرا ما تقول كما نفعلون ذلك علي الاستهزاء كما نفهم نسبوا الي الجنون

يقولون لا نفهم بما تقول لان كلامك كلام المجانين وهذه كانت عادة القوم انهم كانوا
يُسببون الرسل الي الجنون ويحتمد ما نفقه ما نقبل كثيرا بما يقولون فان كانت
علي القوم فهو كقولهم خبرا عنهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهم كانوا
فريقين فريق كانوا يقولون ان قلوبنا اوعىة للعلم فان كان يقول حقا نفهم ونعقل
كما نعقل غيره وفريق كانوا يقولون قلوبنا في الكفة بما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرا كانوا
يقولون انهم لا يفهمون لان قلوبهم في الكفة وفي آذانهم وقرا والفريق الاول يقولون
ان قلوبنا اوعىة للعلم فلو كان حقا ما نقول لكانا نعقل كما نعقلنا غيره فهو لا كانوا يعرفون
العييب الي الرسول واوليك الي انفسهم فعلي ذلك قوم شعيب يحتمد ان يكونوا كذلك
والله اعلم قوله تعالى وانا لست بكم فينا ضعيفا محتمد هذا وجهين احدهما اني انك
لست من كبارنا واجلستنا انما انت من اوساطنا فعلي ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط
الناس لان كبرائهم في امر الدنيا فالتقوى والعز يزعمون انهم لا يعرفون الدين ولا
والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم لا يعرفون الدين ولا
يؤمنون بالآخرة لذلك قالوا ما قالوا والله اعلم والثاني اي لست انت بذي فتوة
ولطيف في نفسك وقد ذكر في القصة انه كان ضعيفا في بصره ونفسه ففصل وصفه
بالضعيف لهدى الوجهين والله اعلم قوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك
اي قبيلتك وقيل عشيرتك والرجم محتمد القتل ومحتمد الستم واللعن ثم قوله
ولولا رهطك لرجمناك محتمد وجهين احدهما اني لولا جومة رهطك والارجمناك
كانوا انهم يحتمدون رهطه لوافقته رهطه ايام في عبادة الاصنام وما هم عليه
والثاني اني لولا اخوف من رهطك لرجمناك لما ذكر انه كان كثير العيشة والقبيلة
وكا نواحيه من عشيرته فلم يوذوه والله اعلم قوله تعالى وما انت علينا
بعزيز اي ما انت من اجلتنا وكبرائنا انما انت من اوساطنا ومحتمد وما انت علينا
بعزيز لان العز يزعمون انهم لا يعرفون المال والدنيا لا يعرفون العز في غير
ذلك ومحتمد وما انت علينا بعزيز اي انت ذليل عندنا لست بعز يزعمون صلة
قوله وانا لست بكم فينا ضعيفا والله اعلم قوله تعالى يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
هذا محتج علي وجهين احدهما محتمد يا قوم ارهطي اعظم عليكم من الله والكثرة حرمته
حتى تركتم ما اوعدتوني من النعمة لحقهم وحرمتهم ولا تمنعكم حرمة الله حيث اوعدتوني
بها والله اعلم والثاني اي ارهطي استد خوفكم والكبريائية من الله تعالى وهذا

لما ذكرنا ان قوله ولولا رهطك لرجمناك انه محتج علي وجهين احدهما علي الاحتجاج
لرهطه لوافقته ايامهم في جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثاني علي المنوف
والنكابة لقوتهم وكثرتهم وفضل بطشهم تركوا ما اوعدوا له خوفا من رهطه
فقال خوفكم من رهطي شد عليكم والكثرة من الخوف من الله وقد بلغكم من نكابة الله
ويقمته فيما حلت بالامم الماضية او حومة رهطي عنكم وحقق اعظم من حق الله
وحرمة وقد تعلمون احسانه اليكم وانعامه عليكم والله اعلم قوله تعالى
واخذتموه وراكم ظهوريا قال بعضهم حملتموه علي ظهوركم وحملهم اياه علي ظهورهم
اسخاطهم اياه بقول العرب فلان حمل الناس علي ظهوره اي اسخاطهم علي نفسه
ولكن لا ندري ايتناك هذا ام لا فان قيل فهو محتمد وهو قول اي بكر الا صم
وقال غيره من اهل التأويل اني بنذتم الله وراكم ظهوركم وهذا علي التمثيل اي
جعلوا امر الله ودينه الذي دعوا اليه كالمسبوذ وراكم ظهوره لا ينظرون اليه ولا
يكثرون وهو ما ذكر في قوله نكص علي عقبيه وقوله انقلبتم علي اعقابكم علي
التمثيل اي الذي انتم عليه في القبح كالانقلاب علي الاعقاب قوله تعالى ان
ربي ما تعلمون محيط محتج علي وجهين احدهما اي ربي ما تعلمون من الاعمال الخبيثة
محيط فنجزم بها او يقول ان ربي ما تعلمون من الكبر بوسول الله والمكروه محيط
فينصروه عليكم وقوله ويا قومي اعملوا علي مكانتكم اي عامل هذا محتج علي وجهين
احدهما اي كوني علي دينكم الذي انتم عليه وانا اكون علي دين الذي انا عليه لاني سعيد
قالوا انخرجك يا شعيب فالذين آمنوا معك من قريتنا اولقودن في ملتنا فقال
لهم عند ذلك وهذا ايضا يقال عند الاياس عن ايمانهم والثاني قوله اعملوا علي مكانتكم
اي عامل اي اعملوا في كيدي والمكروه هلاكي اي عامل ذلك بكم قوله تعالى سوف
تعلمون اي سيعلمون في العاقبة حرج علي الوعيد وقوله من ياتي عذاب تحذيره اي
سوف تعلمون في العاقبة من ياتي عذاب تحذيره نحن ام انتم وقوله تعالى ومن هو
كاذب وتعلمون في العاقبة من الكاذب يتلاق كل واحد من الفريقين يدعي علي
الفريق الآخر الكذب والافتراء علي الله فيقول سوف تعلمون في العاقبة من الكاذب
متنا والمعتري علي الله والصادق عليه قوله تعالى وارتقبوا اي معكم رقيب اي
ارتقبوا هلاكي فاني ارتقب هلاككم اي ارتقبوا العاقبة متنا فاني معكم رقيب والله اعلم
قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا برحمته منا واخذت الذين

ظَلُّوا الصَّيْحَةَ أَيَّ هَلَكُوا بِصِيْحَةِ جَبْرِيلَ وَقَالَ بَعْضُ الصَّيْحَةِ اسْمُ كُلِّ عَذَابٍ وَكَذَلِكَ
الرَّجْفَةُ سَمِيُّ الْعَذَابِ بِاسْمِهَا مُخْتَلِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ صَاحِقَةٌ وَمَعْرُوفَةٌ رَجْفَةٌ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا قَدْ ذَكَرْنَا فِيهَا قَدْرَ
قَوْلِهِ تَعَالَى الْآبَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا يَعْتَذِرُ ثَوْدٌ هَذَا أَيْضًا قَدْ ذَكَرْنَا وَقَالَ هَلْ
التَّوِيلُ الْآبَعْدَ الْمَدِينِ فِي الْهَلَاكِ كَمَا بَعْدَ ثَوْدٍ كَمَا هَلَكْتَ ثَوْدٌ لَا يَنْكَلُ وَاحِدٌ مِنْهَا هَلَكَ
بِالصَّيْحَةِ فَمَنْ مَثَلُ اخْتِصَافِ ثَوْدٍ مِنْ بَيْنِ الْأَسْمَاءِ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ الْآبَعْدَ الْمَدِينِ أَيُّ
الْآبَعْدَ الْمَدِينِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَمَا بَعْدَ ثَوْدٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
عَنْهَا قَالَ لَمْ يَعْتَذِرْ بِعَذَابٍ وَاحِدٍ إِلَّا قَوْمُ شُعَيْبٍ وَصَالِحٍ فَأَمَّا قَوْمُ صَالِحٍ اخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
مِنْ نَجْمِهِمْ وَقَوْمُ شُعَيْبٍ مِنْ قَوْمِهِمْ قَالَ نَشَأَتْ لَهُمْ مَخَابَةٌ فِيهَا عَذَابُهُمْ فَلَمْ يَعْلَمُوا كَيْفِيَّةَ
الظَّلِيلَةِ فِيهَا رَجَحَ فَلَمَّا رَأَوْهَا آتَوْهَا يَسْتَسْطَلُّونَ تَحْتَهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَنَسَّاهُ عَلَيْهِمْ
الْعَذَابُ مِنْ قَوْمِهِمْ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلِيلَةِ الْآيَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ لِحُكْمِ قَوْلِهِ بآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ وَاحِدٍ عَلَى التَّكْرَارِ وَهِيَ الْحُجَّةُ وَحُكْمُهَا أَنْ يَكُونَ الْآيَاتُ هِيَ الْأَوَّلُ وَالْوَاحِدُ
وَمَا يُؤْتِي وَمَا سَمِيَ وَقَوْلُهُ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ الْحُجَّةُ وَالْبَرَاهِينُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَسْتِيْنِ اسْمُ الْجَمَاعَةِ وَاسْمُ الْأَسْرَافِ
وَهُوَ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى الْأَسْرَافِ مِنْ قَوْمِهِ وَإِلَى الْعَامَةِ أَيْضًا لَكِنْ خَصَّ بَعْثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ وَإِنْ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى الْكُلِّ لَمَّا الْعَرَفَ فِي الْمُلُوكِ أَنَّهُمْ يَخَاطَبُونَ الْكِبَرَاءَ مِنْهُمْ
وَالْأَسْرَافَ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخُطَابِ الْكُلِّ قَوْلُهُ تَعَالَى فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ مَا ذَكَرْنِي حَمْدُ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَالَ طَهُمَ مَا
أَرَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ فَأَطَاعُوا فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ يَقُولُ اللَّهُ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ أَيُّ هَدْيٍ وَلَكِنْ عِنْدَنَا أَنَّهُمْ أَطَاعُوا فِرْعَوْنَ جَمِيعًا
أَمْرُهُ وَهَبِهِ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَعَنِ هَذَا هُوَ مَا ذَكَرْنَا فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ
وَحُكْمُ مَا لَا مَرَدَ الَّذِي مَا عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ بَلْ هُوَ ضَلَالٌ أَيُّ أَمْرٍ لَيْسَ بِرَشِيدٍ
وَيَهْدِي بَلْ كَانَ أَمْرُهُ ضَلَالًا حَيْثُ كَانَ هُوَ مُضِلًّا ضَالًا قَوْلُهُ تَعَالَى يَقْدُمُ
قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّ صَارَ قَدَامَهُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَقْدُمُ قَوْمَهُ أَيُّ يَتَوَدَّدُ
قَوْمَهُ إِلَى النَّارِ حَيْثُ يُوْرِدُهُمُ النَّارُ وَحُكْمُ يَقْدُمُ قَوْمَهُ أَيُّ يَكُونُ أَمَّا مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ كَمَا كَانَ أَمَامَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَاتَّبَعُوا قَوْلَهُ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِأَمَامِهِمْ

وَقَالَ وَجَعَلْنَا هُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ أَخْبَرَانِهِمْ يَكُونُونَ آيَةً لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَيْسَ بِهِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ فَأَوْرِدَهُمْ آيَةً دَعَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَمْرُهُمْ بِأَمْرٍ تَوَرَّدَهُمُ
النَّارُ تِلْكَ الْأَعْيَانُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فَأَصْبَحُوا عَلَى النَّارِ أَيُّ مَا أَصْبَحُوا عَلَى عَمَلِ
أَهْلِ النَّارِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَتَّبِعُونَهُ حَيْثُ يُدْخِلُهُمُ النَّارُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَيَلِيَنَّ الْيُورْدُ الْيُورْدُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَلِيَنَّ الْمَدْخَلَ وَالْيُورْدُ الْمَدْخُلُ وَالْيُورْدُ
الْمَدْخُلُ سَمِيُّ الْجَزَاءِ بِأَسْمِ سَبَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ
إِلَّا أَنَّ مِنَ الْيُورْدِ يَوْمَ دُخُولِ مَنْهُ قَوْلُهُ يَلِيَنَّ الْيُورْدُ الْيُورْدُ وَقَوْلُهُ وَإِنْ
مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا وَقَوْلُهُ وَأَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ وَقَوْلُهُ وَلَسْتُ بِمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَرَدَّافَتَا وَاهِدٌ لِيُورِدْنَهَا كُلُّ بَرٍّ وَفَاجٍ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لِحُكْمِ اللَّعْنَةِ فِي الدُّنْيَا الْعَذَابُ الَّذِي
نَذَلَ بِهِمْ وَحُكْمُ لَعْنَةِ الْخَلَائِقِ حَيْثُ يَلْعَنُهُمْ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَفِي الْآخِرَةِ لِحُكْمِ وَجْهِ
أَيْضًا أَحَدُهُمَا أَيُّ يَعَذِّبُونَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا عَذِّبُوا فِي الدُّنْيَا وَالثَّانِي لِحُكْمِ لَعْنَةِ
الْخَلَائِقِ أَيْضًا مِنْ رَأْمٍ يَلْعَنُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَاللَّعْنُ هُوَ الطُّرْدُ فِي اللَّفْظِ أَيُّ طَرَدُوا
عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُرْجِعُوا إِلَى عَذَابِ الدُّنْيَا وَلَا يُرْجَعُونَ فِي عَذَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَلِيَنَّ الْيُورْدُ الْيُورْدُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهَا لَقَوْلِهِ
لَعْنَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَالَ مَنَادَةٌ أَيُّ تَرَادُفَتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَتَانِ مِنَ اللَّهِ لَعْنَةُ الدُّنْيَا
وَلَعْنَةُ الْآخِرَةِ وَلَكِنْ عَلَى رَأْمِهِ بَحْنٌ أَنْ يَقَالَ الْيُورْدُ مِنَ التَّرَادُفِ وَقَالَ الْقَسْبِيُّ
الْيُورْدُ الْعَطِيَّةُ وَالْعَوْنُ وَالْمَرْفُودُ وَالْمَعْطِيُّ يَقَالُ رَفَدْتُهُ إِذَا أَعْطَيْتُهُ وَأَعْنَتُهُ كَأَنَّهُ
يَقُولُ بَيْتًا لِعَطَاءِ الْمَعْطِيِّ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ بَيْتًا مَا أَعْطُوا وَأَعْبَنُوا
وَبَيْتُ الْمَعْطِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى ذِكْرُ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقَصَتْهُ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ قَوْلُهُ ذِكْرُ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى ذِكْرُ مَا سَبَقَ مِنْ ذِكْرِ الْقُرَى
وَالْقُرَى فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نَقَصَتْهُ عَلَيْكَ لِيُعْلَمَ بِهَا رِسَالَتُكَ
وَتَكُونَ آيَةً لِنَبِيِّكَ لِأَنَّكَ لَمْ تَشَاهِدْ هَذَا وَلَا اخْتَلَفْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فَتَعَلَّتْ مِنْهُمْ وَكَانَتْ
الْكِتَابَ بَلَدًا نَكَ فَيَقُولُوا نَظَرْتُ فِيهَا فَأَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْهَا ثُمَّ أَنْبَأْتُ عَلَى مَا كَانَ وَنَقَصْتُ
عَلَيْهِمْ لِيُعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا عَرَفْتَ مَا لَكَ تَقَالِي وَقَوْلُهُ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ
التَّوِيلِ أَيُّ أَنَّ تِلْكَ الْقُرَى مِنْهَا قَائِمٌ بِرِي مَكَانَهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهَا وَمِنْهَا حَصِيدٌ لَا بَرِي
لَهَا أَثَرًا وَلَا مَكَانًا وَقَالَ بَعْضُهُمْ قَائِمٌ أَيُّ خَائِيَةً عَلَى عَدُوِّهَا وَحَصِيدٌ مُسْتَأْصِلَةٌ

وَعَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ مِنْهَا قَائِمٌ وَمَا حَصَدَ اللَّهُ الْكَثْرَ أَيْ وَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مِنَ الْقَرَى الْكَثْرَ
وَاصْطَلَهُ عِنْدَ نَامِنِهَا قَائِمٌ مِثْلُ مَزِي عَادٍ وَمُثَوِّدٍ وَمَذِينٍ أَهْلَكَ أَهْلَهَا وَبَقِيَتْ الْقَرَى
لَا أَهْلَ إِلَّا سِلَامٌ لِأَنَّهُ يَقُولُ فِي قَدِي عَادٍ فَاصْبَحُوا الْإِثْرِي الْإِسْمَاكِيهِمْ وَمِنْهَا حَصِيدٌ
مَا أَهْلَكَ أَهْلَهَا وَالْقَرَى جَمِيعًا حَقَّ قَوْمُ نُوْحٍ وَقَوْمُ لُوطٍ أَهْلَكُوا بَنِيَانَهُمْ فَذَلِكَ تَأْوِيلُ
قَوْلِهِ مِنْهَا حَصِيدٌ مِنْهُ وَجَوَ ثَلَاثُهُ أَحَدُهَا أَنَّهُ السَّالَةُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَالثَّانِي وَهُوَ مَا
ذَكَرْنَا فِي آخِرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَيْ عِبْرَةٌ وَالثَّالِثُ رَجُوعُ
لَا أَهْلَ الشُّرُكِ وَالْكَافِرِينَ بِذِكْرِهِنَّ مَا تَوَلَّى تَأْوِيلُكَ فَيَنْزَجِرُونَ عَنْ مَنَيعِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَفِي قَوْلِهِ ظَلَمْنَاهُمْ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا
أَيْ لَمْ تَظْلِمْنَاهُمْ لِأَنَّهُمْ وَبَنِيَانَهُمْ مَلَكَ اللَّهُ وَكُلُّ ذِي مَلَكٍ لَهُ أَنْ يَهْلِكَ مَلَكُهُ وَلَا يوصَفُ بِالظُّلْمِ
مَنْ أَتَلَفَ مَلَكُهُ وَهُوَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِذَا أَنْفَسَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ وَكَذَلِكَ بَنِيَانَهُمْ وَمَنْ أَتَلَفَ
مَلَكٌ غَيْرُهُ فَهُوَ ظَالِمٌ وَالثَّانِي أَنَّ الظُّلْمَ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ يَقُولُ وَمَا ظَلَمْنَا هُمُ
بِالْعَذَابِ إِذْ هُمْ يَسْتَوْجِبُونَ ذَلِكَ بِمَا أَرْتَكِبُوا فَلَمْ نَضَعْ الْعَذَابَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بَلْ هُمُ الَّذِينَ
وَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا حَيْثُ صَدَّقُوا هِيَ إِلَى غَيْرِ مَا لَهَا عَبْدٌ وَغَيْرُهُ فَهُوَ ظَالِمٌ
هَذَا التَّأْوِيلُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَأَمَّا الْبَنِيَانُ فَإِنَّهُ إِنْ جَعَلْنَاهُمْ فَادِّ الْأَهْلُكُوا أَهْلَكُوا بِمَا جَعَلَ
لَهُمْ إِنْ بَقِيَ لَهُمْ مَا دَامُوا فَمَا إِذَا أَبَادُوهُمْ فَلَا مَعْنَى لَاقِيَاتِ الْبَنِيَانِ لِأَجْلِهِمْ وَمَا ذَكَرْنَا مِنْ ظَلَمِهِمْ
أَنْفُسَهُمْ لِحَقِّهِمْ وَجَوَاحِدُهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَالثَّانِي بِصَدَقِهِمُ النَّاسَ
وَصَدَقَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَالثَّالِثُ بِسُوءِ أَلْهِمَهُ الْعَذَابَ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
فِي هَذَا وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا مَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ عِبَادَةَ آلِهَتِهِمُ الَّتِي عَبْدُوا وَمِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أَيْ عَذَابُ رَبِّكَ كَقَوْلِهِمْ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى خَبَرُ
أَنْ عِبَادَتِهِمْ إِلَّا صَنَامٌ لَمْ تَنْفَعْهُمْ الْمَنْفَعَةُ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ
فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ فِي أَحْوَجِ حَالٍ إِلَيْهَا الْعِزُّ وَمُضْعِفُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ لِقَوْلِهِمْ
هَؤُلَاءِ مَتَّعَاهُمْ وَأَعْنَدَ اللَّهُ فَإِذَا لَمْ يَمْلِكُوا ذَلِكَ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ فَكَيْفَ يَمْلِكُونَ فِي غَيْرِ
مِنْ أَحْوَالٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيَّتٍ وَخُتْلَفَ فِي التَّنْبِيْهِ
قَالَ عَامَّةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ هُوَ التَّخْصِيرُ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو حُجَّةُ إِيَّائِي غَيْرُ فَتْسَادٍ وَالتَّنْبِيْهِ
الْفِتْسَادُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ أَيْ فَتْسَادٌ وَقَالَ عَيْنٌ إِلَّا
فِي خُسَادٍ وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خُسِيرٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى تَبَّتْ يَدَايِي لِحَبِّ وَتَبَّتْ

أَيْ حَسِرَتْ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو غَيْرُ تَتْنِيَّتٍ أَيْ غَيْرُ تَدْمِيرٍ وَاهْلَاكٍ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ
تَبَّتْ يَدَايِي لِحَبِّ وَتَبَّتْ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى تَبَّتْ يَدَايِي لِحَبِّ وَتَبَّتْ بِعَصَمِ غَيْرِ تَتْنِيَّتٍ
غَيْرُ شَيْءٍ وَالتَّنْبِيْهِ وَالتَّبَّتْ الشَّرُّ وَالْخُسْرَانُ وَبَعْضُهُ قَرِيبٌ مِنْ بَعْضٍ وَقَوْلُهُ
تَعَالَى وَكَذَلِكَ إِذَا أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى أَيْ هَكَذَا يَأْخُذُ قَرَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا أَخَذَ
أَوَّلِيكَ وَكَأَعَذَّبَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِيُؤْثِرَهَا
كَافِرَةٌ أَيْ كَذَلِكَ يُعَذَّبُ هَذِهِ الْأُمَّةُ لَكِنْ أَخَذَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ أَخَذَ إِلَهُكُمْ شَيْدٌ يَدَايِي إِنْ أَخَذَ بِالْعَذَابِ شَيْدٌ يَدَايِي الْأَخْذُ
نَفْسُهُ يَوْصَفُ بِالشَّدَةِ وَلَكِنْ لَا يَوْصَفُ بِالْإِلْمِ لَكِنْ لَعَذَابُ يَوْصَفُ بِالْإِلْمِ يَقَالُ عَذَابُ
إِلَهُكُمْ فَلَمْ يَوْصَفُ إِلَّا بِالشَّدَةِ فَذَلِكَ إِنْ الْمُرَادُ مِنَ الْأَخْذِ أَخْذُ عَذَابٍ
أَيْ أَخْذُ الْعَذَابِ شَدِيدٌ وَعَذَابُهُ إِلَهُكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَيْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِأَهْلِ التَّقْوَى عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ خُصَمَاءُ النَّاسِ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ الْجَمْعُ لَهُمْ
وَلَا يَجْمَعُهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا قَالَ تَعَالَى وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
وَإِنَّمَا كَانَ لَوْحَيْنِ أَحَدُهُمَا لَانَهُ ذَكَرَ عَقِيبَ قَوْلِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ
خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَالْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا تَكُونُ لِلنَّاسِ وَالثَّانِي أَنَّ النَّاسَ هُمُ الْمُقْصُودُونَ
بِالْجَمْعِ وَبِذَلِكَ الْيَوْمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِيهِ لَجَمْعٌ مِنْهُ الْأَقْلُونَ وَالْآخِرُونَ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٍ قَالَ بَعْضُهُمْ أَيْ يَشْهَدُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِلْمَعْدُونِ
وَالْحِسَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا نُوْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدٍّ وَإِيَّيْ مَا يَوْخِرُ الْعَذَابَ
عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدٍّ وَذَكَرَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ جَوَابَ مَا اسْتَعْجَلُوا مِنَ الْعَذَابِ
بِقَوْلِهِمُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطَرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ آتِنَا بِالْعَذَابِ إِلَهُكُمْ وَخَوَّه فَقَالَ وَمَا نُوْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدٍّ وَإِيَّيْ إِلَّا لَوْ قَبْلَ مَوْقِفِهِ
ثُمَّ قَوْلُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدٍّ وَإِيَّيْ مُعَدٍّ عِنْدَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَبْعَةُ الْآيَاتِ فَيَكُونُ أَجَلًا مُعَدًّا وَعِنْدَ النَّاسِ وَيَكُونُ وَقْتُ
الْقِيَامَةِ مَعْلُومًا لَهُمْ وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُخْلِيهَا لَوْ قَبْلَ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْمُوفِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى
يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَلِكَ لِكُلِّ نَفْسٍ بِالشَّفَاعَةِ لِأَجْلِ الْإِبَادَةِ كَقَوْلِهِ لَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَحَسْبُكَ إِيَّيْ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَمْ نَزْعِهِمْ مِنْهُ كَقَوْلِهِ مَنْ طَعِنَ
مُقْنَبِيٍّ وَوَسَّيْهُمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرَفٌ وَأَمَّا تَعَالَى هُوَ آذَنٌ وَقَوْلُهُ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ

له الرحمن الآية والله اعلم قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد اي فمنهم شقي باعالم
الخبثية التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعات
والخيرات التي اذا عملها واختارها ادخلته الجنة كل عمل يعمل فيدخله الجنة
فهو سعيد به وكل عمل يعمل فيدخله النار فهو شقي به وروي في ذلك خبر عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم روي عن عمه رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية فمنهم
شقي وسعيد سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم يا بني الله فلي من نعمل على شئ
قد نفع منه او شئ لم ينفع منه قال بل على شئ قد فرض منه وجرت به الاقلام
يا عمه لكن كل ميتة لما خلق له فان ثبت هذا فهو ذليل لما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى فاما الذين شقوا في النار لما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق قال
بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما يهيق والشهيق هو
كشهيق الحمار في الخلق وهو آخر ما يفزع من شهيقه وقالت بعضهم الزفير ما
يفهم منه شئ انما هو كالانين والنجذع من شئ يصيبه لا يتبين منه والشهيق ما
يرتفع منه الصوت ويحتمل ما ذكر من الزفير والشهيق انه يصيرون بعد كثر
دعائهم ويدأهم حتى يكون من كل واحد منهم الزفير والشهيق لا يفهم منه صوت
الدواب اذا اصابها الم قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
عن الحسن قال في قوله ما دامت السموات والارض تبدل سما غير هذه السما
وارض غير هذه الارض لان الله تعالى اخبر ان هذه السموات تطوي وتبدل
بقوله يوم تلتشق السما بالقيام وقوله يوم تطوي السما وقوله يوم تبدل الارض
غير الارض ويحذرك فان كان المراد خالدين فيها ما دامت تلك السما والارض وهي
باقية لا تغيب ابدا فكذا يكون عذاب الكفرة على الابد وقال بعضهم اي يدوم لهم
العذاب على الابد كما دامت السما والارض لاهل الدنيا ما داموا فيها لانما تغيبان
بعد وفات اهلها وبعد احياء الاهل والبعث فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم
لاهل الدنيا السما والارض والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض اي ما دامت السما والجنة وارضها وسما النار وارضها لكن ذكر هذا لئلا
يتوهم اهل الجنة الهلاك قبل هلاك سماها وارضها على ما يتوهم هلاك اهل الدنيا
قبل هلاك سماها وارضها والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض اي ما دامت السما وسما الارض وارضها يتكلمون على ما بعد عن اوهامهم

٤٨٩

فناؤه ويريدون الابد فخرج هذا على عادة العرب لارادة الابد ويحتمل
قوله ما دامت السموات والارض خرج على الصلة لقوله خالد بن فيها
وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة لقول الرجل لا خذ لك ما دامت الليل والنهار
اي ابد والله اعلم قوله تعالى الا ما شاء ربك قالت بعضهم ان ما شاء
من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون
منها ويصير تقدير الآية كانه قال فاما الذين شقوا في النار الا ما شاء ربك فانهم
لم يشقوا مشقة من تخلد في النار فلا تخلدون فاما الذين سعدوا في الجنة الا ما
شاء ربك فانهم لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار
فلا يدخلون الجنة قبل دخول النار فلا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار
خلود في النار حيث خرج منه ولا يكون له ايضا خلود في الجنة مقابلة من لم
يدخل النار لانه لم يدخل الجنة من الابد او فهو مع الاستثناء في الخلود والله اعلم
وقد روي صاحب هذا التاويل آثارا روي عن ابي سعيد الخدري وعن ابي هريرة
رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الاستثناء في الايتين كلتيهما
لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لم يكن خلود في حق المسلم الذي دخل النار حيث
خرج من النار ويدخل الجنة ولا يكون دخول الجنة في الوقت الذي دخله الذي
لا ذنب له فلا يكون في مقابلة ذلك واما خلود وقد روي في بعضها انه قال
اما من يريد الله اخراجه منها فانهم يمانون فيها ما شاء الله وقال في خبر آخر اما من يريد الله
به الخلود فلا يخرجون منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبتت الاخبار فهذا هو
المعتمد وقالت بعضهم الا ما شاء ربك اي قد شاء ربك لاهل النار الابد والخلود
وشاء لاهل الجنة عطاء عني مجذوب واصل هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثناء
الذي هو في اهل السعادة هو المشكل لانه يقال كيف يستثنى وقد وعد لهم خلود
الابد في الجنة وقال في ذلك اقوال لا ادري الي من يستند ها الا ان لها مخرج
في كلام العرب وشواهد في الآثار وانما تكلم الناس في هذا على معاني العربية
والله اعلم بما اراد من الوجوه ولا تقطع على واحد منها بكونه مراد الله تعالى فاحد
هذه الوجوه في الاستثناء فيما يقال كانه جل بوجوب على نفسه الشئ ليفعله
او بعد عنه ثم يقول ان شاء الله وعزمه صحيح مع استثنائه انه فاعل لا يريد عين
وما يقول هذا المذهب قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

استثنى وقد علم الله تعالى انهم قد اخلوه البتة ومنه قوله تعالى لنبيه ولا تقول
لشيء ابي فاعل ذلك عند الا ان يشار الله والوعد من النبي واجب ومنه
ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا تحل لتقططها
الا لمشيد قبل انه استثنى المشيد واللقطة لا تحل كما لا حل لغيره والوجه
الثاني ان يكون الا بغيري سوي وغير فان العرب تفعل ذلك بقول لي عليك
الف درهم من قبل كذا وكذا الا الالف اليه قبل ذلك اي سوي الالف التي قبل
ذلك وغيرها فكون المعنى على هذا انه وعد لهم خلود الابدي سوي ما وعد
لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم وما يتقوى هذا التأويل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اعدت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل ما اطلعتم
عليه ثم قراء فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين افلا تزي ان ههنا من الزيادة
ما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم
عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما بين البعث والموت وهو البرزخ الذي
ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابدي فلم يغيب من الجنة الا قد اقامتهم
لحساب وما يتقوى هذا التأويل قوله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم
يتبعثون قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم ثم اختلف القدر في مقدار
قوله فاما الذين سعدوا فمداحه حمزة والكتابي بضم السين سعدوا واما
ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القدر ارفقوا بفتح السين سعدوا وعلى
قياس سقوا قال ابو عمرو لا يعرف سعدوا بضم السين انما يعرف بالفتح
قوله تعالى فلا تك في مريبة بما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل تاويله والله اعلم لا تكن يا محمد في شك بان هؤلاء قد بلغوا في عبادتهم
الاصنام الحد الذي بلغ آباؤهم في عبادة الاصنام ثم هم اهلكوا اذا بلغوا ذلك الحد
فهؤلاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ الى مبلغ الهلاك لكن الله عز وجل برحمته وفضله
احسنهم الي وقت والله اعلم ومحمدا ان يقال ان هؤلاء قد بلغوا في عبادة
غير الله بعد نزول القرآن والحجة المبلغ الذي كان بلغ آباؤهم قبل نزول الحجة
والبرهان في عبادة الله ومحمدا انه كان في قوم قد اظهروا الموافقة لم فكانوا
يعبدون الاصنام في السيرة على ما يعبد آباؤهم فقال هؤلاء وان اظهروا الموافقة

لك فقد بلغوا الصنيع في السيرة مبلغ آباؤهم وهذا احتمال وجهمين احدهما اخبار
عن قوم خاص انه لا يؤمن احد منهم لجعل شغله بغيرهم والثاني اخبار ان
لا يؤمن جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى باجمعهم بل قد آمن منهم فرعون
ولم يؤمن فرعون فعلى ذلك يكون قومك والله اعلم قوله تعالى وانا لمؤفهم
لصنيعهم غير منقوص ان كان التأويل في قوله فلا تك في مريبة بما يعبد هؤلاء
على الا يارس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيكون تأويله ما ذكر في آية اخري من
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فوت اليهم اعمالهم وان كان الثاني فالتأويل
ما ذكر في آية اخري من كان يريد حرث الآخرة نزله في حربه ومن كان يريد
حرث الدنيا فوته منها وماله في الآخرة من نصيب مكان المني على التأويل الاول
وانما لمؤفهم نصيبهم غير منقوص اي لو فيه نصيبهم في الدنيا من الارزاق وما قدور
لهم من النعيم غير منقوص لا ينقص ما قدور لهم اي لا يهلكون حتى يؤلفهم
الرزق وقال قايكون وانما لمؤفهم باعمالهم غير منقوص اي لا ينقصون
من اعمالهم شيئا ولا يردون عليها ان كان حسنا محسن وان كان شرا
فسر على الحد آ وقيل اي انما توفيتهم حطهم من العذاب في الآخرة غير منقوص
عنهم ذلك العذاب والله اعلم قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه اي آتينا موسى التورية فاختلف فيها والاختلاف محتمل وجوها
ثلاثة احدها الاختلاف في الايمان بالكتاب والكفر به منهم من آمن به ومنهم
من كفره والثاني اختلفوا في الزيادة والنقصان منه والتبديل والتعريف كقوله
وان منهم لمتوينا يلون السنتهم بالكتاب الآية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب
بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله كثر فون الكلم عن مواضعه واسأله
من الآيات والوجه الثالث اختلفوا في تأويله ومعناه بعد ما اسوا به وقبلوا
والاختلاف في التأويل مما احتمله كتابا فاما التبديل والتعريف والزيادة والنقصان
فانه لا محتمل لان الله تعالى ضمن حفظ هذا الكلام بقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وقال لا ياتيئه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وجعله
ميسرا على السنين الناس وقلوبهم حتى من اذا نقص او بدل او حرف شيئا
او قدم او اخرق عوف ذلك والله اعلم لما لم يحتمل احكام هذا نسخها ولا شرايعه
تبدلها واما الكتب السالفة انما جعل حفظها اليهم بقوله بما استخفطوا من

كتاب الله وهو والله اعلم بما احتمل شر آيها فسبحها وتبدلها لذلك كان الامر
علي ما قلنا والله اعلم ثم قوله ولقد آتينا موسى الكتاب ذكر هذا الرسول الله
لضمير اله علي ما اختلف قومه في الكتاب الذي انزل عليه نقول وقد اختلف
فيما انزل علي من قبله كما اختلف فيما انزل عليك والله اعلم قوله تعالى
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم بكلمة التي ذكرنا سبقت في
قوم موسى وهي انه لا يهلككم بعد العرف اهلك استيصال واستيعاب
والتورية انما انزلت من بعد وقد آمن من قومه قوم وهو ما قال الله تعالى
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وحملة قوله ولولا كلمة سبقت من ربك
اي لولا ما سبق من حكمه ان ختم الرسالة محمد وان جعله من خاتم النبيين
وامته آخر الامم بهم تقوم الساعة والالقي بينهم بالهلاك اهلك استيصال
واستيعاب والله اعلم وحتم وجها آخر وهو ان كان من حكم الله وسننه انهم اذا
اختلفوا في الكتاب والدين وصادوا بحيث لا يهدون الي شيء ولا يجدون سبيلا
الي الدين ويندرس آثار الشريعة التي كانت ان تبعث رسولا آخر بين لهم
الدين ويدعوهم الي الهدي الي قيام الساعة لولا هذا الحكم الذي سبق والآل في
بينهم بالهلاك والله اعلم وحتم لولا سبق من حكمه ان يؤخر العذاب عن هذه
الامة الي وقت والالقي بينهم بالهلاك والله اعلم قوله تعالى وانهم لفي شك
منه مريب محتمل لفي شك منه في الدين مريب وقالت بعضهم لفي شك منه
يعني بالعذاب مريب وقد ذكرنا العرف بين الشك والريب فيما تقدم قوله تعالى
وان كلما ليوفينهم ربك اعمالهم قراء لما تخفنا وقراء من ذاق من قراء تخفنا
فيل لما ههنا صلة فيكون معناه وان كلما ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الآخرة
ان كان سؤا فشر وان كان حسنا فحسن وقالت الفتا جعل ما استألفنا
يعني من كما قال تعالى فالتقوا ما طاب لكم من الناس ثم جعل اللام اليه فيها جوابا
لان جعل اللام اليه في قوله ليوفينهم لا من دخلت علي بنية القسم فيما بينها وبين
صليها كقوله وان منكم لمن ليبطئن وان معناه وان منكم لمن والله ليبطئن فعلي
ذلك معناه ههنا وان كلما لمن والله ليوفينهم اي وان كل الناس والله ليوفينهم
ربك اعمالهم واما القرارة بالتشديد اختلف فيه قال الفتا ارادوا الله اعلم
وان كلما ليوفينهم أصله لمن ما فاجتمعت الميمات الثلاث حذفت واحدة بقيت

٢٨٥

ثنتين وأدغمت واحدة في الاخرى كما قالت الشاعر وان لما أصدر الامر
وجهه اذا هو اعليا بالسبيل صادرة وعن السند ايضا وجه آخر ان لما
بعث اليه وهي لغة هذليته قالت الله تعالى ان كل نفس لما عليها حظ معناه
ان كل نفس الا عليها حافظ وكذا حكى عن سيبويه وجميع البصريين ان لما بعث
الا فمعناه ههنا وان كلما ليوفينهم ربك اعمالهم وذكر الكسائي عن الزهري ان
كان ينون لما علي معني وان كلما ليوفينهم كقوليه وتاكلون الترات كلما
لما وفي حرف ابن مسعود ومنه الله عنه وان كل الا ليوفينهم ربك اعمالهم والله اعلم
قوله تعالى انه بما يعملون خبير هو وعيد قوله تعالى فاستقم كما امرت
ومن يات معك وقال في موضع آخر فلذلك فادع واستقم كما امرت قيل الاستقامة
هي التوحيد أي استقم عليه حتى تاتي به ربك وهو كقوله ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا ان نفسير قوله ثم استقاموا اما لصن قوله ربنا الله
وهو اقتدار له بالربوبية فجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية لله وجعل
في نفسه العبودية له وهذا هو نفسير التوحيد وقالت بعضهم الاستقامة
هي ان تجعل في نفسه وجميع اموره الالهية والربوبية لله ويأتي ما يجب
ان يوفي وينتهي ما يجب ان ينتهي عنه ويشيع جميع اوامره ونواهيه ثم قوله
فاستقم خطاب لرسولنا وانما جعلت وجهين احدهما اي استقم به عليا كما امرت
انت ومن آمن معك ايضا يستقيموا علي ما امروا والثاني بقول امين الي
ما امرت مخوف كما يخرج علي هذين الوجهين اعني علي ما امرت والي ما امرت وقوله
ومن تاب معك اي عن الشوك ادعهم علي ان يستقيموا علي ما امرت واذا والبتانهم
قوله تعالى ولا تطغوا قال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل لهم معناه ولا تطغوا اشكروا نعمة الله بالتواضع له عند انعامه وايضا له
عليكم وكان هذا انما ذكر لانه ذكر الامم اليه قبله انهم اختلفوا في التورية وكفروا
بعد ما آمن الله عليهم بالبيان فيه وقد افهم عليكم بالقرآن ولا تتعدوا ما امرت
به ولا تطغوا بكفر هذه النعمة فتجاوزوا الامواله فيه كما فعل من قبلكم قوله تعالى
انه بما تعملون بصير هذا وعيد قوله تعالى ولا تتكبروا الي الذين ظلموا فتمسكم
النار قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك اي قوله
ولا تتكبروا الي الذين ظلموا فتمسكم النار وقال الحسن بينهما دين الله اي بين الطغيان

فِي النِّعْمَةِ وَبَيْنَ الرُّكُونِ إِلَى الظُّلْمَةِ وَإِنْ كَانَتْ آيَةُ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ فَهِيَ فِيهِمْ وَفِي
 غَيْرِهِمْ مِنَ الظُّلْمَةِ حَتَّى أَنْ كُلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الظُّلْمَةِ يَطْبَعُهُ أَوْ يُوَدِّعُهُ فَهُوَ خَافَ
 أَنْ يَكُونَ فِي وَعِيدِ هَذِهِ آيَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
 أَيُّ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ أَوْ جَدَّ النَّفْعِ إِلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى ثُمَّ لَا تَنْصَرُونَ
 أَيُّ لَا تَنْصَرُ لَكُمْ دُونَهُ وَلَا مَا يَنْعِيهِ اللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ آيَةَ هِيَ قَوْلُهُ
 وَلَا تَكُونُوا تَرْكُوتُ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَعَا أَهْلَ الشُّرْكِ إِلَى
 مِلَّةِ آبَائِهِمْ يَقُولُ وَلَا تَقِيلُ إِلَى أَهْلِ الشُّرْكِ وَلَا تَلْجُوا بِهِمْ ثُمَّ قَوْلُهُ وَلَا تَرْكُونُوا
 إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنْ خَرَجَ مَخْرُجَ الْعُمُورِ فَهُوَ خَافَ لَأَنَّهُ لَا كُلَّ ظَالِمٍ يَرْكُنُ إِلَيْهِ
 مَتْنُهُ النَّارُ فَكَانَ هَذَا خُطَابًا لَا تَبَاجُ الْكُفْرَ أَيُّ لَا تَرْكُونُوا إِلَى الْقَادَةِ وَالْكَبَرَاءِ
 فِي ظُلْمِهِمْ وَفِيهَا يَدْعُو نَكَمَ إِلَيْهِ فَمَتَّكُمُ النَّارُ وَهُوَ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
 طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ظَاهِرُ آيَةٍ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ ثَلَاثَ صَلَوَاتٍ صَلَاةُ
 الْفَجْرِ فِي الطَّرَفِ الْأَوَّلِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ فِي الْآخِرِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ
 لِأَنَّهُ ذَكَرَ زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ جَمْعُ زُلْفَةٍ وَهِيَ الْقُرْبَةُ وَمِنْهُ الزُّلْفَى الْقُرْبَةُ
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ وَأُزْلِفَةُ الْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ يَكُونُ قَوْلُهُ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ أَيُّ قُرْبًا
 مِنَ اللَّيْلِ فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ مِنَ النَّهَارِ وَذَلِكَ هُوَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَيَكُونُ ذَكَرَ
 صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعِشَاءِ فِي قَوْلِهِ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
 ذُلُوكِ الشَّمْسِ زَوَالُهَا وَغَسَقُ اللَّيْلِ الْعِشَاءُ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ
 حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا
 وَحِينَ تُظْهِرُونَ حِينَ تُمْسُونَ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَحِينَ تُصْبِحُونَ صَلَاةُ الْفَجْرِ
 وَعِشْيَا صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَحِينَ تُظْهِرُونَ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَلَيْسَ لَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ
 ذِكْرٌ فِي هَذِهِ آيَةٍ لَكِنَّا ذَكَرْتُ فِي قَوْلِهِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي
 قَوْلِهِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ذَكَرَ أَرْبَعَ صَلَوَاتٍ طَرَفِي النَّهَارِ الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ
 وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي آيَةِ ذَكَرَ
 الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ قَالُوا طَرَفِي النَّهَارِ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ
 وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءُ وَعَلَى ذَلِكَ جَاءَتْ الْآثَارُ فِي قَوْلِهِ
 إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ هِيَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
 وَمَعَاذُ أَبِي إِمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرِئَةٍ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْجَمَاعَ

٤٨٧
 فَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ مَا
 أَذْرِي مَا أَرَدْتُ عَلَيْكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي فَيَكُ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ حَضَرَتِ
 الصَّلَاةُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ نَزَلَتْ جِبْرِيلُ بِتُوبَتِهِ وَقَالَ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي
 النَّهَارِ وَعَذْوَةً وَعِشْيَةً الْعَدَاةَ وَالظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ
 وَالْعِشَاءِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُعْبِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ يَعْنِي
 الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَكَرَّرِي لِلذَّاكِرِينَ قَالَتْ تُوْبَةُ لِلتَّائِبِينَ فَقَالَ عُمَرُ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ أَحَاصِلُهُ أَمْ عَامٌّ قَالَتْ لَا بَلْ عَامٌّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ فَإِنْ ثَبَتَ هَذَا فَهُوَ
 الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ وَعَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ فَقَالُوا لَهُ
 فَمَا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ يَا عُمَانُ فَقَالَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 قَالَتْ قَالَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَوَاتِ كَقَارَاتِ الْخَطَايَا وَاقْتَرَبُوا
 أَنْ تُشَيِّتُمْ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 قَالَتْ فِي قَوْلِهِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ هِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ وَعَنْ جَابِرٍ
 قَالَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ كَمِثْلِ هَدْرٍ جَابِرٍ
 عَلَى بَابٍ أَحَدَهُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَالْأَخْبَارُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ
 قَالَتْ أَبُو عَوْسَجَةَ زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ سَاعَاتُ اللَّيْلِ وَقَالَ الزُّلْفَةُ الْمُرَّحَلَةُ
 وَالزُّلْفَةُ الْقُرْبَةُ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الزُّلْفُ جَمْعُ زُلْفَةٍ وَهِيَ السَّاعَةُ وَقَوْلُهُ
 إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ فَعَلِ الصَّلَوَاتِ بَعْثُهَا وَهُوَ مَا
 ذَكَرَ نَامِنُ الْأَخْبَارِ أَنْ ثَبَتَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ نَفْسُ الصَّلَوَاتِ لَا تَكْفُرُ وَلَكِنْ تَذَكَّرُ مَا
 ارْتَكَبْتَ مِنَ الذُّنُوبِ فَيَنْدِمُ عَلَيْهَا فَذَلِكَ تَكْفُرُ وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ إِنَّ الصَّلَاةَ نَهْيٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ الْآيَةُ أَخْبَرَنَا الصَّلَاةُ تَنْهَى وَلَا تَنْهَى إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِكَ وَحَقَّقَ قَوْلُهُ
 أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ الصَّلَوَاتِ وَعَنْ هَامَانَ الْحَسَنَاتِ بَيْنَهُ أَخْبَارُ
 أَنَّ الْحَسَنَاتِ تَكْفُرُ شَيْئًا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى ذَلِكَ ذَكَرِي
 لِلذَّاكِرِينَ أَيُّ ذَلِكَ الَّذِي سَبَقَ ذَكَرَهُ عِظَةُ الْمُتَعَوِّظِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاصْبِرْ
 فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ظَاهِرُهُ مَا ذَكَرَ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُولُ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الصَّابِرِينَ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الصَّبْرَ يَقُولُهُ وَاصْبِرْ أَوْ يَقُولُ وَاصْبِرْ عَلَى أَدَاءِ

مَا كُفِّت مِنَ الطَّاعَاتِ أَوْ تَبْلُغَ مَا كُفِّتَ مِنَ التَّبْلُغِ إِلَيْهِمْ لَكِنَّهُ خُتِمَ وَأَصْبِرْ عَلَى الشُّرُورِ
كُلِّهَا وَاحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ بَلْ يُجْزِيهِمْ حُزْنَ أَوْ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ وَجَنَّا
أَخْبَرْنَا وَأَصْبِرْ عَلَى إِذَا هُمْ وَلَا تَكْفُرْ فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَكْفُرْ فَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَخُتِمَ أَنْ يَكُونَ مَوْصُولَةً بِقَوْلِهِ إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ قَائِلًا كَانَ مِنَ الْقَتْلِ مِنْ قَبْلِكُمُ الْوَقِيَّةُ
يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الْإِقْلِيلَ لَا مِثْنَ أَجْنِيَّتًا مِنْهُمْ وَالْإِشْكَالُ أَنْ الْآيَةَ خَرَجَ
لِلْعَائِتَةِ أَوْ التَّذْكِيرِ وَالتَّثْبِيهِ لَا يَنْهَوْنَ عَنْ الْقَتْلِ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقَتْلِ مِنْ قَبْلِكُمُ الْوَقِيَّةُ
كَذَا الْإِشْكَالُ هَلَاكَ نَوَافِلُ الْوَقِيَّةُ مِنْ أَوْ لَيْسَ مِنْهُ مِنْ يَمَانٍ أَوْ يَنْتَبِهُ وَيَذْكُرُ لَنَا قَوْلُ
خُرُوجِ الْوَقِيَّةِ الدِّمَ لَا أَوْ لَيْسَ مِنْهُ مِنْ يَمَانٍ أَوْ يَنْتَبِهُ وَيَذْكُرُ لَنَا قَوْلُ
أَحَدِهِمَا إِنْ فَهَلَاكَ نَوَافِلُ الْوَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَعْنَاهُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ هَلَاكَ كَثَرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ حَيْثُ قَدْ رَوَا عَلَى النَّبِيِّ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
لَا يَنْهَوْنَ إِذَا كَانَ نَوَافِلُ الْوَقِيَّةِ لَا يَنْهَوْنَ عَنْ الْقَتْلِ وَأَهْلُهُ كَانَ نَوَافِلُ الْوَقِيَّةِ لَا يَنْهَوْنَ
كَانَ مَعَهُ نَفْسٌ يَقْتُلُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَنْهَوْا وَاعْلَمُوا بِمَنْعِ قَوْمِهِمْ عَنِ الْفَسَادِ وَخَوَافِهَا إِذَا
كَانَ مَا ذَكَرْنَا فَكَانَ يَقُولُ هَلَاكَ كَثَرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْوَقِيَّةُ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ فَيَكُونُ الْحَقُّ أَنَّ الدِّمَ فِيهِمْ فِي امْتِنَانِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِمْتِنَانُ عَنِ النَّبِيِّ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالثَّانِي إِنْ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ الْوَقِيَّةُ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْا عَنْ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَاهْلُكُوا أَجْمَعًا الْإِقْلِيلَ لَا مِثْنَ أَجْنِيَّتًا مِنْهُمْ وَذَلِكَ الْقَلِيلُ قَدْ
نَهَوَّا عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَجَوَّازِينَ أَوْ لَيْسَ فَخَاصِلُ هَذَا خُرُوجِ عَلَى الْوَجْهِينِ
الَّذِينَ ذَكَرْنَا هَهُمَا أَحَدُهُمَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمُ الْوَقِيَّةُ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّوَابِلِ وَالْأَمْرُ فِي الْإِمْتِنَانِ عَنِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ لَا يَصْبِرُوا
أَوْ لَيْسَ بِقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ وَالثَّانِي كَانَ فِيهِمُ الْوَقِيَّةُ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْا عَنْ الْفَسَادِ الْإِقْلِيلَ
مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ نَهَوْا عَنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ قَائِلًا وَابْتَغِ الْإِذْنَ طَلُّوا
مَا آتَى فَوَاقِيَهُ خُرُوجِ عَلَى وَجْهِينِ خُتِمَ وَابْتَغِ الْإِذْنَ وَالسَّفَلَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
أُتُوا فَوَاقِيَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ أَيْ وَبِشَعِّ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْأَجَلَةُ وَالْإِيْمَةُ مِنْهُمْ أَيْ أَتُوا
ابْتَغِ الْأَجَلَةَ وَالْإِيْمَةَ الَّذِينَ أُتُوا فَوَاقِيَهُ عَلَى ابْتَغِ الرِّسْلَ وَالْإِنْبِيَاءَ وَالثَّانِي وَابْتَغِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَهُمْ الْأَجَلَةُ مِنْهُمْ مَا آتَى فَوَاقِيَهُ أَيْ مَا آتَى عَطَا مِنْ الْأَمْوَالِ
أَيْ أَتُوا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عَلَى ابْتَغِ الرِّسْلَ وَالْإِنْبِيَاءَ أَحَدُ التَّوَابِلِ يَرْجِعُ إِلَى

السَّفَلَةُ وَالْإِتْبَاعُ وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي إِلَى الْأَجَلَةِ وَالْإِيْمَةُ هُمْ أَتُوا ابْتَغِ
الدُّنْيَا عَلَى ابْتَغِ الرِّسْلَ ثُمَّ يَنْبَغِيهِمُ الْإِتْبَاعُ وَالسَّفَلَةُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ
قَائِلًا وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ إِنْ مَا كَانَ رَبُّكَ
لِيُهْلِكَ الْقُرْيَ بِظُلْمٍ أَهْلًا كَاسْتِصْلَالٍ وَانْتِقَامٍ وَأَهْلُهَا كُلُّهُمْ مُصْلِحُونَ أَوْ أَكْثَرُ
أَهْلُهَا مُصْلِحُونَ إِنْ مَا هَلَكَ الْقُرْيَ إِذَا كَانَ أَهْلُهَا كُلُّهُمْ مُفْسِدِينَ أَوْ عَامَّةُ أَهْلُهَا
مُفْسِدِينَ وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَدَارِ الْكُفْرِ بِغَلْبَةِ أَهْلِهَا
إِنْ كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَالْحُكْمُ حُكْمُ الْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانَ عَامَّةُ أَهْلِهَا
أَهْلُ الْحَرْبِ وَالْكُفْرِ فَالْحُكْمُ حُكْمُ الْحَرْبِ أَنَّهُ قَالَتْ فِي قَوْمِ لُوطٍ أَنَا مُنْزِلُونَ
عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ رَجُوزًا مِنَ السَّمَاءِ سَمَاءُ أَهْلِ قَرْيَةٍ وَإِنْ كَانَ فِيهَا
لُوطٌ وَأَهْلُهُ مُصْلِحِينَ غَيْرَ دَاخِلِينَ فِي الْوَعِيدِ اعْتَبَارًا لِلْأَكْثَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
ثُمَّ قَوْلُهُ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْيَ بِظُلْمٍ أَيْ لَا يَكُونُ فِي أَهْلِهَا ظُلْمٌ
هُوَ خُرُوجُ عَلَى وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا أَنْ الْخَلْقَ لَا يَنْهَوْنَ عَنْ الْقَتْلِ إِيَّاهُمْ لَا يَكُونُ ظَالِمًا
لَا يَنْهَوْنَ أَهْلَهُ مَالَهُ وَالثَّانِي إِنْ مَا يَهْلِكُكُمْ بِظُلْمٍ كَانَ مِنْهُمْ تَمَامُ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ
فَهُمْ بِالْكَتْبِ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
قَوْلُهُ قَائِلًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً قَدْ لَبِثَ الْمُعْتَزَّةُ هَذِهِ
الْمُشِيَّةُ مُشِيَّةً فَتَسْمُو وَتَقُورُ وَذَلِكَ مِمَّا يَرْفَعُ الْحُكْمَ وَيُزِيلُ لَهُ الدِّمَ الْمُتَوَبُّةُ وَالْعُقُوبَةُ
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَتَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا وَمَا عِندَنَا
فَهُوَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مُشِيَّةً لَا يَزُولُ مَعَهَا الْمَحْنَةُ فَضَارُوا كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ
عَنِ اخْتِيَارِ لَاجِبٍ كَمَا قَالُوا وَالَّذِي يُدَلُّ عَلَى مَا قُلْنَا خِصَالٌ أَحَدُهَا أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى قَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ اجْتِمَاعُ وَفِيهِ الْإِخْتِلَافُ بِأَرْكَبٍ
فِيهَا مِنَ الْعُقُوبِ الَّتِي بِهَا تَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَمَجَازَاتِهَا وَمَحَاسِنُ الْأُمُورِ
وَمَقَالِحُهَا بِالتَّامِلِ فَيَمَاجِحُ مِنَ الْأُمُورِ وَبِالسَّمْعِ وَذَلِكَ إِنْ مَا يَكُونُ بِالْإِخْتِيَارِ
أَمَّا بِالْإِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ أَوْ بِالْعِلْمِ مِمَّنْ أَرَادَ مَغْفِرَةً مَالًا يَحْسُنُ بِصِفَاتِهِ
وَالدِّينَ الَّذِي هُوَ طَاعَةٌ لَهُ وَعِبَادَةٌ إِيَّاهُ لَمْ يَكُنْ بِالْإِسْتِدْلَالِ وَطَرِيقَةِ الْاجْتِهَادِ
أَوْ بِالْعِلْمِ عَنِ اخْتِيَارِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ خَيْرًا لَاجِبًا لَاجِبًا لِلْمُؤْمِنِ وَلَا
طَلْعَةٍ فِيهِ وَلَا فَعْلَ يَكُونُ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَطَلِبَ مِنْهُ فَكَانَ قَالَتْ وَلَوْ شَاءَ
أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إِذَا الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ طَاعَةٌ مِنَ الْعِبَادَةِ هُوَ الْإِيمَانُ

الذي هو طاعة من العبد هو الايمان الذي هو في جالب الاختيار فاما في حال
القهر والاضطرار لا يكون ايمانا هو طاعة الله اذ المظنة والمحور لا فعل له
والله الموفق على ان مرث الآية الى مشيئة القهر لا يستقيم منهم ودعوى مشيئة
القهر من الله على قوهم عيذ مقبولة وهو منذ كان الخلق بين ان شاء ^{كان} شاء
من افعال الخلق فلم تكن ولم يشاء فكان على زعيمهم فانه على زعيمهم شاء ايمان
الخلق كلهم ولم يكن ولم يشاء كمن كان فيه وكان ومن ظهر عجزه كل هذا
العجز على قبيحهم كيف يقبل منه دعوى متهكل الخلق لو شاء لم يكن ظهر عجزه
جميع ادلة العجز ثم سين ان له قدرة بها يقهر من شاء فذلك كن لا يقتوم
ولا يقتو ر على الانتصاب والنهوض فيدعي انه يقدر على الصعود او من لا يقدر
استان مثل دره يدعي انه لمسك السموات والارض على انه لو كان كما قالوا
ان له قدرة ان خلق فيهم الايمان حسرا البهي ان يكون يقدر على خلق فعل السوء
والكفر والكذب فيهم حسرا اذ من يقدر على فعل شيء ولا يقدر على فعل صده
عندهم ليس ذلك بقدرة ثم لو كان له قدرة ذلك بلا غير يصير فعلا له بنا على
وجود اختياره يكون في الحقيقة الخالق له سفيها كذا كما فيرا اذ عندهم القائل
من يوجد الفعل ومن ذلك وصفه فهو غير ريت ولا حكيم ومن ربوبية
تحت قدرة غير او حكمته ختم المصادة فهو مسئول عما يفعل مطالب بالحجة
فان يكون لمن ذلك وصفه ربوبية جل الله تعالى عن ذلك والله الموفق ووجه
آخر ان الذي يكون بالقهر والخبر يكون امر الخلق لا امر فعل العبد وذلك
في الحقيقة لله لا للبشر وما هو له من جهة الخلقة موجود لان نفس كل احد
بالخلق مؤمن وقد شاء الله تلك المشيئة فالقول فلو شاء لا معني له بل قد شاء
فكان ولا قوة الا بالله ووجه آخر وهو ان الله تعالى وعده انه لو شاء لجعلهم امة
واحدة لو كان المراد مشيئة الخسر فهو لو فعل حتى صاروا مؤمنين جبرال كان
يحمل من قد آمن منهم في الحقيقة مؤمناني الجبرال كما فيرا في الحقيقة لان كثيرا
منهم كانوا مؤمنين حقيقة بالاختيار ولا يصيرون امة واحدة الا بعد ان
يبطل الايمان الاختياري فيمن كان ويثبت الايمان الحبري الضروري لان الايمان
الاختياري مخالفت للايمان الضروري فلا يكونوا امة واحدة فلا يتحقق معني
التمدح ببيان القدرة على جعلهم امة واحدة لو شاء فيكون الحمل على مشيئة

التي يتضمن ابطال الايمان الاختياري وتبديله بالايمان الضروري اذ لا
يتحقق معني التمدح لجعلهم امة واحدة وعلى ما قلنا من المشيئة بطريق
الاختيار لا يؤدي الى هذا الا انه قد آمن البغض عن اختيار فيؤمن الباقي
عن اختيار لو شاء فصاروا امة واحدة فوجب الحمل على ما قلنا والله الموفق
ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل ادلة كل موعود في الخس ظاهرة وكل مقود
عليه بالوعيد والدعوى له مما جعل عليه امرا بينا وهذا النوع من المشيئة
عندهم والدعوى بما جعل جميع ما شاء ان يكون كائنا كذا فيصير بالذي
به ادعي لنفسه من القدرة مكد بما جعل لمنع مثله الادلة ومن ذلك
وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا على ان المتأمل بما اخبره حقيقة
دون ان يحتاج الى دليل يوضح قدرته على ما ادعي على بقا الجنة سبيلا
سفه لا الحمد الله لا يحتاج الى ما ذكره من المكابرة وهو ما قال ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلناهم يكفر بالرحمن الآية ومعلوم انهم لو كفروا
جميعا بما ذكر من جعل يؤتم سقما من فضة ومعارض عليها يظهر ان كانوا
مختارين والى ما جاء وابه غير مضطرين فاذا استقام كونهم على دين الكفر
مختارين كذلك يستقيم كونهم على دين الاسلام ايضا مختارين ثم لا يحتل ان
يوجب ذلك نفيا عن الايمان لو كانوا كذلك فقد رعى قولهم ان يجعلهم كفارا
بالجنة لا يقتو ر ان يجعلهم مؤمنين بها وان ذلك وصف العجز عندهم وان كان
لا يكون كذلك عندنا لانه مستقيم القول بالتد ر على احداث غيره ومحال
القول على جعل غيره قديما او على احواج غيره اليه لا تحتل الوصف بالقدرة
على اغنا عن غيره عنهم وعليهم اوضح اذ اجازوا له القدرة على كل حركتهم للعبد وسكون
بالاضطرار ولم تجزوا ذلك بالاختيار اللهم الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون
العبد غير كميل القدرة وهي القدرة على مضادات الاشياء والله يجوز له الوصف
بالقدرة الناقصة فيكون قديما بما جعلوا للعبد قدرة على ما جعل الرب وجعله
كاذبا فيما يحبر على بقا الربوبية له والله لا يقدر على ابقا مثله في العبد على بقا
الربوبية له والله لا يقدر على ابقا مثله في العبد على بقا العبودية له بالجنة
او ما افتدروا العبد على اهلاك من وعده الله فيه الا بقا ويبريد ذلك وذلك
فعله وعده له مع ذلك ان يعطيه كذا فيأتي معا ند فيقتله ويمنع الرب عن

إيجاز وعنده وعن سلطان إبقائه جل الرب تعالى حده عن هذا وذلك في قولهم
 فيما ضرب الله تعالى لنبي أو صديق أجلا يري به مصلحة عباده بقدر الكافر
 علي قتله قبل مضي ذلك الاجل وابطال جميع ما وعد و الا نقا بما هو صنفه
 من انقا الاحتوا فيه ولا يقدر الله تعالى علي اجازة وعد و ابقائه علي ما اراد
 ٤٩٢ والعبد نجاة الا ان يحجزه او يميتة او يجعله زمانا والله المستعان ثم الاضل
 ان كل من يدفعه فيما فعله امرا لا يكون ذلك وهو لم يكن فعله الا لذلك
 يوجب احدا من ايا جهلا بالعواقب وخطا في الفعل كن يفعل فعلا حزن
 عليه او لحقه به مكروه فهو لا يفعل له يظهر عند فاعله انه عن جهل بفعل وعلي
 الخطا خرج فعله وعلي ذلك معني التحذير في الخلق والتنبيه كقولهم لدوا
 للوث وابوا للخراب وسرق ليقطع وبارز ليقتل من حيث كان الثاني
 متصلا بالاول ينهيه عن الفعل علي ارادة التحذير انه اليه يؤل امر
 فعله وعلي ذلك قوله فالتقطه آل فزعون ليكون لهم عدا و احزننا و يقال
 ذلك علي انه كذا في فعله عند الله وان جهل هو او بوجبت السفة في الفعل
 والعيب اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يدبر ما يتيقن انه لا
 يبلغ واذا كان كذلك فاعطاه الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبد و اراد
 انه يفعل ذلك واختار ذلك الفعل ولم يكن ذلك وعلم انه لا يكون ذلك لذلك
 يوجب احدا منكم الوجهين جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله تعالى
 عالم بالعواقب متعال عن العيب ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى
 ما علم انه يكون وقد علم ما يكون علي هذه التقدير يخرج الامر في قوله ولقد درانا
 لهم الآيات ولا تعجزكم أموالهم الآية قوله تعالى ولا يزالون مختلفين
 الا من رحم ولذا خلقهم ذوات المعتزلة ولذا ذلك ولذا خلقهم اي للرحمة
 خلقهم وقال بعض متكلمي اصحابنا ان يذكر الرحمة بالتأنيب وهو انما ذكر بالتذكير
 حيث قال ولذا خلقهم ولم يمتل وتلك خلقهم ذلت انه ليس علي ما يقولون
 وقال قائلون اي للاختلاف خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله
 وما كان ربك ليضللك القري بطم وعندها انه خلقهم للذي علم اياهم بصيرون اليه
 من اختلاف او اتقاف او عداوة او ولاية لا خلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون
 اليه ويعلم ما يكون منهم وما لا يكون ولو كان كيف يكون قوله تعالى وكلا نقص

عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك تاو به والله اعلم كل الذي نقص
 عليك او قصصنا عليك من انباء الرسل نبأ بعد نبأ ونبأ علي اثني ما نثبت
 به فؤادك ثم قوله نثبت به فؤادك محتمل وجوها احدها لما احتمل
 ان نفسه كانت تنازعته وتناقضه بان الذي انزل اليه ياتي به ملك
 من عند الله او كان ذلك من احجاء الشيطان والقياس عليه ووساوسه
 فنقص عليه من انباء الرسل واخبارهم ليكون له آية بينه وبين ربه
 ليعلم ان ما انزل اليه وحيه والذي ياتي به ملك جاء من الله تعالى
 دفع به فوارع نفسه وخطراته اذ لا سبيل للشيطان الي معرفة تلك
 الانبياء ولا في وسعه القاؤها عليه وان كل شيء يحتاج لمعرفة انه نبي الي آية
 ومعجزة في حق نفسه والى معجزة في حق قومه ومحتمل ان هذا بعد
 ما عرفت نبوته بدليل آخر لكن ربما خطر بباله من فوارع نفسه فنقص
 عليه ما ذكر ليكون بذلك زيادة طمانينة لقلبه وهو كقول ابراهيم
 ربي ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
 قلبه كان نفس ابراهيم تنازعه في كيفية احياء الموتى فسال ربه ليريه
 ذلك ليطمئن بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيي الموتى وانه علي كل شيء قدير
 ومحتمل انه قص عليه انباء الرسل واحد بعد واحد ليثبت به فؤاده
 ليعلم كيفية معاملتهم قومه وكيف صبروا علي اذ بهم ليصير هو علي
 ما صبر اوليك ويعامل هو قومه مثل معاملتهم وليس به ان يكون قوله
 ما نثبت به فؤادك نبأ بعد نبأ فنظر وتفكر في كل نبأ وحبر و لغف
 ما فيه فيكون اثبت في قلبه وهو كقوليه وقال الذين كفروا لو لا انزل
 عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك بانزال الآية واحدة
 بعد واحدة وسورة بعد سورة وذلك اثبت في فؤاده من انزله جملة
 لانه يزدحم في مسامعهم وفؤاده واذا كان بالتقاريف نظر وتفكر
 فهو اثبت في قلبه وفؤاده والله اعلم قوله تعالى وجاك في هذه
 الحق قال بعضهم جاك في هذه اي في هذه الانبياء اليه قصصتها عليك
 وقال بعضهم في هذه اي هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الانبياء نبأ بعد
 نبأ وهو كالاوّل وقال بعضهم في هذه الحق اي في هذه الدنيا الحق اي الحج

وَالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ لِرِسَالَتِهِ وَدِينِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَوْعِظَةً وَذِكْرِي
لِلْمُؤْمِنِينَ أَيَّ جَاءَكَ مَا يَقِطُّ بِهِ قَوْلُكَ وَتَذَكُّرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَخُصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ
لَمَا يَكُونُ مَنْفَعَةً الْمَوْعِظَةُ وَالذِّكْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْأَصْحَابُ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرِي لِلْكَافِرِينَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمُ الْمَكَانَةُ هِيَ الْمَنْزِلَةُ
وَالْقُدْرَةُ يَقُولُ أَعْمَلُوا أَنْتُمْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ الَّتِي لَكُمْ هَذَا بِنَاءُكُمْ كَأَنَّهُ
خَاطَبٌ بِهِ الْأَشْرَافَ مِنْهُمْ وَحَتَّمَا الْكُلَّ أَيَّ أَعْمَلُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ حَتَّجَ
عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا عَلَى التَّوَجُّعِ وَالْخَوْفِ عِنْدَ مَا بَالِغُ فِي الْحِجَاجِ فَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِمْ
وَهُوَ كَقَوْلِهِ لَكُمْ دِينٌ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ دِينٍ وَخَوْفٌ وَالثَّانِي عَلَى الْأَعْيَانِ بِمَا أَرَادَ وَابَهُ مِنْ
الْمَكْرِ وَالتَّكِيدَ يَقُولُ أَعْمَلُوا مَا تَزِيدُونَ فِيَّ وَأَنَا أَعْمَلُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ إِنَّا عَامِلُونَ
أَيَّ عَامِلُونَ عَلَى الْمَكَانِ وَالْمَنْزِلَةِ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ فَيَنْظُرُ إِنَّا رَحِمْنَا نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ
وَأَيْنَا أَحْسَنُ نَحْنُ أَوْ أَنْتُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَانْظُرُوا إِلَيَّ وَانْظُرُوا أَنْتُمْ بِنَا ذَلِكَ
إِنَّا مُنْتَظِرُونَ بِكُمْ ذَلِكَ هَذَا الْمَكَانُ يُوعِدُ وَنَهْ وَخَوْفٌ فَوْنُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَعِيدِ
فَيَقُولُ انْظُرُوا بِنَا مَا نَحْنُ فَوْنُ أَنْتُمْ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ بِكُمْ مَا نَحْنُ فَوْنُكُمْ نَحْنُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ
وَلِلَّهِ غَيْبُ نَزُولِ الْعَذَابِ وَغَيْبُ مَا فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ خَرَجَ جَوَابَ مَا سَأَلُوا
مِنْ الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ وَلَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَحَدُ مَسْبُتِي لَجَاءَ الْعَذَابُ
وَقَوْلُهُ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَقَوْلُهُ أَيْنَمَا بَعْدَ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَقَالَ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيَّ عِلْمُ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ وَكَقَوْلِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَدْ أَخَذْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَأَمَّا لَهُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلَيَسْبَغُ أَنْ يَكُونَ جَوَابَ مَا تَحْكُمُوا عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ جَمْلَةً وَجَعَلَ
الرِّسَالَةَ فِي غَيْرِهِ كَقَوْلِهِمْ لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَجَعَلَ الرِّسَالَةَ فِي غَيْرِ
كَقَوْلِهِمْ لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ وَقَوْلُهُ لَوْلَا نَزَلَ
الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَهْمُ يَفْتَسِمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمُ الْآيَةُ
وَقَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ فَعَلِيَ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَعَلِيَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَابْتِغِ الْآمِرَ كُلَّهُ إِلَى إِلَهِ
يَرْجِعُ أَمْرَ الْخَلْقِ كُلَّهُ وَتَذَكُّرُ بِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا عِبُدْهُمْ أَيَّ عِبُدِي فِي خَاصِّ نَفْسِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ أَيَّ اعْتَمِدْ عَلَيْهِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَلَا تَخَافَنَّ مِنْهُمْ

فَإِنَّ اللَّهَ يُحْفَظُكَ مِنْ كَيْدِهِمْ وَكَرْهِهِمْ بَلْ كَقَوْلِهِ وَاللَّهُ يَعْمَلُ مِنَ النَّاسِ مَا يَلْبِغُ
وَمَا رُبَّكَ بَعْدَ نَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَا أَيَّ مَا رُبَّكَ بَعْدَ نَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
بِكُمْ مِنْ كَيْدِهِمْ وَكَرْهِهِمْ بَلْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَبَيِّنَتْ وَفِي تَصَدُّقِهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ لَوْ شِئْنَا
نَقُولَ لَهُ قَوْلًا لَيُنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَوْفٍ وَنُحْشَا
يُطْفِئُ قَالَتْ لَا تَخَفَا إِنِّي مَعَكُمْ اسْمَعُوا وَارْكَبُوا اسْمَعُوا قَوْلُهُ وَجَوَابُهُ أَيَّكُمْ وَارْكَبُوا
مَا يَفْعَلُ أَيُّ الضَّمِّ فَلَا تَخَافَا فَعَلِيَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَقْصِدِ

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى السَّيِّئَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ذَكَرَ تِلْكَ وَهِيَ كَلِمَةُ إِشَارَةٍ
إِلَى شَيْءٍ سَبَقَ ذِكْرُهُ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ هَهُنَا ذِكْرُ شَيْءٍ يُشَارُ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ ذَكَرَ آيَاتِ
أَيْضًا وَلَيْسَ هُنَا لِكَ ذَكَرَ آيَاتِ أَوْ شَيْءٍ يَكُونُ آيَةً فِي الظَّاهِرِ لَكِنْ يُشَبَّهُ أَنْ
يَكُونَ قَوْلُهُ تِلْكَ آيَاتِ بِمَعْنَى هَذِهِ السُّورَةِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَبِحُجُورِ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ بِمَعْنَى هَذِهِ عِلْمًا بِحُجُورِ ذَكَرَ قَوْلَهُ ذَلِكَ كَانَ هَذَا كَقَوْلِهِ الْمَذْكُورِ الْكِتَابِ
أَيَّ هَذَا الْكِتَابِ وَحَتَّمَا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تِلْكَ إِشَارَةً إِلَى مَا فِي السَّمَاءِ فِي آيَةِ
الْبُرُورَةِ أَيَّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ آيَاتِ الْكِتَابِ وَحَتَّمَا تِلْكَ إِشَارَةً إِلَى مَا فِي الدُّنْيَا
الْمَحْفُوظِ وَحَتَّمَا أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَا فِي الْكُتُبِ الْمَتَّقَةِ أَيَّ تِلْكَ الْكِتَابِ
الْمُبِينِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَإِنَّ لِي زَبْرًا الْأَوَّلِينَ وَحَتَّمَا تِلْكَ إِشَارَةً إِلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ
الْمُجْمَعَةِ فَقَالَ تِلْكَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ إِذَا جُمِعَتْ كَانَتْ آيَاتِ الْكِتَابِ ثُمَّ قَوْلُهُ
تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ مَخْرُجٌ عَلَى وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْكِتَابِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ
عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَصِيْرَ وَهِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَصْرَ وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ بِالسَّامِ
نَقَالَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ أَيَّ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْقِصَصِ لِحُجُورِهَا آيَاتِ
هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَحَتَّمَا أَيَّ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءِ آيَاتِ وَحَجَّ لِرِسَالَةِ
مُحَمَّدٍ أَذْهَبِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْعِزْبِ عَنْهُمْ وَعِلْمُ الْعِزْبِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَحَتَّمَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَرَادَ
أَمْرًا لَا يَعْلَمُ مَا أَرَادَ فَنَقُولُ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ أَيَّ الَّذِي أَرَادَهُ هُوَ آيَاتِ
الْكِتَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ ثُمَّ قَوْلُهُ الْمُبِينِ حَتَّمَا الْمُبِينِ أَنَّهَا آيَاتِ الرِّسَالَةِ
أَوْ مَبِينِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحَتَّمَا أَنْهُ مُبِينٌ الْخَلَالَ مِنْ الْخَوَامِرِ وَمَا يُوَلِّقُ
بِمَا يَتَّبِعِي وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَنَدْعَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِلْكَلِّ شَيْءٍ وَقِيلَ بَيْنَ بَرَكَتِهِ

وهداه وارشده وقيل بين فيه الحق من الباطل والعدل من الجور والكتاب
هو اسم ما يكتب وقيل لما اخذ عن كتاب وهو اللوح المحفوظ ^{تعالى} قول
انا انزلناه قد آتانا عيوبياً قوله انزلناه الهاء كناية عن الكتاب الذي تقدم
ذكره وقوله قد آتانا سبي وشراً ثانياً يقرأ وقيل سبي وقد آتانا قولي
علي رسول الله وقوله عيوبياً اي انزلت بلسان العرب ولا تدري بأي لسان
كان في اللوح المحفوظ لانه لم يذكر في القرآن وانما ثبت خبر الواحد انه
بلسان العرب وانه لا يوجب العلم وفي القرآن انه انزل بلسان العرب
وهكذا اكل كتاب انزل انما انزل بلسان العرب وهكذا اكل كتاب انزل انها
انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم كما قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومهم لئلا يتبين لهم وليس في اللوح بهذه اللفاظ كلها فلم يكن الانزال
عربياً ذليلاً علي انه كان عربياً في اللوح المحفوظ والله اعلم قوله تعالى
لعلكم تعقلون اي لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تتقون او تعقلون
ان هذه الانبياء التي اخبركم بها محمد يخبركم من الله لانها كانت في كتبهم بغير
لسانه فاخبر علي ما كانت في كتبهم من غير اختلاف الي احد يعلمه قول انه
انما عرفت بالله ولستم لعلكم تعقلون اي ليلزمكم العلم بما يبلغكم فان كانت تاديل
ليلزمكم كون الخطاب عاماً وان كان لتعقلوا فيكون المراد منه الخاص وهم
الذين عقلوا لا عا العموم والله اعلم وقيل لعلكم تعقلون آيات فيه شرفكم لا ينكم
تصبرون متبوعين لما محتاج الناس الي معرفة ما فيه ولا يؤصل الي ذلك الاكم
فكونون متبوعين والناس اتباعكم وهو كقولهم لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم
فالت اهل التاديل اي فيه شرفكم والله تعالى اعلم قوله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص قالت بعضهم نحن نقص عليك احسن القصص اي نبين
لك احسن البیان بما اوجيناه اليك هذا القرآن بالقصص مصدر نقص نقص
وهو البیان وقال بعضهم نقص عليك احسن القصص اي لخيرك احسن ما
في كتبهم من الانباء والاجاديت ثم قالت بعضهم احسن القصص اي اصدقها
فان كان المراد هو البیان فكأن الله تعالى هو اصدق البیان واصدق الكلام
وهو كقوله الله نزل احسن الحديث كما بما اي اصدقها وان كان المراد الانباء
والاجاديت اي لخيرك اصدق الانباء والاجاديت اليه لخير الناس لما يدخل

٤٩٧

فانزل

الكتاب

ذلك الكذب والغلط وهذا الاوقات ابن عباس رضي الله عنهما احسن القصص كلام
الرحمن وقال مجاهد في قوله الله نزل احسن الحديث انه كلام رب العالمين
وقيل احسن لجوي علي ظاهر الحسن فان كان المراد من القصص هو
البيان فالمراد ان احسن الكتب نظماً وبياناً ولهذا كان معجزة او ان كان المراد
هو الانباء فالانبياء المذكورة في القرآن احسنها والله اعلم قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين اي وقد كنت من قبل ان نقص عليك من
لغافلين عن احسن القصص وهو القرآن وهذه الانباء والقصص المذكورة
في القرآن وبني الآية دلالة ان الايمان بالرسول والكتب علي الاحمال
ايمان وان لم يعرف انفس الرسل واسماهم لانه تعالى اخبر انه كان عاقلاً
عن انباء الرسل وقصصهم ولا شك انه كان مؤمناً بالله مخلصاً ولا ايمان بدون
الايمان بالانبياء والرسول عليهم السلام وهو لم يكن عارفاً قبل الاعلان
بهم ذلك انه ليس بشرط وبالله العصمة قوله تعالى اذ قال يوسف لاهله
يا آتيت ابي رايت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ذلك
قوله اي رايت احد عشر كوكباً علي ان اخوة يوسف كانوا علماء وعيون الارض
نجوماً يقتدي بهم ويقتدي اذ بالنجوم يقتدي من في الارض وبها يهتدون الطرق
والمساكن وذلك قوله والشمس والقمر حيث خرج علي ابويه انه كان
بها جميعاً مانع الخلق كما بالابوين للولد اذ بها صلاح جميع الاغذية في الارض ونفع
جميع الفواكه والانزال وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة الي ذلك والله اعلم
وبذلك قوله اي رايت احد عشر كوكباً والشمس والقمر غير ما هو الاخوة
والابوان من حيث المعنى وذكر السجود وخرج علي عين السجود وحقيقته
وذلك مثل ما رأي ابراهيم في المنام انه ذبح ولده خذرج الذبح علي حقيقة
الذبح وهو ذبح الكباش ورأي ابنه وكان المراد منه الكباش وهذا في حق الانبياء
امر لازم لا بد ان يكون لخرج عنه او معناه ولا يكون رؤياهم من الاضغاث والاعلام
فانما رؤيا غيرهم قد يخرج عليه وقد يخرج تأويله وقد يكون من الاضغاث والله اعلم
وهذا اصل لنا ان الخطاب لخرج والمراد به عين ذلك الخطاب وقد يخرج
لمعني فيه فاذا اتصل ذلك بعيد وجب ذلك الحكم فيه لوجود المعنى اذ رؤيا الانبياء
منزلة الخطاب من الله ثم هو يخرج علي عينه من علي ما هو في معناه اخبرك

٤٩٨

فكذلك الخطاب في حق غيرهم ففيه دليل جواز الاجتهاد وطلب المعنى في
المخاطبات وكذلك ما ظهر في الناس من تغيير الروايات على الاجتهاد يدل
على جواز العمل بالاجتهاد والله اعلم وقالت اهل التاويل ان يوسف لما
قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قالت له هذه رؤيا النهار وليس بشئ
ثم قالت ليوسف في السر اذا رايت رؤيا بعد هذه فلا تقصص على اخوتك
لكن هذا ليس بصحيح لان هكذا كذب وهو ان نقول له ان رؤيا النهار
ليس بشئ ثم نعتبر له في السر ولا يتوهم شئ من الكذب على الرسل والانبياء
عليهم السلام فلا يجوز ان يكذب يعقوب ذلك ان ما قالوا فاسد قوله
تعالى قالت يلبي لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ذلك انه
لا تقصص رؤياك على اخوتك على ان ما راى يوسف من سجود الكواكب
له وسجود الشمس والقمر يكون في المنام وان قال اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ولم يذكر المنام ومطلق قوله
رايت ورايتهم ينصرف الى الرواية في حال اليقظة ويدل عليه ما ذكر
في آخره ايضا خبرا عن يوسف قال يا ابي هذا تاويل رؤياي من قبل وفي
قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا دليل على ان يعقوب
عرف انهم يكيدون له كيدا بالوحي حيث قطع القول فقال فيكيدوا لك كيدا
ولم يستثن في ذلك ولم يقل ربما يكيدون لك كيدا ذلك انه علم بالوحي ذلك
والا تركي انهم فعلوا به ما قال وفيه دلالة على ان اخوة يوسف كانوا يعرفون
تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
لانهم لو كانوا لا يعرفون تاويلها ولا علموا بتعبيرها لم يكن لينهاه عن ان يقصص على
اخوته لانه اذا قصتها ولم يقصها اذ لم يعلموا سواها وفيه دلالة على ان الاخ
لا يتم في احبته والا بويين يتمان في حق الولد والولد يتم في والديه ولا تكون
من بعض الى بعض جناة ويكون من الاخ الى احبته جناة الا ترى ان يعقوب
نهي ولد يوسف ان يقصص رؤياه على اخوته واخبرانه اذ علموا بذلك كادوا
وحسدوه ولم ينهه عن مناله في امه ذلك ان الامر ما ذكرنا وهذا دليل
لقول اصحابنا ان شهادة الوالد للولد لا تقبل وشهادة الولد لوالديه لا تقبل
وشهادة الاخ لاجبته تقبل لما يستفيع الولد مال ابويه والا بوان مال ولدهما

ولا يستفيع الاخ مال احبته وكل من استفيع مال احد اثم في شهادته له ولم تقبل شهادته
وكل من لم يستفيع به قبلت والله اعلم قالت ابو عوصة الكندي والمكر سوا
وقالت القتيبي الكيد هو الاحتيال والاغتيال واصل الكيد هو ان يطلب المال
الشبه بغية على غير علم منه وكذلك المكر والله اعلم قوله تعالى ان الشيطان
للائيماء عدو مبين اي عدو ظاهر العداوة وقالت موسى حين قتل
ذلك الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو ومفضل مبين بداكل شر من
الشيطان يقذف في القلوب ويحطو به في الصدور ثم يكون العزيمة على ذلك
الفعل والفعل من العبد وهو ما قال تعالى واما ينز عنك من الشيطان
نزع فاستعذ بالله وقالت ان الذين اتقوا اذا مشهم طأف من الشيطان
تذكروا الآية والطيف والشرح هو القذف والوسوسة فاذا ذكر الله تعالى
ذهب والله اعلم قوله تعالى وكذالك نجيبك ربك ويعلمك من تاويل الايات
وتيم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق
تاويله والله اعلم اي كما اجبتي ربك ابويك بالرسالة والنبوة واصطفيتهم باواع
الخيرات واتم نعمته عليهم كذا لك تجيبك ربك وتيم نعمته عليك وعلى آل يعقوب
والمحمل قوله وكذالك تجيبك ربك اي كما احتباك ربك بالرؤيا الى اراك
يفعل ذلك بك قوله تعالى ويعلمك من تاويل الايات فيل ويعلمك
تاويل الرؤيا وفيل ويعلمك تاويل الصحف الى كانت ابراهيم وغيره من الانبياء
عليهم السلام قبله اراد بالاجاديت الصحف المتقدمة قوله تعالى وتيم نعمته
عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق قال
بعضهم اي كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق حين اراد ابراهيم ذبح
ابنه اسحاق فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك يتم عليك ويسجد لك اخوتك وابويك
ثم من الناس من استدل بهذا على الذبح كان اسحاق لانه ذكر تمام نعمته على
ابراهيم واسحاق وبني قوله وعلى آل يعقوب دليل على ان الله تعالى قد احب
اولاد يعقوب بالنبوة من بعد ذلك لان ولده من آل لانه اخبرانه يتم نعمته عليه
وعليهم كما فعل بابويه ابراهيم واسحاق وكذا روي عن الحسن انه قال في
اخوة يوسف انهم نبيا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا اي صاروا رسلا
وانبياء وكان يوسف اعبر الناس قوله تعالى ان ربك عليم حكيم اي عليم

بما صنع به اخوته اي علم بما ذكر من المنام حكيم وضع كل شيء موضع الله اعلم
قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين الآية اية
للسائل اذا كان مسترشدا وكذا لك الفتا آن كله هو آية وحجة للمستر
واما المتعنت فهو آية وحجة عليه ثم لخص قوله آيات للسائلين السائلين
الذين سألوا علي ما ذكر في بعض القصة ان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه
عن امر يوسف وبنائه فاحبرهم بالحق في ذلك علي ما كان فهو المراد بقوله
آيات للسائلين اذ الخبر عن الغيب آية ان ثبت ذلك والله اعلم ولخص
قوله آيات للسائلين السائلين الذين يسألون الي اخيرا الدهر كل من
سأل عن بنيائه وخبه فهو آية له ثم وجه كونها آيات من وجهين احدهما
جعل قصته يوسف وبنائه سورة وتلك السورة هي آيات الكتاب علي ما
ذكره تلك آيات الكتاب المبين جعل قصة يوسف وبنائه سورة وتلك
السورة هي آيات الكتاب المبين جعل قصة يوسف وبنائه آيات من الكتاب
والكتاب حجة لكل من سأل عن الرسالة والله اعلم ولخص ايضا انه
جعل آية حجة لنسبته رسول الله ورسالته لان قصته يوسف وبنائه كان
في كتبهم بغير نسبته ثم اخبرهم من غير ترجمة احدي منهم ولا تعليم علي ما كان
في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان ذلك انه انما علم ذلك بالله تعالى وهو
ما ذكر في القصة ان اليهود سمعوا رسول الله فقرأ سورة يوسف فقالوا
يا محمد من علمكها قال الله عز وجل علمناها فحبوا من ودا آية اياها علي ما كانت
في كتبهم ذلك انه انما عرفها بالله ثم لخص قوله آيات للسائلين اي كان هذه
القصة آية لمن سأل عن حجة رسالته ولخص ايضا آية لرسول الله لمن سأل
عن الحجّة علي رسالته والله اعلم قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوته
احب الي ابينا منا ونحن عصبة في الآية دلالة ان لا بأس بالرجل ان يخص بعض
ولده بالوطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معني ليس ذلك في غير هذا
قال اصحابنا رحمهم الله ان لا بأس بالرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له
أو الصدقة عليه اذ لم يقصد الجور علي غيرهم من الاولاد ثم لخص في يوسف
يوسف واخاه بالحب لهما والميل اليهما وجوه احد هاتين آيتين فيهما من الضعف
في نفسها والعجز في ابدانها لما قيل ان غيرهما من اولاده كانوا في قوة

من البدين وضخامة في النفس فازدادت شفقتهم لها وعطفه عليها وهذا
ما يكون فيما بين الخلق ان يرق كل احد للضعيف ويظهر الشفقة في حقّه
ولخصه كان ذلك منه لهما الصغر هما وهذا ايضا معدون الناس ان
الصغار من الاولاد تكون عندهم احب وقلوبهم اليهم اميل وعليهم ارحم من
الكبار منهم والله اعلم ولخصه انه خصها بذلك لفضل خصوصيته كان لهما
اما من جهة الدين او العلم وغيرهما امر الله يعقوب ان يخصها بذلك ليدلك
من دون غيرها ولخصه ذلك لما بشر يعقوب بنبوه يوسف ورسالته
ولم يبشر بعد بنوه سائر اولاده او بشر بنوة الكل لكن اخبر ان ليوسف
زيادة فضيلة وخصوصية ودرجة ليست لهم فلذلك كان يفضل علي سائر
اولاده ويوشيه عليهم والله اعلم ثم انما قالوا ليوسف واخوه احب الي ابينا
منا ونحن عصبة بآثار ودلالات تظهر عندهم والا حقيقة المحبة لا تعرف
والله اعلم قوله تعالى ونحن عصبة قال بعضهم الجماعة وقال بعضهم
العصبة من عشرة الي اربعين ولكن الاشبه ان العصبة الجماعة التي لم تنفك
ففي قولهم ونحن عصبة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا قال بعض العلماء ان
التسعة مع الائمة تكون منعة ليستوجبون ما يستوجب السرية ان دخلت
الدار يعني دار الحرب فغنت عنهم خمس منها واذا كانوا اعداء ذلك لم يحكم
التلفيق لا يحس ما اصابوا استدلالا بهذه الآية ان اخوة يوسف الذين
فعلوا به ما فعلوا عشرة وسموا انفسهم عصبة ودامنة قوله تعالى ان ابانا
لبي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما عنوا اي هو في حيرة وجهالة وانما
قالوا ذلك والله اعلم اي انا جماعة نريد علي دفع من يروم الصر وبه يقصد قصد
الشرب بنفسه وتاليه ونحن الواقفة نقوم باسباب معاشه فكيف يوشر لهما علينا
فانما نفعل عن الجهل والخيرة ولا يعرف الذي ينفعه من الذي لا يضره كذلك ولخصه
قالوا ذلك لما كانت له منافع من انفسهم لم يكن تلك المنافع من يوسف واخيه
وابداء انما يوشر المرء حبت من له منه منافع من قبله لا حبت من لا منفعة له منه
منافع والله اعلم قوله تعالى اقتلوا يوسف واطحوه ارضا نحن لكم وجه ابيكم
لا لخصه ان يكون عزوا على قتلهم ولكن قال ذلك واجد علي المساورة بينهم
ذا نفعل او ذا قولهم واذا يكر بك الذين كتموا ويشبوك او يقتلوك او يخرجوك

وَتَجُوزُ ذِيكَ لَيْسَ عَلَى الْعَزِيزَةِ عَلَى وَاحِدٍ وَلَكِنْ عَلَى الْمَشَاوِرَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ بَدَلَتْ
عَلَى ذِيكَ قَوْلَهُ يَحُلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ أَنْ عَزَمْتُمْ وَمَرَادُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَخْلَوْا لَهُمْ
وَجْهَ أَبِيهِمْ لَا قِتْلَهُ وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ لَهُمْ بَتَغْيِيْبِهِ عَنْ أَبِيهِ وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ بَعْدَ
الْقِتْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ يَحُلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ مِنَ الْخَلْوَايِ يَخْلُوا لَهُمْ وَجْهَ
الْأَبِ بِسَبَبِ غَيْبَةِ الذِّكْرِ كَانَ قِيلَ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَحُلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ
إِنْ قَبِلَ عَلَيْكُمْ أَبُوكُمْ بَوَاجْهِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ يَنْزِعْ لَكُمْ مِنَ الشَّغْلِ يَوْسُفَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَتْ بَعْضُهُمْ إِنْ تَأْيِيْبِينَ نَعْمُوا
عَلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَزِلُّوا أَوْ عَصُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ يَكُونُوا قَوْمًا صَالِحِينَ
عِنْدَ أَبِي مِنْ بَعْدِ إِنْ فِي الْآخِرَةِ يَوْمِي عَنْكُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ يَصْلُحْ أَمْرُكُمْ وَحَالَكُمْ
عِنْدَ أَبِيكُمْ بَعْدَ ذَهَابِ يَوْسُفَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَائِلٍ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يَوْسُفَ
وَالْقَوَاهِ فِي غِيَابَةِ الْحَبِّ قَالَتْ أَبُو عَوْجَةَ يَعْنِي فِي قَعْرِ الْبَيْرِ وَالْغِيَابَةُ
مَا يُغَيَّبُ وَيُؤَارِيهِ وَالْحَبُّ الْبَيْرُ وَالْجَبَابُ جَمِيعٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْغِيَابَةُ كُلُّ
شَيْءٍ غُيِّبَ عَنْكَ شَيْئًا وَقِيلَ الْحَبُّ الرُّكْبَةُ الَّتِي تَطْوِي بِالْمَجَارَةِ فَإِذَا طَوَيْتَ فَلَيْسَتْ
بِالْحَبِّ قَوْلُهُ تَعَالَى يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ أَنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قَوْلُهُ يَلْتَقِطُهُ
أَيْ يَرْفَعُهُ وَلِذَلِكَ يَقَالُ لِلطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَّ وَيَلْقِطُ إِنْ يَرْفَعُ وَقَالَ أَبُو عَوْجَةَ
أَصْلُ السَّيَّارَةِ مِنَ السَّيْرِ وَهِيَ الْقَائِلَةُ بِعَيْنِ الْعَيْرِ وَقَوْلُهُ أَنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ
أَيْ فَا لِقَوَاهِ فِي غِيَابَةِ الْحَبِّ أَنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ أَنْ لَيْسَ بِهِ عَنْهُ لِيَلْتَقِطُهُ بَعْضُ
السَّيَّارَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنْ قَوْلَهُ لَا يَقْتُلُوا يَوْسُفَ قَالَهُ
فَلَانِ أَوْ فَلَانِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْرِفُهُ وَلَيْسَ لَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ حَاجَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِمَا لَكَ قَوْلُهُمْ مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا
عَلَى يَوْسُفَ عَالِمًا أَنَّهُمْ قَدْ ظَلَمُوا إِخْرَاجَهُ مِنْ أَبِيهِمْ غَيْرَ مَعْرِفَةٍ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ لَا يَكُنْ
بِهِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ أَمْتَالِهِ فَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَأْذَنُوا فِي
الْإِخْرَاجِ غَيْرَ مَعْرِفَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ النَّاصِحُ هُوَ الدَّالُّ عَلَى مَا
بِهِ نَجَاتُهُ أَوِ الدَّالُّ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَآدِسِلْهُ مَقْنَعًا دَائِرَةً
وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَخَافُونَ وَتُرِي بِالنَّوْنِ نَزَعَ وَنَلْعَبُ قَالَتْ بَعْضُهُمْ يَنْزِعُ يَأْكُلُ
وَيَلْعَبُ كَأَنَّهُ خُورَجَ جَوَابًا لِقَوْلِهِ إِنْ تَذَهَبُوا بِهِ قَالُوا لَهُ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ
فَإِنَّهُ يَنْزِعُ وَيَلْعَبُ عَلَى الْقَدِيمِ وَالنَّاصِحُ خَيْرٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَنْزِعُ يَنْشِطُ وَيَلْعَبُ بَتَلَّةً

وَقَالَ الْقَتْنِي يَنْزِعُ يَأْكُلُ يَقَالُ رَفَعَتْ الْأَبْلَ إِذَا رَفَعَتْ وَارْتَفَعَتْ إِذَا تَرَكْتَهَا
تُرْعَى وَيُقَرَّرُ أَيْضًا نَزَعَ بِالنَّوْنِ وَكَسَرَ الْعَيْنِ مِنَ الْارْتِفَاعِ وَالْمَرَادُ مِنْهُ
يَنْزِعُ رَسًا وَيُرْعَى بَعْضُنَا بَعْضًا أَيْ يَحْفَظُ مِنَ الرِّعَايَةِ وَمِنْهُ يَقَالُ رَعَاكَ اللَّهُ
أَيْ حَفَظَكَ اللَّهُ ثُمَّ تَأْوِيلُ الْآيَةِ كَانَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
يَوْسُفَ الصَّبِيحِ بِتَرْكِهِمْ حَفَظَهُ فَأَمَرَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَإِنَّا لَهُ لَخَافُونَ وَخَافَ
عَلَيْهِ الصَّبِيحُ مِنْ جَهَةِ الْجُوعِ بِتَرْكِهِمْ حَفَظَ أَوْ قَاتَ الْأَكْلَ بِقَوْلِهِ يَنْزِعُ أَيْ يَأْكُلُ وَخَافَ
عَلَيْهِ أَنْ يَكْلَفُوهُ أَمْرًا لَيْشَقَ عَلَيْهِ وَيَشْتَدَّ فَأَمَرَهُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ وَلَعَبٌ
لَا نَسَهُ لَيْسَ فِي اللَّعَبِ مَشَقَّةٌ وَلَا سُدَّةٌ لَخَافَ عَلَيْهِ الصَّبِيحُ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ
فَأَمَرَهُ عَنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ كُلِّهَا حَتَّى اسْتَقْدَرَتْ مِنْ يَدَيْهِ فَإِنْ قِيلَ اللَّعَبُ حَرَامٌ
وَقَدْ قَالُوا بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْقُوبُ يَنْزِعُ وَنَلْعَبُ فَهَلَا رَدُّ عَلَيْهِمْ وَانْكَرُ قِيلَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا
بِقَوْلِهِمْ نَلْعَبُ فِيمَا لَحَلَّ وَيُسَبِّحُ مِنْ خَوْفِ الْإِسْتِيفَاءِ وَغَيْرِهِ وَهُوَ مَا ذَكَرُوا وَإِنَّا ذَهَبْنَا
فَسَتَّبِقَ وَاللَّعَبُ فِي مِثْلِ هَذَا الْإِبْسَاسِ وَقَدْ رَوَى فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ قَالَتْ لَحَلَّ اللَّعَبُ
الْأَيْ ثَلَاثٌ وَفِيهِ مُعْلِجَةُ الرَّجُلِ فَرَسُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ يَكْفُرْ
أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ وَخَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ الْحَزَنُ لِيَسْتَعْمَلَ فِي الْوَاقِعِ لِلْحَالِ وَالْخَوْفِ
عَلَى مَا سَيَقَعُ فَقَالَ لِيَحْزَنِي أَنْ تَذَهَبُوا ذَكَرَ الْحَزَنَ لِمَا قَاتَ عَنْهُ النِّعَةُ الْعَظِيمَةُ
وَهُوَ حَضْرَةُ يَوْسُفَ لِمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ زِيَادَةُ مِثْلٍ وَعُطِفَ وَذَكَرَ الْخَوْفَ لِمَا خَافَ
وَقَوَّعَ مَكْرَهُ بِهِ فِي وَقْتِ سَيَاقِي وَبِهَذَا يَفْتَسِرُ قَوْلُهُ لَخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ يَحْزَنُونَ
لَا نَالَهُ مَوْجُودَةً عَنْهُمْ غَيْرَ قَائِيَةٍ لَخَوْفَ عَلَيْهِمْ إِنْ لَا يَحْزَنُونَ فَوَيْتَهَا لَخَوْفَ
فَوَيْتَ النِّعَةَ بِمَقْبُوعِ النِّعَةِ عَلَى صَاحِبِهَا فَأَمَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ
وَخَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ كَانَ يَعْقُوبُ رَأْيِي فِي الْمَنَامِ
أَنْ يَوْسُفَ أَخَذَهُ الذِّيبَ فَمَنْ ثُمَّ هَلَتْ وَخَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبَ لَكِنْ هَذَا لِحُكْمِ
لَا نَالَهُ الْإِنْبِيَاءَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَخُجْرَةِ الْكُتُبِ هَاعَيْنِ مَا رَأَوْا أَوِ الْبَعْضُ عَلَى الْمَعْنَى
وَالْتَأْوِيلُ فَلَا حُكْمَ أَنْ رَأَى ذَلِكَ ثُمَّ يَقُولُ إِنْ خَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبَ وَذَلِكَ
إِنَّمَا يَقَالُ فِي مَوْضِعِ الظَّنِّ أَوْ لِحُكْمِ أَنْ يَدْعُهُ يَذْهَبُ مَعَهُ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ
أَوْ عِنْدَ بَطْنِ غَالِبِ الظَّنِّ فَذَلِكَ أَنْ هَذَا لَا يَصِحُّ لَكِنْ إِنَّمَا قَالَتْ وَخَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّيبَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِ أَكْلَ الذِّيبِ عَلَى مَا يَخَافُ عَلَى الصَّبِيحِ فِي الْمَفَاوِضِ وَالْبَوَارِي
لَا نَالَهُ الْخَوْفَ عَلَى الصَّبِيحِ فِي الْمَفَاوِضِ وَالصَّبِيحُ عَلَيْهِمْ يَكُونُ بِالذِّيبِ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةٍ

أخذ لانه خافوا ان يفتريه سبع من السباع عند مفاوضة اخوته واشتغالهم
ذكر من الاستنباط لا لاحتل الضياع من الناس باخذ واحد من بين نفسه
والله اعلم قوله تعالى لين اكله الذيب ونحن عصبة انا اذ الخاسرون اي
١٠٠ لين اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة واولوا قوة انا اذ الخاسرون اي كانوا
نحن سلمنا الي الذيب وعرضناه للضياع هذا والله اعلم معي الخسران الذي ذكره
والا لم يلحقهم الخسران اذا اكله الذيب وهذا لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم ينفقوا
فكانهم ضيعوه وقالت بعضهم واخاف ان ياكله الذيب كناية عن وصول نكبة
اليه من جهتهم اي اخاف ان تضيقوه وتهلكوه قوله تعالى فلماذا هبوا به
واجمعوا ان جعلوا في غيابة الحب ما ذكرناه قوله تعالى واوحينا اليهم
لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون لاحتل قوله واوحينا اليه اي الي يوسف
وحي نبوة اذ وحي بشارة النجاة من ذلك الحب اذ وحي بشارة الملك والعز
ثم قوله لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول
يوسف قال انا يوسف وهذا اخي اخبر تعالى بقوله قل هلتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذا تم جايلون قالوا اينك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي هذا الذي نبأهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك والله اعلم
وليثبه ان يكون قوله واوحينا اليه اي الي يعقوب لتنبئهم بامرهم
هذا وهم لا يشعرون ثم قوله لتنبئهم بامرهم هذا هو ما قال لهم يعقوب
يا بني اذ هبوا وتحسسوا من يوسف واخيه ولا تباستوا من روح الله امرهم
ان يطلبوه وتحسسوا من امره كان علم انه حي بقوله واوحينا اليه لتنبئهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال اي لا يجد روح يوسف
ولذلك قال حين البى الثوب على وجهه فارتد بصيرا اي اعلم من الله ملائقون
والله اعلم قوله تعالى وجاءوا اباهم عيشا يكون قالوا يا ابانا انا ذهبننا فاستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب في الآية دلائل احدها ان من ارتكب
صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم يخرج
من الايمان لان اخوة يوسف هتوا بقتل يوسف او طرحه في الحبس والتقييب
عن وجه ابيه واخلاه عنه وذلك لا يحلوا منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة
فقد استغفروا واعلها بقوله يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الآية دلت انهم استغفروا

لما خافوا العذاب عليها وان كبيرة فلم يخرجوا من الايمان حيث صاروا
انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين دلت ما ذكرنا على قول بعض المعتزلة
في صاحب الصغيرة بان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان
وبعض قول الخوارج ان من ارتكب كبيرة او صغيرة صار كافرا مشركا
وفي الآية دلالة بعض قول من قال بان من كذب متعمدا او وعدا فاختل
او اوتمن لخاف ان يصير منافقا لان اخوة يوسف اوتمنوا لخافوا او وعدوا فاختلوا
وحدهم ثوابا فكدبوا ولم يصيروا منافقين فانهم قالوا اكله الذيب ولم ياكله فهو كذب
واوتمنوا على يوسف لخافوا حيث القوة في غيابة الحب ودعدوا ان يحفظوه
ليقولوا انا لم نحنا فظنوا ثم لم يحفظوه بل ضيعوه فان قيل اليس انه روي عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا حدث كذب
واذا اوتمن خان واذا وعد اخلت فكيف نوفق بين الآية والخبر اذ هو لا يحتل النسخ
لانه خبر والخبر لا يحتل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا في قوم خاص من الكفرة
او اتمنوا بما اودع في التورية من نعت محمد صلي الله عليه وسلم فغفروا ووعدوا ان
يبيتوه فكذبوا وحتل ان يصير منافقا ما ذكرنا اذا كان ذلك في امراء الدين لما فيه
من دعوة الناس الى غير الحق فاما في غيره فانه لا يصير به منافقا ولا يكون ذلك
من اعلام النفاق والله الموفق قوله تعالى وما آنت بمؤمن لنا ولو كاصادين
هذا القول منهم له في الظاهر عظيم لانهم قالوا ليعقوب وما آنت بمؤمن لنا اي
بمصدق لنا ولو كاصادين ولا يحتل ان يكونوا عده صدقه ثم كذبهم انه لا يظن بنبي
من الانبياء ان يعلم صدق انسان ولا يصدق به بل يكذب به هذا بعيد لكن نقول
لحتل قولهم وما آنت بمؤمن لنا في هذا وكاصادين عندك من قبل هذا في غير
هذا ولحتل قوله وما آنت بمؤمن لنا اي انك تهمننا ولا تصدقنا لانه كان اتهمهم
قال اي ليخبرني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب فاعتصمت له التهمة
وليس في الاتهام تكذب بل فيه الوقف لان من ايتن اخذ في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون
في اتهمه تكذبه فعلي ذلك قولهم وما آنت بمؤمن لنا اي تهمننا لما سبقت من التهمة
ولو كاصادين ومثل هذا متعارف فيما بين الخلق ان يقال في موضع التهمة انك لا
لصدقني وان كنت صادقا اي تهمني فعلي هذين الوجهين خرج تاويل الآية والآية
تجد ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم انه صادق في حين وقوله والله اعلم

فان قيل كيف قال يعقوب واخاف ان ياكله الذئب وكيف خاف ذلك وقد قال
ليوسف وكذا لك حبيبك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى
اليعقوب الآية ابناؤه ان الله تعالى حبيبهم ويعلم من تاويل الاحاديث ويتم
نعمته عليه فكيف خاف عليه اكل الذئب والفتياح ولا يحتمل ما أخبره من الاجتناب
واقام النعمة عليه الاتعليم من الله والوحي اليه قل عن هذا من وجوه احدها
يحتمل ان يكون ما ذكر من الاجتناب والتعليم الاحاديث واقام النعمة عليه معلقا بشرط
ما ذكر من الخوف عليه من اكل الذئب واذا كان معلقا به لا بد من وجوده لوجود
ذلك وقد علم الله تعالى ذلك الشرط يوجد لا محالة والمسروط وهذا كما ذكرني غير
موضع ان صيلة الرحمة تزيد في العمان وزيادة العمر في حق البعض بشرط صلة
الرحم ويوجد ذلك السروط والمسروط وهذا لان حكم الله تعالى قد يكون بسبب وقد
يكون بغير سبب والله اعلم والثاني يحتمل انه خاف ذلك مع علمه بانه لا يكون حكم
الوعد لما ان بالوعد لا يخرج ذلك الفعل من ان يكون متصورا لوجوده في نفسه
ولا يدخل في حد الامتناع عما خاف الانبياء جميعا ما هم عليه من الدين وان عصوا
عما خافوا عليه حيث قال ابراهيم واجتنبني وبنى ان تعبد الاصنام ومعلوم له انه
لا يعبد الاصنام وقالت يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وامثال ذلك وهذا
لما ذكرنا في غير موضع ان العصاة لا تذيل المحنة ولا تذيل الخوف لما لا يخرج المعصوم
عن قدرة ارتكاب المضادات لذلك وعلى ذلك الاحيار والابرار كان خوتهم واشقاتهم
على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم والثالث اما قال ذلك حسا لا ولاده على حفظه
وحتويا لهما على ذلك وان كان يعلم ان ذلك لا يكون ولكن يحتمل غيره ذلك من اسباب
الصبر ويكون ذلك عبارة عن الاستيقاض في الامر بالحفظ له والله اعلم ثم قوله
يا ابا نانا اذ هبنا نستبق قال بعضهم اي استند على الصيد وقالت ابو عبيدة
نستبق من السياف اي بعدون حتى نطراهم لسبق اي يقدم على صاحبه ويغلبه
في العدو وقالت المتبقي نستبق اي نقتل ونساقوت بعضنا بعضا في الذي قال
سابقته فسبقته والله اعلم قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب الدم لا يكون
كذبا ولكن معناه والله اعلم اي جاءوا على قميصه بدم قد كذبوا فيه انه دم يوسف وان
الذئب اكله فانه لم يكن ذلك ثم قال بل سؤلتكم انفسكم امرا ان زيتت لكم انفسكم
والتسويل هو التزيين في اللغة وتاويله اي زيتت لكم انفسكم ودعتمكم الي امر تفعلون

وتفعلون بيني وبين ابني لكما لا تعلم ما ذلك الامر الذي زيتت لهم انفسهم ذلك
والله اعلم قوله تعالى فصبر جميل يحتمل وجهين احدهما المحتمل فصبرا اي
لا جزع فيه جميل اي نرضا بما ابتلينا به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع
والثاني فصبرا اي كف النفس عن الجزع جميل اي لا مكافاة فيدولاهم بما فعلوا يوسف
كما نوا مستوحشين المكافاة والجزاء فقالت فصبر جميل اخبر بقوله فصبرانه يمنع
النفس عن الجزع بما فات عليه من الولد بقوله جميل اخبرانه لا يكافيههم
على سوء صنيعهم والله اعلم قوله تعالى والله المستعان على ما تصفون
اي وبالله استعين على ما تقولون من الكذب حيث تزعمون ان الذئب اكله
ويخوذ لك والله اعلم قوله تعالى وجاءت سيارت سفارة فارسلوا واردم فاذ لي
دلو السيارة هي جماعة السائرين اي المسافرين والوارد هو طالب الماء مستقيه
اي ارسل السيارة الواردة وبعثوه لطلب الماء فاتي ذلك الحث واذ لي دلو اي
ارسل دلو في البئر قوله تعالى قال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم
بشرى هو اسم رجل كان مع الذي يدلي الدلو في البئر فلما ان راى يوسف في الدلو
لما نزل حوالا من البئر قال له يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام
وقال بعضهم هو من السجارة اي كان له ابشور بهذا الغلام وفي بعض القراءات
يا بشرى اي الاضافة الي نفسه كانه بشر نفسه اي البشري بهذا الغلام لما ان
وجدته فتكون لي ويشبهه ان يكون هذا كما به كلامه كان هناك لكنه لم يبين لنا ذلك
وهو كقوله وقاسمها اي لكما من الناصحين اخبرانه اقسم ولم يبين ما ذلك القسم
فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى واسروا بضاعة قال بعضهم الاسرار
هو اسم الاخفاء والاطهار جميعا على الاشتراك كقوله واسروا النذامة لما راوا
العذاب اي اظهروا النذامة فان كان على ما ذكر انه اسم محتملها جميعا فكانه قال
واظهروا بضاعة وان كان على حقيقة الاخفاء فهو على الاضمار كانه قال واسروا ما
كان حقيقة الاسرار واظهروا انه بضاعة لا يطلب اصحابهم في ذلك شركة ونصيبا
قوله تعالى والله عليم بما تعملون يحتمل عليم بما عمل اخوة يوسف بيوسف ويحتمل
عليم بما عمل السيارة من الاسرار والاطهار والله اعلم قوله تعالى وشروا
بئس خسرانهم معدودة قال بعضهم الخسران هو النقصان اي باعوه بخير لا يباع مثله
مثله وقال بعضهم الخسران هو الظلم اي باعوه ظلما واخذوا منه ظلما لانهم باعوه حرا وبيعوا الحرة

حرام واحد منه حرام لان ثمن المحر حرام وقالت بعضهم بئس نجس ذراهم معدودة
اي بخرجته وزين وقول اهل التاويل انه بيع بعشرين درهما وعشرين دينارا
ذلك بما لا يعلم الا خبر متواتر وليس في القدر ان سوي انه بيع بالثمن الاول
الناقص وهو قوله وشروه بئس نجس والبخش هو النقصان يقال بحسنة
اي نقصته قال تعالى ولا تحسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو كما قال
ولا تنقصوا المكيال والميزان والله اعلم ثم قوله وشروه بئس نجس ذراهم معدودة
وكا نوافيه من الزاهدين اي السياره باعوه بئس نجس لما كانوا في يوسف من
الزاهدين اي غيبوا عن خشيته ان يجيهم طالبت فيستنفذه من ايديهم لما علموا
ان مثل هذا لو كان مملوكا لا يترك هكذا الا يطلب نباعوه بادي ثمن لا يباع مثله
مثل ذلك ليعمل اليهم شي وهذا كما بيع الرجل ملكه على رغبة له فيه مخافة
الطلب والاستنقاذ من يده والله اعلم وقالت عامة اهل التاويل في قوله
وشروه بئس نجس ان اخوة يوسف هم الذين باعوه من السياره بئس نجس ذراهم
معدودة وكا نوافيه من الزاهدين اي كان اخوته لم يعرفوا منزلته ومكانته
والاول اشبه والله اعلم وقالت بعضهم وشروه بئس نجس اي الذين اتوه من
البيرا والسيارة من بعض اهل مصر وكانوا في شرآيه من الزاهدين لما خافوا
ذهاب الثمن ان كان مسروقا او حرقا قوله تعالى وقال الذين اشتروه
من مصر لا مراية اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته والمثوي هو الموضع الذي يتوي
فيه والثواء المقام والتاويل المقيم قوله تعالى عني ان ينفعنا او نتخذ ولدًا
اي عني ان ينفعنا ان صدق التجار انه بضاعة او نتخذ ولدًا ان ظهر انه مسروق
وانه حر لما كان وقع عنده ان البضاعة لا تباع مثل ذلك الثمن الذي باعوه والله اعلم
قوله تعالى وكذا لك مكا ليوسف في الارض تاويله والله اعلم كما مكا ليوسف
عند العزيز وامرته كذلك مكنه عند اهل الارض ولكن ذكر مكا على الخبر لانه
كان مكنًا في ذلك اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قوله مكا اي كذلك
جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة عند الناس وفي قلوبهم مكان ما خذله اخوته ولم يعرفوا
مكانه ومنزلته وبعد ما كان صبه الملوكة عند اوليك والله اعلم قوله تعالى
ولنعلمه من تاويل الاجاد بئس هذا قد ذكرناه فيما تقدم قوله تعالى والله
غالب على امره اي لا مودة لقضائه اذا قضى امرا كان وهو كقوله لا معقب لحكمه

قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ظاهر قوله تعالى وما بلغ اشده
الا شدة هواشده اذ كل شي ونهاية كل نوع من الكمال والختل اشده انتها بلوغه
او انتها شتبا به او انتها عقله في التمام لا تخلوا من هذه الا وجه الثلاثة وقول
اهل التاويل من ثمان عشرة الي اربعين لانه قد يتم ويكمل كل نوع من ذلك الي هذه
المدة والله اعلم قوله تعالى اتينا حكما وعلمنا حكمة قوله حكما الحكم بين
الناس والعلم في الحكم والحكمة قوله حكما اي اعطيناه النبوة وعلمنا علم تاويل الحكا
او قوله حكما وعلمنا اي اذا اعطاه الحكم اعطاه العلم واذا اعطاه العلم اعطاه الحكم والله اعلم
قوله تعالى وكذا لك نجزي المحسنين المحسنين وجوها ثلاثة احدها
الاحسان في الاعمال وهم الذين عملوا اعمالا حسنة صالحة والثاني المحسن
الاحسان الي الناس وهم الذين احسنوا الي الناس بانواع البر والاحسان
من حيث المال والجاء والعمل وكذا لك ولحسنه ان يفسره ثم قوله
وكذا لك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي من احسن صحبة نعم الله واحسانه وقام
بشكر ذلك اي مثل جزاء يوسف لا يبريد انه نجزي غيره عين ما نجزي به يوسف
ولكن نجزيه مثل ذلك والله اعلم قوله تعالى وراودته ليهويه بيتها عن نفسه
ذلك قوله في بيتها علي ان البيت قد جرد ان يضاف الي المرأة وان كان البيت
في الحقيقة لزوجها حيث اضاف الله تعالى بيت روحها اليها اذ الظاهر ان البيت
للزواج ثم قوله وراودته اي دعت الي نفسها والمراد به الدعوة والطلب وقال
اهل التاويل داود ته اي ان اذ ته قوله تعالى وغلقت الابواب وقالت هيئت
لك قيل ان هذه كلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست عبرية ونحن لا نعرف ما
ارادت بها لكن اهل التاويل تكلوا فيه قال بعضهم هيئت لك اي هلم فانا
لك اي نقال فانا لك وفكري هيئت لك معني هيئا ته لك نقول العرب هيئت لك امر
كذا وكذا اعلي معني هيئا ته لك وفي بعض القراءات هيئت لك بالهمز ومعناه ما ذكره تيات
لك ويشبه ان يكون قوله هيئت لك اي ما انا لك قوله تعالى قال معاذ الله اي
اعوذ بالله والجنات اليه والخصن به قوله تعالى انه زبي احسن مثواي قال اهل التاويل
زبي اي سيدي الذي اشتراه احسن مثواي اي اكرم مقامه ومكانه دليله قوله
لزوجه اكرمي مثواه وقوله احسن مثواي يدل على ان المراد من قوله اكرمي مثواه
احسن مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد يوسف بقوله زبي ربه الذي خلقه اي ان

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقْتَنِي وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ اَكْرَمَ مِنِّي وَرَزَقَنِي النُّبُوَّةَ وَعِلْمَ التَّوْحِيدِ وَآمَنَ عَلَيَّ الْبُغْثَةَ
حَظَرَهُ عَلَيَّ مَا تَدْعُوْنِي اِلَيْهِ وَنَهَانِي عَنْهُ فَكَيْفَ اعْصِيهِ فَاَكُوْنُ ظَالِمًا وَاِيْهِ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُوْنَ
ثُمَّ قَوْلُهُ اَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُوْنَ اَيُّ وَقْتُ ظَلَمَ ظَلَمَ اِذَا اصْرَوْا عَلَيَّ الظُّلْمَ فَاَمَّا اِذَا اَقْلَعُوْا عَنْهُ
وَتَابُوْا فَتَدَاخَلُوْا وَاَللهُ اَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ
رَبِّهٖ اَمَّا مَا قَالَتْ بَعْضُ اَهْلِ التَّوْحِيدِ هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا اِنَّمَا اسْتَلْقَتْ لَهُ وَهْمُهَا اَيُّ حَلٍّ
سَرَّ اوْ بَلَّهٖ وَامْتَنَاعُهَا مِنْ الْحَرَامَاتِ فَهَذَا كَلِمَةٌ لَا يَحِلُّ اَنْ يَقَالَ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ
وَالدَّلِيلُ عَلَيَّ مُسَادِدُ ذَلِكَ مِنْ جَوَاهِرِ احَدِهَا قَوْلُهُ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيْ وَلَوْ كَانَتْ
الْمُرَادُ مِنْهُ الْاِرَادَةُ وَالْمُرَادُ فَلَمْ يَكُنْ لِيَقُوْلَ ذَلِكَ لَهَا وَبَيَّنَّ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالثَّانِي
قَوْلُهُ كَذَلِكَ لَمَعْرُوفٍ عَنْهُ السُّوْرَةُ وَالْفَحْشَاءُ وَلَوْ كَانَتْ شَيْءٌ يَبْذُرُ مِنْ حِلِّ السُّرَاوِيلِ وَالْجُلُوْسِ
بَيْنَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَكُنِ السُّوْرَةُ مَعْرُوفًا عَنْهُ فَيَكُوْنُ مِنْهُ خِلَافُ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَالثَّالِثُ قَوْلُهُ
ذَلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّيْ لَمْ اُخْبِرْهُ بِالْغَيْبِ اَخْبَرْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا اَنَّهُ لَمْ يَجِزْ لَهَا وَجْهًا بِالْغَيْبِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْهُ مَا ذَكَرُوا
لَقَدْ خَانَهُ بِالْغَيْبِ فَيَكُوْنُ كَاِذَا بَيَّنَّ قَوْلُهُ وَلَا يَجُوْزُ الْكَذِبُ عَلَيَّ الْاَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالرَّابِعُ
قَوْلُهُ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْرَةٍ وَتَوَلَّاهَا اَلَا اَنْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ اَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ هَذَا
كَلِمَةٌ يَدُلُّ عَلَيَّ اَنْ مَا قَالَهُ اَهْلُ التَّوْحِيدِ لَا يَسِيْدُ لِحُلِّ اَنْ يَتَكَلَّمَ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ
فِيْ ظَاهِرِ الْاَيَّةِ شَيْءٌ يُمَاقِلُ مِنْ قَلِيلٍ وَلَا كَثِيْرٍ اِذْ لَيْسَ فِيْ الْاَيَّةِ سُوْرَةٍ اِنْ هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا
لَمْ اَلَا اَيَّةٌ لِحَقِّهَا وَجَوَّاهُ عِنْدَنَا اَحَدًا هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا عَزَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا
فِيْمَا حَظَرَهُ بِالْقَلْبِ وَلَا مَوَاحِظَةً عَلَيْهِ اِنَّمَا الْمَوَاحِظَةُ اِذَا صَارَ الْخَطَرُ عَنْ مَا وَاِرَادَةُ وَهِيَ
قَوْلُ الْحَسَنِ وَالثَّانِي هَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا الْاِرَادَةُ وَالْقَصْدُ وَهَمَمْتُ بِمُؤْمِنِيْهَا اَيُّ هَمَّ اَنْ يَدْفَعَهَا عَنْ
نَفْسِهِ لَكِنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ هَذَا التَّوْحِيدُ قَوْلُهُ لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ فَاِيْذَا كَانَ هَمُّهَا اَنْ
يَدْفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ كَقَوْلِهِ لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ مَعْنِيْ اِذَا رَأَاهُ بَرَهَانَ لِيَلْبِيْذُ حُرْمِ
عَلَيَّ مَا يَدْعُوْنِي اِلَيْهِ وَيَدْفَعُ ذَلِكَ فَلَا مَعْنِيْ لِرَادَةِ الْبَرَهَانِ وَلَا نَقْدَ يَرَى الْكَلَامَ وَهَمَّ بِمُؤْمِنِيْهَا
دَفْعَ لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ اَيُّ مَا رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ لَمْ يَهْتَمَّ بِمُؤْمِنِيْهَا وَدَفْعَ هَذَا فَاَسَدُ الثَّالِثُ شَيْءٌ
اَنْ يَكُوْنُ هَمُّهَا مَقْلَعًا لَهَا عِنْدَهُ اَنَّهُ لَمْ يَكُنْهَا دَفْعًا عَنْ نَفْسِهِ بِدُونِ قَتْلِهَا فَاِذَا كَانَ هَمُّهَا
فَرَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ اَنْ اَتَرَكَ قَتْلَهَا وَاَدْفَعَهَا بِدُونِ الْقَتْلِ وَفَرَمَهَا فَنَزَلَ الْمَسْلُ مَا عَلَّمَ بِالْبَرَهَانِ
اَنَّهُ يَكُنْهَا دَفْعًا بِدُونِ قَتْلِهَا لَهَا قَتْلُهَا وَاَللهُ اَعْلَمُ وَالسَّرَّاجُ اَيُّ هَمَّ بِمُؤْمِنِيْهَا لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ
عَلَيَّ السُّرْطِ اَيُّ كَانَ يَهْتَمُّ بِهَا اَنْ يَرَى بَرَهَانَ رَبِّهٖ فَاِذَا رَأَاهُمْ هُوَ كَقَوْلِهِ وَلَوْلَا اَنْ يَتَنَبَّأَكَ
لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنَ اِلَيْهِمْ سَيِّئًا قَلِيْلًا اَيُّ لَوْلَا مَا كَانَ مِنْ تَقْيِيْنَتَا اِيَّاكَ وَالْاَلَا لَكُنْتَ اِلَيْهِمْ سَيِّئًا

قَلِيْلًا فَاِذَا يَتَنَبَّأَكَ لَمْ تَرْكُنْ وَعَلَيَّ هَذَا الْحَدِّجُ قَوْلُ اِبْرَاهِيْمَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا فَاَسْأَلُوْهُمْ
اَنْ كَانُوْا يَنْطَلِقُوْنَ اَيُّ لَوْ كَانَتْ هُوَ بِالَّذِيْ يَنْطَلِقُ كَقَتْلِهِ هُوَ عُلُقُ فَعَلِ الْعَصَمُ بِسُرْطِ
كُوْنِهِ نَاطِقًا فَاِذَا لَمْ يَكُنْ يَنْطَلِقُ لَمْ يَفْعَلْ وَالتَّغْلِيْقُ بِسُرْطِ لَا يَكُوْنُ حَقِيْقَةً اَوْ عَادَةً لَكُوْنِ
اَعْدَانًا كَذَلِكَ الْفَعْلُ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ اَحْضًا رَاعَاهُ بِالْفَعْلِ وَاِنْ كَانَ يَتَرَاهُمْ اَنْ
اَرَادَ اَنَّهُ فَعَلَ كَبِيْرُهُمْ حَقِيْقَةً حَتَّى تَرْكُوْهُ فَعَلِيْ ذَلِكَ هَذَا وَاَللهُ اَعْلَمُ ثُمَّ اَخْتَلَفَ فِيْ قَوْلِهِ
لَوْلَا اَنْ رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهٖ قَالَتْ بَعْضُ اَهْلِ التَّوْحِيدِ اَنَّهُ رَأَى يَعْقُوْبَ غَاضِلًا سَفِيْثًا
اَيُّ اَتَرَكَ وَامْتَنَعَ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ مِثْلُ لَهُ يَعْقُوْبَ وَصُوْرَ مَرَّاهُ غَاضِلًا اَصْبَحَ
وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ رَاٰ اَيَّةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَلَا تَقْرُبُ الزَّنا اَيُّهٗ كَانَ فَاجِسَةً لَكِنْ هَذَا
كَلِمَةٌ لَا تَدْرِي وَلَا تَقْلَعُ بِمُؤْمِنِيْهَا اَمَّا الْمَجْهَلُ اَيُّ لَوْلَا مَا رَأَى مِنْ حُجَّةِ اللهِ تَعَالَى وَالْاَلَا
كَانَ يَهْتَمُّ بِهَا وَلَكِنْ لَا تَدْرِي مَا تِلْكَ الْحُجَّةُ وَاَللهُ اَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَنُصْرِفَنَّ عَنْهُ السُّوْرَةَ
وَالْفَحْشَاءَ اَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ اَيُّ نَصْرِفَنَّ عَنْهُ ذَلِكَ بَارَآةَ الْبَرَهَانِ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَاسْتَبَقَا الْبَابَ قَالَتْ بَعْضُهُمْ اسْتَبَقَتْ هِيَ لَتَغْلُقَ الْبَابَ وَاسْتَبَقَ هُوَ لِيَخْرُجَ
وَيَقْرُبَ لَكِنْ قَوْلُهُ لَتَغْلُقَ لِحَقِّهَا لَا اَنْ الْاَبْوَابَ كَانَتْ مَغْلُقَةً لَقَوْلِهِ وَغَلَقْتُ الْاَبْوَابَ
وَلَكِنْ اسْتَبَقَتْ هِيَ لِحَقِّهَا وَمَنْعَهُ وَاسْتَبَقَ هُوَ لِيَخْرُجَ وَيَقْرُبَ قَالَتْ اَبُو عَوْنَةَ
قَدْ ذُتْ قِيَصُهُ اَيُّ شَقَتْ وَمُتَرَقَّتْ وَمَقْدُوْدٌ اَيُّ مَشَقُوْفٌ مِنْ دَبْرَايَ مِنْ خَلْفِ
وَقَدْ ذُتْ قِيَصُهُ مِنْ دَبْرَايَ جَرَتْهُ لِقَبْلِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْقِيَاسُ سَيِّدُ مَا لَدِي الْبَابَ
اَيُّ وَجَدَ اَسِيْدَ مَا هَذَا يَدُلُّ اَنْ قَوْلُهُ اَنَّهُ رَأَى اَحْسَنَ مُوَايٍ لَمْ يَرِدْ بِهِ الْعَدِيْدُ
الَّذِي اسْتَقْرَاهُ وَلَكِنْ اَرَادَ بِهِ الْعَدِيْدُ الَّذِي خَلَقَهُ لَانَّهُ قَالَتْ سَيِّدُهَا وَلَمْ يَقْتُلْ سَيِّدَهَا
قَوْلُهُ تَعَالَى لَدِي الْبَابَ اَيُّ عِنْدَ الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا جَزَا مِنْ اَرَادَ اَهْلَكَ
سُوْرًا اَلَا اَنْ يَتَجَمَّعَ اَوْ عَذَابُ الْيَوْمِ هَذَا يَدُلُّ عَلَيَّ اَنْ الْاِرَادَةَ لَكُوْنُ مَعَ الْفَعْلِ لَهَا
كَانَتْ لَا تَقْلَمُ اِرَادَةَ ضَمِيْرٍ وَاِنَّمَا اَخْبَرَتْ عَلَامَةُ مِنَ الْمَثَلِ وَظَاهِرُ الْفَعْلِ وَكَذَلِكَ
قَوْلُ اخُوَّةِ يُوْسُفَ اِذَا قَالُوْا لِيُوْسُفَ وَاخُوَّةُ اَحْبَبَ اِلَيَّ اِبْنِيْنَا مَنَاوَكَا قَوَاهُمْ لَا يَقْدِرُوْنَ
مَا فِيْ ضَمِيْرٍ مِنَ الْحُبِّ سُوْرَةٍ مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الْمَثَلِ اِلَيْهِ وَاِبْدَارُ السَّفَقَةِ لَهُ فَعَلِيْ ذَلِكَ
الْاِرَادَةُ وَاَللهُ اَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيْ اَيُّ هِيَ دَعَانِيْ عَنْ نَفْسِيْ
وَقَدْ ذَكَرْنَا اَنْ الْمُرَادُ هِيَ الدَّعْوَةُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ اِيَّاهُ اَيُّ سَنَدْعُوْا مِنْهُ
وَلَطَلْتُ فَاِنْ قِيلَ كَيْفَ هَتَكَ سَتْرًا بِقَوْلِهِ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيْ قِيلَ لَيْسَ فِيْهِ
قَصْدُ هَتَكَ السَّتْرِ عَلَيْهَا بَلْ فِيْهِ نَفْيُ الْغَيْبِ وَالظُّهْنِ عَنْ نَفْسِهِ فَالْوَاجِبُ عَلَيَّ الْمَسْخُوْرُ

ان ينفي العيب وما يشبهه عن نفسه على ما فعل يوسف والله اعلم قول تعالى
وشهد شاهد من اهله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكدبت وهو من الصادقين لمن دبر اي من خلف
ومن قبل اي من قدام وهو ما خوذ من قبل ومنه قبل المرأة واخلف اهل
التاويل في الشاهد قال بعضهم ذلك الشاهد هو ابن عمها رجل حليم وقال بعضهم
صبي في المهد وقال بعضهم شق القميص من دبر هو الشاهد وامثال ذلك
قالوا لكن لا نعلم من كان ذلك الشاهد وليس لنا الي معرفة حاجته والله اعلم
ثم قوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت الآية وانما كان الامر على ما ذكر
الشاهد لان القميص اذا كان مقدودا من قبل فهو انما اتقد من دبرها اياه عن نفسها
واذا كان مقدودا من دبرها انما اتقد من حرها اياه الي نفسها لان من دبرها
ايه عن نفسها لذلك قال ذلك الشاهد ان كان قميصه قد من كذا فهو كذا وانما
من كذا فهو كذا اقول تعالى فلما را قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان
كيدكن عظيم استدلت على انه انما تتد من جرتها اياه لان من دبرها اياه من نفسها
وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص في الغالب لا يمتد من دبر
الا عن جرت من وراؤه ولا من قبل الا عن قدام وان كان يجوز في الحقيقة على غير
ذلك لكن نظر الي الغالب فدل ان احكم بعلم الغالب واجب والله اعلم وعينه
دليل لا محابا رحمهم الله في مسائل انه مبنى الحكم على ظاهر الاحوال وغالب الامر
من ذلك فظهر في خانوت بني يدي اثنين فيه لؤلؤ وايها با احدهما لؤلؤي والآخر
دباغ فتنازعنا فيما بيننا من اللؤلؤ والايها با فانه يقتضي لكل واحد منها لؤلؤي باللؤلؤ
وللدباغ بالايها با لظاهر اليد على ما يقتضي الشاهد بالموادة يتميز القميص من دبر
ومن قبل وعلى ذلك قالوا في الزوجين مختلفان في متاع البيت ان ما كان من متاع
الرجال فهو بيد الرجل وما كان من متاع النساء فهو بيد المرأة وامثال هذه
مسائل كثيرة يقتضي فيها بالدلائل الغالبة والاجوال الظاهرة وان كان يجوز
الحقيقة على خلاف الظاهر والغالب والله اعلم قوله انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يشبه ان يكون كيدها انها لما راودته من نفسه وآمنته عن اظهار ذلك واقتضاه
عليه وافشت عليه ذلك حيث ابي اجابتهما اظهار البراءة نفسها عن ذلك فقالت
ما جزاء من اراد باهلك شواء ذلك القول منها من كيدكن واصل الكيد والمكيد

هو على الاخذ على الامن والله اعلم قول تعالى يوسف اعرض عن هذا احتمال
قوله يوسف اعرض عن هذا اي عن قوله هي راودتني عن نفسي ويشبه
ان يكون قوله اعرض عن هذا اي عن جميع ما بينك اي استر عليها ولا تهتك سترها
قوله تعالى واستغفري لذنبك ذلك القائل الذي قال ليوسف اعرض عن
هذا قالت لها واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين لما ظهر عند انها هي التي
راودته عن نفسها ودعته الي نفسها ثم اختلف في تاويل هذه القول قال بعضهم
هو زوجها قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك سترها وقالت لها استغفري
لذنبك علم الذنب منها وامرها بالاستغفار ليكنهم قالوا انه كان قليل الغيرة في النساء
فلذلك قال ما قال وسهل الامر وما شدة عليها والله اعلم وقال بعضهم ذلك
القائل هو رجل آخر هو ابن عمها الذي قال بعض اهل التاويل هو الذي
ذكره الله تعالى بقوله وشهد شاهد من اهله فيكون مع زوجته زوجها
لذي الباب فيكون القائل هو دون زوجها والله اعلم وهذا الشبه ثم قوله
واستغفري لذنبك قال بعضهم انما قال لها ذلك وامرها بالاستغفار لانهم
وان كانوا يعبدون الا صنما فاما يعبدونها ليقتر بوم الي الله ولنا وقال
بعض اهل التاويل واستغفري لذنبك اي لذو حك حيث خنته فان كانت
تاويل هذا فتذايدت على ان القائل لذلك رجل آخر لان زوجها وان كان الاول
فانه يحتمل كليهما ايها كان والله اعلم قوله تعالى وقال لسوة في المدينة
امراة العزيز تراود فتيتها عن نفسها يشبه ان يكون استكملت سرها عند لسوة
في المدينة فافشين سرها عند اهل المدينة ليلبغ ذلك الخبر الملك ولحتمل ايها
لم تكن اعلمت تلك النسوة ولكن لا بد من ان يعلم بعض خدماها فالحاد م اعلمت سترها
وافشت عند نفسه من اهل المدينة فقلن عند ذلك تراود فتاه عن نفسه اي
تدعوا عند ما الي نفسها قوله تعالى قد شفها حبا قال بعضهم الشفاف هو
حجاب القلب وغلافه قد شفها حبا اي حبا اياه الشفاف وقال ابو عبيدة شفها
حبا اي دخل الحب في شفاف القلب وهو غطاؤه وقريب العين شفها اي ذهب
عقلها وعشقتها والمشغوف المحب وقيل المشغوف هو المحبون حبا وقالت الحسن الشاف
ان يكون قد تطلت لها حبه والشعف ان يكون مشغوبا به وهو من العيشق وقالت
عامة اهل الادب ان الشعف بالعين استد من الشعف لكن هذا قول اوليك النسوة

فلا يدرك ما اردن بذلك وانما هذا خبر اخبر عن قول قلته والله اعلم
 قوله تعالى انا لنزويها في ضلال مبين حيث خانت زوجها وقيل اي في حيرة
 من حبها اياه قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن والمكر هو الاخذ
 ٥٨٥ في حال الامن وهو احبها لانه فيها امن واستكنتم فكانها استكنتم سورها وهو حبها
 ليوسف عليه السلام عن الناس وافشت ذلك لنسوة في المدينة علي ان يستكن
 علي الناس فافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت الي هذا ذهبت بعض اهل
 التاويل والله اعلم وامكن ان يكون المرأة لم تغش سورها اليها ولكن بعض خدمها
 التي اطلعت علي ذلك هي التي افشت اليهن فافشين هن ذلك فلما سمعت ذلك
 منهن ارسلت اليهن اما تتوليننا ودعاء للضيافة واما استرارها يورنها فذلك قوله
 فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة
 الحجاز والسما في ذلك لا نعلم وليس لنا الي ذلك حاجة والله اعلم قوله تعالى
 واعتدت لهن متكئا المتروكة المعروفة متكئا مشغل من قولك اتكأت وهو الوسائد
 وما يتكأ عليه وقالت الكسائي المجالس يتكون عليها في الطعام وقال ابو عبيدة
 واعتدت لهن متكئا محزوم التاء وهو الاتوج والطعام فيلغنه وعن الضحاك كل شيء
 تحته باليكن فهو منك وكذلك قالت المتنبى قالت وقال الزما ورد علي ذلك
 قالت احسن واعتدت لهن متكئا اي طعاما وشوابا والله اعلم قوله تعالى
 وانت كل واحدة منهن سكتا اي كل واحدة منهن سكتا قوله تعالى وقالت اخراج
 عليهن وهما كلام واشكال ان كيف اطاعها يوسف بالخروج علي النساء بقولها اياه
 اخراج عليهن وفي ذلك خلويهن وذلك بما لا يحل لكن الخروج علي وحوه احدها انه انما
 يكن الدخول عليهن والمخلوة بهن واما الخروج عليهن فليس بمكروه اذ فيه الخروج بهن
 لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج منهن فكانه عليهم السلام لما اذنت له بالخروج
 عليهن خرج رغبة في الخروج من عندهن وعلي هذا العزم خرج لا للعزم علي الخروج
 عليهن اذ لم يكن يقدر ان يخرج من البيت عليهن بعين اذن منها فالامر بالخروج عليهن
 اذ به الاذن بالخروج من البيت ولا سبيل له الي الخروج منه بلا اذن له فخرج عليهن
 ثم من عندهن الي غيره من المكان وذلك بما لا يكره اذ كان لا سبيل له الي ما سواه
 والله اعلم فففيه دلالة ان مستري يوسف كان منع يوسف عن ان يخرج الي البلد
 والتوق وعن ان يجالط الناس وامر امراته ان تحفظه ويقوم بامر امره اما اشفاقا

علي نفسه ليلا يطلع احد علي نفس يوسف لما وقع عند انه مسروق او ليلا يفتن به
 النساء فكيف كان فيه ذلك ليل علي المهر ان يحفظ ولده او عبده اشفاقا علي
 والله اعلم وليسبه ان يكون منها الامر بالخروج فحسب ولم يقل عليهن فلم يعلم يوسف
 انها انما تامر بالخروج علي النساء فخرج لكن الله تعالى اخبر عن مقصودها وكان
 مقصودها من الامر بالخروج مطلقا المقيد وهو الخروج عليهن فاحسب تعالى عن
 مقصودها بقوله وقالت اخراج عليهن وذلك كما في اللغة ويكون مثل هذا
 في الكلام واستعمال اهل اللسان والله اعلم ولحقه وجها آخر ان يكون قوله
 اخراج عليهن اي عنهن فذكرت اخراج عليهن ظاهرا ليراه منها النساء بانه يطيعها
 فيما تامر وتذير من حيث الالشارة والدلالة ان غرضها ان يخرج من بين النساء
 ومن قد رهن لما اخذت لهن ضيافة لكن ذكرت عليهن علي الكفاية عن عنهن علي ما
 هو جار مستعمل في اللغة فانه يستعمل كلمة علي مكان عن كقوله اذا قال علي الناس
 اي عن الناس واما له كثير والله اعلم قوله تعالى فلما راينه البئر
 وقطعن ايديهن قوله اكبره اي اعظمته من حسنه ان يكون مثل هذا من البشر
 الا تترك انهن قلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقوله وقطعن
 ايديهن اي لصيروا ايديهن مغلوبات من حسنه قطعن ايديهن حذا جزا بالسكين
 قوله تعالى وقلن حاشا لله قال اهل التاويل اي معاذ الله وقال بعضهم
 حاشا لله كلمة تنزيه من القبيح ويقوا ايضا حاشا لله وفي مصحف كاشا الله كلها لغات
 معناه ما واحد معاذ الله وذلك هذا القول منهن انهن مقورات بالله حيث قلن
 معاذ الله ما هذا بشرا ثم قوله ما هذا بشرا في آراء العامة علي معنى ما هذا بشرا
 والعرب تقول ما عبد الله قايما علي معني بقايم وفي مصحف ما هذا بشرا فيكون دليلا
 للقدرة العامة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما هذا بشرا والعرب تقول
 ايضا ما عبد الله قايما والله اعلم قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم كان الملك عند
 الكفرة حسن وان لم يروه ينسبون كل حسن الي الملائكة والشيطان فينجع عندهم
 ينسبون كل قبيح اليه قوله تعالى قالت فذلك الذي لم تلتقي فيه لقولن امرأة
 العزيز تروا ودفنا ما عن نفسه اي انك لم تلتقي اي اراوده عن نفسه وانتم قطعن
 ايديكم اذ ارايتن وانكرتن ان يكون هو بشرا فذلك اعظم قوله تعالى ولقد
 راودته عن نفسه اي اي دعوته الي فيه فاستغصم قيل امتنع لقوله لا عامم اليوم

أي لا مانع ولا يشبه قوله فاستعظم أي استعظم بالله أو بدينه ونوته أو بعقله وأعلم
قوله تعالى ولين لم يفعل ما أمره ليسجن وليكون تأمين الصاغرين قالت ذلك
امراة العز يزليه ان يكون قولها ليسجن وليكون في السجن من الصاغرين أي
الصغار بسبب السجن لا صفاء آخر مع السجن ويحتمل ليسجن وليكون تأمين الصاغرين
من الدليلين لأن الصاغرة هو الدليل لأنه قالت العز يزلا مراية الكرمي متواة
فكان مكرما عندها معظما فلما أتى ما رآه من تعاليت ليسجن وليكون تأمين الصاغرين
خوفته بالسجن والاذلال ليجيها إلى ما تدعوها المواد السجن وادلال آخر ورآه
الحاصل بالسجن قوله تعالى رب السجن أحب إلي مما تدعوني إليه فيه دلالة
أنه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العز يز من المزاودة
والدعاء إلى نفسها حيث قالت رب السجن أحب إلي مما يدعوني إليه الاتري أنه
قالت في موضع آخر ما خطبك إذ راودتني يوسف عن نفسه ولذلك قالت امراة
العز يز قد كنت الذي لمشتني فيه أي كنت تلمني أي راودتني عن نفسه وانتهت قد
راودته عن نفسه ولحتم انهن امرنه بالاجابة لدعائهن إلى نفسها على سبيل الشفاعة
والاعيان له لئلا ذلك قالت ما تدعوني إليه ثم قول يوسف رب السجن أحب إلي
ما تدعوني إليه أي ذلك الذل والصغار أحب إلي أي أشغدي وأخبرني الدين
ما يدعوني إليه أي وكان ما يدعونه إليه بهوي نفسه وميل إليه وتحت حب طبيعة
لكن أخبر أن السجن أحب إليه أي أثر إليه وأحب في الدين إذا النفس تكرة السجن
وتغفر عنه الاتري أنه قالت والآن تصير عني كيدهن أمثاليين وأكن من الجاهلين
فهذا يدل على أنه إنما أراد بقوله رب السجن أحب إلي محبة الاختيار والابتار
في الدين لا محبة النفس واختيارها بل كانت النفس حبت وتوكل ما يدعونه إليه
حيث قالت أصب إليهن وأكن من الجاهلين ثم ليس في الدعاء في قوله رب السجن أحب
إلي ما يدعوني إليه كما قاله بعض الناس أنه ولذلك قالوا أنه إنما وقع في السجن لأنه سأل
السجن بالدعاء من الله فاستجيب دعائه في ذلك ولكن الدعاء في قوله والآن تصير
عني كيدهن وقوله رب السجن أحب إلي ما يدعوني إليه أخبار أخبر وهو قول آدم
وحوا وبنينا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ليس الدعاء
في قولهما وبنينا ظلمنا أنفسنا بل أخبار عما كان بينهما إنما الدعاء في قولهما وإن لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قول نوح قال رب إن أهلك

ما ليس لي به علم والآن تغفر لي وترحمني فكذلك قوله والآن تصير عني كيدهن اذ معناه
لا أحد ملك صيرت كيدهن عني لولم تغفر أنت وكذلك قوله وإن لم تغفر لنا وترحمنا
وقوله والآن تغفر لي وترحمني وهو أجمع في الدعاء من قوله اللهم اصبر عني كيدهن
ومن قوله اللهم اغفر وارحم وأله أعلم ثم في قوله والآن تصير عني كيدهن أصب إليهن
دلالة أن عند الله تعالى لطفًا مكنى على يوسف ذلك فسأله ليعطيه فيصرف بذلك
عنه كيدهن اذ لو كان إعطاء ذلك لكان كيدهن وشتم من مصروفه عنه لم يكن ليشأله
والآن تصير عني كيدهن معني فهذا ينقض على المعتزلة قولهم أن الله تعالى قد أعطى
كل مكلف قدره كل طاعة وقوة كل خير وقوة دفع كل شر والله الموفق ثم قوله
أصب إليهن أي أميل إليهن صبا يصبوا أي مال ميل وقيل أصب إليهن أنا يعين
أي لولم تصير عني كيدهن لا تأيعن ويقال الصب هو الخروج من الأمر الذي هو فيه
يقال كل من خرج من دينه أنه صبا ولذلك كان المشركون يسمون النبي صابيا
أي خرج مما عليه من دين أبيه بزعمهم وقالت ابوبكر الأصم الصب هو الأمر المحب
وقوله وأكن من الجاهلين أي تكون فعلي فعل الجهال لا فعل العلماء والحكام
أن لم تصير عني كيدهن قوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن أي
أجاب له ربه فصرف عنه كيدهن هذا يدل على أن الدعاء كان في قوله والآن تصير
عني كيدهن ليس في قوله رب السجن أحب إلي مما يدعوني إليه حيث أخبر أنه
أجاب له ربه فصرف عنه كيدهن دل أن الدعاء في قوله والآن تصير عني كيدهن
ثم في قوله والآن تصير عني كيدهن دلالة أنه كثر يدعونه إلى ذلك على وجه كان
تجني عليه ولا يشعر بذلك إذا المكروا لك هذا هو فالجاء إلى الله في صرف ذلك
عنه والله أعلم قوله تعالى إنه هو السميع العليم أي السميع لكل قول وكلام خفيا
كان على الخلق أو ظاهر العليم الذي لا يخفى عليه شيء قوله تعالى ثم بداهم
من بعد ما رآوا الآيات ليسجنه حتى حين أرادوا الله أعلم النسوة مع زوجها
لذلك قالت رآوا بلفظة التذكير تعظيما للتذكير على التانيث عند الاجتماع على ما
ذكر في بعض القصص أنها قالت لزوجها ما زال يوسف يراودني من نفسي فأبيت عليه
فصدتها الزوج فجلسه في السجن وقيل حبسوا ليشفوا عن المرأة ما ربيت به
ولينقطع ذلك عن الناس ويموت ذلك الخمر وذهب ثم قوله من بعد ما رآوا الآيات
قال أهل التأويل هو قد القيض من دبر وخش الوجوه وغير ذلك ولكن يشبه

٥١٩
أَنْ يَكُونَ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ نُبُوته وَرِسَالته فِيهِ أَنَّهُمْ حَبَسُوهُ بَعْدَ مَا رَأَوْا آيَاتَ
عَصْمته وَبَرَاتِهِ عَمَّا أَتَوْهُ وَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا فِي حَبْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَدَخَلَ مَعَهُ
السِّجْنُ فَنَيَّانَ قِيلَ لِقَتِيَانِ كَأَنَّا بِنَدْيِ الْمَلِكِ غَضِبَ عَلَيْهِمَا الْمَلِكُ قَوْلُهُ تَعَالَى
قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَإِنِّي عَنِيبٌ قَالَتْ بَعْضُهُمَا الْعَنْبُ اسْمُ الْخَمْرِ بَلْفَغَةٌ قَوْمٌ
وَقِيلَ سَجَى لَعْنُ خَمْرًا بِاسْمِ أَصْلِهِ وَجَاءَ فِي اللَّغَةِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ
وَبِاسْمِ أَصْلِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَهْلُ فَوْتٍ رَأَيْتُ خَبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ قِيلَ كَانَ أَحَدُهُمَا خَبْرًا الْمَلِكُ وَالْآخَرُ سَفَافَةً قَوْلُهُ نَبِيْنَا
بَنَؤُ وَيْلَهُ أَنَا نَزَاكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَتْ بَعْضُهُمَا احْسَنًا نَهْ فِي السِّجْنِ لَمَّا كَانُوا رَأَوْهُ فِي السِّجْنِ
يَدَاوِي مَرْصِي وَيَعْزِي حَزَنَهُمْ وَجْتَهِدَ فِي نَفْسِهِ فِي الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِ وَكَيْفَ أَنَا بَرَكْتُ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَمَّا رَأَوْهُ أَحْسَنَ إِلَى أَهْلِ السِّجْنِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَكَيْفَ وَكَيْفَ
الْأَحْسَنَ هَهُنَا الْعِلْمُ أَنَا نَزَاكُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَكَيْفَ أَنَّهُ كَانَ يَبْرَأُ أَهْلَ السِّجْنِ وَيُصَلِّمُ
وَجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ رَبِّهِ فَتَسْمَاهُ حَسَنًا لِذَلِكَ وَيُسَمُّهُ أَنْ يَكُونَ قَالَا أَنَا نَزَاكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَمَّا
رَأَوْا بِهِ سِيمَاءَ الْخَيْرِ وَأَنَّهُ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ وَخَلْفَهُمْ
عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ فَتَسْمَاهُ مُحْسِنًا لِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَوْلُهُ نَبِيْنَا تَأْوِيلُهُ
إِنِّي بَتَغْيِيرِهِ سَجَى لَعْنَتُهُ تَأْوِيلُهُ لِأَنَّهُ تَأْوِيلُهُ هُوَ الْخَبْرُ عَنِ الْعَوَاقِبِ ثُمَّ خَرَجَ
تَأْوِيلُ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ كَانَ يَعْصِرُ الْخَمْرَ عَلَى الْعُودِ إِلَى مَا كَانَ مِنْ أَمِيرِهِ مِنَ السُّبْحِ
لِلْمَلِكِ فَإِنَّهُ كَانَ سَارِقِيًّا لَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي بَعْضِ الْقِصَصِ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ دَامَ عَلَى أَمْرِهِ أَوَّلَ
لَهُ بِالْعُودِ إِلَى أَمِيرِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَالْآخَرُ كَانَ خَبْرًا نَاعِلًا مَا ذَكَرْنَا وَهُوَ إِنَّمَا كَانَ خَبْرًا
لِلنَّاسِ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ حَمَلَ الْخَبْرَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَنَّ الطَّيْرَ تَأْكُلُ مِنْهُ عَلِمَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ
الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَخَرَجَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ هَلَاكُهُ لَمَّا فِيهِ أَنْهَا أَمِنْ
الَّذِي هُوَ سَبَبُ مَعَاشِهِ وَلَا تَهْ كَانَ مِنْ قَبْلِ خَبْرِ النَّاسِ فَصَارَ مَا خَبَرَ لغيرِهِمْ
أَعْنَى الطَّيْرُ وَكَانَ مَا خَبَرَ سَبَبُ مَعَاشِ النَّاسِ وَالْآنَ صَارَ سَبَبُ مَعَاشِ الطَّيْرِ
وَالْخَبْرُ لَيْسَ سَبَبٌ قَوَامًا لِلطَّيْرِ لِأَنَّهُ لَا تَأْكُلُ فَتَعْتَبَرُ بِمَا يَنْصِلُ بِهِ وَسَبَبٌ لَوْجُودِ الْخَبْرِ
وَهُوَ الْخَبْرُ فَإِنَّ الطَّيْرَ تَأْكُلُ مِنَ الْأَدْمِ الْمَيِّتِ فَتَعْتَبَرُ أَنَّهُ يُضَلَبُ وَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْ رَأْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ حَمَلَ الْخَبْرَ عَلَى الرَّاسِ وَالطَّيْرُ تَأْكُلُ مِنْهُ وَهُوَ مَجْمُورٌ لِرَأْسِهِ وَإِنَّمَا
عَبَّرَ أَنَّهُ يُضَلَبُ لِأَنَّهُ قَائِمًا بِمَا مُنْتَصِبًا وَالْمَيِّتُ الَّذِي يَكُونُ مُنْتَصِبًا هُوَ الْمَضْلُوبُ فَأَوَّلُ عَلَى

ذَلِكَ لِهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ لَا يَأْتِيكَ طَعَامٌ تَرْزُقَانَهُ إِلَّا بِنَاثِكَا
بَنَؤُ وَيْلَهُ قِيلَ إِنَّ يَأْتِيكَ لِحْتَمَلِ هَذَا وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا إِنِّي لَا يَأْتِيكَ طَعَامٌ رَأَيْتُهُمَا
أَنَارَ ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ الْإِنْبَاءُ تَكَابُتًا وَيْلَ ذَلِكَ قِيلَ إِنَّ يَأْتِيكَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَالثَّانِي لِحْتَمَلِ قَوْلِهِ لَا يَأْتِيكَ طَعَامٌ تَرْزُقَانَهُ إِلَّا بِنَاثِكَا بَنَؤُ وَيْلَهُ قِيلَ إِنَّ يَأْتِيكَ
هَذَا مِنْهُ دَعْوَى آيَةِ النُّبُوَّةِ وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا
يُطْلَعُ إِلَيْهِ إِلَّا بِرَسُولِهِ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالُوتَ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرِكُونَ فِي يَوْمِكُمْ
وَأَنَّمَا قَالَتْ لَهُمْ هَذَا لِيَعْرِفَهُمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَنْدهُ عِلْمٌ مَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فَعَلِمَ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ أَحَرِي أَنْ يَكُونَ عَنْدهُ هَذَا مِنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ احْتِيَائًا لِيَنْزِعَهُمْ عَنْهُمْ مِنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَيُدْعِيَهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَصَرَفَ الْعِبَادَةَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَوْهُ مِثْلَهُمْ
فِي الْخَلْقَةِ وَالْجَوْهَرِ وَاحْتَضَنَ هُوَ بِالْإِشَارَةِ فِيهِ عَنْهُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ
وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُجْدَى الْأَنْبِيَاءِ أَسْرَعُوا إِلَى الْإِجَابَةِ إِذَا دُعِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ
فَقَدَّمَ الْمُحْسِنِينَ قَبْلَ الدَّعْوَةِ وَلِذَلِكَ قَالَ حِينَ رَأَتْهَا مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ ذَلِكُمْ
بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي أَيُّ عَلِمَنِي بِطَرِيقِ اللَّطِيفِ أَمَّا بِوَاسِطَةِ تَعْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ أَوْ لَقَاءِ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ
بِالْإِلْهَامِ وَذَلِكَ لَطْفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ
قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ قَوْلُهُ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ لَيْسَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ تَرَكَهُ وَلَكِنْ تَرَكَهُ ابْتِدَاءً لَوْلَمْ يَكُنْ تَرَكَهُ كَانَ أَخَذَ ابْتِدَاءً
وَهُوَ كَقَوْلِهِ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ لَيْسَ أَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً فَرَفَعَهَا وَلَكِنْ رَفَعَهَا
أَوَّلَ مَا خَلَقَهَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ لَيْسَ أَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً ثُمَّ
وَضَعَهَا لَكِنْ أُنْشِأَهَا مَوْضُوعَةً وَمَوْضُوعَةً وَهُوَ كَقَوْلِهِ خَرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَلَكِنْ عَصَمَهُمْ عَنِ الظُّلُمَاتِ حَتَّى لَمْ يَدْخُلُوهَا فَعَلِيَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ
إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ دَلَالَةٌ
مِنْ وَجْهِهِ أَحَدُهُمَا يَنْبَغِي أَنْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا يَقْتَضِي قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ
حَيْثُ جَعَلُوا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ رُبْعًا ثَالِثًا وَالثَّانِي فِيهِ دَلَالَةٌ أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ
وَاحِدَةٌ حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُ تَرَكَ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَفِيهِ
دَلَالَةٌ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ فِي صَاحِبِ الْكِبَرَةِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ فَإِنَّهُ اعْتَقَدَ يُؤَسِّفُ أَنْ مَنْ
لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهُمْ يَقُولُونَ صَاحِبُ الْكِبَرَةِ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَهُوَ لَيْسَ بِكَافِرٍ
فَيَصِيرُ وَكَذَلِكَ رَسُولًا فِي خَبَرِهِ مَخْطُئِينَ أَيَّاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ ثُمَّ أَخْبَرَ

انه اتبع ملة ابايه بقوله وابتعث ملة آباء ابراهيم واسحاق ويعقوب ثم اخبر عن ملة
آبايه فقال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء عندهم ملة آبايه ودينهم وهو ترك
الابشراك بالله لا من حيث الذات ولا من حيث الصفات ولا من حيث استحقاق العبادة
وفي الآية دليل على ان الملة ليست الاملتين ملة الكفر وملة الاسلام واخبر
ان من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم انما خص بذكر ملة ابراهيم
واسحاق ويعقوب لان هؤلاء كانوا مكرمين عند الناس كافة وكل اهل الدين
يدعون انهم على دين او ليك فاخبر عليه السلام انهم على دين الاسلام الحنيف المخلص
ليس على ما يزعمون انتم ولهذا قالت تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قوله تعالى ذلك من فضل الله
علينا وعلى الناس اي ذلك الزمن والملة انا عليها وآباي من فضل الله علينا
وعلى الناس لانه عز وجل فطر الناس على فطرة يعرّفون وحدانية الله تعالى
وربوبيته بعقول ركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي يتكفرون ذلك الذي
أرهابت متفردون خیرام الله الواحد القهار لما سئل يوسف عن تاويل الرؤيا
دعاهم الى توحيد الله ودلهم على ذلك فقال ذلك ما علمني ربي ان الغيب لا يعلمه
الا الله بطلعه من شاء من عبده ولا يطلع على ذلك من هو كما ذبح في ادعاء الرسالة
عليه وقال ايضا يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خیرام الله الواحد القهار
اي عباد ربه واحد وارضاؤه خیر امر عبادة عدو وارضايم وارضا نفع لا به
اذا اجتهد في عبادة بعض وارضايم اسخط الباقين ولا سبيل له الى الوصول الى مقصوده
والظفر بخاتمه الا بارضا الكل ولا يقدر على ارضايم جميعا وان اجتهد فاما الواحد
فانه يقدر على ارضايم بان لا يزال يكون في عبادته وارضايم فيحصل الى حاجته
والظفر بمقصوده والله الموفق والشاخي بخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب
ومن تعبدون فعباده الواحد القهار خیر من عبادة عدد متهورين قوله تعالى
ما تعبدون من دونه الا اسما سميتوها انتم وآباؤكم اي ما تعبدون من دون الله
من الاوثان والاضنام الا اسما سميتوها الهة انتم وآباؤكم وهم لا يستحقون العبادة
ولا التسمية بالالهة انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض
قوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله على ما عبدتموه
وسميتهم انتم وآباؤكم الهة من حجة ولا برهان قوله تعالى ان الحكم الا لله اي

ما الحكم في تسمية الالهية والعبادة الا الله تعالى ليس كما تقولون ما تعبدتم الا ليقربونا
الى الله زلفا وقوله هو لا سفعاء واعند الله اي ما الحكم في الشفاعة والالوهية
الا لله تعالى ولحقه ما الحكم في الخلق والامر لله تعالى كقوله له الخلق والامر
اي له الخلق وله الامر في الخلق وقوله امر ان لا تعبدوا الا اياه حكمه هذا ان لا
تعبدوا الا اياه قوله تعالى ذلك الدين القيم اي عباد الله وتوحيد هو الدين
القيم لانه دين قائم عليه الحجة والبرهان فاما سائر الاديان فليست بقيمة اذ الحجة
قامت عليها ولا برهان والقيم هو القاييم الذي قام بحجة وبرهان وقالت اهل التأويل
القيم المستقيم قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون لحقه لا يعلمون لما لم
يتفكروا فيه ولم ينظروا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم وان حصل المترو اذا تمكن له العلم بذلك ولا عذر له في الجهل ولحقه انهم علوا
ولكن لما لم ينتفعوا بعلمهم فكانهم لم يعلموا فنبي عنهم العلم لذلك والله اعلم وقال ابو بكر
الاصم يا صاحبي السجن سماها اصحاب السجن لانهم كانوا في السجن كما يقال اصحاب النار
 واصحاب الجنة ويخوذ ذلك لكن هذا لا يصح لانه لو كان كما ذكره قال يا صاحبي السجن
بالالف فلما لم يقل ذلك انه اضافها الى نفسه كما انه قال يا صاحبي في السجن لانها كانت
معها في السجن وكان هذا الرد وقع غلطا من الكاتب الذي تلقاه لان التمام المضاف
منصوب فقال يا صاحبي الدار ولكن الرد من وجه آخر فان التسمية بصاحب السجن
من باب التحقير وعرضه تعظيمها في اضافتها الى نفسه اي يا صاحبي في السجن والله اعلم
قوله تعالى يا صاحبي السجن اما اخذ كما فيسقي ربه خيرا واما الاخر فيصلي
فتأكل الطير من راسيه اما تأويل روي السائي ما ذكره لانه عبرها على العوالي ما كانت
يعمل من قبل لما رأي انه كان يعمل على ما كان يعمل من قبل وعبر روي الخبر بالهلاك
لما رأي انه حمل الخبر على الرايس والخبر اذا خبر الخبر لا يحفل ذلك على راسيه فقرأ
انه قد انتهى امره اذ اراد عمل على خلاف ما كان يعمل من قبل وعبر انه يصلي وتأكل
الطير من راسيه لما رأي انه حمل الخبر على الرايس وتأكل الطير من ذلك الخبر في حال
قيامه وانتصاه والهلاك الذي في حال الانتصاب هو بالصلب يكون او لما كان خفي
للناس ويكون خفيه سبب قوام الطير والخبر لا يأكل الطير فغير الاكل من الخبر
الذي هو عامل الخبر فبما كل من راسيه الذي عليه الخبر والله اعلم قوله تعالى
قضي الامر الذي بينه وبينه فاستفتيان قال بعض اهل التأويل انما عبر لهما رويها

قال لم نر شيئا انما كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرج
وانتهى لكن هذا لا تعلم الا قال ذلك امر لم يمتدح ولا وليس في القرآن سوى انه عبر
رواها وكان كما عبر طعنا وقد علم ذلك بتعليم الله اياه بقوله ذكرا لما علي ربي وقوله
تعالى وقال للذي ظن انه ناج منها اخذت في قوله ظن انه فعل من قال بعضهم
ان الظن فعل يوسف معناه قال يوسف للرجل الذي كان عنده يوسف انه ناج
منها وظن انه ناج اذ كرى عند ربك وقالت بعضهم ان الظن هو فعل ذلك الرجل الذي
عبر رواه بالنجاة فتعبرين قال يوسف للرجل الذي ظن ان يوسف صدق فيما
عبر رواه وانه ناج فان كان الظان هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن اذ
لا حقيقة عند ذلك الرجل سوى تفسير رواه ولم يثبت رسالته عند ذلك الرجل ليعبر
صدت قوله فكان الظن مستعلا لحقيقته وان كان الظان هو يوسف فالمراد من
الظن هو العلم والمقين اي علم وايقن انه ناج منها لانه لا خجل ان يشك فيما يعلم وقد
علم الله تعالى تاويل الاجاديت لقوله وتعلمك من تاويل الاجاديت وقال ذكرا لما
علي ربي والله اعلم ولخجل ان يخرج على حقيقة الظن من يوسف ولكن لا يضرك
الظن الي تفسير الروايات من النجاة وصيرورته ساقيا ربه ولكن بصرف الظن الي ان
ذلك الرجل يذكره عند ربه على التقديم والتأخير في الآية كانه قال وقال للذي
ناج منها وظن انه يذكره عند ربه اذ كرى عند ربك والله اعلم وقوله اذ كرى عند
ربك والله اعلم وقوله اذ كرى عند ربك قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما فرغ
الي غير الله وطلب اخراجه من السجن من الملك انساه الله تعالى سنين واقرة
فيه عقوبة عليه حيث نجي النجاة من غير ذلك هذا بعيد لا خجل ان يوسف يفرغ
الي غير الله ويرفع قلبه علي الله ويشغل به دونه لكنه رأي والله اعلم ان الله تعالى
جعل سبب نجاة علي يديه وانه بقي فيه مدنيا لما علم انه لم يكن منه سبب ليحقق
النجين بذلك السبب سوى الاعتذار والاعتلال الي الناس علي نفي ما قد فشت
به زوجته او لينقطع ذلك الخبر عن السنين الناس ويبعد عن اوهاهم فزاي انه
اذا ذكره لعله اخبر من ذلك لما رأي انه جعل سبب نجاة علي يديه لانه رأي
منه ذلك ورفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالى امور الدنيا كلها باسباب وعلي
ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب القدر فيه من الله تعالى لجهنما
جعل الانزال والزرع باسباب يكسبونها ونحو الاسلحة التي اخذت للحرب والقتال بها

واينما يجاربون بالله وبه يقتلون ومن عنده ينصرون وقد امر بذلك كله وبذلك
الاسباب قالت الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وليس كل من فعل هذا
كان فرغ الي غير الله او رأي النجاة والنصر من ذلك الشيء والسبب بل رأي ذلك
من الله تعالى ومن عنده فعلي ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فرغ الي مخلوق
منله ورأي نجاة من عنده ولكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى
اذ كرى عند ربك لخجل وجهين احدهما قالت اذ كرى عند ربك لخجل لما فعلت عنده
اي حبست بلا علميته وبغير امره لان تلك المرأة هي التي اوعدت له سجن فوق عنده
ايها هي التي احتالت في حبسه فقال ان لك ما قالت والله اعلم والثاني يقول
اذ كرى بالذي رايت مني وسمعت لاني صلي الله عليه وسلم دعاهما في السجن الي
التوحيد والى عبادة ربه حيث قالت او باب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
قوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل ان الشيطان
ليوسف دعا ربه الذي خلقه فلم يدع ربه لينجيه من السجن ولكن طلب من ذلك
الرجل ليذكره عند الملك فنجوا من السجن ولكن هذا بعيد لانه ان عني به انه لم يدع الله
تعالى النجاة في ذلك الوقت الذي قال اذ كرى عند ربك وانما رأي النجاة من الملك
فقد ذكرنا انه كان رآه سبب نجاة وكان يري النجاة من الله تعالى في الحقيقة وان عني
ان الشيطان انساه ذكر ربه حتى لا يدعو امدة في السجن فهذا لا خجل فانه كانت
يدعوا الناس في السجن الي الله تعالى وكان يصوم ويصلي ويحتمل في العبادة ولكن سببه
ما قالوا فانساه الشيطان ذكر ربه اي انسى الشيطان ذلك الرجل الذي قال
يوسف اذ كرى عند ربك ذكر ربه سنين كثيرة وهذا هو الاشبه الا ترى ان الله
تعالى قال في احب والا يذكر بعد امدة اي تذكر ذلك الرجل بعد حين ذلك انه انما انساه
الشيطان علي ذلك فلم يذكره حينئذ والله اعلم ثم فائدة النسيان هي والله اعلم ان الله تعالى
اراد ان يظهر له رسالته وحقته نبوته بكونه في السجن وظهور برآئه في شأن تلك
المراة بشهادة اوليك النصارى وذلك من علم الاجاديت والروايات التي تعبرها والله اعلم
وقال بعضهم لم ينس الشيطان ولكن تركه عمدا مخافة انه لو ذكره محتاج الي ذكر
النجين وانه رأي في النجين رجلا عادته كذا وحسن ظنا وبخود لك لعل يترك الملكا
تقدم من المقال فيو اعني هذا الثاني فيزداد عليه غضبا فتتركه عمدا الي ان جازته
والله اعلم ثم قوله تعالى فانساه الشيطان اصناف الانسا الي الشيطان وكذلك قال

موسى واما انتا بينه الشيطان فهو والله اعلم لان بدا كل شئ يكون من الشيطان لانه
خطه ببال المرو ونقدت في قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك
والفعل والله اعلم قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين قالت بعضهم خمس
سنين وقالت بعضهم سبع سنين ويحذرك ذلك ولكن لا تعلم ذلك وليس لنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ما ذكر فيه انه لبث فيه حيثما قوله تعالى وقالت الملك اني
اركي سبع بقرات سمان الآية ذكر في الآية انه راى وليس فيها انه راى في المنام
ولكن ذكر في اخوه الرؤيا بقوله ان كنتم للرؤيا تعبدون ذلك انه راى في المنام
قوله يا ايها الملا افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبدون خاطب الاشرار
من قومه والعلماء بقوله يا ايها الملا اعلى ما ذكرنا فيما تقدم ان الملا هو اسم الاشرار
والرؤساء منهم والقادة وكذلك العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون
اعقلهم واعظمهم منزلة عندهم واکرمهم مثواهم ثم ذلك قوله افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبدون كما نهى عنهم ان يتكلموا بالتعبير للرؤيا التي رآها اذ لم يكن لهم
بها علم وكذا الواجب على كل من سئل عن شيء ان لا يستعمل به ولا يتكلم جوابه
اذا لم يكن له به علم حيث قال الملك افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبدون والله اعلم
قوله تعالى قالوا اضغات اخلام وما نحن بتأويل الاخلام بعالمين اختلف
في قوله اضغات اخلام قال بعضهم باطيل اخلام كاذبة وقالت بعضهم اي
اخلاط اخلام مثل اضغات البساتين تجمع فكون فيها ضرر ومختلفة وهو كما قيل
في قوله وحذ بيديك من غشا فاضرب به ولا تحث اي جماعة من اغصان السحر
وقالت بعضهم اضغات اخلام ما لا يكون لها تأويل ويقال نوع من الكلام ضيف
وهو الخلف شبه البردي وقيل ان الاضغات والاحلام اسمان لسئ لا معنى له ولا
تأويل وهما واحد وامثل الاحلام يخرج من وجهين احدهما العقول والليل
قوله امر تامرهم اخلامهم بهذا اي عفوهم امرهم قوم طاعون والثاني جمع
الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ومنه الاحتلام ويشبه ان يخرج تسمية النوم
الذي لا تأويل له اضغات اخلام لان الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولذلك
لا يحتمل لان الاحتلام هو من لعب الشيطان به فسمي الرؤيا الباطلة اخلاما لانها من
لعب الشيطان بذلك الذي كما سمي احتلام الصبي حلا لانه اذا بلغ العقل لعب الشيطان
به والله اعلم قوله تعالى وما نحن بتأويل الاخلام بعالمين لحيثما اي وما نحن بعالمين

لما لا تأويل لها ولا تعبیر كقولهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفع شفاعته
الشافعين اي لا شفع لهم ولحيثما اي لا شفع لهم ولا شفعوا ولا شفعوا ولا شفعوا
ولكن ما نحن بعالمين بتأويلها ولا نفعلها والله اعلم وفي الآية دليل على ان من الرؤيا
ما هو حق ولها حقيقة ومنها باطلة لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملا افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبدون قالوا اضغات اخلام وكان الرواياتها ولها حقيقة يتأمل
عوايقها واضغات اخلام لا حقيقة لها والله اعلم قوله تعالى وقالت الذي
تجانبها اي من الهلاك وهو السنان الذي ذكر قوله تعالى واذا ذكر بعد امة اي تذكر
بعد امة ثم اختلفت في الامة قال بعضهم الامة ههنا الحين اي تذكر بعد حين ووقت
كقوله ولين اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت ممدود وقيل
الحسن واذا ذكر بعد امة اي تذكر بعد امة من الناس ويقرا بعد امة وقال ابو عبيدة
الامة النسيان والسهو اي تذكر بعد نسيان وسهول قوله فانشاء الشيطان
ذكر ربه يقال في الكلام امة يامة انها هوية اي شئ والامة الجماعة والجمع اسم
وهم القرون الماضية كقوله تلك امة قد خلت والامة النعمة والامة ايضا الذين
والسنة كقوله انا وجدنا ابا ناعلي امة اي علي دين وسنة ويقال الامة
ايضا القامة يتكلم فلان ذوا امة اي ذواقمة ويقال فلان حسن الامة اي القامة
ويقال الامة القريب وما ذكر في الآية لحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما اي ذلك بعد
حين ووقت او بعد نسيان من قدره بالنصب والله اعلم قوله تعالى انا انبيكم
بتأويله فارسلون معناه انا انبيكم ببيان تأويلها لانه كان هو ينسبهم بنفسه
ولحيثما اي انا انبيكم بتأويله اي انا اعلم منه فابنوكم بتأويله الا تزي انه قال فارسلون
يوسف بنو امهار كانه قال فارسلون اي يوسف والله اعلم قوله تعالى
يوسف ايها الصديق ليس في التلاوة في الآية انه ارسل الي يوسف ولا انه اي انما
فيها انه سأل ان يرسله اليه ولكن فيه دلالة على انه ارسل واتاه حيث قال
يوسف ايها الصديق فاني خاطبه بالسؤال وناداه يوسف ايها الصديق بعد اخذ
الي يوسف ثم قيل الصديق هو كبير الصديق كما يقال شريك وشقيق وشريك
اذا كثر منه ذلك وقيل الصديق هو الذي لم يؤخذ عليه كذب فقط ولحيثما سمع صديقا
لما انه عبور رؤيا وخروج كما خبر لم يخالف رؤياه تعبيرة فتبين عند انه صادق
عالم بذلك فلذلك سمع صديقا قوله تعالى افتينا في سبع بقرات سمان يا كلهن

سبع عجاف وسبع سنبلات خضرة واخر يا بسايت فافتاهاله وعبر بها عليه وهو
وهو ما قال تزرعون سبع سنين ذابا الي آخو ما ذكر اما البقرات هي السنون
والشبان هي المحصبات الواسقات ياكلهن سبع عجاف العجاف هي المحدبات وسبع
سنبلات خضرة السنبلات سنبلات وخضرة عبادرة عما لحصد واخر يا بسايت
عبادة عما لا حصد اي لا يكون فيها ما لحصد فذلك قوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع
شداد ياكلن ما قد تم لهم الا قليلا مما تحصنوا وفي الآية دلالة على ان في الرويا
ما يكون مصرقا مشارا اليه يعلم بالبدية ويخرج عيناها ومنها ما يكون كما به منها
غير مفتر لا يعلم الا في النظر فيها والتفكر والتأمل لانه قال اري سبع بقرات
شبان وسبع هو سبع لا غير وبقرات هو كناية عن السنين وشبان كناية عن
الحصب والسعة قوله تعالى ياكلهن على حقيقة الاكل لا غير وكذلك سبع
عجاف السبع هو سبع والعجاف كناية عن الشدة والجذب وسبع سنبلات هي
عين السنبلات وخضرة من كناية عما لحصد وبسايت كناية عما لا يكون
فيه ما لحصد ففيه دليل ان من الخطاب ما يكون مصرقا مشارا اليه
يفهم المراد منه بالبدية وقت قروح الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير
مفسر وهو علي وجهين منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم لا
بالبدية ولا بالنظر والتأمل فيه والتفكر الا ببيان يقتضيه سوي ذلك
على هذا الخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم وقال تعالى
لعلي ارجع الي الناس لعلم يعلمون هذا الختم وجوها احدها احتمل يقولون
ان هذه الرواية ياق ولها حقيقة ليس كما قال اولئك اصفاث احلام والثاني
اي يعلمون فضلك على غيرهم من الناس والثالث اي يعلمون انك تعلم حاجاتهم
التي تقع في حال يقظتهم فينفقونها اليك كما صلت لما كان لهم في حال نومهم والله اعلم
ثم علم الزراعة وجمع الطعام والادخار ان كيف يدخر حتى يبقى الى ذلك الوقت
فقال تزرعون سبع سنين ذابا قال بعضهم اي ذابا اي يداومون الزراعة
فيها وقال ابو عو سجة ذابا من الدوب وهو الحد والتعب وقال النبي ذابا
اي جذا في الزراعة ومتابعة وكله واجد قوله تعالى فما حصدتم فذروا في سنبله
لا تنفوه لان ذلك ابي له من اذني ومميز الا قليلا مما تاكلون فنفوه ان شئتم
اي قد رما تاكلون قوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد قيل

مجدبات من الشدة ياكلن ما قد تم لهم اي ما ادخرتم لهم الا قليلا مما تحصنوا
فقال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تدخرون وقال ابو عو سجة احصته
اي ادخرته قوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام يغاث الناس وفيه يعصرون
فقال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اي يطرون وقيل يغاثون بالمطر
وهو من الغوث والاعانة وقوله وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصا الغراب
والذهن والزيت وغير ذلك وهو عبارة عن الحصب والسعة وقال بعضهم
يعصرون اي يجنون من شدة الزمان والجأون ويفتصبون بالحصب وهو من
العصرة والعصر يعني المجاء اي يلجئون الي الغيث وهو قول ابي عبيدة واما قول
غيره من اهل الادب والتأويل فهو من عصو الغيب قوله تعالى وقال
الملك ايتوني به يعني يوسف قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الي
ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فبينه دلالة ان قول يوسف
للدجل اذ كرني عند ربك انما طلب بذلك برأة نفسه فيما اتهم به ليس كما قال
اهل التأويل لانه لو كان غير ذلك لكان لا يدري الرسول اليه ولكن يخرج جوازه
قوله تعالى فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن لاحتل هذا وجهين
احدهما اهن علي كيدهن بعد امد راجعت عن ذلك والثاني ليعلم الملك برأته مما
تذمت به والتم ليطهره عنده انه كان بريئا مما قوت به قوله تعالى ان دي بكيد
علم اي علم انهم كذبن قوله تعالى قال ما خطبتن اذ راودتن يوسف عن نفسه
اي قال لمن الملك ما خطبتن اي ما سئلكن وامركن والخطب الشان والامس
وقيل ما بالكن اذ راودتن وقد ذكرنا المراد من هذا دليل على ان الملك
قد علم انهم راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبتن اذ راودتن ولم يقل
لمن راودتن ام لا ولكن قطع القول بذلك اذ راودتن قوله تعالى قلن حاش
بنا ما علمنا عليه من سوء بداهن حتى اقروا انه كان بريئا مما قذفت وانهن ثم
اقرت امرأة العزيز بعد ذلك لما اقرت النسوة فقالت الان حقت الحق
وهو ما قال امرات العزير الان حقت الحق مثل الان تبين الحق وتحقق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتن عن نفسي ثم قوله
قلن حاش بنا اي معاذ الله علي ما ذكرنا قوله تعالى ما علمنا عليه من سوء
فقال اهل التأويل النسوة راودنا ولكن عندنا قولهن ما علمنا عليه من سوء

هو السور التي قالت ما جذا آمن اراد باهلك سوا قالت اراد بها فقلن ما علمنا عليه
من ذلك وفيه دلالة انه لم يكن منه ما قالت اهل التاويل من حل السواويل
وعيره لانه لو كان ذلك لكان قد علم منه السور قوله تعالى ذلك ليعلم
الي لم اخنه بالغيب قوله ذلك اي الرد الذي كان منه لو سول الملك وترك
الاجابة له حيث قالت ايوني به ليعلم الملك اي لم اخنه في اهله اذ غاب عني ردا
لقولها ما جذا آمن اراد باهلك سوا وتصديقا له لقوله حيث قالت هي راودني
عن نفسي وقالت بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله اي لم اخنه بعيني الزوج
بالغيب لكن هذا بعيد اذ قد علم يوسف ان الله تعالى قد علم انه لم يخنه بالغيب وفي
قوله ذلك ليعلم اي لم اخنه بالغيب دليل على انه لم يكن منه ما قالت اهل التاويل
من حل السواويل وعيره لانه لو كان منه ذلك لقد علم منه الحياء قوله
تعالى وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يجعل فعل الكيد والحياء هدي ورشدا
انما جعل فعل الكيد والحياء ضلالا وغواية والله اعلم قوله تعالى وما
ابرا في ان النفس لا مارة بالسور قالت اهل التاويل ايضا لما قال يوسف
ذلك ليعلم اي لم اخنه بالغيب قالت له جبريل ولا حن همت ما همت فقال
وما ابراء نفسي ان النفس لا مارة بالسور لكن هذا لا فله وقد ذكرنا التاويل
في قوله ولقد همت به وهم بها ما حمل ويسع ان يتكلم فيه ونسأد قول اهل
التاويل من الوجوه التي ذكرنا في قوله وما ابراء نفسي ان النفس لا مارة
بالسور الامارح ربي اي عصم ربي والله اعلم انه قال ذلك ليعلم اي لم اخنه
بالغيب لما عصمني الله عن ذلك ولو لم يكن عصمي لكانت اخنته ان النفس لا مارة
بالسور الامارح ربي اي ما عصم ربي لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى
الشهوات والذات والهوى فيها والرغبة والتقوى عن المكروهات والشدايد
الاتوي انه قالت واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان احيم هي المأوى اثبت للنفس
الهوى وايتار الحياة الدنيا وسواتها وهذا يدل على ان قوله رب التجن احب
الي مما يدعوني اليه هو محبة الاختيار والايثار في الدين لا ما يختار النفس وتوثر
اذ النفس ما هو مختار وتوثر ما هو الذواشي وتنفذ عن الشدايد والمكروهات
وعلى هذا طبعت وجبلت والله اعلم قوله تعالى وقالت الملك ايوني

به استخلصه لنفسي اي اجعله لنفسي خالصا لجواحي ويحتمل ان يكون قوله
استخلصه لنفسي اي اصدر عن رايه واطيع امره في هذا يقع استخلاصه
اياي ولذلك قالت انك اليوم لدينا مكين امين ليوسف لا ان يجعله خالصا
لحاجة نفسه دون الناس لا يشركه فيه غيره دليل ذلك ما ذكره في حرف
حفصه انك اليوم لدينا مطاع امين قوله تعالى فلما كلفه قالت انك
اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر في القرآن انه اي به ولكن لما قال فلما
كلمته ذلك انه قد اتي به وقيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين الموصي
وقيل الامين على ما استأمناك قوله تعالى قالت اجعلني على خزائن
الارض سأل هذا لما علم انه ليس في وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام علم
انه لو ولي الخزائن لم تعرف انزال الناس منازلهم في تقديم من يجب
تقديمه والقيام بالحاجة الاحق من غيره وعلم انه اليه يرجع ويقع خواجه
اكثر الناس وبه قوام ابدانهم فسأله ليقوم بذلك كله وعلي يديه بحري
ولذلك قالت اي حفيظ عليم قالت بعضهم حفيظ بما وليت عليم بامره
وقيل حفيظ اي حاسب عليم بالالسن كلها وقيل حفيظ لما في الارض من
غلة عليم اي عالم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما حفيظ لما تحت يدي عليم
بالناس وقيل حفيظ اي يصير بتقديم عليم بشاعات الجوع حين يقع وقيل
حفيظ لما استخفظت فيه عليم بتقديم الاحق والله اعلم قوله تعالى وكذلك
مكنا يوسف في الارض يقول والله اعلم فما بنا يوسف بما قوت به واظهرنا
براهمه مكناه في الارض حتى احتاج اهل نواحي مصر واهل الافاق له
ويحتمل اي كاحفظناه والحياء عما قصد به اخوته من الاهلاك وعينه يكن له
في الارض ايضا على اهلها والله اعلم قوله تعالى يتبوا منها حيث نشاء
قوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا
ونعيمها لقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية ويحتمل نصيب
برحمتنا من نشاء امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون
ليس لله تعالى ان يختص احدا بالرحمة وان رحمة لا نصيب انسانا دون انسان
بل على قولهم لم يكن من الله تعالى الى رسوله من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله
قوله تعالى ولا نصيب احمد المحسنين اي لا نصيب احمد من احسن صحبة

أوليا الله في الدنيا والآخرة أي تجزيه جزاء أحسنه في الدارين قول تعالى
ولا جزاء الآخرة خير للذين آمنوا أي ثواب الآخرة وأجرها خير لهم من ثواب
الدنيا وأجرها قول الله تعالى آمنوا أي صدقوا وكما نوايتقون الشوك ويحتمل
وكما نوايتقون الفواجش والمفاجيح والله أعلم قول الله تعالى وجار أخوة يوسف
فدخلوا عليه فقهروهم ولم ينكروا أي لا يعرفونه كقولهم قوم منكرون أي غير
معروفين عند إبراهيم والمنكر هو الذي لا يعرف في الشرع ولا في العقل
والله أعلم قول الله تعالى ولما جئتم بها زعم أني أعطاهم الطعام الذي طلبوا
منه قالت أبو عوسجة الجهمان المتاع ويقال الجهمان أيضا متاع المرأة الذي
يتمتع به ولا يقال جهمان لخص الجهم وقال أهل التأويل أن يوسف قال لهم
حين دخلوا عليه أنتم عيون بعثكم ملككم تنظرون إلى أهل مصر ثم تاتونهم بالخبر
وتاتوننا بهذا إما لا تعرفونه ولا تحتمل أن قال لهم ذلك لأنه كذب وغير ذلك
من الكلمات التي قالوا أنه قال لهم كذا أو قالوا له كذا الخ كذا إذا رجلا هلك منا
كذا ولما أب كذا مثل هذا لا يكون كلام الأنبياء إنما هو كلام بعض العوام الغوغاء
والله أعلم قول الله تعالى قال آيتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفى الكيل
وأنا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل أن يقول يوسف ابتداء على غير سبب
أو كلام كان هناك لكنه لم يذكر الذي كان ونحن لا نعرف ما الذي كان هناك
جبري فيما بينهم وكذلك قولهم فإن لم تاتوني به فلا كيك لكم عندي ولا تقربون
وأما أهل التأويل فإنهم قالوا إنما قال لهم آيتوني بأخ لكم من أبيكم إلى آخر ما
ذكر لأنه لما قال لهم أنكم حينئذ عيوننا الملككم فامر بطلبهم فقالوا نحن
بنو يعقوب النبي وكنا اثني عشر رجلا فملك بنا رجلا في الغنم وجدنا على قميصه
دما فأتينا آباءنا فقلنا كذا وقد خلقنا عندنا منا أحالة من قبل الله فعند ذلك قال
لهم آيتوني بأخ لكم من أبيكم ليظهر صدق قولكم عندي لكن هذا لا يكون جوابا
لقوله فإنه قال ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وقد جهرهم
الطعام وأنزلهم دار الضيافة فلا يليق هذا بالحبيب وطلب الزاء منهم باتيان
الأخ لآبيه فدل أن ما قالوه لا يكون جوابا لقوله وقد ذكرنا أن هذا الكلام
لا يصح مبتدأ لكننا قلنا بالعقل أنه كان هناك سبب ومغيب أمر يوسف بذلك
وأن يقول لهم ذلك وكذا لا يحتمل أن يقول لهم يوسف فإن لم تاتوني به فلا كيك لكم

عندي ولا تقربوني وهو كان يعلم أن أباه يعقوب محتاج إلى الطعام ويعرف
حاجتهم في ذلك هذا لا يسع إلا بسبب كان له ومعنى والله أعلم ثم قوله
ألا ترون أني أوفى الكيل محتمل وجهين أحدهما قالت لهم ذلك أن يوفى لهم الكيل
لأن أهل ذلك المكان كانوا ينفقون ويحسرون الكيل في الضيق فقال هو
ألا ترون أني أوفى الكيل ولا أخسر والثاني ألا ترون أني أوفى الكيل أي
أوفى الكيل لكم على غير الخاصة وكان جعل لغيرهم على الخاصة أي أنا واني على
قد والحاجة وكان هذا منه امتنا ثا عليهم وأظهار الشفقة وكذا قالت وأنا
خير المنزلين في الاحسان إليكم والتوسع عليكم لأن أهل ذلك المكان لا يحسنون
إلى الناس بل يهملونهم ولا يوسعون لضيق الطعام فكان قولهم ألا ترون أني أوفى
الكيل وأنا خير المنزلين مؤخر عن قوله فإن لم تاتوني به فلا كيك لكم عندي ولا
تقربون كأنه قال آيتوني بأخ لكم من أبيكم فإن لم تاتوني به فلا كيك لكم عندي
ولا تقربون فعند ذلك قالت ألا ترون أني أوفى الكيل والله أعلم قول الله
تعالى فلا كيك لكم عندي فيما مستقبل ولا تقربون أي لا تاتوني به قول الله تعالى
قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب
قول يوسف حيث قال آيتوني بأخ لكم من أبيكم بل جواب قوله أن يقولوا له
نأتي أو لا نأتي فإما أن يجعل قولهم سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون جوابا له
فلا يحتمل معاً أن في قولهم سنراود عنه أباه اضطراب أنهم يملكون أو لا يملكون
وقولهم وإنا لفاعلون على القطع فكيف يجمعون بين الاضطراب والقطع لكن
يشبه الخرج على وجهين أحدهما على الاضمار معناه سنراود عنه أباه
فإن أذن لنا بذلك فإنا لفاعلون ذلك والله أعلم ولحتمل على التقديم والناخير
ويكون جواب قوله آيتوني بأخ لكم من أبيكم في قولهم وإنا لفاعلون كأنه
لما قال لهم يوسف آيتوني بأخ لكم من أبيكم قالوا وإنا لفاعلون ثم قالوا فيها بينهم
سنراود عنه أباه على هذين الوجهين يشبه أن يخرج والله أعلم ثم قوله
سنراود عنه أباه قالت أبو عوسجة المراودة الممارسة وهي المعالجة إلى فيها
شبه المخادعة وقيل سنراود أي سنجد قول الله تعالى وقال لفتيات
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم قري لفتيات وفتيته الفتية الخدم والفتيان المالكات
وقوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أي ذراهم في أوعيتهم فيه دلالة على أن الهبة

فيلكون دلالة على جوار ذكرك وان هذا لما لا يخل في الاعتماد والحفظ على الله
لان هذا سبب الحفظ والله اعلم قوله تعالى الا ان مخاطبكم اخبراته
لن يرسله معهم حتى ما تواتر اتيهم يا تون به اليه الا ان مخاطبهم جميعا
امر يعجزون عن الاتيان به فيل الا ان مخاطبكم اي الا ان لمجتمعكم امر
ولكم وحيط بكم الهلاك فعند ذلك يكون معذورين فاما ان يخص به امر
فلا ولحتم الا ان يحج بكم امر منعكم عن الرد اليه كما نه خاف عليه من الملك
حيث طلب منهم ان يا توه به قوله تعالى فلما اتوه مؤثمة قال يعقوب
الله علي ما نقول وكيف اي الله علي المواتين والعهود التي اخذها منكم شهيدة
او يقول الله له حفيظ كما قالت فانه خير حافظا والله اعلم قوله تعالى يا اي
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال بعض اهل
التاويل ان يعقوب خاف عليهم العيون لانهم كانوا اذوا وصور وجمال وبهائم
فخشي عليهم العيون لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشي عليهم
البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فيخافهم اهل البلد ولقد نزل
منهم السارقة فامرهم بذلك وهو قول ابن عباس فاذا كانوا متفرقين فلا
يخافون منهم فلم يتعد صنوا للهلك اولا يهلكون الكل بما يهلك البعض ويخاف
البعض اذ لا يدري ما ارا دهمدا والله اعلم وقال بعضهم علم يعقوب
انهم لا يهلكون لما راى يوسف من الرويا ان سجد له اخوته ولكن خاف عليهم
ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة ومن سلك
متفرقة او من طرق متفرقة او ما قالوا والله اعلم ولحتم ان امرهم بالتفرق
من الابواب محنة امتحن هو بذلك وامر امير به لمعني غاب عنا لا يحتاج
اليه والله اعلم فان قيل لو كان امره بالتفرق لخوف العيون او خوف ما ذكر
ابن عباس انه جارهم اهل البلد اذ اراهم مجتمعين انهم لصوص وانهم به كيف لم
يامرهم بذلك في المرة الاولى وخوف العيون وخوف السارقة والاعادة قايهم
فنقول جاز ان يكون في المرة الاولى لم يحسن ذلك لما قد يقع الاجتماع
في امثال ذلك من الرفقاء والصحابة ولم يكن كل احد يتهيأ للنظر اليهم
لما لم يبروا عجيبا ولم يعرف كل احد بالخير من قبل ان هؤلاء الرفقة الذين يجمعون
استناد الناس وعيونهم ليستعدوا النظر اليهم فكان يقع عليهم عين بعض دون

بعض وفي مثل ذلك لا يتبع حرف العيون ولا خوف ما ذكر ابن عباس فاما
في المرة الثانية اذا عاذا وقد سمع بعض من بعض ما لهم من حسن
الصور والقوة والشجاعة فيتهيأوا للنظر اليهم وفي جملة ذلك يقع خوف العيون
وخوف ما ذكر والله اعلم قوله تعالى وما اعني عنكم من الله من شيء اي لا
عنكم من الله من شيء ان اصابكم نكبة او عين وان تفترقتم ان الحكم الا لله
هذا صيغة قوله وما اعني عنكم من الله من شيء ان اصابكم اي لا ادفع عنكم
من احتمال ما قد راى الله تعالى وقضاة ان يصيبكم لا محالة وينزل لكم الحكم في ذلك
ما في حكمه وقضاية ان يصيبكم يصيبكم والله اعلم قوله تعالى عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امور خاف المسرا ان ياخذ بالخذ
ثم يتوكل على الله في ذلك والخذ العادعين الخلق والتوكل تعويض الامور الى الله
والاعتماد عليه والله اعلم قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يعني
عنهم من الله من شيء اي ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم ان يصيبهم
قوله تعالى الاحاجة في نفس يعقوب قضيتها الحاجة في نفس يعقوب
قضاها لحتم احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة بقوله ولا تجدون في
صدورهم حاجة فعلى ذلك حاجة يعقوب اما ان يكون رغبة في تفرقهم
او رهبة عن اجتماعهم ففي تلك الحاجة قوله تعالى والله لدواعي لما
علمناه يشبه ان يكون اصله ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة اي والله لدواعي بما امرهم بالدخول على التفرق
ونهاهم عن الاجتماع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما ارا د بنو له لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعين ابن عباس رضي الله عنهما ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم من السلك المتفرقة ما كان يعني عنهم من قضاء الله
شيئا الاحاجة في نفس يعقوب قضاها يقول ابداهما فتكلم بها وانه لدواعي لما
علمناه نقول حافظا لما علمناه وقيل حافظا له عما به ولحتم ان يكون قوله
وايه لدواعي لما علمناه اي ما اصابه من الخبز بذهاب يوسف واجنيه وما
اصابه من الشدة والنكبة لم يوشد ذلك في علمه لما علمناه بقدم ما اصابه ما اصابه
كهو ما كان قبل ذلك والله اعلم اي لم يعمل فيه ولم يوشد وقيل لدواعي لما

علمناه اي عمل لجميع ما علم واسنعه به ولكن الناس لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم ويحتمل
وانه لدوا علم بقصة يوسف من اولها الي آخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وعين الحسين فيما اظن في قول يعقوب ببنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة قالت اما والله ما كانت به طيره تطير بها ولكن قد
علم او ظن ان يوسف يتلقاه اخاه فقول انا اخوك واكثر اهل التاويل قالوا
في قوله الحاجة في نفس يعقوب قضاها اي خيفة العين علي بنيه لجمالهم
وبهايم وحسن صورهم ولما يكون لواحد كذا اعدا من النبيين فيقصدون
قصدكم بالنكايه عليهم علي ما ذكرنا او ما اراد بذلك والله اعلم قوله تعالى
فلما دخلوا علي يوسف آوي اليه اخاه هذا الحتمل وخمين اخدهما انهم لما دخلوا
البلد الذي فيه يوسف امر بان ينزل اخوته في منازل وآوي اخاه بن يامين
منزل نفسه ودعاه وذمه اليه وحتمل انهم دخلوا جميعا علي يوسف فضم اخاه
الي نفسه واكرمه بذلك لما سألهم ان يا توابه كما هو المعتاد في من دعاه الي
منزله يكرمه ويضمه الي نفسه فانما سأل اخوته فتد دخلوا عليه قتل ذلك
فخص الذي دخل عليه اول مرة بزيادة كرامة وهي الضم الي نفسه وهو الاعتناء
والله اعلم قوله تعالى قال اي انا اخوك فان كان المراد من الايواء تخصيصه
بالانزال في منزله فكان بقوله في الوقت الذي دخل عليه اي انا اخوك بحيث سلا
يشعر احد غيرهما وان كان المراد هو تخصيصه بالاعتناء في حال دخوله فحمله
عليه فحين اعتنقه قال له اي انا اخوك علي الاخفاء بحيث لا يسمعه غير
ان كان اراد به الاخوة بالنسبة حتي لا يشعر اخوته بذلك وقال بعض
اهل التاويل لم يقتل انا اخوك بالنسب ولكن قال انا اخوك مكان اخيك
المالك فان هذا فنقول ذلك علي الجهد به لما سمع من اخوته انه كان له اخ
من قبل امه وهلك في الغم فقالت انا اخوك مكان اخيك المالك اظها ان
للشفقة في حقه وزيادة اكرام وانعام في حقه والله اعلم قوله تعالى
فلا تبشروا بما كانوا يعملون قتل اي لا تخزون وقيل من البوس وقيل
هذا الحتمل وخمين اخدهما اي لا تبشروا بما كانوا يعمل اخوتك كانه دعاه
الي منزله وضمه الي نفسه شك بعض اخوته فقالت له عند ذلك فلا تبشروا
بما تعمل بك هولاء من خدي وعمالي كانه اخبر بما كانوا يكيد بهم من جعل

الصناع في رحله فقالت فلا تبشروا بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل
اخاه متبشرا من غير ان يظهر منه شيء وقد اخبر انه اخوه والله اعلم فقلت
انه اراد ان يعلمه بما يريد ان يكيد بهم ليكون هو علي علم بذلك ثم يحتمل ضم يوسف
اخاه وخمين اخدهما لمكان سؤا له اياه ان يا توابه او لمكان فضله ومنزله
ليعلموا ان ما كان ليوسف واجيبه عندهم من فضل المحبة والمنزلة من الله
اذ جعل ذلك عند الملك وغيره والله اعلم قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم
الجهان هو ما يهيأ للخروج ولذلك يقال لمتاع المرأة جهاز وقوله جعل
السقاية في رجل اخيه قيل السقاية هي الاناء الذي كان يشرب فيه
الملك وقيل هي الصاع الذي كان يكال به الطعام ولكن لا تعلم ما كان ذلك
سوي ان السقاية كانت ذات قيمة وثمن الاتي ان ذلك الرسول قال ان
جاء به حمل بغير وانا به زعيم فلو لا انها كانت ذات قيمة وثمن والام يوط
من جاء به حمل بغير طعام وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك المكان ما كان
والله اعلم قوله تعالى ثم اذن مؤذن ايها العير انكم لسار قون اي نادي
مناد انكم لسار قون مخاطبا لاهل العير والاشكال ان يوسف كيف امر
رسوله ومتاديه ان سحاهم سار قين وقد علم انهم ليسوا بسار قين فنقول
لا يحتمل ان يكون يوسف امر رسوله ان يقول لهم انكم لسار قون
وقد علم انهم ليسوا كذلك ولكن يحتمل انه قال ذلك المنادي الذي نادي
بناء علي ظاهر الحال انكم لسار قون من نفسه من غير علم له بحقيقة الحال
لما كان يفعل ذلك يوسف علي سبيل الاخفاء او ان كان علم ذلك رسوله
لكنه هو بعض من يتولي كيل الطعام عي الناس وامثاله مما لا يبالون عن الكذب
ويحتمل ان قال لهم ذلك قوم حضرهم لا رسول يوسف ايها العير انكم لسار قون
ويحتمل ان يكون علي الاستفهام اي انكم لسار قون فان كان هذا فهو ما لم يحتمل
ان يكون من يوسف يامر رسوله حتي يقول ذلك بطريق الاستفهام علي حذف
خوف الاستفهام فاما علي غير هذا الوجه فانه كذب والله الموفق قوله
تعالى قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اي انا الملك
صواع مرة صاعا ومرة صواعا ومرة سقاية والصاع والصواع واحد
فيحتمل انه انما سحاه بهذين الاسمين لانه يستعمل في الامور جميعا والاستفهام

والكيل جميعاً ثم قولهم لناد به ماذا فقد دون قال أبو عبيدة تفقدون اي
لقد موهون وتضيئون ويقال تفقدونه وافقدته اذا تفقدته وقوله ولئن
جاء به حمل بعير وانا بوزنهم قيل اي ضمن لذلك الطعام وكفيل به والزعيم
كانه ايضاً اسم لرئيس القوم قوله تعالى قالوا اتانا الله لقد علمتم ما نفيد في الارض
وما كنا سارقين هذا الختم وجوهاً الختم انهم قالوا ذلك اي انكم تعلمون انكم ردوتم
البنيا الدرام وجعلتم في او عيتنا ثم ردونا عليكم مخافة ان نفترق بالسرقة والفساد
في الارض فكيف تفقدون هذا الختم قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسي في الارض
لما رأوهم دخلوا من ابواب المنقرة ولو كانوا اسراقاً لدخلوا بجمعين لان
عادة السراق الاجتماع لا التفريق ويحتمل اي انكم تعلمون اننا ابنا النبي والرسول
والانبا لا يكون منهم السرقة ولا الفساد في الارض ومثل هذا يظهر في اهل بيينا
قط ولا قدفنا به فكيف قدفتمونا بهذا والله اعلم ولحتمل اي انكم تروننا صوامسين
قوامسين ومن كان هذا فعله ودأبه فانه لا يتم بالسرقة والله اعلم قوله تعالى
قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاؤه
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه هذا الختم وجهين يحتمل قولهم
فهو جزاؤه اي يصير رقيقاً مملوكاً به له ولحتمل اي يصير محبوباً شارباً عنده ثم
قولهم فهو جزاؤه هذا من بيا ان الحكم فيما بينهم حكم يعقوب لاحكام غنيين
وان حكم يعقوب هذا وحكم يعقوب حكم بالوحي من السماء والله الموفق قوله
تعالى فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام هو الذي فتنش او عيتهم
وطلب ذلك منها حيث نصب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكن نقول انما
نسب اليه لانه بامر الله فتنش اذ الملوك لا يقولون مثل ذلك الفعل بأنفسهم
وفيه انه قد فصل بين سائر الاخوة وبين ابن يامين حيث سماه اخاله ولم
يسموا ليك بقوله فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه وهو مخرج على وجهين
احدهما انه قد ذكر هذا انه اخوه حيث قال له اي انا اخوك ولم يذكر لا وليك
الاخوة نسق هذا اخاله ونسب اليه بالاخوة لما كان ذكر له وسماه بالاخ
ولم يسمه اوليك لما لم يذكر لهم انه اخوهم والله اعلم والثاني انه لم يكن لهذا اعني
ابن يامين سوء صنيع في حق يوسف ولا شربل هو على الاخوة والصدقة التي
كانت بينه وبينه فاما سائر الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سوء صنيعهم

وقم افعل لهم فمخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة بسبب ما كان منهم اليه
وهو كقولهم لنوح حين قال ان ابني من اهلي انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح يعني ان يكون من اهله بسوء عمله وفعله فعلى ذلك الاول لشبهه
ان يكون على هذا والله اعلم قوله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه ذلك
ظاهر الآية انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب في وعاء اخيه كما ذكر فبدا
باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه وذلك على الامر بذلك
لانه فعل بنفسه فليست اليه فكذا قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه والله اعلم
قوله تعالى كذالك كذنا يوسف هذا الختم وجهين احدهما كذالك كذنا
اي كذالك علمنا يوسف من اول الامر الي اخيه ما يكيده ويخناك في امساك اخيه
عنده ومنعه عنهم ليغضب عليهم ابوهم وليشتد عليهم فلا يخلوا لهم وجه ايهم جزاء
ما طلبوا ان يخلوا لهم وجه ايهم يوسف عن ايهم لان اباهم قال
لهم ان ارسله معكم حتى تؤثوني موثقين الله لتأثني به الا ان مخاطبكم ولذلك
لما بلغه ذلك الخبر ثولي عنهم واعرض فذلك قوله وتولي عنهم وقالت يا اسفا
علي يوسف الآية والله اعلم هذا يشبه ان يكون والثاني كذنا يوسف اي علمناه
ان كيف نفقش او عيتهم ليلا لسعدواهم انه عن علم استخرجها من وعاء اخيه
لا عن جهل وظن فعلمناه الدابة في التفتيش باوعيتهم ليلا يتبع عندهم انه عن علم
ويقين ما خذه والله اعلم ولحتمل كذنا يوسف ما قال بعضهم اي امرنا يوسف
بالكيد بهم جزاء ما عملوا بما كان لما اهتموا بامساك اخيم والله اعلم قوله تعالى
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ذكر ان حكم اخوة يوسف
وقضاهم ان من سرق يكون عبداً بسرقته وتستعد بسرقته ومن حكم الملك
ان يعذب السارق ضيعاً ما سرق ثم يحل عنه لكان لا تعلم ما حكم الملك في السرقة
سيوي انه اخبر ان ليس له ان ياخذ اخاه بحكم الملك قوله تعالى الا ان
يشاء الله الختم وجوهاً الختم اي ما كان له ان ياخذ اخاه في حكم الملك الا ان
يشاء الله ان يجعل ذلك احكم حكم الملك ولحتمل اي يجعل له حق الاخذ والحبس
وان لم يكن ذلك في حكمه وتحتل ان نقول الا ان يكون في علم الله مني زلة
فاستوجب عند ذلك الكون في دين الملك اي حكم حكم الملك فيشار ما علم مني
وذلك كقول ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئاً

أَيَّ لَا أَخَافَ مَا تُشِيرُ كُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعِيَ مَا اسْتَوْجِبَ ذَلِكَ نَزَلَهُ فَيُشَارَ اللَّهُ
ذَلِكَ مَعِيَ وَاللَّهُ اعْلَمْ وَلِحُكْمِ أَنَّهُ قَالَ إِلَّا أَنْ يَشَارَ اسْمُ عَلِيٍّ مَا قَالَتْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا أَنْ
يُشَارَ رَبِّي شَيْئًا وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَذْكُرُونَ الثَّنِيَّةَ حَقِيقَةً الْمَشِيَّةَ مَعْنَاهُ
وَلَا أَخَافَ مَا تُشِيرُ كُونَ بِهِ لَمَّا شَارَ اسْمُهُ أَيَّ لَا أَخَافَ وَأَنْ كَانَ بِلَفْظَةِ الثَّنِيَّةِ نَقْلِي ذَلِكَ
قَوْلَهُ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ لَمَّا شَارَ اللَّهُ أَنْ لَا يَأْخُذَ أَخَاهُ فِي حُكْمِ
الْمَلِكِ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلَهُ تَعَالَى تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ اللَّهُ رَجَاءَاتِ الْفَضَائِلِ أَيَّ
تَرْفَعُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ بِالنَّبُوَّةِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلَهُ تَعَالَى وَفَوْقَ كُلِّ
ذِي عِلْمٍ أَدْنَى مِنْ عِلْمِ تَعَالَى لَيْسَتْ تَعَالَى الْعِلْمُ مِنْهُ وَهُوَ عَالِمٌ بِذَاتِهِ وَعِلْمُهُ ذَاتِي أَنْ لِي وَاللَّهُ اعْلَمْ
وَمَنْ يَقُولُ أَنَّهُ عَالِمٌ لَا يَعْلَمُ لِحُكْمِ بَظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلِيمٌ أَيُّ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ أَبْتَدَى الْعِلْمُ وَلَمْ يَذْكُرْ لِنَفْسِهِ بَلْ
قَالَ عَلِيمٌ وَلَا يَنْهَى قَالَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ وَلَوْ كَانَ هُوَ ذَا عِلْمٍ لَكَانَ فَوْقَهُ عَلِيمٌ
وَأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ وَلَكِنْ نَقُولُ مَا نَهَى إِذَا قَالَتْ عَلِيمٌ فَقَدْ أَثْبَتَ الْعِلْمَ وَلَا يَنْهَى إِذَا قَالَتْ
فَوْقَ كُلِّ الْعُلَمَاءِ عَلِيمٌ يَكُونُ كَذَلِكَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلَهُ
تَعَالَى قَالُوا إِنْ لَيْسَ سَرَقٌ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ كَانَتْ
سَرَقَتُهُ أَنَّهُ كَانَ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ لِحَدِيثِهِ أَبِي أُمَةَ بَعْدَهُ فَسَرَقَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيَلْبِغَهُ
دُونَ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ وَارَادُوا
بِهَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَقْبِزُوا مِنْ ابْنِ يَاسِينَ وَيَنْفَوْهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ
لَيْسَ أَخَاهُمْ مِنْ قَبْلُ أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فَاسْرُدْهُمَا يَوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ
يُذَكِّرْهُمَا قَالَتْ أَنْتُمْ شَعْرُكَ نَايَ شَعْرُكَ نَاعِنْدَ اللَّهِ فَيَتَلَّ أَنْ يَوْسُفَ اسْرُدْهُمَا
الْكَلِمَةَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَطْهَرْ لَهَا لَمْ يَحْتَمَلْ أَيَّ اسْرُدْ مَا أَتَاهُمُ بِالْمَسْرُوقَةِ وَاللَّهُ اعْلَمْ
قَوْلَهُ تَعَالَى وَاللَّهُ اعْلَمْ بِالْمَصْفُوعِ أَيَّ اعْلَمْ بِالْمَصْفُوعِ مِنَ الْكُذْبِ أَنَّهُ سَرَقَ
أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ وَقِيلَ أَنَّهُ حَاطَبُوا ابْنَ يَاسِينَ أَنْ سَرَقَتْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ
فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ يَوْسُفَ بِذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنْتُمْ شَعْرُكَ نَايَ شَعْرُكَ نَاعِنْدَ اللَّهِ
صَنَعًا يَوْسُفَ قَوْلَهُ تَعَالَى قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ
أَخَذَ نَامِكَ نَهْ ارَادُوا بِذَلِكَ وَاللَّهُ اعْلَمْ أَنْ يَرْتَفِقَ أَقْلِبَهُ أَخْبَرُوا أَنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
لَمَّا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ الشَّيْخَ بُولِيهِ الصَّغِيرِ امْتَلَأَ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِهِ وَكَانَ مَنَزَلُهُ مَنَازِلَ خُذْ
أَخَذَ نَامِكَ نَهْ إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَمَّا أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَيْلِ وَالْأَنْزَالِ فِي الْمَنْزِلِ

وَالصِّيَافَةِ وَالْقِيَمَةِ قَدَرًا وَوَعْلَاهُ مُحْسِنًا وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلَهُ تَعَالَى قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ الْأَمْنَ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ قُلْ هَذَا قَوْلُ يَوْسُفَ
مَعَاذَ اللَّهِ أَيَّ اعْوِذَ بِاللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ وَنَحْبِسَ بِالسَّرْقَةِ الْأَمْنَ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
عِنْدَهُ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ تَقْوُذُ عَلَيَّ تَوَكُّكُ أَخِيهِ وَأَخِيهِ مَكَانَهُ وَلَمْ يَكُنْ وَجِبَ
لَهُ حَقُّ الْأَخِيهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ سَرَقَهُ وَإِنَّمَا يَتَقَوُّذُ عَلَيَّ تَوَكُّكُ مَا لَا يَسَعُ تَوَكُّكُهُ قُلْ أَنَّهُ
لَمْ يَتَقَوُّذُ عَلَيَّ تَوَكُّكُ أَخِيهِ إِنَّمَا يَتَقَوُّذُ عَلَيَّ أَخِيهِ عَيْنٍ مِنْ وَجَدِ الْمَتَاعِ عِنْدَهُ
وَقَوْلُهُ إِنَّا إِذَا الْإِطْلَامُونَ أَيُّ لَوْ أَخَذَ نَاعِيْرٍ مِنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِذَا الْإِطْلَامُونَ
عِنْدَكُمْ إِذْ فِي حُكْمِهِمْ أَحَدٌ مِنْ سَرَقَ بِسَبَبِ السَّرْقَةِ وَالْحَبْسِ بِهَا وَاللَّهُ اعْلَمْ
قَوْلَهُ تَعَالَى فَلَمَّا اسْتَبَيَا سَوَامِيْنَهُ خَلَصُوا حَيًّا قِيلَ أَيُّ أَكْبَرُوا أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ
أَخُوهُمْ خَلَصُوا حَيًّا أَيُّ خَلَوْا مِنْ النَّاسِ وَتَنَاجَوْا فِيهِمْ فِي أَمْرٍ أَخِيهِمَا وَجِبَ
الْأَنْصَادِ إِلَى أَبِيهِمَا أَوِيَّةَ الْمَقَامِ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ كَبِيرُهُمْ قَالَ
أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَيُّ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ دُونَ السِّنِّ وَهُوَ فَلَانٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ
يَهُودًا وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ شَمْعُونٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُ مَنْ كَانَ قَائِلَ هَذَا لَمْ يَحْتَاجْ
إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ سِوَى أَنْ يَنْبَغِيَ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَمَّا أَنْ كَانَ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ
أَوِيَّةَ السِّنِّ قَوْلُهُ تَعَالَى أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَلَمْ تَدْرِكُوا أَلَمْ تَسْتَعْلَمُوا
فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي مَوْضِعٍ أَلَمْ يَرَوْا أَوِيَّةَ مَوْضِعٍ الْقَدِيرِ وَالْثَنِيَّةِ
أَيُّ قَدْ عَلِمْتُمْ وَهَمْنَا كَانَتْ ذَلِكَ عَلَى الْقَدِيرِ وَالْثَنِيَّةِ أَيُّ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ آبَاكُمْ
قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا قَدَرْتُمْ فِي يَوْسُفَ فَكُنْ إِبْرَحَ الْأَرْضِ فِي
هَذَا دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَحَاطَبَكُمْ هُوَ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ أَمْرُكُمْ
فَتَهْلِكُوا أَوِيَّةَ جَمِيعًا وَلَيْسَ كَقَالَ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَنْ تَغْلِبُوا فَتَجْزُوا عَنْ ذَلِكَ وَبِحُكْمِ مَا
مَنْعَكُمْ عَنْ رَدِّهِ لَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا مَنَعَهُمْ عَنْ رَدِّهِ ثُمَّ مَعَ هَذَا أَبِي أَكْثَرُهُمُ الرَّجُوعُ إِلَى أَبِيهِ
ذَلِكَ أَنَّ التَّأْوِيلَ هَذَا هُوَ وَاللَّهُ اعْلَمْ وَمَنْ يَقُولُ أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي قَوْلِهِ
إِلَّا أَنْ يَحَاطَبَكُمْ إِلَّا أَنْ يَحْجِيَ مَا مَنَعَكُمْ عَنْ الرَّدِّ اسْتَدْلَ بِقَوْلِهِ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ
فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ مَا يَجْعَلُهُمْ وَبِحُكْمِ لَمْ يَكُنْ لِيَا مَرْيَمَ بِالرَّجُوعِ
إِلَى أَبِيهِمْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا ذَكَرُوا أَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلُ يَقُولُونَ أَنَّ قَوْلَهُ ارْجِعُوا إِلَى
أَبِيكُمْ فَقُولُوا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَكَذَلِكَ لِحُكْمِ قَوْلِهِ وَاسْأَلِ الْقَدِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا
وَالْعَبِيرَةَ الَّتِي أَقْبَلْنَا مِنْهَا لَيْسَ عَلَى الْأَمْرِ وَلَكِنْ مَعْنَاهُ لَوْ سَأَلْتَ أَهْلَ الْقَدِيرَةِ

الْحَدِيثُ
الْأَمْرُ

وَأَهْلَ الْعِيرِ لَا خَيْرَ وَكَأَنَّهُ كَقُلْتُمْ نَفْعِي ذَلِكَ قَوْلُهُ أَرْجِعُوا وَقَوْلُهُ مِنْ
قَبْلُ مَا فَوَظَّمْتُ يَوْسُفَ أَيٍّ مِنْ قَبْلِ مَا صَنَعْتُمْ أَمْرًا بِيَكُمُ فِي يَوْسُفَ أَوْ صَنَعْتُمْ
أَمْرًا لِلَّهِ وَوَعَدَهُ فِي يَوْسُفَ وَقَوْلُهُ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي
لِحَتْمِهِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ إِذَا أَظْهَرَ عِنْدَ عِزِّهِ نَاوُصَدَقْنَا فِي أَمْرِ
أَبْنِهِ وَلِحَتْمِهِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي بِالْمُنَازَعَةِ فِي الْقِتَالِ مَعَ الْمَلِكِ حَتَّى اسْتَنْقَذَ
أَخِي مِنْهُ وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْهُ وَقَوْلُهُ أَوْ لِحَكْمِ اللَّهِ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَيْ
لِحَكْمِ اللَّهِ لِي بِإِظْهَارِ عِزِّهِ نَاوُصَدَقْنَا عِنْدَ آبَائِنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ فِي إِظْهَارِ الْعِزِّ
لَا أَنَّهُ إِذَا حَكَّمَ بِإِظْهَارِ الْعِزِّ رَظَاهُ ذَلِكَ فِي الْخَلْقِ جَمِيعًا وَلَا كَذَلِكَ حَكْمُ غَيْرِهِ وَلِحَتْمِهِ
أَوْ لِحَكْمِ اللَّهِ لِي فِي الرَّجُوعِ إِلَى أَبِي الْأَبِ أَوْ فِي الْقِتَالِ مَعَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِأَنَّ مِنْ رَحْمَةِ الْخَلْقِ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْ بِيَكُمُ لِحَتْمِهِ عَلَى الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ وَكَيْفَ
مَا ذَكَرْنَا إِيَّاهُ لَوَرَجَعْتُمْ إِلَيْهِ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ لِحَتْمِهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا
مِنْهُ تَعْرِيفًا لَابْنِهِ فِي الْخَطِيئَةِ عَلَى مَا كَانَ يُوَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ بَعْدَ
يُوسُفَ أَيْ أَنَّ الَّذِي كُنْتَ تُوَثِّرُهُ عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ وَمِيلِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ قَدْ سَرَقَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلِيُشَبِّهَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْأَخْبَارِ عَلَى مَا ظَهَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ ظَاهِرِ الْأَمْرِ
أَنَّهُمْ وَجَدُوا السَّقَايَةَ فِي رَحْلِهِ لَيْسَ عَلَى التَّقْوِينَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا ذَكَرُوا
عَلَى أَثَرِهِ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا إِيَّاهُ أَخْرَجَ الْمَتَاعَ مِنْ وَعَايِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ عَلَى التَّوِيلِ الَّذِي قَبْلُ فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَخَاطَبَكُمْ
أَيَّ يَعْطُوكُمْ وَجَمْعَكُمْ أَيْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ فِي وَقْتِ اعْطَاءِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَنَّهُ لَيْسَتْ
وَالْأَمْرُ يَعْطُوكَ الْعَهْدَ عَلَى ذَلِكَ وَلِحَتْمِهِ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَقَدْ أَخْرَجَ
الْمَتَاعَ مِنْ وَعَايِهِ وَالثَّمَنُ أَنَّهُ سَرَقَ أَوْ لَمْ يَسْرِقْ أَيْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ فِي الْإِبْتِدَاءِ
أَنَّ الْأَمْرَ يُؤَلِّقُ إِلَيْ هَذَا وَالْأَمْرُ يُخْرِجُهُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْأَلِ
الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَتَيْنَا فِيهَا إِيَّاهُ لَوْ سَأَلْتَ أَهْلَ الْقَرْبَةِ
وَأَهْلَ الْعِيرِ أَخْبَرُوكَ بِمَا عَلَّمْنَا نَقُولُ وَأَنَا لَصَادِقُونَ عَلَى ذَلِكَ عَلَى مَا ظَهَرَ
لَنَا مِنْ اسْتِخْدَاجِ الْأَتَانِ مِنْ وَعَايِهِ لَا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ٥
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ لَمْ
يَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا وَجَعَلَ مَا أَخْبَرُوهُ مِنْ تَسْوِيلِ أَنْفُسِهِمْ وَتَذْيِينِهَا

وَأَهْلَ الْعِيرِ لَا خَيْرَ وَكَأَنَّهُ كَقُلْتُمْ نَفْعِي ذَلِكَ قَوْلُهُ أَرْجِعُوا وَقَوْلُهُ مِنْ
قَبْلُ مَا فَوَظَّمْتُ يَوْسُفَ أَيٍّ مِنْ قَبْلِ مَا صَنَعْتُمْ أَمْرًا بِيَكُمُ فِي يَوْسُفَ أَوْ صَنَعْتُمْ
أَمْرًا لِلَّهِ وَوَعَدَهُ فِي يَوْسُفَ وَقَوْلُهُ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي
لِحَتْمِهِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ إِذَا أَظْهَرَ عِنْدَ عِزِّهِ نَاوُصَدَقْنَا فِي أَمْرِ
أَبْنِهِ وَلِحَتْمِهِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي بِالْمُنَازَعَةِ فِي الْقِتَالِ مَعَ الْمَلِكِ حَتَّى اسْتَنْقَذَ
أَخِي مِنْهُ وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْهُ وَقَوْلُهُ أَوْ لِحَكْمِ اللَّهِ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَيْ
لِحَكْمِ اللَّهِ لِي بِإِظْهَارِ عِزِّهِ نَاوُصَدَقْنَا عِنْدَ آبَائِنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ فِي إِظْهَارِ الْعِزِّ
لَا أَنَّهُ إِذَا حَكَّمَ بِإِظْهَارِ الْعِزِّ رَظَاهُ ذَلِكَ فِي الْخَلْقِ جَمِيعًا وَلَا كَذَلِكَ حَكْمُ غَيْرِهِ وَلِحَتْمِهِ
أَوْ لِحَكْمِ اللَّهِ لِي فِي الرَّجُوعِ إِلَى أَبِي الْأَبِ أَوْ فِي الْقِتَالِ مَعَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِأَنَّ مِنْ رَحْمَةِ الْخَلْقِ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْ بِيَكُمُ لِحَتْمِهِ عَلَى الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ وَكَيْفَ
مَا ذَكَرْنَا إِيَّاهُ لَوَرَجَعْتُمْ إِلَيْهِ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ لِحَتْمِهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا
مِنْهُ تَعْرِيفًا لَابْنِهِ فِي الْخَطِيئَةِ عَلَى مَا كَانَ يُوَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ بَعْدَ
يُوسُفَ أَيْ أَنَّ الَّذِي كُنْتَ تُوَثِّرُهُ عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ وَمِيلِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ قَدْ سَرَقَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلِيُشَبِّهَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْأَخْبَارِ عَلَى مَا ظَهَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ ظَاهِرِ الْأَمْرِ
أَنَّهُمْ وَجَدُوا السَّقَايَةَ فِي رَحْلِهِ لَيْسَ عَلَى التَّقْوِينَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا ذَكَرُوا
عَلَى أَثَرِهِ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا إِيَّاهُ أَخْرَجَ الْمَتَاعَ مِنْ وَعَايِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ عَلَى التَّوِيلِ الَّذِي قَبْلُ فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَخَاطَبَكُمْ
أَيَّ يَعْطُوكُمْ وَجَمْعَكُمْ أَيْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ فِي وَقْتِ اعْطَاءِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَنَّهُ لَيْسَتْ
وَالْأَمْرُ يَعْطُوكَ الْعَهْدَ عَلَى ذَلِكَ وَلِحَتْمِهِ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَقَدْ أَخْرَجَ
الْمَتَاعَ مِنْ وَعَايِهِ وَالثَّمَنُ أَنَّهُ سَرَقَ أَوْ لَمْ يَسْرِقْ أَيْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ فِي الْإِبْتِدَاءِ
أَنَّ الْأَمْرَ يُؤَلِّقُ إِلَيْ هَذَا وَالْأَمْرُ يُخْرِجُهُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْأَلِ
الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَتَيْنَا فِيهَا إِيَّاهُ لَوْ سَأَلْتَ أَهْلَ الْقَرْبَةِ
وَأَهْلَ الْعِيرِ أَخْبَرُوكَ بِمَا عَلَّمْنَا نَقُولُ وَأَنَا لَصَادِقُونَ عَلَى ذَلِكَ عَلَى مَا ظَهَرَ
لَنَا مِنْ اسْتِخْدَاجِ الْأَتَانِ مِنْ وَعَايِهِ لَا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ٥
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتْ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ لَمْ
يَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا وَجَعَلَ مَا أَخْبَرُوهُ مِنْ تَسْوِيلِ أَنْفُسِهِمْ وَتَذْيِينِهَا

قِيلَ يَا حَزَنُ نَاعِلِي يُوسُفَ وَقِيلَ يَا حَزَنُ نَاعِلِي يُوسُفَ ثُمَّ قَوْلُهُ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَكُونَ لِعَالِي
أَظْهَرَ الْقَوْلِ مِنْهُ بِاللِّسَانِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ وَذَلِكَ جَاءَ بِقَوْلِهِ
أَنَا نَاطِعُكُمْ لَوْ جِئْتُ اللَّهَ أَخْبَرَ عَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ لَا أَنْ قَالُوا ذَلِكَ بِاللِّسَانِ وَلِحْتَمَلِ الْقَوْلِ
بِاللِّسَانِ عَمَّا غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ عَلَى مَا جَرَدِي الْعَادَةُ فِي مِثْلِهِ وَقَالَتِ الْعَتَبِيَّةُ الْإِسْفُ
أَسَدُ الْحَسَةِ وَأَصْلُهُ عِنْدَنَا أَنْ الْإِسْفَ كَانَهُ الْبَهَائِيَّةُ فِي الْحَزَنِ أَنْ الْحَزْنَ إِذَا بَلَغَ
غَايَتَهُ وَنَهَائَتَهُ يَقَالُ الْإِسْفُ وَهُوَ الْبَهَائِيَّةُ فِي الْغَضَبِ أَيْضًا كَقَوْلِهِمْ فَلَمَّا اسْتَفُونَا
اسْتَقَمْنَا مِنْهُمْ أَيْ اغْضَبُونَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ وَهُوَ كَظِيمٌ
الْكُظْمُ وَهُوَ كَفِ النَّفْسِ عَنِ الْجُوعِ وَتَرَدُّدِ الْحُزَنِ فِي الْخَوْفِ عَمَّا غَيْرِ أَظْهَرَ
أَفْعَالِهِ وَلِحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْكُظِيمُ هُوَ الَّذِي يَمْسُكُ الْحُزْنَ فِي قَلْبِهِ وَالْجُزْءُ هُوَ مَا
يُظْهَرُ فِي أَفْعَالِهِ وَالَّذِي يَنْجِي الْحُزْنَ هُوَ الَّذِي يَنْجِي الْغَضَبَ إِلَّا أَنْ الْحُزْنَ
يَكُونَ عَمَّا مِنْ فَوْقِهِ وَالْغَضَبُ عَمَّا مِنْ تَحْتِهِ وَإِنْ كَانَ سَبَبُ هَيْجَانِهِمَا وَاحِدًا وَالْغَمُّ
كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَرْ وَيُغْطِي الْقَلْبَ إِذَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ دَوْلُهُ وَهُوَ مَا
سَعَبَهُ عَلَى الْقَصْدِ مِنْ مَبَاشَرَةٍ سَبَبِهِ مَا حَرَدَ مِنَ الْهَمِّ وَهُوَ الْقَصْدُ وَقِيلَ أَنْ
الْهَمُّ قُوتُ الْغَمِّ لِأَنَّ الْغَمَّ أُخِذَ مِنَ الْغَمَامِ وَهُوَ مَا يَسْتَرْ الْقَلْبَ وَالْهَمُّ مَا خُوذُ
مِنْ قَوْلِهِ شَيْخٌ هَمٌّ إِذَا كَانَ فَانِيًا ضَعِيفًا مَهْزُولًا وَقِيلَ الْحُزْنَ مَا يُوْثِرُ
بِالْغَيْرِ فِي الْخَلْقَةِ وَلَا يَظْهَرُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْجُزْءُ مَا يَظْهَرُ فِي الْأَفْعَالِ
وَلَا يَصِيرُ الْخَلْقَةُ عَنْ حَالِهَا لِذَلِكَ عَمَلٌ فِي ضَعْفِ نَفْسٍ يَعْقُوبُ وَعَمَلٌ فِي أَهْلَاكٍ
بَعْضُهُ حَيْثُ ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحُزَنِ وَالْكُظِيمُ مَا ذَكَرْنَا هُوَ الَّذِي
يَرُدُّ الْحُزْنَ فِي خَوْفِهِ وَلَا يَظْهَرُ وَيَكْتُمُ عَنِ الْجُزْءِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا
يَا اللَّهُ تَفَتُّوا تَذَكَّرُوا يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَوْلُهُ
يَا اللَّهُ هُوَ مِنْهُمْ مَكَانَ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِذَلِكَ قَالَتِ إِبْرَاهِيمُ يَا اللَّهُ لَا كَيْدَ لَكُمْ
وَقَوْلُهُ تَفَتُّوا تَذَكَّرُوا يُوْسُفَ أَيْ لَا تَزَالُ تَذَكَّرُ يُوْسُفَ وَلَا تَنْسَى ذِكْرَهُ حَتَّى تَسْلُو
مِنْ حَزَنِهِ كَانَهُمْ دَعَوْهُ إِلَى التَّسْلُوةِ مِنْ حَزَنِهِ لِأَنَّهُ بِالذِّكْرِ تَجِدُ الْحُزْنَ وَتُحْدِثُ
فَقَالُوا لَهُ لَا تَزَالُ تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا قِيلَ دَفْعًا وَقِيلَ حَرَضًا أَيْ
هَرَمًا وَأَصْلُ الْحَرَضِ الضَّعْفُ وَقَوْلُهُ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ أَيْ تُصِيرُ مِنَ الْهَالِكِينَ
وَكَذَلِكَ حَالُ يَعْقُوبَ أَنَّهُ ضَعُفَ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْحُزَنِ وَصَارَ بَعْضُ مِنْ بَدَنِهِ
مِنَ الْهَالِكِينَ حَيْثُ ابْيَضَّتْ وَذَهَبَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ وَقَالَتِ بَعْضُهُمُ الْخَوْفُ الَّذِي

قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ مِنَ الْكِبَرِ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ فَمُوتَ وَمَا ذَكَرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ
أَنْ يَعْقُوبَ قَالَ كَذَلِكَ مِنْ النِّبَاحِ عَلَى يُوْسُفَ وَالْجُزْءُ عَلَيْهِ لِحْتَمَلِ لَانَهُ قَالَ
حِينَ أَخْبَرَهُ فَصْبَرُ جَمِيلٌ وَمَا ذَكَرَ وَهُوَ مِنْهُ لَيْسَ هُوَ بِصَبْرٍ فَضْلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَتِ إِنَّمَا اسْتَكْرَأْتُ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ قَالَتِ الْعَتَبِيَّةُ الْإِسْفُ
أَسَدُ الْحَزَنِ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْشُرَ وَيَشْكُوهُ وَكَذَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ
مَنْ بَشَّرَ فَلَمْ يَصْبِرْ أَيْ شَكَرَ وَمَا ذَكَرَ مِنَ السَّكَايَةِ إِلَى اللَّهِ لَيْسَ هُوَ عَلَى أَظْهَرَ ذَلِكَ
بِاللِّسَانِ وَلَكِنْ بِالْقَلْبِ وَقَالَتِ الْحَسَنَةُ اسْتَكْرَأْتُ أَيْ حَاجَتِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْفُ وَالْحُزْنَ وَاحِدًا ذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرَارِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالَتِ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَاعْلَمُ
مِنْ اللَّهِ مِنْ حَقِيقَتِهِ رُوِيَ يُوْسُفَ أَنَّهُ كَانَتْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَأَنَا سَلَسْتُ حَتَّى كُنْتُ
أَنَّهُ عِلْمُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا مَا لَا تَعْلَمُونَ هَذَا ذَلِكَ لَكِنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ مَا ذَكَرَ وَهُوَ كَمَا قَالَتِ إِبْرَاهِيمُ
لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبَيَّنَّ اللَّهُ
عَنْهَا وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَيْثُ لَمْ يَلْمِثْ وَلَيْشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ وَاعْلَمُ
مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيْ انْتَفَعَ بِعِلْمِي مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَنْتَفِعُونَ أَنْتُمْ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَأَصْلُهُ أَنْ اخْوَةَ يُوْسُفَ لَوْ عَلِمُوا أَنَّ أَمْرَ يُوْسُفَ بِلُغَةٍ مِمَّا بَلَغَ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَزَمَ
قَصْدًا وَقَصْدُ تَغْيِيهِ عَنْ وَالِدِهِ وَلَا سَعَوْا مَا سَعَوْا مِنْ أَفْسَادِ أَمْرِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا بَنِي إِدْرِيْسَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ قَالَتِ
أَهْلُ التَّأْوِيلِ تَحَسَّنُوا أَيْ اطْلُبُوا وَاسْتَخْبِرُوا عَنْهُ وَعَنْ أَخِيهِ لَكِنَّ غَيْرَ هَذَا
كَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَهُوَ مِنْ وَقْعِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ قَالَ أَذْهَبُوا فَانْظُرُوا إِلَيْهِ وَإِلَى
أَخِيهِ لِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهْمُ عِلْمُ بَانَ يُوْسُفَ أَيْنَ هُوَ فَلَقَدْ كَانُوا يَعْلَمُونَ حَالِ أَخِيهِ
ابْنُ يَاسِينَ أَنَّهُ أَيْنَ هُوَ فَلَكَانَ عَلَى الطَّلَبِ وَالْحَثِّ وَالِاسْتِخْبَارِ عَلَى مَا قَالَهُ
أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنْ احْتَمَلَ فِي يُوْسُفَ لِحْتَمَلِ فِي أَخِيهِ أَذْهَبَ كَمَا نَوَى يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ
وَإِنْ هُوَ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ مَكَانَ يُوْسُفَ وَهُوَ أَمَّا أَمْرُهُمْ لَمْ يَحَسَّنُوا عَنْهَا جَمِيعًا
قَالَتِ أَنَّ التَّحَسُّنَ مَا خُوذَ مِنَ الْحَسَنِ وَهُوَ أَمْرُهُمْ بِأَنْ يَنْظُرُوا إِلَى يُوْسُفَ
وَأَخِيهِ فَكَأَنَّهُ عِلْمٌ بِالْوَجْهِ أَنَّهُ هُنَا يَكُنْ وَأَخُوهُ مَعَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَخْبَرَ بَنِيهِ أَنَّهُ هُنَا لَكِنَّهُ لَمْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَتَكَا سَلُونَ وَيَقِيبُوا قُلُوبَهُمْ عَنْ الذَّهَابِ إِلَيْهِ فَا مَرَّهُمْ بِذَلِكَ أَمْرٌ تَقْرِيبٌ لَا أَمْرٌ تَصْرِيحٌ
وَلِحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْأَخْيَارِ أَنْ تَحَسَّنُوا مِنْ يُوْسُفَ وَاسْتَأْذَنُوا مِنْهُ رَدَّ أَخِيهِ

لما علم ان اخاه يكون معه والله اعلم وقالت عامة اهل التاويل انما قال لهم
هذا وعلم انه في الاحياء لما راى ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف
فما قبضت من الا زواج قالت لا وقالت بعضهم راى في المنام ملك الموت
فقال له ما ذكرنا فوجد ذلك قالت هذا القول يكافق قول انه كان غائماً
انه في الاحياء ليس بها لك لما راى من الروايات وعينه فعلم انه لا يهلك الا بعد
خروج رؤياه على الصدق والحق لكن لم يعلم ابن هومن قبل ثم علم من بعد بالوحي
مكانه وحاله فامس به ان ياتوه فينظر اليه والى آخيه والله اعلم واصل هذا
ان ما حل يعقوب من موت يوسف وغيبته عنه بحجة الحق الله بها
وبليته بما يقتلي به الاخيار الا ترى ان يوسف لو اراد ان يخبر اباة ويعلم ان حاله
ومكانه لقد رعيه لانه كان يعلم مكان ابيه وان كان لا يعلم يعقوب بمكان يوسف
فلم يعلم الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم قوله تعالى ولا تياسوا من روح الله
قل من رحمت الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون اخبر الله
لا يياس من رحمة الله الا الكفرة لان من آمن يعلم انه منقلب في رحمة الله
ونعمته فلا يياس من رحمة الله واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تغلبه
في رحمة فيياس من رحمة الله والآية تزد على المعتزلة قولهم ان صاحب الكبر
يخلد في النار وانه ليس بكافر وهو آت من روح الله على قولهم وقد اخبر الله
لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبر
اي من رحمت الله وهو ليس بكافر ثم انما هم عن الاياس لما كان عندهم ان
يوسف كان هاهنا حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قالت لهم اني لاجيد
ريح يوسف واخوه كان محبوساً بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم ولا يمتل
انه نفاهم وان لم يكونوا آتسين ثم اخبر عن خبر الله بقوله انه لا يياس من
روح الله الا القوم الكافرون وهذا كما يشهد ابراهيم بالولد حيث قال
بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نفوق عن القنوط ولا تختمل ان تكون ابراهيم
قانتظا من رحمة الله ولكن نفوق ثم اخبروا ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والضال
قوله تعالى فلما دخلوا عليه اى على يوسف قالوا يا هذا العذبة مسنا واهلنا
الضرة سموا عذبة لما لعلمهم ليسمون كل ملك عذبة او سموا عذبة لما كان عند الملك
عن يرا بقوله الكريمي متوا او لما كان بالناس اليه حاجة في الطعام الذي في يديه

وهو كان غنياً عما في ايديهم والله اعلم وقولهم مسنا واهلنا الضرة قال اهل
التاويل اصابتنا البسطة والبلاء من الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة قيل ذراهم
نفايه بنهرجة لا تنفق في الطعام فاسدة لانه كان في عزة وبلغ في عيونه وقال
ابوعوسجة بضاعة بضاعة مرجات اى قليلة وهو قول العتيبي وقال بن عباس رضي الله
عنها هي الورق الرديئة التي لا تنفق حية يؤمنع منها وقال ابو عبيد الزجاني كلام
العرب الدغ والسوق وهو قوله الم تر ان الله يوحى سبحانه اى لشوق وندفع
وقال بعضهم ناقصة وقال بعضهم جاءوا بسمن وسوق وقيل جاءوا بصنوبر وحبه
خضراً قالوا ويسمى ان تكون مرجات من التزجية كما يقال نوحى يوماً ويوم وهو
التقديلا دون الذي يستعمل في النفقات دون ما يشتري بها الاشياء النفيسة
ويقوم بها التجارات والله اعلم قوله تعالى فادف لنا الكيل قال بعضهم
اى اوف لنا الكيل طلبوا ان ياخذ منهم المفاية ويكل لهم الطعام بسعر الجيا
لكن نقول فادف لنا الكيل في الحقيقة اى سلم لنا الكيل تائلاً لان الايقاف هو
التسليم على الوفاء والتمام كقوله فادفوا الكيل والميزان وقوله وتصدق
علينا اى تصدق علينا بفصل ما بين الثمنين في الوزن وقيل تصدق بفعل
ما بين الكيلين وقالت بعضهم وتصدق علينا اى رد لنا شيئاً يكون ذلك صدقة
لنا منك لكن يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة لاجل الانبياء واولادهم
وبحوز الخط لهم وكذلك بنى الله كان يجوز له اليسر باقل من ثمن المثل ولا تجل
الصدقة اذ في الخط لا يجزى مجزى الصدقة ولذلك قال للوزان وزن وارح
ولذلك يجوز حظ من لا يجوز منه الصدقة نحو العبد المأذون له في التجارة ونحو
والله اعلم ولحتمل ان يكون قوله مسنا واهلنا الضراى بذهاب بصرايه
مشمم بذلك واهلهم الضرة وتصدق علينا اى رد علينا باين يامين لعلى الله يرد
بصره عليه ان الله يجزي المتصدقين قال اهل التاويل ان الله يجزي المتصدقين
ان كانوا على دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لما قالوا ان الله يجزيك بالصدقة
قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه والاسكال ان ما فعلوا
بأخيه شيئاً ظاهراً كما معنى هذا الكلام قلت اهل التاويل انما قال ذلك لما انهم
قالوا لابن يامين انه سرق ولكن هذا ضعف لانهم لم يقولوا الا قد وما ظهر عندهم
من الامور الظاهرة فلا يلحقهم بذلك القول فصل تغيير ولكن يشبه ان يكونوا هم

آذنه بأنواع الآذني ولا شك أنهم كانوا يغيثون يوسف وأخاه حيث قالوا يوسف
وأخوه أحب إلي أبنائنا ونحن غصبية لذلك قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه
ثم الله تعالى ليس يوسف وأمه علي أبيه وأخوته وأخني ذكره ووجهه
امتحننا منكم فلم يعرفوه ولم يشعروا مكانه إلى أن انقطع وقت المحنة والبلاء
فإذا انقطع وقت فغند ذلك أمروه أن يظهرهم وأن يعلم أنه يوسف وقيل
أيضا في قوله هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه قد كانوا أعلموا ما فعلوا يوسف
ليكنه كأنه قال هل تذكرون ما فعلتم يوسف إذا أنتم جاهلون ذلك ناسون
كأنه يقول لهم أذكر وأما فعلتم يوسف وأخيه وتوكلوا إلى الله ولا تكونوا جاهلين
عن ذلك أو يقول لهم هل رجعتهم وبنتهم عن ذلك أو أنتم بعد فيه قول تعالى
إذا أنتم جاهلون قال بعض أهل التأويل إذا أنتم مذنبون ولكن عندنا إذا أنتم
جاهلون قد روي يوسف ومنزلته لا فهم لو علموا ما قدر يوسف عند الله وما
منزلته ما قالوا يوسف وأخوه أحب إلي أبنائنا ونحن غصبية وما خطا
أبائهم في حبه إياهم بقولهم إن أبائنا لفي ضلال مبين وما فعلوا به ما فعلوا
والله أعلم قوله تعالى قالوا أياك لانت يوسف كأنهم عرفوا أنه يوسف
بما يقول لهم هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه ولختم أنهم عرفوا بقول أبيهم إياهم
حيث قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه لما ذكر أخاه
ورآوه معه عرفوا أنه يوسف لذلك قالوا والله أعلم قوله تعالى قال
أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر ينج من شئ
مما يصيبه ويصبر على بلاءه ولختم من اتقى مناهيه وصبر على آثامه آمين
ومن اتقى وصبر فقد أحسن فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أو يقول من يتق يحفظ
ويصبر على البلاء فقد أحسن فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قوله تعالى قالوا
تالله لقد آتاك الله علينا قوله تالله قسم قد اعتادوه في تحوي كلامهم على غير
إرادة لمنين بذلك هكذا كانت عادة العرب والاعلم يوسف أن الله قد آثر عليهم
ويشبه أن خروج القسم ههنا على تأكيد معرفتهم فضله ومنزلته أي لم يزل
كنت موثرا فضلا علينا وإن كنا خاطئين أي وقد كنا خاطئين فيما كان بيننا
اليك من الصنيع ويحتمل أن يكون قولهم لقد آتاك الله علينا فيما تقدم اليوسف
وأخوه أحب إلي أبنائنا أي لما كان بوثرهما عليهم فقالوا كنت موثرا علينا

علي ما كان أبونا بوثرك علينا وقد كنا خاطئين فقال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم وقالت العتيبي أي لا تغير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم قال
وأصل التثريب الاضداد يقال تثرب علينا الأمر أي افسد وقال
أبو عبيدة التثريب الملامة تقول لا لوم عليكم في صنعكم وقال ابن عباس
عنها لا تثريب عليكم أي لا أعيركم بعد اليوم بها بقاء ولا أعيد عليكم وقالت
بعضهم لا تثريب عليكم أي لا تنقص عليكم ثم الأصل عندنا وجهان أحدهما
لا تغير عليكم ولا ملامة عليكم أي ليس في العقل عليكم بغير ولا ملامة إذا أنتم
واقفون بغير باخطاء وهكذا كل من ذنب ذنبا أو ارتكب كبيرة ثم انتزع منها
وقاب عليها أنه لا يغير هو عليها ولا يلام ولذلك قيل في قوله ولا تتنازروا
بالأقارب ذكر أنهم كانوا يعرفون أهل الكفر بكفرهم ويثنا بزوهم ثم اسلموا
فنهوا عن أن يثنا بزوهم وليضفوا بهم مثل صنعهم في حال كفرهم ولو وجب
التغير والملامة بعد الانتزاع منه والتوبة أو يجوز ذلك لأن المحاب محمدا
معدين ملامين لأنهم كانوا أهل الكفر في الابتداء وهذا إما لا يحل في العقل
وحرّم الشرع ذلك والله الموفق والثاني قوله لا تثريب عليكم اليوم أي
لا أذكر بما كان منكم اليان آمنهم عن أن يذكر شيئا ما كان منهم إليه ولذلك
قال من بعد أن نزع الشيطان بينه وبين أخوتي ذكر أن الشيطان
هو الذي فعل ما كان بينه وبين أخوته والله أعلم وقوله يفتد الله لكم
لختم أنه يخرج على الرعا لهم بالمغفرة ويحتمل على الأخبار بالوحي أنه يغير لهم
أو قد غفد لهم ولختم أي استغفر والذي كان من الله وبكم يغفر لكم وقطع
القول فيه بالمغفرة لهم حين اقروا باخطاء وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من
تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنها أنه يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة
والله أعلم قوله تعالى وهو أرحم الراحمين لأن كل من يرجع من الخلاء
إلى رحم برحمة منه إليه فهو أرحم الراحمين وهو كالقلبي قوله حين الخاكين
وأحكم الخاكين لأن من حكم بين الخلاء حكم جود فإياكم حكم ناله منه والله أعلم
قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فإذا قوه علي وجهه أي يات بصير أدك
هذا من يوسف حيث قطع القول فيه أنه يصير بصيرا أنه عن وجب
قال لا عن رأي منه واجتهادا قطع فيه القول أنه إذا ألقى علي وجهه

يَصِيرُ بَصِيرًا خُذْ عَلَيَّ وَجْهَيْنِ أَحَدَهُمَا يَصِيرُ بَصِيرًا عَلَيَّ مَا ذَكَرْنَا وَالثَّانِي بَاتَ
بَصِيرًا إِنْ يَأْتِي بَصِيرًا وَقَوْلُهُ وَآتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ أَرَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِأَهْلِهِمْ أَجْمَعِينَ أَنْ يَبْرَهُمْ وَيَكْرِهَهُمْ حِينَ تَابُوا عَمَّا
فَعَلُوا بِهِ وَاحْتَدَاهُ بِالْخَطَا فِي أَمْرِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَمَّا فَصَلْتُ الْعِيرَ
فَقِيلَ حَرَجْتَ وَفَضَلْتَ وَانْفَضَلْتَ وَاحِدٌ فَضَلَ فَضْلًا مُتَعَدِي وَفَضَلَ فَضْلًا
لَا زِمَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ أَبُو هَرَمٍ إِنْ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ قَالَ
أَهْلُ النَّاوِيلِ كَانَ بَيْنَهُمَا تَمَازُجٌ فَسَخَّيْنِي بَيْنَ مَصْرٍ وَبَيْنِ كَنْعَانَ مَكَانِي
يَعْقُوبَ وَقِيلَ مَسِيرُهُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ قَدَرًا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا
إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ سِوَى أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ أَيَّامٍ ثُمَّ وَجَدَ يَعْقُوبَ
رِيحَ يُوسُفَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ مِنْ كَانَ مَعَهُ فَذَلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
حَيْثُ وَجَدَتْهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ غَيْرَهُ وَذَلِكَ مِنْ آثَارِ الْبَشَائِرِ
وَالسُّرُورِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ بَقْدُومِهِ هَذَا الْخِطْمُ وَحَتَمُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رِيحَ
قَيْصٍ مِنْ قَيْصٍ عَلَيَّ مَا قَالَتْ أَهْلُ النَّاوِيلِ أَنَّ ذَلِكَ الْقَيْصَ مِنْ كُشُورِ
الْجَنَّةِ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كُنَاةَ إِبْرَاهِيمَ وَكُنَاةَ إِبْرَاهِيمَ اسْحَاقَ وَكُنَاةَ اسْحَاقَ
يَعْقُوبَ وَكُنَاةَ يَعْقُوبَ يُوسُفَ لَكَ وَجَدَ رَجْعَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ بَابِ
الْجَنَّةِ فَهَذَا أَنْ ثَبَّتَ عَلَيَّ مَا قَالُوا هُوَ أَيْضًا آيَةٌ لَهُ عَلَيْهِ حَيْثُ وَجَدَهُ ذَلِكَ
الرَّيْحَ وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ وَكَذَلِكَ هُوَ كَلِمَةُ ابْنِ الْكَلْبِ فَتِلْ فَضُولُ الْعِيرِ وَكَانَ
ذَلِكَ الْقَيْصُ مَعَ يُوسُفَ فَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْآيَةِ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى لَوْلَا أَنْ تَقْنَدُونَ قِيلَ قَنَوْنِي وَقِيلَ تَقْنَدُونَ وَقِيلَ
تَقْنَدُونَ وَقِيلَ تَقْنَدُونَ وَقِيلَ تَقْنَدُونَ وَقِيلَ تَقْنَدُونَ وَقِيلَ تَقْنَدُونَ
وَقِيلَ تَقْنَدُونَ وَقِيلَ لَوْلَا أَنْ تَقْنَدُونَ قِيلَ تَقْنَدُونَ قِيلَ تَقْنَدُونَ
إِذَا كَانَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ مِنْهُ عَلَى الْهَبِ كَقَوْلِهِ هَهُنَا لَوْلَا أَنْ تَقْنَدُونَ إِنْ لَأَ
تَقْنَدُونَ وَإِذَا كَانَ عَلَى الْخَبَرِ مِنْهُ عَلَى الْهَبِ كَقَوْلِهِ فَلَوْلَا كَأَنْتَ قَدِيرَةٌ أَمْتُ
فَنَفَعَهَا إِيَّاهُ أَيْ لَمْ يَنْبَغِ وَالْمَنْدُوعُونَ عِنْدَ النَّاسِ وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ فِي الْكَبِيرِ
غَايَتَهُ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَ فِي قَوْلِهِ وَمَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُورِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا تَا اللَّهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَدِيرُ مِثْلَ فِي حَبِّ يُوسُفَ
وَذَكَرَهُ الْقَدِيرُ كَانَ عِنْدَهُمْ بَأَنَّهُ هَآلِكَ لَكَ أَنْتَ الْغَدِيرُ وَحَطَّاهُ فِيهَا

يَجِدُ مِنْ رَجْعِهِ وَعِنْدَهُ أَنَّهُ فِي الْآحْيَاءِ لَكَ كَانَ مَا ذَكَرَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا جَاءَ الْبَشِيرَ الْقَيْصَ عَلَيَّ وَجْهَهُ فَاذْ تَدْبِيرًا إِيَّايَ رَجَعَ
بَصِيرًا عَلَيَّ مَا كَانَ قَالَ أَهْلُ النَّاوِيلِ وَيَلُ الْبَشِيرُ كَانَ هُوَذَا وَقِيلَ الْمَرْدُ وَلَا
تَذَرِي مَنْ كَانَ وَلا يَسْ بِنَا إِلَيَّ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ حَاجَةٌ سِوَى أَنْ الْمَذْفُوعُ إِلَيْهِ
الثَّوْبُ كَانَ وَاحِدًا لِأَنَّهُ قَالَ جَاءَ الْبَشِيرَ الْقَيْصَ عَلَيَّ وَجْهَهُ وَإِنْ قَالَ
يَعْلَى الْإِبْتِدَاءِ إِذَا هَبُوا بِقَيْصٍ هَذَا فَالْقَوْمُ عَلَيَّ وَجْهَهُ إِيَّايَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ النَّاوِيلِ
وَذَلِكَ أَنْ يَعْقُوبَ قَالَ لَمْ يَمُوتْ ذَلِكَ إِنَّمَا اشْكُوبُ لِي وَحَدَّثَنِي إِلَى اللَّهِ
وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مِنْ تَضَدِّيقِ رُؤْيَا يُوسُفَ وَأَنَّهُ حَيٌّ وَكَانَ
يَعْلَمُ هُوَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا مَا لَا يَعْلَمُونَ هُمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا إِنَّا كَانُوا خَاطِئِينَ قَالَ يَعْقُوبُ سَوِّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي طَلِبُوا مِنْ رَبِّهِمْ
أَنْ لَسْتُ غَفُورًا لَكُمْ فَاحْذَرُوا اسْتَغْفِرُوا مِنْ رَبِّي وَقِيلَ وَطَلِبُوا مِنْ يُوسُفَ الْعَفْوَ
وَأَقْرَبُوا إِلَيْهِ بِالْخَطَا وَالذَّنْبِ فَقَبِلَ عَنْهُمْ وَقَتَ سَوَّاهُمْ الْعَفْوَ مِنْ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ إِنَّمَا اخْتَارَ يَعْقُوبَ الْإِسْتِغْفَارَ وَعَنِي عَنْهُمْ يُوسُفَ لِأَنَّ قَلْبَ الشَّابِّ
يَكُونُ الْيَسَّ وَارْتِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ لِذَلِكَ كَانَ مَا كَانَ لَكِنْ هَذَا الْيَسَّ شَيْئًا
إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا فِي عَوَامِرِ النَّاسِ فَا مَّا الْإِنْبِيَاءُ كَلَامِيهِ وَقَتَ فَيَزِدُّ أَدَقْلُوبَهُمْ
لِيَنَّا وَرَقَهُ وَخَشَوْعًا لَكِنْ لِحْتَمَلِ أَنْ يَعْقُوبَ إِنَّمَا اخْتَارَ الْإِسْتِغْفَارَ لِأَنَّ الذَّنْبَ
يُنِي ذَلِكَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ فَاحْذَرُوا إِنْ نَجَّى الْأَذْنَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ
الْإِنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ كَانُوا لَا يَسْتَغْفِرُونَ وَلَا يَسْتَغْفِرُونَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ ذِي الذَّنْبِ لِيَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَقَالَ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا مَنْ أَرَادَ فَا مَّا الذَّنْبُ فَيَمَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يُوسُفَ تَقَبَّلَ عَنْهُمْ مِنْ سَاعَتِهِ
لِذَلِكَ اقْتَرَفَ الْأَمْثَارَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلِحْتَمَلِ إِيَّيْ سَوِّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنْ
اسْتَغْفَرَ تَمَرَاتِهِمْ أَوْ قَالَ اشْوَفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ وَهُوَ مَا قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ اخْوَه إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ وَلِحْتَمَلِ أَنَّهُ اخْوَه إِلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ شَيْئًا
بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِسْتِغْفَارَ وَالشَّفَاعَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ أَوْ عُنَادِهِ لَكِنْ أَسْخَرَعَ
إِلَى الْإِجَابَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ وَجَدَ يَعْقُوبَ كَانَ
أَكْثَرُ مَنْ وَجَدَ يُوسُفَ لَكَ كَانَ أَجَابَهُمْ يُوسُفَ وَقَتَ سَوَّاهُمْ بِالْعَفْوَ

وَاحْتَرَبَ يَعْقُوبُ إِلَى وَقْتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَكِنَّ الْوَجْهَ فِيهِ عِنْدَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيْمَانًا
سَأَلُوا يَعْقُوبَ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ اللَّهِ لِيَكُونَ لَهُمْ شَفِيعًا فَاحْتَرَبَ
ذَلِكَ إِلَى وَقْتٍ الْإِسْتِغْفَارِ وَالشَّفَاعَةِ أَذْ لَيْسَ كُلُّ الْأَوْقَاتِ يَكُونُ وَقْتُ
لِلْإِسْتِغْفَارِ وَطَلَبُوا مِنْ يَوْسُفَ الْعَفْوَ فَعَبَّ عَنْهُمْ وَقْتُ طَلَبِهِمْ مِنْهُ الْعَفْوَ
فَمَحْتَمِلٌ أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ
أَوْيَ إِلَيْهِ وَقَالُوا ادْخُلُوا مَعَنَا نَسَاءَ اللَّهِ آمَنِينَ ظَاهِرٌ هَذَا أَنْ يَكُونَ
يَوْسُفَ كَانَ تَلْعَبُهُمْ خَارِجًا مِنَ الْمَصْرِ فَقَالَ ادْخُلُوا مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
آمَنِينَ ثُمَّ لَمَّا دَخَلُوا مَعَ يَوْسُفَ إِلَى نَفْسِهِ أَبُو يَسَافَ إِتَى مِنْهُمَا إِلَيْهِ وَنَشَبَ
أَنْ يَكُونَ قَالَتْ لَهُمْ هَذَا الْعَوْلُ وَقْتُ مَا قَالَتْ لَهُمْ وَأَقُولُ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ
ادْخُلُوا مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ثُمَّ لَمَّا جَاءُوهُ وَدَخَلُوا مَعَ يَوْسُفَ إِلَى نَفْسِهِ
أَبُو يَسَافَ وَصَفَّهَا ثُمَّ أَمَّا قَالَتْ ادْخُلُوا مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَأَنْ مِصْرَ
كَانَ أَهْلُهُ أَهْلُ كَنْزٍ فَكَانَ خَافُوا الْمَلِكَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَذَكَرَ لَهُمُ الْأَمْرَ
لِذَلِكَ وَذَكَرَ الثَّنِيَا فِيهِ لِأَنَّ هَذَا وَعَدُّ مِنْهُ وَعَدُّ لَهُمُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
كَانُوا لَا يَعْدُونَ شَيْئًا إِلَّا وَلَيْسَتْ تَتَوَلَّى فِي آخِرِهِ كَقَوْلِهِ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الثَّنِيَا فِي الْأَمْرِ وَلَمْ يَذَكَرْ الثَّنِيَا
فِي الدُّخُولِ لِأَنَّ مَا ذَكَرَ مِنَ الدُّخُولِ فَهُوَ مَرَّةً وَمَا ذَكَرَ مِنَ الْأَمْرِ وَعَدَّ حَيْثُ
قَالَتْ ادْخُلُوا مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ أَمْرَهُمْ بِالْدُّخُولِ وَعَدَّهُ لَهُمْ
بِالْأَمَانِ حَيْثُ وَصَفَهُمُ بِالْأَمْنِ خَالَةَ الدُّخُولِ وَوَعَدَهُمْ فَيَكُونُ الْإِسْتِغْفَارُ
فِي الْوَعْدِ وَدُونَ الدُّخُولِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَرَفَعَ أَبُو يَسَافَ عَلَى الْعَرْشِ
يَشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ أَوْيَ إِلَيْهِ أَبُو يَسَافَ هُوَ مَا ذَكَرَ مِنْ رَفَعَةِ أَبُو يَسَافَ عَلَى الْعَرْشِ
وَحُصَّ بِذِكْرِ أَبُو يَسَافَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْعَرْشِ فَحْتَمِلَ أَنْ يَكُونَ رَفَعَ أَبُو يَسَافَ وَالْأَخُوَّةُ
جَمِيعًا لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرَفَعْ وَقَدْ كَانَ عَنِ عَنْهُمْ لَمَّا أَقْرَأَهُ بِالْخَطِّابِ وَقَالَ لَا تَتَرَبَّصَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ لَكِنْ بَيِّعْ عَنْتُمْ أَنَّهُ قَدْ بَيَّعَ شَيْئًا مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ لَكِنْ حُصَّ أَبُو يَسَافَ
بِالذِّكْرِ لَشَدِّهَا وَمَجْدُهَا عَلَى مَا حُصَّ الْأَشْوَافُ وَالْأَعَاظِمُ بِالْخَطِّابِ وَارْتِجَالِ
الرَّسُلِ إِلَيْهِمْ وَأَنْ كَانَ ذَلِكَ إِلَى الْكُلِّ كَقَوْلِهِ وَلَعَدَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَخَوَذَكَ فَعَلِيَ ذَلِكَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحْتَمِلَ أَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ لِعَظِيمِ الْأَبْوِينَ وَفِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالْعَادَةِ كَذَلِكَ أَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ

لَيْسَ يَكُنْ بَيْنَ الْأَبْوِينَ وَالْأَوْلَادِ فِي الْخَلِيسِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ شَرًّا
ذَلِكَ قَوْلُهُ وَرَفَعَ أَبُو يَسَافَ عَلَى الْعَرْشِ عَلَيْهِ أَنْ اخْتِذَا الْعَرْشَ وَالْجُلُوسَ
عَلَيْهِ لِأَبَاسٍ بِهِ أَذْ لَوْ كَانَ لِحُلِّ وَلَا يُبَاعُ ذَلِكَ لَكِنْ كَانَ يَوْسُفَ لَا يَخْذُهُ وَلَا كَانَ
يَعْقُوبَ لِحُلِّسَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَنْ ذَلِكَ مَبَاحٌ لِأَبَاسٍ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ٥٥٤
وَحَدَّ وَاللَّهُ سَجْدًا قَالَتْ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ كَانَ نَشَبَ حَتَمَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِيهَا
بَيْنَهُمُ السُّجُودُ لِيَسْجُدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَكَانَ مَا يَسْلُمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَمَّا الْيَوْمُ
فَهُوَ غَيْرُ مَبَاحٍ وَإِنَّمَا التَّحِيَّةُ فِي السَّلَامِ لَكِنْ يَقُولُ أَنَّ السُّجُودَ لِدُونَ اللَّهِ تَعَالَى
لَيْسَ نَكْرَةً لِنَفْسِ السُّجُودِ إِنَّمَا يُكْرَهُ وَنَهَى عَمَّا فِي السُّجُودِ وَهُوَ الْعِبَادَةُ وَلَا يَحِلُّ
لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ الْعِبَادَةَ لِدُونَ اللَّهِ وَأَمَّا نَفْسُ السُّجُودِ فَإِنَّهَا كَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَغَيْرِهَا
مِنَ الْأَحْوَالِ يَكُونُ الْمَرْءُ فِيهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ وَخَرُّهُ سَجْدًا إِنْ
خَرَّ وَاللَّهُ سَجْدًا شُكْرًا لَهُ بِمَا جَمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَرَفَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَحْتَمِلَ قَوْلُهُ وَخَرَّ وَاللَّهُ سَجْدًا إِنْ خَرَّ وَاللَّهُ خَاضِعِينَ وَالسُّجُودَ يُعْتَرِبُ بِهِ
عَنِ الْخُضُوعِ لِأَنَّ السُّجُودَ عَلَى مَا هُوَ السُّجُودُ الْمُتَعَارَفُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَأْيَ حَقٍّ إِي حَقِّقْ
تِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي مِنْ قَبْلُ وَجَعَلْنَا صَدَقَاتِي وَإِي يَوْسُفَ رُؤْيَا فَخَرَجَتْ
رُؤْيَاهُ بَعْدَ حِينَ وَوَقْتُ وَزَمَانٌ طَوِيلٌ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَطَّابَ إِذَا
قَرَعَ السَّمْعَ لِحُورِ أَنْ يَأْتِيَ بَيَانَهُ مِنْ بَعْدِ حِينَ وَزَمَانٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا
بِهِ وَلَيْسَ فِي تَأْخِيرِ الْبَيَانِ تَلْبِيسٌ قَالَتْ مَا قَالَتْ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ ذَكَرَ أَحْسَنًا لَهُ وَمَنْنَةً وَلَمْ يَذْكُرْ
يَحْسَنَ عَلَى التَّصَدُّعِ وَأَمَّا ذَكَرَ عَلَى التَّصَدُّعِ حَيْثُ قَالَتْ إِذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ
وَلَمْ يَقْتُلْ سَجْنَتِي وَحُبْسَتِي وَأَمَّا مَا كَانَ أَنْ يَتَلَاَّهُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ حَسَنِ الْأَدَبِ
أَنْ يَذْكُرَ الْإِنْفَامَ وَالْأَحْسَانَ دُونَ الشَّدَّةِ وَالْبَلَاءِ فَذَكَرَ الْإِخْرَاجَ مِنَ السِّجْنِ دُونَ
الْإِسْجَانِ وَهُوَ كَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالَّذِي هُوَ لَطِيفٌ وَيُسْتَقِيمٌ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَجَاءَكُمْ مِنَ الْبَدَنِ قُلُوبٌ مِنَ الْبَادِيَةِ
لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَادِيَةِ الْأَحْجَابِ الْمَوَائِدِ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ
السَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَتِي قَالَتْ بَعْضُهُمْ نَزَعَ إِي فَرَّقَ مَعْنَاهُ مِنْ بَعْدِ
مَا فَرَّقَ السَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَتِي وَكَانَ النَّزْعُ هُوَ الْإِفْسَادُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ

أهل التأويل أي بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين اخوتي واصل ذلك إلى
الشيطان لما كان قال لهم لا تثرب عليكم اليوم حين اقروا له بالخطا في فعلهم
وقوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء اللطيف يذكر في اسماء الله معنيين أحدهما
أي العاطف على خلقه والبسر للعطف يقال فلان بارأي عاطف والثاني اللطيف
بمعنى العالم يقال لطيف أي عالم بما يلفظ من الاشياء ولصفه كما يعلم بما يعظم
ويعظم او يقال لطيف او يعلم المستور من الامور والحمية على الخلق كما يعلم
الظاهر منها والبارية لا تخفي عليه شيء يعلم السر واخفيه ثم ذلك لتسمية الله
باللطيف والعظيم معاً ليعلم ان ليس يفهم من عظمته ما يفهم من عظم الخلق ولا
يفهم من لطافته ما يفهم من الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان تكون عظمته لطيفة
معاً وجوز في الله تعالى ذلك ان ما يفهم من هذا غير ما يفهم من ذاك
والله اعلم قوله تعالى انه هو العليم الحكيم أي العليم بما كان ويكون وما
ظهر وبطن وما يستر ويعلن او يقال عالم بمواقب الامور وبدايتها احكام
الذي حكم بعلم ووضع كل شيء موضعه الحكم بجهل ولا غفلة ولا سفيه على ما يحكم
بهم الخلق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قوله تعالى رب قد آتيتني من
الملك قالت ابوبكر الامم ذكر من الملك لانه لم يوتيه كل الملك اذ فوته ملك اكبر
منه لكن نقول لا لهذا اذ كرهت من اذ معلوم انه لم يوت لاحد من ملك الدنيا
قال الله تعالى يوتى الملك من تشاء ويكون في وقت واحد ملوك وقال
مقاتل من صلة كانه قال رب قد آتيتني الملك لكن الوجه ما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى وعلمتني من تأويل الاحاديث قال اهل التأويل المراد
علم تأويل الروايات وعندنا ان الاحاديث هي الانبياء والتاويل هو علم العاقبة وعلم
ما يؤول اليه الامر فكانه قال علمتني مستقراً الانبياء وعواقب الامور
ونهايتها وهو كقوله لكل نبي مستقر وسوت يعلمون قوله تعالى فاطر
السموات والارض لذلك انتصب قوله تعالى انت ولي في الدنيا والآخرة
يشبه ان تكون تأويله انت ولي نعمتي في الدنيا والآخرة كما يقال فلان ولي في
فلان ويحتمل انت اوليائي في الدنيا والآخرة ويحتمل انت ولي وسندي في الدنيا
والآخرة ثم قوله رب قد آتيتني من الملك أي قوله توفيني مسلماً ذكر الحمد
والثناء لله تعالى وبيان احسانه ومحامده وصنايعه عليه وقوله توفيني مسلماً

سواء ودجاء من الله تعالى التوفى على الاسلام وما ذكر قدم يوسف دعاءه
وسواء له ربه ما سأل احسانه اليه ومحامده وصنايعه ليكون ذلك وصيلة
له الى ربه في الاجابة فكون تعليمه لكل موحد مخلص ان يقدم قبل الدعاء
الحمد والثناء على الله وذكر احسانه ومنه ليكون اسرع الى القبول والاجابة
والله اعلم وفي الآية دلالة نقص قول المعتزلة من وجوه احدها يقولون
ان كل احد سفيح عقله ويوسف لم يذكر ما كان منه الخبوات اي فعلت كذا
فافعل بي كذا ولكن ذكر نعمة الله واحسانه اليه والثاني من قولهم انه لا يعطي
اجداً ملوك ولا نبوة الا بعد الاستحقاق له ولا يكون من الله الى احد نعمة
واحسان الا بعد الاستحقاق لذلك وما كان هذا سبيله فلا يستحق الحمد
والثناء على من اعطاه ذلك ولا معنى لذلك اذ ليس فيه كبير محمداً اذ لو لم
يُعط على مذهبهم يصير ظالماً جانياً واولاه الموفق والثالث من قولهم ان كل احد
هو المتعلم باختياره لا ان الله تعالى يعلم احداً وقد اضاف يوسف التعليم الى الله
حيث قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وهم يقولون لم يعلمه ولكنه تعلم
بنفسه فينسبونه الى الكذب في القول فنسأل الله تعالى العيشة والنجاة والله اعلم
قوله تعالى توفيني مسلماً والحقني بالصالحين سأل يوسف ودعاه ربه التوفى
على الاسلام والالحاق بالصالحين فهو والله اعلم ان الله تعالى قد اتاه النهاية
في الشرف والمجد في الدنيا دينا ودنيا لان رفاهية الشرف في الدين هي النبوة
والرسالة ونهاية الشرف في الدنيا الملك فاحت صلوات الله عليه ان يكون له
في الآخرة مثله فقال توفيني مسلماً والحقني بالصالحين ثم لحتم سواء له ان يلحقه
بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سأل ان يلحقه بالصالحين من آيابه واجداد
وجميع الانبياء والرسل ثم قوله توفيني مسلماً والحقني بالصالحين بكل صالح
ويحتمل انه سأل ان يلحقه بالصالحين من ينقص على المعتزلة قولهم فان من
قولهم ان ليس لله تعالى ان لا يتوفاه مسلماً لما بالترك يصير ظالماً جانياً فيكون
هو في دعائه عابثاً على قولهم والثاني على قولهم لا ملك ان يتوفاه مسلماً لان من
قولهم انه اعطي كل احد ما به يكون مؤمناً حتى لم يبق عنده شيء ومن سأل آخر
شيئاً يعلم انه ليس عنده فسواء له يكون هاربه او يكون كتمان النعمة وهذا لا يظن
بالانبياء والرسل قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي خبر

يوسف وأخوته وقصصهم إليه مفضلًا عليك وأخبرناك من أوله إلى آخره من نبي
الغيب لم تشهد هات أنت ولم تحضرها كقولك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل
هذا يعلم أنك إنما علمتها وعرفتها بالله وحيا لبدهم على رسالتك وبنوك إذا لا يؤمن
على الغيب إلا به والله أعلم قولي **تعالى** وما كنت لديهم إذا أجمعوا الهمم أي ما
كنت لديهم ولا حضرهم ثم أسأت على ما كان ليدل على ما ذكرنا من الرسالة والله أعلم
قولي **تعالى** وهم يكفرون أي أخوة يوسف يكفرون بابيهم وأخيتهم أمامهم
بابهم حيث قالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون فمنواله حفظ
يوسف ولم يحفظوه وأما مكرم بأخيهم حيث قالوا ما لك لا تأمنّا على يوسف وإنا
له لنا محزون أخبروه أنهم له ناصحون فخافوا مكرها وبها جميعا والمكر هو الاحتيال
في اللغة والأخذ على جهة الأمن وقد فعلوا ذلك بابيهم وأخيتهم والله الموفق
قولي **تعالى** وما أكثر الناس ولو حرصت بالمومنين أي ما أكثر الناس
بمؤمنين ولو حرصت يا محمد أن تكونوا مؤمنين كقولك لا تهدي من أحببت
ولكن الله يهدي من يشاء كان بلغ من شفقتي ورحمتي على الخلق وغبته في
إيمانهم حتى كادت نفسه تهلك في ذلك حيث قالت لعلك باخع نفسك الآية وقال
فلا تنهت نفسك عليهم حسرات وقالت ولا تحزن عليهم كان حرصه على إيمانهم
بلغ ما ذكر حتى خفيت عليه هذه الآيات وقالت بعض أهل التأويل قوله وما
أكثر الناس يعني أهل مكة ولو حرصت مؤمنين وهم كذلك كانوا أكثرهم غير
مؤمنين وأهل مكة وغيرهم سوا كلهم كذلك كانوا والله أعلم قولي **تعالى**
وما تسألهم عليه من أجر أي على ما تبلغ اليهم وتدعوهم إلى طاعة الله وجعل
العبادة له وتوحيه الشكر إليه لا تسألهم على ذلك أجرا فما الذي منعهم عن الإجابة
لك فيما تدعوهم والائتمار بأمرك ومنه دلالة على أنه لا يجوز أخذ أجر على الطاعات
والعبادات وعلى تعليم القرآن والعلم والخود ذلك حيث نهي وأخبر أنه لا يسألهم
على ما يبلغ اليهم أجرا وهو لم يتول بتبليغ ما أمر بتبليغه إلى الخلق كما في بقوله
وما أرسلناك إلا كافة للناس بنفسه وكتبه تولى التبليغ إلى البعض بنفسه وتولى
بعضه غيره بقوله لا فيبلغ الشاهد الغائب فإذا لم يجد له أخذ الأجر فيما يبلغ
هو فالذي كان ما مورثا أن يبلغ عنه لا يجوز أيضا أن يأخذ الأجر على ما يبلغ والله أعلم
ثم في قوله وما تسألهم عليه من أجر وجهان أحدهما أنه ليس يسألهم على ذلك

يبلغ اليهم ويدعوهم إليه أجرا حتى يمنهم فذلك ذلك عن الإجابة والثاني
أخبار أن ليس له أن يأخذ وأن لجمع من الدنيا شيئا كقولك ولا تمدن عينيك
إلى ما تمننا به أو أجاز منهن الآية ومعلوم أنه لا يمد عينيه إلى ما لا حل ثبت
أن النبي الضرر إلى أخذ المباح والله أعلم قولي **تعالى** أن هو الآخر ذكر
للعالمين أي هذا القرآن الذي تبليغهم ليس الأذكري وعظمة للعالمين أي
نفسه ذكر الأذكري وعظمة وآية لمن انقطعت من العالمين وقيل أي سرور وذكر
لمن أتبعه وقام به وهو ما ذكر في آية أخرى أن في ذلك لذكر لمن كان له قلب
والله أعلم قولي **تعالى** وكان من آية في السموات والأرض يروون
عليها وهم عنها معرضون قال بعض أهل التأويل الآيات التي في السماء من نحو
الشمس والقمر والنجوم والسموات والسموات والسموات والآيات التي في الأرض من
نحو الجبال والأنهار والبحار والمدائن ونحوها لكن السماء نفسها والأرض
نفسها أنه وما يخرج منها من النبات أي يروون عليها وهم عنها معرضون أي
هم معرضون عما جعلت من آيات لا من إنا جعلنا آيات بوحدة الله تعالى
أذ ليس في السموات والأرض شيء وإن لطف الأوفيه دلالة وحادثة الله
وآية الوهيتية ثم عما جعلت من آيات معرضون وبالله الهداية ثم جعلت الأعراس
ووجهين أحدهما عرضوا أي لم ينظروا فيها ولم يتفكروا بلدهم على وحدانية الله
والوهيتية فهو أعراس عنها والثاني نظروا وعرفوا أنها آيات لكنهم عرضوا
عنها كما برين معاينين والله أعلم وقال بعضهم آيات السماء ما ذكرنا من محض
الشمس والقمر والكواكب وآيات الأرض مثل آثار الأمم الذين أهلوا
من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن قد أهلوا يروون
عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا أنهم معرضون عما جعلت تلك
الآيات وإنا جعلت آيات الوحدة له والوهيتية أو معرضون عن التفكير فيها
أعراس مكابرة ومعاينة قولي **تعالى** وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
وهذا المحتمل وجوها أحدها الاشتراك في الألوهية أي وما يؤمن أكثرهم بأنه
إله الأوثان مشركون الأصنام والأوثان في الألوهية وتسميتها الهة كقولك قل لو
كان معه الهة كالقولون والثاني الاشتراك في العقل أي وما يؤمن أكثرهم بالله
الأوثان مشركون غيره في عبادته من الأصنام والأوثان وغيرها وقيل

أَيُّ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ بِلِسَانِهِمْ إِلَّا هُمْ مُشْرِكُونَ بِقُلُوبِهِمْ وَحَتَّىٰ كَذَّبُوا
بِالنِّعَةِ أَنْهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا هُمْ مُشْرِكُونَ فِي الشُّكْرِ لَهُ إِذَا مَنَعَهُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ فَجَبَّ
أَنْ يُوْجِهَ الشُّكْرَ وَلِسَكْرَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ عَلَى يَدِهِ شُكْرُ التَّوَصُّلِ لَا شُكْرُ الْإِنْعَامِ فَصَيَّرَ
شُكْرَ لَهُ شُكْرَ الْإِنْعَامِ صَادَ مَشُوكًا لِلَّهِ غَيْرُهُ فِي الْإِنْعَامِ فَإِنْ فَعَلَ عَنْ اعْتِقَادٍ بَلَدُونَ
كُفْرًا وَالْإِنْفِكَاحُ مَعْصِيَةٌ وَهُوَ الَّذِي يَدْعِي الشُّرَكَ الْخَفِيِّ وَيُخَوِّذُ لَكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَيُّ كَيْفٍ آمَنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً فَقَدْ مَسَّغُوا آثَانَ الْعَذَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَقَدْ جَاءَ مَا يَحْكُمُهُمْ
آثَانُ السَّاعَةِ وَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ حَقِيقَةً لَمَّا تَرَكُوا الْعِلْمَ بِهَا تَرَكُوا مَعَانِدَهُ لَا تَرَكُوا
مَنْ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ التَّخْوِيفُ وَالْإِعْلَامُ بِهِ وَصَارَ مَمْنُوعًا عَنْ دَرْكِهِ بِنَوَاتِ
آلَةِ الدَّرَكِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ جَبَّ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ مُعْتَبَرِينَ بِقَوْلِهِ وَكَأَيِّنْ
مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَكَذَلِكَ يَقُولُ
أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْآيَةُ وَأَنْ كَانَتْ الْآيَاتُ تَزِلُّنَا فِي
أَهْلِ الْكُفْرِ لِأَنَّ الْمُشْكِلِينَ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ فَجَبَّ أَنْ يُعْتَبَرُوا بِهَا فِي تَرْكِ
مَا أُمِرُوا وَالتَّغْرِيطُ فِي ذَلِكَ لَمَّا عَسَى بِأَنَّهُمُ السَّاعَةَ وَهُمْ فِي التَّغْرِيطِ بَعْدُ وَلَيْسَ
يُوقَعُوا لِلتَّوْبَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَالَتْ أَبُو عَوْسَجَةَ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَيُّ جَلِيلِهِ
نَقَشَاهُمْ وَمِنْهُ قَوْلُهُ قُلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وَهُوَ مَا يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَقَالَتْ غَيْرُهُ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَيُّ عَذَابٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَهُوَ
كَقَوْلِهِمْ وَلَيْسَ مُسْتَهْزَأً مِنْ عَذَابٍ وَبَكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَابْتِغَىٰ إِلَيْ قُلْ بِأَحْسَنِ سَبِيلٍ هَذِهِ إِلَهُ الْأَعْلِيَّاتِ
وَحَتَّىٰ هَذِهِ سَبِيلِي إِلَيْهِ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَنَا أَدْعُوكُمْ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ابْتِغَىٰ إِلَيْهَا
عَلِمَ وَبَيَانَ وَحُجَّةً قَاطِعَةً وَبُرْهَانَ بَيِّنَ لَيْسَ لَنَا بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْيَهُودِ
عَلَى الْهَوَىٰ وَالسَّهْوَةِ لَعْنَةُ حُجَّةٍ وَبُرْهَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ ابْتِغَىٰ إِلَيْهَا
ابْتِغَىٰ ابْتِغَىٰ فَإِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ حُجَّةٍ وَبُرْهَانَ وَحَتَّىٰ وَمَنِ ابْتِغَىٰ إِلَيْهَا وَمَنْ
يَحْتَشِي فَا تَحْتَشِي عَلَىٰ بَصِيرَةٍ وَبَيَانَ وَحُجَّةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَتَىٰ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبِيلًا كَانَ هَذَا صِلَةً قَوْلِهِ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا هُمْ مُشْرِكُونَ
سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيلًا قَالُوا وَتَبَدُّهُ عَمَّا قَالُوا فِي اللَّهِ مَا لَا يُلِيْقُ بِهِ وَمَا أَنَا مُشْرِكُونَ

فِي الْوَهْيِ تَبَدُّهُ رَبُّهُ بِبَيْتِهِ غَيْرُهُ أَوْ يَجْعَلُ دَلِيلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا بُحْتِ الْيَهُودِ ذَكَرَ رَجُلًا لَوْ جِئْتُمْ أَحَدَهُمَا أَيْ لَمْ يَنْفَعِ
رَسُولًا مِنْ قَبْلِ الْإِبْرَاهِيمِ لَمْ يَنْفَعِ مَلَكًا وَلَا جَنًّا فَكَيْفَ أَنْتُمْ رَسَالَةَ مُحَمَّدٍ بَعْلَةَ أَنَّهُ
بَشَرٌ وَلَمْ تَزِدْ أَوْ رَسُولًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا مِنَ الْبَشَرِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ ابْعَثْ اللَّهُ
بَشَرًا رَسُولًا أَيْ مَا بَعَثَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا فَصَارَ
تَقْدِيرُ الْآيَةِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَمْ يَنْفَعِ مَلَكًا وَلَا جَنًّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَحَتَّىٰ ذَكَرَ رَجُلًا أَيْ لَمْ يَنْفَعِ رَسُولًا إِلَّا رَجُلًا لَا أَمْرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَيْ إِنَّمَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا جُمْلَةً مِنْ أَهْلِ
الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ وَلَمْ يَبْعَثُوا مِنْ أَهْلِ الْبُؤَادِي وَالْبُؤَادِي وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَا بِالْقُرَى
الْأَمْصَارِ وَالْبُنْيَانِ قَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى وَصَرَّفَ اللَّهُ مَثَلًا قَدِيمَةً كَانَتْ أَمْنَهُ مُطْمَئِنَّةً
الْآيَةُ قَبْلُ هِيَ مَكِّيَّةٌ وَقِيلَ أَنْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَاهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْقُرَى وَالْقُرَى
يُؤَادُ بَذَلِكَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ ثُمَّ إِنَّمَا بَعَثَ الرَّسُولَ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَدُونَ أَهْلِ
الْبُؤَادِي لَوْجُودِ أَحَدِهَا أَنْ لَا أَهْلَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ اخْتِلَافًا بِأَصْنَافِ النَّاسِ
وَأَنْوَاعِ الْبِهَائِمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالثَّانِي أَنَّ الرَّسُولَ يَكُونُ لَهُمَا سَبَابٌ وَأَعْلَامٌ بِتَقْدِيرِ
عَنْ وَقْتُ الرِّسَالَةِ فَجَبَّ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْخَلْقِ لِيَكُونَ ذَلِكَ لَهُمَا سُرْعًا إِلَى الْجَوَابَةِ
وَأَدْعَى وَالْقُدْرَةَ الْقَبُولِ فَإِذَا كَانَ مِنَ أَهْلِ الْوَادِ لَا يَظْهَرُ لِلْخَلْقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَالثَّلَاثُ أَنَّهُ يُؤَادُ مِنَ الرِّسَالَةِ أَظْهَرَ مَا فِي الْخَلْقِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَطْرَافِ
ثُمَّ الْأَمْصَارِ وَالْمَدِينِ هِيَ إِلَيْهَا يَتَنَابَسُ النَّاسُ إِلَيْهَا فِي التَّجَارَاتِ وَأَنْوَاعِ الْحَوَاجِّ
مِنَ الْآفَاقِ وَالْأَطْرَافِ فَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي النَّوَاحِي وَفِي أَهْلِ الْآفَاقِ فَمَا
الْبُؤَادِي لَيْسَ يَدْخُلُهَا وَلَا يَتَنَابَسُ إِلَيْهَا إِلَّا الشَّاذَّةُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقَعُ فِيهَا
الْحَوَاجُّ فَلَا يَظْهَرُ فِي الْخَلْقِ الرِّسَالَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَيْ لَمْ يَنْظُرُوا وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا
فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ يَتَكَذَّبُ بِهِمُ الرَّسُولُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَتُهُمْ بِالتَّكْذِيبِ
فِي الدُّنْيَا لِيَتَنَبَّهُوا عَنْ تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا الشُّرَكَ
أَوْ خَلَّاتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ وَخَيْرٌ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَوْلُهُ
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَخُجَّ وَخُصِّينَ أَحَدَهُمَا أَيْ قَدَسَارُوا وَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ لَكِنَّهُمْ عَانَدُوا فَلَمْ يُعْتَبَرُوا وَالثَّانِي عَلَى الْأَمْرِ أَيْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

وَانظُرْ وَالَّذِينَ لَبِثَ عَلَى نَفْسِهِ السَّيْرَ لَكِنِ عَلَى السَّوَالِ عَمَّا تَرَكَ بَاوُلِيكَ الْمَكْذِبِينَ قَوْلَهُ
حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَى الرُّسُلَ وَظَنُوا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا إِيَّائِي أَيْسَرُ لِلرُّسُلِ عَنْ إِيْمَانٍ قَوْمَهُمْ
وَقَصْدُ بَيْتِهِمْ إِيَّاهُمْ ثُمَّ لَحِثُوا اسْتَيْسَى سَهْمٌ عَنْ إِيْمَانِهِمْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا لَمَّا رَأَوْهُمْ مِنْهُمْ
مِنْ كَثْرَةِ الْعِنَادِ بَيِّنَاتُ اللَّهِ وَأَفْرَاطُهُمْ فِي رَدِّ مَا قَامُوا عَنْ إِيْمَانِهِمْ وَالثَّانِي لِحِثِ
أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُمْ بِالْخَبَرِ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ كَقَوْلِهِ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ نُوْحٌ أَنَّهُ لَنْ
يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَآمَنَ لَهُ وَقَوْلُهُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا قَرِي بِالْتَّشْدِيدِ
وَالْتَّخْفِيفِ لَنْ خَفَّتْ صَوْفُ الظَّنِّ إِلَى الْكُفْرِ مَعْنَاهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَى الرُّسُلَ
عَنْ إِيْمَانٍ قَوْمَهُمْ وَظَنَ قَوْمَهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ كَذَّبُوا فِيهَا أَوْ عَدَّ وَامِنَ الْعَذَابِ
أَنَّهُ نَارُكَ بِهِمْ لَمَّا ابْطَأَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَصَارَ رَوَامِكُ وَبَيْنَ يَمِينٍ أَوْ عَدَاخًا هُمْ
نَضَرْنَا وَقِيلَ إِي ظَنَ قَوْمَهُمْ أَنَّ رُسُلَهُمْ كَذَّبُوا فِي خَبَرِ السَّمَاءِ جَاءَهُمْ نَضَرْنَا
وَعَلَى هَذِهِ الْمَدَارَةِ لَا يَجُوزُ صَوْفُ الظَّنِّ إِلَى الرُّسُلِ لَانَّهُ لَحِثُوا أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهُمْ
صَارَ رَوَامِكُ وَبَيْنَ يَمِينٍ أَخْبَرَهُمْ جَبْرِيْلٌ عَنِ اللَّهِ وَأَنَّ كَانَتْ الْمَدَارَةُ بِالْتَّشْدِيدِ وَالظَّنِّ
يَنْصَرِفُ إِلَى الرُّسُلِ أَنَّ الرُّسُلَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا مِنْ جِهَةٍ قَوْمَهُمْ لَكِنِ عَدَاخًا
وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ آتَيْنَا عَنْ إِيْمَانٍ الْكُفْرَ وَظَنُوا أَنَّ
اتَّبَاعَهُمُ الصَّغْفَةَ كَذَّبُوا أَيْضًا لَكِبْرِهِمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الشَّدَايِدِ وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ
وَاسْتَاخَرُوا عَلَيْهِمُ النَّصْرَ فَإِنْ كَانَ هَذَا فَالْمُرَادُ بِالظَّنِّ حَقِيقَتُهُمْ دُونَ الْيَقِينِ
وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ نَضَرَّ اللَّهُ تَرْتِيبًا وَالثَّانِي لِحِثِ
مَنْ أَلْعَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الظَّنِّ الْيَقِينُ إِذَا الرُّسُلُ اسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ فَذَكَرَ يَوْمَهُمْ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْأَعْدَاءِ فَقَدْ جَاءَ الرُّسُلَ نَصْرُ اللَّهِ وَرُوي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ
أَنَّهُ قَالَتْ سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقَالَتْ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَى الرُّسُلَ
وَظَنُوا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا أَوْ كَذَّبُوا أَوْ كَذَّبُوا فَقَالَتْ بَلْ كَذَّبُوا قَوْمَهُمْ فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَقَدْ
اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوا بِهِمْ وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ فَقَالَتْ يَا عُرْوَةُ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بَلْ
فَقَالَتْ فَلَقَلَّ ظَنُّوا أَنَّ فَذَكَرَ بَوَاقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ لَمْ يَكُنِ الرُّسُلُ لَتَظُنُّ ذَلِكَ
بِرَبِّهَا قَالَتْ وَمَا هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ هِيَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوا
وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَاسْتَاخَرُوا عَلَيْهِمُ النَّصْرَ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَى الرُّسُلُ مِنْ كَذِبِهِمْ
مِنْ قَوْمِهِمْ وَظَنُوا أَنَّ اتِّبَاعَهُمْ كَذَّبُوا بِهِمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى فَبَيَّنَّا مَنْ نَشَاءُ إِيَّاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ فِي ظَاهِرِهِ حَبْوٌ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ

أَنَّهُ يَنْبَغِي مَنْ نَشَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَبْوَةِ عَلَى أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ
فَإِنْ كَانَ عَلَى هَذَا مَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مَا نَشَاءُ مِنْهُمْ وَأَهْلَكْنَا مَنْ نَشَاءُ مِنْهُمْ وَجُوزَ مِثْلُ هَذَا
فِي اللُّغَةِ وَلَحِثُوا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَنْ نَشَاءُ فِي الْآخِرَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَلَا يَسْتَوِي
بِأَسْمَاعِينَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ إِيَّاكَ لَا يَدْعُوا ابْنًا إِذَا نَزَلَ عَنْ الْمُجْرِمِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَلَحِثُوا قَصَصَهُمْ قَصَصَ سَيِّدِ
الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْأَمَمِ السَّالِفَةِ جَمِيعًا عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ
إِذَا الْأَعْتَابُ رَأَى مَا كَانَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِالْبَيِّنَاتِ
وَعُقُولُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِي وَلَحِثُوا إِيَّاكَ مَا حَدَّثَ
مُحَمَّدٌ وَمَا أَخْبَرَ مِنَ الْقَصَصِ وَأَخْبَارِ الرُّسُلِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَمَمِ السَّالِفَةِ بِالَّذِي
افْتَرَى إِيَّاكَ أَخْبَرَ مَا كَانَ مِنَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ عَلَى غَيْرِ تَعْلَمُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا دَرَسَةَ
مِنْ كِتَابٍ وَلَحِثُوا مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ بِالَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَرِيَ قَوْلَهُ
تَعَالَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِيَّاكَ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ عَنِّي
رُسُلُ اللَّهِ تَصْدِيقُ الَّذِي كُنْتُ مِنْ قَبْلُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَتَفْصِيلُ
كُلِّ شَيْءٍ إِيَّاكَ تَفْصِيلُ مَا بِالْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَوْلَهُ تَعَالَى وَهَذِي
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي مَا ذَكَرَ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَأَخَوْتِهِ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ دَلَالَةٌ
التَّصْبِيرُ لَهُ عَلَى إِذِي قُرَيْشٍ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَنَّ أَخَوَةَ يُوسُفَ مَعَ مُوَافَقَتِهِمْ إِيَّاهُ
فِي الدِّينِ وَالنَّسَبِ وَالْمَوَالَةِ عَمِلُوا بِيُوسُفَ مَا عَمِلُوا مِنْ الْكَيْدِ لَهُ وَالْمَكْرُ
بِهِ فَعَوَّمَكَ مَعَ مَخَالَفَتِهِمْ إِيَّاكَ فِي الدِّينِ كَيْفَ لَا يَقْدَرُونَ عَلَى الْكَيْدِ بَكَ وَالْقَصْدُ
إِلَيْكَ بِالْإِذِي ثُمَّ هُوَ قَدْ صَبَرَ عَلَى إِذَا هُمْ وَالصَّبْرُ عَنْ ذَلِكَ اسْتِدْقَاتُ أَحْمَرِي بِالْقَبْرِ
عَلَى قَوْمِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ سَقَى رَقِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكُتُبَ يُجْتَنَبُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ الْمَرْكَبَةُ عَنْ جَمِيعِ الْحُرُوفِ
الْمُقَطَّعَةِ الْمُعْجَمَةِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ إِشَارَةً إِلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ إِذْ مِنْهَا
تَأْتِلُ آيَاتُ الْكِتَابِ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ إِنْ يُقَالُ فِي كُلِّ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الْمُعْجَمَةِ أَنْ
يَكُونَ مَا ذَكَرَ مِنْ بَعْدِهَا عَلَى أَرْهَاقِهَا كَأَنَّهُ تَفْسِيرُهَا وَبَعْدَ عَشْرَةِ آيَاتٍ نَبِيَّهِ
أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ الْمَرْكَبَةُ عَنْ الْحَجِّ وَالْبَرِّ وَهَيْئِهَا وَشَأْنِهَا كَتَبَ جَعَلْنَا هَآ آيَاتُ الْقُرْآنِ

وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف المتقطعة على الاستقصاء فيما تقدم والله اعلم
 ثم اختلف في قولهم تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق قال
 بعضهم تلك آيات الكتاب التورية والانجيل وسائر الكتب المتقدمة والله اعلم
 قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك ايضا هو القرآن لكن بقوله
 والذي انزل اليك من ربك الصا خبر انه منزل من ربه وقوله الحق محتمل
 هو الحق اي منزك من الله ليس كما قالت اولئك الكفرة انه ليس من الله انما يقوله
 محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
 قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انه آيات الله وحججه والله اعلم
 قوله تعالى الله الذي رفع السموات قوله رفع السموات اي انشاها
 من نوع لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابداء من نوعه وهو قوله
 والارض ومنعها للانام وقوله وهو الذي مد الارض وقوله واجبال ارسيا
 ونحو ذلك اي انشاها موضع ممدودة لا انها كانت موضوعة ووضعها او كانت
 مقبوضة فبسطها ولكن انشاها كذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها
 وقالت بعضهم هي بعد لكن لا ترونها اي ترونها بغير عمد وان كانت هي بعمد
 وقالت بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر وذلك عليه ظاهر اللفظ ولكن نحن
 نقول اللطف والعجوبة فيما يسكنها بعد لا تترك كاللطف والعجوبة فيما يسكنها
 بغير عمد لان في الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع سقف فيه سعة وبعد بغير
 عمد لا تترك لكن ما يرفع انما يرفع بعد تترك واللطف في هذا كاللطف في الآخر
 وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قالت في آخر الآية لعلم بقاء
 ربكم توقنون اي من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد لقادر على
 اعادة الخلق وبعثهم واحياهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها
 بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فناءه اذ في الشاهد من قدر على اعادة
 اشياء بعد فناءها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من ذا الوجه
 لكن ان حجت والله اعلم قوله تعالى ثم استوي على العرش تعلق الكرامية
 بهذه الآية في اثبات المكان والمشيئة في جواز التشبيه لكن لاجحة لم ينفها فان
 الاستواء المضاف الى الله لا يفهم منه ما يفهم من الاستوي المضاف الى الخلق وهو
 الاستقرار وان كان استواءهم لا ينفك عن الاستقرار هذا كما ان الله تعالى يوصف

٥٦٤
 بأنه سميع بصير عليم مدبر ولا يفهم منه مثل ما يفهم من الخلق من الآيات
 واجوارح وان كانت لا ينفك عنها في الشاهد فكذلك لا يجوز ان يفهم من استوائه
 ما يفهم من استواء الخلق والله الموفق وبعد فان في الشاهد اذ قيل فلان
 استوي على بلد كذا او استوي على بلد كذا لم يفهم منه المكان بل فهم منه نفاذ الامر
 والمشيئة والسلطان فعلى ذلك لم يحسن ان يفهم من الله اذ اضيف اليه الاستواء
 على المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه ليس كمثله في بئذ لا يشبه
 الخلق في كل شيء وكل وجه اذ الخلق في الشاهد ليس يشبه بعضهم بعضا من جميع
 الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة ثم صاروا جميعا اشكالا واشياء ما بتلك
 الجهة التي تقع بها بينهما التشابه فاذا الله تعالى لما اخبر انه ليس كمثله شيء
 دلل انه انما يفتي عنه الجهات التي تقع بها التشابه وانما يخالف الخلق من جميع
 الوجوه فلو كان متمكنا بالمكان كسائر الخلق لبيئت التشابه من هذا الوجه وانه
 يخالف للنسب القاطع والله الموفق وهذه المسئلة مذكورة فيما تقدم ثم اختلف
 في العرش المذكور ههنا قالت بعضهم العرش اريد به المتخون من الخلق
 اي استوي تدبير انشأ غيرهم من العالم بهم اي تم ذلك بهم لانهم هم المقصودون
 في انشاء ذلك كله وقالت بعضهم اريد بالعرش البعث به استوي تدبير
 انشاء الخلايق اي بالبعث ثم انشاء العالم حكمة ما لولا البعث يكون انشاء اياهم
 عبثا باطلا كقولهم انما خلقناكم عبثا وانكم اينا لا ترجعون اخبر الله
 لولا الرجوع لكان انشاء الخلق عبثا فجعل عدم الرجوع اليه علما على انشاء الخلق عبثا
 تعالى الله عن ذلك وقالت بعضهم العرش هو الملك وبه تم ما ذكر وقيل العرش
 هو سيرة الملك قوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مستقري
 تقدم ذكره قوله تعالى يدبر الامر اي يدبر الامر على ما في العقل انه عن تدبير
 مدبر خرج وعن علم وحكمة وضع ليس على الجزاء بل لا تدبير ولا علم قوله تعالى
 نفصل الآيات حتم نبين الحجج والبراهين ويحتمل نفصل الآيات اي آيات
 القرآن اي انزلها بالتفريق لا بجموعة قوله تعالى لعلم بقاء ربكم توقنون
 هو ما ذكرنا ان فيما ذكر من الآيات والتدبير ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث
 والاحياء بعد الموت والله اعلم وقوله بقاء ربكم توقنون ما ذكرنا في قوله اليه
 مرجعكم جميعا وقوله يومهم يادرون وقوله واليه المصير وامثاله والله اعلم

قوله تعالى وهو الذي مَدَّ الارض وقال في آية اخرى والارض بعد
ذلك دَجَاهَا وقال في موضع والارض كيف سطحت وقالت الذي جعل
لكم الارض فداشوا وقالت الذي جعل لكم الارض مهاداً ايذكركم عز وجل فله
التي انعمها عليهم مَدَّ الارض وبسطها ثم قوله مَدَّ الارض اي انشاها ممدودة
لا انها كانت مجموعة في مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء ونحو قوله تعالى
وجعل فيها رواسي ذكر اهل التأويل ان الارض بسطت على الماء فكانت تكفي
بأهلها وتضطرب كما تكفي السفينة فأرسلها بأجبال المقالب فاستقرت
وبقيت وذكر ايضا انها مدت وبسطت على الهواء ثم اثبتتها بما ذكرت من اجبال
ولكن الامر لو كان على ما ذكره كان محتمل ان لا يكون بأجبال ثباتها واستقرارها
لان الارض والجببال من طبيعتهما التسفل والاخذار في الماء والهواء فكما زيد
من ذلك النوع كان التسفل والاخذار اكثر وان يد فلا يكون بها الثبات والاستقرار
بل انما يكون الاستقرار والثبات بشئ من طبيعته والعلو والارتفاع فيمنع ذلك
الشئ الذي طبعه العلو عن التسفل والاخذار الا ان يقال انها كانت لا تسفل
ولا تترسب ولكن تضطرب وتزيد بأهلها على ما ذكره وجعلنا في الارض رواسي
ان متيد بهم فان كان على هذا فيكون في الجبال ثباتها واستقرارها ومنعها عن
الاضطراب والميلان ويحتمل انه انما ذكر هذا ليعلم لطيفه وقدرته حيث امسكها
عن التسفل والاخذار ليس من طبيعته التسفل والاخذار وقصيته الطباع
سرعة الاخذار الا امسكها والاستقرار ليعلم قدرة الله ولطيفه في كل شئ ويعلم
بطلان قول اهل الطبع والله اعلم قوله تعالى وانها را احبوا انه مَدَّ الارض
وبسطها وجعلها مستقرة بالله ليقروهم عليها ثم احبوا انه جعل فيها انهارا لينتفعوا بها
من جميع انواع المنافع قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
احبوا انه جعل في الارض من كل الثمرات زوجين وقالت بعض اهل التأويل
زوجين اثنين اي جعلها ذواتين وقالت بعضهم ذواتين لكن هذا ضعيف فان
الثمار تكون منها الوان كثيرة اكثر من اثنين احمر وابيض واصفر واسود واخضر
ويحذر لك وكذلك الطم لها اكثر من اثنين فمنها حامض وحلو ومُر ومَدَّ الارض
ان يقال زوجين اثنين الطيب والخبث حيث يتناول الكل فانه ليس بين الخبث
والطيب واسطة اخرى ولا ثالث لهما والله اعلم وقالت بعضهم زوجين اثنين

الذكر والانثى ولكن هذا انما يصح اذا اراد الاصول والاشجار التي تخرج منها
الثمار فاما نفس الثمرات لا تكون ذكر وانثى فاما يصح هذا في الاشجار ايضا
فان منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر فالذي يثمر هو انثى والذي لا يثمر هو ذكر واما
على غير هذا لا يصح والاصل في هذا ان الزوج من له المقابل ايا من الاشكال
او الاضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشئ واحد
وفي حق انفسهم كالاضداد فالزوجان يكون اسماء الاشكال والامثال
واسماء الاضداد ايضا والله اعلم ويجعل قوله جعل فيها زوجين اثنين منقطعاً
عن قوله ومن كل الثمرات وعلى التأويل الاول اراد بالزوجين في الثمرات
والله اعلم قوله تعالى يغشي الليل النهار اي يذهب ظلمة الليل بضوء
النهار وضوء النهار بظلمة الليل او يلبس احدها صاحبه او يعطي بالليل ما هو بالنهار
بأدب يظاهرها للخلق وبالنهار ما هو مسطور خفي على الخلق والله اعلم قوله
تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ذكر ان الآيات انما تكون آيات لهم
بالتفكر والنظر فيها لا ان تصير آيات بالبداهة والله اعلم او نقول ان منفعة
الآيات تكون لمن تفكر فيها الا لمن تفكر فيها لا لمن ترك التفكير والتأمل وان كانت
بأنفسها آيات والله اعلم ثم فيما ذكر من اول السورة من رفع السموات بغير عمد
ولتخبر الشمس والقمر ومَدَّ الارض وجعل الجبال رواسي ويحذر لك
دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة ودلالة الوحدة ليقوم
يتفكرون في آياته وحججه لا لقوم يقايدون آياته ويكابرونها ثم فيما ذكر من مَدَّ الارض
وبسطها واشباتها بالرواسي التي ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا الي الانبعاث وحيث
احدها ذكر على طريق بيان النعم عليهم حيث انعم عليهم مَدَّ الارض وبسطها
واشباتها بالرواسي وجعل الانهار فيها والثمرات لينتفعوا بها فاستنادي بذلك
شكراً والثاني يذكر بحق الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل
فيها شئ على خلاف الماء وسائر المائيات ثم احبوا انه ادخل فيها اجبال مع كثرتها
وعظمتها بقوله وجعل فيها رواسي والله اعلم قوله تعالى وفي الارض قطع
متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ذلك قوله
قطع متجاورات ان التجاور انما يذكر ويطلق اذا كانت الارض قطعاً كل قطعة
متميزة عن الاخرى بعلامه فاما اذا كانت الارض ارضاً واحدة فانه لا يقال فيها

التجاور ولا يستعمل هذا الاسم وان كانت اجزاءها على الحقيقة متجاورة
لان الله تعالى اثبت في الارض قطعاً متجاورة ولم يجعل كل الارض متجاورة فهذا
يبطل قول من يقول ان التجاور يذكر فيما فيه الشبهة فنجبت الشبهة فيما
فيه الشبهة ولحمد الاجازة في الورد في التجاور على السريكة وهذه الآية تدل
على ان التجاور والجوار انما يكون عند كون الارض قطعاً وذلك لا يكون حال
الشبهة والله اعلم ثم قول قطع متجاورات وجنات من اغواب القطع
المتجاورات هن الارضون الصواهي الذي تصلى للذرع وقوله وجنات
من اغواب اي جنات متجاورات ايضاً وهي الارض المحفوفة بالشجر التي فيها
الوان الثمار والكرم والتخيل وهي التي تسمى البساتين ثم قول صفوان وغير
صفوان قيل الصفوان هي الحالات في اصل واحد وغير صفوان التخيل
المتفردة وقيل الصفوان ما كان اصله واحداً وهو متفرق وغير صفوان
التي نبتت وحدها وتتل الصفوان هي النخلة يخرج فاذا خرجت الشعبة
بعد خروج الاصل ولهذا قيل عمر الرجل صفوانه هو مذكور ثم قوله ليس في
بما واحد اي ليس في ما ذكر من النخل والزرع والاغواب والجنات
قول تعالى ونفصل بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جوهر
الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هي مختلفة في حق الثمار
والفواكه وكذلك الاشجار والتخيل كلها من جوهر واحد ومن جنس واحد
والارض في جوهرها واحدة ويسمى كلها بماً واحداً ثم يخرج مختلفة في الوانها
وطعومها وخبثها وساطرها فيعلم انها لم تكن بنفسها ولا بالاسباب التي جعلت لها
ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانه لو كانت بانفسها وطباعتها او بالاسباب
لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن لون واحد
ولا طعم واحد ولا منظر واحد دلل ان كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف
فيبطل به قول الثورية واهل الطبع والله الموفق ثم اختلفت في تاويل قوله
ونفصل بعضها على بعض في الاكل قال بعضهم تفصيل بعضها على بعض المثل يكون
بعضها اكثر من بعض حملاً وبعضها يحمل وبعضها لا يحمل ولكن عندنا ما ذكرنا
انه تفصيل بعضها على بعض في الطيب والخبث والطعم واللون والمنظر والله اعلم
قول تعالى ان في ذلك لايات اي دلالات على وحدانيته وتدبيره

وعلم وحكمته قول تعالى لقوم يعقلون اي لقوم همتهم العقل والعلم
والنظر والتفكير في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم يفتنون بفعلهم
وعلمهم والله اعلم قال الحسن هذا مثل ضرب به الله عز وجل لقلوب بني آدم
كانت الارض في الاصل طينة واحدة فسطحها الرحمن جل وعلي ثم تطحها فصارت
الارض قطعاً متجاورة فنزل عليها من السماء ماء فتخرج هذه ذهبها ومثرتها
وسحرها وتخرج نباتها ونجى موائها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكلناها تسقى
بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكروا فترت
قلوبهم فتخشعوا وخضعوا ونقصوا قلوباً فلهوا ولتسها وتخفوا ثم قال الحسن والله
ما جالس القرآن احداً الا ما قام من عنده بزيادة او نقصان ثم تلى قوله تعالى
ونزل من القرآن ما هو بشعارة ورحمة للؤمنين ولا يزيده الظالمين الا خساراً
قول تعالى وان تعجب فاعجب قولهم قال الحسن وان تعجب يا محمد من كذبهم
اياك في الرسالة فاعجب قولهم حيث قالوا اذ اكلنا من ايماننا في خلق جديد
وقال بعضهم في قوله وان تعجب فاعجب قولهم اي ان تعجب يا محمد فيما اوحينا
اليك من القرآن كقولهم في الصافات بل عجبنا ولنجزون فاعجب قولهم اي فاعجب
قولهم اي ليكن قولهم عجب عندك حين قالوا اذ اكلنا من ايماننا في خلق جديد
تكذيباً للبعث واصله والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك
ولم يكن منك اليهم حقيقة الهداية والنعمة والايات والحج وانما كان منك البينات
والدعوات فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله تعالى على البعث وقولهم في الله سبحانه
وتعالى ما قالوا اما لا يليق به بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم
او يقال والله اعلم بقول انك ان عجبنا قولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم تكن
رسولاً من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب
اذ قد رأوا وشاهدوا من قدرة الله وآياته ما لو تفكروا واداموا ولم يمانوا واعرفوا
انه قادر على ذلك كله او يقال وصفهم الله تعالى بالعجز وقولهم انه لا يقدر على البعث
والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة ولم يكن سبق منك اليهم ما وجب
رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعترفهم قدرته على ذلك كله وعلى
الكشف منه والله اعلم قول تعالى او ليكن الذين كفروا يسمونه ان يكونوا
ما كفروا بالبعث كان كفروهم بالبعث كفر اباة تعالى لانهم عرفوه عاجزاً حيث قالوا

لَا يَعْشُرُ رَجُلِي بَعَثَ الْخَلْقَ وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ عَاجِزًا فَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الرَّبَّ الْحَقِيقَةَ وَالْأَلَهُ
الْحَقِيقَةَ قَوْلُ تَعَالَى وَارْزُقُوا لِكُلِّ الْغُلَّالِ فِي عَنَاقِبِهِمْ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ صَارَ
الْكُفْرُ فِي عَنَاقِبِهِمْ أَغْلًا لِأَحْيَا أَنْكَرُوا الرِّسَالَةَ فِي الْبَشِيرِ ثُمَّ جَعَلُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ
مَعْبُودًا هُمْ يَعْبُدُونَهَا وَتَخَضُّعُونَ فَلَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَشِيرِ رَسُولُ قَالَتْ
أَمْرُهُمْ أَلِيَّ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ هُودُونَ الْبَشَرِ أَلَهُةً وَهُمْ الْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ
فَذَلِكَ صِيرُورَةُ الْغُلَّالِ فِي عَنَاقِبِهِمْ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ أَوْ لِكُلِّ الْغُلَّالِ فِي عَنَاقِبِهِمْ
فِي الْآخِرَةِ كَقَوْلِهِ خَذَرَهُ فَعَلُوهُ قَوْلُ تَعَالَى وَارْزُقُوا لِكُلِّ الْغُلَّالِ فِي عَنَاقِبِهِمْ قَالَتْ
خَالِدُونَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَيْسْتَ تَجْعَلُونَكُمْ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ الْإِسْتِغْثَالُ
عَلَى وَجْهَيْنِ يَسْتَعْمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْنَانِ أَحَدُهُمَا لَطَبُ الْفَعْلِ وَالثَّانِي فِي نَفْسِ
الْفَعْلِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَظَاهِرُهُ وَأَمَّا الثَّانِي فَكَقَوْلِهِ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ أَيْ أَجِبْ
لَكُمْ وَقَوْلُهُ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي أَيْ فَلْيَجِيبُوا لِي وَقَوْلُهُ وَلَيْسْتَ تَجْعَلُونَكُمْ قَارِنًا كَانَ عَلَى طَلَبِ
الْفَعْلِ هُنَا مَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ الْعَذَابَ كَقَوْلِهِ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ وَقَوْلُهُ
أَنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَبَدَأُوا
بِسُؤَالِهِمُ اللَّهَ لَا كَقَوْلِهِمْ سَأَلُوهُمُ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ وَأَمَّا هَلْ وَتَأْخِيرُ
الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَأَمَّا هَلْ مِنْ الْحَسَنَةِ فَاسْتَعْمَلُوا هَذَا قِيلَ هَذَا وَإِنْ كَانَ
عَلَى نَفْسِ الْفَعْلِ فَقَوْلُهُ لَيْسْتَ تَجْعَلُونَكُمْ أَيْ تَجْعَلُونَكُمْ يَا مُحَمَّدُ بِالسَّيِّئَةِ إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
مِنْهُمْ إِلَيْكَ حَسَنَةً حَيْثُ يَكْذِبُونَكَ فِي الرِّسَالَةِ وَيُؤْذُونَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ
إِلَيْكَ إِحْسَانٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أَعْلَمَ ثُمَّ سَأَلُوهُمُ السَّيِّئَةَ وَالْعَذَابَ يَكُونُ لِحَبْلِهِمْ بِأَنَّهُمْ
رَسُولٌ وَأَنَّهُ صَادِقٌ مِمَّا يَخْبِرُونَ لَانَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ رَسُولٌ وَأَنَّهُ صَادِقٌ مِمَّا يَخْبِرُونَ وَيُوعِدُ
مِنْ الْعَذَابِ كَمَا نَوَّالَ الْإِسْنَانِ الْعَذَابَ لَا يَنْهَمُ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْدِرُ عَلَى أَنْ
يُنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابَ لَكِنْ سَأَلُوا ذَلِكَ لِحَبْلِهِمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ سَأَلُوا اسْتِزْجَارًا وَسُخْرِيَةً
فَإِنْ كَانَ عِلْمُهُمْ أَنَّ هَذَا سَأَلُوهُمُ كَانَ فِيهِ دَلَالَةٌ أَنَّ الْعُقُوبَةَ وَالْعَذَابَ قَدْ تَلَزَمَ مِنْ جَهْلِ
الْأُمَّةِ إِذَا كَانَ بِسَبِيلِ الْعِلْمِ بِهِ بِالْظُّهُرِ وَالتَّفَكُّرِ وَهُوَ لَا يَجْهَلُونَ أَنَّهُ رَسُولٌ
لَتَرْكِبِهِمُ الظُّهُرَ وَالْإِسْتِدْلَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ تَعَالَى وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ
قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ الْعُقُوبَاتُ أَيْ قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ خَلَالِيَةِ الْعُقُوبَاتِ بِسُؤَالِهِمُ الْعَذَابَ
وَالْمَعَانِي فِي الْآيَاتِ إِذَا جَارَتْ كَانَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَبْرِ رَسُولِهِ عَلَى سَفَهِ قَوْمِهِ بِسُؤَالِهِمُ
الْعَذَابَ وَالْآيَاتِ الْمُقْتَرَحَةِ ثُمَّ الْمَعَانِي دُونَهَا مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ كَانُوا

إِذَا سَأَلُوا مِنَ الرِّسَالِ الْعَذَابَ وَالْآيَاتِ ثُمَّ عَانَدُوا فِي قَبُولِهَا يُنْزِلُ بِهِمُ الْعُقُوبَاتُ
فَعَلَى ذَلِكَ بِهِمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَالَتْ بَعْضُهُمُ الْمَثَلَاتُ الْأَمْثَالُ وَالْأَشْبَاهُ وَكَذَلِكَ
ذَكَرَ فِي حَرْفِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَمْثَالُ وَتَأْوِيلُهُ
أَيْ وَقَدْ مِثْلُهُمُ الْأَمْثَالُ مَا لَوْ اعْتَبَرُوا بِهَا كَانَ مَثَلَهُمْ وَلَكِنْ لَا يَعْتَبِرُونَ
لِيُعْلَمَ عَنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ تَعَالَى وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ
لِلنَّاسِ عِظَاهُمْ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ لَذُو اسْتِغْرَافٍ عَلَى ظَلَمِهِمْ وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ أَلِيَّ
وَقَدْ كَقَوْلِهِ إِنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَقَوْلُهُ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ
مَعْدٍ وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ إِذَا عَاقَبْتَ وَخَشِيتُ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو
مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عِظَاهُمْ إِذَا تَابُوا وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ إِذَا مِثْلُهُمْ يَتُوبُونَ عَنِ
ظَلَمِهِمْ أَيْ الْكُفْرَ أَيْ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ عِظَاهُمْ وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ
الْعِقَابِ لِلْكَافِرِ قَوْلُ تَعَالَى وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْهِ
آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ قَالَتْ فِي مَوْضِعٍ آخِرٍ فَلْيَأْتِنَا
بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ قَالَتْ فِي آيَةِ آخِرَةٍ لَنْ يُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْرِلَنَا
مِنْ الْأَرْضِ يَبْشُرُكَ الْآيَةُ فَيَجْتَمِعُ سَوَاءُ أَلْيَاتِ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ عَيْنِ
تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا الرِّسَالُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِعَيْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ
أَنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِأَنَّهُ مَخْرُجٌ عَنْ عَرْمِهِمْ وَطَبَاعِهِمْ إِذَا الرِّسَالُ جَمِيعًا بِأَنْوَاعِهَا
سَوِيٍّ مَا جَاءَ بِهِ الْآخِرُ فَقَالَتْ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ لَيْسَ عَلَيْكَ ذَلِكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ
وَلَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ لَيْسَ إِلَيْكَ الْآيَاتُ وَاحْتِرَافُهَا
وَلَا تِلْكَ آيَاتُهَا كَمَا قَالَتْ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَقَالَ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي
مَا تُسْتَعْتَجَلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَخُذْ لَكَ أَوْسَا لَوْ الْآيَاتُ
سُؤَالَ عِنَادٍ لَدَيْهَا هَلْ كَانَتْ عَلَى مَا فَعَلَ الْأَوَّلُونَ فَقَالَتْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ قَدْ عَفِيَ
هَذِهِ الْأُمَّةُ عَنْ إِحْصَاءِ آيَاتِ وَأَنْتَ هَلْ لَدَيْهَا هَلْ كَانَتْ هَلْ كَانَتْ سَوَاءُ أَلْيَاتِ
كَأَنَّمَا يُدِينُ لَانَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ عَلَى اثْبَاتِ رِسَالَتِهِمْ وَأُظْهَرَتْ مَا كَانَتْ لَكُنْهُمْ
يَعْنِي نَذِيرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ تَعَالَى وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ أَيْ دَلِيلٌ يُدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ
وَدِينِهِ كَقَوْلِهِ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ غَرَمَ اخْتِلَافُوا فِي ذَلِكَ الدَّاعِي قَالَتْ
بَعْضُهُمْ هُوَ اللَّهُ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ كُلُّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ هُوَ دَلِيلٌ
سَوِيٍّ النَّبِيُّ وَقَالَتْ الْبَاطِنِيَّةُ هُوَ أَيْ مَا يَكُونُ مَعْصُومًا مِثْلَ النَّبِيِّ لِيَلْإِيْذِغَ عَنِ الْحَقِّ

وَلَكِنْ عِنْدَنَا مَعْصُومًا كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَإِنْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَنْبَغُ مِنَ الذِّبِّ وَلَعَرَفَ بِهِ مَنْ
زَاغَ عَنِ الْحَقِّ أَوْ زَلَّ فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِيَّامٍ مَعْصُومٍ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْتَمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ قِيلَ أَنَّهُ أَوْ ذَكَرًا مُشْتَوِيًا أَوْ غَيْرَ مُشْتَوِيًا فَإِنْ
قِيلَ لَوْ قَالَتِ الْمَخْجُودَةُ هَذَا دَعْوَى مَا الَّذِي يَعْلَمُنَا أَنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ قِيلَ اتِّسَاقُ تَذْيِينِ
فِيهِ وَلَطِيفُهُ يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ ذَلِكَ فِيهِ حَيْثُ رُبَاهُ فِيهِ وَانْشَاءُ مُشْتَوِيًا سَلِيمًا عَنِ
الْأَقَاتِ عَلَى اسْتِوَاءِ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا لَا يَكُونُ بَعْضُهَا أَلْبَسَ وَأَعْظَمَ وَبَعْضُهَا أُنْقَصَ وَبَعْضُهَا
أَمَّ بَحْوَالِ الْعَيْنَيْنِ تَرَاهُمَا مُسْتَوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ فِي أَحَدٍ مَادُونَ الْآخَرِ يَتَرَبَّعُوا
الْكُلَّ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ وَكَذَلِكَ الْبِدَائِنُ وَالرَّجُلَانِ وَالْأَذْنَانِ
وَأَمْثَالُهَا فَدَلَّتْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمِ الْمُنْشِئِ لَهَا وَالتَّدْبِيرِ وَانَّهُ لَا خَفِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ أَيُّ وَيَعْلَمُ مَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ أَدَلُّ مَا خُتِلَفَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَتْ عَامَّةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ
أَيُّ مَا تَنْقُصُ عَنِ السَّعَةِ الْأَشْهَرِ وَمَا تَزْدَادُ أَيْ عَلَى السَّعَةِ الْأَشْهَرِ وَقَالَتْ
أَحْسَنُ عَيْضُوهُ الرِّحْمُ أَنْ تَنْقُصَ لِسَعَتِهِ أَشْهَرُ أَوْ تَزِيدَ أَشْهَرُ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَمَا
زَادَ عَلَى سَعَةِ أَشْهَرٍ وَفِي حَرْفِ إِلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْتَمِلُ كُلُّ لُغَةٍ وَمَا
تَضَعُ لَمْ عِنْدَ تَحْتَمِلُ قَوْلُهُ وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ أَوْ جَوْهَا أَحَدَهَا أَيْ مَا
لَا تَحْتَمِلُ شَيْئًا وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ عَقِيمًا لَا تَلِدُ وَالْعَيْضُوهُ تَكُونُ ذَهَابَ الشَّيْءِ
قَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْضُ الْمَاءِ أَيْ ذَهَبَ وَمَا تَزْدَادُ أَيْ مَا تَحْتَمِلُ وَالثَّانِي
تَحْتَمِلُ وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ تَلِدُ بَدُونَ الْوَقْتِ الَّذِي تَلِدُ النِّسَاءُ وَمَا تَزْدَادُ
عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي تَلِدُ النِّسَاءُ وَالثَّلَاثُ تَحْتَمِلُ وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ أَوْ
يَرْجِعُ إِلَى زِيَادَةِ عَدَدِ الْأَوْلَادِ وَنَقْصَانِهِمْ مَا تَحْتَمِلُ وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ
وَتَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي زِيَادَةِ قَدَرِ نَفْسِ الْوَلَدِ وَنَقْصَانِهِ لَنْ مِنَ الْوَلَدِ مَا يُصِيبُهُ
فِي الْبَطْنِ آفَةٌ فَلَا يَبْذُلُ بَزْدَادَ لَهُ نَقْصَانٍ وَمِنْهُ مَا يَجُودُ أَوْ يَزْدَادُ مَا لَهُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ أَيْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُقَدَّرٌ بِالْقَدْرِ
لَيْسَ عَلَى الْجُرَّاتِ عَلَى مَا يَكُونُ عِنْدَ الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُ بِتَقْدِيرٍ وَتَدْبِيرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ
وَلَكِنْ هُوَ عَالِمٌ بِالَّذِي يَغِيبُ عَنِ الْخَلْقِ وَيَشْهَدُ الْخَلْقَ أَيْ مَا يَغِيبُ عَنِ الْخَلْقِ
وَمَا يَشْهَدُ وَهُوَ عِنْدَهُ مَحْجِلٌ وَاحِدٌ فِي الْعِلْمِ بِهِ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

أَيُّ عَالِمٌ مَا غَابَ بِنَفْسِهِ وَمَا شَهِدَ بِنَفْسِهِ فَالْغَايِبُ بِنَفْسِهِ هُوَ مَا لَمْ يُوجَدْ
بَعْدَ وَلَمْ يَكُنْ وَالشَّاهِدُ مَا قَدْ وُجِدَ وَكَانَ يَعْلَمُ مَا لَمْ يُوجَدْ بَعْدَ أَنَّهُ يُوْجَدُ
أَوْ لَا يُوْجَدُ فَإِذَا وُجِدَ كَيْفَ يُوْجَدُ وَمَتَى يُوْجَدُ وَبِمَتَى أَيْ وَقْتُ يُوْجَدُ
وَمَا وَجْهَهُ وَشَهِدَ يَعْلَمُ شَاهِدٌ مَوْجُودًا عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ بِجُوزِ أَنْ يَخْرُجَ
الْآيَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى الْكَبِيرُ الْمَتَعَالَى أَيْ الْمَتَعَالَى عَنْ جَمِيعِ مَا
تَحْتَمِلُهُ الْخَلْقُ يَقَالُ فِي الشَّاهِدِ هَذَا عَظِيمُ الْقَوْمِ وَكَبِيرُهُمْ وَهَذَا وَاحِدٌ
رُبَّمَا نَهُ وَلَا يَقْنُونَ بِهِ عَظِيمَ النَّفْسِ وَكَبِيرُهُ أَوْ يُوْجَدُ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ
وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ نَفَاذُ الْأَمْرِ لَهُ وَالْمُشْتَبِهَةُ فِيهِمْ وَالْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَذَلِكَ
الْخَلْقُ وَالْخَضُوعُ لَهُ فَعَلَى ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ مَا وَصِفَ هُوَ بِهِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعَظَمِ مَا
يَفْهَمُ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ عَظَمِ الْجِسْمِ وَكِبَرِ النَّفْسِ وَعَلَى هَذَا أَنَّهُ وَصِفَ بِأَشْيَاءَ
لَا تَحْتَمِلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ يَقَالُ فِيهِ أَوْ صَافِيَهُ أَنَّهُ أَوَّلُ وَآخِرُ وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ
وَعَظِيمٌ وَلَطِيفٌ وَمِثْلُ هَذَا إِنَّمَا يَوْصَفُ مِنَ الْخَلْقِ إِذَا مِنْ قِيلَ لَهُ فِي الشَّاهِدِ
أَنَّهُ عَظِيمٌ لَمْ يَشْكَلْ أَنَّهُ لَطِيفٌ وَمِنْ قِيلَ أَنَّهُ أَوَّلُ لَمْ يَقُلْ أَنَّهُ آخِرُ وَكَذَلِكَ
الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ إِذَا وَصِفَ بِأَحَدِهِمَا انْتَفَى عَنْهُ الْآخَرُ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ
يَمَا وَصِفَ الْيَهُودُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ أَيْ
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ فِي نَفْسِهِ فِي حَالِ انْفِرَادِهِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ لِعَظِيمِهِ
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ أَيْ مُسْتَتِرٌ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ظَاهِرٌ
بِالنَّهَارِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ أَيْ سَاكِنٌ بِاللَّيْلِ فِي مَقَرِّهِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ أَيْ مُتَصَرِّفٌ وَمُتَقَلِّبٌ بِالنَّهَارِ فِي حَوَاجِهِ وَقَالَتْ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ أَيْ مَنْ يَكُونُ فِي الشَّرَبِ بِالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةُ صِلَةُ مَا تَقْدَمُ
وَهُوَ قَوْلُهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْتَمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامُ وَيَعْلَمُ أَيْضًا مَا
تَزْدَادُ وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لِقَوْلِ أَيْضًا وَيَعْلَمُ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ كَانَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ أَيْ يَعْلَمُ كُلُّ شَيْءٍ لَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عَمَلٍ سِرًّا مِنَ الْخَلْقِ أَوْ عَمَلٍ ظَاهِرًا مِنْهُمْ يَذْكُرُ هَذَا لِيَكُونَ لَوَاعِظًا
خَاصًّا مِنَ الْمَعَاجِيزِ لِأَنَّ مَنْ عِلْمُ أَنْ عَلَيْهِ رَقِيبًا حَفِيفًا يَكُونُ أَحْضَرًا وَخَوْفَ
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَتْ مُقَاتِلٌ أَيْ سَوَاءٌ مِنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

من اسرار القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف بالليل وسار به
بالنهار اي هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل او هو منتشر بتلك المعصية
في النهار معلن بها فقل ذلك كله عند الله سواء **قوله** تعالى له مقربات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اختلج في تاويل قوله له مقربات
قالت بعضهم هو الامر او الشرط الذين يحفظونه في طواهر من امره
حيث اذا علموا منه بشي مما هو مخرجهم من الشرع يفتقرونه على ذلك ويعذبونه
اخر تعالى انه كما هو محفوظ عليه الطواهر من امره فهو محفوظ عليه الخفيات
من امره حيث قال سواء منكم من اسرار القول ومن جهر به الآية اخبر
انه يعلم ذلك كله ومحفوظ عليه الطواهر من امره تأكيد المحضر عن المعاصي
المحتفية عن الناس وقالت بعضهم مقربات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك
روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لستم تعلمون فيكم عند صلوة
الصبح وعند صلوة العصر **قوله** من بين يديه ومن خلفه لخميد وجوها
يقبل اي الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمن وعن
الشمال قعيد وقال بعضهم بين يديه لخميد الخيرات والحسنات ومن خلفه
الشرور والسيئات ويحتمل بين يديه ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما
اخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل بين يديه ما ميع من الوقت
ومن خلفه ما بقي وقوله يحفظونه من امر الله اي يحفظون نفسه من البلايا
والنكبات التي تنزل على بني آدم فان كان المراد حفظه نفسه فقوله من امر الله
اي من عذاب الله وبلاياه ويحتمل يحفظونه من امر الله اي يحفظون
اعماله بامر الله وفي ذلك تذكير احد امرين احدهما يذكر نعمة اليه انعمها عليهم
من اول حالها الي آخر ما ينتهون اليه ليتنادي بذلك السكريم ليشتد يوم
تلك النعم بذلك ابدا ما كانوا والشاني يذكرهم على جميع احوالهم وانعما لهم
ليكونوا ابدا على حضرة من معاصيهم واخلاف له اما نعمة فاذا ذكر له مقربات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله واما علمه هو بما ذكر الله يعلم ما
يحمل كل اية في الآية والله اعلم قال ابو عبيدة المعقبات الحفظة الذين يحفظونه
بامر الله فقالت عقبتنه اي حفظته وقوله لا معقبات لحكمه اي لا راد لحكمه قال
ويقال في غير هذا اعقب فلان فلانا اي ذهب هو وجاء هذا او يقال عقبت

اي رجعت وما خذها من العقب ويقال رجع على عقبيه اي من حيث جاء
وقالت القتيبي معقبات ملائكة يعقب بعضهم بعضا في الليل والنهار
اذ امضى فريق حمله فريق اخر يحفظونه من امر الله اي بامر الله والله اعلم
قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يشبه ان
يكون هذه النعمة نعمة الدين رسول او قد آن او ما كان من امر الدين لا يغير
ذلك عليهم الا بتغيير يكون منهم من تقريظ وتصير ويخوذ لك كقوله
ثم انصرفوا صرث الله قلوبهم وقوله فلما ذاعوا ازاع الله قلوبهم ولحمهم ان
يكون ذلك في النعمة الدنيوية من العصاة والسلامة والمال لا يغير عليهم
الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبياء عليهم السلام قد كانوا ابلاوا
بشد آيد وبلايا ولا يحمي ان يكون منهم البداية في التغيير قتل ابدل لهم
مكان النعمة حين منها يكون ذلك في المعنى استدامة تلك المعنى تقديرا مع
حصول الزيادة لان ذلك تغير النعمة حتى يقال كيف يتغير بلا تغيير
منهم والله اعلم ثم النعم التي لها حق الحدود والتجذد من الطاعات وافعال
الخير يكون التغيير عليهم حال اختيارهم اصداد ذلك فيعثر عليهم تلك النعم
لمنع التوفيق والعصاة واعطاء الخذلان وما كان من النعم بما له بقاء من
الاموال والاعيان او ما له حكم الدوام تجدد امثاله بحيث لا ينقطع مثل
السلامة والذهن والفهم ويخوذ لك يكون التغيير من الله من وجود التغيير
منهم بصدور تلك النعم في غير مواضعها وبلا امتناع عن قضاء حق الشكر لها
والله اعلم **قوله** تعالى واذا اراد الله بقوم سواء فلا مرد له الآية
تزد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الله تعالى لا يريد الا ما هو الاصلح
لهم في الدين وقد اخبر انه اذا ارادهم سواء فلا مرد له ذلك انه قد يريد بهم
السواء اذا غيبتهم ما انعم الله عليهم بتغيير ذلك عليهم والمعتزلة يقولون ملك
الخلق دفع سواء اراده الله عنهم واذا اراد اخير فلا يكون رد ذلك فلا ناد لفضله
واذا اراد الله بقوم سواء فلا مرد له والله اعلم **قوله** تعالى وما لهم من دونه
من وال اي ليس لهم من دفع العذاب الذي اراد بهم ولان يدفع عنهم او نصير
ينصرونهم كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله والي
معني ولي مثل قارر وقدير وحافظ وحفيظ وقوله هو الذي يريكم البسوت

خَوْفًا وَطَمَعًا أَيُّ مَخَوِّفًا وَمُطِمِّعًا أَوْ يَخَاوُنُ وَيَطْمَعُونَ قَالَتْ أَهْلُ النَّارِ يَوِيلُ
خَوْفًا لِلْمُسَائِرَةِ وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ وَيَتَلَخَوْفًا أَهْلُ الْبَنِيَانِ وَطَمَعًا أَهْلُ الْأَنْزَالِ
وَعِنْدَ نَارِيطَمَعُونَ وَخَاوُنُونَ قَوْمٌ وَاحِدٌ يَطْمَعُونَ نَفْعَهُ فِي وَقْتِ الْمُنْفَعَةِ وَيَخَاوُنُونَ
صُرَّهَ فِي وَقْتِ تَزْوِيلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَتَمَ وَجْهًا آخِرًا إِيَّاهُمْ خَوْفًا
مَوْعُودًا وَطَمَعًا مَوْعُودًا الْآنَ فِي الْبَرْقِ نَوْرًا وَنَارًا قَالُوا لَوْ يَطْمَعُ الْبُورُ الْمَوْعُودُ
فِي الْمَوْعُودِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَخَوُّنُ النَّارَ الْمَوْعُودَةَ فِي الْآخِرَةِ لَآبَ فِيهَا نَارًا
الْآنَ زِيَانُهُ إِذَا اسْتَدَاخَرَتْ مِنْ أَمَانِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيُنْشِئُ
السَّحَابَ الثِّقَالَ إِيَّاهُ يَرْفَعُ السَّحَابَ الثِّقَالَ إِلَى فِيهَا الْمَطَرُ وَالْمَاءُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
لُشَاتُ السَّمَاءِ إِذَا ارْتَفَعَتِ الْعِيمُ فِيهَا وَنُشَاةُ الْعِيمِ نُشُوًا وَيُقَالُ نُشَاةُ ارْتَفَعَتْ
وَالنُّشَاةُ إِيَّاهُ يَرْفَعُ وَيُقَالُ انْشَأَ اللَّهُ إِيَّاهُ اخْتَرَعَهُ وَقَالَ انْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ إِيَّاهُ
خَلَقَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِيُسَبِّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ اخْتَلَفَ فِي الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ قَالَتْ
بَعْضُهُمُ الرَّعْدُ هُوَ اسْمُ مَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ صَوْتُهُ تَسْبِيحُهُ وَعَلَى
ذَلِكَ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَجُلًا سَمِعَهُ يَقُولُ اقْتُلَ الْيَهُودَ إِيَّاهُ السَّبِيحُ فَقَالُوا
يَا أَبَا الْقَاسِمِ اخْبُرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ قَالَتْ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ
مَعَهُ مَخَارِيقٌ مِنْ نَارٍ لَيَسُوفُ بِهَا السَّحَابُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالُوا إِنَّا
هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْنَا قَالَتْ زَجَرَهُ السَّحَابُ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ
أَيُّوُنَ فَقَالُوا صَدَقَتْ فَإِنْ بَيَّنْتَ هَذَا هُوَ هُوَ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَيَّلَ عَنِ الرَّعْدِ
وَالْبَرْقِ فَقَالَ الرَّعْدُ الْمَلِكُ وَالْبَرْقُ ضَرْبُ السَّحَابِ بِمَخَارِيقٍ مِنْ حَدِيدٍ
وَقِيلَ الرَّعْدُ مَلِكٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا رَجَمَ السَّحَابَ بِتَسْبِيحِهِ وَلَسَوْتُ فَإِذَا اشْتَدَتْ
سَحَابُهُ ضَمَّهَا فَإِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ طَارَتْ مِنْ فِيهِ النَّارُ فِي الصَّوَاعِقِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ
الرَّعْدُ هُوَ الْبَرْقُ الَّذِي تَسُوفُ السَّحَابُ فَإِذَا تَرَاكَ السَّحَابَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْفَعًا صَوْتٌ
فَذَلِكَ صَوْتُهُ وَقَالَتْ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ الرَّعْدُ اصْطِكَاكُ الْأَجْرَامِ فَخَذَتْ
بِذَلِكَ هَذَا الصَّوْتُ كَالْحَجَرِ لِيُصْطَكَّ الْمَجْمُوعُ قَالَتْ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ إِنَّمَا هُوَ رُوحٌ
يَحْتَبِقُ تَحْتَ السَّحَابِ فَيَضِدُّهُ وَتَشَقُّهُ فَذَلِكَ الصَّوْتُ مِنْهُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ الرَّعْدُ مَلِكٌ وَالْبَرْقُ سَوْطُهُ الَّذِي يَزِجِي السَّحَابَ وَقِيلَ
إِنَّمَا هَذَا أَكْثَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَلَيْسَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ حَاجَةٌ سِوَى أَنَّهُ هُوَ
هَاطِلٌ يَهْوِي الْخَلْقَ وَيُذَكِّرُهُمْ سُلْطَانَهُ وَعَظَمَتَهُ وَلَوْلَا أَنَّ الْخَلْقَ اعْتَادُوا ذَلِكَ

وَالْأَلَمَ يَقُمُ أَنْفُسَهُمْ لِسَمَاعِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِي كَيْفِيَّةِ تَسْبِيحِ الرَّعْدِ فَإِنْ كَانَ
الرَّعْدُ هُوَ الْمَلِكُ فَكَانَ تَسْبِيحُهُ مِثْلَ تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَةِ وَإِنْ كَانَ عَيْنُ الْمَلِكِ تَسْبِيحُهُ
هُوَ تَذَكُّرُ النَّاسِ عَظَمَةِ اللَّهِ وَسُلْطَانَهُ فَيَسْبَحُونَهُ وَيُزَكِّرُونَهُ تَعَالَى بِذَلِكَ
وَصِفَاتِهِ وَقِيلَ نَحْنُ أَنْ الرَّعْدَ إِيَّاهُ كَانَ الْمَلِكُ أَوِ الرَّجُلُ أَوْ خَوْفُهُمَا فَالتَّسْبِيحُ
يَحْتَمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا أَحْبَبَ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ قَالَتْ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ
لِخَلْقِهِ ثُمَّ لَحْتُمُ التَّسْبِيحَ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا تَسْبِيحُ نَارِهِ جَعَلَ فِي حَلَّتِهِ كُلِّ شَيْءٍ وَبَرَاءةٍ
مُنْشِئَةٍ عَنْ كُلِّ مَا وَصَفَتْهُ الْمَخْدُوبَةُ وَدَلَالَةٍ الْوَهْمِيَّةِ وَرَبُّوهُ بَيْتُهُ وَتَوْحِيدُهُ
وَحْتَمُ التَّسْبِيحِ بِالْقَوْلِ أَيْضًا فَإِنَّهُ جَعَلَ فِي سَوْتِهِ كُلِّ شَيْءٍ تَسْبِيحًا وَتَنْزِيلًا بِهِ
يَحْيِي لَمْ يَفْهَمُ الْخَلْقَ وَلَا يَسْمَعُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
إِيَّاهُ الْمَلَائِكَةُ تَسْبَحُ مِنْ خِيفَةِ الرَّعْدِ ثُمَّ خَوَّنَ الْمَلَائِكَةُ خُورَجِيًا وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا
إِيَّاهُ خَوْفًا مِنْ عَقُوبَتِهِ أَيْاهُمْ وَلَا يَنْهَ فَذَكَرَ فِيهِمُ الْوَعِيدَ إِذَا زَكُوا أَقُولُ لَهُ
وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ إِيَّاهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ يَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ
وَالنَّاسِ فِي خَوْفِ هَيْبَةٍ وَجَلَالٍ لَا خَوْفَ عَقُوبَةٍ وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَتَعْنَمُ
بِالطَّاعَةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ يَقُولُ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَلَا نَهَى قَوْلُهُ سُبْحَانَ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ وَخَوْفُ ذَلِكَ ثُمَّ خَوْفُ الْهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ لَا يُزُولُ سِيْرُهُ
الْآخِرَةُ وَخَوْفُ الْعَقُوبَةِ يَزُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ فَيَلْصِقُ الصَّاعِقَةُ الَّتِي بِهَا تَمُوتُ الْبَعْضُ وَيَذْهَبُ
عَقْلُ الْبَعْضِ كَقَوْلِهِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ لِي أَسْمُهُ
الْعَذَابِ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَذَكَرْنَا بَعْضَ الْأَخْبَارِ أَنَّ رَجُلًا إِيَّاهُ النَّبِيُّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الرَّبِّ تَعَالَى فَجَارَتْ صَاعِقُهُ فَأَخْرَقَتْهُ
فَنَزَلَ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ جَادِلُونَ فِي اللَّهِ إِيَّاهُ
تَوْحِيدَ اللَّهِ لِأَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ كُلَّهُمْ كَانَتْ جَادِلَتُهُمْ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَوَّلُ وَهْمِيَّةٍ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ سُدِّي الْمَخَالِيقِ قَالَتْ بَعْضُهُمُ إِيَّاهُ سُدِّي الْأَنْتِقَامِ الْعَقُوبَةِ
وَقِيلَ سُدِّي الْقُوَّةِ وَقِيلَ سُدِّي الْأَخْذِ وَقَالَ الْقَبِيحُ الْمَخَالِيقِ الْكَيْدِ
وَالْمَكْرُ وَأَصْلُ الْمَخَالِيقِ الْخَيْلَةُ لَكِنْ سُمِّيَ بِاسْمِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ جَزَاءُ الْخَيْلَةِ نِيكُولُ
لِتَسْمِيَةِ جَزَاءِ السَّيَةِ سِيَّةً وَجَزَاءُ الْأَعْتَادِ أَعْتَادٌ وَالْكَيْدُ وَالْمَكْرُ هُوَ مَا ذَكَرْنَا
الْأَخْذَ مِنْ حَيْثُ الْأَمْنُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَخَالِيقُ عِنْدَ كَيْدِ

مِنَ الْمَكْرُ وَاللَّهِ اعْلَمْ قَوْلِي لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ لِحَقِّهِ وَجْهَيْنِ مُحْتَمِلَيْنِ لَهُ
عِبَادَةُ الْحَقِّ وَلَيْسَ لِمَنْ دُونَهُ الْعِبَادَةُ لِحَقِّهِ اَيُّهُمُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ لَيْسَ مِنْهُمْ
يُعْبَدُ دُونَهُ بِالَّذِي لِحَقِّهِ الْعِبَادَةُ فَعِبَادَةُ الْحَقِّ لِحَقِّهِ لَيْسَ لِمَنْ دُونَهُ وَالثَّانِي لَهُ
دَعْوَةُ الْحَقِّ اَيُّهُمُ لِحَقِّهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ لَيْسَ يَمْلِكُ مَنْ دُونَهُ اجَابَةٌ مِنْ دَعْوَةِ
بِالْحَقِّ فَعَلِيَ التَّائِيْلُ بِالْاَوَّلِ الدَّعْوَةُ الْعِبَادَةُ وَعَلِيَ التَّائِيْلُ الثَّانِي الدَّعْوَةُ
الاجَابَةُ اَيُّهُمُ لِحَقِّهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهُوَ يَمْلِكُ ذَلِكَ قَائِمًا مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ بَدْلَ
عَلَيْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى اَثَرِهِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا سَمْعَ لَهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا
اَيُّهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ اجَابَةً وَلِحَقِّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَا يَأْمُلُونَ مِنْ
عِبَادَةِ الصُّنَامِ فَكُلُّهُمْ مِثْلُهُمْ مَا ذَكَرَ الْكَاسِبُ كَقِيَمَةِ اِلَى الْمَاءِ فَيَدْعُوا الْمَاءَ
فَمَا لَا يَحْيِيهِ الْمَاءُ وَاِنْ دَعَا فَعَلِيَ ذَلِكَ مَنْ يَدْعُوا الصُّنَامَ لَا يَمْلِكُونَ اجَابَةً
وَاللَّهُ اعْلَمْ وَحَقِّهِ اِنْ يَكُونُ وَجْهٌ مُضَرِبٌ هَذَا الْمَثَلُ اِنْ مِنْ عِبَادِ دُونَ اللَّهِ اَوْ دَعَا
مِنْ دُونِهِ لَيْسَ الْكَاسِبُ كَقِيَمَةِ اِلَى الْمَاءِ وَهُوَ عَلَى بَعْدِ مِثْلِهِ فَمَا لَا يَصِلُ هُوَ اِلَى
الْمَاءِ لَا يَصِلُ مِنْ عِبَادِ دُونَ اللَّهِ اِلَى مَا يَأْتِيهِمْ وَيَطْعَمُ وَحَقِّهِ وَجْهًا آخَرًا وَهُوَ
اِنْ الْمَاءُ لَمْ يَعْتَرَفْ اِذَا قُبِضَ الْكَلْبُ وَلَا سَبِيلُ اِلَى الْاَعْتِرَافِ اِذَا سَبَطَهُ فَعَلِيَ
ذَلِكَ مِنْ عِبَادِ دُونَ اللَّهِ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلِي لَهُ تَعَالَى وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ اِلَّا
فِي ضَلَالٍ اَيُّ دَعَاؤِهِمْ وَعِبَادَتُهُمْ لَمْ تَعْقِبْ لَهُمُ الْاِحْسَارُ فِي الْآخِرَةِ بَلْ يَصِلُ
ذَلِكَ كُلُّهُمْ لَا يَصِلُونَ اِلَى مَا يَأْمُلُونَ بِالْاَعْيَادِ وَالْعِبَادَةِ كَقَوْلِهِ وَصَلَتْ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ لِيُخْذَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا مُحْتَمِلٌ قَوْلُهُ لِيُخْذَ عَلَى حَقِّقَةِ السُّجُودِ فَارْتِجَاجُهُ لِحَقِّهِ الْمُؤْمِنُ
وَالْكَافِرُ جَمِيعًا اَمَّا الْمُؤْمِنُ فَارْتِجَاجُهُ بِالْاِخْتِيَارِ وَالطَّوْعِ وَالْكَافِرُ لِسُجُودِهِ
فِي حَالَةِ الضُّرِّ وَرَدِّ كَرْهًا فِي حَالِ الشَّدَّةِ وَالضَّيْقِ وَحَقِّهِ اِنْ الْمُؤْمِنِينَ
لِيُجِدُوا لَهُ طَوْعًا طَوْعًا عَقِيلًا لَا طَوْعَ كَرْهٍ وَيَكْرَهُونَ سُجُودَهُ كَرَاهَةً الطَّبْعِ
لَا كَرَاهَةً الْعَقْلِ اِذَا النَفْسُ وَالطَّبْعُ يَأْتِي كُلُّ مَا فِيهِ مَشَقَّةٌ وَاللَّهُ اعْلَمْ وَحَقِّهِ
اِنْ يَكُونُ سُجُودُ الْكَفَّارِ لِهَيْئَةٍ اَوْ طَوْعًا حَيْثُ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُزِيلُوا
اِلَى اللَّهِ زُلْفًا وَقَالُوا هُوَ لَا يَسْفَعُ اَوْ نَاعِزُهُمْ اِنَّهُمْ اِنْ عُبِدُوا اِلَّا صُنَامٌ مَر
فَيَسْرُونَ الْعِبَادَةَ وَالسُّجُودَ لِلَّهِ تَعَالَى لَكِنَّهُ لَمْ يُشْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ لَأَشْرَافِهِمْ
فِي عِبَادَتِهِ ثُمَّ مُحْتَمِلٌ مَا ذَكَرَ مِنَ السُّجُودِ وَجْهًا اَحَدًا حَقِيقَةَ السُّجُودِ فَإِنْ كَانَ

هَذَا هُوَ التَّائِيْلُ مِنْهُنِ الْمُتَحَنِّينِ الْمُكَلِّفِينَ خَاصَّةً وَالثَّانِي مُحْتَمِلٌ سُجُودِ الْخَلْقِ
فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ هَذَا مِنْهُنِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ اِذْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ كُلِّ شَيْءٍ
دَلَالَةً وَحَدَانِيَةً وَالْوَهْيِيَّةَ وَالثَّلَاثَ مُحْتَمِلٌ سُجُودِ الْاَحْوَالِ مِنْهُنِ الْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ جَمِيعًا اَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ لِيُخْذَ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاَمَّا الْكَافِرُ فَارْتِجَاجُهُ لِحَقِّهِ
فِي حَالِ الشَّدَّةِ وَالضَّيْقِ وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلِي لَهُ تَعَالَى وَظَلَّاهُمْ بِالْعُدُوِّ
وَالْاَصَالِ مُحْتَمِلٌ اَيُّ لِيُخْذَ ظَلَّاهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْاَصَالِ اَيْضًا يَنْتَقِلُ ظِلُّ كُلِّ
اَحَدٍ بِاَنْتَقَالِ نَفْسِهِ وَلِحَقِّهِ سُجُودِ خَلْقِهِ وَهُوَ الْخَضُوعُ يَخْضَعُ لَهُ مِنْ سَمَوَاتِ
السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَفِي هَذَا الْخَلَائِقِ كُلُّهُمْ سِوَا مَنْ بَشَرٍ
وَعَبِيدِ الْبَشَرِ ذِي الرُّوحِ وَعَبِيدُ الرُّوحِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَظَلَّاهُمْ بِالْعُدُوِّ
وَالْاَصَالِ اَيُّ ظَلَّاهُمْ يَخْضَعُ اَيْضًا وَتَعْلَمُ رُبِّي كُلِّ شَيْءٍ دَلَالَةً وَحَدَانِيَةً وَعَظَمَتُهُ
فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى الْخَضُوعِ بِالْعُدُوِّ وَالْاَصَالِ فَتَلُوجُهُمْ اَحَدًا يَرْجِعُ
اِلَى الضَّلَالِ اَيُّ اِنْهَا لِيُخْذَ بِالْعُدُوِّ وَالْاَصَالِ لَانِ الضَّلَالَةَ تَنْظُرُ بِالْعُدُوِّ
وَالْاَصَالِ وَالثَّانِي يَرْجِعُ اِلَى جَمِيعِ مَنْ ذَكَرَ ذَكَرَ الْعُدُوِّ وَالْاَصَالِ لَيْسَ عَلَى
مُسَوَادِ الْوَقْتِ وَلَكِنْ يَرَادُ بِهِ الْاَبَدُ وَالْاَوَّلُ اَيُّ لِيُخْذَ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ فِي الْاَوْقَاتِ كُلِّهَا وَاللَّهُ اعْلَمْ قَوْلِي لَهُ تَعَالَى قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ قُلْ اللَّهُ اَمْرُهُ تَعَالَى اِنْ يَشَاءُ الْكُفْرَةَ وَيَقُولُ لَهُمْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ ثُمَّ اَمْرُهُ اِنْ يَشَاءُ لِيُخْذَ رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ هُوَ اللَّهُ
وَالْاَشْكَالُ اِنْ هَذَا فِي الظَّاهِرِ دَعْوِي فَكَيْفَ يَكُونُ جَوَابًا لَهُمْ لَانِ هَذَا اِنْ
كَانَ فِي الظَّاهِرِ دَعْوِي لَكِنْ مَقْدُونٌ بِالْحَاجِّ اَيُّ مَا ذَكَرَ لَا يَمْلِكُونَ لَانْفُسِهِمْ نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُهُ خَلَقُوا الْخَلْقَ وَخَوَّذَ لَكُلِّ لَانْفُسِهِمْ يَتَدَوَّنَ بِهَذَا اِنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ
لَخَلْقِهِ وَلَا يَمْلِكُونَ دَفْعَ وَجْهِ الشُّعْ وَاللَّهُ اعْلَمْ ثُمَّ قَوْلُهُ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ اَمْرُهُ اِنْ يَشَاءُ لَهُمْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلَمْ يَقُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
هَذَا اِقْنُوقُلْ اَمَّا اَمْرُهُ اِنْ يَشَاءُ لَهُمْ مَا لَا يَتَحَسَّرُونَ اِنْ يَقُولُوا الصُّنَامُ لِيُخْذَ
يُعْبَدُ وَهِيَ اَرْبَابُ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ فَلَا بُدَّ اِنْ يَقُولُوا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْاَرْضِ يَدْخُلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ اِذَا السَّمَوَاتُ وَالْاَرْضُ
اِنَّمَا خَلَقَهَا لَاهِلِهَا فَاِذَا كَانَ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ كَانَ رَبُّ مَا فِيهَا فَكَانَ
قَوْلُهُ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ فِي الْمَعْنَى قُلْ مَنْ رَبُّكُمْ عَلَى هَذَا التَّدْرِجِ

وَالْحِكْمَةُ فِي ذِكْرُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا وَاللهُ اعْلَمُ وَقَالَتَ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللهُ أَمْرُهُ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ بَدَلُكَ وَأَمْرُهُ أَيْضًا أَنْ لَيْسَ لَهُمْ
بِالْحُجَابِ لِأَنَّهُ هُوَ السَّابِقُ بِكُلِّ حَيْثُ فَإِنَّهُمْ يَجِيبُونَ أَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَيْلَهُ حُورٌ أَتَى وَبَنُ مَسْعُودٍ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حَيْثُ قَرَأُوا قُلْ مَنْ
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالُوا اللهُ وَهُوَ هَكَوْلَهُ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ
لِيَقُولَنَّ اللهُ فَذَلِكَ أَنَّهُ أَمْرُهُ أَنْ سَبَقَهُمْ بِالْإِجَابَةِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ السَّابِقُ عَلَى كُلِّ
حَيْثُ وَاللهُ اعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى قُلْ أَتُخَذُ تَمَرِينَ دُونَهُ أَوْ لِيَاءَ يَقُولُ وَاللهُ اعْلَمُ
إِذَا أَتَرْتُمْ أَنَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ اللهُ وَهُوَ الْآلَهُ فَكَيْفَ اتَّخَذَ تَمَرًا
مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامُ الْهَيْئَةُ وَارْبَابًا وَعِبَدًا مَوْحَا أَوْ جَعَلْتُمْ مِنْ لَيْسَ هُوَ بِرَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَوْ لِي بِالْعِبَادَةِ لَهُ مِثْنُ أَتَرْتُمْ أَنَّهُ رَبُّهَا وَاللهُ اعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَنْفَعُوا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِنْ أَذَى لَا يَمْلِكُونَ نَفْعًا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْهَا فَكَيْفَ يَمْلِكُونَ نَفْعَ غَيْرِهِ أَوْ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْ غَيْرِهِ وَعَدَمُ نَفْعِهِمْ
أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ ذَلِكَ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْمَالِكُ لِذَلِكَ فَكَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادَةَ مَنْ
يَمْلِكُ ذَلِكَ وَأَقْدَمْتُمْ عَلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِحُجُوجِ تَأْوِيلِ الْآيَةِ عَلَى وَجْهَيْنِ
نَقُولُ لَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَنْفَعُوا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فَكَيْفَ اتَّخَذَ تَمَرًا مَوْحَا الْهَيْئَةُ دُونَ اللهِ
وَالثَّانِي لَا يَمْلِكُونَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا مَعَ وَجُودِ الْحَاجَةِ فِيهَا فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ عَلَى
رَجَاءِ النِّفْعِ تَكُنْ يَقُولُكُمْ هُوَ لَا شَفْعَاءَ نَاعِنْدَ اللهِ وَاللهُ الْهَادِي قَوْلَهُ
تَعَالَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
إِنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَ هِيَ الْأَعْمَى لَا تَبْصُرُ شَيْئًا وَاللهُ هُوَ الْبَصِيرُ
فَكَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادَةَ مَنْ يُبْصِرُ وَعَبَدْتُمْ مَنْ لَا يُبْصِرُ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
إِنْ لَا يَسْتَوِي ذَلِكَ أَوْ يَقُولُ لَهُمْ أَنْتُمْ بَعَادَتُكُمْ الْأَصْنَامَ ظَمِعْتُمْ شَفَاعَتَهُمْ
عِنْدَ اللهِ وَهُمْ عَمِي وَأَنْتُمْ بَصَرًا هَلْ رَأَيْتُمْ أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا فِي السَّابِقِ وَهَلْ
رَأَيْتُمْ مَنْ لَا يُبْصِرُ يَكُونُ دَلِيلًا لِبَصِيرٍ فَإِذَا الْم تَرَوْهُ فَكَيْفَ ظَنَنْتُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ ذَلِكَ
وَقَالَتَ أَهْلُ التَّائِيلِ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ الْأَعْمَى الْكَافِرُ وَالْبَصِيرُ
الْمُؤْمِنُ وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ الظُّلُمَاتُ الْكُفْرُ
وَالنُّورُ الْإِيمَانُ وَوَجْهَهُ قَوْلُهُمْ فِي تَشْبِيهِ الْكُفْرِ وَالنُّورِ الْإِيمَانُ وَوَجْهَهُ قَوْلُهُمْ
فِي تَشْبِيهِ الْكُفْرِ بِالظُّلُمَاتِ وَالْإِيمَانُ بِالنُّورِ لِأَنَّ الظُّلْمَةَ تَحْجُبُ وَتَشْتَرِكُ كُلُّ شَيْءٍ وَالنُّورُ

يُزِيلُ ذَلِكَ الْحُجَابَ وَذَلِكَ السُّتُورَ فَالْإِيمَانُ لَهُ دَلَالِيلٌ وَحُجُجٌ تَرْفَعُ تِلْكَ الْحُجُبَ وَالسُّتُورَ
فَتُتَوَرَّعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَالْكَفَرُ لَيْسَ لَهُ حُجُجٌ وَدَلَالِيلٌ تَرْفَعُ ذَلِكَ هُوَ ظُلْمَةُ الْبُصْرَةِ لَيْسَ
شَيْئًا وَالْإِيمَانُ لَهُ نُورٌ حَيْثُ نُورُهُ كُلُّ شَيْءٍ بِالْإِيمَانِ وَالْحُجُجُ فَصَارَ الْكَافِرُ كَالْأَعْمَى
لَا يُبْصِرُ شَيْئًا لِأَنَّهُ فِي الظُّلْمَةِ وَالْمُؤْمِنُ كَالْبَصِيرِ لِأَنَّ مَعَهُ دَلَالِيلٌ يُبْصِرُ بِهَا
كُلُّ شَيْءٍ وَاللهُ اعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا الْخَلْقَ فَتَشَابَهَ
الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ إِنْ خَلَقَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامَ إِلَى عِبْدِهِمْ وَأَشْرَكُوا مَا فِي الْأَوْهِيَةِ
لِخَلْقِ اللهِ فَتَشَابَهَ عَلَيْهِمْ خَلْقُهُ مِنْ خَلْقِ الْأَصْنَامِ إِنْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئًا
كَأَنَّ خَلْقَ اللهِ فَكَيْفَ أَشْرَكُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَالْأَوْهِيَةِ وَهُمْ أَفْسَرُوا
أَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا يَنْقُضُ عَلَى الْمَعْتَزِلَةِ قَوْلَهُمْ حَيْثُ قَالُوا أَنَّ اللهَ
تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ أَفْعَالِهِمْ وَهُمْ خَلَقُوا مَا عَلَى زَعْمِهِمْ
فَيَكُونُ مَوْضِعَ تَشَابَهٍ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ عَلَى قَوْلِهِمْ فَذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِمْ وَاللهُ اعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى قُلْ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ إِنْ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ
تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَالْأَصْنَامُ الَّتِي تَعْبُدُونَ هِيَ مَقْهُورَةٌ مَغْلُوبَةٌ وَاللهُ اعْلَمُ
قَوْلَهُ تَعَالَى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاجْتَمَعَتْ
السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا إِنْ أَخَذَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَمْثَالِ إِلَى قَوْلِهِ كَذَلِكَ يُضَرْبُ اللهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الْبَاطِلُ الَّذِي بُدِيَ فَهُوَ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ هَذَا مِثْلُ صَنْدُوبِ اللهِ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ وَالشُّكَّ فَاحْتَمَلَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ
عَلَى قَدَرِ يَقِينِهَا وَسَكُونِهَا فَأَمَّا الشُّكُّ فَلَا يَنْفَعُ مِنْهُ عَمَلٌ وَأَمَّا الْمُتَّقِينَ فَيَنْفَعُ اللهُ
بِهِ أَهْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ فَأَمَّا الَّذِي بُدِيَ فَهُوَ جُفَاءً وَهُوَ الشُّكُّ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْيَقِينُ وَكَأَنَّ جَعَلَ الذَّهَبَ فِي النَّارِ فَيُؤَخِّدُ خَالِصَةً وَيَتْرَكُ
خَبَثَهُ فِي النَّارِ كَذَلِكَ يَقْبَلُ اللهُ الْيَقِينَ وَيَتْرَكُ الشُّكَّ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَقَالَتَ قَتَادَةُ قَوْلَهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا الصَّغِيرُ
لِصَّغِيرِهِ وَالْكَبِيرُ بِكِبَرِهِ إِي الْوَادِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ فَاحْتَمَلَتْ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا إِي عَالِيًا
وَمِمَّا تَوَقَّعُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ وَبَدِثُوا كَذَلِكَ يُضَرْبُ اللهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الَّذِي بُدِيَ فَهُوَ جُفَاءً وَاجْتَمَعَتْ بِهَا السَّيْرُ مِنَ النَّارِ وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ صَنْدُوبِ الْمِثْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَقُولُ وَاللهُ اعْلَمُ
كَأَنَّ حُلَّ هَذَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى فُوتِ الْمَاءِ فَصَارَ جُفَاءً لَا يُنْتَفَعُ بِهِ وَلَا يَرْجَى

بركته كذا كذا بضم الباء طيل عن اهله كما اضحل هذا الذي بدو كما مكث هذا
الماء في الارض وقد ارضها فامرت له ورجيت بركته واخرجت الارض
له نباتها كذا لك يبع الحق لا يهله كما بقي هذا الماء في الارض ونما وقدون
عليه في النار ابتغاء حلية نقول كما بقي خالص هذا الذهب والفضة حين ادخل
في النار وذهب خبثه كذا لك يبقى الحق لا يهله وقوله او متاع زبد مثله
يغنى بالمتاع الحديد والصفير والسببه ونحوها التي يمتنع بها ومنها منافع نقول
كما بقي خالص هذا الحديد وهذا الصفير حين ادخل النار وذهب خبثه كذا لك
يبقى الحق لا يهله كما بقي خالصها والله اعلم قال الحكيم قوله انزل من السماء
ماء وهو القرآن فاحتمله القلوب بأهواءها ذوا اليقين على قدر يقينه وذو الشك
على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وخفا فاما هو الحق والاولوية
هي القلوب والسيل الاهواء والذبد الباطل وكذا لك المتاع والحلية
هو الحق قال كذا لك يضرب الله الحق والباطل واما الذي بدو فيذهب خفا
واما ما ينفع الناس فيمكن في الارض فالزبد وخبث الحلية وخبث المتاع
هو الباطل من اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيمة
لا ينتفع به واما الماء والحلية والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه ينتفع به
فكذلك صاحب الحق يوم القيمة ينتفع به والله اعلم وقال الحسن وهو قول
مقاتل ضرب الله مثل الايمان والكفر ومثل الحق والباطل فقال انزل
من السماء ماء فساقت اودية بقدرها سال الوادي الكبير على قدر كبره والواهي
الصغير على قدر صغره فاحتمل السيل زبدا رابيا اي غاليا ثم قال وتما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية اي حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع اي السببه
والحديد والصفير والرماس وقوله زبد مثله اي للذهب والفضة والسببه
والحديد وخبث زبد مثله زبد الماء اذا ادخل النار وذا لك الذي بدو وخبث
يما لا ينفعه اهله في الدنيا واما ينفع الماء والحلي والمتاع فكما لا ينفع الزبد وخبث
الحلي وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع اهله في الآخرة فكذلك
يضرب الله الحق والباطل اي هكذا يضرب الله اي يبين الله ما ذكر من مثل
الحق والباطل وقوله فاما الذي بدو فيذهب خفا قال يعني يا بسا لا ينتفع به
واما ما ينفع الناس من الماء فيمكن في الارض فيستقون ويزرعون به وينفقون

فهذه ثلثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد وذلك قوله كذا لك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم احسنى نقول هكذا بين الله
تعالى الامثال والاشباه للذين استجابوا لربهم احسنى اي اجابوا لربهم
في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسني لهم وهي الجنة في الآخرة ضرب الله تعالى
مثل الايمان والحق ووصفها بالثبات والقدر الطيب بالارض الطيبة
مرة وبالشجرة الطيبة ثابتا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة
والشجرة الخبيثة ووصفها بالخبيث والذهاب فقال مثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء الآية وقال ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقالت والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وضرب مثل المؤمن مترة
بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقالت مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات
ومرة بالزمان والموت ومثل الايمان بالنور والحيات ونحو هذه
الامثال التي ضرب الله لخرج كلها مخرج الدعوي في الظاهر اذ ليس فيها
بيان الحق من الباطل وبيان الحق من غير الحق سيوي ان فيها هل يستوي
ذا مع ذا وهل يستوي الطيب الخبيث او البصير الاعمى او الميت الحي والظلمات
النور وامثاله هذا كله غير مستوي وكل اهل الاديان وان اختلفت
مذاهبهم نقول كل انا الذي عليه هو الحق والذي عليه غيري هو الباطل
وينبغي كل عن نفسه العمى والاصم وكونه في ظلمة ويدعي كونه في النور ونحوه
فليس في نفس الامثال التي ضربت بيان الحق من الباطل والحق من غيره
ولكن يعرف بغيرها بالادلة والحق والبراهين وهو ما ذكره تلك الامثال
لضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فبالادلة والحق والبراهين يعرف
الحق من الباطل والحق من غير الحق والايمان والحق نوح ودلائل يعرف
ذوا العقول بالعقول حسنه وطيبه وما يعقب من ثمرته وبين قبح الكفر
والباطل وما يعقب لاهله من ثمرته والله اعلم وقال النبي زبدا رابيا
اي غاليا على الماء ابتغاء حلية اي حلي او متاع آتية من فلان الارض وجواهرها
مثل الرصاص والحديد ونحوهما من الذهب والفضة ولها حيث يقلوها

اذا اذيت مثل ربد الماء واجفأ ما رمي به الوادي الى جنباته يقال
اجفأت القدر بربد ما اذا القت ربد ما عنها وقالت ابو عبيدة رابيا
اي مؤتفقا فون ظر الماء وهو واحد ويقال ربد الماء اذا صار له
ربد وقوله ابتغى حلية من الذهب والفضة بما يتخلى به وقوله
فيذهب جفأ اي باطلا لا ينفذ به وقال الجفأ الفناء ويقال قد اجفأ
الوادي اذا علا ذلك ثم جري به الماء واما الجفأ فهو اظهار التقاون في الانسان
وقلة الاكتراته والاسخفاف به وقالت ابو عبيد الجفأ الجمود يذهب
الي ان الربد يجمع على الماء ثم يذهب بجأها وقالت العمدة فيذهب جفأ
اي يذهب سريعا كما جاء قال الشيخ رحمه الله وليس به ان يكون المثل
الذي ضرب بالماء هو للدين وهو ان الدين الحق الذي انزل من السماء
واحد لكن الناس اتخذوا اديانا متفرقة ومذاهب مختلفة لقولهم
وان هذا اصير اطي مستقيما فابتغوه ولا تتبعوا السبل والدين الذي امر
باتباعه وسلكه واحد وهو كما لما الذي انزل واحد صاف وهو الاصل فحدث
منه اشياء لا يعاب بها ولا يكثر ثقل ذلك السبل الحق واحد والله اعلم
وان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا انزل من السماء انزل
طيبا عذبا لكن اختلف الوان وطعومه باختلاف الارض بعينه خرج ما لحسا
اجاغا وبعضه منرا وبعضه عذبا فالذي ينتفع به واحد وهو العذب فعلى
ذلك الدين الذي ينتفع به واحد والبواقي لا ينتفع بها كالمياه المرة والمالحة
والله اعلم او ان يكون غيب هذا ونحن لا نعرفه والله اعلم قوله تعالى كذلك
يصير الله الامثال للذين استجابوا لربهم الجسني اي اجابوا ربهم فيما دعاهم
وانما دعاهم الى دار الاسلام بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي من
يشاء الى صيرة اطمئنتهم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم في الاجابة والسر
فمن اجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسن الذي ذكر ومن رد دعاه كان
له النار ودار الهوان فايها اختار فله الموعود الذي وعد ان اختار اجابته
الى ما دعاه فله النعيم الدائم الذي وعد ودار السلام وان اختار الرد وترك
الاجابة فله ما وعد من العذاب الدائم والهوان والامثال التي ذكرها للذين
استجابوا لربهم هو هكذا للمؤمنين لانهم هم المستفعون بها وكذلك ما ذكر من القرآن

انه هدي ورحمة وشفاء ونحوه اي هدي ورحمة للمؤمنين فاما على اهل الكفر
فهي عني وضلال قال الله تعالى وليشقى صدور قوم مؤمنين ويذهب
غيط قلوبهم واما قلوب الكفار فكما ذكر في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
وقالت واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا الى رجسهم وامثال ذلك
والله اعلم قوله تعالى الذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لا فتد وابه يذكر هذا والله اعلم ان الذي كان منهم عن الاجابة
الي ما دعاهم رغبتهم في هذه الدنيا وميلهم اليها يتمنون بما يلحل بهم من العذاب
والشد آيد ان يكون لهم ما في الارض جميعا ومثله معه حتى لا يفتد وابه
لو قتل منهم والله اعلم قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب اي
يحاسبنون حسبا بالسوم لان حسنا تم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها
لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذي ذكر الله كسراب بقيقه يحسبه الظمآن
ما يحسب اذا اجتاره لم يجد شيئا ولم يجاوز عن شياهم قوله تعالى وما فهم
جهم وببيت المقدس الذي ياوون اليه هو جهنم وبيت المقدس لما يسوم ذلك
والله اعلم قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كن هو اعني
اي من يعلم الحق حقا كمن هو يهي عنه ولا يعلم او من يعلم الحق انه حق كمن يعلمه
باطلا ليس بسوار وهو كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
قوله تعالى انما يتذكروا لو الا لباب اي انما يتذكروا بالتذكير لا ولي الا لباب
واووا العقول الذين ينتفعون بعقولهم والباب بهم ثم بين من هم فقال الذين
يوفون بعهد الله لمحتل عهد الله عهد خلقه يوفون ما في خلقهم من العهد اذ
في خلقه كل احد دالة وحدانية الله وشهادة الوهية وحكمته فوناه ذلك
العهد ومحتل عهد الله ما جري على السن الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما
ذكر في آية اخري واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما ايتكم من كتاب وحكمة
الآية وقال واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية قوله
تعالى ولا ينقضون الميثاق والعهد واحد وسمي العهد ميثاقا لانه يوثق
بالماء ومنعه عن الاستغفار بعينه والله اعلم قوله تعالى والذين يصلون
بما امر الله به ان يصل الصلاة التي امر الله تعالى بها ان تصل على جهات
ومراتب اما منه وبين المسلمين ان لا يحبهم الا ما يحب لنفسه ولا يفيهم

الآ بها حُبَّتْ أَنْ يُصَحَّبَ وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَارَمَةِ أَنْ يُؤْذِيَ وَحِفْظِ الْحَقُوقِ
إِلَى جَعَلَ اللَّهُ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَا تُضِيعُهَا وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّسَالِ فَهُوَ أَنْ
مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يُوَصَّلَ الْإِيمَانُ بِالنَّبِيِّينَ جَمِيعًا وَالْكِتَابَ كُلَّهُ فَمِنْهُ الصَّلَاتُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ
أَنْ يُوَصَّلَ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَخَشَوْنَ رَبَّهُمْ أَمَّا بِالْتَقْصِيرِ فِيمَا أَمَرَ
أَنْ يُوَصَّلَ وَأَمَّا بِالْتَقْرِيطِ ذَلِكَ وَتَرْكُ الصَّلَاةِ أَصْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى وَخَافُونَ
سُوءَ الْحِسَابِ أَيْ سُدَّةَ الْحِسَابِ حَتَّى لَا يَنْفَعَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ وَلَا يَنْجُوهُمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ
فَذَلِكَ لِيُؤْمَرُوا قَوْلُهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ صَبَرُوا وَقَدْ كُنَّا فِيمَا نَقْتُمُ أَنْ الصَّبْرَ
هُوَ كَفُّ النَّفْسِ وَحُلْسُهَا عَنْ تَهَوُّاهُ وَحُمْلُهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَحْتُمْ كَفُّهَا
وَحُلْسُهَا عَنِ الْجَزَعِ فِي الْمَصَائِبِ وَعَلَى إِدَارِ افْتِرَاضِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَمْرُهُمْ بِهَا وَحَتَّمُ
أَيْ كَفُّوا أَنْفُسَهُمْ وَجَلَسُوا عَنْ الْمَقَابِلِ فَكَوْنُ الصَّبْرِ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ
الَّتِي ذَكَرْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ لِحَسَنٍ وَجَمِيعٍ لِحَسَنٍ
ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَحَسَنٍ ابْتَغَاءَ وَجْهِ يَكُونُ لَهُمْ عِزٌّ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ الْمَنْزِلَةُ وَالرَّفْعَةُ
وَكُلُّ لِكُلِّ سَمَى الدُّنْيَا وَذَلِكَ الْمَنْزِلَةُ وَجَمِيعًا قَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى وَجِئْتُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ أَيْ ذَا مَنْزِلَةٍ وَرَفْعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَعَلَى هَذَا الْخُرُوجِ قَوْلُهُ فَايْتِمُوا
تَوَلَّوْا أَفْتَمَةً وَجْهَ اللَّهِ أَيْ مَتَّهِ الْجِهَةَ إِلَى أَمْرِهِ تَعَالَى بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَيَقِلَّ
بِهِ رِضَا اللَّهِ فَقِيلَ ذَلِكَ قَالُوا أَيْ قَوْلِهِ ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ أَيْ ابْتَغَاءَ الْمَنْزِلَةِ
وَالرَّفْعَةِ الَّتِي يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَوْ ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ وَمَرْضَاتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أَيْ دَاوَمُوا إِلَى أَقَامَتِهَا وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ
أَتِمُّوا الصَّلَاةَ أَيْ دَاوَمُوا إِلَى أَقَامَتِهَا وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ أَتِمُّوا الصَّلَاةَ أَيْ دَاوَمُوا
عَلَى أَقَامَتِهَا وَحَتَّمُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أَيْ جَعَلُوا مَا قَائِمَةً أَبَدًا قَوْلُهُ تَعَالَى
وَأَنْفَقُوا تِمَارَ رِقْنِهِمْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً لِحَسَنٍ كُلِّ نَفَقَةٍ الْعِدَّةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا يَنْفَقُونَ
عَلَى عِيَالِهِمْ وَوَلَدِهِمْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً أَيْ يَنْفَقُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ سِرًّا مِنَ النَّاسِ وَعَلَانِيَةً
مِنْهُمْ أَيْ يَنْفَقُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَمْنَعُهُمْ عِلْمُ النَّاسِ بِذَلِكَ عَنِ الْإِتِّفَاقِ بَعْدَ
أَنْ يَكُونُوا لَا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أَيْ يَذَرُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ثُمَّ لَحْتُمْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يَذَرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ الْعِدَاةَ
الَّتِي كَانَتْ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُ أَوْ فَعَالِيَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَمْنَعُكَ وَبَيْنَهُ عِدَاةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ وَالثَّانِي أَيْ يَذَرُونَ الْأَسَادَةَ الَّتِي كَانَتْ إِلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ إِلَيْهِمْ وَالْمَعْرُوفِ

وَلَا يَكْفُرُونَ بِالشَّيْءِ الَّتِي وَلَكِنْ يَذَرُونَهَا بِالْخَيْرِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أَيْ إِذَا سَيَّئَتْ عَلَيْهِمْ حَلَمُوا فَالْمَعْنَى سَنِيَّةٌ وَأَحْلَمُ
حَسَنَةً قَوْلُهُ تَعَالَى أَوْ لِيَكُنْ لَمْ عَقَبِي الدَّارِ أَيْ عَقَبِي أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَوْا بِهَا
ذَكَرَ مِنْ وَفَاءِ الْعَهْدِ وَوَصَلُوا إِلَيْهَا أَمْرًا بِهَا أَنْ يُوَصَّلَ وَصَبْرًا وَإِلَى آدَامَا
أَمْرًا بِهَا وَافْتِرَاضَ عَلَيْهِمْ وَانْتِهَاءَ عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ الدَّارُ الَّتِي دَعَا لَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَالثَّانِي أَوْ لِيَكُنْ لَمْ عَقَبِي الدَّارِ أَيْ عَقَبِي حَسَنَاتِهِمْ
دَارِ الْجَنَّةِ أَوْ أُولَئِكَ لَمْ عَقَبِي هَذِهِ الدَّارُ الْجَنَّةُ أَوْ عَاقِبَتُهُمْ دَارُ الْجَنَّةِ ثُمَّ نَفَتْ تِلْكَ
الدَّارَ فَقَالَ جَنَاتٌ عِدْنٌ يَدْخُلُونَهَا قَالَتْ أَهْلُ التَّوْبَةِ الْعِدْنُ هِيَ بَطْنَانُ
الْجَنَّةِ وَهِيَ وَسَطُهَا وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعِدْنُ هُوَ الْإِقَامَةُ أَيْ جَنَاتٌ يَقِيمُونَ
لَهَا يَقَالُ عِدْنٌ بِكَانٍ أَيْ أَقَامَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَنْوَاعِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ فَإِنْ قِيلَ حَقَّتْ بِذِكْرِ الْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالذَّرِيَّةِ وَهُمْ دَخَلُوا فِي
قَوْلِهِ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوَصَّلَ وَقَوْلُهُ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ فَمَا يَصِفُهُمْ بِالْمَذْكُورِ
نَقُولُ هَذَا لِحَسَنٍ وَجْهًا أَحَدًا لِحَسَنٍ أَنْهُ يَكُونُ فِيمَنْ اسْلَمُوا فَاحْتَرَمُوا
كَمَا اسْلَمُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ الَّتِي يَتَنَا لَوَاجِبَاتِ
عِدْنٍ إِذَا صَلَّيَ الْإِيمَانُ يُتَالَى بِهِ الْجَنَّةُ أَمَّا الدَّرَجَاتُ بِالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ
فَأَخْبَرَ أَنْ هُوَ لَا يَدْخُلُونَهَا أَيْضًا وَيَلْحَقُونَ بِأُولَئِكَ تَبَعًا لَهُمْ وَالثَّانِي لَمْ يَصِلُوا
الدَّرَجَةَ الَّتِي يَلْغُو أُولَئِكَ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يُلْغُوهُمْ دَرَجَةً أُولَئِكَ وَلِحَقِّهِمْ بِهِ كَقَوْلِهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ أَلا يَتُوبُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَيُلْغُوهُمْ كُلُّ قَرِينٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى قَرِينِهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا
ثُمَّ فِي قَوْلِهِ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَمَا ذَكَرَ دَلَالَةً أَنْ صَلَاحَ عِيَالِهِمْ وَأَنْ قَرُبَ
مِنْهُ لَا يَنْفَعُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي نَفْسِهِ صَلَاحٌ حَيْثُ قَالَتْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَهُوَ
مَا قَالَتْ لَنُوحٍ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ذَلِكَ هَذَا لِيَأْنِ أَنْ صَلَاحَ وَالَّذِينَ
أَوْ قَرِينِهِ لَا يَجْرِي لَهُ نَفَقًا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَاحٌ نَفْسِيَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ هَذَا لِحَسَنٍ وَجَمِيعٍ لِحَسَنٍ أَنْ يَكُونَ لِمَقَامِهِمْ
وَسَنَانٌ لَهُمْ أَثْوَابٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ مَلَكٌ وَلِحَسَنٍ أَنْ يَأْتِيَ كُلَّ مَلَكٍ بِتَحْفَةٍ غَيْرِ
التَّحْفَةِ الَّتِي آتَى بِهَا الْآخَرُ عَلَى اخْتِلَافٍ حِينَ أَتَوْهُمْ وَقَدْ رَأَوْهُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَيْ مِنْ كُلِّ

نخرج من الخبز وفي الآية وجهان من الدلالة أحدهما ان الملايكة يكونون
خدم اهل الجنة وفي ذلك تفصيل البشر عليهم والثاني ان يكونوا على حق
المصاحبة لما اخبروا اهل الخير من البشر في الدنيا الخير هم فجعل الله تعالى
بينهم الرفعة والصحة في الآخرة والله اعلم قوله تعالى سلام عليكم
بما صبرتم كقولهم تحببتهم فيها سلام وقوله فيهم عتبي الدار هو ما
ذكرنا في قوله اوليك لهم عتبي الدار قوله تعالى والذين ينقضون
عهدهم الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرنا في غير موضع وكذلك النقض والله اعلم
قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
كل حرف من هذه الاحرف يقتضي معنى الحرف الاخذ اذا انقضوا العهد والميثاق
فقد قطعوا ما امر الله به ان يوصل ان كان الذي امر الله به يوصل صلة
الايمان بالنبيين والكتب جميعا ان كان صلة الارحام فهو فعل والسعي في
الارض بالنسبة لفعل ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق وغير ذلك من
المعاصي ما كان فهو الا فتاد في الارض والله اعلم ثم قوله ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل محتمل وجوها محتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا
من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وبجميع الكتب ومحتمل صلة الارحام
التي فرض الله عليهم صلتهم قطعوا ذلك او امرهم ان يصلوا اعمالهم بها
اعتقدوا والله اعلم قوله تعالى اوليك لهم اللعنة اللعنة هي الطرد
والابعاد في اللعنة كما فهم طردوا وابتعدوا عن رحمة الله في الآخرة اي
طردوا وابتعدوا من هداية الله وارشاده في الدنيا قوله تعالى
ولهم سوء الدار قد ذكرنا انهم دعوا الي دار وحذر واعن دار دعوا الي دار
السلام فان اجابوا لهم احسن على ما ذكرنا وحذر واعن دار الهوان فان لم يحذروا
فلهم دار سوء والهوان والله اعلم ومحتمل انه ذكر لاهل النار سوء الدار
مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسني المآب وحسن الثواب والحسني ومحتمل سماعا
سواء الدار لما ينو مقامهم فيها والله اعلم قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيها عنده ويوسم عتايه ايد الخلق ويقطع رجاءهم عن ذلك
لان الذي كان ينعم عن الايمان به ويحبهم على تكذيب الرسل وتوكل الاجابة
لهم هذه الاموال التي كانت في ايدي اوليك وبها راوا دوام الرياسة

والعز والشرف لهم في هذه الدار فقالت الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اخبر انه هو الباسط لذلك والمقدر والقادر له لا اوليك يوسع على من يشاء
ويقدر على من يشاء ليس ذلك لي الخلق والله اعلم وذكر انه يبسط الرزق
لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويعتد على من يشاء من اوليائه واعدائه
ليعلم ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاء ولا المقيور والتضييق
يدل على العلامه وليس كما يكون في الشاهد يوسع على الاولياء ويضييق
على اعداء لان التوسيع في الدنيا والتضييق بحق المحنة وفي الآخرة في حق
الجزاء وليست في الجنة بين الولي والعدو فجمع بينهما في ذلك ومنه
بينها في الجزاء والله اعلم قوله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا محتمل
قوله وفرحوا بالحياة الدنيا صلة ما تقدم وهو قوله والذين ينقضون
عهدهم الله اي قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
ويفسدون بالحياة الدنيا ثم الفرح محتمل وجهين أحدهما محتمل فرحوا
بالحياة الدنيا اي رضوا بها كقولهم ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
وفرحوا بسرواها فان قيل ان المؤمن ربما تيسر بالحياة الدنيا قيل
بلى ان المؤمن قد ليسر لكن لا يلي سرور به وفرحه عليها في الآخرة وسلا
يفعل عين الطاعات بذلك فاما الكافر فإنه لشدة سروره بها وفرحه
عليها يلهو عن الآخرة وعن جميع الطاعات وهكذا العرف في الناس انه
اذا اشتد بالمسر السرور بالشئ يلهو عن غيره او يفعل عنه والثاني
محتمل ان يكون قوله فرحوا اي اسرروا وبطروا كقوله اذ قال له قومه
لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اي الا مشرين البطرين قوله تعالى
وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع تاويله والله اعلم اي ما الحياة الدنيا
مع طول تمتعهم بمقابلة تمنع الآخرة الا متاع ساعة او متاع شي يسير وهو قوله
لم يلبثوا الا عشية او ضحىها وقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يظنون مع
حلول ما متعوا في هذه الدنيا عند متاع الآخرة كأنهم ما متعوا الا ساعة
فبلى ذلك قوله وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وهو كما ذكرني قوله فاما متاع
الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل اي عند متاع الآخرة لان متاع الآخرة نعيمها
دائم متصل غير منقطع لا يشوبه آفة ولا حزن ولا خوف لذلك كان عند قليل لا

عند متاع الآخرة ونعيمها والله أعلم وقال بعض أهل التأويل وما الحياة
الدنيا في الآخرة الا متاع اي الالهو وباطل لكن الوجه مني ما ذكرنا والله أعلم
بذلك قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا آتيناك عليه آية من رب
٥٨٩ محتمل سواهم الآيات أنفس الآيات الي انت بها الرسل من قبل قومهم
او سألوا آيات سموها كقولهم وقالوا لن يؤمن لك حتى تنزلنا من
الأرض ينبوعا الي آخر ما ذكر من الآيات سألوها منه وحتمل سألوا آيات
تضطروهم وتغمرهم علي الايمان كقولهم ان نشاء نزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفي الآية دلالة على انه لو شاء لا نزل آية
آمنوا اكلهم بها واهتدوا وان عنده اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم
وتوحيدهم وكذلك عنده اشياء لو اعطي لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله
ولو لا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن كفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ولكنه لا ينزل الآية على شهادتهم وامانهم
ولكن ينزل اشياء تكون عند التأمل والنظر حجة فمن تأمل فيها وتفكر
لا هتدي وآمن بالاختيار ومن أعرض عنها ولم يفكر ضل وزاغ بالاختيار
وحتمل قوله ان نشاء نزل عليهم من السماء آية اي ان نشاء ايمانهم
واهتداهم نزل عليهم آية واضله ان الله تعالى شاء اهتداهم من علم انه
يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والذيق
فشاء لكل ما علم منه انه يختار ذلك وذلك تأويل قوله علي اثنوا له
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب اي ينزل من الآيات
ما يهدي بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والصا د بالاختيار
ويكون اهتدائهم باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا بالاضطرار والعز الا ترى
انه قال الذين آمنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله وهو القرآن الذي أنزله علي
رسوله فهو وصف المقتل المنيب الي ذكر الله لتسكن قلوبهم بالتأمل
والتفكير فيها الا بذكر الله وتطمين القلوب وتسكن اليه وقال بعض أهل
التأويل هو في الحلف في الخصومات اي الا بالحلف بالله تطمين وتسكن قلوب
الذين آمنوا الا تطمين بالحلف بغير الله وقال بعضهم اي بالقرآن وما في
القرآن من الثواب يسكن قلوب الذين آمنوا والله أعلم ويشبهه ان يكون قوله

الذين آمنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله اي تفرح وتستبشرو قلوب الذين آمنوا
بذكر الله الا بذكر الله تستبشرو وتفرح قلوب الذين آمنوا ذكرها بالكا في
الفرح بالحياة وهو قوله وفرحوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وذكر
في المؤمن الا يستبشرو والفرح بذكر الله وفي اولى ذكر ان قلوبهم تستبشرو
بذكر الرحمن وتستبشرو بذكر من دونه لقوله واذا ذكر الله وحده استبشرو
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
اخبر ان قلوب المؤمنين تستبشرو وتفرح بذكر الله وقلوب اولئك
تستبشرو بذكر الله وتستبشرو بذكر من دونه والله أعلم ثم لحتم قوله الذين
آمنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله وجهين ايضا احدهما تطمين قلوبهم بذكر الله
لم وذكرا لله لهم التوفيق والتسديد والعصمة ويحذ لك والثاني تطمين
قلوبهم بذكر الله وذكرا لله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله ويحذ لك
قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب
قتل خير لهم وغبطه وقيل حسني لهم ونقي لهم وقيل طوبى لك اي اصبت
خيرا وقيل طوبى اسم الجنة بلستان الحبيشة وقيل بالهندية وقيل اسم
شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله واعصاها في دور اهل الجنة فان كان
هذا هو اسم شجرة فذلك لا يستقيم الا على سبب ومقدمة كان اهل الكتاب
ادعوا لا نفسهم فاخبر انها للذين آمنوا لا لهم كقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هو ذا او نصاري ثم قال بل من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا
الجنة لا نفسهم فاخبر انها ليست لهم لكن للذي اسلم وجهه لله فعلى
ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لا نفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين
آمنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فينصب
ان يكونوا قالوا ان كان بعث علي ما قالوا او كان بعث علي ما يقولون وحسنه وطوبى
فهي لنا كقوله لا تجدن خيرا منها من قبلنا وقالت بعضهم طوبى كلمة مدح الله
تعالى بها ثوابهم وما بهم وقالت بعضهم طوبى كرامة اعدها الله تعالى لاوليائه
وهي مذكرة في الكتب والله أعلم قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة
قد خلقت من قبلها امماي كما ارسلنا الي امم من قبلك رسلا وهم يكفرون
بالرحمن وقال كل واحد من الرسل لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

أَيُّ كُلِّ رَسُولٍ كَانَ أُرْسِلَ فَبِكَأَمِيرٍ أَنْ يَقُولَ مَا ذَكَرَكَ ذَلِكَ أُرْسَلْنَاكَ
إِلَى قَوْمِكَ رَسُولًا وَإِنْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فَقُلْ أَنْتَ مَا قَالَتْ أُولَئِكَ
الرُّسُلُ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَالْيُسُوفُ مَتَابَ لِمُخْلَاةٍ عَنْ
رَسُولٍ كَقَوْلِهِ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ
هَذِهِ الْآيَةُ صِلَةُ قَوْلِهِ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْوَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ
بِقَوْلِ أُرْسَلْنَاكَ لَتُبْلَوُا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْبَاءَ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ الَّذِينَ
كَانُوا مِنْ قَبْلِكَ عَلَيْهِمْ لَتَكُونَ آيَةُ لِرُسُلِكَ لِيُظْهِرُوا لَكَ إِنْ غَاظَتْ بِكَ الْآيَةُ
بِاللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ يَقُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَنَبِيَّ كُلِّ مَخْلُوقٍ آيَةُ تَوْحِيدِ الرَّحْمَنِ وَالْوَهْيِيَّةِ وَلَا يَنْبَغِي
كُلِّ مَخْلُوقٍ أَنْ لَا تَسْأَلَكَ وَهُمْ مَعَ هَذَا يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فَعَلَى ذَلِكَ يَكْفُرُونَ
بِرُسُلِكَ يُضَيِّرُ النَّبِيَّ عَلَى تَكْذِيبِ الْكُفْرَةِ آيَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُ الرَّاغِبِينَ
اسْمُ مَنْ اسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْكُتُبِ الْأُولَى وَأَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ فِيهِ
كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ الْكُفْرَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَأَبْدَأَ أَنْ يَقْرَأَ بِهِ وَقَالَ
وَمَا الرَّحْمَنُ إِلَّا لَا تَعْرِفُهُ فَقُلْتُ قَوْلَهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَخْمَرِيُّ قَوْلَهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ صِلَةُ قَوْلِهِ وَيَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَالْوَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ أُرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لَتُبْلَوُا
عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَإِنْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَيَقُولُونَ لَوْ لَا
أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ تَعْنَتَا فَإِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّعْنَتِ وَالْعِنَادِ فَلَا
تَنْظُرُ إِلَى عِنَادِهِمْ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ الْإِنشَاءُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى شَرْ
ذَلِكَ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سَتِرتُ بِهِ أَجْبَالَ أَوْ قَطَعْتُ بِهِ الْأَرْضَ الْآيَةُ فَقَالَ
لَوْ حَسَبْتُمْ بَقْرَةَ أَنْ سَتِرتُ بِهِ أَجْبَالَ أَوْ قَطَعْتُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتِ يَقُولُ
لَوْ حَسَبْتُمْ بِذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ أَسْرَهُمْ وَعِلْمُهُمُ التَّكْذِيبُ وَالْعِنَادُ وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ وَلَوْ أَنَّ
نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتِ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَقَوْلُهُ وَلَوْ فَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْبَابِ مِنَ السَّمَاءِ الْآيَةُ تُخْبِرُ عَنْ عِنَادِهِمْ
أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَقَالَ هَبْنَاهُ لِلَّهِ الْأُمُ
جَمِيعًا أَيُّ الْأُمْرِ لِلَّهِ مَنْ شَاءَ أَنْ يُؤْمِنَ فَيُؤْمِنَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ لَا يُؤْمِنَ فَلَا يَزِيدُ اللَّهَ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ أَيُّ يَكْفُرُونَ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ لَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنْ

كَانَ يَدْعُونَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَالْتَسَاعَةُ يَدْعُونَا إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَالْوَهْيِيَّةِ فَذَلِكَ
مِنْهُ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ اثْنَيْنِ وَكَانَ مِنْهَا نَاعِمٌ ذَلِكَ فَقَالَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
قُلْ هُوَ رَبُّنَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَيُّ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَالْوَهْيِيَّةِ هُوَ دَعَا إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ هُوَ وَاجِدٌ لَيْسَ بِاثْنَيْنِ وَلَا عَدَدٌ كَقَوْلِهِ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى أَيُّ عَدَدِ الْأَسْمَاءِ لَا يُوجِبُ عَدَدُ الْأَسْمَاءِ
أَنْ يَكُونَ فِي الشَّاهِدِ شَيْءٌ وَاجِدٌ اسْمًا مُخْتَلَفَةً فَعَلَى ذَلِكَ فِي اللَّهِ تَعَالَى ه
قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى وَالْيُسُوفُ مَتَابَ
أَيُّ إِلَهِ الْمُدْجِعِ وَاللَّهُ الْمُفَوِّقُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سَتِرتُ
بِهِ أَجْبَالَ إِلَى آخِرَتِ مَا ذَكَرْتَ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَيُّ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا
مَاعْنِي قُرْآنَكَ سَتِرتُ بِهِ أَجْبَالَ مِنْ أَمَا كُنْهَا أَوْ قَطَعْتُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ
بِهِ الْمَوْتِ لَفَعَلْنَا بِهِ قُرْآنَكَ أَيْضًا وَلَكِنْ لَمْ نَفْعَلْ بِكَابٍ مِنْ كُتُبِ أَنْزَلْنَاهَا
عَلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ وَلَكِنْ شَيْءٌ أَعْطَيْتَهُ أَنْبِيَآيَ وَرُسُلِي بَلِّ اللَّهُ
الْأُمَمَ جَمِيعًا يَقُولُ بَلِّ جَمِيعَ ذَلِكَ الْأُمَمُ كَانَ مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ الْقُرْآنِ أَيُّ
لَوْ فَعَلْ بِالْقُرْآنِ ذَلِكَ كَانَ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ بَلِّ اللَّهُ الْأُمَمَ جَمِيعًا إِنْ شَاءَ
فَعَلْ مَا سَأَلْتُمْ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحَسَبْتُ أَيُّ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا
مَاعْمَلُ مَا ذَكَرْ لَكَ هَذَا الْقُرْآنُ تَعْظِيمًا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ
وَهَذَا مُحْتَمَلٌ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ هَذَا أَقْرَبُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ هَذَا
صِلَةُ مَا تَقْدَمُ مِنْ سَوَآلِهِمُ الْآيَاتِ وَهُوَ قَوْلُهُ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سَتِرتُ بِهِ
عَلَيْهِمْ لَوْ سَتِرتُ بِهِ أَجْبَالَ أَوْ قَطَعْتُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتِ لَمَا آمَنُوا بِكَ
وَلَمَّا صَدَّقَكَ عَلَى رُسُلِكَ عَلَى مَا لَا يُؤْمِنُونَ بِالرَّحْمَنِ وَكُلِّ مَخْلُوقٍ لَهُ آيَةٌ
لَوْ خُذَ أَنْبِيَتُهُ وَالْوَهْيِيَّةُ تُخْبِرُ عَنْ شِدَّةِ تَعْنَتِهِمْ وَتَعَدُّهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ
لِيَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ سَوَآلَهُمُ الْآيَةَ سَوَآلُ تَعْنَتٍ وَتَعَدُّ وَلَيْسَ سَوَآلُ
اسْتِشْرَافٍ وَاسْتِشْرَافٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ
آمَنُوا قَالَتْ بَعْضُهُمْ هُوَ صِلَةُ قَوْلِهِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَقَوْلُهُ وَلَوْ أَنَّ
قُرْآنًا سَتِرتُ بِهِ أَجْبَالَ الْآيَةُ يَقُولُ أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا عَنْ إِيْمَانٍ
هَؤُلَاءِ مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْإِيْمَانِ عَنْ ذَلِكَ بِمَا ذَكَرْنَا وَضَعْنَاهُ وَتَمَامَ هَذَا كَأَنَّ

فكيف كان عقاب الله أي شديد عقابه وهو قوله وكأين من قسوة
املت لها وهي ظالمة ثم اخذتها إلى المصير وقيل فكيف رأيت عذابي
لهم ليس وجد ومصد يد واحتمل فكيف كان عقاب ليس ما أوعد
الرسول من العذاب كان حقا صيدا قال والله أعلم قول الله تعالى أقم
هو قائم على كل نفس بما كسبت قال أبو بكر الأصم يقول من الذي هو قائم
على كل نفس بما كسبت الله أم شركاءكم والقائم هو المند براحضا فظ لكل
ما فيه الخلق ونسبته أن يكون تأويله أقم هو قائم أي حافظ وعالم
أوبالرزق لهم والدفع عنهم على كل نفس بما كسبت كمن هو الغني عن ذلك
ليتأسوا أقوله أقم يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو
أعني أو يقول أقم هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو غير قائم
عليه ليتأسوا والله أعلم وقال مقاتل أقم هو قائم على كل نفس بما
كسبت على رزقهم وطعامهم ثم قالوا وجعلوا لله شركاء أي وصفوا الله شركاء
ورزقهم والطعام أفأكون أنا وشركاء الذين لا يفعلون ذلك سواي والوجه ما وصفنا
أي أقم هو قائم على نفس بما كسبت أي يرزق ويصير ويعلم ما فعل وتكسب
وحفظ عن أنواع البلاء كمن هو أعني جاهل عاجز عن ذلك كله أي ليس هذا
كذلك يسفهم في أشراككم الأصنام الذي عبدوها في الألوهية والعبادة
وهي بالوصف الذي ذكر أعني جابر جاهل والله أعلم واحتمل أقم هو قائم
على نفس بما قدر لها وقواها أو في الجزاء يحجز على ما تكسب وجعلوا لله
شركاء في العبادة أو في تسميتهم آلهة لا يعلمون ما كسبت لها ولا يملكون جزاء
ما كسبوها أيضا سفهم في جعلهم الأصنام شركاء لله في العبادة وتسميتهم
آلهة مع علمهم أنهم لا يقدرون ولا يملكون من ذلك شيئا قول الله تعالى قل
سموهم قال بعض أهل التأويل قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم سموهم
بكذب وباطل وعندنا قل سموهم أي تسميتهم بها آلهة واتخذتموها معبودا
فسموهم أيضا بأسماء تسميتهم بها من خوا الخلق والذرات والرحمن الرحيم
وخذ لك يقول والله أعلم اذ تسميتهم هذه الأصنام آلهة ومعبودا فسموهم
أيضا خائفا من قارون وجنهم وأنتم تعلمون أنها ليست كذلك والله أعلم

قول الله تعالى أم تثنونه بما لا يعلم في الأرض أي أم تثنون الله وهو عالم
بما في السموات وما في الأرض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم ما يقولون في الأرض
من آلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قول الله قل تثنون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون واحتمل
أم تثنونه بما ليس في الأرض شيء مما يقولون وتصفون قول الله تعالى
أم بظاهير من القول قال أهل التأويل أي بل بباطل من القول
وزور ونسبه أن يكون بظاهير من القول أي تضعف من القول لسيئون
الشيء الذي لا حقيقة له ولا ثبات ظاهرا بآياتك قوله إلا الذين هم
أراد لنا بآياتي التأييد ضعيف الرأي وحقيقة لا حقيقة له ولا موارد
أنه بظاهير من القول في الخلق والاسلام أي لم تضرم ما تقول وتصفون
أشراك هذه الأصنام وتسميتها آلهة ومعبودا فيكون أم في موضع حقيقة
ويقين على هذا التأويل قول الله تعالى بل رأت للذين كفروا مكرهم
قال بعض أهل التأويل مكرهم قولهم الذي قالوه من الكذب والزور
أنها آلهة وأنها شركاء لله ولكن يشبه أن يكون قوله مكرهم أي مكرهم
يرسل الله حيث احتالوا حيث لا يفتلوه لئلا يظهر هذا الذين في الأرض
وليطفأ هذا النور ليدوم عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو قوله
وأذمركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية والمكر هو
الاحتياك والاحذ من حيث الأمن والله أعلم قول الله تعالى وصدا
عن السبيل أي بما علم من مكرهم واختيارهم ما احتاروا والسبيل المطلق
هو سبيل الله والإيمان بجميع الأديان والمذاهب سبيل الله ولا
تتبعوا السبيل فيفتنكم عن سبيله لكن ما ذكرنا أن السبيل المطلق
ينصرف إلى سبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين
المطلق دين الله قول الله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد
أي من أضل الله فلا يملك أحد هدايته ومن هداه الله فلا يملك
أحد أضلاله قول الله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا فمما لقتل
والقتال والجوع والخوف وأنواع البلايا لقوله وضرب الله مثلا
قرية كانت آمنة مطمينة يأتونها رزقا رعدا من كل مكان فكفرت بأنهم الله

فَأَذَاتُهَا لِبَاسٍ تَجُوعُ وَتَحْوِثُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَقُّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ
إِنْ مَا لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ إِلَّا مَنْ وَاقٍ يَقْتَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ إِنْ أَشْبَهَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ كَشِبَهُ النَّارُ
الَّتِي وَعِدَ الْكَافِرُونَ إِنْ لَبِثَ بِشَبِهَا مِنْ وَلَا مِثْلِينَ وَلَا يَكُونُ هَذِهِ مِثْلَ هَذِهِ
وَلَا بِشَبِهَا وَهُوَ كَقَوْلِهِ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ
غَيْرِ آسِنٍ إِلَى قَوْلِهِ كُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَارَهُمْ يَقُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الَّذِي وَصَفَهُ كَذَا مِنْ النِّعَمِ الدَّائِمَةِ كَأَنَّ ذَلِكَ
يَكُونُ عَذَابُهُ وَوَصَفَهُ كَذَا أَيْ لَا يَكُونُ فَعَلِي ذَلِكَ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى
تَحْذِرُكَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ أَيْ تَحَارُّهَا دَائِمَةٌ لَا تَزُولُ وَلَا
تَنْقُطُ لَيْسَتْ كَتَارِ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَيْ لَيْسَتْ بِمُدَّةٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الدُّنْيَا
الْأَوْهَى تَزُولُ وَتَنْقُطُ فِي وَقْتٍ أَخْبَرَ أَنَّ تَارَ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ
النِّعَمِ غَيْرُ دَائِمَةٍ وَلَا مَنْقُطَةٍ وَكَذَلِكَ عَذَابُهَا دَائِمٌ لَا يَزُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَظِلُّهَا أَخْبَرَ أَنَّ ظِلَّ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْقُطُ لَا يَكُونُ
فِيهَا شَمْسٌ يَزُولُ ظِلُّهَا بِوُجُودِهَا وَصَفَ مَا فِي الْجَنَّةِ بِالْإِدْوَامِ وَالْمَنْفَعَةِ
الظِّلِّ لَا أَذَى فِيهِ وَفِيهِ مَنَافِعُ وَالشَّمْسُ فِيهَا أَذَى وَمَنَافِعُ وَكَذَلِكَ
جَمِيعُ مَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَشْيَاءِ يَكُونُ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَضَارٌّ وَأَنْهَا تَزُولُ
وَتَنْقُطُ فَأَخْبَرَ أَنَّ ظِلَّ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْبِغَمِ بَاقِيَةٌ دَائِمَةٌ غَيْرُ زَائِلَةٍ
وَلَا مَنْقُطَةٍ وَلَا مُضَرَّةٌ فِيهَا لَيْسَ كَنِّعِيمِ الدُّنْيَا وَظِلُّهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى تِلْكَ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ
ظَاهِرٌ هَذَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا اتَّقَاءَ الشِّرْكِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ
مَقَابِلَةَ وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَمَعْنَاهُ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي ذَكَرْنَا وَصَفَهَا جَزَاءَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا الشِّرْكَ وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ إِنْ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ النَّارُ
أَوْ يُقَالُ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا الْجَنَّةُ وَعَقَبَى أَوْلِيكَ النَّارُ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ تِلْكَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِنْ عَاقِبَةُ أَعْمَالِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ الْجَنَّةُ
وَعَاقِبَةُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَابْتِغَاءُ النَّارِ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُ يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

كَأَنَّهُ قَالَ وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُ أَوْ لِيَكُ يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ وَهُوَ مَا قَالَ فِي آيَةِ الْآخِرَةِ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُ يَتْلُونَ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَحَسَنًا أَنْ يَكُونَ
الْآيَةُ صِلَةً قَوْلِهِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُ
يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ
الْكَاتِبُ قَالَ بَعْضُهُمْ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ مُحَمَّدٌ فَرَحُوا بِمَا أَنْزَلَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْضُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ
الْكَاتِبُ أَهْلُ التَّوْرَةِ يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ذَكَرَهُمْ نَسْنَا
أَنَّهُمْ يُفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَذَكَرْنَاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ
مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمَشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكَ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُ
يَتْلُونَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَوْ لِيَكُ يُؤْمِنُونَ بِهِ فَمِنْ تِلْكَ مِنْهُمْ الْكَاتِبُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ
وَلَمْ يُبَدَلْ وَلَمْ يَغْتَيَّرْ فَهُوَ يُؤْمِنُ بِهِ وَيُفْرَحُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَمِنْ غَيْرِ
وَبَدَلَهُ فَهُوَ لَمْ يَفْرَحْ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمِنْ
الْأَجْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ خُتِلَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يُنْكِرُونَ
بَعْضَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ وَلَا يُنْكِرُونَ كُلَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِنَّمَا يُنْكِرُونَ
بَعْضَهُ وَصِفَتُهُ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ كَمَا كَانُوا كَفَرُوا وَصِفَتُهُ الَّتِي فِي كِتَابِهِمْ وَلَحَنَتُهُ وَمِنْ
الْأَجْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ مِنَ مَشْرُوكِي الْعَرَبِ فَأَيُّهُمْ أَيْضًا أَنْكَرُوا
بَعْضَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَا ذَكَرَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى اجْعَلِ اللَّهُ أُمَّةً وَاحِدَةً وَخَوَّاهُ لَمْ يُنْكِرُوا كُلَّهُ فَأَيُّهُمْ سَمِعُوا
كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْعُرْشُ أَنْ فَلَمْ يُنْكِرُوا هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُهُ أَدْعُوهُ
وَالِإِلَهِ مَا بَكَانَ هَذَا قَالَ عَلِيٌّ أَنْزَلَ قَوْلَهُ كَانَ مِنْهُمْ كَانَتْهُمْ دَعْوُهُ
إِلَى أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَوْ دَعْوُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا كَانَ آبَاؤُهُمْ
فَقَالَ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَأُمِرْتُ أَنْ لَا أُشْرِكَ بِهِ وَحَسَنًا
قَوْلُهُ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ قَالَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ لَا أَنَّهُ قَالَ وَأُمِرْتُ
أَنْ لَا أُشْرِكَ بِهِ مَقْظُوفًا عَلَى قَوْلِهِ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ فَقَالَ لَا

أشرك به إليه أدعوا لنقول إلى توحيد الله أدعوا غيري ثم أخالف وأعبد
غيره وإلى ما أتى أي إليه مرجعي قوله تعالى وكذلك أنزلناه
حكمًا عربيًا ثم قوله حكمًا عربيًا محتمل وجهين أحدهما ما قيل
حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكمة ولحملة أي أنزلنا
عليك ما فذكره قوله تعالى ولين اتبعن أهوارهم بعد ما جاءك
من العلم هذا يدل على أنهم كانوا يدعونهم إلى أن يشاركونهم في بعض ما هم
فيه قوله تعالى ما لك من الله من ولي ولا واق أي لك
من الله من ولي ينصرك ومنعك من عذاب الله ولا واق
يقي العذاب وقيل تفسير قوله وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا ما
ذكر في آية أخرى وهي قوله وكذلك أنزلناه فتدأنا عربيًا سوي القرآن
حكمًا لآية الحكم أنزل الله أعلم قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلًا
من قبلك وجعلناهم أزواجًا وذرية قال بعض أهل التأويل
أنما نزلت الآية لأن اليهود غير وارسول الله وطعنوا فيه على
كثرة النساء والأولاد وقالوا لو كان نبيًا كما يزعم كان لا يتمتع بالنساء
ولا يطلب الأولاد كما يفعل غيره من الناس وكانت النبوة تشغله
عن ذلك فأنزل الله تعالى قوله ولقد أرسلنا رسلًا
من قبلك وجعلناهم أزواجًا وذرية أي الاستمتاع بالنساء واستكثار
منهن لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غيره
من الرسل الذين من قبل والله أعلم قوله تعالى وما كان
لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله أي لا يكون أنزال الآيات من
أنفسهم إنما ينزل الله أنزالها إذا شاء ذلك وهو كقول علي
وإبراهيم الأئمة والآبرص وأجي المؤتي بأذن الله أخبر أن ما يأتي
من الآيات أنها تأتي بأذن الله وبأمره لا بنفسه والله أعلم ومحتك
أن يكون هذا جواب ما ذكر أهل التأويل من الطعن بكثرة
النكاح وجواب غير ذلك أيضًا وهو طعنهم الرسل بالأكل والشرب
والمشي في الأسواق وسؤالهم الآيات التي سألواهم وجواب
إنكارهم الرسل من البشر بقوله لست أنت بأول رسول

طعنت بها طعنك به قومك ولكن كان قبلك رسول طعنهم قومهم ما طعن
به قومك وسألواهم الآية ما سألك به قومك فلم يكن ذلك
لهم عذرًا في رد ما ردوا وترك ما تركوا بل نزل بهم العذاب
فعلي ذلك قومك والله أعلم قوله تعالى لكل أجل كتاب
أخلف فيه قال قائلون ليكل كتاب أجل وهي الكتب
التي أنزلت على الرسل يعمل بها أي وقت ثم تنسخ أو يترك أهلها
وقال قائلون هو ما قال لكل أجل كتاب أي كل ذي أجل
أجله إلى وقت انقضاءه وليس يراد به الكتابة باليد ولكن أراد
به الأوقات كقولهم أو ليكل كتب في قلوبهم الأيمان أي أثبت
ليس كتب هنا لك باليد فعلي ذلك قوله لكل أجل كتاب أي أثبات
إلى وقت والله أعلم ولحملة قوله لكل أجل كتاب أي لكل ما
كتب به الأجل وجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندتين
وهلاكهم والنصر للرسل فإنه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتأخر
عنه وهو قوله فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
وحده قوله تعالى لمحو الله ما يشاء أي أنشأ في الابتداء محوًا ليس أن كان شيئًا
فمحاه ولكن أنشأ هكذا محوًا وهو كقولهم فمحونا آية الليل ليس أنه
كان منسأ كذا ثم محاه ولكن أنشأ في الابتداء محوًا وقوله الله
الذي رفع السموات ليس أنها موضوعة ثم رفعها ولكن أنشأها مرتفعة
كما هي فعلي ذلك هذا ثم الذي أنشأ محوًا من الابتداء محتمل الأعمال
التي كانت مغفورة في الأصل بخواتم الصبيان والأعمال التي لا جزاء
عليها من المباحات وخواتم قال قائلون قوله محو الله على أحداث
محو بعد الأثبات ثم محتمل ذلك وجوه محتمل يحج الله ما ينسخ من الأحكام فهو
على محو الحكم به والعمل به ليس على محو نفس المتلو وقوله ثبت ما لا ينسخ
ولا يترك العمل به والحكم ومحتمل المحو المحو الخوال وهو ما ينقل ويحول
من حال إلى حال من حال النطفة إلى حال الفلقه ومن حال الفلقه
إلى حال المضغة يحوله وينقله من حال إلى حال آخر ويعدم أحوال الأولى

وَبَيَّنَتِ السَّانِيَةُ فَذَلِكَ هُوَ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَبِحَقِّهِ الْمَحْوُ أَيْضًا
هُوَ مَا يَخْتَصِرُ بِهِ الْعَمَلُ عَلَى السَّعَادَةِ أَوْ عَلَى الشَّقَاوَةِ إِذَا كَانَ كَافِرًا
ثُمَّ أَسْلَمَ فِي آخِرِ عَمَلِهِ مَحِيتِ الْأَعْمَالُ الَّتِي كَانَتْ لَهُ فِي حَالِ كُفْرِهِ
وَأُبْدِلَتْ حَسَنَاتٌ وَإِذَا كَانَ بِمَحْتَمِلٍ بِالْكَفْرِ مَحِيتِ أَعْمَالُهُ الَّتِي كَانَتْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَبِحَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مَا
ذَكَرَ مِنَ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ هُوَ مَا كَتَبَ الْحَفْظَةُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ
يُحْيِي مِنْهَا مَا لَا جُزْأَ لَهُ وَلَا ثَوَابَ وَيُنْقِي مَا لَهُ الْجُزْأُ وَالثَّوَابُ
وَيُتْرَكُ مَكْتُوبًا كَمَا هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَبِحَقِّهِ وَجْهًا آخَرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْخَلْقِ
مَقَاصِدٌ فِي أَعْمَالِهِمْ وَالْحَفْظَةُ لَا يَطْلَعُونَ عَلَى مَقَاصِدِهِمْ فَيَكْتُبُونَ لَهُمْ مَا
هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَسَنٌ لِقَصْدِهِ سَيِّئٌ عَلَى ظَاهِرِهِ مَا عَمِلَ أَوْ حَسَنٌ فِي
الظَّاهِرِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ سَيِّئٌ فَيَقْتَرِدُ ذَلِكَ فَيُجْعَلُ مَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
شَرٌّ وَفِي الظَّاهِرِ خَيْرٌ لَشَرِّهِ بِالْقَصْدِ وَمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ خَيْرٌ وَفِي
الظَّاهِرِ شَرٌّ خَيْرٌ بِالْقَصْدِ فَذَلِكَ هُوَ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَبِحَقِّهِ أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابَةِ الْحَفْظَةِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ هُوَ أَنْ الْحَفْظَةُ
يَكْتُبُونَ الْأَعْمَالُ ثُمَّ يَغَارِضُ ذَلِكَ بِمَا فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَيُحْيِي مِنْ كِتَابَةِ
الْحَفْظَةِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَيُثَبِّتُ فِيهَا مَا كَانَ فِيهِ مِنَ النِّقْصَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ لِحَقِّهِ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ الَّذِي
يَغَارِضُ بِهِ كِتَابُ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ اللُّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَبِحَقِّهِ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ
الَّذِي يُسْتَلْخَصُ مِنْهُ الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَهُوَ اللُّوْحُ
الْمَحْفُوظُ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنْ اخْتِلَافَ الْأَلْسُنِ لَا يُوجِبُ بَعْدَ الْمَعْنَى لِأَنَّهُ
لَا يُدْرِي أَنْ تَكُنْ لَكُنْ فِي اللُّوْحِ يَأْتِي لِلسَّانِ هُوَ ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْهُ كُلَّ كِتَابٍ
عَلَى لِسَانِ الرِّسُولِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ
أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتُبُوا لِلسَّانِ الْخَلْقَ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ لَوْ كَانُوا يَكْتُبُونَ
لِسَانًا هَؤُلَاءِ فَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَ لِلسَّانِ أَنْفُسَهُمْ فَهَذَا كَلَامٌ عَلَى
أَنْ اخْتِلَافَ اللِّسَانِ لَا يُوجِبُ اخْتِلَافَ الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَأَمَّا نَذْرُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَمَعٌ أَوْ يَسَالُ أَنْ يَرِيَهُ

جَمِيعَ مَا وَعَدَ مِنْ أَنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ وَأَنْوَاعَ مَا وَعَدَ فَقَالَ إِنْ شِئْنَا
نَذْرُكَ بَعْضَ مَا وَعَدْنَا هُمْ إِنْ شِئْنَا نَتُوفِينُكَ وَلَمْ نَذْرُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
أَيُّ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ فَخُجَّجَ مَخْرَجَ الْعِتَابِ وَالتَّوَجُّجِ
لَيْسَ مَخْرَجَ الْوَعْدِ وَالْعِدَّةِ إِذْ قَوْلُهُ ذَاوُ الْحَرْفِ شَكٌّ وَلَا يَجُوزُ أَنْ
يُضَافَ إِلَيْهِ ذَلِكَ ثُمَّ قَوْلُهُ وَأَمَّا نَذْرُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينُكَ هَذَا
فِي الظَّاهِرِ حَرْفٌ شَكٌّ وَهُوَ يَخْرُجُ عَلَى الْوَعْدِ أَوْ عَلَى النَّهْيِ فَكَانَ نَهْيُهُ أَنْ يَسَالُ
أَنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ يَقُولُ إِنْ شِئْنَا أَنْزَلْنَا وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَنْزَلْ وَإِنْ
كَانَ عَلَى الْوَعْدِ نَذْرُهُ بَعْضَ مَا وَعَدْنَا وَلَا نَذْرُهُ كُلُّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ بِحَقِّهِ حِسَابُ مَا وَعَدَ وَجُزْأُهُ وَبِحَقِّهِ الْحِسَابُ الْمَعْرُوفُ
الَّذِي يُحَاسِبُهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبِحَقِّهِ أَيُّ لَا يَتْرَكُهُمْ هَمَلًا وَسَدًّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أُولَئِكَ يَرَوْنَ قَدْرًا فَيُنَادُونَ أَنَّهُ حَرْفٌ تَجِيبُ وَتَنْبِيهُ
وَهُوَ مَخْرُجٌ عَلَى وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا عَلَى الْخَبَرِ أَيْ قَدْرًا أَوْ ذَكَرَ وَالثَّانِي
عَلَى الْأَمْرِ أَيْ رَوْيًا فَعَلْنَا ذَلِكَ وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ أَيْ قَدَسَارُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ
بَيْنَ تَأْوِيلِ نِقْصَانِ الْأَرْضِ قَالَتْ بَعْضُهُمْ هُوَ مَا جُعِلَ مِنَ الْأَرْضِ الْكُفْرَةُ
لِلْمُسْلِمِينَ بِالْفَتْحِ لَهُمْ وَالنَّصْرُ عَلَى أَوْلِيكَ وَالْآخَرُ أَوْ مِنْ سُلْطَانِ أَوْلِيكَ
وَأَدْخَالُهَا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ فَذَلِكَ النِّقْصَانُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى
لِرَسُولِهِ إِنْ يَرَهُ بَعْضُ مَا وَعَدَهُمْ فَقَالَتْ الْكُفْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْنَ مَا
وَعَدَ رَبُّكَ إِنْ يُرِيدُكَ فَقَالَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَظْهَارِهَا أَيْ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ جَعَلَ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِلْمُسْلِمِينَ فَإِذَا
قَدَّرَ عَلَى جَعْلِ الْبَعْضِ لَهُمْ لَهْوًا لَقَدْ رَانَ جَعَلَ الْكُلَّ لَهُمْ أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ
هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ مِنْ ذِكْرِ النِّقْصَانِ وَقَالَ قَائِلُونَ نَقْصَانُ الْأَرْضِ
مَوْتُ فَتَاهَا وَعِلْمُهَا وَوَجْهٌ هَذَا هُوَ أَنْ أَفْقَهَا وَالْعُلَمَاءُ هُمْ عُمَا الْأَرْضِ
وَأَهْلُهَا وَبِهِمْ صَلَاحُ الْأَرْضِ فَوَصَفَ الْأَرْضَ بِالنِّقْصَانِ بِذَوَابِ أَهْلِهَا
وَهُوَ كَمَا وَصِفَتْ الْأَرْضُ بِالْفُسَادِ وَهُوَ قَوْلُهُ ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَقَوْلُهُ لَفْسَدَتِ الْأَرْضُ وَالْأَرْضُ لَا تَفْسُدُ بِنَفْسِهَا وَلَكِنْ وَصِفَتْ بِالْفُسَادِ
لَفْسَادِ أَهْلِهَا فَعَلِيَ ذَلِكَ لَا يَقْصُصُ هِيَ بِنَفْسِهَا وَلَكِنْ وَصِفَتْ بِالنِّقْصَانِ

لِذَهَابِ أَهْلِهَا وَعُمَارِهَا وَعَمَّارِهَا فَقُتِلَ وَأَعْلَىٰ وَهِيَ أَعْلَىٰ
ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا رِسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَهُمْ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَنَقُولُ لَا يُعْتَبَرُونَ
بِأُولَئِكَ الَّذِينَ قَبَضُوا وَتَفَانُوا مِنْ عِلْمِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ رِسُولٍ يَعْلَمُهُمُ
الْأَدَابَ وَالْعُلُومَ وَحَدِّدَ لَهُمْ مَا دَرَسَ مِنَ الرِّسُومِ وَذَهَبَ مِنَ الْأَنْثَارِ
فَكَيْفَ انْكَرُوا رِسَالَاتَهُ هَذَا مُحْتَمَلٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ زَمَنَ الرِّسُولِ
فَإِنَّ ذَلِكَ وَقْتُ حَدُوثِ الْعِلْمِ وَزَمَانُهُ لَا وَقْتُ ذَهَابِهِمْ وَفَنَاءِ يَهُودِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَإِنْ كَانَ ارَادَ الْعُلَمَاءُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَفَقَهُاهُمْ فَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ
التَّعْذِيرِ لَهُ أَيْ بِصِيرِ الْأَرْضِ بِحَالٍ تَوْصِفُ بِالنَّقْصَانِ بِذَهَابِ
الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ قُلْ
لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَحُكْمُهُ مُحْتَمَلُ الْعَذَابِ الَّذِي حُكِمَ عَلَى الْكُفْرَةِ يَقُولُ لَا رَادَّ لِلْعَذَابِ
الَّذِي حُكِمَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ أَيْ بِالْعَذَابِ الَّذِي حُكِمَ
عَلَيْهِمْ وَحُكْمُهُ قَوْلُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ أَيْ لَا يَتَعَقَّبُ أَحَدُكُمْ وَلَا يَتَعَقَّبُ أَحَدُ
سُلْطَانُهُ كَمَا يَكُونُ فِي حُكْمِ الْخَلَائِقِ يَتَعَقَّبُ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ كَذِكْرِي الْخَفِظَةِ
لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَيْ الْخَفِظَةُ يَتَعَقَّبُ بَعْضُ بَعْضًا فَيَسْلُطُوا عَلَيْهِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ تَذَكُّرُكَ لِي غَيْرُ مُوْصِي
قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَبِمَا كَفَرُوا جَمِيعًا قُتِلَ أَيْ مَكَرَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِرِسَالِهِمْ مَكَرَ هَوْلًا بَكَ لِيَصْبِرَ رِسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَىٰ إِذَا هَمَّ بِهِ ثُمَّ لَحْمُ الْمَكْرِ بِهِ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا مَكَرُ وَابِهِ بِنَفْسِهِ أَيْ هُمَا
قَتَلَهُ وَاهْلَاكَهُ وَالثَّانِي مَكَرُ وَابِهِ أَيْ بَدَنَهُ الَّذِي دَعَا هُمَا إِلَيْهِ وَارَادَ
أَظْهَارَهُ فَهَمُّوا أَطْفَاءَ ذَلِكَ وَابْطَالَهُ وَكَذَلِكَ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِرِسَالِهِ
مَخْرَجَ عَلَىٰ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ فَبِمَا كَفَرُوا جَمِيعًا يَجْزِي كُلًّا بِمَكْرِهِ وَالثَّانِي
أَيْ لِحَقِيقَةِ الْمَكْرِ يَأْخُذُهُمْ جَمِيعًا بِالْحَقِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَامَامُ
فَانْهَ يَأْخُذُونَ مَا يَأْخُذُونَ لَا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ بِالْبَاطِلِ وَلَا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ الْإِخْرَاجِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ ذَلِكَ لِحَقِيقَةِ الْمَكْرِ الَّذِي
هُوَ مَكْرُ الْحَقِّ فِي الْحَقِيقَةِ فَهُوَ لَا لَهُمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَحُكْمُهُ فَبِمَا كَفَرُوا جَمِيعًا أَيْ
لِلَّهِ تَدْبِيرُ الْمَكْرِ جَمِيعًا إِنْ شَاءَ امْتِصَاةً وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ إِلَيْهِ ذَلِكَ لَا إِلَيْهِمْ

أَوَّلُهُ حَقِيقَةُ الْمَكْرِ يَغْلِبُ مَكْرَهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَسَيَعْلَمُ الْكَفَّارُ لِمَنْ عَقِبِي
الذَّارِ لِيُشَبِّهَهُ أَنْ يَكُونَ عَقِبِي الذَّارِ مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْجَنَّةُ
فَيَكُونُ صِلَةُ قَوْلِهِ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيْ وَسَيَعْلَمُونَ هَمَّ لِمَنْ عَقِبِي الذَّارِ أَوْ إِنْ يَكُونُ جَوَابًا
لِقَوْلِهِ وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْخَشْيَةِ أَنْهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ
مُفْضَلُونَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَوُسْعَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
كَذَلِكَ فَقَالَ ذَلِكَ حَرَابًا لَهُمْ أَهْوَاهُمْ أَمْ هُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا الشَّتَّىٰ مَرْسَلًا أَيْ قَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا الشَّتَّىٰ مَرْسَلًا أَيْ لَمْ يَبْعَثْ اللَّهُ رِسُولًا وَهُمْ كَذَلِكَ يَقُولُونَ
لَهُ فَاْمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ لَهُمْ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
أَيُّ نَبِيٍّ وَرِسُولٍ إِلَيْكُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَتْهَا أَوْ كَانَ قَالَتْ لَهُمْ هَذَا
لَمَّا بَالِغٌ فِي الْحِجَابِ وَالْبَرَاهِينِ فِي الْإِثْبَاتِ الرَّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ فَلَمْ يَقْبَلُوا
ذَلِكَ وَآيِسَ مِنْ تَضَدِّيقِهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ أَيْ مَنْ كَانَ
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ يَعْنِي التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ فَيُشْهِدُ أَيْضًا أَيْ رِسُولُكَ وَنَبِيُّ
أَيْ يَعْلَمُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ أَيْ عَلَىٰ حَقٍّ وَإِنْ رِسُولُ اللَّهِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ
أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَيَقْتَرِئُ كَحُفْظِ الْمِيمِ
وَالذَّالِ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ فَتَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَاءَ عِلْمُهُ
هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا عَامَّةُ الْعُمَّانِ فَانْهَمَّ بِخَتَارُونَ بِالنَّظْبِ وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ عَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَا وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَفَرَا بَعْضُهُمْ وَمِنْ
عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ كَحُفْظِ الْمِيمِ وَالذَّالِ وَرَفْعِ الْعَيْنِ وَلَكِنْ هَذَا لَا أَذْكُرُ عَمَّنْ
هُوَ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ نَبِيُّ تَذَكُّرُكَ قَوْلَهُ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ إِنْ ثَبَتَ هَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ
أَمْرِ التَّأْوِيلِ حَيْثُ قَالُوا وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَحَسْبُكَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

